

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

هذه السورة مكية ، نزلت في مكة قبل الهجرة ، وسُميت الفاتحة لأنها أولى السور في ترتيب المصحف الشريف . وهي أول سورة نزلت بتمامها ، وهي تشتمل على مجمل مافي القرآن ، وكأنها اجمال يملو بعده التفصيل .

ومقاصد القرآن هي : بيان التوحيد ، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن المحسن ، وبيان الوعيد والانذار للكافر والمسيء ، وبيان العبادة ، وبيان طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، وقصص الذين أطاعوا الله ففازوا ، وقصص الذين عصوه فخابوا .

والفاتحة تشتمل ، بطريق الایجاز والاشارة ، على هذه المقاصد ، ولذلك سميت « أم الكتاب » .

١ - تبتدىء باسم الله الذي لا يعبود بحق سواه ، والمتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، وهو صاحب الرحمة الذي يفيض بالنعمة جليلها ودقيقها ، عامها وخاصها ، وهو المتصف بصفة الرحمة الدائمة .

٢ - الثناء الجميل بكل أنواعه وعلى كل حال لله وحده ، وتنق عليه الثناء كله لأنه منشئ الخلق والقائم عليها .

٣ - وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها ، نعم بكل النعم صغيرها وكبيرها .

٤ - وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ، يتصرف فيه لا يشاركه أحد في التصرف ولو في الظاهر .

٥ - لانعبد الا اياك ، ولانطلب المعونة الا منك .

٦ - نسألك أن توفقنا إلى طريق الحق والخير والسعادة .

٧ - وهو طريق عبادك الذين وفقهم إلى الايمان بك ، ووهبت لهم نعمتي الهداية والرضا ، لا طريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الايمان بك والاذعان هديك .

سورة البقرة

هذه السورة مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة وهي أطول سورة في القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف، وقد ابتدأت هذه السورة بتفصيل ما انتهت إليه سورة الفاتحة فند ذكرت أن القرآن هو مصدر الهدى، وذكرت الذين أنعم الله عليهم بالرضا، والذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين.

وقد تحدثت السورة عن صدق القرآن، وأن دعوته حق لا ريب فيها، ثم تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين والكافرين والمنافقين، وعن الدعوة إلى عبادة الله وحده. وعن انذار الكافرين وتبشير المؤمنين، ثم خصت بنى اسرائيل بالدعوة والمرابطة، وجاء فيها تذكيرهم بأيام الله وبمحوادثهم مع موسى عليه السلام، وتذكيرهم كذلك

بإبراهيم وإسماعيل وبناتهما الكعبة، واستغرق ذلك نحو نصف السورة، وتحلله حديث موجه الى المؤمنين للاعتبار بما حدث لليهود والنصارى.

وانتقل الحديث الى خطاب أهل القرآن بذكر ما هو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد من فضل إبراهيم وهدايته ونسبه، وبذكر مسألة القبلة ونحوها.

ثم جاء الحديث عن التوحيد والتذكير بآيات الله الدالة عليه، وجاء الحديث عن الشرك، وعن المحرمات من الطعام، وأن التحريم والتحليل من حق الله وحده.

وتعرضت السورة لبيان أصول البر. وذكر بعض احكام الصيام والوصية وأكل أموال الناس بالباطل، والقصاص والقتال والحج والخمر والميسر والنكاح والطلاق والعدة وغيرها، كما تعرضت للحديث عن العقائد العامة كالرسالة والتوحيد والبعث، وتحدثت عن الاتفاق والربا والتجارة وكتابة الدين، ثم ختمت السورة بدعاء من المؤمنين لربهم أن ينصرهم ويؤيدهم.

وقد تضمنت هذه السورة عدة قواعد منها:

ان اتباع سبيل الله واقامة دينه هما الموجبان للسعادة في الدنيا والآخرة، وأنه لا يلبق بعاقل أن يدعو الى البر والفضيلة وينسى نفسه، وأنه يجب ايثار الخير على الشر، وترجيح الأعلى على الأدنى.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَمَّا مَا نُنزِّلُ وَإِنَّا نُؤْتِيهِ نَافِعًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَرَامَ ۚ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْعَقِبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِمَآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلْنَا
مِن قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

وأن أصول الدين ثلاثة، وهي: الإيمان بالله، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح.
وأن الجزاء على الإيمان والعمل معاً، وأن شرط الإيمان هو الإذعان النفسى والتسليم القلبي لكل ماجاء به الرسول، وأن غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون دين هؤلاء..

ان الولاية العامة الشرعية يجب أن تكون لأهل الإيمان والعدل، لا لأهل الكفر والظلم. وأن الإيمان بدين الله كما انزله يستلزم الوحدة والاتفاق وأن ترك الاهتداء بذلك يورث الاختلاف والشقاق، وأن تحقيق الأمور الجليلة يستعان عليه بالصبر والصلاة، وأن التقليد الأعمى باطل يؤدي الى الجهالة والعصية.

وأن الله أحل لعباده الطيبات من المطعم. وحرّم أشياء خبيثة محدودة، ولا يجوز لغير الله أن يحل أو يحرم، وأن المحرمات تباح للمضطر لأن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر الضرورة بقدرها، وأن الدين مبنى على اليسر ورفع الحرج فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يأمر عباده إلا بما يطيقون. وأن لقاء النفس الى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها، وأن الاكراه فى الدين ممنوع، وأن القتال مشروع فى الاسلام للدفاع، ولتأمين حرية الدين، وتأمين سيادة الاسلام فى مجتمعه.

وأن للمسلم أن يطلب حظه من الدنيا، كما يؤدي واجبه نحو الآخرة، وأن سد الذرائع وتقرير المصالح من مقاصد الشريعة.

وأن الإيمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية، وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام، وأن الإنسان مجزى بعمله لا بعمل غيره، وأن حكمة التشريع يدركها العقل السليم لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد.

١- ألف لام ميم: هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن، وهي مع ذلك تنطوي على تنبيه للاستماع لتمييز جرسها.

٢- هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذى نزله لا يرتاب عاقل منصف فى كونه من عند الله، ولا فى صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام، وفيه الهداية الكاملة للذين يستعدون لطلب الحق، ويتوقون الضرر وأسباب العقاب.

٣- وهؤلاء هم الذين يصدقون- فى حزم واذعان- بما غاب عنهم، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر، لأن أساس التدين هو الإيمان بالغيب، ويؤدون الصلاة مستقيمة، بتوجه الى الله وخشوع حقيق له، والذين يتفقون جانباً مما يرزقهم الله به فى وجوه الخير والبر.

٤- والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله، وبما فيه من أحكام وأخبار ويعملون بمقتضاه ويصدقون بالكتب الإلهية التى نزلت على من سبقك من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل وغيرها، لأن رسالات الله واحدة فى أصولها- يتميزون بأنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بجميـء يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب.

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

٥ - هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متمكنون من أسباب الهداية الالهية ، مستقرون عليها ، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثوابا لسعيهم واجتهادهم وامتنابهم للأوامر واجتنابهم للنواهي .

٦ - هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للإيمان اعراضا منهم وعنادا فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .

٧ - هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مخنوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها ، وكأن أسمعهم مخنوم عليها كذلك ، فلا تسمع وعده الحق ، وكأن أبصارهم قد غشيتها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .

٨ - ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، يظهرون الإيمان فيقولون : اننا آمننا بالله وبيوم القيامة ، وليسوا بصادقين في قلوبهم ، فلا يدخلون في جماعة المؤمنين .

٩ - انهم يخدعون المؤمنين بما يصنعون ويظنون انهم يخادعون الله ، إذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفاياهم ، مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم في الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لاحق بهم ، عاجلا وأجلا ، ولأن من يخدع غيره ، يحسبه جاهلا - وهو ليس كذلك - إنما يخدع نفسه .

١٠ - هؤلاء في قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضا بنصره للحق ، إذ كان ذلك مؤذيا لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم ، ول هؤلاء عذاب أليم في الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَسْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

١١ - وإذا قال أحد من المهتدين لهؤلاء المنافقين : لا تفسدوا في الأرض بالصد عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وإيقاد نار الحرب بربوا أنفسهم من الفساد ، وقالوا ما نحن الا مصلحون وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مفرور يزعم فساده اصلاحا .

١٢ - ألا فتنبوا أيها المؤمنون الى أنهم هم أهل الفساد حقا ، ولكنهم لا يشعرون بفسادهم لغرورهم ولا بسوء العاقبة التي ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

١٣ - وإذا قال قائل لهم ينصحهم ويرشدهم : أقبلا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا إيمانا مخلصا مثل إيمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل سخروا وتهكوا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضعاف العقول ، فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم - وحدهم - الجهلاء الحق . ولكنهم لا يعلمون علما يقينا أن الجهل ونقص الادراك محصور فيهم ومقصور عليهم .

١٤ - وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين ، قالوا : آمنا بما أنتم به مؤمنون من صدق الرسول ودعوته ، ونحن معكم في الاعتقاد ، وإذا انصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين في الفتنة والفساد ، قالوا لهم : انا معكم على طريقتكم وعملكم ، وإنما كان قولنا للمؤمنين ما قلنا استخفافا بهم واستهزاء .

١٥ - والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزىء ، ويمهلهم في ظلمهم الفاحش الذي يجعلهم في عمى عن الحق ثم يأخذهم بعذابه .

١٦ - وهؤلاء اذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذي يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح في تجارته ، ويضيع رأس ماله ، وهم في عملهم غير مهتدين .

لَا يَبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صَمٌّ بَكَرٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم

١٧ - حال هؤلاء في نفاقهم كحال من أوقد ناراً لينتفع بها مع قومه، فلما أنارت ماحوله من الأشياء ذهب الله بنورهم وترك موقديها في ظلمات كثيفة لا يبصرون معها شيئاً، لأن الله قدم إليهم أسباب الهداية فلم يتمسكوا بها فصارت بصائرهم مطموسة، فاستحقوا أن يبقوا في الحيرة والضلال.

١٨ - هؤلاء كالصم، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع، إذ لا يسمعون الحق سماع قبول واستجابة وهم كالبيكم الخرس. لأنهم لا ينطقون بالهدى أو الحق وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لا ينتفعون بها في اعتبار أو انزجار، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم.

١٩ - أو حالهم في حيرتهم وشدّة الأمر عليهم وعدم ادراكهم لما ينفعهم ويضرهم، كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق، يضعون أطراف أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعوا أصوات الصواعق، خائفين من الموت، زاعمين أن وضع الأصابع يمنهم منه.

وهؤلاء إذا نزل القرآن - وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه، وبيان الايمان ونوره المتألق، وبيان النذر وألوان العذاب - أعرضوا عنه وحاولوا الخلاص منه زاعمين أن اعراضهم عنه سيغفيم من العقاب.. ولكن الله عليم بالكافرين المسيطر عليهم من كل جهة بعلمه وقدرته.

٢٠ - ان هذا البرق الشديد النذر يكاد يخطف منهم أبصارهم لشدته، وهو يضيء لهم الطريق حيناً فيسيرون خطوات مستعينين بضوئه وحين ينقطع البرق ويشد الظلام يقفون متحيرين ضالين، وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهرهم أضواؤها فيهمون أن يبتدوا، ولكنهم بعد قليل يعودون الى الكفر والنفاق.

واسع القدرة إذا أراد شيئاً فعله، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

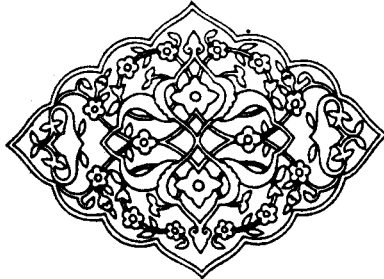
٢١ - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي أنشأكم وخلقكم ونامكم كما خلق الذين سبقوكم، فهو خالق كل شيء، لعلكم بذلك تعدون انفسكم وتهينونها لتعظيم الله ومراقبته، فتتظهر بذلك نفوسكم وتدعن للحق، وتخاف سوء العاقبة.

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَحَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

٢٢ - انه وحده هو الذى مهد لكم الارض بقدرته، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الإقامة فيها والانتفاع بها، وجعل ما فوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سبباً لاخراج النباتات والأشجار المثمرة التي رزقكم بفوائدها، فلا يصح مع هذا أن تنصروا أن الله نظراء تعبدونهم كعبادته لأنه ليس له مثيل ولا شريك، وأنتم بفطرتكم الاصلية تعلمون أنه لا مثيل له ولا شريك. فلا تحرفوا هذه الطبيعة.

٢٣ - وان كنتم في ريب من صدق هذا القرآن الذى نتابع أنزلنا له على عبدنا محمد. فليدركم الحججة الظاهرة التي تبين الحق لكم فحاولوا أن تأتوا بسورة ماثلة من سور هذا القرآن في بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هدايتها، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة ماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم، وهؤلاء الشهداء هم غير الله لأن الله يؤيد عبده بكتابه ويشهد له بأفعاله هذا إن كنتم صادقين في ارتيابكم في هذا القرآن.

٢٤ - فإن لم تستطيعوا الاتيان بسورة ماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك مجال من الأحوال لأنه ليس من طاقة المخلوقين، إذ القرآن كلام الخالق - فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التي تؤدي بكم الى عذاب الآخرة، وهو النار التي سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام، وقد هيئت هذه النار لتعذيب المجاهدين المعاندين.



وَيَسِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوقَهَا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ

٢٥ - وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين فالجنة منوى المؤمنين ، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة أخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عند جنات مشجرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم في هذه الجنات رزقا من بعض ثمارها قالوا : ان هذا يشبه مارزقنا من قبل ، لان هذه الثمرات التي ينالونها تشابه أفرادها في الصورة والجنس ولكنها تتمايز في الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون في هذه الجنة في حياة أبدية لا يخرجون منها .

٢٦ - يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الاحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لا يعتربه ما يعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذى أراد الله بهذا المثل ؟ وأن هذا المثل يكون سببا لاضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحق الذين يطلبونه ، فلا يضل به الا المنحرفون المتمردون .

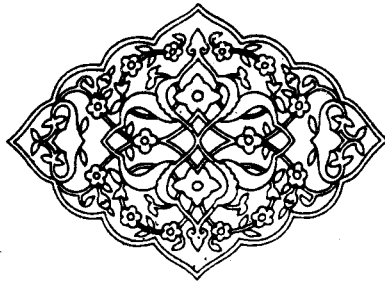
٢٧ - الذين ينقضون عهد الله ، وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوى الذى أنشأه في نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الانسان ، ويفسدون في الأرض بسوء المعاملات وبإثارة الفتن وإيقاد الحروب وافساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بافسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة .

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ

٢٨ - ان حالكم تثير العجب ! كيف تكفرون ولا توجد شبهة تعتمدون عليها في كفركم ؟ ونظرة إلى حالكم تأبى هذا الكفر ولا تدع لكم عذرا فيه ، فقد كنتم أمواتا ، فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التقويم ، ثم هو الذى يعيدكم أمواتا عند انتهاء أجلكم ، ثم يعثكم أحياء مرة أخرى للحساب والعقاب ثم اليه ، لا إلى غيره ، تعودون فيحاسبكم ويمجازيكم على أعمالكم .

٢٩ - وان الله الذى تجب عبادته واطاعته هو الذى تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة فى الأرض ، ثم قد توجهت ارادته مع خلقه الأرض بمنافعها الى السماء فجعل منها سبع سموات منتظتات فيها ماترون وما لاترون ، والله محيط بكل شىء عالم به .

٣٠ - بين سبحانه أنه هو الذى أحيأ الانسان ومكن له فى الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الانسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به ، فاذا ذكر يا محمد نعمة أخرى من ربك على الانسان ، وهى أنه قال للملائكة : انى جاعل فى الأرض من أمكنة منها وأجعله صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته ، استخلفهم الله فى عمارة الأرض وأذكر قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصى ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما فى طبيعته من شهوات . بينا نحن نزهك عما لا يليق بعظمتك ، ونظهر ذكرك وغمجدك ، فأجابهم ربهم : انى أعلم ما لم تعلموا من المصلحة فى ذلك .



٣١ - إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَفَادُمُ
 أَنْبَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
 وَقُلْنَا يَتَفَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَوْنِي يَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ؎ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ ؎ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا

٣١ - وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن في الأرض وينتفع بها ، عرض الله هذه
 الأشياء على الملائكة وقال لهم : أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها ان كنتم صدقتم في ظنكم أنكم أحق بخلافة
 الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم .

٣٢ - وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا : اننا نزهك يا ربنا التنزيه اللائق بك ، ونقر بعجزنا وعدم
 اعتراضنا ، فلا علم عندنا الا ما وهبتنا إياه ، وأنت العالم بكل شيء الحكيم في كل أمر تفعله .

٣٣ - قال الله لآدم : أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء ، فأجاب وأظهر فضله عليهم ، وهنا قال الله لهم مذكرا
 لهم باحاطة علمه : ألم أقل لكم إني أعلم كل ما غاب في السموات والأرض ولا يعلمه غيري ، وأعلم ما تظهرون
 في قولكم وما تخفون في نفوسكم .

٣٤ - واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة : اخضعوا لآدم تحية له واقراراً بفضله ، فأطاع الملائكة كلهم
 إلا إبليس ، امتنع عن السجود وصار من العاصين له ، والكافرين بنعم الله وحكته وعلمه .

٣٥ - ثم خلق الله آدم وزوجته وأمرها أن يعيشا في جنة النعيم فقال له : اسكن أنت وامراتك الجنة وكلا منها
 ماشاءان أكلا هنيئاً وافرا بلا تعب من أى مكان أو ثمر تريدان ، ولكن الله ذكر لها شجرة معينة وحذرهما الأكل
 منها وقال لهما : لاتدنوا من هذه الشجرة ولا تأكلا منها ، والا كنا من الظالمين العاصين .

٣٦ - ولكن إبليس الحاسد لآدم ، الحاقد ، أخذ يحتمل عليها ويفرغها بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكلا منها
 فأخرجها الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم ، وأمرها الله تعالى بالزول الى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها ،
 ويكون بعضهم لبعض عدوا بسبب المنافسة واغواء الشيطان ، ولكم في الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة ،
 وتمتع ينتهى باتهاء الأجل .

٣٧ - وأحس آدم هو وزوجته بخطئها وظلمها لأنفسها ، فألم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار ،
 فقالها ، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة ، وهو الرحيم بعباده الضعفاء .

مِنهَا جَمِيعًا فِيمَا بَاتِبْتُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَايِنَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارُهِبُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ
كٰفِرِينَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَسْتُرُوا عَوْنَكُمْ لِلَّذِينَ هَاتَبُوا بِالْبَطْلِ وَالْحَقُّ يَدْعُو إِلَىٰ تَقْوَىٰ ۚ فَاتَّقُوا ۚ وَالَّذِينَ هَاتَبُوا بِالْبَطْلِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ۚ اتَّامِرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْوُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونُوا
الْكٰتِبِينَ ﴿٤٣﴾

٣٨ - وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وإبليس : اهبطوا الى الأرض وستكلفون تكاليفات فيها ، فان جاءكم ذلك من عندي - وسيأتيكم حتما - فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لا يشعرون بخوف ، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٣٩ - والذين جحدوا وكذبوا برسلى الله وكتبه ، أولئك أهل النار ، يظنون فيها أبدا لا يخرجون ولا يفنون .

٤٠ - يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وأباؤكم بالتفكير فيها والقيام بواجب شكرها وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم وأقرتموه على أنفسكم ، وهو الايمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بمن يحمى بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والنعيم المقيم ، ولا تخافوا أحدا غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى لكم .

٤١ - وصدقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لما عندكم من كتب ، وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعدل بين الناس ، ولا تسارعوا الى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى أن تكونوا أول المؤمنين به ، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضا قليلا زائلا من متاع الحياة الدنيا ، وخصونى بالخوف فاتبعوا طريقى ، وأعرضوا عن الباطل .

٤٢ - لا تخطوا الحق المنزل من عندى بالباطل المفترى من عندكم ، حتى لا يشتهب هذا بذاك ، ولا تكتموا الحق ومنه صدق محمد ، وأنتم تعلمون أنه حق وصدق .

٤٣ - واستجيبوا للايمان ، فأدوا الصلاة مستقيمة الأركان ، وأعطوا الزكاة لمستحقها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .



أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ
مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

٤٤ - أطلبون من الناس أن يتوسعوا في الخير، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية، ثم لا تعملون بما تقولون، ولا تلتزمون ما تطلبون وفي ذلك تضيق لأنفسكم كأنكم تنسونها، مع أنكم تقرأون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل، أليس لديكم عقل يردعكم على هذا التصرف الذمير؟

٤٥ - واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تتركه، ومن ذلك الصوم، وبالصلاة العظيمة الشأن التي تنق القلب وتهدى عن الفحشاء والمنكر، ولذلك كانت ثقيلة شاقة إلا على الخاضعين المحيين للطاعة، الذين أطمأنت قلوبهم لذكر الله.

٤٦ - أولئك الخاضعون المطمئنة قلوبهم، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيقاؤون ربه عند البعث، واليه وحده يعودون ليحاسبهم على ما قدمت أيديهم ويشيهم عليه.

٤٧ - يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت بها عليكم، من إخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم في الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها، واشكروا واهبها بطاعتكم له، واذكروا أنني أعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم مالم أعطه أحدا من معاصريكم. والمحطاب لجنس اليهود ويمثلهم المعاصرون للرسول.

٤٨ - وخافوا يوم الحساب الشديد: يوم القيامة الذي لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تغني فيه نفس عن نفس أخرى شيئا، ولا يقبل من أي نفس تقديم أي شفيع، كما لا يقبل عرض تفدى به الذنوب، ولا يستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقه.

٤٩ - واذكروا من نعمنا عليكم أن نجيناكم من ظلم فرعون وأعدائه الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، فهم يذبحون الذكور من أولادكم لتوهم أن يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستبقون الإناث، ليستخدموهن، وفي هذا العذاب والتمرض للفناء ابتلاء شديد من ربكم واختبار عظيم لكم.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَمْجَيْنَاكُمُ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومُ إِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْحَاذِكُرِ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ

٥٠ - واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البعز - وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - فتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وبفضلنا نجوتهم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقتناهم أمام أبصاركم - فأنتم ترونهم وهم يفرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه .

٥١ - واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب الى ميعاده ، وعاد وجدكم قد انحرقتم واتخذتم العجل الذي صنعه السامري معبودا لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم شريكا لله الذي خلقكم ونجاكم .

٥٢ - ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم واستغفرتم من انكمم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

٥٣ - واذكروا حين أنعمنا عليكم فأنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة وهو الذي يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكي تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبير ما فيها .

٥٤ - واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى يا قومي ، لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامري معبودا ، فتوبوا الى ربكم خالقيكم من العدم ، بأن تفضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ، لتتجدد بنفوس مطهرة فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له وكان ذلك خيرا لكم عند خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ - واذكروا قولكم لموسى : اننا لن نقر لك بالايان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لايحجبه عنا شيء ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب في الصاعقة .

٥٦ - ثم أيقظناكم من غشيتكم وهودكم ، وعلمناكم لكي تشكروا نعمتنا في ذلك ، وتؤدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ مُجِبِّدًا وَقُولُوا
حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِئًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ
مُقْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ

٥٧ - ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد، وأنزلنا عليكم المن، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان، فهو يأتيكم بأسراره بكرة وعشياً لتأكلوا وتتمتعوا، وقلنا لكم كلوا من طيبات رزقنا - فكفر هؤلاء بالنعمة، ولم يكن ذلك بضائرنا، ولكنهم يظلمون أنفسهم لأن ضرر العصيان واقع عليهم^(١).

٥٨ - واذكروا يا بني إسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التي ذكرها لكم موسى نبيكم، فكلوا مما فيها كما تشاءون، كثيرا واسعا، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع من الباب الذي سماه لكم نبيكم، واسألوا الله عند ذلك أن يغفر لكم خطاياكم، فن يفعل ذلك باخلاص نغفر له خطاياهم، ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة.

٥٩ - ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم، فقالوا غير ما أمرهم بقوله، استهزاء وقمدا، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم.

٦٠ - واذكروا يا بني إسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش في التيه، رحمنكم وقلنا لموسى: اضرب بعصاك الحجر فانفجر الماء من اثني عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثني عشرة جماعة فعرفت كل قبيلة مكان شربها، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه، ولا تسرفوا في الفساد في الأرض بل امتنعوا عن المعاصي.

(١) في قوله تعالى « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي ان المواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كلعوم الحيوانات والطيور، ومنها السمان (السلوى) أفضل في تغذية الإنسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي واستفادة الجسم كما أن المن أساسه مواد سكرية تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان.

بَقْلِهَا وَقَتَائِبَهَا وَفُومِهَا وَعَدْسِهَا وَبَصْلِهَا ۗ قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ آمَبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَيَغَضِبُ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِنْدَ بَغْيِهِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَىٰ وَالصَّدِيقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ۚ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ

٦١ - واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على اسلافكم . ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى : اتنا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كى يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقتائها وعدسها وئومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وانكره عليهم فقال لهم : أنفضلون هذه الاصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى . . فانزلوا اذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ماتريدون وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقير والخنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألقوه من العناد والعصيان ، وماجروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر وقد جرأهم على ذلك الكفر وهذا القتل ، ماركب في نفوسهم من التمرد والعدوان ومجازة الحد في المعاصى .

٦٢ - ان الذين آمنوا بالأنبياء من قبل ، واليهود والنصارى ، ومن يقصدون الكواكب والملائكة . ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته ، ووجد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة ، وعمل الأعمال الصالحة في دنياه فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم ، ولا يلحقهم خوف من عقاب . ولا ينالهم حزن على فوات ثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٦٣ - اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد بمجد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كى تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب .

٦٤ - ثم انكم أعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين .

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا
 رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
 قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لَوْنَهَا سِرًّا لِّلنَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾
 قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ نَشَبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ

٦٥ - وأنتم بلاريب قدعرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم في يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع أنه يوم راحة وعيد ، والعمل محرم فيه ، فسبح الله لقلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة في نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين من رحمة الله ، مطرودين كالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشتمون من مخالطتهم .

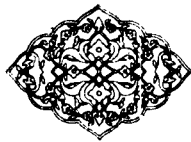
٦٦ - وقد جعل الله هذه الحال التي آلوا إليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم جعلها عبرة لمعاصرتهم ومن يأتي بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ - واذكر حين قال موسى لقومه وقد قتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل ، ولكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين : أتسخر منا يا موسى ، فرد عليهم قائلا : انى أعتصم بتأديب الله لى أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

٦٨ - هنا قالوا لموسى مترددين في أمر البقرة ، اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة فقال لهم : ان الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هى وسط بين الكبر والصغر ، فنفذوا ما أمركم الله به .

٦٩ - ولكنهم استمروا في ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة ، فأجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر إليها لصفاء لونها ووضوحه .

٧٠ - ثم لجوا في أسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهدى إليها بمشيئة الله .



لَا ذُلُّلٌ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لِأَشْيَاءِ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَلَجَّبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
 وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
 الْمَوْتَى وَيُرِيكَ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
 وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُجِرُونَ

٧١ - فقال لهم : ان الله يقول انها بقرة لم تذلل بالعمل في حرث الأرض وقلبها للزراعة ، ولا في سقى الأرض
 المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات وهي بريئة من العيوب سالمة من الآفات لا لون فيها يخالف سائر جسدها فقالوا
 له الآن جئت بالبيان الواضح ، ويخونوا عن البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك
 لكثرة أسلتهم وطول لجاحهم .

٧٢ - اذكروا يوم قتلتهم نفساً وتخاصمت وتدافعت الجريرة ، فاتهم بعضهم بعضاً بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو
 كاشفها ومظهرها مع كتابكم لها .

٧٣ - فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القاتل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم فأحيا الله القاتل وذكر اسم
 قاتله ، ثم سقط ميتاً وكانت معجزة من الله لموسى^(١) .

لأن الله قادر على كل شيء ، وبقدرته هذه يحيى الموتى يوم القيامة . ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها
 وتعتبرون بها .

٧٤ - ثم انكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت
 وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل انها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها
 المياه الكثيرة فتجرى أنهاراً ، وهناك أحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيوناً فوارة ومنها ما يتأثر بقدرته الله وينقاد
 لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقياداً لما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ ، أما قلوبكم أيها اليهود فإنها لا تتأثر ولا تلين ولكم
 الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم ، اذا لم تشكروا أنواع النعم ..

(١) ذكر بعض الكتاب في عصرنا الحاضر ، وهو المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ان قوله تعالى : « اضربوه ببعضها » المراد به
 بعض أجزاء القاتل ، والمراد باحيائها القصاص له ، لأن الضرب ببعض أجزاء المقتول يحمل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ما تكون رؤية
 القاتل باعثة على الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الامر بالذبح وأمر الله تعالى بالذبح ، وأن أمر الله تعالى لهم بأن يذبحوا بقرة
 كان ليأكلوها ، وفي ذلك تربية نفسية لهم ، لانهم كانوا مع المصريين الذين يقدسون البقر ، وكانت فيهم بقية من هذا التقديس بدليل أنهم
 عبدوا تمثال العجل من بعد ذلك . فكان لابد لاقتلاع هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان لذلك الأمر بالذبح ، وكان لذلك
 المجادلة والتلكؤ منهم فذبحوها وماكادوا يقومون بالذبح .

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِنَّا بَعْضُ مَا يَسِرُونَ
 أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
 يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَلَمْ تَكُنْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ

٧٥ - ما كان ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا في أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت في مختلف فرقهم أشتات الرذائل التي تباعد بينهم وبين الإيمان بالحق ، فقد كان فريق منهم (وهم الأخبار) يسمعون كلام الله في التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وأن كتب الله المنزل لا يجوز تغييرها .

٧٦ - وكان فريق من منافقيهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمداً هو النبي الذي جاء وصفه في التوراة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، إذ تنزلق السنتهم في أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع فيذكرون لهم ما ورد في التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

٧٧ - وهل غاب عن هؤلاء وأولئك ان الله ليس في حاجة إلى مثل هذه الحججة لأنه يعلم ما يخفون وما يبدون .

٧٨ - ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب تتفق مع أمانيتهم ، لفقها لهم أخبارهم وألقوا في ظنهم أنها حقائق من الكتاب .

٧٩ - فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأخبار الذين يكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون للأمين هذه هي التوراة التي جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك إلى غرض تافه من أغراض الدنيا فيشتروا هذا التافه بثمن هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقولوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .



عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَّالَا تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَاقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ
 تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ
 الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا نِزْرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْكَ أَشَدَّ

٨٠ - ومن اختلافاتهم هذه ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهودياً مهما ارتكب من المعاصي إلا أياماً معدودة، فقل لهم يا محمد، هل تعاهدتم مع الله على ذلك، فاطمأنتم لأن الله لا يخلف عهده، أم أنكم تفترون الكذب عليه؟

٨١ - الحق أنكم تفترون الكذب على الله، فحكم الله العام نافذ في خلقه جميعاً لا فرق بين يهودي وغير يهودي، لأن من ارتكب سيئة وأحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

٨٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم إيمانهم من صالح الأعمال، فهم فيها خالدون.

٨٣ - وأن لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضياً حافلاً بالاثم ونقض الميثاق، وتعدى ما وضعه الله لكم من حدود، فلتذكروا إذ أخذنا عليكم في التوراة ميثاقاً ألا تعبدوا إلا الله، وأن تحسنوا إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين، وتستخدموا في حديثكم مع الناس القول الطيب الذي يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفهم منكم، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق إذ نقضتموه وأعرضتم عنه إلا قليلاً منكم ممن أذعن للحق.

٨٤ - وإذ أخذنا ميثاقاً عليكم في التوراة ألا يسفك بعضكم دماء بعض، ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، وهو ميثاق تفترون أنه في كتابكم وتشهدون على صحته.

الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقِينَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

٨٥ - وهأنتم أولاء يقتل بعضكم بعضاً، ويخرج فريق منكم آخر من ديارهم متعاونين في ذلك عليهم مع غيركم بالاثم والعدوان، ثم ان وقع فريق منكم أسرى لدى من يتعاونون معهم تعملون على انقاذهم من الأسر باقتنائهم، وان سئلتهم عما حملكم على اقتنائهم قلتم لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى أسرانا من اليهود أولم تأمركم أسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء اخوانكم، وألا تخرجوهم من ديارهم؟ افتدعون لبعض ما جاء في الكتاب وتكفرون ببعض؟ فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردهم الله المطلق على أعمالهم وسرايرهم الى أشد العذاب (١).

٨٦ - وذلك لأنهم قد آثروا أعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم، ولن يجددوا من ينقذهم منه.

٨٧ - ولتذكروا كذلك معشر اليهود مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده اليكم من المرسلين. فلقد ارسلنا اليكم موسى وآتيناه التوراة وبعثنا اليكم على آثاره عدة رسل، منهم، عيسى ابن مريم الذي امددناه بالمعجزات وايدناه بروح القدس وهو جبريل رسول الوحي الأمين. فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه، ففريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه.

٨٨ - وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا محمد خاتم النبيين. فلقد قلتم له حينما دعاكم إلى الاسلام: ان قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ اليها دعوتك فلا نكاد نفقه شيئاً مما تقول ولم تكن قلوبهم كما يزعمون، ولكنهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف إيمانهم.

(١) كان بالمدينة قبل الاسلام قبيلتان عربيتان متعاديتان: هما الاوس والخزرج، وطائفتان من اليهود هما: بنو قريظة وبنو النضير، وكان بنو قريظة حلفاء للاوس وكان بنو النضير حلفاء للخزرج، وكان اذا اقتتل القبيلتان العربيتان انضم الى كل قبيلة حلفاؤها من اليهود واشتركوا معها في قتال القبيلة الاخرى وقتال من انضم اليها من اخواتهم في الدين ولم يدخروا جهداً في سفك دمايتهم والعمل على اخراجهم من ديارهم، ولكن كلا من الطائفتين من اليهود كانت تعمل على اقتداء من كان يقع في أيدي حليفتها من أسرى الطائفة الاخرى فاذا سئلوا: كيف تفدونهم وقد كانوا يقاتلون مع اعدائكم؟ قالوا: لأن الله أمرنا في التوراة أن نفدى أسرى اليهود، ويتجاهلون ان الله أمرهم كذلك في التوراة الا يسفك بعضهم دماء بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
 بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
 بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنْزِيلُ
 عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
 * وَلَقَدْ جَاءَتْكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

٨٩ - ولما جاءهم رسولنا بالقرآن وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما في هذا الكتاب ، كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبيهم بنى إسرائيل مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتبكوا مع المشركين في صراع حربي أو جدلي ذكروا أن الله سينصرهم بارسال خاتم النبيين الذى بشر به كتابهم ، والذي تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . . ألا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين .

٩٠ - ولبس ما باعوا به أنفسهم بغياً وعدواناً ، اذ مالوا مع أهوائهم وتعصبهم لشعبيهم فكفروا بما أنزلنا ، ناقين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بارسال رسول منهم منكرين على الله أن يكون له مطلق الخيرة في أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسدهم ، ولتلهم من الكافرين عذاب مذل يؤلم .

٩١ - هذا هو ما كانت تنطوى عليه نفوسهم ، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم إيمانهم بالقرآن حينما يطلب اليهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون الا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ولقد كذبوا فيما يدعون من إيمانهم بما أنزل عليهم من توراة لأن كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما في كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه ، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعوا الى ما أنزل عليهم وقتلهم لهؤلاء أقطع دليل على عدم إيمانهم برسالتهم .

٩٢ - بل لقد كفرتم أيها اليهود كفاً صريحاً بكتبكم ، ورجعتم الى الشرك في عهد موسى نفسه فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه لكنه لم يلبث أن تغيب لمنجاة ربه حتى عبدتم العجل ورجعتم الى سابق وثنيكم وأنتم ظالمون مبطلون .

الطُّورُ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
 إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن
 كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
 عَلَى حَبِطَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
 بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا

٩٣ - وحينما جاءكم بالتوراة، ورأيتم ما فيها من تكاليف شاقة، فاستثقلتم أعباءها وارتبتم فيها، أراكم الله
 آية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم، فرفع جبل الطور فوق رؤسكم حتى صار كأنه ظلة وظننتم أنه
 واقع بكم، وحينئذ أعلنتم القبول والطاعة، فأخذنا عليكم ميثاقاً ألا يأخذكم هوى في الامتثال لما جاء في هذا
 الكتاب، فقلتم: أمنا وسمعنا، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتمردكم، وأن الإيمان لم يخالط قلوبكم،
 ولا يمكن أن يكون الإيمان قد خالط قلوب قوم شغفوا حباً بعبادة العجل فلبسوا ما إليه إيمانكم الذي تزعمون.

٩٤ - ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد المات، فان كنتم مؤمنين حقاً
 بما تقولون فليكن الموت محبباً إليكم، ولتتمنوه حتى لا يبسط عنكم هذا النعيم الذي تدعون

٩٥ - ولكنهم في الواقع لا يرغبون في الموت أبداً لما افتروا من ظلم لا يخفى أمره على الله، ويعلمهم أنهم
 كاذبون فيما يدعون، وأن النعيم يوم القيامة للمتقين لا للفقار أمثالهم.

٩٦ - بل انك لتجدتهم أحرص الناس جميعاً على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة، وحرصهم أكثر من
 حوص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولا جنة، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ولن يبعد عنه تعميره مهما
 طال ما ينتظر من عذاب الله انه عليم بالظالمين وسيذيبهم جزاء ما افتروا.

٩٧ - ولقد زعم بعضهم أنهم يعادونك ويكفرون بكتابك لأنهم اعداء لجبريل الذي يبلغك هذا الكتاب فقل
 أيها النبي لهم: من كان عدواً لجبريل فهو عدو لله، لأن جبريل ما يجيء بهذا الكتاب من عنده وانما ينزله بأمر الله
 مصدقاً لما سبقه من الكتب السابوية.. ومصدقاً لكتابهم نفسه.. وهدى وبشرى للمؤمنين.

٩٨ - فمن كان عدواً لجبريل أو ميكائيل أو إلهي ملك أو رسول من ملائكة الله ورسله الذين لا يفعلون
 ولا يبلغون الا ما يأمرهم به الله، فانه بذلك يكون عدواً لله وكافراً به، والله عدو الكافرين.

إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهِدُوا عَاهِدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٩ - وما ينزل جبريل على قلبك إلا بآيات بينات لا يسع طالباً للحق إلا الإيمان بها ، وما يكفر بمنها إلا المعاندون الخارجون عن سنة الفطرة .

١٠٠ - وكما تذبذبوا في العقيدة والإيمان ، تذبذبوا كذلك فيما يرمونه من عهدود : فكانوا كلما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهداً نبذوه فريقتهم منهم . لأن معظمهم لا يؤمن بحزمة عهد ولا بقداسة ميثاق .

١٠١ - ولما جاءهم رسول من عند الله مطابقة أوصافه لما في أسأفرهم وهو محمد عليه السلام ، نبذ فريقتهم منهم ما ذكر في كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئاً عنه .

١٠٢ - ولقد صدقوا ما تقولون شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، إذ زعموا أن سليمان لم يكن نبياً ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من الله ، بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وإن سحره هذا هو الذي وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطيور والرياح فنسبوا بذلك الكفر لسليمان وما كفر سليمان ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا ، إذ تقولوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن آثار ما أنزل بيابل على الملكين هاروت وماروت مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولوا له إنما نعلمك ما يؤدي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره وتوق العمل به . ولكن الناس لم ينتصحووا بهذه النصيحة ، فاستخدموا مما تعلموه منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة إذ تقولوا هذه الأقاويل من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذي يأذن بالضرر إن شاء ، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تعلمه في دينه ودينه ولا يفيد شيئاً ، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ في نعيم الآخرة ، ولبس ما اختاروه لأنفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

١٠٣ - ولو أنهم آمنوا بالحق وخافوا مقام ربهم لأنابهم الله ثواباً حسناً . وكان ذلك خيراً مما يلقونه من أساطير ويضمرونه من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نَفَرْنَا ^{١٠٤} وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^{١٠٥} مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ^{١٠٦} وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ^{١٠٧} وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ^{١٠٨} * مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نَسَبَهَا نَسَخْنَا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ^{١٠٩} أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^{١١٠} أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ^{١١١} أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ^{١١٢} وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ^{١١٣} وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

١٠٤ - يأيها الذين آمنوا خذوا حذرکم من هؤلاء اليهود فلا تقولوا للرسول حينما يتلو عليكم الوحى : (راعنا : قاصدين أن يجعلكم موضع رعايته ، ويتمهل عليكم في تلاوته حتى تعوه وتحفظوه ، لأن خبثاء اليهود يتظاهرون بمحاكاتكم في ذلك ، ويلوون السنتهم بهذه الكلمة حتى تصير مطابقة لكلمة سباب يعرفونها وبوجهونها للرسول ليسخروا منه فيما بينهم ، ولكن استخدموا كلمة أخرى لا يجد اليهود فيها مجالاً لخبثهم وسخرتهم ، فقولوا : (أنظرنا) وأحسنوا الاصفاء الى ما يتلوه عليكم الرسول ، وان الله ليدخر يوم القيامة عذاباً ايماً لهؤلاء المستهزئين بالرسول .

١٠٥ - وتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون الا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم خير من ربكم ، والله لا يقيم وزناً لما يرجون وما يكرهون فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

١٠٦ - ولقد طلبوا منك يا محمد أن تأتيهم بالمعجزات التي جاءهم بها موسى وأنبياء بني اسرائيل ، وحسبنا أننا أيدناك بالقرآن ، وأنا اذا تركنا تأييد نبي متأخر بمعجزة كانت لني سابق ، أو أنسينا الناس أثر هذه المعجزة فاننا نأتى على يديه بخير منها أو مثلها في الدلالة على صدقه ، فالله على كل شيء قدير .

١٠٧ - وهو الذى بيده ملكوت السموات والأرض ، وليس لكم أيها الناس من دونه ولى يعينكم ولا سند ينصركم .

١٠٨ - لعلكم تريدون باقتراحكم معجزات معينة على رسولكم محمد ، أن تحاكوا بني اسرائيل المعاصرين لموسى ، اذ طلبوا اليه معجزات خاصة ، ان اقتراحكم هذا ليخفى وراءه العناد والجنوح الى الكفر ، كما كان يخفى ذلك اقتراح بني اسرائيل على رسولهم ومن يؤثر العناد والكفر على الاخلاص للحق والايان ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

لَوِردُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

١٠٩ - ولقد تمى كثير من اليهود أن يردوكم - أي الكفر بعد إيمانكم ، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق ، وما ذلك إلا لأنهم يحسدونكم ويخشون أن ينتقل اليكم السلطان ويفلت من أيديهم فاعرضوا عنهم ، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم فهو القادر على أن يمكنكم منهم ، وهو على شيء قدير .

١١٠ - وحافظوا على شعار دينكم ، فأقيموا الصلاة ، واعطوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابها عند الله ان الله بما تعملون عليم ، علم من يبصر ويرى .

١١١ - ومن أباطيل اليهود والنصارى وأمانيتهم الكاذبة ، ما يزعمه كل منهم من أن الجنة لن يدخلها الا من كان على دينه . فلتطلبوا اليهم أن يأتوا ببرهان على ذلك ان كانوا صادقين .

١١٢ - ولن يجدوا على ذلك برهاناً ، فالحق ان الذين يدخر لهم الله تعالى نعيم الجنة ويشيهم يوم القيامة ويقبهم الخوف والحزن هم الذين يخلصون لله ويتبعون الحق ، ومحسنون ما يؤدونه من أعمال .

١١٣ - ومن عجب أنهم كما يعادون الاسلام يعادى بعضهم بعضاً ، فيقول اليهود : ليست النصارى على شيء من الحق ، ويقول النصارى في اليهود مثل ذلك ، وكلاهما يستدل بأسفاره ، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئاً عن الكتب المنزلة في اليهود والنصارى معاً ما يقوله كلاهما في الآخر ولقد صدقوا جميعاً في ذلك . فليس منهم فريق على حق ، وسيتبين ذلك حيناً يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ^ع
 لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَمُجْهٌ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قِسْمٌ مِّمَّا يَدِيْعُ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ
 أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبِهتْ قُلُوْبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٧﴾

١١٤ - ومن مظاهر عدائهم لبعض ، وعدائهم للمسلمين ، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الأخرى ، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام ، وليس ثمة أحد أشد ظلماً ممن يحول دون ذكر الله في أماكن العبادة ويسعى في خرابها ، فأولئك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وما كان لهم أن يفتروا مثل هذا الجرم الخطير ، وإنما كان ينبغي أن يحفظوا للمعابد حرمتها ، فلا يدخلوها الا خاشعين ، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله .

١١٥ - وإذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة في المسجد الحرام . فلن يمنعهم هذا من الصلاة وعبادة الله ، فجميع الجهات وجميع البقاع في الأرض لله ، وأن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيًا كانت البقعة التي يؤدي فيها عبادته ، فالله واسع لا يضيق على عباده ، وهو عليم بنية من يتجه إليه .

١١٦ - ومن كان هذا شأنه ، وكان جميع ما في الكون مسخراً لأمره ، خاضعاً لمشيئته ، فهو أرفع وأجل من أن يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً كما يقول هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون .

١١٧ - وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً من أبدع السموات والأرض وأذعن كل ما فيها لإرادته فلا يستعصى شيء عليه ، وإذا أراد أمراً فأنما يقول له : كن ، فيكون ؟ .

١١٨ - هذا ويعمن المشركون من العرب في عنادهم لمحمد ، فيطلبون اليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من أنبيائهم ، فقد قالوا : أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا كلمهم الله وجاءتهم آية حسية تدل على صدقه . كما قال بنو اسرائيل لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا ، وكما طلب أصحاب عيسى اليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، وما ذلك الا لأن قلوب الكفار والمعاندين في كل أمة متشابهة ، وأنه لا يستبين الحق الا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين ، وطلبت الحق .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَذَّبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ وَأَنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنْبَأُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

١١٩ - وقد ارسلناك بحقائق يقينية بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، وليس عليك الا تبليغ رسالتنا ، ولن تسأل عن عدم ايمان من لم يؤمن بك من أصحاب الجحيم .

١٢٠ - فلا ترهق نفسك في استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى ، فان هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التي يزعمون انها الهدى ، وليس ثمة هدى الا هدى الله في الاسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلناه اليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولي يعينه ، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

١٢١ - غير أن ثمة فريقاً من اليهود والنصارى قد تفقهوا في أسفارهم الأصيلية ، وتلواها حق التلاوة ، وفطنوا الى ما دخلها من تحريف ، فأولئك يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعاً لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

١٢٢ - يا بني اسرائيل آمنوا ، واذكروا نعمتي العظيمة التي أنعمت بها عليكم باخراجكم من ظلم فرعون واغراقه ، واعطائكم المن والسلوى وبعث الأنبياء فيكم وتعليمكم الكتاب وغير ذلك مما شرفتمكم به ، وأني فضلتكم وقتاً من الزمان على الناس في جعل مصدر النبوات منكم .

١٢٣ - وخافوا عقاب الله في يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فداء ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا يجد فيه الكافرون نصيراً لهم من دون الله .

١٢٤ - واذكروا اذ ابتلى الله جدكم ابراهيم بتكاليف فقام بها على أتم وجه ، فقال له : انى جاعلك للناس اماماً ، يتبعونك ويقتدون بك ، فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أئمة كذلك ، فأجابه بأن هذا لن يصل اليه منهم الظالمون ، وأشار أنه سيكون من ذريته الأبرار والفجار .

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَآبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّا لَهُ

١٢٥ - واذكروا كذلك قصة بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل لبيت الله الحرام بمكة، وفي هذه القصة عظة بالغة لمن كان له قلب سليم، فلتذكروا اذ جعلنا هذا البيت ملاذاً للخلق ومأمناً لكل من يلجأ اليه، واذ امرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام ابراهيم لبناء الكعبة مكاناً يصلون فيه، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن يصونا البيت مما لا يليق بحرمته، وأن يبنياه تهيئة صالحة لمن يؤمه من الطائفين والمعتكفين والمصلين.

١٢٦ - واذكروا اذ طلب ابراهيم الى ربه أن يجعل البلد الذي سينشأ حول البيت بلداً آمناً، وأن يرزق من ثمرات الأرض وخيراتها من آمن من أهله بالله واليوم الآخر، فأجابه الله بأنه لن يرضن على الكافر نفسه بالرزق في أثناء حياته القصيرة، ثم يلجئه يوم القيامة الى عذاب جهنم. ولبس المصير.. مصير هؤلاء.

١٢٧ - واذ يرفع ابراهيم هو وابنه اسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله: ربنا يا خالقنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك، فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نياتنا (١).

١٢٨ - ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخصصة لك، وعلمنا طريقة عبادتنا لك في بيتك الحرام وما حوله، وتب علينا ان نسينا أو أخطأنا إنك أنت كثير القبول لتوبة عبادك، الغافر لهم بفضلك ورحمتك.

١٢٩ - ربنا وابعث في ذريتنا رسولاً منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى اليه به من كتاب وعلم نافع وشرعية محكمة، ويظهرهم من ذمير الأخلاق، إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنه.

(١) الكعبة بيت الله الحرام بمكة أقدم الأماكن المقدسة وكان العرب يحجون إليها قبل الاسلام منذ عهد ابراهيم، والمتواتر في أمر البيت ان ابراهيم واسماعيل هما أول من رفع قواعد وقيل ان أول بناء بنته الملائكة من احجار الجنة عند هبوط آدم الى الارض وظلت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جندهما قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي العربي محمد ﷺ ثم جددت بعد ذلك في العصور الاسلامية غير مرة وكان آخرها البناء الذي حدث سنة ١٠٤٠ هجرية الموافق ١٦٣٠ ميلادية وهو الذي يطوف به المسلمون الآن.

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسَلْتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
 بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
 الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا
 وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

١٣٠ - ولنعم ما فعله ابراهيم وما دعا الله به ، وما اتبعه من ملة قومية ، وأنه لا يعرض عن ملة ابراهيم الا من
 امتن انسانيته وعقله ، ولقد اصطفاه الله في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين المقربين .

١٣١ - ولقد استجاب لأمر ربه حينما طلب الله اليه أن يذعن فقال : أذعنت لرب العالمين جميعاً من جن
 وانس وملائكة .

١٣٢ - ولم يكف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه ، وحاكاه حفيده يعقوب : فأوصى هو الآخر
 بنيه كذلك أن يتبعوا هذه السنن ، وبين لأبنائه أن الله اصطفى لهم دين التوحيد وأخذ عليهم العهد الا يموتوا الا هم
 مسلمون ثابتون على هذا الدين .

١٣٣ - ولقد زعمتم أيها اليهود أنكم تسرون على الدين الذي مات عليه يعقوب ، فهل كنتم شهداء إذ
 حضره الموت فعرفتم الملة التي مات عليها ؟ الا فلتعلموا أن يعقوب وأبنائه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهوداً
 مثلكم ولا نصارى ، وأن يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوا : نعبد إلهك
 وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له خاضعون .

١٣٤ - ثم ما لكم أيها اليهود والمجذل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ثم لهم وحدهم ما كسبوا في
 حياتهم ، فلن تسألوا عن أعمالهم ، ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٣٥ - ولكنهم لا ينفكون . يمعنون في لجاجهم ويزعم كل فريق منهم أن ملته هي الملة المثلى ، فيقول لكم
 اليهود ، كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا إلى الحق المستقيم ، فلتردوا
 عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك ، لأن كليهما قد حرفت وخرجت عن أصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ،
 وبعدت عن ملة ابراهيم ، وإنما نتبع الاسلام الذي أحيا ملة ابراهيم نقية طاهرة .

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ

١٣٦ - قولوا لهم : آمنة بالله وما أنزل الينا في القرآن ، وآمنة كذلك بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنه الأسباط ، وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى غير محرقة ، والانجيل الذي أنزله الله على عيسى غير محرف ، وبما أوتي جميع النبيين من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض ، ونحن في هذا كله مدعون لأمر الله .

١٣٧ - فان آمنوا إيماناً مطابقاً لإيمانكم فقد اهتدوا ، وان تمادوا في عنادهم واعراضهم فانما هم في نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيكم الله أمرهم بأمر النبي ، ويريحك من لجأهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

١٣٨ - قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهديته ، وأرشدنا الى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وحجة ، واتنا لا نخضع الا لله ، ولا نتبع الا ما هدانا وأرشدنا اليه .

١٣٩ - قولوا لهم : اتجادلونا في الله زاعمين أنه لا بصطفى أنبياء الا منكم ؟ وهو ربكم ورب كل شيء ، لا يختص به قوم دون قوم ، يصيب برحمته من يشاء ، ويجزي كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر إلى أنسابهم ، ولا أحسابهم وقد هدانا الطريق المستقيم في أعمالنا ، ورزقنا صفة الاخلاص له .

١٤٠ - قولوا لهم : اتجادلونا في ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط ، زاعمين أنهم كانوا يهوداً أو نصارى مثلكم ، مع أننا ما أنزلنا التوراة والانجيل اللذين قامت عليهما اليهودية والنصرانية الا من بعد هؤلاء ، وقد أخبرنا الله بذلك ، أفأنتم أعلم أم الله ، بل إن الله قد أخبركم أنتم بذلك في أسفاركم ، فلا تكتموا الحق المدون في أسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه ، وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل ، فإله يغافل عما تعملون (١) .

(١) تماقبت القوانين الوضعية في مختلف الدول على شهادة الزور وهي قول غير الحق وبعاقب عليها القرآن أيضا ولكن هذه الآية تجعل مجرد كتمان الشهادة إنما وظلما وهي جريمة ليس لها حد أى عقوبة معينة في الشريعة الاسلامية والعقاب عليها متروك لولى الأمر فهى داخله في باب التعمير .

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَبِقُوا الْفُسْهَاءَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنِ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ رَأَى قَلْبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنِ الَّذِينَ آتَوْا آلَ كِتَابٍ لَّيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ

١٤١ - ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل في هؤلاء؟ فأولئك قوم فد مضوا لسبيلهم، لهم ما كسبوا في

حياتهم، ولن تسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شيء منها، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال.

١٤٢ - إن ضعاف العقول الذين أضلّتهم أهواؤهم عن التفكير والتدبر من اليهود والمشركين والمنافقين،

سينكرون على المؤمنين تحولهم من قبلة بيت المقدس التي كانوا يصلون متجهين إليها ويعتقدون أنها أحق إلى قبلة

أخرى وهي الكعبة فقل لهم أيها النبي: إن الجهات كلها لله، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها، بل الله هو الذي

يختار منها ما يشاء ليكون قبلة للصلاة، وهو يهدي بمشيئته كل أمة من الأمم إلى طريق قويم يختاره لها ويخصها به،

وقد جاءت الرسالة المحمدية فنسخت ما قبلها من الرسائل، وصارت القبلة الحقة هي الكعبة (١)

١٤٣ - وهذه المشيئة هديناكم إلى الطريق الأقوم وجعلناكم أمة عدولاً خياراً بما وفقناكم إليه من الدين

الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررى الحق بالنسبة للشرائع السابقة، وليكون الرسول مهيمناً عليكم، يسدكم

بارشاده في حياته، وبنهجه وسنته بعد وفاته، وأما قبلة بيت المقدس التي شرعناها لك حيناً من الدهر فانما جعلناها

امتحاناً للمسلمين لتمييز من يدعن فيقبلها عن طواعية، ومن يغلب عليه هوى تصببه العربي لتراث إبراهيم

فيعصى أمر الله ويضل عن سواء السبيل. ولقد كان الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس من الأمور الشاقة إلا على

من وفقه الله بهدائه، وكان امتثال هذا الأمر من أركان الايمان، فن استقبل بيت المقدس حين الأمر باستقباله

فلن يضيع عليه ايمانه وعبادته رافة من الله ورحمة.

(١) كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة على رأس نحو سبعة عشر شهراً من مقدم النبي ﷺ إلى المدينة.

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۗ وَلَئِن آتَيْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَةَ ۗ إِنَّ مَا تَكُونُوا

١٤٤ - ولقد رأينا كيف كنت تتطلع الى السماء عسى أن ينزل الوحي بتغيير قبلة بيت المقدس الى الكعبة التي تحبها لأنها قبلة ابراهيم ابى الأنبياء ، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام إبراهيم ، فهي لذلك القبلة الجامعة وإن كانت تخالف قبلة اليهود ، فهانحن أولاء نؤتيك سؤلك فاستقبل في صلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون في أى مكان تكونون . وأن أهل الكتاب الذين يتكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا في كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا أن أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتننكم وتشكيكنكم في دينكم ، والله ليس غافلاً عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

١٤٥ - وما كان انكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزيلها الهجة ، بل هو انكار عناد ومكابرة فلئن جنتهم أيها الرسول بكل حجة قطعية على أن قبلك هي الحق ما تبعوا قبلك ، واذا كان اليهود منهم يطمعون في رجوعك الى قبلتهم ويعلقون اسلامهم على ذلك فقد خاب رجائهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب أنفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصرارى يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصرارى ، وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فائتت على قبلك ولا تتبع أهواءهم ، فن اتبع أهواءهم بعد العلم ببطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق فهو من الظالمين الراسخين في الظلم .

١٤٦ - وأن أهل الكتاب ليعلمون أن التحويل الى القبلة حق ، ومسلمون انك النبي المنعوت في كتبهم بنعوت من جلتها أنه يصلى الى الكعبة ومعرفتهم نبوتك وقبلك كمعرفتهم أبناءهم في الوضوح والجلال ، ولكن بعضهم يخفون هذا الحق على علم اتباعاً لهوهم ، وتعصباً باطلاً لمتهم حفظاً على سلطانهم ، ومحاولون تضليلكم .

١٤٧ - وإنما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضل به أهل الكتاب ، فكونوا على يقين منه ، ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمر القبلة فامضوا عليه ولا تبالوا المعارضين .

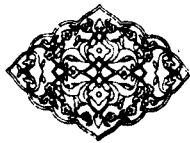


يَأْتِ بِكَ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ نَرَجَتْ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَأَنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ نَرَجَتْ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
وَلَأَنْتُمْ نَعْمَىٰ عَلَيَّكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكَ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِنَا وَيُزَكِّبُكَ وَيُعَلِّمُكَ

١٤٨ - ان هذه القبلة التي حولناك اليها هي قبلتك و قبلة أمتك ، وكذلك لكل أمة قبلة تتجه اليها في صلاتها حسب شريعتها السابقة وليس في ذلك شيء من التفاضل ، وإنما التفاضل في فعل الطاعات وعمل الخيرات ، فسارعوا الى الخيرات وتنافسوا فيها ، وسيحاسبكم الله على ذلك فانه سيجمعكم يوم القيامة من أى موضع كنتم ، ولن يفلت منه أحد ، وييده كل شيء بما في ذلك الأمانة والاحياء والبعث والنشور .

١٤٩ - فاستقبل المسجد الحرام في صلاتك من كل مكان كنت فيه ، سواء أكان ذلك في حال اقامتك ام في حال سفرك وخروجك من مكان اقامتك ، وإن هذا هو الحق الموافق لحكمة ربك الرفيق بك ، فأحرص عليه أنت وأمتك ، فان الله سيجازيكم أحسن الجزاء والله عالم علما لا يخفى عليه شيء من عملكم .

١٥٠ - والتزم أمر الله في القبلة وأحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك في ناحية المسجد الحرام من كل مكان خرجت اليه في أسفارك ، واستقبلوه حيثما كنتم من أقطار الأرض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع ما يحاجكم به المخالفون ويمجادلونكم به اذا لم تمتثلوا لأمر هذا التحويل ، فسيقول اليهود : كيف يصل محمد الى بيت المقدس والنبي المنعوت في كتبنا من أوصافه التحول الى الكعبة ؟ وسيقول المشركون العرب ، كيف يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته ؟ على أن الظالمين الزائغين عن الحق من الجانيين لن ينقطع جدهم وضلالهم ، بل سيقولون : ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ، فلاتبالوا بهم فان مطاعنهم لاتضركم ، واخشوني فلا تخالفوا أمرى ، وقد اردنا بهذا الأمر أن نتم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التي وجهناكم اليها ادعى الى ثباتكم على الهداية والتوفيق .



الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَنزَلْتُ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ شَيْءًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ

١٥١ - وأن توجهكم الى المسجد الحرام هو بارسالنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيات من اتمام نعمتنا عليكم كما أقمنا عليكم النعمة - القرآن - ويظهر نفوسكم عمليا من دنس الشرك وسيء الأخلاق والعبادات ويكلمكم علميا بعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ، فقد كنتم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

١٥٢ - فاذكروني أيها المؤمنون بالطاعة أذكركم بالثواب ، واشكروا لي ما أسبغت عليكم من النعم ولا تتجدوا هذه النعم بعضيان ما أمرتكم به .

١٥٣ - واستعينوا أيها المؤمنون في كل ماتأتون وماتذرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التي هي أم العبادات ، ان الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

١٥٤ - ولن يؤدي الصبر الا الى الخير والسعادة في الدارين ، فلاتفعدوا عن الجهاد في سبيل الله ، ولا تهربوا الموت فيه ، فمن مات في الجهاد ليس يميت بل هو حي حياة عالية وان كان الاحياء لا يحسون بها .

١٥٥ - والصبر درع المؤمن وسلاحه الذي يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصادفكم كثير من الشدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص في الأموال والأنفس والثمرات ، ولن يعصمكم في هذا الامتحان القاسي الا الصبر ، فبشر يا أيها النبي (الصابرين) بالقلب وباللسان :

١٥٦ - الذين اذا نزل بهم مايؤلمهم يؤمنون أن الخير والشر من الله ، وأن الأمر كله لله فيقولون : انا ملك الله تعالى ، وراجعون اليه ، فليس لنا من أمرنا شيء ، وله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعند المثوبة والجزاء .

١٥٧ - فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله لهم البشارة المحسنة بفران الله واحسانه وهم المهتدون الى طريق الخير والرشاد .

فَنَحَّجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُكَرِيمُ الْوَاحِدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

١٥٨ - وكما أن الله رفع شأن الكعبة يجعلها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يشارفانها وهما الصفا
والمروة فجعلها من مناسك الحج ، فيجب بعد الطواف السعى بينها سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى في ذلك
حرجا لانه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الاسلام ، فلا حرج على من بنى الحج أو العمرة أن
يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فان الله عليم بعمله ومنيبه عليه .

١٥٩ - وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه
على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحق ، فانخذوا اربابا من دون الله ، فأهل الكتاب
الذين عرفوا براهين صدقك ، تبيينوا الحق في دينك ثم أخفوا هذه الدلائل وكنموها الناس ، أولئك يصب الله عليهم
غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى الثقلين بالطرد من رحمة الله .

١٦٠ - ولا يستثنى منهم الا من تاب وأحسن فرجع عن الكفان وتدارك أمره باظهار ماكان يخفيه من وصف
الرسول والاسلام فان الله يتقبل توبته ويمحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رافة منه ورحمة .

١٦١ - اما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولاندم ، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين .

١٦٢ - وسيستمرزون في هذه اللعنة وفي النار ، لا يخفف عنهم العذاب ، ولن يمهلوا ويؤخروا ، ولو طلبوا
الامهال والتأخير لم يجابوا اليه .

١٦٣ - ان الهكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا إله غيره ، ولا سلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة
فهو رحيم بعباده فى انشائهم وتكوينهم .

وَأَخْتَلِفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَأَفْلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَبْتَ
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
 وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
 مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا كَذَلِكَ بِيَوْمِ اللَّهِ أَغْمَلْتُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا

١٦٤ - وقد أقام دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده والوهيته ، ومن ذلك السموات التي ترونها تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولاصدام تبعث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض وما فيها من البر والبحر ، وتعاقب الليل والنهار وما في ذلك من المنافع ، وما يجرى في البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولا يسيرها الا الله فهو الذى يرسل الرياح التي يسير بها المطر ينزل فيحيى الحيوان ويسقى الأرض والنبات ، والرياح وهبوبها في مهاجها المختلفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض . أقامت هذه الأشياء كلها بهذا الاتقان والاحكام من تلقاء نفسها أم هي صنع العليم القدير؟ (١)

١٦٥ - ومع هذه الدلائل الواضحة اخذ بعض الناس من ضلت عقولهم أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله ، والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لا تنقطع ، أما هم فان ولاهم لأهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجئون الى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ماسيناهم من العذاب يوم الجزاء ، حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهاوا عن جرمهم وأقلعوا عن انهم .

١٦٦ - في ذلك اليوم يرجو الأتباع أن ينجيهم رؤسائهم من الضلال فيتنكرون لهم ويتبرءون منهم ويقولون : مادعوناكم لطاعتنا في معصية ربكم وانما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التي كانت بينهم في الدنيا ويصير بعضهم لبعض عدوا .

١٦٧ - وهنا يتبين الأتباع أنهم كانوا في ضلال حين اتبعوا رؤسائهم في الباطل ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا فيتنكروا لرؤسائهم كما تبرءوا منهم في هذا اليوم ، وتبدو لهم أعمالهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقد ألقى بهم في النار فلا يبرحونها .

(١) سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرئي يعج بأجرام سماوية وتوجه الآية نظر الانسان الى ما في الوجود من حقائق علمية ينطوى تحتها خلق أجرام السماء المتباينة والنظم التي تحكمها والافلاك التي تسير فيها وكذلك دوران الارض حول محورها مما يسبب تتابع الليل والنهار. ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، والى الماء الذى ينزل من السماء في دورات متتابعة تبدأ بتبخير ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الأرض وكذلك تشير الآية الى الرياح ودورانها وأن الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى .

مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْهُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمٌّ بُكْرٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

١٦٨ - يا أيها الناس كلوا مما خلق الله في الأرض من الحلال الذي لم ينزل تحريمه ، المستطاب الذي تستسيغه
النفوس ، ولا تسيروا وراء الشيطان الذي يزين لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال ، فقد علمتم عداوة الشيطان ،
وبان قبيح ما يأمركم به .

١٦٩ - وإنما يزين لكم الشيطان ما هو سييء في ذاته ، ويضركم في عافيتكم وما يقبح فعله : وتسيرون بسببه
وراء الظنون والأوهام ، فتنسبون الى الله من التحريم والتحليل ما لم يأت دليل عليه من العلم اليقين .

١٧٠ - وقد اعتاد الضالون عن سبيل الهدى أن يتمسكوا بما توارثوا عن آبائهم في العقيدة والعمل ، وإذا
دعوا الى ما جاء من هدى الله قالو : لانعدل عما وجدنا عليه آباءنا ، ومن أكبر الجهل ترجيح اتباع الآباء على
اطاعة الله واتباع هداة ، فكيف اذا كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يستنبرون بنور الهداية والايمان ؟ .

١٧١ - وأن مثل ما يدعو أولئك الكافرين الجاحدين الى الحق والهدى فلا يستجيبون له ولا يفقهون ما يدعوهم
اليه كمثل راعي الغنم يناعها ، فلاتفقه منه شيئاً ولا يقرع سمعها الا الصوت ولاتعى غيره ، فهم كذلك عن الحق
صم الآذان ، عمى البصائر ، خرس الألسنة ، لا ينطقون بخير ، ولا يصدرون عن عقل .

١٧٢ - لقد أوجنا للناس كل حلال^(١) خلقناه لهم في الأرض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فان
فعلوا اهتدوا ، وان أبوا فانا نخص المؤمنين بهدايتنا ونبين الحلال والحرام ، فيا أيها الذين آمنوا أبيع لكم أن تأكلوا
من لذيذ الطعام الطيب غير الخبيث ، فاشكروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكين من الطيبات وإباحتها ومن نعمة
الطاعة والامتثال لأمره لتتم عبادتكم .

(١) سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة لأن ما يموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من
يأكله ، وفوق ذلك فان الموت بالاختناق ، أو المرض ينحس فيه الدم ، وفيه مواد ضارة كثيرة يشتمل عليها العرق والبول ، والخنزير ينقل
الامراض الخطيرة مثل التتيا كما أنه الحيوان الوحيد الذي يصاب بالتركينا التي تصيب أكله اذا أكله .

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتُرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْلَيْكَ مَا بَأْسُ كُفُونٍ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَرِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

١٧٣ - وليس المحرم مازعمه المشركون ومازعهه اليهود ، وإنما المحرم عليكم أيها المؤمنون الميتة التي لم تذبح من الحيوان ، ومثله في التحريم لحم الخنزير ، وما ذكر على ذبحه غير اسم الله من الوثن ونحوه ، على أن من اضطر (١) إلى تناول شيء من هذه المحظورات لجوع لا يجده ما يدفعه غيرها أو لا كراه على أكله فلا بأس عليه ، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع .

١٧٤ - هذا وقد كان من العالمين بما أنزل الله فريق يخفى بعض الوحي لقاء عرض من أعراض الدنيا : فإن اليهود كثروا كثيرا مما جاء في التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضيع مكاسبهم ولذيذ مطاعهم ، وإن مطاعهم من هذا السبيل لى كالنار يأكلونها ، لأنها ستقودهم الى النار ، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة ، ولا يطهرهم من دنسهم ، وأمامهم عذاب شديد موجه .

١٧٥ - وأولئك هم الآثمون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب في الآخرة بدل الغفران ، فكانوا كمن يشتري الباطل بالحق ، وما فيه ضلال بما فيه هداية ، وأن حالهم لتدعو إلى العجب ، اذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيون ما يؤدي بهم إليه .

١٧٦ - ولقد استوجبوا ما قدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذي أنزله بالحق والصدق ، ولقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا ، دفع اليه حب الجدل ومجانبة الحق والالتقياد للهوى ، فحرفوه وأفسدوه وفسروه بغير معانيه .

(١) حال الاضطرار تسوغ ما يحرم لأن الموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل ولأن الجماع تنبه أجهزة هضمه فيتغلب على المواد الضارة ولذا لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة ، ولا يبيى ما اضطر اليه .

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ
 فَمَنْ عَنَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ يُخَفِّفُ مِنْ رَبِّكَ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَتِي

١٧٧ - لقد أكثر الناس الكلام في أمر القبلة كأنها هي وحدها الخير. وليس هذا هو الحق ، فليس استقبال جهة معينة في المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير. ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة ، وبعضها من أهيات الفضائل والعبادات ، فالاول هو : الايمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب وما يتبعه يوم القيامة ، والايمان بالملائكة وبالكتب المنزلة على الأنبياء وبالأنبياء أنفسهم . والثاني هو : بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى ، ولمن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس ، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون ما يلبثهم مقصدهم ، وللسائلين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق : وثالثها : المحافظة على الصلاة . ورابعها : اخراج الزكاة المفروضة . وخامسها : الوفاء بالعهد في النفس والمال . وسادسها : الصبر في الأذى ينزل بالنفس أو المال ، أو وقت مجاهدة العدو في مواطن الحروب . فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صدقوا في ايمانهم ، وهم الذين اتقوا الكفر والردائل وتجنبوها .

١٧٨ - ومن الشرائع التي فرضناها على المؤمنين ، أحكام القتل العمد ، فقد فرضنا عليكم القصاص بسبب القتل ، ولتأخذوا بظلم أهل الجاهلية^(١) الذين كانوا يقتلون الحر غير القتال بالعبد ، والذکر الذي لم يقتل بالأنثى ، والرئيس غير القاتل بالمرءوس القاتل دون مجازاة القاتل نفسه ، فالحر القاتل يقتل بالحر المقتول ، وكذلك العبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء في القتل بقتل القاتل للثمن والبغى ، فان سميت نفوس أهل الدم ودفعوا بالتي هي أحسن فأثروا العفو عن اخوانهم وجب لهم دية قتلهم ، وعلى أولياء الدم اتباع

(١) كان العرب في الجاهلية لا يسون بين الاشراف والضعفاء فاذا قتل زعيم لا يكتفى بقاتله بل قد يترك القاتل ليقص من زعيم قبيلة القاتل فالدماء عندهم ليست متساوية والنفوس ليست واحدة وما كان الاسلام ليسمح بهذا بل يجرع القصاص فالنفس بالنفس فمن قتل يقتل فالحر أيا كان يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والاني يقتل بالاني فهذا موجب المساواة في الدماء ليس هناك دم أزرق شريف ودم غير شريف . وقد يفهم بالانارة ان العبد لا يقتل بالحر أو الحر لا يقتل بالعبد ولكن صريح العبارة في آية أخرى وفي احاديث نبوية تفيد ان القصاص فيه النفس بالنفس وهي شريعة خالدة كانت في التوراة والانجيل والقرآن فقد قال تعالى : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » راجع سورة المائدة . والنهي يقول « المسلمون تتكافأ دماؤهم » ويقول : « النفس بالنفس » .

ويلاحظ ان الاسلام في القصاص للقتل نظر الى أمر لم ينظر اليه القانونيون وهو انه جعل القصاص حقا لا لولياء الدم تسفاه لفيظ نفوسهم ومنما لا هدار دم برىه ولذلك كان لهم حق العفو أو القصاص ولم يمنح ولي الأمر من ان يقتل تعزيرا اذا رأى في ذلك مصلحة . ولم ينظر الاسلام الى البواعث لان القاتل ظالم مها تكن البواعث وقد أدى النظر في البواعث الى الرأفة بالجاني واحمال الجنى عليه مما أدى الى عادة الأخذ بالتأثر وتسلسل جرائم القتل لانه لم يشف اولياء الدم وان هذه النظرية الاسلامية تدرس الآن في الجامعات الأوروبية .

بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَكَرَّ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوهُ مِنَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

هذا الحكم بالتسامح دون اجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل أداء الدية دون مماثلة أو بخش ، وفي حكم القتل الذي فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة الى حكم التوراة الذي يوجب في القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة إلى الذين يدعون الى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم في الدنيا والآخرة .

١٧٩ - وان رحمة الله بكم لعظيمة في فرض القصاص عليكم ، فبفضل القصاص عليكم يتحقق للمجتمع حياة أمنة سليمة . وذلك أن من يهم بالقتل اذا علم أن في ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ما هم به ، وفي ذلك حياته وحياة من هم يقتله ، واذا قتل الرئيس بالمرءوس وغير المذنب بالمذنب ، كما هو شأن الجاهلية كان ذلك ماثرا للفتن واختلال النظام والأمن . فيتدبر أولو العقول مزية القصاص فان ذلك يحملهم على ادراك لطف الله بهم الى سبيل التقوى وامتثال أوامر الله سبحانه .

١٨٠ - وكما شرعنا القصاص لصلاح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرعنا شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهي شريعة الوصية . فعلى من ظهرت أمامه إمارات الموت وعلم أنه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل من ماله نصيبا لمن يدرك من والديه وأقاربه - الأقربين غير الوارثين - وليراع في ذلك ما يحسن ويقبل في عرف العقلاء فلا يعطى الغنى ويدع الفقير ، بل يؤثر ذوى الحاجة ولايسوى الا بين المتساوين في الفاقة ، وكان ذلك الفرض حقا واجبا على من أثر التقوى واتباع أوامر الدين .

١٨١ - واذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقا واجبا لا يجوز تغييره ولا تبديله ، الا اذا كانت الوصية بحافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق فغير الوصية العادلة القويمة بعد ما علم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنبا عظيما ينال عقابه ، وقد برىء الموصى من تبعته ، ولا يظن أحد أن يفعل ذلك ولا يجازى عليه ، فان الله سميع عليم لا تخفى عليه خافية .

١٨٢ - أما اذا كانت الوصية زائفة عن العدل وعن الصراط القويم الذي بيناه بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الغنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير الوارثين الأجانب ، فسمى ساع في سبيل الخير وأصلح بين الموصى اليهم ليرد الوصية إلى الصواب ، فلا إثم عليه فيما يحدته من تغيير الوصية وتبديلها على هذا الوجه ، ولا يؤاخذ الله على ذلك ، فان الله غفور رحيم .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَهْلَ لَكَ لَيْلَةَ الْصِيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكَ هُنَّ لِبَاسٌ

١٨٣ - وكما شرعنا لكم القصاص والوصية لصلاح مجتمعكم، والحفاظ على أسركم، شرعنا فريضة الصيام تهذيباً لنفوسكم، وتقويماً لشهواتكم، وتفضيلاً لكم على الحيوان الأعجم الذي ينقاد لغرائزه وشهوته، وكان فرض الصيام^(١) عليكم مثل ما فرض على من سبقكم من الأمم فلا يشق عليكم أمره. لأنه فرض على الناس جميعاً، وكان وجوب الصيام والقيام به، لتتربى فيكم روح التقوى، ويقوى وجدانكم، وتهذب نفوسكم.

١٨٤ - وفرض عليكم الصيام في أيام معدودة قليلة لو شاء الله لأطال مدته، ولم يكلفكم في الصوم ما لا تطيقون، فمن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم، أو كان في سفر، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر، أما غير المريض والمسافر من لا يستطيع الصوم إلا بشقة لعذر دائم كشيخوخة ومرض لا يرجى برؤه فله الفطر حينئذ، وعليه أن يطعم مسكيناً لا يجحد قوت يومه، ومن صام متطوعاً زيادة على الفرض فهو خير له، لأن الصيام خير دائماً لمن يعلم حقائق العبادات.

١٨٥ - وهذه الأيام هي شهر رمضان الجليل القدر عند الله، لقد أنزل فيه القرآن يهدي جميع الناس إلى رشد بياناته الواضحة الموصلة إلى الخير، والفاصلة بين الحق والباطل على مر العصور والأجيال، فمن أدرك هذا الشهر سليماً غير مريض، مقياً غير مسافر فعليه صومه، ومن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم أو كان في سفر، فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم، فان الله لا يريد أن يشق عليكم في التكاليف وإنما يريد لكم اليسر، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم إليه لتكلموا عدة الأيام التي تصومونها وتكبروا الله على هدايته إياكم وحسن توفيقه.

١٨٦ - وإن مطلع على العباد، علم بما يأتون وما يذرون، فإذا سألك يا محمد عبادي قائلين: هل الله قريب منا بحيث يعلم ما نغنى وما نعلن وما نترك؟ فقل لهم: إن أقرب إليهم مما يظنون، ودليل ذلك أن دعوة الداعي تصل في حينها، وأنا الذي أجيبها في حينها كذلك، وإذا كنت استجبت لها فليستجيبوا هم لي بالآيمان والطاعة فان ذلك سبيل ارشادهم وسدادهم.

(١) علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد أتت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة فهو يفيد في علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكري، ويصلح الجهاز الهضمي ويهبط القلب والتهاب المفاصل ويغنى الجسم والأنسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم كما أنه وقاية من كثير من الأمراض المختلفة.

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَجَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ بَشَرُهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ
ثُمَّ أَمْوًا الصِّيَامِ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ

١٨٧ - أحل الله لكم ليلة الصوم اتيان نسائكم لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم في الحياة
والمبيت ، وعسر ابتعادكم عنهن وتخفيفا عليكم . وقد علم الله أنكم كنتم تنقصون حظ نفوسكم
وتظلمونها ، فتحرمون عليها اتيان النساء في ليل رمضان فتأب عليكم من الغلو وعفا عنكم ، والآن وقد
تبين لكم حل ذلك فلا تتحرجوا من مباشرتهن ، وتمعنوا بما أباحه الله لكم وكلوا واشربوا في ليل
رمضان حتى يظهر لكم نور الفجر ، متميزا من ظلام الليل ، كما يتميز الخيط الأبيض من الخيط
الأسود ، واذا ظهر ذلك فصوموا وأتموا الصيام الى غروب الشمس .

واذا كان الصيام من العبادات التي يجب التفرغ لها والتجرد من شهوات النفس ومقاربة النساء في
نهار الصوم ، فكذلك عبادة الاعتكاف في المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء مادام
المرء ملتزما بها . وما شرعنا لكم في الصوم والاعتكاف حدودا وضعها الله لكم فحافظوا عليها
ولا تقربوها لتجاوزوا أوامرها ، وقد أوسع الله في بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها .

١٨٨ - وقد حرم عليكم أكل مال غيركم دون وجه من الحق دائما فلا يستحل أحدكم مال غيره
إلا بوجه من الوجوه التي شرعها الله كالميراث والهبة والعقد الصحيح المبيع للملك (١) وقد ينزع أحدكم
أخاه في المال وهو مبطل ، ويرفع أمره الى الحاكم أو القاضى ليحكم له وينتزع من أخيه ماله بشهادة باطلة أو بيعة
كاذبة ، أو رشوة خبيثة ، فبئس ما يفعل وما يجير على نفسه من سوء الجزاء .

(١) هذه الآية الكريمة اشارة إلى جريمة الرشوة وهي أخطر الجرائم التي تودي بالأمم . وفي نص الآية جميع الأركان لتلك الجريمة من
رائس صاحب حاجة ومرتبش وهو أحد الحكام ذوى السلطان يبيع سلطاته الوظيفية ليمطى الرائس ماليس له به حق أو يعطل على صاحب
الحق حقه لمصلحة الرائس .

بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آتِقِ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
 وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
 وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ
 فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى

١٨٩ - ويسألك قوم عن الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، ولا يكون على حالة واحدة كالشمس ، فإراء هذا التغيير ، حتى صار في كل شهر هلال وصارت هناك أهلة ؟

فقل لهم : ان لتكرار هذه الأهلة واختلاف نمونها حكما ومصالح دينية ودينية ، فهي امارات تحدد أوقات (١) المعاملات في معاشكم ، وتعين أوقات الحج الذى هو من أركان دينكم ، ولو استقر الهلال على حاله كالشمس ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجكم ، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الهلال مدعاة للشك في حكمة الخالق . وليس من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، متميزين بذلك عن الناس ، ولكن البر هو تقوى القلوب واخلاصها وأن تأتوا البيوت من أبوابها كما يأتي كل الناس ، وأن تطلبوا الحق والدليل المستقيم ، فاطلبوا رضا الله واتقوا عذابه وارجوا بذلك فلاحكم وفوزكم ونجاتكم من عذاب النار .

١٩٠ - ومن تقوى الله تحمل المشاق في طاعته وأشد المشاق على النفس هو قتال أعداء الله (٢) ولكن اذا اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين ، وقد اذن لكم برد اعتداءاتهم ، ولكن لاتعدوا بمبادأتهم أو بقتل من لا يقاتل ولا رأى له في القتال فان الله لا يحب المعتدين .

١٩١ - واقتلوا اولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوكم من مكة وطنكم الذى حملوكم على الخروج منه ، ولاتخرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل في المسجد الحرام اذ حاولوا فتنه المؤمنين عن دينهم بالتعذيب في مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمة فلا تنتهكوها إلا إذا انتهكوها هم بقتالكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم .

١٩٢ - فان رجعوا عن الكفر وانقادوا الى الاسلام فان الاسلام يَجِبُ ما قبله ، والله يفر لهم ماسلف من كفرهم بفضل منه ورحمة .

(١) ان القمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الالهة فاذا كان القمر في (الاقتران) أى بين الشمس والأرض فهو في الحاق ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض وإذا كان في الاستقبال أى الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض يظهر بدرام يأخذ في التناقص حتى الاقتران الثانى وتم الدورة الاقترانية أى الشهر المسمى في مدى ٢٩,٥٣٠٩ يوما وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربى من ساعة الهلال وشدة إضاءته فاذا شوهد الهلال خطا رقيقا عند الأفق الغربى وغرب بعد الغروب يبضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب وتثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للنس . ودورة القمر هى التى علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الحج وبدايته .

(٢) اتهم الاسلام بأنه قام بحد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التى تدحض هذا الزعم وهى تتضمن أمرا صريحا للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لأنه لا يحب المعتدين وهذه الآية ثانى آية نزل بها الوحي من آيات القتال الأولى آية ٣٩ من سورة الحج وهى « أن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

لَا تَكُونَنَّ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَتُ قِصَاصٌ مِمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدْتُمْ عَلَيْهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

١٩٣ - وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالابذاء والتعذيب ، حتى تستأصل جذور
الفتنة ويخلص الدين لله . فان انتهوا عن كفرهم فقد نجوا أنفسهم وخلصوا من العقاب ، فلا ينبغي الاعتداء عليهم
حينئذ وانما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمعاصي وتجاوز العدل في القول والفعل .
١٩٤ - فاذا اعتدوا عليكم في الشهر الحرام فلا تتعدوا عن قتالهم فيه فانه حرام عليهم ، كما هو حرام
عليكم ، واذا انتهكوا حرمة عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه ، وفي الحرمات والمقدسات شرع
القصاص والمعاملة بالمثل فن اعتدى عليكم في مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمنله واتقوا الله فلا تسرفوا في
المجازاة والقصاص ، واعلموا ان الله ناصر المتقين .

١٩٥ - جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال ، فانفقوا في الاعداد للقتال ، واعلموا أن قتال
هؤلاء قتال في سبيل الله ، فلاتعدوا عنه ، وابذلوا الأموال فيه فانكم ان تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو وأذلكم
فكأنما ألقيتم أنفسكم بأيديكم الى الهلاك ، فافعلوا مايجب عليكم باحسان واتقان ، فان الله يجب اذا عمل أحدكم
عملا أن يحسنه .

= وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى رسم لرسوله طريق الدعوة إلى الاسلام بالحكمة والمعظة الحسنة وأن يجادل أهل الكتاب
بالحق هي أحسن . ثم أمره أن يدعو الناس إلى الايمان عن طريق العقل بالنظر إلى بديع صنعه في خلقه وظل الرسول يدعو بالمسنى ثلاثة
عشر عاما قضاها في مكة لم يشرع فيها سيفا ولم يرق دما ولم يرد على ما ألحقه الكفار به وبأتباعه من أذى بل أمرهم بالهجرة إلى الحبشة
فرارا بدينهم ثم نابذت قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأنذروهم بالخروج من مكة أو يسلمون محمدا إليهم
ليقتلوه فلما أبوا ذلك قاموا بأهم أعمال الحرب إذ حاصروهم في شعب بنى هاشم بمكة وكتبوا بذلك معاهدة علقوها في جوف الكعبة تصاهدوا
فيها بالأبييعوم ولا يبتاعون منهم ولا يزوجهم ولا يتزوجون منهم . وامتد الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا
الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعا . وهناك أذن الرسول لهم أن يتسللوا ليلا قهراجروا فرادى إلى الحبشة مرة ثانية ولما سمعوا أن الرسول
اعتزم الهجرة إلى المدينة تأمروا على قتله بواسطة جماعة قتل مختلف القبائل بحيث يتفرق دمه في القبائل . ولما أفلت من المؤامرة تبهصوه
فنصره الله وأعمى أعينهم عن مكان الغار فازدادوا حنقا وانستدوا بالأذى وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعدد على أتباعه فتصوه
أرسالا إلى المدينة تاركين خلفهم أموالهم وديارهم وفزارهم فلما استقر المسلمون بالمدينة : كانت حالة الحرب التي أعلنتها قريش منذ الحصار
قائمة وظل كل فريق بعد الهجرة يترصده طريق الآخر ويستمع أخباره . فترصد المسلمون قافلة أبي سفيان فأصرت قريش رغم عدم المساس
بالقافلة على أن تخرج بقضها وقضيضها لتقضى على الاسلام والمسلمين بالمدينة . فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء وهنالك أذن الله لهم
بالقتال فزلت أولى آيات القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج وهي
صرحة في أن الترخيص بالقتال جاء معللا بأن الكفار يقاتلونهم ظلما وبغيا . ثم وصف الله المسلمين بأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بشير
حق الا أن يقولوا ربنا الله . وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد هزيمتهم بيدى كبرهم (الحرب بامحمد سجال وموعدها الصام
القابل في أحد) فكان ذلك استمرارا لحالة الحرب المعلقة من جانب قريش ودفاعا من جانب المسلمين . وجاءوا بجيش جرار إلى أحد
وهي على بعد ستة أميال من المدينة وبهذا كانت غزوة أحد اعتداء من قريش ودفاعا من جانب المسلمين وكذلك الشأن في موقعة الخندق
حيث أشرف جيش الكفار وبقية الأحزاب على مساكن المدينة فاضطر المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرفيها
اعتداء من قريش ودفاعا من المسلمين . . ولما استتب الأمر للاسلام في الجزيرة العربية أرسل الرسول رسله إلى الملوك والأمراء في أنحاء
المعمورة يدعوهم إلى الاسلام فزق كسرى كتاب الرسول وأرسل من يأتي برأس محمد وبذلك أعلنت الفرس الحرب ضد المسلمين فحاضوها
حربا دفاعية فتح الله بها ملك كسرى وأتباعه من ملوك العرب « المناذرة » .

أما شرحيل بن عمرو الفسافي أمير الفساسنة في الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو في طريقه
إلى هرقل ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعبأ جيشا لقتال دولة الاسلام في الجزيرة العربية فدافع المسلمون وأورثهم الله ملك
دولة الروم الشرقية وهكذا لم يشرع الاسلام سيفا إلا ردا على اعتداء أو تأمينا للدعوة الاسلامية وصدق الله إذ يقول « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي » سورة البقرة آية ٢٥٦ .

وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ
 فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ
 بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ
 كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
 الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
 يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا

١٩٦ - وأدوا الحج والعمرة لله على وجه التمام والكمال قاصدين بها وجه الله ، ولا تقصدوا بها اصابة عرض دنيوى من شهرة ونحوها . واذا قصدتم الحج والعمرة وأحصرتم بها فتمتعكم عدو في الطريق فلكم ان تحللوا من احرامكم بخلق رهوسكم ، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ما تيسر لكم - من شاة أو بعير أو بقرة - والتصدق به على المساكين ، ولا تحلقوا رهوسكم حتى تقوموا بهذه النسك ، ومن كان محرما وأذاه شعر رأسه لمرض أو هوام في رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه ، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام ، أو التصدق على ستة مساكين بقوت يوم أو ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين . واذا كنتم في دار الأمان والسلام ولم يعترض طريقكم عدو ، وقصدتم الحج والعمرة وتمتعتم أولا بالعمرة الى أن يحين وقت الحج فتنحروا ، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه ، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيام في مكة وسبعة أيام اذا رجع الى أهله ، وهذا على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه اذا تمتع .

١٩٧ - والحج يقع في أشهر معلومة لكم ، اذ كان أمره معروفا عندكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه في هذه الاشهر ودخل فيه فليراع آدابه ، ومن آداب الحج أن يتزهد في الشهوات والمهرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى من السباب وغيره وعن الجدال والمراء مع رفقته في الحج ، وعن كل ما يجر الى الشحناء والخصام حتى يخرج الحرم مهذب النفس ، وليجتهد في فعل الخير وطلب الأجر من الله بالعمل الصالح فان الله عليم بذلك ومجاز عليه ، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والاثار بأوامر الله واجتناب نواهيه ، فان ذلك خير الزاد واستشعروا خشية الله فيما تأتون وماتذرون كما هو مقتضى العقل والحكمة ، فلا تشوبوا شيئا من أفعالكم بدواعى الهوى والغرض الدنيوى .

مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

١٩٨ - ولقد كان منكم من يجحد حرجا في مزاولة التجارة وابتغاء الرزق في موسم الحج ، فلاحرج عليكم في ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، واذا صدر الحجاج من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة ليلة عيد النحر فليذكروا الله عند هذا المشعر الحرام ، وهو جبل المزدلفة ، بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليجودوه وليحمدوه على هدايته اياهم الى الدين الحق والعبادة القويمة في الحج وغيره ، وقد كانوا من قبل ذلك في ضلال عن صراط الهدى والرشاد .

١٩٩ - وقد كان قوم من العرب وهم قريش لا يقفون مع الناس في عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم ابراهيم ، وذلك ترفعا أن يساوا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمة ، وزعما منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذي لا يريدون الخروج منه الى عرفات ، وهى من الحلال لامن الحرام ، فطالبهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلافضل لأحد على الآخر في أداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله في هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم ما فرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .

٢٠٠ - واذا فرغتم من أعمال الحج وعبادته فدعوا ما كنتم عليه في الجاهلية من التفاخر بالآباء وذكر مآثرهم وليكن ذكركم وتمجيدكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آباتكم لانه ولى النعمة عليكم وعلى آباتكم ، ومواطن الحج هى مواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة من عند الله ، وقد كان فريق من الحجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولا يلقى بالا للآخرة فهذا لا نصيب له في الآخرة .

٢٠١ - ومن الناس من وفقه الله فاتجه بقلبه الى طلب خيرى الدنيا والآخرة ، ودعا الله أن يجنبه شر النار وعذابها .

٢٠٢ - فهؤلاء يعطون ما قدر لهم مما كسبوه بالطلب والركون الى الله والله يجزى كلا بما يستحق وهو سريع الحساب والجزاء .

فَلَا إِيمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأْتَرَ فَلَا إِيمَ عَلَيْهِ لِمَنْ آتَى وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ آتَى اللَّهُ أَخَذَتُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمِ فَحَسَبَهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

٢٠٣ - واذكروا الله بالتكبير وغيره في أيام معدودات هي أيام رمى الجمار بمنى وهي : الحادى عشر . والثانى عشر . والثالث عشر ، وليس بلام لان قوام الخير تقوى الله ، لامقدار البعد ، واتقوا الله دائما واعلموا انكم اليه تحشرون ومسولون عن اعمالكم .

٢٠٤ - واذا كانت تقوى الله هي الاساس فالخسر لفريق من الناس ، يختلف الذى تضمره قلوبهم عن الذى تنطق به ألسنتهم ، أتوا حلاوة في صوغ الكلام ، يعجبك قولهم فيما يحتالون به على جلب المنفعة في الحياة الدنيا ، ويؤيدون لك زعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيما تقوله ألسنتهم ، وأنهم لأشد الناس خصومة لك وأقساهم عليك .

٢٠٥ - واذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للاصلاح ، بل للافساد واهلاك الزرع والنسل ، والله لا يحب ، لان الله تعالى لا يحب الفساد .

٢٠٦ - واذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله نارت في نفسه الحمية وظن ذلك هدما لعزته ، وحمله على ارتكاب الاثم فيما نهته عنه لجاجة وعنادا ، فحسبه على ذلك عذاب جهنم ولبس المستقر .

٢٠٧ - فا أبعد الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أحدهم نفسه في سبيل مرضاة الله واعلاء كلمة الحق ويكون هذا القسم مقابلا للقسم الاول ، ويكون توليه أمرا من أمور الناس من رافة الله بعباده ، والله تعالى يرحمهم يجعل الولاية هؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار .

٢٠٨ - يا أيها الذين آمنوا كونوا جميعا مسالمين فيما بينكم ولا تثيروا العصبية الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف ، ولا تسيروا في طريق الشيطان الذى يدفعكم الى الشقاق فانه لكم عدو مبين^(١) .

(١) هذا النص القرآنى فيه دعوة عامة من المؤمنين إلى السلام ، وتفيد أن الحرب والخصام هي من السير وراء الشيطان ، وأنها تدعو عامة المؤمنين إلى أن يكونوا مسالمين مع غيرهم ، ومسالمين في داخل أنفسهم ، فلا حرب مع غيرهم ، ولا حرب فيما بينهم . وأن هذا النص يدل على أن الأصل في العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها هي السلم ، وأن ذلك هو مبدأ الأديان الساوية كلها ، فن الوقت الذى كان قانون الغاية هو الذى يحكم بين الدول ، وهو الذى يحدد العلاقات بينها ، القوى يأكل الضعيف جاء الاسلام بذلك المبدأ السامى ، وهو أن العلاقة هي السلم ، وإذا كان القتال ، فانه لدفع الاعتداء ، أى لحمل المعتدى على أن يكون مسالما ، فالحرب التى شرعها الاسلام ، وشرعتها الأديان هي لتثبيت دعائم السلم ، وتحقيق العدل ، فهي حرب السلام ، لاستقرار العدل والسلام .

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَّةً أَنْ يَتَّبِعَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا

٢٠٩ - فان انحرفتم عن هذا الطريق الذي دعيتم اليه جميعا من بعد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق ، فاعلموا أنكم مؤاخذون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله ، حكيم يقدر العقوبة بقدرها .

٢١٠ - وهل ينتظر هؤلاء المعرضون عن الاسلام ليقتنعوا أن يروا الله تعالى جهرة في غمام سائر مع الملائكة وقد قضى الأمر بقطع مطامعهم ، لأن الشئون جميعا في قبضة الله بصرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذي سينفذ لامحالة .

٢١١ - سل بني اسرائيل كم سقنا اليهم الأدلة القاطعة على صدق الرسول ، وفي ذلك نعمة هدايتهم الى الله فكفروا بهذه الأدلة وعمدوا بتكذيبهم لها الى تبديل الغرض منها ، فبعد أن وضعت للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بها سببا في زيادة ضلالهم وانهم ، ومن يبدل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقاب .

٢١٢ - وأن السبب في الانحراف والكفر هو طلب الدنيا ، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا فضاوا يسخرون من الذين آمنوا لانشغالهم بالحياة الآخرة - والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكانا منهم في الآخرة . فأما زيادة هؤلاء الكفار بالمال والزينة في الدنيا فلا يدل على أفضليتهم لأن رزق الله لا يقدر على حساب الايمان والكفر بل يجري تبعا لمشيئته ، فن الناس من يزداد له الرزق استدراجا ومنهم من يقتر عليه اختبارا .

٢١٣ - وأن الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة ، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فبعث الله اليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هي الحكم بين الناس فينقطع التنازع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبيين هم الذين آمنوا فقط ، الذين هداهم الله في موضع الاختلاف الى الحق والله هو الذي يوفق أهل الحق اذا اخلصوا .

الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم ألباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب ﴿٢١٤﴾ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فليلو الذين والأقربين واليتيم والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴿٢١٥﴾ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٢١٦﴾ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسيح الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحب النار هم فيها خالدون ﴿٢١٧﴾ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجهدوا في سبيل الله أولئك يرجون

٢١٤ - فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد اقراركم بكلمة الاسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم ، فقد أصابهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ بهم الأمر أن قال رسولهم نفسه وقالوا معه : متى نصر الله ؟ فيبر ربهم بوعدده فيجابون عندئذ بأن نصر الله قريب .

٢١٥ - يسألك المؤمنون في شأن الانفاق فقل لهم : ان الانفاق يكون من المال الطيب ، ويعطى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع عن ماله وأهله ، وما تفعلوه من عمل خير فان الله يعلمه وهو يشيكم عليه .

٢١٦ - فاذا كان في الإنفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع في داخله فان القتال حماية له من أعدائه في الخارج ، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم ، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرهاً شديداً ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببتم ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم .

٢١٧ - وقد كره المسلمون القتال في الشهر الحرام فسألوك عنه ، فقل لهم : نعم ان القتال في الشهر الحرام^(١) اثم كبير ، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، واخراج المسلمين من مكة ، وقد كان ايذاؤهم للمسلمين لاخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل

(١) الأشهر الحرم أربعة وردت عدتها في سورة التوبة حيث قال سبحانه وتعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » الآية ٢٥ التوبة ، وقد حدد الرسول ﷺ هذه الأشهر الأربعة بأسمائها في حديثه الشريف الذي أخرجه البخاري عن خطبته في حجة الوداع حيث قال : « أيها الناس ان النسوة زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطأوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدد الشهور اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم وربيع هو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وكانت قبيلة ربيعة تستنقل القتال في رمضان لشدة الحرارة فكانت تسميه رجب وتحرمه ولذا حدد الرسول رجب الحرام بأنه رجب قبيلة مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وحكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم أن جعلها الله هدنة إجبارية (بمضد) الناس فيها إلى الراحة والهدوء والقيام على أمور معاشهم من زراعة وتجارة وهذه الحرمة قائمة مفروضة منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، ومنذ فرض الله على الناس حج بيته « الكعبة » والوقوف بعرفة في اليوم العاشر من ذي الحجة فحرم القتال في هذا الشهر فالشهر الذي قبله والشهر الذي بعده رحمة من الله بعباده وليأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم في هذا الموسم ومنذ

رَحِمَتِ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ بَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْنَاكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلِلْأُمَّةِ
مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ

ولذلك ابيح القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور فهو عمل كبير يتق به ما هو أكبر منه . واعلموا ،
أيها المسلمون ، أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجنى والظلم ، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق ،
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجراتهم ويرتد عن دينه
حتى يموت على الكفر ، فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة ، وأولئك أهل النار هم فيها
خالدون .

٢١٨ - وأن الذين آمنوا إيماناً صادقاً دفعهم الى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لاعلان كلمته فأولئك ينتظرون
عظيم نواب الله لهم ، وان قصروا في شيء ، لأن الله غفور يفر الذنوب ، رحيم يرجم عباده بالهداية والنواب .
٢١٩ - ويسألونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار ، فقل ان فيها ضرراً كبيراً من افساد الصحة وهذاب
العقل والمال واثارة البغضاء والعدوان بين الناس ، وفيها منافع كالتسليه والريح السهل . ولكن ضررها أكبر من
نفعها فاجتنبوها . ويسألونك عما ينفقون ، فأجيبهم أن ينفقوا في ذات الله السهل اليسير الذي لا يشق عليكم
انفاقه ، كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة (١) .

٢٢٠ - ويسألونك بشأن اليتامى الذي يوجب الاسلام حيالهم ، فقل ان الخير لكم ولهم في اصلاحهم ، وأن
تضموهم الى بيوتكم ، وأن تخالطوهم بقصد الاصلاح لا الفساد ، فهم اخوانكم في الدنيا يستدعون منكم هذه
المخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لشنق عليكم ، فألزمكم رعاية اليتامى من غير
مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك افساداً لجماعتكم واعنائاً
لكم ، اذ أن قهرهم وذلهم يجعل منهم البغضيين للجماعة المفسدين فيها . وان الله عزيز غالب على أمره ، ولكنه حكيم
لا يشرع الا ما فيه مصلحتكم .

== أن يخرجوا من ديارهم قاصدين مكة إلى أن يعودوا إليها بعد أداء مناسك الحج والعمرة ثلاثة أشهر متواليات حرم الله فيها القتال ليضم
الأمن والسلام جميع الناس من خرج منهم حاجا ومن لم يخرج أما الشهر الرابع وهو رجب فهو وسط بين بقية أشهر العام .

حتى يحل الجهاد في الأشهر الحرم ؟ الحكم في ذلك أنزله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالجواز متى كان دفعا لاعتداء ، والمناسبة
التي نزل فيها الوحي بهذا الحكم في سرية عبد الله بن جحش وحاصل الخبر أن الرسول بعثه وسلمه كتابا أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة
يومين ، ثم يقرأه على رفاقه ولا يكرهن أحدا على السير معه بعد أن يطمئنه بمهمته وهي « أن تسير مع من يتبعك حتى تأق بطن نخلة - مكان
بين نجد والطائف - ترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » والكتاب صريح بعدم القتال وإنما استطلاع حركات العدو ولكن الذي
حدث بعد قراءة كتاب النبي ان اثنين من رجال عبد الله بن جحش ذهبا يطلبان بعيرا لها ضل فاسترتها قريش ، وهما سعد بن أبي وقاص
وعتبة بن غزوان ثم نزل الركب بنخلة فرث بهم عير قريش تحمل تجارة عليهما عمرو بن الحضرمي وكان ذلك في آخر شهر رجب ، وكانت
قريش قد حجرت أموال بعض المسلمين في مكة عند الهجرة منهم بعض من كان في سرية ابن جحش فتشاؤروا في قتال أهل العير وحساروا
فما يصنعون ان تركوا العير تمضي ليلتها امتنمت بالحرم وفاتهم تعويض ما حجزته قريش في هذه الفرصة ، وان قاتلوا أهلها قاتلوهم في شهر
حرام هو شهر رجب ولكنهم اندفعوا للقتال فقتلوا عمرو الحضرمي وأسروا رجلين مشركين وأصابوا بعض الغنائم . فلما رجسوا الى المدينة
وقدموا لرسول الله ﷺ الخمس من غنيمتهم فأباه واستنكر عملهم وقال مأمركم بقتال في الشهر الحرام . وسامت مقابلتهم من أهل المدينة ==

وَلَوْ أَجَبَكَ^ط أَوْلِيكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^ط وَبَيْنَ أَيْتِهِ^ط لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ^ط قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ^ط
فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُ^ط وَكُرْحَتْ لَكُمْ
فَأَتُوا حَرْثَكُمْ^ط أَنْ شِئْتُمْ وَقَدِمُوا^ط لِأَنْفُسِكُمْ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ^ط وَأَعْلَمُوا^ط أَنَّكُمْ مُلَقَوهُ^ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

٢٢١ - وإذا كانت مخالطة اليتامى لا حرج فيها فان المخرج في مخالطة أهل الشرك ، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوى ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة ما لها وجمالها وحسبها ونسبها . فالؤمننة التي وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب ، ولا يزوج المرء منكم من له عليه ولاية من النساء مشركاً لا يؤمن بالكتب السماوية ، ولا يبعث أحدكم على ابثار المشرك غناه وشرفه ، فخير منه العبد المؤمن فأولئك المشركون يجتذبون عشراءهم الى المعصية والشرك فيستوجبون النار . والله اذ يدعوكم الى اعتزال المشركين في النكاح يدعوكم الى ما فيه صلاحكم ورشادكم فتتالون الجنة والمغفرة ، وتسرون في طريق الخير بتيسيره ، والله بين شرائعه وهديه للناس لعلمهم يعرفون صلاحهم ورشادهم .

٢٢٢ - ويسألونك عن اتيان الزوجات زمن الحيض ، فأجبههم أن الحيض أذى فامتنعوا عن اتيانهن مدته ولا تأتوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن في المكان الطبيعي ، ومن كان وقع منه شيء من ذلك فليتب فان الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأقدار والفحش .

٢٢٣ - زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات ، فيباح لكم أن تأتوهن على أى طريقة تشاءون اذا كان ذلك في موضع النسل ، واتقوا الله أن تعصوه في مخالطة المرأة واعلموا أنكم ملقوه مسئولون عنده ، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها .

== الى أن نزل الوحي بالآية الكريمة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

(١) هذه الآية تقرر حقيقة ثابتة هي أن للخمر والميسر منافع عرضية ، كما أن فيها ائماً كبيراً وأن هذا الائم أكبر مما يترامى فيها من منافع ، فشارب الخمر ينتفع ببعض النشوة التي تنقل الى خمره يؤدي شرها بعد ذلك الى اصابته بمختلف الامراض التي تقوده شاربها الى الادمان عليها ويتعدى ضررها ذلك الى الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمي والعصبي والدورى والدموى وفي تجاربتها منافع مادية ولكن هذه المنافع لا تعتبر شيئاً بجانب الاضرار الجسيمة التي يجدها ترويضها بين الناس .

والميسر كاخمر ، فالنشوة التي يشر بها المقامر هي على حساب أعصابه والريح الذى يرمحه قد يضيع في جلسة واحدة أو في مرات تالية بل قد يصيبه ادمانه بالافلاس والفوائد المادية التي يرمحها أصحاب دور القمار لاتساوى شيئاً بجانب الاضرار الجسيمة التي تنجم عن نشر هذه الجريمة بين الناس .

عَرْضَةً لِيَأْمَنَ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِعَوْلتهنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٤ - لا تجعلوا اسم الله معرضاً لكثرة الحلف به ، لأن ذلك يناق تعظيم اسم الله ، وأن التصون عن كثرة الحلف باسم الله يؤدي الى البر والتقوى والقدرة على الاصلاح بين الناس ، اذ يكون المتصون جليل القدر في أعين الناس موثقاً به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأقوالكم وایمانكم علم بنياتكم .

٢٢٥ - عفا الله عنكم في بعض الأیمان ، فاجرى على الألسنة من صور الايمان ولم يصحبه قصد ولا عقد قلب ، أو كان يحلف على شيء يعتقد حصوله وهو لم يحصل فان الله لا يؤاخذ عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه . وعلى الكذب في القول مع التوثيق باليمين ، فالله غفور لمن يتوب ، حلیم يعفو عما لا يكتسبه القلب .

٢٢٦ - وهؤلاء الذين حلفوا الا يقربوا نساءهم يهلون أربعة أشهر ، فان أتوا نساءهم في اثنائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليمين وغفر لهم ويقبل الكفارة رحمة بهم .

٢٢٧ - وان لم أتوا نساءهم في هذه المدة كان ذلك اضراً بالمرأة ، فليس الا الطلاق ، والله سميع لايمانهم علم بأحوالهم ومحاسنهم على ذلك يوم القيامة .

٢٢٨ - وعلى المطلقات أن ينتظرن دون الطموح الى زواج يستأنف مدة ثلاث حيضات (١) ، استبراء للرحم (٢) ، وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل لمن أن يكتمن ما يكون في ارحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المؤمنات بالله ولقائه في اليوم الآخر ، وأزواجهن لهم الحق في ارجاعهن للزوجية ثانياً مدة العدة ، وعلى

(١) تنبيهان :

الأول : جرى التفسير في جعل العدة ثلاث حيضات على تفسير كلمة « القرء » الواردة في النص القرآني بالحيض ، وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وفسر الشافعي « القرء » بالطهر بين الحيضتين ، فعل ذلك تكون العدة عنده ثلاثة أطهار .
الثاني : بقية أنواع العدة وأحكامها ستأت في أماكن أخرى .

(٢) شرعت العدة استبراء للرحم أولاً ، وذلك ان الاستبراء للرحم من الحمل لا يكون مؤكدا الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا تحيض عادة ، وان حاضت فان ذلك يكون مرة أو اثنتين على الأكثر اذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يلا معها تحييف الرحم فيمنع نزول دم الحيض ، ذلك تقدير الله في خلقه وماكان معلوما عند العرب ، وماكان للنبي الامي أن يعلمه ولكن الله أنزل عليه القرآن فعلمه وعلم أمته . وشرعت العدة ثانياً ليكون عند المطلق فرصة المراجعة لزوجته اذ قد يكون طلق امراته التي دخل بها تحت تأثير نوبة غضب جامحة فاذا تاب اليه رشده ندم على ما فعل فحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكيمًا ، قد اعطاه الحق في ان يقول (راجعتك) فتعود اليه زوجته ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .

دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ أَلطَّلِقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكَرُّ أَنْ تَأْخُذُوا
بِمَاءٍ أَنْتُمْ مَوْحِنُونَ شَيْعًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
أَفْتَدَتَ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

الأزواج عند استعمال هذا الحق أن يقصدوا الى الاصلاح لا المضرة وللزوجات من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لا ينكره (١) الشرع الشريف وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية وشئون الأولاد، والله سبحانه فوق عباده يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة .

٢٢٩ - الطلاق مرتان (٢) يكون للزوج بعد كل واحدة منها الحق في أن يمسك زوجته برجعتها في العدة أو أعادتها الى عصمته بعقد جديد، وفي هذه الحال يجب أن يكون فصدته الامساك بالعدل والمعاملة بالحسنى، أو أن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة المحسنة وكرامتها من غير مجافاة . ولا يجمل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا بما أعطيتموهن شيئاً الا عند خشية عدم اقامة حقوق الزوجية التي بينها الله سبحانه وتعالى، وألزم بها . فان خفتم يا معشر المسلمين الا يؤدي الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالا في مقابل افتراقها عن زوجها، وهذه هي أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذي يعيش فيه .

(١) جعل الله تعالى للمرأة من الحقوق بمقدار ما عليها من واجبات وجعل للزوج درجة الرعاية والمحافظة وعليه واجب العدالة والتسوية في الحقوق الزوجية بالنسبة للمرأة بين الحقوق والواجبات مبدأ لم يكن عند الامم السابقة، فكانت المرأة عند الرومان أمة في بيت زوجها عليها واجبات وليس لها حقوق وكذلك كانت في فارس وقد سبق الاسلام بهذه العدالة .
(٢) شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وجعله بيد الرجل ابتداء وقد توهم بعض الناس ان ذلك يؤدي الى الاضرار بالحياة وإلى سهولة المحلل الاسرة وذكروا كلامهم بأن نسبة الطلاق في مصر قد بلغت نحو ٣٠٪ أو تزيد وأن هذا أدى الى كثرة التشرذم والواجب علينا ان نتكلم في اعطاء الحق للزوج ثم فيما ادعوا انه ترتب عليه .
(١) أما اعطاء حق الطلاق للزوج فهو لم يعط ذلك الحق غير مقيد بل قيد بقيود نفسية وقيد عددية بالنسبة للزوجة التي دخل بها وزوجها وتلك القيود هي :

أولاً - لا يطلق الا طلقة واحدة رجعية أى يكون له حق المراجعة في أثناء العدة فاما أن يرجع في العدة واما أن يتركها ويكون هذا دليلاً على كمال النفرة ولا يصح بقاء زوجية مع شدة النفرة .
ثانياً - ان لا يطلقها في وقت الحيض لأنها تكون في حالة عصبية ولا يكون ثمة اقبال عليها وقد تكون هذه الحال العارضة بسبب هذه النفرة التي اشتدت فلا يطلق الا عند الاقبال .
ثالثاً - لا يطلق في طهر قد دخل بها فيه لأن ذلك يفسر بالنفرة تكون لعدم وجود الرغبة فيها فاذا كانت هذه الامور فان الطلاق يكون في حالة نفرة شديدة وانقطاع المودة الدائمة .

(ب) وأما ادعاء زيادة نسبة الطلاق بنحو ٣٠٪ فع التسلية بها تكون أقل مما عند الانجليز والامريكان والفرنسيين على أنه ليس كل طلاق يوجد انفصالا وان الطلاق قبل الدخول لا يعد كارثة زوجية بل يعد منعاً لكثرة ولكن تتبين نسبة عدد الرجعات وعده الطلاق من قبل الدخول وعدد الطلاق بتراضي الزوجين وعدد الزواج الذي استؤنف بعد الطلاق ولو استنزل هذا كله لبطت النسبة هبوطاً واضحاً الى درجة أن يكون الطلاق الذي أدى الى الانفصال التام نادر وقد قننا بهذه التجربة في بعض المحاكم التي يكثر فيها الطلاق فوجدنا نسبة الطلاق الذي يوجد انفصالا يحتمل اساءة استعمال ذلك الحق تهبط الى نحو ١٪ أو ٢٪ .

(ج) وأما بالنسبة للتشرذم فقد اثبتت الاحصاءات ان الطلاق يقل عند وجود الولد ويكثر اذا لم يكن ولد وقد اثبتت الاحصاءات ان ٧٥٪ من وقائع الطلاق تكون في أعقاب أى ولد وان كان ١٧٪ من وقائع الطلاق بعد اعقاب ولد واحد ثم تهبط النسبة بعد ذلك كلما كثر الاولاد حتى اذا وصل العدد الى خمسة اولاد هبطت النسبة حتى تصل الى ربع من المائة من وقائع الطلاق فهل يوجد برهان اقوى من هذا يدل على ان التشرذم ليس سببه الطلاق انما سببه الحقيقي هو ضعف الرقابة على الولي على النفس الذي يقوم بتربية الاطفال ورعايتهم على ان الاحصاء بالنسبة لجرائم الاحداث اثبت ان الانفصال المسدى وهجر الاب للبيت أكثر من الطلاق تأثيراً .

تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ مَرَحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ زَكَاةٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

٢٣٠ - فان طلق الزوج امرأته مرة ثالثة بعد التطليقتين السابقتين فلا تحل له حينئذ الا بعد أن تتزوج زوجاً
غيره ويدخل بها . فان طلقها من بعد ذلك الزوج الثاني وصارت أهلاً لأن يعقد عليها عقداً جديداً فلا اثم عليها
ولا على زوجها الأول في أن يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليها أن يعترضا اقامة حياة زوجية صالحة
تراعى فيها كل الأحكام الشرعية التي حددها الله سبحانه وتعالى ، وقد بينت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع
الاسلامى ويريد العلم والعمل به .

٢٣١ - واذا طلقتم النساء فشارفن انتهاء عدتهن ، فلكم أن تراجعوهن قاصدين اقامة العدل وحسن الصحبة
وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتتقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ولا يجوز أن
يكون القصد من المراجعة مضارة المرأة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وثقة
الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله في الأسرة التي جاءت بها الآيات وجعلت زمام الأسرة
بيد الوكيل سخرية وهواً وعبثاً . تطلقون لغير سبب وترجعونها مضارة وايداء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم
الحياة الزوجية تنظيماً عالياً وبما أنزل عليكم من كتاب مبين للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والأمثال والقصاص التي
بها تتعظون وتهتدون ، واتخذوا بينكم وبين غضب الله وقاية واعلموا أن الله يعلم سركم وجهركم ونياتكم وأعمالكم
وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

٢٣٢ - واذا طلقتم النساء وأتمتم عدتهن ، وأرادت احدهن أن تستأنف زوجاً جديداً من المطلق أو من
رجل آخر غيره ، فلا يحل للأولياء ولا للزوج المطلق أن يمنعونها من ذلك ، واذا تراضى الطرفان على عقد جديد
وارادة حياة كريمة تؤدي إلى حسن العشرة بينها ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ذلكم
ادعى إلى تنمية العلاقات الشريفة في مجتمعكم وأطهر في نفوسكم من الأذناس والعلاقات المريبة ، والله يعلم من
مصالح البشر وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه .

رَزَقْنَهُنَّ وَكَسَوْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلِفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةً وَبُؤْدَاهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ

٢٣٣ - وعلى الأمهات أن يقمن^(١) بارضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاة لمصلحة الطفل ، إذا طلب أحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة لاحتياج الولد إليها ، ويلزم الوالد - باعتبار الولد منسوباً إليه - بالانفاق على الأمهات حينئذ باطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا اسراف ولا تقصير . فانه لا يلزم إنسان الا بما يقدر عليه ويستطيعه . ولا ينبغي أن يكون سبباً في الحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقها في نفقتها أو حضانتها ولدها ، كما لا ينبغي أن يكون الولد سبباً في الحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده ، وإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال ، فان رغب الوالدان أو كلاهما في فطام الطفل قبل تمام العامين وقد تراضيا على ذلك ونظراً الى مصلحة الرضيع فلا تبعة عليهما ، وإذا شتم أيها الآباء أن تتخذوا مراضع للأطفال غير أمهاتهم فلا تبعة عليكم في ذلك ، ولتدفعوا إليهن ما أنفقتم عليه من الأجر بالرضا والحسنة ، وراقبوا الله في أعمالكم ، واعلموا أنه مطلع عليها ومجازيكم بها .

٢٣٤ - والذين يتوفون منكم أي الرجال ويتركون زوجات لهم غير حوامل فعليهن أن يمكن بعدهن دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها استبراء للرحم وحداداً على الأزواج . فإذا انتهت هذه المدة فلا تبعة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهن يأتين من شريف الأعمال التي يرضاهن الشرع ليصلن بهن الى الزواج . فلا ينبغي أن تمنعهن من ذلك ولا يجوز لهن أن يأتين من الأعمال ما ينكره الشرع ويأباه فان الله مطلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون .

(١) النص القرآني يعتبر وجوب الارضاع على الام ولا يكون الاسترضاع الا حيث لا يمكنها الارضاع وقد اتفق الفقهاء على وجوب الارضاع عليها صيانة لان الارضاع هو المظم الطبيعي للمولود اذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملامة فيزداد حجماً بزيادة حجم المولود وتتعدد محتوياته حسب حاجاته والرضاعة تقيد الام ولا تضرها الا في احوال نادرة اذ ان الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمي وحمله على العمل للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود وذلك فوق ما تمليه الرضاعة في الجهاز التناسلي اذ تمليه الى اوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة والنظام الطبي يكون تدريجياً ويجوز ان يقطم الصغير لاقبل من عامين من ولادته إذا كانت صحته تتعاون على ذلك أما اذا كانت صحته لاتعاون ولا يستسيغ الطعام الخارجى فانه يستمر حولين كاملين وبعدهما يمكن ان يستغنى الطفل استفناه كاملاً عن لبن الام .

أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا
عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ
وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى

٢٣٥ - ولا اثم عليكم أيها الرجال في مدة العدة إذا لم تحتم للمعتدات من وفاة بالزواج أو أضمرتم ذلك في قلوبكم . فان الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث في شأنهن لميل الرجال الى النساء بالفطرة ، ولهذا أباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تعطوهن وعداً بالزواج الا أن يكون ذلك اشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبرموا عقد الزواج حتى تنقضى العدة . وابقنوا ان الله مطلع على ما تخفونه في قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ، ولا تياسوا من رحمته أن خالفت أمره فانه واسع المغفرة يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، كما أنه حلیم لا يعجل بالعقوبة لمن انتهك المحرمات ...

٢٣٦ - ولا اثم عليكم أيها الأزواج ، ولا مهر إذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهن وقيل أن تقدروا لهن مهراً ، ولكن اعطوهن عطية من المال يتمتعن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولكن عن رضا وطيب خاطر وليدفعها الفتي بقدر وسعه والفقير بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التي يلتزمها ذور المروءات وأهل الخير والاحسان .

٢٣٧ - وإذا طلقتم النساء قبل الدخول بهن بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لهن نصف المهر المقدر ويدفع اليهن ، الا اذا تنازلت عنه الزوجة ، كما انهن لا يعطين أكثر من النصف الا اذا سمحت نفس الزوج فأعطاه المهر كله ، وسماحة كل من الزوجين اكرم وارضى عند الله واليق بأهل التقوى فلا تركوها ، واذكروا ان الخير في التفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للمودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضآئركم وسيجازيكم على ما تفعلون .

وَقَوْمًا لِلَّهِ فَلَنبَنِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدِّكُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
 وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى
 الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
 وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

٢٣٨ - احرصوا على إقامة الصلوات كلها ، وداوموا عليها ، واحرصوا على أن تكون صلواتكم هي الصلاة
 الفضلى بإقامة أركانها والاخلاص الكامل لله فيها ، وأنتموا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله .

٢٣٩ - فإذا أدركتم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين فإذا زال
 الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الأركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم إياه وما من به
 عليكم من نعمة الأمن .

٢٤٠ - والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقد أوصى الله بهن أن يقمن في بيت الزوجية عاماً كاملاً
 مواساةً لهن وإزالةً لوحشتهن . ولا يحق لأحد أن يخرجهن ، فان خرجن بأنفسهن في أثناء العام فلا اثم عليكم أيها
 الأولياء أن تتركوهن يتصرفن في أنفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن ، وأطيعوا الله في أحكامه واعملوا
 بما شرع لكم فانه قادر على أن ينتقم ممن يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم الا ما فيه المصلحة وان
 غابت حكمتها عن علمكم .

٢٤١ - وللنساء اللاتي يطلقن بعد الدخول حق في أن يعطين ما يتمتعن به من المال جبراً لحاظرهن ؛ يدفع
 اليهن بالحسنى على قدر غنى الزوج وفقره لأن ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الايمان .

٢٤٢ - يمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة ، يبين الله لكم أحكامه ونعمه وآياته
 لتدبروها وتعملوا بما فيها من الخير .



لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُسْرِئُوا مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ هُمْ أَعْتَبُ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ كَالْقِتَالِ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَرَّ يَوْتٌ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

٢٤٣ - تنبه أيها النبي الى القصة العجيبة واعلمها ، وهي حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوف كثيرة ففضى الله عليهم بالموت والهوان من اعدائهم ، حتى اذا استبسلت بقيتهم وقامت بالجهاد أحياء الله جماعتهم به ، وأن هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من فضل الله ، الذي يستوجب الشكران ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ..

٢٤٤ - واذا علمتم أن الفرار من الموت لا ينجي منه ، فجاهدوا وابدلوا أنفسكم لاعلاء كلمة الله ، وأيقنوا أن الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول المجاهدون ، ويعلم ما يضر كل في نفسه فيجازى بالخير خيراً وبالشر شراً ..

٢٤٥ - والجهاد في سبيل الله يحتاج الى المال فقدموا أموالكم ، فأى امرئ لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعد الله أن يردها عليه مضاعفةً أضغافاً كثيرة ، والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم واليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم ، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وأنه هو الذي يعطى ويمنع ، سمي المنفق مقرضاً للحث على الانفاق والتحبب فيه ، وتأكيد الجزاء المضاعف في الدنيا والآخرة .

٢٤٦ - تنبه الى النبأ العجيب عن جماعة من بني اسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم في ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكماً يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه اعلاء لكلمة الله واسترداداً لعزتهم ، سألهم ليستوثق من جدهم في الأمر : ألا ينتظر منكم أن تحببوا عن القتال اذا فرض عليكم ؟ . فأنكروا أن يقع ذلك منهم قائلين : وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا .. فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أحجموا الا جماعة قليلة منهم ، وكان أحجامهم ظلماً لأنفسهم ونبيهم ودينهم ، والله يعلم ذلك منهم وسيجزئهم جزاء الظالمين .

بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْحِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّنَائُبُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ إِيمَانٍ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْتَمِسُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

٢٤٧ - وقال لهم نبيهم ان الله استجاب لكم فاختر طالوت حاكماً عليكم ، فاعترض كباروهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بنى نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلاً ان الله اختاره حاكماً عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهي سعة الخبرة بشئون الحرب وسياسة الحكم مع قوة الجسم والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على ورائته أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل ، يختار ما فيه مصالحكم .

٢٤٨ - وقال لهم نبيهم ان دليل صدق على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعود اليكم صندوق التوراة الذي سلب منكم تحمله الملائكة ، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدها - وفي احضاره تظمن قلوبكم ، وان في ذلك لدليلاً يدفعكم الى اتباعه والرضا به ان كنتم تدعون للحق وتؤمنون به .

٢٤٩ - فلما خرج بهم طالوت قال لهم ان الله يختبركم بنهر تمرن عليه في طريقكم فلا تشربوا منه الا غرفة فن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبنى الا من لم يشرب منه أكثر من غرفة ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيراً الا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقتلتنا ، فقال نفر منهم - ثبت الله قلوبهم لرجائهم في ثواب الله عند لقائه - لا تخافوا فكثيراً ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصبروا فان نصر الله يكون للصابرين .

٢٥٠ - ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا الى الله ضارعين داعين له أن يلاهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويشبثهم في ميدان القتال ، وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين .

وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَنَهَمُ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

٢٥١ - فهزموا عدوهم باذن الله تعالى وقتل داود - وهو أحد جنود طالوت - جالوت قائد الكفار، وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء، وسنة الله أن ينصر الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون، لولا أن الله يسلط جنوده على المفسدين لمحو فسادهم، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض، لما عمرت الأرض، ولكن الله دائم الاحسان والفضل على عباده.

٢٥٢ - تلك القصة من العبر التي نقصها عليك بالصدق لتكون أسوة لك ودليلاً على صدق رسالتك، وتعلم أننا سننصرك كما نصرنا من قبلك الرسل.

٢٥٣ - هؤلاء الرسل الذين ذكرنا فريقاً منهم وقد فضلنا بعضهم على بعض. فمنهم من كلمه الله دون سفير ك موسى، ومنهم من رفعه الله درجات فوق درجاتهم جميعاً وهو محمد الذي اختص بعموم الرسالة، وكمال الشريعة، وختمه الرسالات. ومنهم عيسى ابن مريم الذي أمددناه بالمعجزات كاحياء الموتى، وإبراء الأكمه والابرس وأيدناه بجبريل روح القدس وقد جاء هؤلاء الرسل بالهدى، ودين الحق، والبيئات الهادية وكان مقتضى هذا أن يؤمن الناس جميعاً، ولا يختلفوا ولا يقتتلوا، ولو شاء الله ألا يقتتل الناس من بعد مجيء الرسل اليهم بالآيات الواضحة الدالة على الحق، ما حدث اقتتال ولا اختلاف، ولكن الله لم يشأ ذلك، ولهذا اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا اختلفوا بل يكونون جميعاً على الحق، ولكنه يفعل ما يريد لحكمة قدرها.

٢٥٤ - يأياها المؤمنون بالله واليوم الآخر انفقوا بعض ما رزقكم الله في وجوه الخير، وبادروا بذلك قبل أن يأتي يوم القيامة الذي يكون كله للخير ولا توجد فيه أسباب النزاع، لا تستطيعون فيه تدارك ما فاتكم في الدنيا، ولا ينفع فيه بيع ولا صداقة ولا شفاعة أحد من الناس دون الله، والكافرون هم الذين يظهر ظلمهم في ذلك اليوم، إذ لم يستجيبوا لدعوة الحق..

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ الرَّ تَرَىٰ إِلَى اللَّهِ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيَا وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي

٢٥٥ - الله هو الذي يستحق أن يعبد دون سواه ، وهو الباقي القائم على شئون خلقه دائماً ، الذي لا يفشل أبداً ، فلا يصيبه فتور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لأنه لا يتصف بالنقص في شيء ، وهو المخلص بملك السموات والأرض لا يشاركه في ذلك أحد ، وهذا لا يستطيع أي مخلوق كان أن يشفع لأحد إلا بإذن الله ، وهو سبحانه وتعالى محيط بكل شيء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من علم الله إلا ما أراد أن يعلم به من يرتضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تدبير ذلك لأنه المتعالى عن النقص والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .

٢٥٦ - لا إكراه لأحد في الدخول في الدين ، وقد وضع بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال ، فن اهتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطفى على العقل ، وبصرفه عن الحق ، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردى في الضلال كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردى في هوة . والله سميع لما تقولون ، علم بما تفعلون ومجازيكم على أفعالكم (١) .

٢٥٧ - الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم ويخرجهم من ظلمات الشرك والحيرة إلى نور الحق والاطمئنان ، والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذي فطروا عليه والذي وضع بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها .

(١) سبق التعليق عليها من ناحية القانون الدولى عند التعليق على آيات القتال من ١٩٠ - ١٩٥ من سورة البقرة .

كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ
 اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَرِهْتَ لِمَاتِ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتَ مِائَةَ عَامٍ
 فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَأَبَسَّنَا وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
 ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
 الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَا تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى
 كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

٢٥٨ - ألم تر إلى من عمى عن أدلة الايمان وجادل إبراهيم خليل الله في الوهية ربه ووحدانته ، وكيف أخرجه غروره بملكه الذي وهبه ربه من نور الفطرة إلى ظلام الكفر فعندما قال له إبراهيم : ان الله يحيى ويميت ، ينفخ الروح في الجسم وإخراجها منه ، قال أنا أحيى وأميت بالعضو والقتل فقال إبراهيم ليقطع مجادلته : ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ان كنت إلهاً كما تدعى ، فتحير وانقطع جدله من قوة الحجّة التي كشفت عجزه وغروره ، والله لا يوفق المصرين المعاندين إلى اتباع الحق .

٢٥٩ - ثم تدير في مثل هذه القصة العجيبة ، قصة الذي مر على قرية مهتمة سقطت سقوفها وهدمت حيطانها وهلك أهلها ، فقال : كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم ؟ فأماتة الله وأبقاه على موته مائة عام ثم بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزول استعباده ثم سئل أى مدة مكثها ميتاً ؟ قال : غير شاعر بطول المدة - : يوماً أو بعض يوم ، قيل له بل مكثت على هذه الحالة مائة عام ، ثم لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له : فانظر إلى طعامك لم يفسد ، وإلى شرابك لم يتغير ، وانظر إلى حمارك أيضاً ، وقد فعلنا ذلك لتعابن ما استبعدته من احياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث ، ثم أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء ، وكيف يركب عظامها ، ثم يكسوها لحماً ، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك ، فلما وضحت له قدرته تعالى وسهولة البعث ، قال أعلم ان الله قادر على كل شيء .

٢٦٠ - واذكر كذلك قصة إبراهيم ، إذ قال إبراهيم : رب أرني كيفية إحياء الموتى ، فسأله ربه عن إيمانه بأحياء الموتى ليجيب إبراهيم بما يزيل كل الشك في إيمانه ، فقال الله له : أولم تؤمن بأحياء الموتى ، قال : إني آمنتك ولكنى طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير الحى فضعها إليك لتعرفهن جيداً ، ثم جزهن بعد ذبحهن ، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن ، ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هى ، واعلم أن الله لا يعجز عن شيء ، وهو ذو حكمة بالغة في كل أمر (١) .

(١) ذكر الفخر الرازى وغيره ان هناك رأياً آخر في تفسير النص الكرم وهو أن إبراهيم لم يذبحهن ولم يؤمر بالذبح وانه أمر بضمهن اليه ترويضاً لمن على البقاء عنده ثم قسمهن فجعل على كل جبل واحدة من الأربع ثم دعاهن فجنن اليه وهذا تصوير لخلق الله تعالى للانبياء من أنها تكون بأمره للنبي . كن فيكون كما دعاهن فجنن اليه .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّبِعُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رَّيْبَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَاتَتْ أَكْطَافَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّرَ يُصَبَّهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ

٢٦١ - ان حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة، كحال من يبذر حبة في الأرض طيبة فتنبت منها شجيرة فيها سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق في الدنيا، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل، عليم بمن يستحق وبمن لا يستحق.

٢٦٢ - ان الذين ينفقون أموالهم في وجوه البر المشروعة دون من أو تفاخر أو تطاول على المحسن إليه. لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربهم، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء.

٢٦٣ - قول تطيب به النفوس وتستمر معه حال الفقير فلا تذكر لغيره، خير من عطاء يتبعه إيذاء بالقول أو الفعل، والله سبحانه وتعالى غني عن كل عطاء مصحوب بالأذى، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب، ولا يجعل بعاقبته من لا يعطى رجاء أن يهتدى إلى العطاء.

٢٦٤ - لا تضيعوا ثواب صدقاتكم أيها المؤمنون - باظهار فضلكم على المحتاجين وإيذانهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرغبة في الشهرة وحب الثناء من الناس، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فان حال المرائي في نفقته كحال حجر أملس عليه تراب، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب.. فكما أن المطر الغزير يزيل التراب الخصب المنتج من الحجر الأملس، فكذلك المن والأذى والرياء تبطل ثواب الصدقات.. فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها، وتلك صفات الكفار فتجنبوها، لأن الله لا يوفق الكافرين إلى الخير والارشاد.

٢٦٥ - حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الايمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة (١) يفيد كثير الماء وقليله، فان أصابه مطر غزير أمر مثلين، وان لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكنى لاثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مشعر في الحالتين - فالؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

(١) في تعبير القرآن الكريم بكلمة روية وهي الارض الخصبة المرتفعة اشارة الى ماكتشفه العلم الحديث لانها بارتماعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص الجموع الجندري في التربة من غير ماء يضره ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسبقان الجموع الخضرى فيتضاعف الحصول وللوايل من الأمطار فائدة فوق التغذية إذ أنه يذيب بعض المواد التي تحتاج إليها النباتات ويصلها بما يعطل ثوبها كما يصلها من الآفات.

جَنَّةٍ مِّنْ لَّجَلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّنْ طَبَّعْتُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكَ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكَ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا

٢٦٦ - انه لا يجب أحد منكم أن يكون له بستان من نخيل وأعناب تجرى خلالها الأنهار وقد أثمر له البستان من كل الثمرات التي يريدونها (١) واصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرين على الكسب ولا يستطيع هو لكبره شيئاً ، وجف بستانه في هذه الحال العاجزة بسبب ريع شديدة فيها نار فأحرقته ، وصاحبه وذريته أحوج ما يكون إليه ، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يعقب النفقة والصدقة بالبن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه ، ومثل هذا البيان بين الله لكم الآيات لتتفكروا فيها وتعملوا بها .

٢٦٧ - يا أيها المؤمنون أنفقوا من جيد ما تحصلونه بعملكم ، وما يتيسر لكم إخراجها من الأرض من زرع ومعادن وغيرها ، ولا تعتمدوا الانفاق من ردىء المال وخبيثه مع أنكم لا تأخذونه لو قدم إليكم إلا على اغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة ، واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم ، مستحق للحمد بما أرشدكم إليه من خير وصلاح .

٢٦٨ - الشيطان يخوفكم من الفقر ويثنى عن كل عمل صالح ليصرفكم عن الانفاق في وجوه الخير ويفريكم بالمعاصي ، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم ، لا يخفى عليه شيء من أموركم .

٢٦٩ - يعطى صفة الحكمة من اصابة الحق في القول والعمل من يشاء من عباده ، ومن اعطى ذلك فقد نال خيراً كثيراً لأن به انتظام أمر الدنيا والآخرة ، وما ينتفع بالعظة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة التي تدرك الحقائق من غير طغيان الأهواء الفاسدة .

٢٧٠ - وما أنفقتُمْ من نفقة في الخير أو الشر ، أو التزمتْ بنفقة في طاعة ، فان الله يعلمه وسيجزىكم عليه ، وليس للظالمين الذين ينفقون رياء أو يؤذون في نفقتهم أو ينفقون في المعاصي ، أعوان يدفعون عنهم عذاب الله في الآخرة .

(١) يفسر العلم الحديث الإعصار بأنه اضطراب جوى يتميز برياح شديدة يصحبه رعد وبرق وأمطار وقد يكون فيه نار اذا كان مقترنا بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قذائف نارية من بركان نائر قريب تملك ماحولها من أشجار وغيرها والنص القرآني يشير الى كل هذه المعاني .

الْصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ بِحَسَبِهِمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ

٢٧١ - وان تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضى منكم ، ممدوح من ربكم ، وان تعطوها الفقراء سرًّا منعا لمرجهم وخشية الرياء فذلك خير لكم ، والله يغفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم في صدقاتكم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم في إعلانكم وإخفائكم .

٢٧٢ - ليس عليك يا محمد هداية هؤلاء الضالين أو حملهم على الخير ، وإنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، وما تبدلونه من معونة لغيركم ففائدته عائدة عليكم ، والله مثيبكم عليه ، وهذا إذا كنتم لا تقصدون بالانفاق الإرضاء الله وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود إليكم ، ويصلكم ثوابه كاملاً دون أن ينالكم ظلم .

٢٧٣ - وذلك الانفاق والبذل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد في سبيل الله غير قادرين على الكسب ، أو لأنهم أصيبوا في الجهاد بجراحات أقعدتهم عن السعى في الأرض ، وهم متعففون عن السؤال بحسبهم الجاهل بجاهم أغنياء ، ولكنك إذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بعلامتها . وما تبدلونه من معروف فان الله عليه به ، سيجزيكم عليه الجزاء الأوفى .

٢٧٤ - الذين من شأنهم الانفاق تسخو نفوسهم في الليل والنهار وفي العلانية والسر ، لهم جزاؤهم عند ربهم ، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم ، ولا حزن على شيء فاتهم .

جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

٢٧٥ - الذين يتعاملون بالربا لا يكونون في سعيهم وتصرفهم وسائر أحوالهم إلا في اضطراب وخلل ، كالذي أفسد الشيطان عقله فصار يتعثر من الجنون الذي أصابه . لأنهم يزعمون أن البيع مثل الربا في أن كلاً منها فيه معاوضة وكسب . فيجب أن يكون كلاهما حلالاً وقد رد الله عليهم زعمهم فبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم ، وأن التماثل الذي زعموه ليس صادقاً . والله قد أحل البيع وحرم الربا ، فن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واهتدى به ، فله ما أخذه من الربا قبل تحريمه ، وأمره موكول إلى عفو الله . ومن عاد إلى التعامل بالربا باستحلاله بعد تحريمه ، فأولئك يلزمون النار خالدين فيها (١) .

٢٧٦ - ان الله يذهب بالزيادة المأخوذة من الربا ويبارك في المال الذي تؤخذ منه الصدقات ويشيب عليها أضعافاً مضاعفة : والله لا يحب الذين يصرون على تحليل المحرمات كالربا ، ولا الذين يستمرون على ارتكابها .

٢٧٧ - ان الذين آمنوا بالله ، وامتثلوا أوامره فعملوا الصالحات التي أمر بها ، وتركوا المحرمات التي نهى عنها ، وأدوا الصلاة على الوجه الأكمل ، وأعطوا الزكاة لأهلها ، لهم نوابهم العظيم المدخر عند ربهم ، ولا خوف عليهم من شيء في المستقبل ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم .

(١) الربا المذكور في الآية هو ربا الجاهلية وهو الزيادة في الدين في نظير الاجل وهو حرام في قليله وكثيره ، وقال الامام أحمد « لا يسع مسلماً ان ينكره » ويقابله ربا البيوع وهو ثابت بالسنة في قوله عليه السلام : « البر بالبر مثلاً بمنزل يدا بيد والشعير بالشعير مثلاً بمنزل يدا بيد والذهب بالذهب مثلاً بمنزل يدا بيد والفضة بالفضة مثلاً بمنزل يدا بيد ، والتمر بالتمر مثلاً بمنزل يدا بيد فن زاد أو استزاد فقد أربى » .

وقد اتفق الفقهاء على تحريم الزيادة عند المبادلة مع اتحاد الجنس في هذه الاشياء وباحوا الزيادة اذا اختلف الجنس ولكن حرموا التأجيل من هذه الاصناف واختلفوا في قياس غيرها عليها اختلافاً طويلاً واقرب الاراء ان يقاس عليها كل ما هو مطعوم قابل للاذخار وربا الجاهلية لا خلاف فيه فنكره كافر ، وان ربا الجاهلية يصيب أكله ومؤاكله باضطرابات نفسية وعصبية نتيجة ارهاقه وتركيز ذهنه في المال الذي اقرضه أو أخذه فالدائن في قلق بسبب انحصار ذهنه وفراغ نفسه من كل عمل والمدين في هم وخوف من ألا يسدده . وقد أسند بعض كبار الاطباء كثرة ضغط الدم والنزلات القلبية الى كثرة التعامل بالربا .

وتحريم الربا في القرآن كما هو في كل الديانات الساوية تنظم اقتصادي ويتفق التحريم مع ماقرره الفلاسفة ذلك لان النقد لا يلد النقد والاقتصاديون يقررون أن طرق الكسب اربعة : ثلاثة منها منتجة ، والرابعة غير منتجة فالثلاثة المنتجة : العمل وبيعه الصناعة والزراعة والمخاطرة في التجارة لانها بنقل الاشياء من مكان انتاجها الى مكان استهلاكها تتعرض لمخاطر ولانها تزيد قيمتها بهذا الانتقال وذلك في ذاته انتاج . أما الرابعة فهي الفائدة أو الربا وهذه لا مخاطرة فيها لأن القرض لا يتعرض للخسارة بل له الكسب دائماً ولأنه لا إنتاج إلا العمل المقرض فالفائدة نتيجة لقيمة القرض . . . واذا كان السبب هو القرض فهو بتوسط غيره من غير تعرض للخسارة . والطبيعي ان كان ينتج بنفسه ويفرض ذلك فان شيوع الكسب بالفائدة يؤدي الى تحكم رؤوس الاموال في العمل ويؤدي الى فراغ وعطل فيكون الاضطراب والكسل .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِنَّا أَن تَكُونَ نَجْمَةً تَدْبُرُونَهَا بَيْنَكُمْ

٢٧٨ - يأها الذين آمنوا خافوا الله واستشعروا هيته في قلوبكم ، واركوا طلب ما بقى لكم من الربا في ذمة الناس إن كنتم مؤمنين حقا .

٢٧٩ - فإن لم تفعلوا ما أمركم الله به من ترك الربا فكونوا على يقين من انكم في حرب من الله ورسوله لمعاندتكم لأمره ، فإن أردتم توبة مقبولة فلكم رهوس أموالكم فلا تأخذوا زيادة عليها قلت أو كثرت وأيا كان سبب الدين ومصرفه ، لأن الزيادة التي تأخذونها ظلم لغيركم ، كما أن ترك جزء من رهوس الأموال ظلم لكم .

٢٨٠ - وإن وجد ذو عسرة فأعطوه وأمهلوه عند انقضاء أجل الدين إلى وقت ميسرته ، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله الذي يعلمكم المروءة والانسانية .

٢٨١ - وخافوا أهوال يوم تعودون فيه إلى الله ، ثم تستوفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً
فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضٌ فليؤدِّ الأذى أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فإنَّهُ يَكْتُمُهَا إِلَى اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

٢٨٢ - يأبى الذين آمنوا إذا دأب بعضكم بعضاً بدين مؤجل إلى أجل، ينبغي أن يكون الأجل معلوماً، فالتكويه حفظاً للحقوق وتفادياً من النزاع وعلى الكاتب أن يكون عادلاً في كتابته، ولا يتمتع كاتب عن الكتابة، شكراً لله الذي علمه ما لم يكن يعلم، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وليخش المدين ربه ولا ينقص من الدين شيئاً، فإن كان المدين لا يحسن التصرف ولا يقدر الأمور تقديراً حسناً، أو كان ضعيفاً لصغر أو مرض أو شيخوخة، أو كان لا يستطيع الاملاء لمخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة، فلينب عنه وليه الذي عينه الشرع أو الحاكم، أو اختاره هو في إملاء الدين على الكاتب بالعدل التام. وأشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم، فإن لم يوجدوا فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معاً لتؤدبا الشهادة معاً عند الإنكار، حتى إذا نسيت أحداها ذكرت الأخرى، ولا يجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما طلب الشهود - ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً مادام مؤجلاً لأن ذلك أعدل في شريعة الله وأقوى في الدلالة على صحة الشهادة، وأقرب إلى درء الشكوك بينكم، إلا إذا كان التعامل على سبيل التجارة المحاضرة، تتعاملون بها بينكم، فلا مانع من ترك الكتابة إذ لا ضرورة إليها. ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعات حسباً للنزاع وتفادوا أن يلحق أى ضرر بكاتب أو شاهد، فذلك خروج على طاعة الله وخافوا الله واستحضروا هيئته في أوامره ونواهيها، فإن ذلك يلزم قلوبكم الانصاف والعدالة، والله يبين مالكم وما عليكم، وهو بكل شيء - من أعمالكم وغيرها - عليم (١).

٢٨٣ - وإذا كنتم في سفر فلم تجدوا من يكتب لكم الدين، فليكن ضمان الدين رهناً يأخذه الدائن من المدين. وإذا أودع أحدكم آخر ودیعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤد المؤتمن الأمانة عند طلبها، وليخش الله الذي ربه وتولاه بالعناية حتى لا يقطع عنه نعمته في الدنيا والآخرة. ولا تكتُموا الشهادة عند طلبها، ومن يكتمها فهو آثم خبيث القلب، والله بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه حسب ما تستحقون.

(١) من أدق المسائل القانونية في جميع القوانين الحديثة قواعد الایبات وهى الطرق التى يثبت بها صاحب الحق حقه اذا ما لجأ الى القضاء يطلبه من خصمه.

يوجب القرآن على الناس الانصاف والعدل ولو انصف الناس لاستراح القاضى ولكن النفوس البشرية بما جبلت عليه من مختلف الطبائع من طمع الى حب للمال والى شره الى اثرة الى نسيان الى رغبة فى الانتقام كل ذلك جعل الحقوق بينها متنازعا عليها مختلفا فيها فوجب ان تكون هناك قواعد للایبات تكون وسيلة فى تبيين وجه الحق.

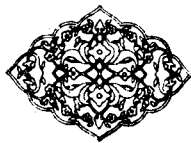
ولانزاع ان الكتابة عند الخلف هى اقوى الادلة لان عند عدم الخلف قد يعترف الضرم بحق خصمه فاذا بعثك أو أجزتلك أو دأبتك وجب ان يثبت كل ذلك بالكتابة ولو فعل كل الناس ذلك لضاعت ثقة الخلف بينهم. ولكن وقد تقدم العمران وانسجبت مصالح الناس عمدوا الى وسائل السرعة فاصبحت التقاليد التجارية تسمح للتاجر فى لندن ان يعقد عقداً كبير القيمة برسالة تليفونية أو لاسلكية فى نيويورك مرغماً على ان لا يحتم الكتابة فى صفته التى قد تصل الى الملايين فاذا ما اختلف العاقدان على الصفقة ولجأ الى القضاء اباح لها.

أَوْ يُخَفِّهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٤ - واعلموا أن الله ما في السموات وما في الأرض قد أحاط به قدرة وعلمها، وسواء أظهرتم ما في أنفسكم أو أخفيتموه فإن الله عليم خبير، سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو تعالى على كل شيء قدير..

٢٨٥ - إن ما أنزل إلى الرسول محمد هو الحق من عند الله، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهم يسوون بين رسل الله في الإيمان بهم وتعظيمهم قائلين: لانفرق بين أحد من رسله، وأكدوا إيمانهم القلبي بقولهم اللساني متجهين إلى الله في خطايهم: ربنا سمعنا تنزيك الحكم واستجبنا لما فيه، فامنحنا اللهم مغفرتك، واليك وحدك المصير والمرجع.

٢٨٦ - إن الله لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله: إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فاضرعوا إلى الله أيها المؤمنون داعين: ربنا لاتعاقبنا إن وقعنا في النسيان لما كلفتنا إياه، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ، ربنا ولا تشدد علينا في التشريع كما شددت على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به من التكاليف، واعف عنا بكرمك، واغفر لنا بفضلك، وارحمنا برحمتك الواسعة انك مولانا. فانصرنا يارب - من أجل اعلاء كلمتك ونشر دينك - على القوم الجاحدين.



(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَلَنِيَةً وَإِيَّاهَا فَاثْنَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ ۙ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ

بتحدث القرآن الكريم من خلال ما يذكره من قصص عن سنن الله الكونية، وعن العبرات والعبر التي تستنتج، وبين في أثناء القصة الكثير من العقائد والأحكام والأخلاق. وقد ذكر في السورة السابقة طرفا من سيرة بنى إسرائيل صور فيه الكثير من المحرفهم، وفي هذه السورة يذكر جوانب أخرى من ضلالهم والمخرفهم، ويرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في عقيدته وسلوكه وبين حقيقة الدين الساوي، ويشير إلى آداب المجادلة، ويذكر العادات في الانتصار والفشل أحيانا. وبين مقام الشهداء يوم القيامة والجزاء وعمومه للذكر والأنثى وطريق الفلاح، وتبتدى هذه السورة الكريمة بما ابتدأت به السورة السابقة.

- ١ - الم، حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف، ولتنبيههم فيسمعوا.
- ٢ - الله واحد لا إله غيره، وكل ما في العالم من تنسيق وإبداع يشهد بذلك، وهو الحى الذى لا يموت، القائم بأمر العالم يديره ويصرفه.
- ٣ - نزل عليك يا محمد القرآن مشتتلا على الحق في كل ما تضمنه من أصول الشرائع الساوية في الكتب السابقة، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى.
- ٤ - أنزلها قبل القرآن لهداية الناس، فلما محرفوا أنزل القرآن فارقا بين الحق والباطل، ومبيننا الرشد من النى، فهو الكتاب الصادق الدائم، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد، والله قادر لا يغلبه شىء، منتقم ممن يستحق الانتقام.
- ٥ - إن الله عليم بكل شىء، فهو لا يخفى عليه شىء في الأرض ولا في السماء، صغيرا كان أو كبيرا، ظاهرا أو باطنا.

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
 مِنْهُ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
 وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلُّ مَنٍ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾
 رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذْنَاهُمْ

٦ - وهو الذي يصوركم وأنتم أجنة في الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد ، لا إله إلا هو العزيز في ملكه ،
 الحكيم في صنعه (١) .

٧ - وهو الذي أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بينة المقاصد ،
 هي الأصل واليه المرجع ، وأخر متشابهات يدق معناها على أذهان كثير من الناس ، وتشبهه على غير الراسخين
 في العلم ، وقد نزلت هذه التشابهات لتبعث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر في الاجتهاد ، وفي البحث في
 الدين ، وشأن الزائعين عن الحق أن يتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة في إثارة الفتنة ، ويؤلوا حسب أهوائهم .
 وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تثبتوا في العلم وتمكنوا منه - وأولئك المتمكنون منه يقولون إنا
 نوقن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق في الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول
 السليمة التي لا تخضع للهوى والشهوة .

٨ - وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد إذ أرشدتنا إليه ، وامنحنا
 اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المعطي .

٩ - ربنا إنك جامع الناس ليوم لا شك فيه لتجازي كلا على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وأنت لا تخلف
 الميعاد .

١٠ - إن الكافرين لن تدفع عنهم في هذا اليوم أموالهم مهما عظمت ، ولا أولادهم مهما كثرت ، وسيكونون
 حطباً للنار تشتعل بهم .

(١) « تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة البارئ المصور وهو تحول البويضة المخصبة وهي خلية واحدة ضئيلة
 الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من أجهزة وأعضاء وانسجة بلايين الخلايا وآيات في البنيان والوظيفة . وسوف تتوالى في
 القرآن الكريم آيات تفصل بعض اطوار النمو الجنيني . ولكن الذي تنوره به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص هو المشيئة الالهية المطلقة
 في تصوير الجنين اذ ان الله يودع في البويضة الدقيقة الحجم جميع المورثات الجنينية التي تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الجسدية
 بل ومواهبه العقلية والنفسية والسمات الرئيسية في تكوين الشخصية الواحدة وان كانت تسير على قوانين ثابتة الا ان هذا التحديد لكل فرد
 بذاته من التقاء بويضة بحيوان منوي بعينه من بين الملايين من أقرانه هو من دلائل المشيئة المطلقة حتى انه لا يتائل فردان في العالم
 تماثلا كاملا اللهم الا في توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَمُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّقَاتِ فَمَثَلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
 بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْرَفْ

١١ - وشأن هؤلاء شأن قوم فرعون والمعادين من قبلهم ، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبه من الذنوب ، والله شديد العقاب .

١٢ - قل أيها النبي هؤلاء الذين كفروا ، إنكم في الدنيا ستهزمون وفي الآخرة ستعذبون ، وتكون جهنم فراشا وبئس الفراش .

١٣ - لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة طافتين من المحارزين التقيا يوم بدر ، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق ، والأخرى كافرة تحارب في سبيل الأهواء والشهوات ، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقي ، وبذلك وقع الرعب في قلوب الكفار فانهزموا . والله يمنح نصره لمن يشاء . وإن في ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التي لا تنحرف في إدراكها عن الحق .

١٤ - إن البشر جبلوا على حب الشهوات التي تتمثل في النساء ، والبنين والكثرة من الذهب والفضة ، والخيول الحسان المعلمة ، والأنعام التي منها الإبل والبقر والغنم ، وتتمثل أيضا في الزرع الكثير . لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وهو لا يعد شيئا إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون في سبيله عند أوبتهم إليه في الآخرة .

١٥ - قل يا أيها النبي ، أخبركم بما هو خير من ذلك الذي زين للناس في الدنيا ، إن للذين اتقوا ثوابا مضمونا عند ربهم ، هو جنات تجري من تحت ظللال أشجارها الأنهار ، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نعيمها إذ كتب لهم الخلود فيها . وأزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا ، ورضاء من الله يشعرون في ظله بنعيم أكبر . والله مطلع على أحوال عباده ، لا يخفى عليه أمر أوسر من أمورهم وأسرارهم .

لَنَا ذُنُوبًا وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
 اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
 اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأَمِّيَّةِينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ

١٦ - ينال هذا الجزاء أولئك الذين ملأوا الإيمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا ضارعين إلى الله : ربنا
 اتنا أمانا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .

١٧ - والذين يتحملون المشقة في سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه ، الذين يصدقون في أقوالهم
 وأفعالهم ونياتهم ، المداومون على الطاعة في خشوع وضراعة الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره في وجوه
 التأمل والتفكير في عظمة الخالق .

١٨ - بين الله بما بث في الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل ، أنه واحد لا شريك له ، وأنه قائم على
 شئون خلقه بالعدل ، وأقرت بذلك ملائكته الأطهار ، وعلمه أهل العلم موقنين به ، وأنه جل شأنه المنفرد بالألوهية
 الذي لا يغلبه أحد على أمره ، وشملت حكمته كل شيء .

١٩ - ان الدين الحق المرضي عند الله ، هو التوحيد والخضوع لله في اخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود
 والنصارى في هذا الدين فحرفوا وبدلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم ، بل كان للتحاسد
 والتطاول ، ومن يمحمد آيات الله فليتنظر حساب الله السريع .

٢٠ - فإن جادلك هؤلاء في هذا الدين بعد أن أقمت لهم الحجج ، فلا تجارهم في الجدل ، وقل أخلصت عبادتي
 لله وحده أنا ومن اتبعني من المؤمنين وقل لليهود والنصارى ومشركي العرب قد بانت لكم الدلائل فأسلموا ، فإن
 أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وإن اعرضوا فلا تبعه عليك في إعراضهم ، فليس عليك إلا أن تبلغهم
 رسالة الله ، والله مطلع على عبادته لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم .

يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَكَّلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّمَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

٢١ - إن الذين يجحدون آيات الله الكونية والمنزلة ، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء - ولا يكون بحق أبداً ، بل هو أعظم الظلم ، ويقتلون دعاة الناس إلى القسط والعدل ، يستحقون العذاب الأليم فبشرهم به .

٢٢ - أولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت أعمالهم ولو كان بعضها طيباً ، وخلصت من ثمراتها فلم تنفعهم في الدنيا ، وأعقبهم الخزي والنكال في الآخرة ، وليس من ينقذهم من الخسران والعذاب .

٢٣ - ألم تعلم حال الذين أعطوا حظاً من الكتاب والعلم يدعون إلى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون إلى اجابة الداعى ، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الاعراض عن دعوة الخير .

٢٤ - إن أولئك المعرضين من اليهود ، زين لهم ذلك الاعراض أنهم يبنون أنفسهم بالأمانى الباطلة ، فيزعمون أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات ودفعهم إلى ذلك الغرور وتلك الأمانى افترأاتهم المستمرة في دينهم .

٢٥ - فكيف يكون حالهم وقت أن يجمعهم الله في الآخرة التي لا شك في وجودها ولا حساسياتها فكل نفس تعطى جزاءها فيها وافياً ، وهم جديرون بما ينالهم من عذاب الجحيم .

٢٦ - قل - أيها النبي - ضارعا إليه مقرا بجهروته : اللهم أنت وحدك مالك التصرف في الأمر كله ، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان ، وتنزع من تشاء وتهب العزة من تريد من عبادك بتوفيقه إلى الأخذ بأسبابها ، وتضرب الذل والهوان على من تشاء ، فأنت وحدك تملك الخير ، لا يعجزك شئ عن تنفيذ مرادك ، وما تقتضيه حكمتك في نظام خلقك .

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدَّلُوْنَ إِنْ بَيْنَاهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

٢٧ - وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنن، تدخل من الليل في النهار ما يزيد به النهار طولاً، وتدخل من النهار في الليل ما يزيد به الليل طولاً، وتخرج المتصف بمظاهر الحياة من فاقدها، كما تخرج فاقد الحياة من الحي المتمكن من أسباب الحياة، وتهب عطاءك الواسع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك، فلا رقيب يحاسبك، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن يمنح رسوله وأصفياءه، السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعدهم (١).

٢٨ - إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك، ويعز ويذل، ويده وحده الخير والخلق والرزق، فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم، متجاوزين نصرة المؤمنين. لأن في هذا خذلانا للدين وإيذاء لأهله، واضعافاً للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك في شيء، ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطراً لذلك، فيتقأ أذاهم بإظهار الولاء لهم. وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الإسلامية دائماً وهي ولاية الله. وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه بكتابة الدلة عليهم بعد العزة. وإليه وحده المصير فلا مفر من سلطانه في الدنيا ولا في الآخرة.

٢٩ - قل - أيها النبي - ان تحفوا ما في صدوركم أو تظهروه في أعمالكم وأقوالكم فإن الله يعلمه، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض ما ظهر منه وما استتر، وقدرته نافذة في جميع خلقه.

٣٠ - فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير مها قل مشاهدا حاضرا، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيدا عنها بعدا شاسعا حتى لا تراه استقباحا له وخوفا من الوقوع في مغيبته، ويحذركم الله عقابه إذا خرجتم من ولايته التي هي رافة ورحمة بالعباد.

٣١ - قل : إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله : فاتبعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه، لأنني مبلغ عن الله، فإن ذلك يحبكم الله به، يثيبكم الله عليه بالاحسان اليكم والتجاوز عن خطاياكم، والله كثير الغفران والرحمة لعباده.

(١) « دورة الحياة والموت هي معجزة الكون وسر الحياة نفسها. والسبات الرئيسية في هذه الدورة ان الماء وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين والأملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية هي مادة الحياة في النبات والحيوان أما في الشق الثاني من هذه الدورة فتصود هذه المواد الى عالم الموت في صورة نفايات الاحياء ونواتج أيضا وتنفسها.

ثم في صورة اجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل البكتيري والكياوي التي تحيلها الى مواد غير عضوية بسيطة مهياة للدخول في دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا في كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة وهذه الدورة المتكررة لا تتم الا في وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبنزة النبات مثلا.

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الاولى وهي خلق الحياة من مادة الارض الميتة ثم تكرار الدورة كما سبق. وهكذا جاء في الآية الكريمة اخراج الحي من الميت سابقا لاجراء الميت من الحي وهذا هو الاعجاز بعينه.

وَالرُّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرٰهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَحْمَرِّمُ أَيُّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٢ - قل : أطيعوا الله ورسوله ، فإن أعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله ، والله لا يحب الكافرين .

٣٣ - كما اصطفى الله محمدا لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، ذكر أنه اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحا بالرسالة ، واصطفى ابراهيم وآله اسماعيل واسحاق والأنبياء من أولادهما ، ومنهم موسى عليهم السلام ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه ، فعيسى جعله الله رسولا لبنى إسرائيل ، ومريم جعلها أما لعيسى من غير أب .

٣٤ - اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم وما تكنه صدورهم .

٣٥ - واذكر أيها النبي حال امرأة عمران اذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصا لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة يارب : انى نذرت ما فى بطنى خالصا لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك ، انك السميع لكل قول ، العليم بكل حال ، فلما وضعت حملها قالت معذرة تناجى ربه . انى ولدت أنثى والله عليم بما ولدت ، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : انى سميتها مريم وانى أسألك أن تحصنها هى وذريتها من غواية الشيطان الرجيم .

٣٧ - فتقبل الله مريم نذرا لأمرها ، وأجاب دعائها ، فأنبثها نباتا حسنا ، ورباها فى خيره ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقا كثيرا - وكلما دخل عليها زكريا فى معبدها وجد عندها رزقا غير معهود فى وقته . قال متعجبا يا مريم : من أين لك هذا الرزق ؟ قالت : هو من فضل الله ، وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها . وكان زكريا بغير عدد ولا إحصاء .

هَذَا دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَائِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَنْتُكَلَّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَأَذْكُرُّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُومُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاجْبُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمْنَاهُمْ

٣٨ - لما رأى زكريا عليه السلام ما رآه من نعمة الله على مريم ، اتجه إلى الله ضارعا أن يهبه من فضله وكرمه وبقدرته ولدا ، فهو يسمع دعاء الضارعين ، وهو القدير على الاجابة وإن وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها .

٣٩ - فاستجاب الله دعاءه ، فنادته الملائكة وهو قائم في معبده متجها إلى ربه ، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى عليه السلام الذي سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السنة العامة في التوالد ، ويجعله (أى يحيى) يسود قومه بالعلم والصلاة ، ويعزف عن الشهوات والأهواء ، ويجعله من الأنبياء والصالحين .

٤٠ - ولما سبقت إليه هذه البشرى ، اتجه إلى ربه منتوقا إلى معرفة الكيفية التي يكون بها هذا الغلام ، مع عدم توافر الأسباب العادية لكبر سنه وعقم وزوجه ورد الله عليه بأنه متى شاء أمرا أوجد له سببه ، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة . فهو يفعل ما يشاء .

٤١ - فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى ، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام إلا بالاشارة إليهم بما تريد وثابر على ذكر ربك وتزنيه في المساء والصباح .

٤٢ - واذكر أيها النبي إذ قالت الملائكة يامريم ان الله اختارك لتكوني أم نبيه ، وطهرتك من كل دنس ، وخصك بأموتهك لعيسى بفضل على كل نساء العالمين .

٤٣ - وهذا يامريم يستوجب منك الشكر لربك ، فالزمي طاعته ، وصلّى له ، وشاركي الذين يعبدونه ويصلون

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِيَّاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ

٤٤ - ذلك الذي قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عن اصطفاها الله ، هي من الغيب الذي أوحى الله به إليك . وما كنت حاضرا معهم وهم يقرعون بالسهم ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون في نيل هذا الشرف العظيم .

٤٥ - اذكر - أيها النبي - إذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنة العادية في التوالد ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة في الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفي الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم .

٤٦ - وميزة الله بمخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل في مهده كلاما مفهوما حكيما ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .

٤٧ - قالت مريم متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد : من أين يكون لي ولد ولم يمسنني رجل ؟ فذكر الله تعالى لها أن الله يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية ، فإنه إذا أراد شيئا أوجده بتأثير قدرته في مراده من غير افتقار إلى موجب آخر .

٤٨ - والله يعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة (كتاب موسى) والإنجيل الذي أوحاه الله إليه .

٤٩ - ويبعثه رسولا إلى بني إسرائيل ، مستدلا على صدق رسالته بمعجزات من الله ، هي أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ننفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائرا بارادة الله ، ويشق بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر ، ومن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة إلى من فقدتها . كل ذلك بإذن الله و ارادته . ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم ان هذه الآيات التي أظهرها الله على يدي حجة على أن رسالتي حق ان كنتم ممن يدعونون له ويصدقون به .

رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٥١ * فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكْرُأُ وَمَكْرَ اللَّهُ ۝٥٤ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝٥٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٦ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَبَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٥٧ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

٥٠ - وأرسلت اليكم مصدقا لشريعة التوراة التي نزلت على موسى ولايبح لكم بأمر الله بعض ما حرم عليكم من قبل . وقد جئتمكم بأية من الله على صدق رسالتي . فاتقوا الله وأطيعون .

٥١ - لان الله مفيض على وعليكم ألوان احسانه . فرباني ورباكم . فأخلصوا العبادة له . فإن هذا هو الطريق الذي لا عوج فيه .

٥٢ - ولما جاء عيسى عليه السلام . دعا قومه الى الصراط المستقيم . فأبى أكثرهم . فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم مناديا : من يناصرني في هذا الحق الذي ادعو إليه ؟ فأجاباه خاصة المؤمنين بالله وبه : نحن نؤيدك وننصرك لأنك داع إلى الله واشهد بأننا مخلصون لله منقادون لأمره .

٥٣ - ونحن نقول : يا ربنا . صدقتنا بكتابك الذي أنزلته على نبيك . وامتثلنا أمر رسولك عيسى عليه السلام . فاثبتنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ . وعلى بنى إسرائيل بالكفر والجحود .

٥٤ - أما المجاهدون فقد دبروا تدبيرا خفيا يحاربون به دعوة عيسى . فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا . والله أحكم المدبرين وأقواهم .

٥٥ - واذكر أيها النبي إذ قال الله يا عيسى اني مستوف أجلك . ولا أمكن أحدا من قتلك . واني رافعك إلى محل كرامتي . ومنجيك من أعدائك الذين قصدوا قتلك . وجاعل المتبعين لك . الذين لم ينحرفوا عن دينك . ظاهرين بالقوة والسلطان على الذين لم يبتدوا بهديك إلى يوم القيامة . ثم إلى مصيركم في الآخرة فأقضى بينكم في الذي تنازعتم فيه من أمر الدين .

٥٦ - فأما المجاهدون . فأذيقهم عذاب الحزى والنكال بتسليط الأمم عليهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخزى . وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله .

الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

٥٧ - وأما المهتدون بهدى الله، العاملون على سنن الخير، فيعطيهم الله جزاء أعمالهم وأفعالهم. وشأن الله أنه لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين على دعوته واحسانه، ولا يرفع لهم قدرا.

٥٨ - ذلك الذى قصصناه عليك، من الحجج الدالة على صدق رسالتك، وهو من القرآن الكريم، المشتمل على العلم النافع.

٥٩ - ضل قوم في أمر عيسى، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب، فقال الله لهم، ان شأن عيسى في خلقه من غير أب كشأن آدم في خلقه من تراب من غير أب ولا أم، فقد صورته وأراد أن يكون فكان بشرا سويا.

٦٠ - هذا البيان في خلق عيسى هو الصدق الذى بين الواقع بأخبار رب الوجود قدم على يقينك، ولا تكن من الشاكين.

٦١ - فن جادلك بأبيها النبي في شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقيني وباطلهم الزائف، تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب في أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله.

٦٢ - وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه، فليس في الوجود إله إلا الله الذى خلق كل شئ وأنه هو المنفرد بالعزة في ملكه والحكمة في خلقه.

٦٣ - فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم، ولم يرجعوا عن ضلالاتهم فهم المفسدون، والله عليهم بهم.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
 هَٰئِنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
 مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ

٦٤ - قل - يا أيها النبي - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة جامعة تجري بيننا ونذكرها على السواء ، وهي
 أن نخص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكا له فيها ، ولا يطبع بعضنا بعضا وينقاد له في تحليل شيء أو تحريمه ،
 تاركا حكم الله فيما أحل وحرم ، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم : اشهدوا بأنا منقادون لأحكام
 الله ، مخلصون له الدين لا ندعو سواه .

٦٥ - يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون في دين إبراهيم : كل منكم يدعى أنه على دينه . في حين أن
 إبراهيم سابق في الوجود على التوراة والإنجيل بشرية خاصة ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، فكيف
 يكون على شريعة واحدة منها . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذي يناقض الواقع ؟

٦٦ - هأنتم يا هؤلاء جادلتم في أمر عيسى وموسى الذي لكم به معرفة - كما تزعمون - فكيف تجادلون في كون
 إبراهيم يهوديا أو نصرانيا وليس لكم بذلك علم ، والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه ، وأنتم لا علم لكم بذلك .

٦٧ - إن إبراهيم عليه السلام ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى ، ولكن كان منصرفا عن
 الأديان الباطلة إلى الدين الحق ، منقادا لله ، مخلصا في طاعته وما كان من الذين يشركون مع الله غيره في العبادة .

٦٨ - إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ودينه للذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه في زمنه ، وكذا محمد
 ﷺ ومن آمن معه ، فإنهم أهل التوحيد الخالص وهو دين إبراهيم ، والله يحب المؤمنين وينصرهم لأنهم أولياؤه ،
 ويجازهم بالحسنى وزيادة .

٦٩ - إن فريقا من أهل الكتاب يتمنون اضلال المؤمنين وفتنتهم عن دينهم ، بالقائه الشبه التي توهم الاعتقاد .
 وهم في عملهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم بإصرارهم على الضلال الذي يحيق بهم وحدهم ولا يعلمون أن عاقبة
 سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين .

تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِاللَّهِ أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَمَّنُوا
 إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ
 الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
 * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ
 عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

٧٠ - يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ : وأنتم تعلمون أنها حق .

٧١ - يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بالشبهات الواهية ، والتأويلات الباطلة ، ولا تضيعون الحق صريحاً واضحاً بعيداً عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم .

٧٢ - وأن أهل الكتاب - في سبيل اضلال المؤمنين - قالوا لآخواتهم آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد واتبعه فيه المؤمنون أول النهار ، واكفروا في آخره . لعلكم تستطيعون بهذا فتنتهم بيت الريب والشك فيهم ، فيرجعوا عن دينهم .

٧٣ - وقالوا أيضاً : لا تدعوا إلا لمن تبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوتى مثل ما عندكم ، أو يجتج عليكم باذعانكم عند ربكم ، قل لهم أيها النبي - ان الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذي يفيض به ويختار له من يشاء وقل لهم - أيها النبي - ان الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، علم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

٧٤ - فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فانما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولا يجبر عليه في عطائه .

٧٥ - هذا سلوك أهل الكتاب في الاعتقاد أما سلوكهم في المال ، فنهى من ان استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أداء اليك لا ينقص منه شيئاً ، ومنهم من ان استأمنته على دينار واحد لا يؤديه اليك إلا اذا لازمته وأخرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى .

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْأَحْرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ لَسِتِّهِمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

٧٦ - حقا لقد افتروا على الله الكذب ، فإن من أدى حق غيره ووفاه في وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يماطل ، فإنه يفوز بحبة الله لأنه اتقاه (١) .

٧٧ - إن الذين يتركون عهد الله الذي عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون إيمانهم التي أقسموا بها على الوفاء - لئن قليل من أعراض الدنيا مها عظم في نظرهم لا نصيب لهم في متاع الآخرة ، ويعرض عنهم ربهم ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يغفر لهم آثامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام .

٧٨ - وإن من هؤلاء فريقا يميلون الستهم فينطقون بما ليس من الكتاب ، يحاولين أن يكون شبيها له ، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه في شيء ، ويدعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحي في شيء وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم في أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون .

٧٩ - وما كان معقولا ولا سائغا لبشر ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتیه العلم النافع والتحدث عن الله - أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله .

ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذي خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه .

٨٠ - ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أربابا من دون الله ، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مسلمين وجوهكم لله .

(١) توجب الآية الوفاء بالعهد وفي الوفاء بالعهد آيات أخرى سبقت فيها (٢٧) من سورة « البقرة » ولقد اتهم الاسلام والمسلمون بأنهم لا يرعون العهد ولا يقصدون معاهدة الحاجة مؤقتة وينذونها كلما حانت لهم الفرصة وقد مر الرد على هذه الفرية ومن جوامع كلم الامام علي بن ابي طالب ماورد في كتابه للاشتر النخعي - وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء واراع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أنسد اجتماعا عليه مع تفرق اهوانهم من تعظيم الوفاء بالمعهد فلا تغدرن بذمتك وتحت بعهدك ..

وحدث ان احد قواد المسلمين رد الى معاهده الجزية التي اقتضاها عماله منهم لما أحس بعدم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك شرطا من شروط العهد .

وَلْتَنْصُرْنَهُ قَالَهُ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لِصِرِّ قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم

٨١ - واذكر لهم أيها النبي أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع ، انه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمنن به وينصرنه . وأخذ الاقرار من كل نبي بذلك العهد ، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم ، وبلغوه لأمتهم ، إن ذلك العهد يوجب عليهم الايمان والنصرة ان ادركوه وإن لم يدركوه ، فحق على أمتهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعا لما التزم به أنبياءهم .

٨٢ - فن أعرض عن الايمان بالنبي بعد هذا الميثاق المؤكد ، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله ، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم .

٨٣ - يطلبون دينا غير دين محمد وهو دين الأنبياء - وهو وحده دين الله - الذي خضع له كل من في السموات والأرض طوعا بالارادة والاختيار ، أو كرها بالخلق والتكوين ، وإليه وحده يرجع الخلق كله .

٨٤ - أكد الله وحدة الألوهية والرسالة ، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدقتنا بالله المعبود وحده ، ومرسل رسله ، وآمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة ، وما نزله من كتب وشرائع على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الاثني عشر ، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الانجيل ، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق في الايمان بين أحد منهم . ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله .

٨٥ - فن يطلب بعد مبعث محمد ﷺ دينا وشريعة غير دين الاسلام وشريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك ، وهو عند الله في دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

٨٦ - إن الله لا يوفق قوما شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ، ثم بعد ذلك كفروا به ، وجمعزاته ، فكان ذلك ظلما منهم ، والله لا يوفق الظالمين .

أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
 كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
 مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
 مِمَّا تُحِبُّونَ ؕ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ ؕ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ؕ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى

٨٧ - أولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر .

٨٨ - لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون .

٨٩ - لكن الذين أفلحوا عن ذنوبهم ، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا ، فإن الله تعالى يغفر لهم

برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

٩٠ - وأن قبول التوبة والرحمة بالغفران ، شرطها الاستمرار على الإيمان ، فالذين يجحدون الحق بعد الاذعان

والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحودا وفسادا وإيذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لأنها

لا يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه .

٩١ - وإن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى ماتوا وهم جاحدون ، فلن يستطيع

أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله سبحانه وتعالى شيئا ، ولو كان الذي يقدمه فدية له ، ما يملأ الأرض

من الذهب إن استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام .

٩٢ - لن تنالوا أيها المؤمنون الخير الكامل الذي تطلبونه ويرضاه الله تعالى ، إلا إذا بذلتم مما تحبون وأنفقتموه

في سبيل الله المتنوعة ، وأن الذي تنفقونه قليلا أو كثيرا ، نفيسا أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذي لا يخفى

عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

٩٣ - اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الابل والبياتها ، وادعوا أن ذلك حرمة

شريعة ابراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحا لني يعقوب من قبل نزول

التوراة ، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم . وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن

يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة ابراهيم تحرم ذلك ان كانوا صادقين ، فعجزوا وأفحموا .

اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَنْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَنْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوثًا عُوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

٩٤ - وإذ ثبت عجزهم، فن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المستمرون على الظلم المتصفون به حقا.

٩٥ - وبعد تعجزهم أمر الله النبي أن يبين لهم أنه بعد افحامهم ثبت صدق الله فيما أخبر، فاتبعوا شريعة ابراهيم التي يدعوكم اليها وتكذبون عليها، فهذا بعيد عن الأديان الباطلة، فليس من أهل الشرك بالله.

٩٦ - وإن من اتباع ملة ابراهيم، الاتجاه في الصلاة إلى البيت الذي بناه والحج إليه، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر: ان أول بيت في القدم والشرف جعله الله متعبدا للناس هو الذي في مكة، وهو كثير الخيرات والبركات، وأودع الله سبحانه وتعالى البركة فيه، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه في الصلاة إليه^(١).

٩٧ - وفيه دلائل واضحات على حرمة ومزيد فضله، منها مكان قيام ابراهيم للصلاة فيه، ومن دخله يكون آمنا لا يتعرض له بسوء، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس، ومن أبي وقرم على أمر الله وجحد دينه، فالخسران عائد عليه، وإن الله غنى عن الناس كلهم.

٩٨ - أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال: قل لهم: يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم، فلاى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

٩٩ - يا أهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة، وتحاولون أن تصوروها معوجة، وأنتم عالمون أنها حق، وليس الله غافلا عن أعمالكم وسيجازيكم عليها.

(١) « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة الكعبة اول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد القهار بيئا بقية الشعوب والقبائل في سائر انحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتمائيل فالصوريون كانوا يعبدون آلهة متعددة تارة في وقت واحد وتارة في أوقات متعددة. فن عبادة الشمس الى عبادة الصور الى عبادة الآلهة الثلاثة اوزوريس واوزيرس وابنها حوريس وأقاموا لذلك التماثيل. وكان الاثوريون يعبدون بعل ممشوش. أى اله الشمس ويصنعون له صنعا على نحو أبى الهول له راس انسان وجسم أسد وله أجنحة. وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف أبى الهول ولا يزال تماثل الكنعانيين موجودا. وان كان مشوها حتى اليوم ببعلبك. وبكة هى عين مكة. ومن المعلوم ان بعض القبائل العربية تبدل الباء ميما وبالعكس. فيقولون مكان (بكان) وفي بكر (مكر) وتوجد في بعض جهات الاقليم الجنوبي الصعيد من جمهورية مصر العربية أثر من ذلك حتى اليوم.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمُ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ۗ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۗ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

١٠٠ - وقد حذر الله المؤمنين مما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قاتلا : ان تطيعوا بعض أهل الكتاب فيما يبثونه من الشبهة في دينكم ، تعودوا إلى الضلال بعد الهداية ، ويردوكم جاحدين بعد الايمان .

١٠١ - وتصوروا حالكم العجيبة وأنتم تضلون وتكفرون بعد الايمان ، والقرآن يتلى عليكم ، ورسول الله بينكم ، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم ، ومن يلجأ إلى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل ، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح .

١٠٢ - وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله ، فيا أيها الذين آمنوا خافوا الله الخوف الواجب بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ، ودمموا على الاسلام حتى تلقوا الله .

١٠٣ - وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه ، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم ، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم في الجاهلية متعادين ، فألف بين قلوبكم بالاسلام فصرتم متحابين - وكنتم بسبب كفركم وتفرقتكم على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالاسلام ، بمنزل ذلك البيان البديع بين الله لكم دائما طرق الخير لتدموا على الهدى .

١٠٤ - وان السبيل للاجتماع الكامل على الحق في ظل كتاب الله ورسوله ، أن تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح ديني أودنيوي ، ويأمرون بالطاعة ، وينهون عن المعصية ، أولئك هم الفائزون فوزا كاملا .

١٠٥ - ولا تكونوا ياهالككم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق ، كأولئك الذين أهلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتفرقوا شيئا ، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة المبينة للحق ، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم .

وَجُوهَهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ
فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا كُمْ يُؤَلُّوْا كَرَامًا لَّا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ
أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً

١٠٦ - ذلك العذاب العظيم في اليوم الذي تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين ، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين ، ويقال لهم توبيخا : أكفرتم بعد أن فطرتم على الايمان والاذعان للحق وجاءتكم البينات عليه ، فذوقوا العذاب بسبب كفركم .

١٠٧ - وأما الذين ابيضت وجوههم سرورا ، ففي الجنة التي رحمهم الله بها هم فيها خالدون .

١٠٨ - وإن تلك الآيات الواردة بجزاء المحسن والمسيء نتلوها عليك مشتملة على الحق والعدل ، وما الله يريد ظلما لأحد من الناس والجن .

١٠٩ - والله وحده ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتصرفا وإليه مصير أمورهم ، فيجازى كلا بما يستحقه .

١١٠ - أنتم ياأمة محمد أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس ، مادمتم تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصي ، ومؤمنون بالله ايمانا صحيحا صادقا ، ولو صدق أهل الكتاب في إيمانهم منكم لكان خيرا لهم بما هم عليه ، ولكن منهم المؤمنون وأكثرهم خارجون عن حدود الايمان وواجباته .

١١١ - لن يضرركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به ، ويكون له أثر فيكم ، وإن كان قد يحصل منهم أذى لا يبق له أثر ، وإن يقاتلوكم ينهزموا فارين من لقاءكم ، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم مادمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١١٢ - وأخبر سبحانه بأنه الزمهم المهانة في أى مكان وجدوا فيه ، إلا بعقد الذمة الذى هو عهد الله وعهد المسلمين . وأنهم استوجبوا غضب الله والزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم ، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد ، ورضاهم من قبل بقتل الأنبياء الذى لا يمكن أن يكون بحق ، بل هو عصيان منهم واعتداء .

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفُرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْعًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُبْنِفُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَاعْنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰئِنتُمْ أَوْلَاءُ مُّجِبُونَهُمْ وَلَا يُجِيبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ

١١٣ - وان أهل الكتاب ليسوا متساوين ، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله في ساعات الليل وهم يصلون .

١١٤ - ويصدقون بوجود الله ووحدانيته وبالرسل - لا يعبدون الا الله - وبعسى يوم القيامة ويأمرون بالطاعات وينهون عن المعاصي ، ويبادرون إلى فعل الخيرات ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .

١١٥ - وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه والله محيط بأحوالهم ومجازهم عليها .

١١٦ - إن الذين كفروا ، لن تدفع عنهم أموالهم لو اقتدوا بها أنفسهم ، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئاً ولو يسيراً من عذاب الله في الآخرة . وهؤلاء الملازمون للنار ، الباقون فيها .

١١٧ - إن حال ما ينفقه الكفار في الدنيا صدقة أو قربة في ضياعه في الآخرة ، كحال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها ، وهو جحود دلالات الايمان والكفر بالله .

١١٨ - يا أيها الذين آمنوا : لا تتخذوا أصفياء تستعينون بهم من غير أهل دينكم ، تظلمونهم على أسراركم ، لأنهم لا يقصرون في إفساد أموركم . إذ هم يودون أن يرهقوكم ويضروكم أشد الضرر . وقد ظهرت أمارات البغضاء لكم من فلتات السنتهم ، وما تضره قلوبهم أعظم مما بدا قد أظهرنا لكم العلامات التي يتميز بها الولي من العدو ان كنتم من أهل العقل والادراك الصحيح .

قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تَمَسَّكَرْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكَرْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ
 طَافِئَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَرَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُدْعَرَ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

١١٩ - هأنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودة ، ولا يجوزكم لتعصبيهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزلة ، وإذا لقوكم أظهروا الايمان خداعا لكم ، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظا وأسفا . قل أيها النبي : دوموا على غيظكم إلى الموت ، وأن الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

١٢٠ - إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة - تحزنهم ، وإن تصبكم مساءة كجذب وهزيمة يسروا باصابتكم ، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتهم عنه من موالاتهم ، لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر ، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد فلا يعجزه رده عنكم .

١٢١ - واذكر أيها النبي حين خرجت مبكرا من عند أهلك إلى أحد قاصدا إنزال المؤمنين في مراكز القتال والله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم .

١٢٢ - حين خطر لطائفتين من المؤمنين أن تفشلا وترجعا ، فعصمهم الله فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى أمرها بالعصمة والتوفيق ، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة ، وليتوكلوا عليه لينصرهم .

١٢٣ - ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر في غزوة بدر^(١) حين صبروا ، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة ، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة .

١٢٤ - وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين : أئن يكفيكم في طمأنينة نفوسكم اعانة ربكم اياكم بثلاثة آلاف من الملائكة مرسلين من عند الله لتقويتكم .

(١) « بدر على مسيرة نحو ١٢٠ ميلا من الجنوب الغربي للمدينة وكان اللقاء فيها بين المسلمين وقريش في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ من الميلاد المسيحي) وكان خروج النبي ﷺ في اصحابه من المدينة ثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة (٥ مارس سنة ٦٢٤ للميلاد المسيحي) وكان عدد القتالين من المسلمين .. في هذه الغزوة ثلاثمائة رجل أو يزيدون قليلا ، وعدد المشركين ثلاثة امئتهم وقد أنجز الله في هذه الغزوة وعده وكان النصر مالا تفعله القوة المادية . وكان النصر المبين في هذه الغزوة سببا في ان صارت كلمة الايمان هي العليا اذ كانت مقدمة لانتصارات بعدها دامته ظل الاسلام الى الجزيرة العربية كلها . ثم لما وراها بعدها .

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
 عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾
 وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ
 مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

١٢٥ - بل يكفيكم ذلك الامداد، وان تصبروا على القتال، وتلتزموا، التقوى، ويأتكم أعداؤكم على الفور
 يزد ريكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم.
 ١٢٦ - وما جعل الله الامداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وليس النصر إلا من
 عند الله الغالب الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويدبر الأمور لعباده المؤمنين.
 ١٢٧ - وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، أو يذمهم ويفظهم بالهزيمة والعار والخزى،
 فيرجعوا خائبين.

١٢٨ - ليس لك من التصرف في أمر عبادى شىء، بل الأمر لله، فاما أن يتوب عليهم بالايان، أو يعذبهم
 بالقتل والخزى والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون.
 ١٢٩ - ان الله وحده ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا. وهو القادر على كل شىء، وفي يده كل
 شىء، يغفر لمن يريد له المغفرة، ويعذب من يريد تعذيبه، ومغفرته أقرب، ورحمته أرجى لأنه كثير المغفرة والرحمة.
 ١٣٠ - يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا في الدين إلا رهوس أموالكم، فلا تزيدوا عليها زيادة تجسئ سنة بعد
 أخرى فتتضاعف وخافوا الله، فلا تأكلوا أموال الناس بالباطل، فانكم تفلحون وتفوزون باجتناكم الربا قليله
 وكثيره^(١).

١٣١ - واحذروا النار التي هيئت للكافرين باجتنا ما يوجبها من استحلال الربا.

١٣٢ - وأطيعوا الله والرسول في كل أمر ونهى لترحموا في الدنيا والآخرة.

١٣٣ - وبادروا بالأعمال الصالحة، لتناولوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله مالك أمركم، وجنة واسعة عرضها
 كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله وعذابه.

(١) وصف الربا بأنه اضعاف مضاعفة وهذا يدعو إلى الكلام من الناحية الاقتصادية عن الربا فالربا نوعان - ربا النسبية وهو
 ما حرم بالنسبة للقرآن وضابطه كل قرض جرنفعا للمقرض في مقابل النسبية أى التأخير سواء كانت المنفعة نقدا أو عينا كثيرة أو قليلة
 لا كما ذهب إليه القوانين الوضعية من جعل الربا جائزا في حدود معينة ٦٪ مثلا.

أما الربا الفضل فهو بيع ربوي يمتلئ أو زيادة كاردب قبح جيد باردب وكيلتين باتفاق الطرفين ويكون في المطعومات التي تخرج منها
 الزكاة وفي النقدية وتجره ثابت بالمحديث الشريف الذي مر ذكره بحديث آخر عن ابن عمر (لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل
 ولا تبيعوا الورق الا مثلا بمثل سواء بسواء انى اخشى عليكم الرماء اى الربا) وبعض العلماء يرى أن الاول هو الحرم مؤكدا بنص القرآن
 لانه هو الربح المركب الذي يؤكل به الربا اضعافا مضاعفة واما ربا الفضل فحضره قليل ولم يحرم بالحديث لذاته لانه قد يجسر الى
 ربا النسبية وذلك من باب سد الذرائع فهو يباح عند الضرورة والحاجة والربا من الناحية الاقتصادية من أخطر الوسائل على الثروة
 والانتاج لانه وسيلة الى كز النقد والاستكثار منه دون عمل سوى الاتجار به مع أنه في الاصل لم يوجد الا كواسطة تقوم بها المنتجات
 والحاصلات حتى يمكن التبادل عليها وتقييمها بالنسبة لبعضها البعض وديانة اليهود نفسها تحرمه بين اليهودى واليهودى وانما احلوه مع
 الآخرين لمصلحتهم وللأضرار بالآخرين والتحكم في الاقتصاد الدول بشئ ما يصنعون.

وَالْكٰذِبِيْنَ الْغٰثِيْنَ وَالْعٰفِيْنَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا فَحِيْشَةً اَوْ ظَلَمُوْا
 اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوْا اللّٰهَ فَاَسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللّٰهُ لَهٗ لَمْ يَبْرُحْ عَلٰى مَا فَعَلُوْا وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴿١٣٥﴾
 اُولٰٓئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَنِعْمَ اَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ ﴿١٣٦﴾
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ سُنَنٌ فَاَسِرُوْا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُكْذِبِيْنَ ﴿١٣٧﴾ هٰذَا بَيٰنٌ لِّلنَّاسِ
 وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوْا وَلَا تَحْزَنُوْا وَاَنْتُمْ الْاَعْلَوْنَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٣٩﴾ اِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
 مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهٗ ۗ وَتِلْكَ الْاَيَّامُ نَدَاوُهَآ بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَيَخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ

١٣٤ - الذين ينفقون أموالهم ارضاء لله في أحوال الرخاء واليسر، والقدرة والضعف، والعسر، ويحسبون أنفسهم عن أن يؤدي غيظهم إلى إنزال عقوبة بمن أساء اليهم خاصة، ويتجاوزون عن المسيء، انهم بهذا يعدون محسنين، والله تعالى يثبت المحسنين ويرضى عنهم.

١٣٥ - والذين إذا فعلوا خطيئة كبيرة، أو تحملوا ذنبا صغيرا، تذكروا الله وجلاله، وعقابه وثوابه، ورحمته ونعمته، فندموا، وطلبوا مغفرته، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه.

١٣٦ - أولئك المتصفون بهذه الصفات أجرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم، وجنات تجري الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها. ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله.

١٣٧ - قد مضت من قبلكم أيها المؤمنون سنن الله في الأمم المكذبة، بامهالهم، ثم أخذهم بذنوبهم، فتأملوا كيف كان عاقبة أمر المكذبين.

١٣٨ - وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله في الماضين، فيه بيان للناس وارشاد لهم إلى طريق الخير وزجر عن طريق الشر.

١٣٩ - ولا تضعفوا عن الجهاد في سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه، ولا تحزنوا على من يقتل منكم، وأنتم بتأييد الله وإيمانكم، وقوة الحق الذي تدافعون عنه، الأعلون، ولكم الغلب ان صدق إيمانكم ودمتم عليه.

الظالمين ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُونَ عَنْ أَفْعَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٠ - إن يكن قد مسكم « بأحد » قتل أو جراح عميقة في أجسامكم، وأثرت في نفوسكم، فلا تهنوا ولا تحزنوا، لأنه قد أصاب خصومكم مثله يوم بدر. وإن أوقات النصر بصرفها الله بين الناس، فيكون النصر لهؤلاء أحياناً ولأولئك أخرى، اختباراً للمؤمنين، ولتمييز الله الثابتين على الإيمان وليكرم قوماً بالاستشهاد في سبيله، والله لا يجب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم.

١٤١ - وينق الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين، ويطهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الإيمان، ودعاة الهزيمة والتردد، ويستأصل بذلك الكفر وأهله.

١٤٢ - لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد.

١٤٣ - لقد كنتم تطلبون الموت في سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله، فقد رأيتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون.

١٤٤ - لما أشيع قتل محمد في غزوة أحد، هم بعض المسلمين بالارتداد لأنكر الله عليهم ذلك قائلاً: ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله، وسيموت كما ماتوا، وسيمضي كما مضوا، فإن مات أو قتل رجعت على أعقابكم إلى الكفر، ومن يرجع إلى الكفر بعد الإيمان فلن يضر الله شيئاً من الضرر، وإنما يضر نفسه بتعريضها للعذاب، وسيثيب الله الثابتين على الإسلام الشاكرين لنعمه.

١٤٥ - لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله، وقد كتب الله ذلك في كتاب مشتمل على الآجال. ومن يرد منافع الدنيا يؤته منها، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره.

وَكَايِنٍ مِّن نَّهْيِ قَتْلِ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَفَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سُنَّتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِّنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

١٤٦ - وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم ، فاجبت قلوبهم ولا فترت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم في سبيل الله ، لأنهم في طاعته والله يشيب الصابرين على البلاء .

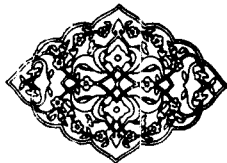
١٤٧ - وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا : ربنا تجاوز عما يكون منا من صفائر الذنوب وكبائرنا ، وثبتنا في مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك ، الكافرين بك وبرسالة رسلك .

١٤٨ - فأعطاهم الله النصر والتوفيق في الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن في الآخرة ، والله يشيب الذين يحسنون أعمالهم .

١٤٩ - يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه ، فيما يدعونكم إليه من قول أو فعل ، يقبلوكم إلى الكفر فتخسروا الدنيا والآخرة .

١٥٠ - والله هو ناصركم ، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين .

١٥١ - ولا يضعفكم ما أصابكم يوم أحد فسنقذ الخوف ، والفرع في قلوب أعدائكم ، لاشراكهم بالله آفة لم ينزل الله بعبادتها حجة ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، ومستقرهم النار في الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاما .



وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
 فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَنْتُمْ كِبَالًا تَحْزَنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ
 عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَنَمِ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
 لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ

١٥٢ - وان نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته ، حتى إذا ضعف رأيكم في القتال ، واختلفتم في فهم أمر النبي اياكم بالمقام في مراكزكم ، فرأى بعضكم ترك موقفه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم امر الرسول فضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخرة ، لما كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم ، ليبتحنكم فيظهر المخلص من غيره ، ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة .

١٥٣ - اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تبعدون في الأرض هاربين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم لترجعوا ، فجازاكم الله حزننا غامرا كالغمة ، توالى على نفوسكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة ، والله عليم بمقاصدكم وأعمالكم .

١٥٤ - ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغنم نعمة أمن ، وكان مظهرها نعاسا يغشى فريق الصادقين في ايمانهم وتفويضهم لله ، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنا من أمر النصر الذي وعدنا به شيء ؟ قل - أيها النبي - الأمر كله في النصر والهزيمة لله ، يصرف الأمر في عباده ان اتخذوا أسباب النصر ، أو وقعوا في أسباب الهزيمة . وهم إذ يقولون ذلك يخفون في أنفسهم أمرا لا يبدونه . إذ يقولون في أنفسهم لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب . قل لهم . لو كنتم في منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا . وقد فعل الله ما فعل في أحد لمصالح جهة ، ليختبر ما في سرائركم من الاخلاص وليظهر قلوبكم ، والله يعلم ما في قلوبكم من الخفايا علما بليغا .

الَّتِي اجْتَمَعَنِ إِيمَانًا اسْتَرْهَمُوا الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ فِطْرًا غَلِيظًا لَلْقَلْبِ لَأُنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَحْذِلْكُمْ فَلاَ نَصْرَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَئِن كَلِمَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَ يَأْتِ

١٥٥ - إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات في أماكنهم - يامعشر المسلمين - يوم التق جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد، انما جرهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم.

١٥٦ - يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا في شأن إخوانهم إذا أبعدوا في الأرض لطلب العيش فاتوا أو كانوا غزاة فقتلوا، لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة في قلوبهم، والله هو الذي يحيى ويميت، ويبيد مقادير كل شيء، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر، وجمازيكم عليه.

١٥٧ - ولئن قتلتم في الجهاد أو متم في أثنائه، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم.

١٥٨ - ولئن متم أو قتلتم في الجهاد فلن تضيع أعمالكم، بل ستحشرون إلى الله فيثيبكم على جهادكم وإخلاصكم.

١٥٩ - كان رحمة من الله بك وبهم أن لنت لهم ولم تغلظ في القول بسبب خطئهم، ولو كنت جاني المعاملة قاسي القلب، لتفرقوا من حولك، فتجاوز عن خطئهم، واطلب المغفرة لهم، واستشترهم في الأمر متصرفاً آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلاً على الله، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه (١).

١٦٠ - إن يؤيدكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد - وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر - كما حصل يوم أحد فلا ناصر لكم سواه، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه.

(١) الشورى أصل أصيل وركن ركين في الإسلام ولقد قيل ماخاب من استخار ولا ندم من استشار والقرآن على نهجه في التشريع يشرع كبريات الامس والقواعد ويدع التفاصيل للجماعة بحسب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظام النيابي في الحكم والنشورى صالحاً لبلاد معينة كإنجلترا وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين أمام البرلمان. لانهم نشأوا على ذلك ومرجع الأمر عندهم تاريخى يتفق مع البيئة التي هم فيها. وقد يكون نظام الحكم الرئاسى وفيه نوع كبير من الشورى مناسباً لبلاد الولايات المتحدة لما تفيقه من نهوض سريع وعدم تعويق التقدم والرق بسقوط الوزارات كما هو حادث في فرنسا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الاخيرة لتتق اكثر من ثلاثة أشهر وقد تكون الشورى على نظام وسط بين الرئاسى والبرلمان كما هو الحال في جمهورية مصر العربية. ؟ فكل دولة وكل جماعة لها ائ تسن طريق الشورى وفق ظروفها أو تاريخها وبيئتها والمهم ان مبدأ الشورى يكون موجوداً خشية تسلط الفرد وتحكمه وطغيانه ولذلك اكتب القرآن بالنص على المبدأ منذ أربعة عشر قرناً سابقاً بذلك كل المدنيات المصرية التي تشدق بالحرية.

بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ أَفَمِنَ آتِيحِ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ
مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٧﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْل لَنِي ضَلَالِي مُبِينٍ ﴿١٦٩﴾ أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ
إِنِ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٠﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ

١٦٦ - ما صح لني أن يخون في المغنم كما أنشاع المنافقون الكذابون ، لأن الخيانة تنافي النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يخن يأت يوم القيامة باثم ما خان فيه ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما عملت وأفيا ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

١٦٧ - ليس من سعى في طلب رضاء الله بالعمل والطاعة ، مثل الذي باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصي جهنم وبئس ذلك المصير .

١٦٨ - ليس الفريقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها .

١٦٩ - لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبي ، بأن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويظهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه في جهالة وحيرة وضياح .

١٧٠ - أجزعتم وتخاذلتم ، وقلتم مستغربين حين أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعفيا يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذي أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول والله قادر على كل شيء ، وقد جازاكم بما عملتم .

١٧١ - إن الذي أصابكم أيها المؤمنون يوم التق جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من إيمان المؤمن حقا .

مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
 لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلَّ قَادِرَةٌ وَأَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
 أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٧ - وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا
 لأجل طاعة الله أو قاتلوا دفاعا عن أنفسكم قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالا لذهبنا معكم - وهم حين قالوا هذا
 القول أقرب للكفر منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون في قلوبهم أنها واقعة ، والله
 أعلم بما يضمرون من النفاق ، لأنه يعلم نتيجة أسرارهم .

١٦٨ - وانهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقعدوا عنه ، وقالوا في شأن اخوانهم الذين خرجوا وقتلوا :
 لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجوا من القتل كما نجونا . قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن
 الحذر كان يمنعكم من القدر .

١٦٩ - ولا تظن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حياة استأثر الله بعلمها ، يرزقون عند ربهم
 رزقا حسنا يعلمه هو .

١٧٠ - يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا ، ويفرحون باخوانهم الذين
 تركوهم في الدنيا أحياء مقيمين على منهج الإيمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات
 محبوب .

١٧١ - تتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبأنه
 لا يضيع أجر المؤمنين .

١٧٢ - الذين لبوا دعوة الرسول إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم في غزوة أحد من الجرح العميق
 وبذلك أحسنوا واتقوا عصيان أمر الله ورسوله فاستحقوا الأجر العظيم في دار الجزاء والنعيم .

١٧٣ - الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشا كثيفا فخافوهم ، فاضعفوا
 وما وهنوا ، بل ازدادوا إيمانا بالله وثقة بنصره ، وكان ردهم : الله كافينا ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نعم من يفوض
 إليه الأمر كله .

فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لِّرَبِّمَسْهُمْ سُوءًا وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ
 الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنَّا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسُرُّونَ فِي الْكُفْرِ
 إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لِمَن هَمَّ حَظًّا فِي الْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِن الَّذِينَ اشْتَرُوا
 الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ
 إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
 الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ بِمَاءِ آتَلَّهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ

١٧٤ - ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكئيب ، ولكن المشركين جنوا عن اللقاء ، فعاد المؤمنون فائزين
 بنعمة السلامة مع الرغبة في الجهاد ، وفوزهم بثوابه ، وفضل الله عليهم في لقاء الرعب في قلوب عدوهم فلم ينلهم
 أذى . وابتغوا رضوان الله فصاروا أهلا لفضله ، والله صاحب الفضل العظيم .

١٧٥ - بين الله سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجنّبوا عن لقاءهم ليسوا إلا أعوانا
 للشيطان الذي يخوف اتباعه فيجعلهم جبناء ولستم منهم . فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله وحده إن كنتم صادقين
 الايمان ، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الايمان .

١٧٦ - لا تحزن - أيها النبي - إذا رأيت الذين يزدادون كفرا ويسرعون بالانتقال من سيء إلى أسوأ ، فهم لن
 ينالوا الله بأى ضرر ، لأنه القاهر فوق عباده ، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيبا من ثواب الآخرة ، ولهم فوق
 حرمانهم هذا الثواب الكريم ، عذاب عظيم .

١٧٧ - إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالايمان ، فابتغوا الكفر وتركوا الايمان ، لن يضرنا الله شيئا ، ولهم
 في الآخرة عذاب مؤلم شديد الايلام .

١٧٨ - لا يحسبن هؤلاء الكافرون أن إمهالنا لهم حين نمد في اعمارهم ونهيي لهم أسباب النعيم في حياتهم
 الدنيا ، خير لهم . فإن اطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار في اكتساب الائم واستحقاق ما أعد
 الله لهم من عذاب مهين .

١٧٩ - ما كان الله ليترككم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق ، حتى يميز بينكم
 بالحنة والتكليف لتروا المنافق الحبيث والمؤمن الطيب ، ولم تجر سنة الله باطلاع أحد من خلقه على شيء من غيبه .
 ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء باطلاعه على ما يشاء من غيبه ، وان تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته
 يدخلكم الجنة جزاء ، ونعم الجزاء إذ هي جزاء عظيم .

هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ

١٨٠ - لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلا منه ، ولا يبذلونه في الواجبات وسبل الخير ، ان البخل خير لهم ، بل انه شر سي العاقبة عليهم ، وسيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة ، وسيكون العذاب ملازما لهم ملازمة الطوق للعتق . وإن كل ما في الوجود يوول لله سبحانه وتعالى وهو المالك له ، وهو سبحانه يعلم كل ما تعملون ، وسيجازيكم عليه .

١٨١ - ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثها ، فقد قال بعض اليهود متهكين ان الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالانفاق ، ونحن أغنياء تنفق أولا تنفق ، لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا وسيقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب النار المحرقة .

١٨٢ - وذلك العذاب بما قدمت أيديهم من الآثام ، وعقاب الله لا يكون إلا عدلا ، فهو لا يظلم العباد أبدا .

١٨٣ - انهم هم الذين قالوا ان الله أمرنا في التوراة الا نؤمن مدعين لرسول إلا إذا دلل على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله ، فقل لهم أيها النبي : ان رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة ، وجاءوا بما اقترحتم ، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم . فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين في وعدكم بالايان عندما يتحقق ما تريدون ؟ .

١٨٤ - وإن كذبوك أيها النبي ، فلا تحزن ، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم تعنتا وعنادا - مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب الساهوية الدالة على صدق رسالتهم .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
 * لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا
 وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
 لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ بِمِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
 وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ

١٨٥ - كل نفس تذوق الموت لا محالة ، وإذا أصابتكم آلام في الدنيا فانما توفون ثوابكم كاملا يوم القيامة .
 ومن قارب النار وزجر عنها فقد نال الفوز . وما الحياة الدنيا الا متاع زائل يفر ولا يبقى .

١٨٦ - تأكدوا أيها المؤمنون أنكم سحتمون في أموالكم بالنقص أو الانفاق ، وفي أنفسكم بالجهاد
 وبالأمراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيرا مما يؤذيكُم من السب والظعن ، وان
 تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، فإن ذلك من الأمور الصالحة التي يجب العزم على تنفيذها .

١٨٧ - واذكر أيها النبي ، إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، وألا يخفوا شيئا من
 آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبيين له ، ومتاع الدنيا مهها يكن
 كالحق البخس الحقيقير في مقابل الهداية والارشاد فقبحا لما فعلوا .

١٨٨ - لا تظنن الذين يفرحون دائما بما يأتون من أفعال قبيحة ومحبون الثناء بما لم يفعلوه ، لا تظنن هؤلاء
 بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم أن يفلقوا على أنفسهم باب الايمان والحق كاليهود ، ولهم عذاب مؤلم يوم
 القيامة .

١٨٩ - الله وحده هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على كل شيء ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم
 ويثيب المحسنين على احسانهم .

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطْلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ

١٩٠ - إن في خلق الله للسماوات والأرض مع ما فيها من ابداع واحكام ، واختلاف الليل والنهار نورا وظلمة وطولا وقصرا ، لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته (١) .

١٩١ - وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون في نفوسهم عظمة الله وجلاله في كل مكان ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتدبرون في خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب قائلين ربنا ما خلقت هذا إلا للحكمة قدرتها وأنت مزه عن النقص ، بل خلقته دليلا على قدرتك ، وعنوانا لبالغ حكمتك ، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك .

(١) « ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » .

« في هذا النص تنبيه الى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق ، ذلك ان السماء هي آية من آيات الله بدت لنا بتأثير الانسعة الشمسية على الغلاف الجوي الذي يحيط بالارض . فعندما تسقط هذه الانسعة على ذرات العناصر الكيماوية التي يتألف منها الجو وعلى ما يحمله هذا الجو من أتربة دقيقة عالقة به تنعكس من هذه الذرات وتلك الاتربة تشتت في جهات مختلفة ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جمع الالوان المرئية . وان هذه الذرات تمتص بعض الالوان من بعضها الآخر .

وقد اتضح من تجارب واعتبارات خاصة بطاقته . ان اللون الاكثر تشتتا هو اللون الأزرق ويتجلى هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس في سمت الراس . وتتناقص زرقة هذا اللون شيئا فشيئا حتى اذا بلغت الشمس الافق اى وقت الغروب أو الشروق . فان انشعاعها يحترق جو الارض في مسافات أطول بكثير . ولهذا فان اللون الاحمر يظهر تشتته اكثر من غيره .

وصفوة القول : ان ضوء النهار يتطلب الانشعاع الشمسي وكمية متناسبة من الغبار الجوي والدليل على ذلك ما حدث سنة ١٩٤٤ حيث اظلمت السماء فجأة في وضع النهار . ولشدة ظلمتها صار النهار كأنه الليل . وظل الامر كذلك زمنا وجيزا ، ثم تحولت السماء الى لون احمر ثم تدرج الى لون برتقالي فاصفر . حتى عادت السماء الى حالتها الطبيعية بعد حوالى ساعة أو أكثر . وقد تبين فيما بعد ان هذه الظاهرة نشأت من تفتت مترتب في السماء فاستحال الى رماد وحملته الرياح الى مسافات بعيدة من اواسط افريقية الى شمالها وتجاوزت الى غربي آسيا حيث شوهدت هذه الظاهرة في اقليم سوريا .

وتفسير ذلك ان الغبار المعلق في الهواء قد حجب نور الشمس فلما قلت كثافته أخذ الضوء في الاحمرار والاصفرار الخ . . ولو ارتفع الانسان في الفضاء فانه سوف يمر بطبقات جوية تختلف خصائصها وبميزاتها بعضها عن بعض فهو يشاهد السماء تأخذ في الزرقة الشديدة شيئا فشيئا حتى اذا مابلغ عتبة الفضاء الخارجى الخالية من المواد التي يتألف منها الغلاف الجوي والاتربة العالقة به بدت له السماء معتمة كأنها ليل على الرغم من وجود الشمس فوق الافق والخلاصة ان هناك سموات متطابقة في هيئة قباب تختلف في خصائصها وألوانها وتمتد الى اقصى اعماق الفضاء وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التي تتجلى في خلقه كل مافي السماوات والأرض . وضوء النهار يتطلب سقوط الأنسعة الشمسية ذرات من الغلاف الجوي الذي يحمل جسيمات من الغبار بكيات متفاوتة وضوء النهار يبلغ من الشدة حدا بحيث يجلب الاضواء الخافتة المنبعثة من النجوم أو من احتكاك الشهب والنيازك بالغلاف الجوي . وعندما تختص انسعة الشمس تحت الافق بمسافات بعيدة فان أضواء النجوم الخافتة تظهر لبعدها الشاسع عنا قليلة التأثير على الغلاف الجوي بحيث لا تحدث نورا يشبه نور النهار .

وينشأ تماكب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ومرجع التفاوت الزمني بين الليل والنهار هو دورة الارض حول الشمس وميل محورها عن مستوى مدارها فتختلف الفترات الزمنية باختلاف الفصول وعروض البلاد . ومن حكمتها جلست قدرته ان التعاقب بين الليل والنهار وتراوحها على فترات قصيرة يؤدي الى اعتدال في درجة الحرارة والمناخ ويهيئ البيئة الصالحة للحياة والاحياء . ولهذا فان اللون الأحمر يظهر بسبب التشمب الناجم عن الغبار المجمى .

أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِعَعْضِكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَفَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ

١٩٢ - يا خالقنا والقائم على أمورنا، والمحافظ لنا، إن من يستحق النار وتدخله فيها فقد أخزته وليس للظالم الذي استحق النار من نصير يمنعه منها.

١٩٣ - يا خالقنا والقائم على أمورنا، والمحافظ لنا اتنا سمعنا رسولك يدعو إلى الايمان بك فأطعناه وآمنا به، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صفائر سيئاتنا واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار.

١٩٤ - يا خالقنا، والقائم على أمورنا، والمحافظ لنا، اعطنا الذي وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتأييد في الدنيا، ولا تدخلنا النار فتخزنا - يوم القيامة - ففسانك ألا تخلف الميعاد.

١٩٥ - فأجاب ربهم دعاءهم، مبينا لهم أنه لا يضيع على عامل منهم ثواب عمله، سواء أكان ذكرا أم أنثى، فالأنثى من الذكر والذكر من الأنثى. فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم، ونالهم الأذى في سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل، وقتل منهم من قتل، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار جزاء كريما عاليا من عند الله، والله - وحده - عنده الثواب الحسن الجميل.

١٩٦ - لا تتأثر - أيها النبي - بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب في التعيم والتصرف في التجارة والمكاسب.

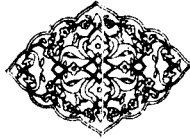
١٩٧ - فإن ذلك متاع، زائل، وكل زائل قليل، ثم يكون المأوى الذي يتهبون اليه جهنم وبئس منزلا

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزِّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمُ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

١٩٨ - ذلك جزاء الكافرين أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار مخلدين فيها ، نازلين في كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .

١٩٩ - إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضاً من اعراض الدنيا مها عظم فهو قليل ، هؤلاء هم الجزاء الأوفى في دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه احصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك وجزاءه نازل بهم لا محالة .

٢٠٠ - أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لهايتها ، وخافوا ربكم ، ففي كل ذلك رجاء فلاحكم .



(٤) سُوْرَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا السُّنَّةُ وَسَبْجُونَ وَمَا نَدَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ الْعِلْمَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَفَتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِشٌ أَوْ مَمْلُوكَاتٌ
أُبْمُنْكَرُ ۚ ذَلِكَ أَذَىٰ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّن لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَكُلُوهُ

١ - يأتيها الناس اتقوا ربكم الذي أوجدكم من نفس واحدة ، وأنشأ من هذه النفس زوجها ، ومنها نشر في الوجود رجالا كثيرا ونساء ، فأنتم جميعا تنتهون إلى تلك النفس الواحدة ، واتقوا الله الذي تستعينون به في كل ما تحتاجون ويسأل باسمه بعضكم بعضا فيما يتبادلون من أمور ، واتقوا الأرحام فلا تقطعوا قريبا وبعيها ، إن الله دائم الرقابة على أنفسكم ، لا تخفى عليه خافية من أموركم ومجازيكم عليها .

٢ - وملكوا اليتامى ما يستحقون من مال ، واحفظوه لهم ، ولا تعطوهم الرديء وتحرموهم الجيد ، ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها إلى أموالكم ، إن ذلك كان اثما كبيرا .

٣ - وإن شعرتم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير ، فخافوا كذلك ألم نساتكم بعدم العدل بينهم ، والزيادة على أربع ، فتزوجوا منهن اثنتين أو ثلاثا أو أربعا إذا وثقتم بالقدرة على العدل ، فإن خفتهم عدم العدل فتزوجوا واحدة ، أو استمتعوا بما تملك أيديكم من الإماء ذلك أقرب إلى عدم الوقوع في الظلم والجور (١) وأقرب الا لكثرة عيالكم فتعجزوا عن الانفاق عليهم .

(١) لم تنفرد الشريعة الإسلامية من بين الشرائع السابوية بمبدأ تعدد الزوجات ، فشريعة التوراة تثبت انه يباح للرجل ان يتزوج من يشاء ، وهي تذكر ان الانبياء كانوا يتزوجون من النساء بال عشرات لابل الاحساد . والتوراة هي كتب العهد القديم الذي يؤخذ به عند النصرى ما لم يوجد نص قد جاء في الانجيل أو رسائل الرسل يخالفها ، ولم يوجد نص صريح في الصالحة ، والكيسة كانت تأذن بالتعدد ولا تعارض فيه في القرون الوسطى وما بعدها ، وملكوا اوروبا الذين عدوا الزوجات معروفين في تاريخها .

وإذا كان الاسلام قد انفرد بشيء في هذا المقام ، فالذي انفرد به انه قيد التعدد ، فهو أول شريعة سماوية قيدت التعدد صراحة ، فقد قيده بثلاثة أمور : اولها الا يزيد عن أربع ، وثانيها الا يكون فيه ظلم لاحداهن ، وثالثها ان يكون قادرا على الانفاق . والشرطان الاخيران لازمان في كل زوج ولو كان الاول ، فقد قرر فقهاء المسلمين على اختلاف فرقههم بالاجماع انه يحرم الزواج على من يتأكد انه لا يصدل مع زوجته اذا تزوج غير ان ذلك التحريم ديني لا يقع تحت سلطان القضاء ، لان العدل أمر نفسي لا يعلم الا من وجهته ، والقدرة على الانفاق امر نسبي لا يحد بيزان واحد ، ولذلك ترك الامر فيها الى تقدير الشخص وهو اثم عليه العقاب يوم القيامة ان خالفه ، ولأن الظلم أو العجز عن الانفاق أمور تتعلق بالمستقبل ، والمقود لا تنبئ صحتها على أمور متوقفة ، بل تنبئ على أمور واقعة ، والظالم قد يكون عادلا ، والصاجر =

هِنِيئًا مَرِيئًا ④ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ⑤ وَأَبْلُوا الَّتِي لَكُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا

٤ - وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة ، وليس لكم حق في شيء من هذه المهور ، فإن طابت نفوسهن بالزول عن شيء من المهر فخذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبة .

٥ - ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف في المال أموالهم التي هي أموالكم ، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يعينكم أمره وإصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة ، وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذي يحتاجون إليه في الطعام ، وأكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم قولاً يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .

= في المال قد يكون قادرا ، فالمال غاد ورائح ، ومع ذلك قرر الاسلام ان الرجل اذا ظلم امرأته أو عجز عن الاضاق عليها كان لها طلب التفريق ولكن لا يمنعا من العقد اذا دخلت راضية مختارة في انشائه .

والاسلام اذ قد فتح باب التعدد مع التضييق فيه على ذلك النحو قد دفع ادواء اجتماعية : فأولا - قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج ، وخصوصا عقب الحروب المنيية ، فقد لوحظ في بعض الدول الاوربية ان عدد الرجال الصالحين بعد الحرب يعادل واحدا الى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة ان تكون زوجة ولو مع اخرى بدل ان تكون حائرة بين أحضان الرجال .

وثانيا - قد يكون بين رجل وامرأة مالا يستطيعان معه الا تكون بينهما علاقة شرعية أو أئمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية ان تكون شرعية ، وخير للمرأة ان تكون زوجة من ان تكون خليلية تنتقل بين أحضان الرجال ، واذا كانت هذه صورة شوهاء للتعدد ، فانه فيها خير من عدم التعدد فان التعدد على اقتبح صورته يدفع شرا اجتماعيا أعظم منه .

وثالثا - لا يمكن ان تقبل امرأة الزواج من متزوج الا اذا كانت مضطرة الى ذلك اضطرارا ، فاذا كانت الزوجة الاولى ينالها ضرر بالزواج بالثانية ، فانه الثانية ينالها ضرر أشد بالحرمان اذ تموت انوتها أو تكون ضياعا بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر القليل .

رابعا - قد تصاب الزوجة بمرض لا تكون معه صالحة للعلاقة الجنسية ، أو تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية والشخصية التزوج من أخرى .

لهذه المعاني ولغيرها فتح الاسلام الباب مضيقا ، ولم يفلقه تماما .

ان الاسلام شريعة الله الذي يعلم كل شيء ، فهو العليم الحكيم .

إِسْرَافًا وَيَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
 أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
 مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
 ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
 فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ إِن كَانَ كُنَّ نِسَاءً
 فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
 إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِلَّذُنثَىٰ ثُلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلنِّسَاءِ السُّدُسُ مِنْ

٦ - واختبروا عقول اليتامى وتبينوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ، حتى إذا أصبحوا صالحين
 للزواج وتبينتم رشدهم وسدادهم فادفعوا إليهم أموالهم، ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا
 وترد إليهم. ومن كان من الأوصياء عليهم غنيا فليتعفف عن أموال اليتامى، ومن كان فقيرا فليكتف بقدر
 ما يكفيه عرفا، فإذا سلمتموهم أموالهم فاشهدوا عليهم، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب، وكفى به حسيبا
 ومراقبا.

٧ - للرجال نصيب من الأموال التي يتركها الوالدان والأقربون - ميراثا - وللنساء أيضا نصيب مما ترك
 هؤلاء دون منع أو بخس، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة قلت الأموال أو كثرت.

٨ - وإذا حضر قسمة التركة بعض الأقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين، فاكموهم بإعطائهم
 شيئا من هذه التركة تطيبا لنفوسهم، ونزعا للحسد من قلوبهم، وبحسن أن يشفع هذا العطاء بلين القول وحسن
 الاعتذار.

٩ - وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع
 اليتامى، وليتقوا الله فيهم، وليقولوا قولا مسددا نحو الحق، غير ظالم لأحد.

١٠ - إن الذين يظلمون اليتامى بأخذ أموالهم في غير حق، انما يأكلون ما يؤديهم إلى النار، فسيعذبون يوم
 القيامة بنار شديدة الايلام.

بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ ءَابَاؤِكُمْ ءَوَبَنَاتِكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّفَ
كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكِنْ نَصْفٌ مَّا تَرَكَ آزُوجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينِ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا
أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

١١ - بأمركم الله في شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا تم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الانثيين إذا كان الأولاد ذكورا واناثا . فإن كان جميع الأولاد إناثا يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة . ويفهم من مضمون الآية أن الانثيين نصيبها كنصيب الأكثر من إثنين . وإن ترك بنتا واحدة فلها نصف ما ترك . وإن ترك أبا وأما فللكل منها السدس إن كان له ولد معها ، ولد ذكر أو أنثى . فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث والباقي للأب . فإن كان له فلأمه السدس والباقي للأب ولا شيء للأخوة . تعطى هذه الأنصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به في حدود ما أجازاه الشارع ، هذا حكم الله فإنه عدل وحكيم ، وأنتم لا تدرُونَ الأقرب لكم نفعاً من الآباء والأبناء ، والخير فيما أمر الله ، فهو العليم بمصالحكم الحكيم فيما فرض لكم .

١٢ - للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية توصى بها أو دين . وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد ، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصى بها أو دين ، وولد الابن كالولد فيما تقدم . وإن كان الميت رجلاً أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أم أو أختاً لأم فللكل واحد منها السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوى في ذلك ذكورهن وأنثاهن بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التي عليه وتنفيذ الوصية التي لا تضر الورثة وهي التي لا تتجاوز ثلث الباقي بعد الدين ، فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به فإنه عليم بمن جار أو عدل منكم ، حليم لا يعاجل الجائر بعقوبة .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَاهَا مِنْكُمْ

١٣ - تلك الأحكام المذكورة في بيان الموارث وما سبقها، شرانع الله التي حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها، ومن يطع الله ورسوله فيا حكم به كان جزاؤه الجنة التي تجرى فيها الأنهار خالدا فيها وذلك الفوز العظيم^(١).

١٤ - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود ما شرعه مستبيحا ذلك التعدي، يجزه نارا مخلدا فيها، يعذب بها بدنه، إلى جانب عذاب مهين تتألم به روحه.

١٥ - واللاقي يأتين الزنا من النساء ان شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يسكن في البيوت محافظة عليهن ودفعاً للفساد والشر حتى يأتين الموت أو يفتح الله لهم طريقا للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة.

(١) نظام الميراث الذي بينه القرآن الكريم أعدل نظام للتوريث عرف في كل قوانين العالم، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون في أوروبا، وهو دليل على ان القرآن من عند الله، إذ أنه لم يكن مثله ولاقريب منه معروفا عند الفرس ولا عند الرومان، ولا في أي شريعة أخرى قبله، وقد اتبع فيه النظم العادلة الآتية:

أولها - انه جعل التوريث ينتظم الشارح لا بإرادة المالك، من غير ان يجعل هذه الإرادة، بل جعل له الوصية بالمعروف في الثلث ليتدارك تقصيرا دينيا فاته، كزكوات لم يؤدها، أو ليعين بعض ذوى الحاجة عن تربطه به صلة مودة أو قرابة لا تستحق ميراثا، ومنع الوصية إذا كان الباعث عليها معصية أو تخريضا على الاستمرار في معصية، وتولى الشارح توزيع الثلثين ان كانت وصية، أو توزيع الكل إذا لم تكن وصية، أو كانت بأقل من الثلث فوزع الشارح الباقي.

وثانيتها - أنه في توليه سبحانه توزيع الثلثين اعطى الاقرب فالأقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير، ولذلك كان الأولاد أكثر حظا من غيرهم في الميراث، لانهم امتداد لشخص المالك، ولأنهم في الغالب ضعاف، ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث، بل يشاركونهم الأم والجدة، والأب، والجد، وان كانوا يأخذون أقل من الأولاد.

وثالثها - انه يلاحظ في التوريث مقدار الحاجة، ولذلك كان نصيب الأولاد أكبر، لانهم أكثر احتياجا، إذ هم مقبلون على الحياة، والآباء والأمهات مدبرون عنها.

وان ملاحظة الحاجة هي التي جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل في أكثر أحوال الميراث، إذ ان التكاليف المالية التي يطالب بها الرجل أكبر، فهو المطالب بنفقة الاولاد واصلاحهم، وهو المطالب بنفقة المرأة، إذ أن الفطرة الانسانية هي التي جعلت المرأة قواما على البيت وتدييره، ورعاية الاولاد، وتهيئة راحتهم، وجعلت الرجل كادحا يعمل خارج البيت، ويقدم المال المطلوب ليزانية الأسرة.

وان الاعطاء على مقدار الحاجة هو العدل، والمساواة مع تفاوت الحاجة هي الظلم.

ورابعها - ان الشرع الاسلامي في توزيعه للتركة يتجه الى التوزيع دون التجميع، فلم يجعلها للولد البكر، ولم يجعلها للابناء دون البنات، ولا للاولاد دون الآباء، ولم يحرم من ليسوا من عمود النسب، كالاخوة والاعمام وأبناء الاعمام وان بعدوا، فالميراث يمتد الى مايقارب القبيلة، ولكن يأخذ الأقرب فالأقرب، ولا يوجد في مسائل الميراث ان ينفرد به واحد الا نادرا.

وخامسها - انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجري عند العرب، بل لها ميراث، وفي ذلك احترام للمرأة واعطائها حقوقها، وفوق ذلك لم يمنع الاسلام قرابة المرأة من الميراث، بل ورت القرابة التي تكون من جانبها، كما ورت القرابة التي تكون من جانب الأب، فالأخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الأشقاء، بل في بعض الأحيان يأخذ الأولاد لأم ولا يأخذ الاخوة والأخوات، وهذا بلا شك تكريم للأمم، واعتراف بقرابتها، ولم يكن ذلك معروفا من قبل، ولكنها شريعة الله العليم الحكيم.

فَعَاذُوهُمْ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا ءَاتَاخُذُوهُنَّ بِهِنَّ وَأِنَّمَا مَبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ

١٦ - والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلها عقوبة محدودة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود
أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكرها بما ارتكبا ولا تعيروها به . إن الله يقبل برحمته توبة التائبين .
١٧ - إنما التوبة مضمونة عند الله للذين يعملون السيئات في حال الحماقة والطيش وعدم التبصر ، ثم يبادرون
بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطئ في
تقدير .

١٨ - وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ثم لا يبادرون بالندم عليها ، إلى أن يحضر أحدهم الموت
فيقول : انى اعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين
عذابا مؤلما في دار الجزاء .

١٩ - يأبها الذين آمنوا لا يجوز لكم ان تجعلوا النساء كالمناج ، فترتوهن زوجات لكم من غير صداق ، وهن
كارهات ، ولا تظلموهن بالتضييق عليهن ليزلن عن بعض ما آتيتوهن من مهور ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا
بعض ما آتيتوهن من مال إلا أن يرتكبن اثما بينا بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن أو
تأخذوا بعض ما آتيتوهن عند الفراق ، وعليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساتكم قولا وعملا فإن كرهتموهن
لعب في الخلق أو الخلق أو غيرها فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن فعى أن يجعل الله في المكروه لكم خيرا كثيرا
وعلم الأمور كلها عند الله .

٢٠ - وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى واعطيتم واحدة منهن مالا كثيرا فلا يحل لكم أن تأخذوا
منه شيئا ، أتأخذونه على وجه البطلان والاثم المبين ؟ .

مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهُتُم نِسَابِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ اللَّاتِي فِي جُورِكُمْ مِّنْ نِّسَابِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ قَا أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ ۚ مِنْهُنَّ فَعَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ ۚ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ

٢١ - وكيف يسوغ لكم ان تستردوا ما أعطيتم من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض وأخذن منكم عقدا قويا موثقا أحل الله به العشرة الزوجية .

٢٢ - ولا تتزوجوا - أيها الأبناء - ما تزوج آباؤكم من النساء ، انه كان أمرا فاحشا القبيح ، يفتته الله والناس ، وهو أسوأ سبيل ومقصدا ، وان الله يعفو عما قد سلف منكم في زمن الجاهلية^(١) .

٢٣ - حرم الله عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم ، والمهرمات لغير النسب : أمهات الرضاعة ، والأخوات من الرضاعة^(٢) ، وأمهات الزوجات وبنات الزوجات من غير الأزواج إذا دخل بهن ، وزوجات أبناء الصلب ، والجمع بين الأختين ، وما سلف في الجاهلية فإنه معفو عنه . إن الله غفور لما سلف قبل هذا النهج ، رحيم بكم فيما شرع لكم .

(١) كان عند العرب في الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها ظلم شديد ، وفيها قطع للعلاقة التي تربط بين الأسرة ، فكان الرجل إذا مات أبوه وكان متزوجا غير أنه يفرض عليها زواجها منه ، أو يرث زواج أبيه من غير عقد يعقده عليها جديد ، وكان الرجل إذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما أعطها من مهر طالما معتديا . ومنهم من كان يعمل على منعها من الزواج بغيره معتديا أيضا ، ولا نصير لها في ذلك الوسط ، فجاء الاسلام ، ودفع عنها ذلك الظلم البين ، ونهى عن أن يرث زواج النساء . وان يسترد شيء من المهر ، ولو كان قطارا ، ونهى عن العضل وهو منع المرأة من الزواج أو ايدائها لحملها على طلب الطلاق بما لم تعطه . وكان من الجائز عندهم ان الرجل يتزوج من تزوجها أبوه وافترق عنها بطلاق أو نحوه ، فهى الاسلام عنه ، وسماه مقنا ، لأنه أمر فاحش القبيح ، يفتته الله ، ويعفته أهل العقول المستقيمة ، وذلك عدل الله .

(٢) اختلفت شريعة القرآن من بين الشرائع القائمة بالتحريم بسبب الرضاعة ، لأن الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه في بطنها فكلاهما يكون أجزاء جسمه ، ولا فرق بين تكوين في الحجر ، وتكوين في البطن ، وفي التحريم بالرضاعة تكون للرضع إذ تكون كالأم في التحريم ، وفي هذا تشجيع على الارضاع الذي هو الغذاء الطبيعي للأطفال في المهد .

تسبق هذه الآية الشريفة علم الوراثة فيما قرره من تحريم زواج الاقارب ، وقد ثبت علميا أخيرا ان زواج الأقارب يسبب ذرية =

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ
 أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَانكِحُنَّ حَيْثُ يَفْلَحُشَبَّةٌ
 فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
 وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

٢٤ - وحرّم عليكم نكاح المتزوجات من النساء عامة ، حرائر وغير حرائر إلا من سبيتم وملكنتم منهن في
 حرب بينكم وبين الكفار ، فإن نكاهن السابق يفسخ بالسبي فيصرن حلالا لكم بعد إستبراء ارحامهن ، فالزموا
 ما كتب الله عليكم في تحريم ما حرم ، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات ، أن تتطلبا بأموالكم نساء تزوجون
 بهن ، لا تقصدون الزنا أو المحادثة ، فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن أحل الله لكم الدخول بهن فوفوهن
 مهورهن التي قدرتم لمن حقا عليكم لا تسامح فيه تؤدونه في موعد ، ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من
 تنازل زوجة عن بعض مهرها أو زيادة زوج فيه . إن الله كان ولم يزل مطلقا على شئون العباد ، مدبرا لهم في
 احكام ما يصلح به أمرهم .

٢٥ - ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن إلى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات ،
 والله أعلم بحقيقة إيمانكم واخلاصكم ، ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم وهن سواء في الدين ، فتزوجوهن بإذن
 أصحابهن وأدوا اليهن مهورهن التي تفرضونها لمن حسب المجهود بينكم في حسن التعامل وتوفية الحق ، واختاروهن
 عفيفات ، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خلية ، فإن اتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرّة . وإباحة
 نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع
 العفة خير لكم ، والله كثير المغفرة عظيم الرحمة .

٢٦ - يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورجباتهم الفاجرة من قبلكم ،
 ويرجع بكم إلى طريق طاعته والله مطلع على شئونكم ، مدبر في أحكامه لما يصلح أمركم .

٢٧ - والله يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورجباتهم الفاجرة من الكفار
 والعصاة أن تبعدوا عن طريق الحق بعدا شديدا .

== أفرادها على استعداد للأمراض وبهم عيوب خلقية ، وأن درجة التناسل تقل حتى تصل إلى العقم أما زواج الأباعد فانه يأتي بنتائج على
 عكس ذلك كما تزيد عليها نتيجة عرفت باسم قوة الخليط ، ويقصد بها ان النسل الناتج من رتبة الأباعد يفوق كلاً من أبويه في كثير من
 صفاته ، كما يمتاز النسل كذلك بزيادة الوزن وقوة مقاومته للأمراض وسرعة النمو وقلة الوفيات .

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
 مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا تُهِنُونَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
 وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ
 وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ
 وَلِلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْمَالَ مِن بَيْنِ أَيْدِينَا وَلِلَّذِينَ تَبَوَّءُوا الصَّالَةَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَأَلْفَافًا مِّنْهُم مَّا فَضَّلْنَا
 عَلَيْهِمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا

٢٨ - يريد الله أن يبسر عليكم بتشريع مافيه سهولة لكم ، وتخفيف عليكم ، وقد خلق الله الانسان ضعيفا امام غرائزه وميوله ، فيناسبه من التكاليف مافيه يسر وسعة . وذلك هو مايكلف الله عباده فضلا وتيسيرا .

٢٩ - يا ايها الذين آمنوا لا ياخذ بعضكم مال بعض بغير الحق . ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضي منكم ، ولا تهلكوا انفسكم بمخالفة اوامر ربكم ، ولا يجنى أحدكم على أخيه فانما هي نفس واحدة ، ان الله دائم الرحمة بكم .

٣٠ - ومن يقدم على فعل ما حرم الله اعتداء وتجاوزا لحقه ، فسوف ندخله نارا يحترق فيها ، وكان ذلك على الله هينا يسورا .

٣١ - ان تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التي ينهاكم الله عنها فمح عنكم مادونها من السيئات والصفائر مادتم باذلين جهدكم في الاستقامة ، ونزلكم في الدنيا والآخرة منزلا فيه احسان لكم وتكريم .

٣٢ - ولا يتطلع الرجال الى ماميز الله به النساء ، ولا النساء الى ماميز به الرجال ، فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما أضيف اليه من الحقوق ، فليتجه كل الى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على ما ينطبق به . ان الله كان عالما أتم العلم بكل شيء ، وقد اعطى كل نوع ما يصلح له .

٣٣ - ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركهم يكونون خلفاء لهم ، وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه أن يرثوه اذا مات من غير قرابة ، وينصروه اذا احتاج الى نصرتهم في مقابل ذلك ، فأتوا كل ذى حق حقه ولا تنقصوه شيئا ، ان الله كان رقيبا على كل شيء ، حاضرا معكم ، يشهد ماتصرفون به .

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحَتْ قَلْبَتُكَ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَالَّتِي تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنَ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي آتَاهُمُ اللَّهُ لِيُزَكِّيَهُمْ
وَلِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ

٣٤ - الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء ، والقيام بشؤونهن بما أعطاهم الله من صفات تبيينهم للقيام بهذا الحق ، وبسبب أنهم هم الذين يكدون ويكدحون لكسب المال الذي ينفقونه على الأسرة ، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه هن . والزوجات اللاتي تظهر منهن بوادر العصيان ، فانصحوهن بالقول المؤثر ، واعتزلوهن في الفراش ، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولا مهين عند التردد ، فان رجعن الى طاعتكم في أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تطلبوا السبيل التي هي أشد منها بغيا عليهن ، ان الله فوقكم وينتقم منكم اذا أذيتوهن أو بغيتن عليهن .

٣٥ - وان حدث خلاف بين الزوجين وخفت منه حدوث اشقاق بينها يعرضها للانفصال ، فاختروا حكيم . أحدهما من أهله والآخر من أهلها ، ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينها في الوصول الى ما هو خير للزوجين من معاشرة بالمعروف أو تسريح باحسان . ان الله كان مطلعاً على ظواهر العباد وبواطنهم .

٣٦ - واعبدوا الله وحده ، ولا تجعلوا معه شريكا في الألوهية والعبادة ، وأحسنوا الى الوالدين احسانا لاتقصير فيه ، والى اقربائكم والى اليتامى ، والذين افتقروا بسبب عجزهم او ذهاب الكوارث باموالهم ، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبي ، والرفيق لك في عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذي لاقرار له في بلد معين ، وبما ملكتم من الأرقاء فتيانا وفتيات . ان الله لا يحب من كان متعاليا على الناس : لاتأخذه بهم رحمة ، كثير التحد بنفسه .

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيعًا النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعَهَا وَيُؤْتِ
 مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَدْعُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ لَوْ سُوءِ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا
 الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۗ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ
 عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

٣٧ - أولئك الذين يضمون الى التكبر والتباهى البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس الى مثل صنيعهم من البخل ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفعون أنفسهم ولا الناس بذلك ، وقد أعدنا للجاحدين أمثالهم عذابا مؤلما مذلا .

٣٨ - والله لا يحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظموهم ، وهم غير مؤمنين بالله ولا بيوم الجزاء ، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلهم ، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس صاحب .

٣٩ - ألا قبحا لهؤلاء ، فالذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الايمان ، وما يقتضيه من اخلاص النية ورجاء الثواب . والله عالم كل العلم ببواطن الأمور وظواهرها .

٤٠ - ان الله لا يظلم أحدا شيئا فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد في عذابه شيئا ، ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت ، ويعطى من فضله عطاء كبيرا غير مقابل بالحسنات التي يضاعفها .

٤١ - فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عما أمر الله به ، اذا جئنا يوم القيامة بكل نبي شهيدا على قومه ، وجئنا بك - يا أيها النبي - شهيدا على قومك وفيهم المانعون والمعرضون ؟

٤٢ - يوم يحدث هذا ، يود الجاحدون المعرضون لو يغيثون في الأرض كما يغيث الأموات في القبور ، وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شؤونهم ، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم .

بُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُسْتَرُونَ
الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَوْنِي بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَوْنِي بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مَن
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرِ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَهَا

٤٣ - بأياها الذين آمنوا لاتأتوا الصلاة في المساجد حال سركم حتى تفقهوا ماتقولون ، ولاتدخلوا المساجد وأنتم على جنابة إلا اذا كنتم عابرين المساجد عبورا دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال ، وان كنتم مرضى لاتستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو ببطء البرء ، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء ، فاقصدوا التراب الطيب ، وكذلك اذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو أتيتم النساء فلم تجدوا ماء تطهروا به لفقده ، فاقصدوا ترابا طيبا كذلك فاضربوا به أيديكم ، واسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة .

٤٤ - ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من الكتب السابقة ، يتركون الهدى وبيتنفون الضلالة في شأن أنفسهم ، ويريدون منكن أن تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم .

٤٥ - والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين ، وأخبر بما تنطوى عليه نفوسهم وولاية الله تحميكم وتكفونكم وتكفيكم ، فلا تطلبوا ولاية غير ولايته وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه .

٤٦ - من اليهود فريق يميلون الكلام عن معناه ، ويقولون في أنفسهم للنبي : سمعنا القول وعصينا الأمر . ويقولون اسمع كلامنا - لاسمعت دعاء - يدعون بذلك على النبي ويقولون (اسمع غير مسمع) فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له .

ويقولون (راعنا) يلوون بها ألسنتهم يوهمون أنهم يريدون « أنظرنا » فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويطنون وصفه بالرعونة ، ويطنون بذلك في الدين لوصف مبلغه بالرعونة .

ولو أنهم استقاموا وقالوا (سمعنا وأطعنا) بدل قولهم (سمعنا وعصينا) وقالوا (اسمع) دون ان يقولوا (غير مسمع) ، وقالوا (أنظرنا) بدل (راعنا) لكان خيرا لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلا ، ولكن الله طردهم من رحمته باعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الايمان الا عددا قليلا .

عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ
 مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرَكَّبُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلَىٰ اللَّهُ
 يُرَكِّبِي مِنْ يَسَاءٍ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ وَكُنِّي بِهِ ۚ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَّةِ وَالطَّلْحُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ
 مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ
 مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ

٤٧ - يأبها الذين أوتوا الكتاب الذي أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن نزل بكم عقابا تمنحى به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها ، لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب ، أو نظردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء الله نافذا لا مرد له .

٤٨ - ان الله لا يغفر الاشرار به ، ويعفو عما دون الاشرار من الذنوب لمن يشاء من عباده ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفتريا على الله - ذنبا كبيرا لا يستحق معه الغفران .

٤٩ - لاتعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعمالهم ، فنبين لهم سوء عملهم فيرونه حسنا ، ويشنون على أنفسهم مزكين لها ، والله وحده هو الذى يعلم الخبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولا يظلم أى انسان قدره مها كان ضيلا .

٥٠ - كيف يختلقون على الله الكذب بهذا ومثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويتهم .

٥١ - ألتعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من علم الكتاب ، يرضون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان انهم أهدى من أهل الايمان طريقا .

٥٢ - أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمة ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمة فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .

٥٣ - لقد حرم هؤلاء نعمة الازعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه مانفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضيلا .

إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبَ وَالْحَكِيمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ءَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ

٥٤ - كيف يستكثر هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله ببعث النبي منهم ، مع أن الله قد آتى إبراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوهم - الكتاب المنزل والنبوة والملك العظيم .

٥٥ - فن الذين بعث فيهم إبراهيم وآله من آمن بالكتاب المنزل اليهم ، ومنهم من أعرض عنه ، وحسب هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون نارا حامية .

٥٦ - ان الذين جحدوا حججنا البينات ، وكذبوا الأنبياء ، سوف ندخلهم النار التي تكوى بها جلودهم ، وكلما فقدت الاحساس بالعذاب بدلمهم الله جلودا غيرها جديدة ليستمروا في ألم العذاب ، ان الله تعالى غالب على أمره ، حكيم في فعله ، يعذب من جحد به وأصر على ذلك حتى مات^(١) .

٥٧ - والذين صدقوا بما جاءهم من ربهم وعملوا الأعمال الصالحة ، سنثيبهم على ايمانهم وعملهم ، فندخلهم جنات تجري تحت أشجارها الأنهار ، لانتتهى حياتهم فيها أبدا ، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس ، ونحبيهم حياة ناعمة في ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم .

٥٨ - ان الله يأمركم أيها المؤمنون أن توصلوا جميع ما أتمنتم عليه من الله أو الناس الى أهله بالعدل ، فلا تجوروا في الحكم . هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها ، فنعمت الموعظة التي يعظكم بها . ان الله دائما سميع لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من أدى الأمانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل أو جار فيجازى كلا بعمله .

(١) تدل الآية الكريمة على شدة العذاب الذي يمرض له اصحاب النار بدليل ما تقره الحقيقة العلمية من أن الاعصاب المنتشرة في طبقات الجلد هي أكثر الأعصاب حساسية لمتنفس المؤثرات من حرارة وبرودة .

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ أَمُرُوا أَنْ يُكْفَرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

٥٩ - يأياها الذين صدقوا بما جاء به محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والذين يلون أمركم من المسلمين القائم بالحق والعدل والمنفذين الشرع، فان تنازعتم في شئ فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمه، فانه انزل عليكم كتابه وبينه رسوله، وفيه الحكم فيما اختلفتم فيه، وهذا مقتضى ايمانكم بالله واليوم الآخر، وهو خير لكم، لأنكم تهتدون به الى العدل فيما اختلفتم فيه، واحسن عاقبة، لأنه يمنع الخلاف المؤدى الى التنازع والضلال.

٦٠ - ألتعجب - أيها النبي - من الذين يدعون أنهم صدقوا بما أنزل عليك من الكتاب وما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصوماتهم الى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا اليه، ويريد الشيطان ان يصددهم عن طريق الحق والهدى، فيضلهم عنه ضلالا بعيدا.

٦١ - واذ قیل لهم أقبلوا على ما أنزل الله من قرآن وشريعة، وعلى رسوله ليبين لكم، رأيت الذين ينافقون يعرضون عنك اعراضا شديدا.

٦٢ - فكيف تكون الحال اذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء اعمالهم، ولم يجحدوا ملجأ الا اليك، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق.

٦٣ - أولئك الذين يقسمون أنهم لا يريدون الا الاحسان والعمل الموفق، يعلم الله حقيقة ما في قلوبهم وكذب قولهم، فلا تلتفت الى كلامهم وادعهم الى الحق بالموعظة الحسنة، وقل لهم قولاً حكماً بالفا يصل الى أعماق نفوسهم.

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوْجِدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

٦٤ - وما أرسلنا من رسول الا كان الشأن في رسالته ان يطاع ، وان تكون طاعته باذن من الله وان من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالما لنفسه ، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا الى الهدى فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجوت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى كثير القبول للتوبة رحما بعباده .

٦٥ - فوربك لا يعدون مؤمنين بالحق مدعين له ، حتى يجعلوك حكما فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، واذعنوا لك اذعان المؤمنين المصدقين .

٦٦ - ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يعرضوا أنفسهم للتلطف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائما ، ما أطاع الا عدد قليل ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يكلف الا ما تحتمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان في ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدي الى تثبيت الايمان ، والاستقرار والاطمئنان .

٦٧ - واذا قاموا بحق التكليف الالهى الذى يكون في وسعهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .

٦٨ - ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله الى الطريق المستقيم الذى لا افراط فيه ولا تفریط .

٦٩ - ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرها والرضا بحكمها ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق في الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء في سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما أحسن هؤلاء رفقاء لا يشق جليسهم ، ولا يمل حديثهم .

وَكَفَى بِاللَّهِ عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ
 لَيُبَاطِلُنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَيْنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
 لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِغُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ

٧٠- تلك الميزة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هي الفضل الكبير من الله ، وهو عليم بالأعمال ومثيب عليها ،
 ويكفي المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

٧١- يأيها الذين آمنوا كونوا في حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأهبة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات
 متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

٧٢- واحذروا المشبطين المعوقين فان ممن يعيش معكم من يشبط عن القتال ويتخلف عنه ، فان أصابكم نكبة
 في الجهاد ، قال ذلك الفريق المتخلف شامتا: قد أنعم الله على اذلم أشهد معهم هذا القتال .

٧٣- وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال ، قال ذلك الفريق - متحسرا متمنيا الأمانى -
 باليتنى كنت معهم في هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .

٧٤- اذا كان منكم من يعوق أو يبطل ، لضعف في ايمانه ، او خور في عزمته . فليقاتل في سبيل اعلاء كلمة
 الله والحق الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل في سبيل اعلاء كلمة الله والحق فسينال
 احدى الحسنين فاما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد في سبيل الله ، أو ينتصر فينال فضل الفوز في الدنيا ، وهو
 في كلتا الحالتين يؤتيه الله أجرا عظيما في الآخرة .

٧٥- كيف يسوغ لكم الاتقاتلوا في سبيل الله ، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون
 ويستنصرون ضارعين الى الله يقولون : ربنا اخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكنا بقوتك ورحمتك من أن نكون
 تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرونا .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
 الرَّ تَرَى إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يُحْشَوْنَ النَّاسَ تَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ
 الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيِنَّمَا تَكُونُونَ يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
 مُّشِيدَةٍ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ
 مَنْ عِنْدَ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
 مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

٧٦ - الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له يقاتلون في سبيل اعلاء كلمة الله والعدل والحق والذين جحدوا أو عاندوا يقاتلون في سبيل الظلم والفساد وبذلك كانوا أولياء الشيطان ، فيأبها المؤمنون قاتلوهم لأنهم أعوان الشيطان وأنصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله ، لأن تدبير الشيطان مها عظم فساده ضعيف ، والغلبة للحق .

٧٧ - ألم تنظر يا محمد فتعجب الى الذين رغبوا في القتال قبل ان يجيء الاذن به فليل لهم : لم يأت وقت القتال : فكفوا أيديكم عنه ، واحرصوا على اقامة الصلاة وابتاء الزكاة ، فلما فرض الله عليهم القتال اذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد . وقالوا مستغربين : لم كتبت علينا القتال ؟ متوهين أن في فرضية القتال تعجلا لآجالهم ، ولذلك قالو : هلا أخرتنا الى زمن قريب نستمتع فيه بما في الدنيا ؟ فقل لهم : تقدموا للقتال ولو أدى الى استشهادكم ، فتاع الدنيا مها عظم قليل بجوار متاع الآخرة ، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله وستجزون على اعمالكم في الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مها صغر .

٧٨ - ان الموت الذي تفرون منه ملاقيكم اينما كنتم ، ولو كانت اقامتكم في حصون مشيدة وأن هؤلاء الخائرين لضعف ايمانهم يقولون : ان أصابهم فوز وغنيمة : هي من عند الله ، وان أصابهم جدد أو هزيمة يقولوا لك يا محمد هذه من عندك ، وما كان بشؤمك . فقل لهم : كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون فهو من تقدير الله ومن عنده اختبار وابتلاء ، فاهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولا صحيحا يتحدث به اليهم .

٧٩ - ما يصيبك - أيها النبي - من رياء ونعمة وعافية وسلامة فن فضل الله عليك ، يتفضل به احسانا منه اليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته . والخطاب للنبي لتصوير النفس البشرية وان لم يقع منه ما يستوجب السيئة ، وارسلناك رسولا من عندنا للناس جميعا ، والله شهيد على تليفك وعلى اجابتهم ، وكفى به عليا .

وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
 وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
 مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
 الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعُمُ الشَّيْطَانُ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ

٨٠ - من يطع الرسول فقد اطاع الله ، لأنه لا يأمر الا بما أمر الله به ، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته في الامثال والانتهاه طاعة لله . ومن أعرض عن طاعتك ، فإرسلناك الا بشيرا نذيرا حفيظا ومهيما عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم ، ان ذلك لنا لالك .

٨١ - ويقول هذا الفريق المتردد : أمرك مطاع ، وليس لك منا الا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن اذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبرت طائفة منهم أمرا وبيته ، غير الذي تقوله أنت لهم من أمر ونهى ، والله سبحانه وتعالى يحصى عليهم ما يدبرونه في خفاء . فلا تلتفت اليهم ، واعرض عنهم . وفوض أمرك إلى الله ، وتوكل عليه وكفى أن يكون الله وكيلك وحافظك تفوض اليه جميع أمورك .

٨٢ - أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في وجوب طاعته واتباع أمرك ، وأن هذا الكتاب من عند الله لا تلاف معانيه وأحكامه ، وتأيد بعضه لبعض . فهذا دليل على أنه من عند الله ، اذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلفت احكامه اختلافا كثيرا .

٨٣ - واذا اطلعت - هذه الطائفة المنافقة - على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم ، أفسوه ونشروه ، جاهرين به ، للتغريير بالمسلمين أو القاء الرعب في قلوبهم ، أو توصيل أنبائهم الى أعدائهم ، ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف الى الرسول والى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع واذاعتها ، الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الايمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتباع أكثركم إغواء الشيطان ، ولم ينج من اغوائه إلا القليل .

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَسْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَسْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فحِوَا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * ﴿٨٧﴾ قَالِ الْكُرِّيُّ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لِيُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لِيُجِدَّ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فخذوهم وأقتلوهم حيث وجدتموهم وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

٨٤- وإذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم، وقاتل في سبيل كلمة الله والحق، فليست مسئولا إلا عن نفسك، ثم ادع المؤمنين إلى القتال وحثهم عليه، لعل الله يدفع بك وبهم شدة الكافرين، والله مؤيدكم وناصركم، وهو أشد قوة وأشد تنكيلا بالكافرين.

٨٥- وإن هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد، وأهل الإيمان يناصرون الحق، ومن يناصر في أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه والله مقتدر على كل شيء، محيط به.

٨٦- وإذا حياكم أحد أيا كان بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره، فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها، فإن الله محاسب على كل شيء كبيرا كان أو صغيرا.

٨٧- الله الذي لا إله إلا هو ولا سلطان لغيره سيعتكم حتما من بعد مماتكم، وليحشرنكم إلى موقف الحساب، لاشك في ذلك. وهو يقول ذلك فلا تشكوا في حديثه، وأى قول أصدق من قول الله.

٨٨- ما كان يسوغ لكم أيها المؤمنون أن تختلفوا في شأن المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وما يسوغ لكم أن تختلفوا في شأنهم: أهم مؤمنون أم كافرون؟ ويقتلون أم ينظرون، وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لا ترجى منهم هداية، انهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قدر الله في علمه الأزلى أنه لن يهتدى، فإن من يكتب في علم الله الأزلى ضلاله، لن تجدوا طريقا لهديته.

٨٩- انكم تودون هداية هؤلاء المنافقين، وهم يودون ان تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين في الكفر معهم، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم، ولا تعتبروهم منكم، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين في سبيل الإسلام. وبذلك تزول عنهم صفة النفاق، فان أعرضوا عن ذلك وانضموا إلى اعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء.

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَغْلِبُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَالُ الْيَكْرُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ نَخَذُوا مِنْكُمْ أَرْبَابَهُمْ حَيْثُ نَفَقْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا جَزَاءُ وَهُوَ جَهَنَّمُ

٩٠ - استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتل لافسادهم لجماعة المؤمنين . . اولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين ، أو كانوا في حيرة أيقاتلون مع قومهم الذين هم أعداء المسلمين وليس ثمة ميثاق أم يقاتلون مع المؤمنين ؟ فان الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق ، والآخريين يمنع قتلهم لأنهم في حرج ، وان الله تعالى لو شاء لجعلهم يحاربونكم فان أتروا الموقف السلبى وسالموكم فلايسوغ لكم أن تقتلوهم ، لأنه لايسوغ لذلك .

٩١ - فان ظهرتم على الشرك كانوا معكم ، وان ظهر المشركون على الاسلام كانوا مع المشركين فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين - وهؤلاء في ضلال مستمر ونفاق فان لم يعتزلوا قتالكم ويعلنوكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، لأنهم بعدم اعتزالهم القتال ، قد مكثوا المؤمنين من قتلهم ، وجعل الله تعالى للمؤمنين حجة بينة في قتالهم .

٩٢ - ان تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط . حتى لا يقتل مؤمن على ظن انه منافق وان قتل المؤمن لايسوغ إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود ، وفي حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش في ولاية الدولة الاسلامية فإنه تدفع الدية لأهله تعويضا عما فقدوه ، وتعتق رقبة مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت ، لأن عتق الرقبة المؤمنة احياءها بالحرية فكأنه يكتفى بتحرير رقبة مؤمنة ليعوض المؤمنين عن فقدته (١) وان كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم ، فانه يجب تحرير رقبة مؤمنة ، وتسليم الدية لأهل المقتول ، لأنهم لعهدهم لايتخذونها لايداء المسلمين ، واذا كان القاتل خطأ لايجد رقبة مؤمنة يعتقها ، فانه يصوم شهرين متتابعين لايفطر يوما فيها ، لأن ذلك يكون تهديبا لنفسه وتربية لها على الاحتراس والله سبحانه وتعالى عليم بالنفوس والنيات ، وحكيم يضع العقوبات في مواضعها .

(١) لم يسو الشارع بين عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ذلك لان الجاني في القتل العمد تعمد العصيان بالفعل والقلب وعلى ذلك فجرمته مغلظة مما يناسبها شدة العقوبة أما في القتل الخطأ فان الجاني لم يتعمد العصيان بقلبه بل تعلق العصيان بفعله وهذا من الشريعة الاسلامية تنوع للمسئولية الجنائية بحسب نوع العصيان .

والآية الكريمة بينت مايقوم على القاتل خطأ فذكرت الكفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة والصيام عند عدم وجود الرقبة المؤمنة والكفارة يدور بين العقوبة والعبادة ، وظاهر ان الذى يتحمل هذه الكفارة هو الجاني وهذا فيه إيلاء له وتهذيب وتقرب الى الله حتى يتوب عليه بما فعل .

وفضلا عن الكفارة فى القتل الخطأ الدية ، والدية مبددة من الشارع وهي لا تختلف فى قتل دون قتل وفى هذا أسى ما يكون من التسوية بين الناس ، وتكون الدية على العاقلة لان العاقلة هي أهل نصرة الجاني فاذا اشتروا فى العزم فانهم لانشك مانصوه من ارتكاب ماقد ينجم عنه العزم وهذا النوع من الاشتراك فى المسئولية يدفع الى تقليل الجرائم

خَلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَامٌ كَثِيرٌ ۚ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ ۗ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

٩٣ - ان من يقتل مؤمنا قتلا عدوانا متعمدا مستحلا ذلك القتل ، يكون جزاؤه الذي يكافئه جريمته ان يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويفض الله عليه ويطرده من رحمته وقد أعد الله له في الآخرة عذابا عظيما ، فان هذه أكبر جريمة في الدنيا .

٩٤ - الاحتراس من قتل المؤمن واجب في حال الغزو ، فاذا سافرتم مجاهدين في سبيل الله تعالى فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال ، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك ، ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمنا ، تريدون بذلك الأموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فان الله أعد لكم مغامم كثيرة . وأنتم أيها المؤمنون كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شيء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه .

٩٥ - وأن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جدا ، فلا يستوى الذين يفعدون عن الجهاد في منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا الا اذا كان القاعدون من ذوي الأعدار التي تتمهم من الخروج للقتال ، فان عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة .

٩٦ - وهذه الدرجة التي اخص بها المجاهدون درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ما عداها ، وان لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

= وهذا كله لا يمنع ولي الامر من تعزير الجاني بالمعقوبة التي يراها اذا وجد في ذلك مصلحة اذ الجرم في القتل الخطأ ثابت حتى من الآية الكريمة فقد جاء في نهايتها عقوبة من الله بقى ان الاجزية الواردة من كفارة ودية مشروعة من العمل التقدير لقبول التوبة من الله تعالى وفي هذا اشارة الى ما وقع فيه القاتل خطأ من تقصير بترك الاحتياط ولذلك يقول الفقهاء أن القتل الخطأ لا يأثم اثم القتل وإنما يأثم اثم ترك التحرز والمبالغة في التثبت لان الافعال المباحة لا تجوز مباشرتها الا بشرط ان لا تؤذي أحدا . فاذا أذى أحدا فقد تحقق ترك التحرز فيأثم الفاعل (الزيلعي ج ٦ ص ١٠١) .

ويقول ان القتل الخطأ يمكن الامتناع عنه بالتكليف والجهد الكاساني ج ٧ ص ٢٥٢ . وهذه الاجزية جميعا تنفق مع ما يمثل في القتل الخطأ من ضرر جسم يدعو الشارع لوضع الزواجر عليه وبمقارنة ذلك بالتشريعات الوضعية نجد البون شاسعا حتى أن الناس لم يعودوا يخافون العقاب مما أدى لكثرة هذا النوع من الجرائم ولحصول حوادث صارخة دفعت الكثير الى أن ينادوا بتشديد عقاب القتل الخطأ ، ولو اتبع الناس تشريع القرآن لأدى ذلك الى تمويض اهل القتل بما يخفف عليهم الآلام النفسية والحسارة المادية والى زجر الجاني بما يبذل من كفارة فضلا عن الدية التي عليه وعلى العاقلة والى دفع الناس الى منع بعضهم بعضا من ارتكاب الخطأ الذي قد يسبب القتل .

قَالُوا كَمَا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاتِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَكْثَرُ عَدُوًّا مِثِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَافِةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِةٌ أُخْرَى لَرِيضُوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

٩٧ - وأن المسلم عليه ان يهاجر الى الدولة الاسلامية ولا يعيش في ذل ، فان الملائكة تسألهم : فيم كنتم حتى ارتضيت حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين في الأرض بذلنا غيرنا فتقول الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذي تقيمون فيه ، وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، مأواهم عذاب جهنم ، وانها أسوأ مصير فالمسلم لا يصح أن يعيش في ذل ، بل يعيش عزيزا كريما .

٩٨ - غير أنه يعنى من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلا للخروج .

٩٩ - وأولئك يرجى عفو الله عنهم ، والله تعالى من شأنه العفو والغفران .

١٠٠ - ومن يهاجر طالبا بهجرته مناصرة الحق وتأيبه ، يجد في الأرض التي يسير فيها مواضع كثيرة برغم بها أنف أعداء الحق ، و يجد سعة الحرية والاقامة العزيرة ، وله بذلك الثواب والأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى موطن الدولة العزيرة التي هي دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره ، وتكرم الله فجعل الأجر حقا عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

١٠١ - الصلاة فريضة محكمة لا تسقط في السفر ، ولكن لا اثم على من يقصرها فيه عن الحضرة . فالذين يخرجون مسافرين ان خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون ، لهم أن يقصروا الصلاة ، فالصلاة التي هي أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وان الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء ، عداوتهم واضحة .

مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقِعْتُمْ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
 فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا
 فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

١٠٢ - وإذا كنت أيها النبي الأمين فيهم وقامت صلاة الجماعة ، فلاتنسوا الحذر من الأعداء وذلك بتقسيم المسلمين الى طائفتين : احدها تبدأ الصلاة مقتدية بك ، وتكون الأخرى قائمة على الأسلحة والأمتعة لحراستها ، فإذا أتمت نصف الصلاة ذهبت التي صلت وراءك وجاءت الأخرى فصليت بها الباقي ، ثم تصلى ما فاتها وتصلى الأولى بقية الصلاة ، وتسمى لاحقة^(١) والأخرى مسبقة ، إذ تؤدي أول الصلاة ، واللاحقة تؤدي آخرها ، وذلك للتنظيم لكي لاتنفوت الصلاة ، وللحذر من الكافرين الذين يودون أن تغفلوا عن اسلحتكم وامتعتمكم فيميلون عليكم دفعة واحدة ، وينقضوا عليكم وأنتم في الصلاة ، وأن قتال المشركين مستمر واجب ، ولكن لا اثم عليكم ان تسكنوا اذا كان بكم مرض أو نزل مطر عاق عن القتال ، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم وهذا عقاب الله للكافرين في الدنيا ، وفي الآخرة أعد لهم عذابا مهينا مذلا .

١٠٣ - وإذا اتممت صلاة الحرب التي تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون ، واذكروه وأنتم نائمون ، فان ذكر الله تعالى يقوى القلوب ، وبه اطمئنانها ، فاذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان ، فأدوا الصلاة كاملة فان الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها .

١٠٤ - لاتضعفوا في طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب ، وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان . والحرب بلاشك ألم ، فاذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها ، فانهم يألمون أيضا ، والفرق بينكم وبينهم أنهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا ، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم الدائم . والله عليهم أعمالكم وأعمالهم حكيم يجازى كلا بما يعمل .

(١) اللاحقة : هي التي تصل مع الامام أول الصلاة وتضطر للتخلف باقيا ، ثم تؤدي الباقي منفردة ، والمسبوق هو الذي يؤدي آخر الصلاة جماعة ثم يؤدي الأول منفردا .

لِتَحْكُرَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٦﴾
 وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
 يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ
 هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ
 يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
 عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا

١٠٥ - أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً، مشتتلاً على كل ما هو حق مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون مناراً
 في الحكم بين الناس، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائنين.

١٠٦ - وعند الحكم بين الناس اتجه إلى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته، فإن المغفرة والرحمة من
 شأنه سبحانه وتعالى.

١٠٧ - ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون في إخفاء الخيانة في أنفسهم، فإن الله لا يحب من يكون من
 شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب.

١٠٨ - يختفون ويستترون بخيانتهم من الناس، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائماً خيانتهم، وهم
 يتفقون ليلاً على ما لا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء، والله تعالى يعلم علماً لا يخفى منه شيء
 مما يعملون.

١٠٩ - إذا كنتم تدافعون عنهم في الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام
 الله تعالى، بل من يقبل أن يكون ولياً عليهم ناصرهم لهم.

١١٠ - وإن باب التوبة مفتوح، فمن يعمل أمراً سيئاً في ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي ثم يطلب مغفرة
 الله تعالى، فإنه يجد الله تعالى قابلاً لتوبته غافراً له، لأن من شأنه المغفرة والرحمة.

١١١ - وإن الذنوب مضارها على نفس من يفعلها، فمن يكسب ذنباً فإنما هو ضد نفسه، ومغيبته على نفسه،
 والله سبحانه وتعالى يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكته، فيعاقب أو يفر على حسب ما تقتضيه الحكمة.

وَإِنَّمَا مِثْبُنًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ رَهَمَتْ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
 وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
 عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَأَخِيرَ فِي كَثِيرٍ مَن تَجَوَّلَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
 ذَلِكَ اتَّبَعْنَا مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُسَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
 غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۚ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ۚ إِلَّا إِنْتَابًا وَإِن يَدْعُونَ

١١٢ - ومن يرتكب أخطاء تحيط بالنفس وذنوباً ثم يتهم بهذه الذنوب بريئاً لم يرتكبها، كمن يسرق شيئاً ويتهم غيره بسرقة، فقد وقع عليه وزران: أحدهما الكذب والافتراء باتهام الأبرياء، والثاني: الذنب الواضح البين.

١١٣ - ولولا أن الله تفضل عليك بالوحي ورحمك بالادراك النافذ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم، لأن الله مطلعك، وبصيرتك نافذة إلى الحق، لا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذي هو ميزان الحق، وأودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحي منه، وإن فضل الله عليك عظيم دائماً.

١١٤ - إن الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم، لا خير في هذه الأحاديث في الكثير، لأن الشر يفرخ في الخفاء لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر، أو تدبير إصلاح بين الناس، فإن ذلك خير، ومن يفعله طلباً لرضا الله سبحانه فإن الله تعالى يعطيه جزاء كبيراً على عمله في الدنيا والآخرة.

١١٥ - وإن الذي يكون في شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، ويدخل في ولاية أعداء أهل الإيمان، فإنه يكون منهم إذ اختارهم أوليائه، وسيدخله الله تعالى النار يوم القيامة.

١١٦ - وإن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك، لأنهم أعداء الإسلام، ومثله مثل من أشرك بالله وأن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله، وعبادة غيره، ومعاندة رسوله في الحق، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به في عبادة، ويتغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وأن من يشرك بالله في عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيراً، لأنه أفسد عقله ونفسه.

إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلَيْبَتِكُمْ إِذْ أَنْ أَلَا نَعْمِ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا

١١٧ - وأن من أظهر مظاهر الضلال الذي بعد به عن الحق المشرك بالله أنه بعد ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ويسمى آلهته الباطلة بأسماء الاناث، كالكالات والعزى ومناة، وغيرها من الأسماء المؤنثة، وأنه يتبع هذه العبادة الشيطان.

١١٨ - وأن هذا الشيطان طرده الله تعالى من ظل رحمته، وجعله في طريق غوايته، وقد أقسم وأخذ على نفسه عهدا أن يتخذ من عباد الله تعالى عددا معلوما مقدرا يستهويهم بغوايته ويوسوس لهم بشره.

١١٩ - وأن قسمه أن يضل الذين استهواهم بإبعادهم عن الحق ويثير أهواءهم وشهواتهم، ويجعلهم يتبهون في أوهام وأمانى كاذبة يتمنونها، وإذا صاروا بهذه الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه، ودفعهم إلى أمور غير معقولة وحملهم على أن يظنوها عبادة وهي أوهام كاذبة، فوسوس لهم بأن يقطعوا آذان بعض الابل ويغيروا خلق الله فيها، وأن ما قطع أذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من مرعى وكل ذلك بأوامره، ثم يوسوس لهم بأنه دين، وأنهم بهذا يتبهون، ويتخذونه نصيرا متبعا من دون الله، ومن يتخذهم نصيرا متبعا يخسر خسرا واضحا، لأنه يضل عن الحقائق ويحمل عقله، ويناله الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة.

١٢٠ - يزين لهم الشر، ويعدهم النفع إذا فعلوه، ويلقى في نفوسهم أمانى يتمنونها، وليس وعده وتزيينه إلا تفريرا.

١٢١ - وأن أولئك الذين افغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان في نفوسهم، مصيرهم إلى جهنم ولا يجدون منها خلاصا.

١٢٢ - هذا مصير أتباع الشيطان، أما مصير أتباع الله فالخير، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبة، فإن الله تعالى سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجري تحت ظلها، وهي أكبر من أعظم جنات الدنيا وأن ذلك مؤكد، لأنه وعد الله، ووعد الله لا يكون إلا حقا، لا غرور فيه، إذ هو مالك كل شيء ولا يتصور أن يكون أحد في الوجود أصدق من الله وعدا وقولا.

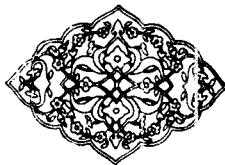
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا تَمَنَّىٰ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعُونَ أَنْ تَتَّكِفُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْبَيْتِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ

١٢٣ - ان الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الانسان من غير عمل طيب مثمر ، فليس الجزاء بما تتمنون أيها المسلمون ، ولا بما يتمناه ويحلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل الصالح ، ومن يعمل سيئاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره .

١٢٤ - ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله ، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلاً . ولا فرق في الجزاء بين الذكر والأنثى ، لأن الأنثى مكلفة . لها جزاء الخير ، وعليها عذاب الشر .

١٢٥ - وأن أساس عمل الخير منبعت من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين أن يخلص الله تعالى ، فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل ، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال ، ويتبعوا في ذلك أبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذى يتجه إلى طلب الحق دائماً . وأن ابراهيم هو الذى تلتقى عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وأن الله أكرم ابراهيم فسماه خليلاً .

١٢٦ - وأن الاخلاص لله واسلام الوجه إليه ، هو اخلاص لمن أنشأ هذا الوجود وملكه ، فله كل ما في السموات والأرض ، من نجوم وأفلاك وشمس وقر وجبال وهاد وصحارى ومزارع ، وهو مستبين كل شيء ، وهو الذى يعلم علم احاطة بكل ما يعمل الانسان ، ويجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً .



خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ

١٢٧ - قد استفتى الناس النبي في شأن النساء وكن ولا يزلن ضعيفات ، فبين الله لنبيه أن يبين حال النساء وحال الضعفاء في الأسرة من الولدان واليتامى ، وذكر أن يتامى النساء اللاتي يزوجن ولا يأخذن مهورهن والأولاد ، واليتامى ، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية ، وأن كل ما يفعل من خير فإن الله يعلمه وهو الذي سيجزي به .

١٢٨ - وأن الزوجة إذا خافت من زوجها اهمالا لشئون الأسرة أو اعراضا عنها وعدم اقبال عليها ، فلا اثم عليها في أن يحاول اصلاح ما بينها بالصلح الجميل والتقريب . والعامل منها يبدأ به والصلح خير دائما لا شر فيه ، وأن الذي يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، إذ يسيطر الشح النفسى ، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتق ، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله ، فإن الله خير بعمله ومجازيه عليه .

١٢٩ - وأن العدل مع النساء بالمهبة الدائمة التي لا تشوبها شائبة ، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادلها ، أمر غير ممكن دائما ، وغير ممكن كذلك المساواة في المهبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة ولكن إذا حرصتم فلا تجوروا عليها وتميلوا كل الميل إلى غيرها وتتركوها لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة ، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلح من غير افساد . وتتقوا الله فإن الله يغفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المغفرة والرحمة .

١٣٠ - وإذا لم يمكن الاصلاح واستحكمت النفرة ، فإن التفريق لازم وأن يتفرقا يغن الله كل واحد منها من سعة رحمته وفضله ، والأرزاق بيد الله ، والله واسع الرحمة والفضل ، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها .

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^٤ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^٥
وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُذُكْرًا أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ^٤ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ
كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهِدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ^٤ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا^٥
فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ^٤ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ^٥ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

١٣١ - ان لب الدين هو الخضوع لمنشئ الكون ذي الجلال والاکرام والاعتراف بسلطانه المطلق فله كل ما في السموات والأرض ، وبهذا السلطان المطلق قال : وصينا أهل الديانات الساهوية من أهل الكتاب - وأنتم معشر المسلمين - بأن تحافوه وتعبدوه ، والا تكفروا بعبادته ، فهو صاحب السلطان الأكبر في الأرض والسموات ، لا يخجل بسلطانه شيء ، وهو غنى عنكم ، ومع ذلك يحمد لكم أيمانكم ، لأن من شأنه الغنى ، وأن يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده .

١٣٢ - والله سبحانه وتعالى تدبير كل ما في السموات والأرض فهو المسيطر والمسير والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم ، وأمر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه .

١٣٣ - انكم معشر العباد في سلطان الله ، وهو القادر القاهر ، ان يسأ بمتكم ويأت بآخرين ، وهو ذو الجلال ، قدبر على ذلك وعلى كل شيء .

١٣٤ - وان الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فإن الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة ، وهو وحده الذى يملك التعميم .

١٣٥ - ان العدل هو نظام الوجود ، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه ، فأيها الذين أذعنتم لله الحق ، ولدعوة رسله ، كونوا مراقبين لأنفسكم فى الأذعان للعدل ، ومراقبين للناس ، فانصفوا المظلوم ، وكونوا قائمين لا لرغبة غنى أو لمطف على فقير ، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير وهو أولى بالنظر فى حال الغنى أو الفقير ، وأن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وان تتلوا إقامة العدل أو تعرضوا عن اقامته فإن الله يعلم ما تعملون علما دقيقا ، وبجازيكم بعملكم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وَمَلَكَيْنِهِ ۖ وَكُتِبَ ۖ وَرُسِلَ ۖ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا لَّا يُكْنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِیَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
 وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا
 فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ

١٣٦ - وان الرسالات الساوية واحدة لوحدة مرسل الرسل، وهو الله، فأيها الذين آمنوا أذعنوا لله وأخلصوا له، وصدقوا رسوله محمدا وصدقوا ما جاء في كتابه الذي أنزله عليه واعملوا به، وصدقوا بالكتب التي نزلت من قبله كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان، آمنوا بكل ذلك، فإن من يكفر بالله خالق الوجود، والملائكة، وعالم الغيب، وكتب الله ورسله، وينكر اليوم الآخر، فقد تاه عن الطريق المستقيم، وأوغل في طريق الضلال وأبعد فيه.

١٣٧ - ان الايمان اذعان مطلق وعمل مستمر بالحق، فالمرتدون المضطربون ليسوا بمؤمنين، فالذين يؤمنون ثم يكفرون، ثم يؤمنون ثم يكفرون، وبهذا يزدادون كفرا، ما كان الله غافرا لهم ما يفعلون من شر، ولا ليهديهم إلى الحق، لأن غفران الله يقتضى توبة واقلاعا عن الشر، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه.

١٣٨ - بأياها الرسول الكريم أنذر المنافقين بأن لهم عذابا يوم القيامة مؤلما.

١٣٩ - وان أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين؟ ان العزة لله وحده، يعطيها عباده المؤمنين، ومن اعترز بالله عز، ومن اعترز بغيره ذل.

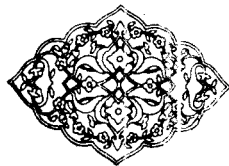
١٤٠ - وقد نزل الله عليكم في القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من الكتاب كان منكم الايمان، وكان من الكافرين الجعود بها والاستهزاء، وإذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين وسمعتم استهزاءهم فلا تعبدوا معهم حتى ينتقلوا إلى حديث غير حديث الاستهزاء وانكم ان لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم كنتم مثلهم في الاستهزاء بالقرآن وأن العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين، فإن الله جامعهم جميعا في النار يوم القيامة.

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ
وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مَذَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَن

١٤١ - وأن أولئك المنافقين ينتظرون انتظار الحاقق الحائق الذي يتمنى السوء لكم إذا كنتم في حرب مع الأعداء ، فإن كان لكم نصر من الله وفتح لطريق الحق ، قالوا للمؤمنين وقد أنهلهم النصر الذي نصر الله به أهل الإيمان : ألم نكن معكم باعتبارنا من جماعتكم ؟ وإن كان للكافرين نصيب من الغلب اتجهوا إليهم وقالوا لهم : ألم نغلب أموركم علينا حتى صارت أمورنا وألم تمنحكم مودتنا ونمنعكم من المؤمنين ؟ والله سبحانه وتعالى يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين سبيلا للغلب على المؤمنين ما دام المؤمنون على صفة الإيمان الحق والعمل الصالح .

١٤٢ - ان المنافقين بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله تعالى ويخفون عنه حقيقة أنفسهم ، والله سبحانه خادعهم ، فيمهلهم ويتركهم يرتعون في شرهم ، ثم يحاسبهم على ما يفعلون ، وأن هؤلاء المنافقين مظهرا حسيا ، ومظهرا نفسيا ، فالحسي أنهم يقومون إلى الصلاة كسالى متباطئين ، وصلاتهم رياء لا حقيقة . والمظهر النفسي أنهم لا يذكرون الله إلا أحيانا نادرة ، ولو ذكروه لتركوا النفاق .

١٤٣ - وأن المنافقين مترددون مضطربون ، لا هم منكم ولا هم في كل أحوالهم منهم وذلك من ضعف الإيمان وضعف النفس ، ومن الضلال عن الحق ومن يكتب الله عليه في علمه الأزلى الضلال ، فلن تجد سبيلا لهدايته .



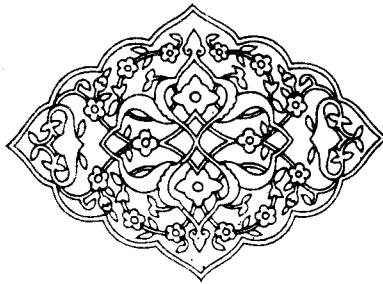
تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ

١٤٤ - وان من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة ، فتجنبوا هذا أيها المؤمنون ، ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وأنكم ان فعلتم ذلك كان لله حجة عليكم بينة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لأنكم لا تجعلون عزتكم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

١٤٥ - ان المنافقين بسبب نفاقهم يكونون في أعماق جهنم ، فهم في أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب .

١٤٦ - إلا الذين يتوبون منهم ويعودون إلى الله تعالى ، ويعتصمون به وحده ، ويخلصون ويسلمون وجوههم له ، ويعملون الصالحات ، فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين وقد أعد الله تعالى جزاء عظيما للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

١٤٧ - وان الله تعالى لا مطلب له منكم إلا الايمان به ، وشكر نعمته ، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ، ولكن جزاء على الخير والشكر ، وان الله تعالى شاكر يشكر لعباده عمل الخير ، وعليم يعلم كل حالهم من خير وشر .



مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ مَخْفَوُةً أَوْ تَعَفَّوْا عَن سُوِّهِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْمُبِينَتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقَلْنَا

١٤٨ - ينهى الله عباده عن قول السوء ، إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه سميع لكلام المظلوم عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله^(١) .

١٤٩ - أن تظهروا قر و تسروه ، أو تصفحوا عن سيء إليكم ، يشكم الله لتخلقكم بأخلاقه - تعالى - من العفو من كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٥٠ - إن الذين لا يؤمنون بالله ورسله ، والذين يريدون التفرقة في الإيمان بالله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض الرسل دون بعض ، فيؤمنون بن يحبون ، ويكفرون بن لا يحبون ، والواجب الإيمان بالجميع ، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ .

١٥١ - هؤلاء جميعا هم الممعنون في الكفر اليين ، وقد أعد الله لهم ولأمثاله عذاباً شديداً مذللاً .

١٥٢ - وأما من آمنوا بالله ورسله ، ولم يكذبوا بأحد منهم ، فإن الله يشيهم على كامل إيمانهم التواب العظيم ، والله غفور للتائبين رحيم بعباده .

١٥٣ - يسألك - أيها الرسول - أهل الكتاب من اليهود ، متعتين . أن تقيم دليلاً على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك ! فان استكثرت ما سألو فلا تعجل ، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا اج عيانا . فصاقبهم على تعنتهم ووظلمهم بصاعقة أهلكتهم !! ثم اذكر هؤلاء جرماً أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا العجل الها لهم من دون خالقهم ، بعد ما عاينوا الأدلة التي أظهرها موسى لفرعون وقومه ! ثم وسعهم عفو الله بعد إنابتهم إليه ، وأيد الله موسى بالحجة الواضحة والكلمة النافذة .

(١) تمنع القوانين الوضعية أى انسان ان يجاهر بفاحش القول أو سيئه بوجهه الى آخر والعللة في ذلك لدى تلك القوانين هي حماية اسماع الناس من ان تتأذى من مثل هذا الجهر وحماية أخلاقهم من أن تندس اليها تلك القبايح لأن في ذلك أذى لمن وجه إليه هذا السوء ويقول القرآن الكريم في هذا « لا يجب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بان كانت « لا يجب الله الجهر بالسوء » لتصلت أيضا جريمة الفعل الفاضح العلى ومثلها أن يكشف الانسان عن عورته في مكان عام أو ان يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها لكن تحديد السوء هنا بأنه من القول امتنع معه السوء من الفعل ، وهذا الفعل الفاضح العلى وهذه الجريمة منصوص عليها في آية أخرى هي الآية التاسعة عشرة من سورة النور « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة » . سيجى الكلام عن

لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُنْتَانَا عِظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

١٥٤ - ورفع الله الجبل فوق بني اسرائيل، تهديدا لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة، حتى قبلوا، وأخذ عليهم الميثاق، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة في يوم السبت، ولا يعتدوا فيه، وقد أخذ عليهم في كل ذلك عهدا مؤكدا.

١٥٥ - فغضب الله عليهم، بسبب نقضهم هذا الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء ظالمين (ولا يكون ذلك إلا ظلما)، واصرارهم على الضلال بقولهم قلوبنا محجوبة عن قبول ما ندعى إليه!! وليسوا صادقين في قولهم، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فلا يؤمن منهم إلا قلة من الناس!

١٥٦ - وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وافتراءهم على مريم افتراء كبيرا.

١٥٧ - وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين، انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا.. ولكن شبه لهم، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه، وإنما قتلوا وصلبوا من شبهه! وقد اختلفوا من بعد ذلك في أن المقتول عيسى أم غيره، وأنهم جميعا لفي شك من أمره.. والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن، وما قتلوا عيسى قطعا.

١٥٨ - بل رفع الله عيسى إليه وأنقذه من أعدائه، ولم يصلبوه ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر حكيم في أفعاله.

١٥٩ - وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله، ويؤمن به إيمانا لا ينفعه لفوات أوانه، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله.

= هذه الآية في مناسبة أخرى، وما اصطلحت عليه احدث القوانين الوضعية في جرائم كثيرة منها السب والقذف اعتبار القاذف معنورا اذا ماتبدره غيره بالسب والقذف فاهتاج فرد سببا بسبب وقذفا بقذف وقد نصت الآية في بقية لها على عذر من الأعدار القانونية أما الآية كاملة فهي « لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » وهذا الاستثناء لمن ظلم ان يجهر بالسوء مادام غير باغ ولا عاد . ولم تحدد الآية هنا بان يكون الاعتداء بالقول كما حدد السوء بانه من القول، وهذا الاطلاق قد يجعل الظلم شاملا لحالي القول والفعل فيكون معنورا اذا، وغير مستحق لعقاب أو ملام ينال عليه الغير بالضرب وهو أيضا من يعتدى على ماله والرأى في ظاهر معنى الآية أن من اعتدى عليه ظلما وعدوانا بالفعل أو القول فاهتاج فرد الظلم بسبب أو شتم فلا اثم عليه، وتجمل الانشارة هنا الى ان الآية التالية مبشرة استدركت لما قد ينشأ من تطرف في فهم عذر الاستفزاز فنصت على ان العفو عن السوء خير من رد السوء بسوء لكي لا تشجع الفاحشة بين الناس فقالت « ان تبدوا خيرا أو تحفوه أو تغفوه عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ».

كثيراً ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذِهِمُ الرَّبُّو١ وَقَدْ نَهَو١ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِطْلِ ٢ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ٣ وَالْمُؤْتُونَ
الزُّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٤ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ٥ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ٦ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ٧ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ٨ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ٩ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ١٠ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ١١ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ١٢

١٦٠ - فبسبب ما وقع من اليهود من الظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم ألوانا من الطيبات كانت حلالا لهم ، وكان من هذا الظلم منعهم كثيرا من الناس من الدخول في دين الله .

١٦١ - وبسبب تعاملهم بالريا - وقد حرمه الله عليهم - وأخذهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات . وقد أعد الله لمن كفر عذابا مؤلما .

١٦٢ - لكن المشبوثون في العلم من اليهود ، المؤمنون من أمتك - أي النبي - يصدقون بما أوحى إليك وما أوحى إلى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة حق الأداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب ، أولئك سيجزيهم الله على إيمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء .

١٦٣ - انا أوحينا إليك - أي النبي - القرآن والشريعة ، كما أوحينا من قبلك إلى نوح وإلى النبيين من بعده ، وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، وإلى عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور .

١٦٤ - وكذلك أرسلنا رسلا كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر قصصهم ، وكانت طريقة الوحي إلى موسى أن كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

١٦٥ - بعثنا هؤلاء الرسل جميعا ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر بالعقاب ، حتى لا يكون للناس على الله حجة يتعللون بها بعد ارسال الرسل ، والله قادر على كل شيء ، غالب لا سلطان لأحد معه ، حكيم في أفعاله .

وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

١٦٦ - لكن إذا لم يشهدوا بصدقك ، فإله يشهد بصحة ما أنزل إليك لقد أنزله إليك محكما بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتغنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة .

١٦٧ - ان الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا .

١٦٨ - ان الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجحد رسالته ، وظلموا الناس ، إذ كتموهم الحق ، لن يغفر الله لهم ماداموا على كفرهم ، ولن يهدي طريق النجاة ، وما كان من شأنه سبحانه أن يغفر لأمثالهم وهم في ضلالهم .

١٦٩ - ولكن يسلك بهم طريق النار . مخلدين فيها أبدا ، وأمر ذلك يسير على الله .

١٧٠ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ - محمد - بالدين الحق من عند ربكم ، فصدقوا بما جاء به يكن خيرا لكم ، وان أبيتتم الا الكفر فالله غني عن ايمانكم ، مالك لكم ، فله ما في السموات والأرض ملكا وخالقا وتصرفا وهو العليم بخلقه ، الحكيم في صنعه ، لا يضيع أجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيء .

١٧١ - يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين في دينكم ، ولا تفتروا على الله الكذب ، فتتكروا رسالة عيسى ، أو تجعلوه الها مع الله فإنما المسيح رسول كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التي بشر بها ، ونفخ روحه جبريل في مريم ، فهو سر من أسرار قدرته ، فآمنوا بالله ورسله جميعا إيمانا صحيحا ولا تدعوا أن الآلهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، فإنما الله واحد لا شريك له ، وهو منزه عن أن يكون له ولد ، وكل ما في السموات والأرض ملك له ، وكفى به وحده مدبرا للملكه .

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ^{١٧٢} وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا^{١٧٣} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ^{١٧٤} وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^{١٧٥} يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا^{١٧٦} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ^{١٧٧} يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ^{١٧٨} إِنْ أَمْرُوا هَكَذَا لَيْسَ لَهُمْ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا مِثْلُ ثُلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ^{١٧٩} وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَىٰ^{١٨٠} بَيْنَ الَّذِينَ يَرِثُونَ^{١٨١} إِنَّ تَضَلُّوا وَأَلَّيْتُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَصَيْتُمْ^{١٨٢}

١٧٢ - لن يترفع المسيح عن أن يكون عبدا لله ، ولن يترفع عن ذلك الملائكة المقربون ، ومن يتكبر ويرتفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه يوم يجمع الله الناس للحساب .

١٧٣ - فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوفيهم ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله ، أكراما وانعاما ، وأما الذين أنفوا أن يعبدوه ، وترفعوا أن يشكروه فقد أعد لهم عذابا شديدا بالإسلام ، لن يدفعه عنهم معين ولن يمنهم منه نصير .

١٧٤ - يا أيها الناس جميعا . قد جاءكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد ، وأنزلنا اليكم على لسانه قرآنا بينا كالنور ، بضيء الطريق ويهديكم إلى النجاة .

١٧٥ - فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته ، وتمسكوا بدينه ، فسيدخلهم في الآخرة جناته ، ويغفرهم بفيض رحمته ، ويشملهم بوسع فضله وسيوفهم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم .

١٧٦ - يسألونك - أيها النبي - عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد : ان حكم الله في ميراث هؤلاء : ان كان للمتوفى أخت ، فلها نصف تركته ، وان كان للمتوفاة أخ فله تركتها ، وان كان للوارث أختان فلها ثلثا التركة^(١) وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين . يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا في تقسيم الأنصبا والله عالم علما كاملا بكل شيء من أعمالكم وأفعالكم ، ومجازيكم عليها .

(١) وبينت السنة أن أن الأكثر من الأخنين كذلك مع أية الوارث التي ذكرت أن الأكثر من بنتين يأخذن الثلثين ، فبالأولى الأكثر من الأخنتين ، لأن البنات أقرب إلى المتوفى . ويلاحظ أن القوانين الأوروبية ، المشتقة من القانون الروماني ، لا تورث الأخوة ، ولا الأخوات ولا أولادهم ، وفوق ذلك تعطى المالك الحق في حرمان كل ورتته . وقد منع ذلك الاسلام فلم يعط المورث حقا إلا في الثلث ولا يزيد عليه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۗ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَنَّى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
 إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿٥﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَحْلُوا شَعْتَهُمُ اللَّهُ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ

هي مدينة ، وعدد آياتها عشرون ومائة وهي من أواخر سور القرآن نزولا ، وقد اشتملت على بيان وجوب الوفاء بالعقود عامة ، سواء أكانت بين العبد وربّه ، أم بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينت بعض المحرمات من الأطعمة ، كما بينت الحلال منها وحل نساء أهل الكتاب . وذكر أركان الوضوء ، والتيمم ، وفيها بيان طلب العدالة مع العدو . وقد تضمنت الإشارة إلى نعم الله على المسلمين ، ووجوب المحافظة على كتابهم ، وبينت أن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن النصارى نسوا حقا مما ذكروا به ، وأنهم كفروا بقولهم ان المسيح ابن الله ، وتكذيب اليهود والنصارى في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحبّاءه . ثم تضمنت بعض أخبار اليهود ، كما تضمنت قصة ولدى آدم التي تثبت أن الاعتداء في طبيعة ابن آدم ، ثم وجوب القصاص تهديبا لهذه الطبيعة . واشتملت على عقوبة البغاء وعقوبة السرقة . ثم عادت إلى بيان تحريف اليهود للأحكام التشريعية التي اشتملت عليها التوراة ، وبيان أن التوراة والإنجيل كان فيها الحق قبل التحريف ، وقررت وجوب الحكم بما أنزل الله ، وأشارت إلى عداوة اليهود والنصارى الحاليين للمؤمنين ، ووجوب عدم الخضوع لهم ، وعدم الرضا بما يفعلون نحوهم وضرورة مقاومتهم ، وقررت كفر النصارى الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة ؛ ثم أنصف القرآن في هذه السورة بعض النصارى الذين أذعنوا للحق وأمنوا به . ثم اشتملت على منع المؤمن من أن يحرم بعض الطيبات عليه ، وبينت كفارة الأيمان إذا حنث ، ثم حرمت الخمر تحريما قاطعا ، ثم بينت بعض مناسك الحج ومكانة الكعبة والأشهر الحرم ، وبطلان بعض ما حرّمه العرب على أنفسهم من غير حجة ولا دليل ، كما بينت حكم الوصية في السفر . وختمت السورة بالمعجزات التي جرت على يد عيسى عليه السلام ، ومع ذلك كفر به بنو اسرائيل ، وذكرت تبرؤ عيسى عليه السلام من الذين عبده ، وبيان ملك الله سبحانه للسموات والأرض وكمال قدرته .

١ - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : التزموا الوفاء بجميع العهود التي بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التي بينكم وبين الناس . وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الابل والبقر والغنم ، الا ما ينص لكم على تحريمه . ولا يجوز لكم صيد البر إذا كنتم محرمين : أو كنتم في أرض الحرم . ان الله يقضى بحكمته ما يريد من أحكام ، وأن هذا من عهود الله عليكم (١) .

(١) (الوفاء بالعقود يدخل فيه ما يتعاقده الناس فيما بينهم والعقد أصلا يكون بين طرفين وفيه معنى الاستيثاق والشد بخلاف عهد يكون من طرف واحد ويدخل في الأخير الالتزام بالإرادة المنفردة وبهذا سبق القرآن الكريم القوانين الوضعية والآية عامة في الوفاء بالعقود وجامعة لأن العقد في الاسلام شرمة المتعاقدين وأي مشروع وضعي لا يمكن أن يأتي بأثم واثم وأدق وأوضح من هذه الآية أو بما يانها في ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها) .

وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

٢ - يأبها المؤمنون لا تستبيحوا حرمة شعائر الله ، كمناسك الحج وقت الاحرام قبل التحلل منه وسائر احكام الشريعة ، ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بإثارة الحرب فيها ، ولا تعترضوا لما يهدى من الأنعام إلى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه محله ، ولا تنزعوا القلائد ، وهي العلامات التي توضع في الأعناق ، اشعارا بقصد البيت الحرام ، وأنها ستكون ذبيحة في الحج ، ولا تعترضوا لقصاد بيت الله الحرام يبتغون فضل الله ورضاه ، وإذا تحللت من الاحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ، فلكم أن تصطادوا ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم صدوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم . ولتعاونوا^(١) بعضكم مع بعض - أيها المؤمنون - على فعل الخير وجميع الطاعات ، ولا تتعاونوا على المعاصي ومجاورة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ، ان الله شديد العقاب لمن خالفه .

٣ - حرم الله عليكم - أيها المؤمنون - أكل لحم الميتة ، (وهي ما فارقت الروح من غير ذبح شرعى) ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، أو التي ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علوفات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه . وأماما أدركنموه وفيه حياة ، مما يحمل لكم أكله ، وذبحتموه ، فهو حلال لكم بالذبح . وحرم الله عليكم ما ذبح قربة للأصنام ، وحرم عليكم أن تطلبوا معرفة ما كتب في الغيب بواسطة القرعة بالأقداح . وتناول شيء مما سبق تحريمه ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله . ومن الآن انقطع رجاء الكفار في القضاء على دينكم ، فلا تخافوا أن يتغلبوا عليكم ، واتقوا مخالفة أوامري . اليوم أكملت لكم أحكام دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي باعزازكم وتثبيت أقدامكم ، واخترت لكم الاسلام دينا . فن ألجأته ضرورة جوع إلى تناول شيء من المحرمات السابقة ، ففعل لدفع الهلاك عن نفسه ، غير منحرف إلى المعصية ، فإن الله يغفر للمضطر ما أكل ، دفعا للهلاك ، وهو رحيم به فيما أباح له^(٢) .

(١) ان القرآن الكريم في هذه الاية قد سبق بالدعوة الى التعاون ، جميع التشريعات الوضعية التي تهدف الى التعاون في الخير بعشرات المئات من السنين .

(٢) قد يكون موت الحيوان نتيجة لشيخوخة أو مرض عضوى أو طفيل أو نتيجة لتسممه من مصدر خارجي ، ومن ثم قد يشتمل لحمه على مواد تضر من ياكله هذا فضلا عن ان الحيوان الذي يموت دون تذكية ينحس فيه دمه وقد يمضى على موته وقت طويل لا يستطاع تحديده فيتعرض جسمه للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذي تلتق فيه مواد الايض « اى التمثيل الغذائى » كلها ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ يكون في طريقه الى الاعضاء =

مَكْلِبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْتُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا

٤ - يسألك المؤمنون - أيها الرسول - ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره ؟ فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم ما تصطاده الجوارح التي علمتموها الصيد بالتدريب ، مستمدين ذلك مما علمكم الله . فكلوا من صيدها الذي أرسلتموه إليه وامسكته عليكم ، واذكروا اسم الله عند ارسالها ، واتقوا الله بالتزام ما شرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واحذروا مخالفة الله فيه : فانه سريع الحساب .

٥ - اليوم - منذ نزول هذه الآية - أحل الله لكم كل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذبايحهم ، مما لم يرد نص بتحريمه ، كما أحل لهم طعامكم وأحل لكم زواج الحرائر الصافيات من المؤمنات ومن أهل الكتاب ، وإذا أديتم لمن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستبيحين العلاقات غير الشرعية علانية ، أو بطريق اتخاذ الخلال . ومن يجهد الدين فقد ضاع ثواب عمله الذي كان يظن أنه قربى ، وهو في الآخرة من الهالكين .

٦ - فيأبها المؤمنون - إذا أردتم القيام إلى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضأوا بفصل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ، وامسحوا برؤوسكم - كلها أو بعضها - واغسلوا أرجلكم مع الكعبين . وان كنتم جنبا عند القيام إلى

= التي تزيل سمومه أو تخرجه من الجسم هذا فضلا عن ان الدم مجتمع فيه أيضا السموم التي تفرزها الكائنات المتطفلة في الجسم كما أن كثيرا من الطفيليات يمضى فيه مراحل قصيرة أو طويلة دورة حياته في عائلة ، ولهذا كله كان تناول الدم كغذاء محرما .

أما الخنزير فهو معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليات التي تصيب الانسان من الفيروسات والسيروكينات (اللبتوسيريا) والحيوانات الأولية (البروتوزوا) والديدان المفلطحة والاسطوانية وشوكية الرأس واهم هذه الطفيليات مايلي :

١ - الحيوان الاولي الهدي السمي بالانتديوم كولاى المسبب للزحار البلنتيدي الذي يماثل الزحار الاميبى شدة وضراوا ومصدره الوحيد للانسان هو الخنزير ويكاد يكون مرضا مهينا لا يصيب سوى المشتغلين بقرية الخنزير وذبحه وبيع لحمه .

٢ - الوشائع الكبدية والمعوية في الشرق الاقصى وبخاصة وشيعة الامعاء الكبيرة (فاسيلو بسى يوسكاى) الواسعة الانتشار في الصين ووشيعة الامعاء الصغيرة جاسترو وسكويدس هومينس التي تصيب الانسان في البنغال وبورما واسام ووشيعة الكبد الصينية (كلونوركس سينتسز) المنتشرة في الصين واليابان وكوريا على الخصوص ويعتبر الخنزير العائل الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات وبخاصة الديدان الاولي التي تنطلق فيه تقضى دورة حياتها في عوائلها الاخرى حتى تصيب الانسان ومن ثم فقاومتها في الانسان وحده لا تكفى .

٣ - دودة لحم الخنزير الشريطية (تينا سوليوم) والدورة الطبيعية لها ان تنتقل بويضاتها من الانسان الى الخنزير حيث تكون اجنتها ديدانا منانية في لحمه ثم تنتقل الى اكل هذا اللحم فتتم الى الدودة الشريطية البالغة في أمعائه وهكذا . وهذه إصابة غير خطيرة في المعتاد وتشبه في ذلك دودة لحم البقر الشريطية (تينا ساجيناتا) ولكن دودة لحم الخنزير تنفرد دون دودة لحم البقر بخصوصاها تؤهلها لانعكاس هذه الدورة انعكاسا جزئيا أما ابتلاع الانسان للبيضات بيده الملوثة أو مع طعامه الملوث أو بارتداد قطع الدودة (أى اسلاتها) المثقلة بالبيض أو البيض نفسه من الأمعاء الى المعدة حيث يفسس البيض وتنتشر البرقانات في عضلات المصاب مسببة اعراضا شديدة كثيرا ما تكون قاتلة اذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكى أو القلب أو غيرها من الأعضاء الرئيسية والاصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تعرف في البلاد الاسلامية حيث يجرم أكل لحم الخنزير .

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْلَهُ الَّذِي وَانْفَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

الصلاة بسبب ملاسمة أزواجكم ، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء ، وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء ، أو كنتم مسافرين يتعسر عليكم وجود الماء ، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة : أو لاستم النساء ولم تجدوا ماء ، فعليكم بالتييم بالتراب الطهور ، بمسح وجوهكم وأيديكم به . ما يريد الله فيما أمركم به أن يضيق عليكم ، ولكنه شرع ذلك لتطهيركم ظاهرا وباطنا ، ولتيم نعمه عليكم بالهداية والبيان والتيسير ، لتشكروا الله على هدايته وتقام نعمته بالمداومة على طاعته^(١) .

٧ - واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم ، بهدايتكم إلى الاسلام ، وحافظوا على تنفيذ عهده الذي عاهدكم عليه ، حين بايعتم رسوله - محمدا - على السمع والطاعة ، واتقوا الله بالمحافظة على هذه العهود ، فإنه سبحانه عليم بخفيات قلوبكم ، فجازيكم عليها .

٨ - يا أيها المؤمنون ، حافظوا محافظة تامة على أداء حقوق الله ، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق ، ولا يملنكم بغضكم الشديد لقوم على أن تجانبوا العدل معهم ، بل التزموا العدل ، فهو أقرب سبيلا إلى خشية الله والبعد^(٢) عن غضبه ، واخشوا الله في كل أموركم ، فإنه - سبحانه - عليم بكل ماتفلون ، ومجازيكم عليه .

٩ - تفضل الله فوعد الذين صدقوا بدينه ، وعملوا الأعمال الصالحة ، أن يعفو عن ذنوبهم ، ويجزل لهم الثواب .

١٠ - والذين جحدوا دينه ، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته ، وصدق رسالته ، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها .

= ٤ - الدودة الشعرية الحلزونية (تريكينلا سبيرالس) وأعراضها الخطيرة مترتبة على انتشار يرقاتها في عضلات الجسم وأعراض الإصابة بها شديدة متنوعة منها الاضطرابات المعدية المعوية والحمى والالام الروماتيزمية العضلية المبرحة وصعوبة المضغ والتنفس وتحريك العينين والتهاب المخ والنخاع الشوكي والسحايا المحيطة بها والأمراض العصبية والعقلية المترتبة على ذلك التسمم والاجهاد العام والارتشاح والمضاعفات النفسية .. الخ . وفي الاصابات القاتلة تحدث الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس في معظم الأحوال والخنزير هو المصدر الوحيد لاصابة الانسان بهذا المرض الوبيل إلا في المناطق القطبية الشمالية ومواطن انتشار المرض هي أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ولكنه بحمد الله غير معروف البتة بين المسلمين . والمحاولات المضنية لتجنب هذا البلاء بقرية الخنازير بطريقة صحية وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ويكفي للدلالة على هذا أن نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية بها ثلاثة أمثال عدد الاصابات في العالم اجمع . وان متوسط نسبة الإصابة في ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع الوبوق بان هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة وان نسبة إصابة الخنازير به تتراوح بين ٥٪ و ٢٧٪ في الولايات المختلفة .

يزاد على هذا كله ان دهن الخنزير يختلف تماما في درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الأخرى . ومن ثم فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير بين العلماء وينصح الأستاذ « رام » عالم الكيمياء الحيوية الداغاركى الحاصل على جائزة نوبل بعدم المداومة على تناوله حيث أنه قد ثبت بالتجربة أنه من أهم مايسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلبها في الشرايين وبعض أمراض القلب الأخرى وتقدير الامتارة هنا الى ان معظم الفقهاء يعتبرون لفظ اللحم شاملا للحم والدهن جميعا .

أما ما أهل به لغير الله وماذبح على النصب فهي أوامر تعبدية أما المنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فحكها حكم الميتة وان اختلف سبب موتها .

(١) في الطهارة الاسلامية معنيان : احدهما التوجه القلبي الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف امامه طاهر النفس مخلصا وخالسا له .

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ^{١١} وَاتَّقُوا اللَّهَ^{١٢} وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^{١٣}
 * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
 وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ^{١٤} فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ
 لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^{١٥} وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
 عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ^{١٦} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^{١٧} وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نُنْصَرِي
 أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^{١٨} يَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ

١١ - بأياها المؤمنون، تذكروا نعمة الله عليكم في وقت الشدة، حين هم قوم - جماعة من المشركين - أن يفتكروا بكم، ويرسولكم، فنع أذاهم عنكم، ونجياكم منهم. والزمو تقوى الله، واعتمدوا عليه - وحده - في أموركم، فهو كافيكم، وشأن المؤمن أن يكون اعتماده على الله وحده دائما.

١٢ - ان الله أخذ العهد على بني اسرائيل بالسمع والطاعة، فأقام عليهم اثني عشر رئيسا منهم لتنفيذ العهد، ووعدهم الله وعدا مؤكدا بأن يكون معهم بالعون والنصر ان أدوا الصلاة على وجهها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم، وصدقوا برسله جميعا، ونصروهم، وأنفقوا في سبيل الخير، وإذا ما فعلوا ذلك، تجاوز الله عن ذنوبهم، وأدخلهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار، فن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك، فقد حاد عن الطريق السوي المستقيم.

١٣ - فبسبب نقض بني اسرائيل عهدهم، استحقوا الطرد من رحمة الله، وصارت قلوبهم صلبة لا تلين لقبول الحق، وأخذوا يصرفون كلام الله في التوراة عن معناه، إلى ما يوافق أهواءهم، وتركوا نصيبا وأفيا مما أمروا به في التوراة! وسنظل - أيها الرسول - ترى منهم ألوانا من الغدر ونقض العهد، إلا نفرا قليلا منهم آمنوا بك فلم يخونوا ولم يقدروا. فتجاوز - أيها الرسول - عما فرط من هؤلاء، واصفح وأحسن إليهم، ان الله يحب المحسنين.

١٤ - وكذلك أخذ الله العهد على النصارى - الذين قالوا: انا نصارى - بالايان بالانجيل وبالوحدانية، فتركوا نصيبا وافرا مما أمروا به في الانجيل، فعاقبهم الله على ذلك بإثارة العداوة والخصومة بينهم، فصاروا فرقا متعادية إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله يومئذ بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه.

= وثانيها - النظافة الحسية بالوضوء وفي ذلك غسل الأعضاء الظاهرة المرخصة للأوساخ والوضوء يتكرر وقد يصل تكراره الى خمس مرات في اليوم وبالغتسال في حال الاتصال بزوجه وفي حال الحيض والنفاس وفي الوضوء والغسل وقاية من الأثرية الحاملة لمساريم الأمراض ومد الجسم بنشاط في حركة الدم في الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم وتخفيف حدة توتر الأعصاب ولذلك قال النبي ﷺ « إذا غضبت فتوضأ » والتهيم فيه المعنى الأول وهو التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له.

(٢) يدعو الاسلام الى العدالة المطلقة مع الولي ومع العدو على السواء فلا يصح أن يكون البغض حاملا على الظلم وذلك ينطبق على معاملات الافراد، ومعاملات الاسلام مع غيره من الدول والعدالة مع العدو يصرح النص القرآني بأنها أقرب للتقوى ولو طبق ذلك في القانون الدولي لما قامت حرب، فاذا كان لكل دين سمة وعلامة فسمه الاسلام التوحيد والعدالة.

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ۚ وَفِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۗ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَا قَوْمِ أَدْعُوا رَبِّي عَزِيزًا إِذْ جَعَلَ فِكْرَ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَ لَكُمْ

١٥ - يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا، محمد، داعياً إلى الحق، يظهر لكم كثيراً مما كنتم تكتمونه من التوراة والانجيل، ويدع كثيراً مما أخفيتموه لم تدع الحاجة إلى اظهاره، قد جاءكم من عند الله شريعة كاملة هي نور في ذاتها، وبينها كتاب واضح.

١٦ - يهدى الله بهذا الكتاب إلى سبيل النجاة من اتجه إلى مرضاته، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان بتوفيقه، ويرشدكم إلى طريق الحق.

١٧ - لقد كفر الذين زعموا - باطلا - أن الله هو المسيح ابن مريم !! فقل - أيها الرسول - لهؤلاء الجاهلين على مقام الألوهية: لا يستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله أن أراد أن يهلك عيسى وأمه، ويهلك جميع من في الأرض فإن الله وحده ملك السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء على أي مثال أراد، والله عظيم القدرة لا يعجزه شيء.

١٨ - وقالت اليهود والنصارى: اننا المفضلون، لأننا أبناء الله والهابيون لديه فقل لهم - أيها الرسول: فلماذا يعذبكم بذنوبكم، ويصليكم نار جهنم؟ لقد كذبتم لأنكم كسائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أعمالكم، ويبد الله وحده المغفرة لمن يشاء أن يغفر له: والعذاب لمن يشاء أن يعذبه، لأن الله ملك السموات والأرض وما بينهما، وإليه المنتهى.

١٩ - يا أهل الكتاب قد جاءكم رسالة رسولنا الذي يظهر لكم الحق، بعد إذ توقفت الرسالات فترة من الزمن، حتى لا تعتذروا عن كفركم بأن الله لم يبعث إليكم مبشراً ولا منذراً، ها هو ذا قد أتاكم بشير ونذير، والله هو القادر على كل أمر - ومنه انزال الرسالات - ومحاسبكم على ما كان منكم.

مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقَوْمَ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آدْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْ
نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

٢٠ - واذكر - أيها الرسول - حينما قال موسى لقومه: يا قوم اذكروا بالشكر والطاعة نعم الله عليكم، حيث
اختار منكم أنبياء كثيرين، وجعلكم أعزة كالملوك، بعد أن كنتم أذلاء في مملكة فرعون، ومنحكم من النعم الأخرى
ما لم يؤت أحدا غيركم من العالمين.

٢١ - يا قوم أطيعوا أمر الله، فادخلوا الأرض المقدسة التي قدر الله عليكم دخولها، ولا تراجعوا أمام أهلها
الجبارين، فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه.

٢٢ - قال بنو إسرائيل مخالفين أمر الله: يا موسى، ان في هذه الأرض جبارة لا طاقة لنا بهم، فلن ندخلها
ماداموا فيها، فإذا ما خرجوا منها دخلناها.

٢٣ - قال رجلان من نقيباتهم الذين يخشون الله، وأنعم الله عليها بالآيمان والطاعة: ادخلوا - أيها القوم -
على الجبارين باب المدينة مفاجئين، فإذا فعلتم ذلك فإنكم منتصرون عليهم، وتوكلوا على الله وحده في كل أموركم
ان كنتم صادقين الآيمان.

٢٤ - فأصروا على المخالفة، وقالوا: يا موسى، انا معتزمون ألا ندخل هذه الأرض أبدا، مادام فيها
الجبارون! فدعنا نحن، فليس لك علينا من سلطان، واذهب أنت وربك فقَاتِلَا الجبارين، فانا في هذا المكان
مقيمون.

٢٥ - حين ذلك فزع موسى إلى ربه قائلا: رب لا سلطان لي إلا على نفسي وأخي، فاقض بعدلك بيننا وبين
هؤلاء المعاندين.

٢٦ - فاستجاب الله لموسى، وحرّم على أولئك المخالفين دخول هذه الأرض طيلة أربعين عاما، يضلون في
الصحراء لا يهتدون إلى جهة. قال الله لموسى يواسيه: لا تحزن على ما أصابهم، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر
الله.

يَتَقَبَّلَ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَا قُتِلْنَا قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لِنَ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
 يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
 النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
 غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
 فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
 نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

٢٧ - وان حب الاعتداء في طبيعة بعض الناس ، فاقراً ، أيها النبي ، على اليهود - وأنت صادق - خير هابيل وقابيل ابني آدم ، حين تقرب كل منهما إلى الله بشيء ، فتقبل الله قربان أحدهما لاختلاصه ، ولم يتقبل من الآخر لعدم اخلاصه ، فحسد أخاه وتوعده بالقتل حقدا عليه ، فرد عليه أخوه مييماً له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الأتقياء المخلصين في تفرهم .

٢٨ - وقال له : لئن أغواك الشيطان فددت يدك نحوي لتقتلني ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدي إليك لاقتلك ، لأنني أخاف عذاب ربي ، وهو الله رب العالمين .

٢٩ - اني لن أقاومك حين تقتلني ، لتحمل ذنب قتلك لي ، مع ذنبك في عدم اخلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون في الآخرة من أهل النار ، وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم .

٣٠ - فسهلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ، فصار في حكم الله من الخاسرين ، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه .

٣١ - بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدر ما يصنع بجثته ! فأرسل الله غراباً ينبس تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً ، حتى يعلم ذلك القاتل كيف يستر جثة أخيه ! فقال القاتل محسناً بوبال ما ارتكب ، متحسراً على جريمته . أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخي ؟ ! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعي الفطرة (١) .

(١) تشير هذه الآية الى اول دفن في الانسانية وكيف ان الدفن في التراب كان وحياً من الله سبحانه وتعالى عن طريق عمل الغراب وحكمة ذلك ارشاد الانسان الى ان الدفن يمنع انتشار الأمراض ويجانب ذلك فانه إكرام للميت .

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

٣٢ - بسبب ذلك الطغيان وحب الاعتداء في بعض النفوس ، أوجبنا قتل المعتدى ، لأنه من قتل نفسا بغير ما يوجب القصاص ، أو بغير فساد منها في الأرض ، فكأنه قتل الناس جميعا ، لأنه هناك حرمة دمايتهم ، وجرأ عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة قتل الجميع في استجلاب غضب الله وعذابه ! ومن أحيائها بالقصاص لها ، فكأنما أحيانا الناس كلهم ، لصيانته دماء البشر ، فيستحق عليهم عظيم الثواب من ربه . ولقد أرسلنا إليهم رسلنا مؤكدين حكمتنا لهم بالأدلة والبراهين ، ثم ان كثيرا من بنى اسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا في افسادهم في الأرض (١) .

٣٣ - انما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخروجهم على نظام الحكم وأحكام الشرع ، ويفسدون في الأرض بقطع الطريق أو انتهاب الأموال : أن يقتلوا بمن قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من بلد إلى بلد ، وأن يجسوا إذا أخافوا فقط . ذلك العقاب ذل لهم واهانة في الدنيا ، وهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار (٢) .

٣٤ - إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق ، من قبل أن تقدروا عليهم وتمكنوا منهم ، فإن عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٥ - يا أيها الذين آمنوا ، خافوا الله باجتناب نواهيه واطاعة أوامره ، واطلبوا ما يقربكم إلى ثوابه ، من فعل الطاعات والخيرات ، وجاهدوا في سبيله بإعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه .

(١) في هذه الآية الشريفة ما يدل على ان الاعتداء على النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوة عن حق المجتمع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه أو أية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة في التشريعات الحديثة وهذا هو المقابل لحق الله في التشريع الاسلامي ، فالتشريع في هذه المسألة له حق السبق . ومن أحسن الى فرد بانقاذ حياته من الهلاك فقد احسن الى المجتمع فالآية بما اشتملت عليه من معنيين تؤكد أن الاسلام يرضى القواعد في المجتمع الصالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعات وفي هذا كله محافظة على الأمن والسلام والتعاون بين الأفراد والمجتمعات .

(٢) القرآن الكريم في هذه الآية وفي الآية ٣٨ - ينص على عقوبات لم تراع فيها إلا المصلحة ومنع الاجرام وان هذه العقوبات من

مَا تُقِيلَ مِنْهُمْ^ط وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا^ط وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٣٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ^ط وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ^ط
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ^ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ^ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ أَعْرَبِينَ لَمْ يَأْتُواكَ
بِحُرُوفٍ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ^ط يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا^ط أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ^ط لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

٣٦ - ان الذين كفروا لو كان عندهم ما في الأرض جميعا من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة، وكان لهم مثل ما في الأرض فوق ما فيها، وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة على كفرهم، ما نفعهم الاقتداء بهذا كله، ولا قبل الله منهم ذلك، فلا سبيل إلى خلاصهم من العقاب، ولهم عذاب مؤلم شديد.

٣٧ - يتنمى هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار، وهم لن يخرجوا منها، ولهم عذاب دائم مستمر.

٣٨ - والذي يسرق، والتي تسرق، اقطعوا أيديهما جزاء بما ارتكبا، عقوبة لها، وزجرا وردعا لغيرها. وذلك الحكم لها من الله، والله غالب على أمره، حكيم في تشريعه، يضع لكل جريمة ما تستحق من عقاب رادع مانع من شيعوها.

٣٩ - فمن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام، فإن الله يتقبل توبته، ان الله واسع المغفرة والرحمة.

٤٠ - اعلم أيها المكلف علما يقينيا أن الله وحده له كل ما في السموات والأرض، يعذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته، ويغفر لمن يشاء أن يغفر له بحكمته ورحمته، والله على كل شيء قدير.

= شأنها لوطبقت على وجهها الصحيح ان تقطع الجرائم وتحيل المجتمع الى مجتمع ترفرف عليه السعادة والهناء والأمن والسلام. ويجب التوبة الى ان هذه العقوبات مانعة فمن شأنها منع ارتكاب الجريمة والتخويف من الوقوع في حياة الضلالة وهي بعد عقوبات تتناسب مع ما للنفوس والأموال من حرمة في المجتمع وعلى من يستنظف هذه العقوبات الا يرتكب ما يوجبها وقد نجحت في محاربة الاجرام نجاحا لم تصل اليه التشريعات الوضعية وهي بعد متفقة مع روح العصر ومع كل قبيلة فهي من وحى هذه الشريعة الأبدية التي جاءت لتحقيق مصالح الناس وعلى كل من يستنظف العقوبة ان ينظر الى المجرم أولا والغرم بالغم.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيِّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَابَتِيْ فَمِنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ

٤١ - يأبى الرسول لا يهزتك صنع الكافرين الذين ينتقلون في مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها ، مسارعين فيها ، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا آمنا بالسنتم ولم تدعن للحق قلوبهم ، ومن اليهود الذين يكثرن الاستماع إلى مفتريات أحبارهم ويستجيبون لها ، ويكثرن الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا ! وهؤلاء يبدلون ويحرفون ما جاء في التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكاه في مواضعه ! ويقولون لأتباعهم : ان أوتيم هذا الكلام المحرف المبدل فاقبلوه وأطيعوه ، وان لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره ! فلا تحزن ، فن يرد الله ضلاله لانفلاق قلبه ، فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشيء لم يرد الله له . وأولئك هم الذين أسرفوا في الضلال والعداء ، لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعداء والكفر ، ولهم في الدنيا ذل ، بالفضيحة والهزيمة ، ولهم في الآخرة عذاب شديد عظيم .

٤٢ - هم كثيرن الاستماع للافتراء ، كثيرن الأكل للمال المحرام الذى لا بركة فيه ، كالرشوة والربا وغيرها ، فإن جاءوك لتحكم بينهم فاحكم بينهم إذا رأيت المصلحة في ذلك ، أو أعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضررك بأى قدر من الضرر ، لأن الله عاصمك من الناس ، وان حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذى أمر الله به ، ان الله يحب العادلين فيحفظهم ويثيبهم .

٤٣ - عجا لهم ! كيف يطلبون حكك ، مع أن حكم الله منصوص عليه عندهم في التوراة ؟ ! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكك إذا لم يوافق هواهم ، مع أنه الموافق لما في كتابهم ! وليس هؤلاء من المؤمنين الذين يذعنون للحق !

هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنْتُمْ عَلَيَّمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۖ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُرَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَلْوَكُمْ فِي مَا أَنْزَلْنَا

٤٤ - انا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية إلى الحق ، وبيان منير للأحكام التي يحكم بها النبيون ، والذين
أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكون طريقة الأنبياء ، والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل ،
حراسا عليه ، شاهدين بأنه الحق . فلا تخافوا الناس في أحكامكم ، وخافوني أنا ربكم رب العالمين ، ولا تستبدلوا
بآياتي التي أنزلتها ثمنا قليلا من متاع الدنيا ، كالرشوة والجاه ! ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ،
فهم من الكافرين .

٤٥ - وفرضنا على اليهود في التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس ، فحكمتنا بأن تؤخذ النفس
بالنفس ، والعين بالعين ! والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح يقتص فيها إذا أمكن . فن عفا
وتصدق بحقه في القصاص على الجاني ، كان هذا التصديق كفارة له ، يحو الله بها قدرا من ذنوبه . ومن لم يحكم
بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون .

٤٦ - وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى بن مريم ، متبعا لطريقهم ، مصدقا لما سبقه من التوراة ، وأنزلنا
عليه الإنجيل فيه هداية إلى الحق ، وبيان للأحكام ، وأنزلناه مصدقا لما سبقه وهي التوراة ، وفيها هداية إلى الحق
وموعظة للمتقين .

٤٧ - وأمرنا اتباع عيسى وأصحاب الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله .

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ الْفُكْرَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

٤٨ - وأنزلنا إليك - أي النبي - الكتاب الكامل ، وهو القرآن ، ملازما الحق في كل أحكامه وأنبأته ، موافقا ومصدقا لما سبقه من كتبنا ، وشاهدا عليها بالصحة ، ورقبنا عليها بسبب حفظه من التغير ، فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزله الله عليك ، ولا تتبع في حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتتحرف عما جاءك منا من حق . لكل أمة منكم - أي الناس - جعلنا منهاجا لبيان الحق ، وطريقا واضحا في الدين يمشى عليه ، ولو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ، لا تختلف منهاج ارشادها في جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع ، ليتبين المطيع والعاصي . فانتهزوا الفرص ، وسارعوا إلى عمل الخيرات ، فإن رجوعكم جميعا سيكون إلى الله وحده ، فيخبركم بحقيقة ما كنتم تختلفون فيه ، ويجازي كلا منكم بعمله .

٤٩ - وأمرناك أي الرسول بأن تحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع رغباتهم في الحكم ، واحذرهم أن يصرفوك عن بعض ما أنزله الله إليك . فإن أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله إنما يريد أن يصيبهم بفساد أمورهم ، لفساد نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ، ثم يجازيهم عن كل أعمالهم في الآخرة^(١) ، وإن كثيرا من الناس لمتردون على أحكام الشريعة .

٥٠ - أريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التي لا عدل فيها ، بل الهوى هو الذي يحكم ، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة ؟ وهذه هي طريقة أهل الجاهلية ! وهل يوجد أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالشرع ويدعون للحق ؟ أنهم هم الذين يدركون حسن أحكام الله .

(١) في هذه الآية الدليل على ان القرآن الكريم يقرر مبدأ اقلية القانون بمعنى ان التشريع الاسلامي يطبق في ديار الاسلام على جميع القاطنين بها ومبدأ الاقلية هذا لم يستقر في عالم التشريع الوضعي إلا حديثا .

وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مَبْغُؤُهُمْ فَإِنَّهُمْ فِي يَدَيْ اللَّهِ لَا يَسْعَى اللَّهُ لِيُضِلَّ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْتَولَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيبُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ

٥١ - يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم ، فهم سواء في معاداتكم . ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جهلهم وان الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم يجعل ولايتهم للكافرين .

٥٢ - وإذا كانت ولايتهم لا يتبعها إلا الظالمون ، فانك ترى الذين يوالونهم في قلوبهم مرض الضعف والنفاق ، إذ يقولون : نخاف أن تصيبنا كارثة عاما فلا يساعدونا ! فعسى الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم أو يظهر نفاق أولئك المنافقين ، فيصبحوا نادمين أسفين على ما كتموه في نفوسهم من كفر وشك !!

٥٣ - وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون ، متعجبين من المنافقين : أهؤلاء الذين أقسموا وبالغوا في القسم بالله على أنهم معكم في الدين ، مؤمنون مثلكم ؟ كذبوا وبطلت أفعالهم ، فصاروا خاسرين الايمان ، ونصرة المؤمنين !!

٥٤ - يا أيها الذين آمنوا : من يرجع منكم عن الايمان إلى الكفر ، فلن يضرنا الله بأى قدر من الضرر ! تعالى الله عن ذلك ، فسوف يأتي الله بدلهم بقوم خير منهم ، يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة ، ويحبون الله فيطيعونه ، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين ، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون في الله لومة أي لائم ! ذلك فضل الله يمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير ، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه .

٥٥ - انما ولايتكم - أيها المؤمنون - لله ورسوله وأنفسكم ، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم خاضعون

لله .

٥٦ - ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أولياءه ونصراه ، فإنه يكون من حزب الله ، وحزب الله هم المنتصرون

الفائزون .

وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
 فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مُتُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ
 وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكْرٌ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ
 دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ
 فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ

٥٧ - يأبى الذين آمنوا لا تتخذوا أعداء الاسلام الذين اتخذوا دينكم سخرية وهوا، وهم اليهود والنصارى
 والمشركون، نصراء، ولا تجعلوا ولايتكم لهم، وخافوا الله ان كنتم صادقين في ايمانكم.

٥٨ - ومن استهزأهم بكم: أنكم إذا دعوتهم إلى الصلاة بالأذان، استهزأوا بالصلاة، وتضاحكوا عليها ولعبوا
 فيها، وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون، ولا يدركون الفرق بين الضلال والهدى!

٥٩ - قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب، هل تنقمون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وهو القرآن، وبما
 أنزل من قبل على الأنبياء من الكتب الصحيحة: وإيماننا بأن أكثركم خارجون على شريعة الله؟!

٦٠ - قل لهم: ألا أخبركم بأعظم شر في الجزاء عند الله؟ انه عملكم أنتم يا من أبعدهم الله من رحمته،
 وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم، وطمس على قلوبهم، فكانوا كالقردة والخنازير، وعبدوا الشيطان، واتبعوا
 الضلال! أولئك في أكبر منزلة من الشر، لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق.

٦١ - وإذا جاءكم المنافقون، كذبوا عليكم بقولهم: آمنا! وهم قد دخلوا اليكم كافرين كما خرجوا من
 عندكم كافرين! والله أعلم بما يكتمون من النفاق ومعاقبهم عليه.

٦٢ - وترى كثيرا من هؤلاء يسارعون في المعاصي والاعتداء على غيرهم، وفي أكل المال المحرام كالرشوة
 والربا ولبس ما يفعلونه من هذه القبائح!.

الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَغْلُوبَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ * يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ

٦٣ - أما كان ينبغي أن ينهأهم علماءهم وأخبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ، ولبس ما كانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهي عن المعصية ! .

٦٤ - وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لا تنبسط بالعباءة ! قبض الله أيديهم وأبعدهم من رحمته ! فآله غنى كريم ينفق كما يشاء . وان كثيرا من هؤلاء ، لا معانهم في الضلال ، ليزيدهم ما أنزل إليك من الله ظلما وكفرا ، لما فيهم من حقد وحسد . وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وكلما أشعلوا نارا للحرب الرسول والمؤمنين أطفأها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ! وأنهم يجتهدون في نشر الفساد في الأرض بالكيد والفتن وإثارة الحروب ، والله لا يحب المفسدين .

٦٥ - ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالإسلام ونبيه ، واجتنبوا الآثام التي ذكرناها ، لمحوها عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم في جنات النعيم يتمتعون بها .

٦٦ - ولو أنهم حفظوا التوراة والإنجيل كما نزل ، وعملوا بما فيها . وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ، وهو القرآن ، لوسع الله عليهم الرزق يأتيهم من كل جهة يلتمسونه منها . وليسوا سواء في الضلال . ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد وبالقرآن ، وكثير منهم لبس ما يعملونه ويقولونه معرضين عن الحق .

٦٧ - يأها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى إليك من ربك . وادعهم إليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وان لم تفعل ذلك فابلغت رسالة الله ، لأنك قد كلفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار ، إذ جرت سننه الا ينصر الباطل على الحق ، ان الله لا يهدي الكافرين إلى الطريق السوي .

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحُونَ
وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُم مِّنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ

٦٨ - بأياها الرسول ، قل لأهل الكتاب : انكم لا تكونون على أى دين صحيح ، إلا إذا أعلنتم جميع الأحكام
التي أنزلت في التوراة والانجيل ، وعلمتم بها ، وأنتم بالقرآن الموحى به من الله إلى رسوله هداية الناس ،
ولتتقين - أيها الرسول - أن معظم أهل الكتاب سيزدادون بالقرآن الموحى به إليك ، ظلما وكفرا وعنادا ، لحسدكم
وحقدكم ، فلا تحزن على الذين طبعوا على الجحود .

٦٩ - ان المصدقين بالله ، وأتباع موسى من اليهود ، والخارجين عن الأديان ، وأتباع عيسى من النصارى ، كل
أولئك ، إذا أخلصوا في الايمان بالله ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأتوا بالأعمال الصالحة التي جاء بها الاسلام ، فهم
في مأمن من العذاب وفي سرور بالنعيم يوم القيامة .

٧٠ - اننا عاهدنا اليهود من بني اسرائيل عهدا مؤكدا في التوراة على اتباع أحكامها ، وبعثنا اليهم أنبياء
كثيرين ليبينوها لهم ، ويؤكدوا عهدنا ، ولكنهم نقضوا العهد ، فكانوا كلما أتاهم رسول بما يخالف أهواءهم ، كذبوا
البعث وقتلوا البعض .

٧١ - ووطن بنو اسرائيل أنه لا تنزل بهم شدائد تبين الثابتين من غير الثابتين ، ولذلك لم يصبروا في
الشدائد ، بل ضل كثيرون منهم ، وصاروا كالعميان الصم ، وأعرضوا عن الحق ، فسلط الله عليهم من أذاقهم
الذل . وبعد حين رجعوا إلى الله تائبين ، فقبل توبتهم ، وأعاد اليهم عزمهم ، ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة
أخرى ، وصاروا كالعمى الصم ! والله مطلع عليهم ، مشاهد لأعمالهم ، ومجازيم عليها .

٧٢ - وأنه لم يؤمن بالله من يزعم أن الله حل في عيسى ابن مريم حتى صار الها ، كما يقول النصارى الآن !
مع أن عيسى براء من هذه الدعوى ، فإنه أمر بني اسرائيل أن يخلصوا الايمان لله وحده ، فائلا لهم : ان الله هو
خالق وخالقكم ، ومالك أمرنا جميعا ، وأن كل من يدعى لله شريكا فإن جزاءه أن لا يدخل الجنة أبدا ، وأن تكون
النار مصيره ، لأنه تعدى حدود الله ، وليس لمن يتعدى حدوده ويظلم ، ناصر يدفع عنه العذاب .

ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرِكَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَن يَتُوكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

٧٣ - وانه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد آلهة ثلاثة، كما يزعم النصارى الآن !! والحق
 الثابت أنه ليس هناك اله إلا الله وحده، وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة إلى طاعة الله،
 فلا بد أن يصيهم عذاب شديد.

٧٤ - ألا ينتهي هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة، ويرجعوا إلى الإيمان بالله، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهم
 من الذنوب؟ ان الله واسع المغفرة، عظيم الرحمة.

٧٥ - ليس عيسى بن مريم إلا عبدا من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة، كما أنعم على كثير من سبقه. وأم
 عيسى إحدى النساء، طبعت على الصدق في قولها والتصديق برها، وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى
 ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب، وذلك علامة البشرية. فتأمل أيها السامع حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة
 الآيات الواضحة التي بينها الله لهم، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه؟!

٧٦ - قل أيها الرسول لهؤلاء الضالين: كيف تعبدون إلهًا يعجز عن أن يضركم بشيء ان تركتم عبادته،
 ويعجز عن أن ينفعكم بشيء ان عبدتموه!! كيف تتركون عبادة الله وهو الإله القادر على كل شيء، وهو ذو السمع
 والعلم الشامل!!

٧٧ - قل بأيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: ان الله ينهاكم أن تتجاوزوا في معتقداتكم حدود
 الحق إلى الباطل فتجعلوا بعض خلقه آلهة، أو تنكروا رسالة بعض الرسل، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات
 أناس سبقوكم، قد تجنّبوا طريق الهدى، ومنعوا كثيرا من الناس أن يسلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق
 الواضح.

٧٨ - طرد الله كفار بني اسرائيل من رحمة، وأنزل هذا في الزبور على نبيه داود، وفي الانجيل على نبيه
 عيسى بن مريم، وذلك بسبب تمردهم عن طاعة الله، وتقديمهم في الظلم والفساد.

عَنْ مُتَكْرِفِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَهُمْ لِنَفْسِهِمْ
 أَنْ يَخِطُّوا إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَانَ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
 وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَإِنَّا كُنَّا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾
 فَأَنبِئْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ

٧٩ - كان دأبهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ! وأن اتيانهم المنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون .

٨٠ - ترى كثيرا من بنى اسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصارا يتعاونون فيما بينهم على حرب الاسلام ! ان هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضبا من الله ، وخلودا في عذاب جهنم !

٨١ - ولو صحت عقيدة هؤلاء في الايمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل إليه من القرآن ، لمنعهم ذلك الايمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيرا من بنى اسرائيل عاصون خارجون عن الأديان .

٨٢ - نؤكد لك أيها النبي أنك تجد أشد الناس حقدا وكرهية لك ، ولن آمن بك ، هم اليهود ، والذين أشركوا مع الله غيره في العبادة . وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك ، هم أتباع عيسى ، الذين سموا أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورهبانا يخشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق .

٨٣ - ولأنهم إذا سمعوا القرآن الذي أنزل على الرسول يتأثرون به ، فتفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفتهم أن الذي سمعوه حق ، فتميل إليه قلوبهم ، وتنطلق السنتهم بالدعاء لله قائلين : ربنا آمنا بك وبرسلك ، وبالحق الذي نزلته عليهم ، فتقبل إيماننا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلتهم شهداء وحجة على الناس يوم القيامة .

٨٤ - وأي مانع يمنعنا من أن نصدق بالله وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

٨٥ - فكتب الله لهم ثوابا لاعترافهم ، هو جنات تجري الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ماكون فيها دائما . وذلك الجزاء الذي نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم .

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءَمُومُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفِّرَتُهُ ۖ وَأَطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ لِمَآئِنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٨٦ - والذين جحدوا بالله ورسله ، وأنكروا أدلته التي أنزلها عليهم هداية للحق ، هم وحدهم الملازمون للعذاب الشديد في جهنم .

٨٧ - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات ، ولا تتجاوزوا الحدود التي شرعها الله لكم من التوسط في أموركم . ان الله لا يحب المتجاوزين للحدود .

٨٨ - وكلوا مما أعطاكم الله ويسره لكم ، وجعله حلالا لكم تطيب به نفوسكم ، واخشوا الله دائما وأطيعوه ما دتم مؤمنين به .

٨٩ - لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تفصدوه من أيمانكم ، وإنما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الأيمان ، فإن حنثتم فيما حلفتم عليه ، فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين ، بأن تطعموا عشرة فقراء يوما ، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم في رعايتكم ، من غير سرف ولا تقتير . أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة ، أو بأن تحرروا انسانا من الرق . فإذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام . وكل واحد من هذه الأمور يغفر به ذنب الحلف الموثق بالنية إذا نقضه الحالف . وصونوا أيمانكم فلا تضعوها في غير موضعها ، ولا تتركوا فعل ما يغفر ذنوبكم إذا نقضتموها . على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه ، لتشكروا نعمه بمعرفتها والقيام بمحقتها (١) .

(١) هذه آية من الآيات العديدة في القرآن الكريم التي تؤدي الى تحرير الرقاب إذ توسع القرآن في المسالك المؤدية الى تحرير الرقاب كما ضيق في مصادر الرق .

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا

٩٠ - يأبى المصدقون بالله وكتبه ورسله، المذعنون للحق، ليس شرب المسكرات، ولا لعب القمار، ونصب الأحجار للذبح عندها تقربا إلى الأصنام التي تعبدونها، واتخاذ السهام والحصى والورق للتعرف بها على مغيبات القدر. . ليس كل ذلك إلا خبثا نفسيا باطلا، هو من تزيين الشيطان لفاعليه. . فاتركوه لكي تفوزوا في الدنيا بحياة فاضلة، وفي الآخرة بنعيم الجنة.

٩١ - ان الشيطان لا يريد بتزيينه لكم شرب الخمر ولعب الميسر، الا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية، ليضعف أركانكم بذهاب الألفة بينكم، وتفتيت وحدتكم، بسبب ما يزينه لكم من شرب المسكرات ولعب القمار، والا أن يصرفكم عن عبادة الله، ويلهيكم عن أداء الصلاة، لتسوء آخرتكم كما ساءت دنياكم. فبعد علمكم هذه المفاسد ابتعدوا عما نهيتكم عنه، لتفوتوا على ابليس غرضه^(١).

٩٢ - وامتثلوا أمر الله وأمر رسوله فيما يبلغكم به عن ربه، وابتعدوا عما يعرضكم للعذاب ان خالفتم لأنكم ان أعرضتم عن الاستجابة لما أمركم به، فتيقنوا أنه معاقبكم. وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة المخالفين، وأنه ليس على رسولنا إلا اخباركم بأحكامنا، وتوضيحها توضيحا كاملا.

(١) ذكر الله سبحانه وتعالى في الخمر والميسر في هذه الآية أمورا أربعة أوجبت تحريمها:

أولها - انها خبث وشر في ذاته اذ لا يمكن ان توصف بالخير، لان عنصر الضرر فيها واضح في الخمر فساد العقل، وفي الميسر فساد المال، وفيها معا فساد القلب والشيطان هو الذى يحسنها.

ثانيها - أنها تنشر العداوة والبغضاء، فالميسر كثيرا ما ينتهى الى نزاع، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضعف، والخمر أم الكباير، وعلّة تحريم الخمر تنحصر في الآتي: ان الله كرم الانسان بالعقل بان جعل له خلايا ارادية عليا في المخ تهيمن على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا في الانسان والخمر خاصة والمخدرات عامة تعمل عملها في هذه المراكز فتبطلها، اما مؤقتا أو دائما حسب التأثير بالمشروب او غيره وعند تنشيط وتعويق هذه المراكز عن العمل تظفي المراكز التي هي دونها فينقل الانسان بها، فاما ان يطفى ويمتدى، واما ان يفتر ويخمد، وهذا معناه فقد التوازن العقل، وبالتالي تتأثر الاعمال وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا سيئا على الجهاز الهضمي والدوري وعلى الكل والكبد وأخطر هذه جميعا التأثير على الكبد بتليفه.

ثالثها: انه اذا فقد الاتزان انصرف العبد عن ذكر الله الذى تحيا به القلوب.

رابعها: وبالتالي فهي تصد عن الصلاة لانها تنسى المؤمن الصلاة وكيفية ادائها على الوجه الاكمل وتحريم القليل ولو لم يسكر سببه الخوف من التعود والتماهى الذى ينتهى بالادمان.

وعين الخمر قد اجتمعت المذاهب الاسلامية على انها كل مشروب أو غير مشروب يسكر في ذاته استنادا الى حديث رسول الله ﷺ: الذى يقول فيه: « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » والى ماخرجه ابوداود في صحيحه انه نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

وَأَمِنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ وَعَدُّ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَلَّكُمْ وَاللَّيْبَةَ وَالْحَرَامَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

٩٣ - ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأتوا بصالح الأعمال ، ثم فيما يطعمون من حلال طيب ، ولا فيما سبق أن طعموه من المحرمات قبل علمهم بتحريمها ، إذا خافوا الله ، وابتعدوا عنها ، بعد علمهم بتحريمها ، ثم استمروا على خوفهم من الله ، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام ، ثم داوموا على خوفهم من الله في كل حال وأخلصوا في أعمالهم وأدوها على وجه الكمال ، فإن الله يثيب المخلصين في أعمالهم على قدر اخلاصهم وعملهم .

٩٤ - يا أيها الذين آمنوا : ان الله يختبركم في الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطياده بأيديكم ورماحكم ، ليظهر الذين يراقبونه منكم في غيبة عن أعين الخلق . فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد .

٩٥ - يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نويتم الحج والعمرة وتقومون بأعمالها ، ومن قتله منكم قاصدا ، فعليه أن يؤدي نظير الصيد الذي قتله ، يخرج من الأبل والبقر والغنم . ويعرف النظير بتقدير رجلين عادلين منكم يحكمان به ، ويهديه إلى الفقراء عند الكعبة ، أو يدفع بدله اليهم ، أو يخرج بقيمة المثل طعاما للفقراء ، لكل فقير ما يكفيه يومه ، ليكون ذلك مسقطا لذنوبه على الصيد ، أو يصوم أياما بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام لو أخرجه . وقد شرع ذلك ليحس المعتدى بنتائج جرمه وسوء عاقبته . عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها ، ومن رجع إلى التعدي بعد العلم بتحريمه ، فإن الله يعاقبه بما ارتكب ، وهو غالب لا يغلب شديد العقاب لمن يصر على الذنب .

٩٦ - أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار ، وأن تأكلوا منه ، وينتفع به المقيمون منكم والمسافرون ، وحرّم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير المستأنس ، مما جرت العادة بعدم تربيته في المنازل والبيوت ، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالحرم ، وراقبوا الله وخافوا عقابه ، فلا تخالفوه ، فانكم إليه ترجعون يوم القيامة ، فيجازيكم على ماتعملون .

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَجْمَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن
 أَشْيَاءَ إِن تَبْدَلُكُمْ تَسْؤَكُم وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تَبْدَلُكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
 قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

٩٧ - جعل الله الكعبة ، وهي البيت الذي عظمه وحرم الاعتداء فيه على الانسان والحيوان غير المستأنس وفيما حوله ، جعله قائما معظما يأمن الناس فيه ، ويتجهون إليه في صلاتهم ، ومحجون إليه ليكونوا في ضيافة الله ، وليعملوا على جمع شملهم . وكذلك جعل شهر الحج وما يهدى إلى الكعبة من الأنعام ، وخاصة ما يوضع في عنقه القلائد لاشعار الناظرين بأنه مهدي إلى البيت . ونتيجة القيام بذلك أن تستيقنوا أن علمه محيط بما في السموات التي ينزل منها الوحي بالشرع ، ومحيط بما في الأرض ، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم . وأن علمه بكل شيء محيط .

٩٨ - اعلمو أيها الناس أن عذاب الله شديد ينزل بمن يستبيح حرماته ، وأنه كثير المغفرة لذنوب من يتوب ويحافظ على طاعته ، واسع الرحمة بهم فلا يؤاخذهم حينئذ بما وقع منهم .

٩٩ - ليس على الرسول إلا أن يبلغ للناس ما يوحى إليه ، لتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عنهم العذر . فلتعملوا بما بلغه اليكم ، فإن الله يعلم ما تظهرون وما تخفون .

١٠٠ - قل يا أيها النبي للناس : لا يتساوى ما أباحه الله لكم من الطيبات ، وما حرمه عليكم من الخبائث ، فإن الفرق بينها كبير عند الله ، ولو كثرت الخبيث وأعجب كثيرا من الناس . فاجعلوا يا أصحاب العقول طاعة الله وقاية لكم من عذابه ، باختيار الطيبات واجتناب الخبائث ، لتكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة .

١٠١ - يا أيها الذين آمنوا : لا تسألوا النبي عن أمور أخفاها الله عنكم أن تظهر لكم ، وأن تسألوا النبي عنها في حياته ، إذ ينزل عليه القرآن ، بينها الله لكم ، عفا الله عنكم في هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها ، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يجعل بالعقوبة .

١٠٢ - قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقوكم ، ثم بعد أن كلفوها على السنة أنبيائهم نقل عليهم تنفيذها ، فأعرضوا عنها ، وكانوا لها منكرين ، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر ، ويكلف الناس ما يطيقون .

وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ

١٠٣ - لم يأذن الله لكم أن تحرموا ما أحله لكم، فتشقوا أذن الناقة، وتمتنعوا عن الانتفاع بها، وتسموها «بحيرة»، وتتركوها بناء على نذر، وتسموها «سائبة»، وتحرموا الذكر من الشاة، وتجهوه للأصنام، حتى إذا انتجت الشاة ذكرا وأنتى سميتها «وصيلة»، ولم تذبحوا الذكر منها. ولم يشرع لكم أن تحرموا الانتفاع بالذكر من الأبل إذا ولد منه عشرة أبطن، وتطلقوا عليه اسم «حام»!! لم يشرع الله لكم شيئا من ذلك، ولكن الذين كفروا يفتلون الكذب وينسبونه إلى الله، وأكثرهم لا يعقلون^(١).

١٠٤ - وإذا قيل لهؤلاء الكافرين: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى ما بينه الرسول لتهتدى به، قالوا: يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا! أبيض أن يقولوا هذا؟ ولو كان آباؤهم كالأنعام لا يعلمون شيئا عن الحق، ولا يعرفون طريقا إلى الصواب؟

١٠٥ - يا أيها الذين آمنوا أحرصوا على اصلاح أنفسكم بطاعة الله، انه لا يضيركم ضلال غيركم، إذا كنتم على الهدى ودعوتهم إلى الحق، وإلى الله وحده مرجعكم جميعا يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم، ويجزى كلا منكم بما قدم، فلا يؤاخذ أحدا بذنب غيره.

(١) كان عند الجاهلية عادات حرموا بها على انفسهم ما لم يحرمه الله منها:

١ - اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر. شقوا اذنها وحرموا ركوبها ولم يطردوها عن ماء ولا مرعى وسموها «بحيرة» اى مشقوقة الاذن.

٢ - كان الرجل منهم يقول: «اذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقى سائبة ثم يجعلها كالبحيرة».

٣ - وكانوا إذا ولدت الشاة أنثى جعلوها لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلئتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى لم يذبحوا الذكر لآلئتهم وقالوا عن الشاة وصلت أخاها وسموها «وصيلة».

٤ - وكانوا إذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ويعرف عندهم باسم «حام».

فَبِقِسْمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَسْتَرِي بِهِ ؕ نَمْنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
 فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَغَاغَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَبِقِسْمَانِ بِاللَّهِ
 لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْتَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا
 أَوْ يَحْفَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
 الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي آدَمَ ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ
 نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
 وَتُبْرِئُ الْأَعْمَىٰ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

١٠٦ - يأبى الذين آمنوا : حينما تظهر على أحد منكم علامة الموت ، ويريد أن يوصى بشيء ، فالشهادة بينكم على الوصية : أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو آخران من غيركم ، إذا كنتم في سفر ، وظهرت أمارات الموت ، تحبسون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التي يجتمع عليها الناس . فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه عوضا ، ولو كان فيه نفع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفي الشهادة التي أمرنا الله بأدائها صحيحة . انا إذا أخفينا الشهادة أو قلنا غير الحق ، لنكونن من الظالمين المستحقين لعذاب الله .

١٠٧ - فإذا ظهر أن الشاهدين قد كذبا في شهادتهما ، أو أخفيا شيئا ، فإن اثنين من أقرب المستحقين لتركة الميت ، هما أحق أن يقفا مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهرها كذبتها فيحلفا بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن يميننا أولى بالقبول من يمينها ، ولم نتجاوز الحق في أيماننا ، ولم تنهم الشاهدين زورا ، فإننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين المستحقين عقاب من يظلم غيره .

١٠٨ - هذا التشريع أقرب الطرق إلى أن يؤدي الشهداء شهادتهم صحيحة محافظة على حلفهم بالله ، أو خوفا من فضيحتهم بظهور كذبهم ، إذا حلف الورثة لرد أيمانهم . وراقبوا الله في أيمانكم وأماناتكم ، وأطيعوا أحكامه راضين بها ، فإن فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فإن الله لا ينفع بإرشاده من خرج على طاعته ...

١٠٩ - وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلًا لهم : ماذا أجابتمكم به أممكم الذين أرسلتمكم اليهم ؟ أبالإيمان أم بالانكار ؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحججة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا اليهم ، وأنت وحدك الذي تعلم ذلك ، لأنك الذي أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر .

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوا ءَامِنَّا وَآشَهِدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

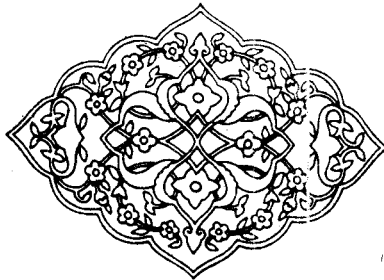
١١٠ - وفى ذلك الوقت ينادى الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أمك فى الدنيا ، حينما نبتك بالوحي وأنطقتك وأنت رضيع بما يرى أمك مما أهتمت به ، كما أنطقتك وأنت كبير بما قد أوحيت إليك ، وحينما أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، ووفقتك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى والانجيل الذى أنزلته عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير بإذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائرا حيا بقدرة الله لا بقدرتك ، وتشفى من العمى من ولد أعمى ، وتشفى الأبرص من برصه بإذن الله وقدرته ، وحينما يجرى على يدك احياء الموتي بإذن الله وقدرته ، وحينما منعت اليهود من قتلك وصلبك عندما أنتهت بالمعجزات ليؤمنوا ، فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو إلا من قبيل السحر الواضح ..

١١١ - واذكر أيها الرسول لأمتك ما حدث حين ألهنا جماعة ممن دعاهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى ، فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : آمنا ، واشهد ياربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .

١١٢ - اذكر أيها النبي ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى بن مريم ، هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السماء ؟

قال لهم عيسى ردا عليهم : ان كنتم مؤمنين بالله ، فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججا غير التى قدمتها .

١١٣ - قالوا : اتنا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن معاينة أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .

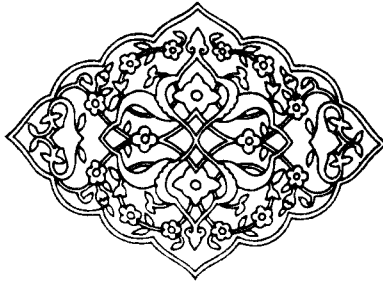


السَّمَاءُ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَءِجْرَانَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكَ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنِّكَ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُمْ أَقْرَبَ

١١٤ - فاستجاب لهم عيسى وقال: يا ربنا ومالك أمرنا، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيداً للمؤمنين منا، المتقدمين والمتأخرين، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك، وارزقنا رزقاً طيباً، وأنت خير الرازقين.

١١٥ - قال الله له: اني سأنزل المائدة عليكم من السماء، فأى امرئ منكم يجحد هذه النعمة بعد انزالها، فإنى أعاقبه عقاباً لا أعاقب بمثله أحداً من الناس، لأنه كفر بعد ما شاهد دليل الايمان الذى اقترحه.

١١٦ - واذكر أيها النبي ما سيحدث يوم القيامة، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولاً يعلن الحق: أنت الذى قلت لهم اجعلونى أنا وأمى الهين، تاركين افراد الله بالعبودية؟ قال عيسى: أنزهك تنزيهاً تاماً عن أن يكون لك شريك، ولا يصح لى أن أطلب طلباً ليس لى أدنى حق فيه. لو كنت قلت ذلك لعلمته، لأنك تعلم خفايا نفسى، فضلاً عن مظاهر قولى، ولا أعلم ما تخفيه عنى! انك وحدك صاحب العلم المحيط بكل خفى وغائب.



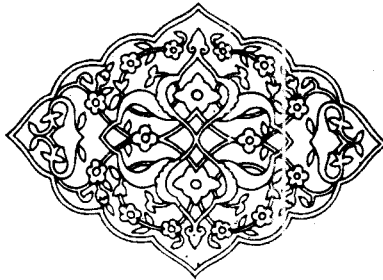
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

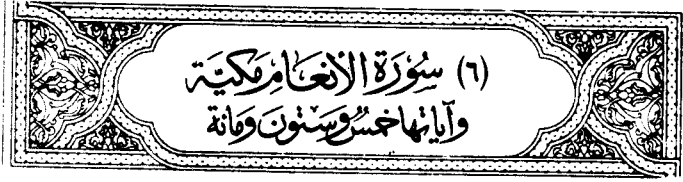
١١٧ - ما قلت لهم الا ما امرتني بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده ، فإنه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم ، فلما انتهى أجل اقامتى الذى قدرته بينهم ، كنت أنت وحدك المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شىء .

١١٨ - ان تعذبهم بما فعلوا ، فإنهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد ، وان تغف عنهم ، فإنك وحدك القاهر الذى لا يغلب ، ذو الحكمة البالغة فى كل ما يصدر عنه .

١١٩ - يقول الله : هذا هو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم ، لهم حدائق تجرى تحت أشجارها الأنهار ، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدا ، يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه ، وذلك النعيم هو الفوز العظيم .

١٢٠ - لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن ، فهو وحده المستحق للعبادة ، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

هي سورة مكية، إلا الآيات: ٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

وآياتها ١٦٥، نزلت بعد سورة الحجر. وتتضمن هذه السورة الكريمة معاني قد فصلتها:

* نبهت الناس إلى الكون وما فيه من دلالة على عظم المنشئ وجلاله ووحدانيته، وأنه لا يشاركه في الخلق ولا في العبادة ولا في الذات أحد.

* وتضمنت قصص بعض النبيين، وابتدأت بقصة إبراهيم عليه السلام، وبيان أنه أخذ معنى العبادة والوحدانية من مطالعة الكون، وتبع ما فيه، وقد ابتدأ بتتبع النجوم، ثم القمر ثم الشمس، وانتهى بالتتابع إلى عبادة الله وحده.

* ووجهت الأنظار إلى عجائب الخلق والتكوين، وبينت كيف ينبت الحى الرطب من الجامد اليابس وكيف يفلق الحب فيكون منه النبات.

* وقد ذكرت صفات الجاحدين، وكيف يتعلقون بأوهام تبعدهم عن الحق، وتضلهم.

* وفيها بيان الحلال الذى أحله الله تعالى فى الأطعمة، وضلال المشركين فيما حرموه على أنفسهم من غير أن يعتمدوا على دليل، وكيف ينسبون التحريم إليه سبحانه.

* وفيها بيان هذه الأوامر التى هى خلاصة الاسلام والأخلاق الحميدة، وهى: تحريم الشرك، والزنى، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، ووجوب إيفاء الكيل والميزان، وتحقيق العدالة، والوفاء بالعهد، والاحسان إلى الوالدين ومنع وأد البنات.

١ - الثناء والذكر الجميل لله، الذى خلق السموات والأرض، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بقدرته وعلى وفق حكمته، ثم مع هذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون، ويجعلون له شريكا فى العبادة!

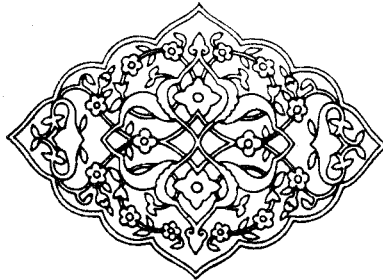
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَحْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
 الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
 مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمًا
 هَلَكًا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنَ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ
 بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفِضَى الْأَمْرُ

- ٢ - هو الذي بدأ خلقكم من طين^(١)، ثم قدر لحياة كل منكم زمنا ينتهي بموته والأجل عنده وحده المهدد للبعث من القبور، ثم أنتم أيها الكافرون بعد هذا تجادلون في قدرة الله على البعث، واستحقاقه وحده للعبادة !!
- ٣ - وهو وحده المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض، يعلم ما أخفيتموه وما أظهرتموه، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه.
- ٤ - ولا يوثق المشركون بدليل من أدلة خالقهم، التي تشهد بوحدانيته وصدق رسله، إلا كانوا منصرفين عنه، لا يتأملون فيه ولا يعتبرون به!
- ٥ - فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم، وهو حق لا يأتيه الباطل! فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة، ويتبين لهم صدق وعيده الذي كانوا يسخرون منه.
- ٦ - ألم يعلموا أننا أهلكتنا أما كثيرة قبلهم، أعطيناهم من أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم نعطكم إياه، أيها الكافرون، ووسعنا عليهم في الرزق والنعيم، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينتفعون بها في حياتهم، وجعلنا مياه الأنهار تجري من تحت قصورهم، فلم يشكروا هذه النعم. فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم، وأوجدنا من بعد أناسا غيرهم خيرا منهم.
- ٧ - ولو أنزلنا عليك، أي النبي، دليل رسالتك مكتوبا في ورق، فأراه بأعينهم، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه، لقالوا تعنتا: ما هذا الذي نلمسه إلا سحر ظاهر!!

(١) تصلح هذه الآية لان يكون المراد منها خلق آدم ابى البشر من طين كما جاء في آيات أخرى وان يكون المراد منها ان جسم الانسان مكون بنسب خاصة من عناصر الطين نفسه ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى خلقت في هذه العناصر الحياة فصارت بشرا سويا.

ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي

- ٨ - وقالوا: نطلب أن ينزل الله عليك ملكا يصدقك . ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يمهلون لحظة .
- ٩ - ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكا كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فانهم لا يقدرين على رؤية الملك في صورته الأصلية ، ولا شتبه عليهم الأمر واختلط بإرساله في صورة بشر ، وأوقعناهم في نفس الخطأ الذي يتخطون فيه .
- ١٠ - ولقد سخر الكفار كثيرا برسول من قبلك أيها النبي ، فأحاط بالساحرين العذاب الذي أنذرهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخريتهم من قبل .
- ١١ - قل أيها النبي هؤلاء الكفار سيروا في جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذبين لرسولهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .
- ١٢ - قل أيها النبي هؤلاء الجاحدين : من مالك السموات والأرض ومن فيهن ؟ فإن أحجموا فقل الجواب الذي لا جواب غيره : ان مالكها هو الله وحده لا شريك له ، وأنه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يعجل عقوبتهم ، ويقبل توبتهم ، انه ليحشرنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه . الذين ضيعوا أنفسهم وعرضوها للعذاب في هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب .
- ١٣ - والله مافي كل زمان ، كما أن له مافي كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يعلم .



أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

١٤ - قل أيها النبي : لا اتخذ غير الله آلهًا وناصرًا ، وهو وحده المنشئ للسموات والأرض على نظام لم يسبق إليه ، وهو الرازق لعباده طعاهم ، ولا يحتاج منهم إلى طعام . قل : إني أمرني الله أن أكون أول من أسلم ، ونهاني أن أشرك معه غيره في العبادة .

١٥ - قل : إني أخاف ، ان خالفت أمر ربي وعصيته ، عذاب يوم شديد .

١٦ - من يصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله ، وذلك هو الفوز الثابت البين .

١٧ - وان يصبك الله بسوء فلا مزيل له إلا هو ، وان يمنحك خيرا فلا راد لفضله ، لأنه على كل شيء قدير .

١٨ - وهو الغالب بقدرته ، المستعلى على عباده ، المتصف بالحكمة في كل ما يفعل ، المحيط علمه بما ظهر واستتر .

١٩ - قل أيها النبي لمن يكذبوك ويطلبون شهادة على رسالتك ، أي شيء أعظم شهادة وأحق بالتصديق ؟ ثم قل : ان الله أعظم شاهد بيني وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدق ، لأحذركم به أنتم وكل من بلغه خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدق ، لأنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله ! . سلهم : أنتم الذين تقولون معتقدين أن مع الله آلهة غيره ؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولا أقركم عليه ، وإنما المعبود بحق اله واحد ، وانني بريء مما تشركون به من أوثان .

٢٠ - الذين آتيناهم الكتب السابوية من اليهود والنصارى ، يعرفون محمدا وصدق رسالته ، من هذه الكتب ، كمعرفتهم أبناءهم . ان الذين ضيعوا أنفسهم ، لا يقرون بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .

مِنَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
 أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
 كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
 يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً أَيَّةً لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْفَعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ

٢١ - وليس أحد أشد ظلما لنفسه وللحق من افترى على الله الكذب ، وادعى أن له ولدا أو شريكا ، أو نسب إليه ما لا يليق ، أو أنكر أدلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله ! ان الظالمين لا يفوزون بخير في الدنيا والآخرة .

٢٢ - واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخا للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفَعوكم ؟

٢٣ - ثم لم تكن نتيجة محتهم الشديدة في هذا الموقف إلا محاولة التخلص من شركهم السابق بالكذب ، فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا في العبادة أحدا غيرك .

٢٤ - انظر كيف غالطوا أنفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يخلقونه من عبادة الأحجار ويزعمونها شركاء لله !! .

٢٥ - ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن ، لا ليفقهوه ، وليهدوا به وإنما ليتلمسوا سبيلا للطعن فيه والسخرية منه .

وقد حرمانهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم في أغطية تحجب عنهم الإدراك الصحيح ، وكأن في آذانهم صمما يحول دون سماع آيات القرآن . وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جاءوك ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من قبلك الأولون .

٢٦ - وهم ينهون الناس عن الايمان بالقرآن ، ويتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع ! وما يضررون بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون .

تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ
مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا
عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبٌ وَهْوٌ
وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنكَ آلُذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

٢٧ - ولو ترى ، أي النبي ، هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون أهوالها ، لرأيت أمرا غريبا رهيبا ،
إذ يتمنون الرجوع إلى الدنيا ، ويقولون : ياليتنا نرد إليها لنصلح ما أفسدنا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من
المؤمنين !

٢٨ - وليس قولهم هذا ، إلا لأنه قد ظهر لهم ما لا يمكن إخفاؤه والمكابرة فيه ، مما كان يخبرهم به الرسول !
ولو ردوا إلى الدنيا كما يتمنون ، لعادوا إلى الكفر الذي نهاهم الله عنه ، لفرورهم بزخرفها واطاعة أهوائهم !
وانهم لكاذبون في دعواهم الايمان إذا ردوا إلى الدنيا !

٢٩ - ولو أعيدوا إلى الدنيا لعادوا إلى سيرتهم الأولى وقالوا : ليس لنا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ،
وما نحن بعد ذلك بمبعوثين !

٣٠ - لو تراهم حين يقفون للحساب أمام ربهم ، ويعرفون صدق ما أنزله على رسله ، لرأيت سوء حالهم
إذ يقول الله لهم : أليس هذا الذي تشاهدونه الآن هو الحق الذي أنكروه في دنياكم ؟ فيقولون متذللين : بلى وربنا
انه الحق ! فيقول الله لهم بعد ذلك : ادخلوا النار بسبب ما كنتم حريصين عليه من الكفر .

٣١ - قد خسر الذين أنكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة ، وظلوا على انكارهم ، حتى إذا فاجأتهم
مشاهد يوم القيامة ندموا وقالوا : يا حسرتنا على اهاننا اتباع الحق في الدنيا ! وهم يومئذ يرزحون تحت أعباء
ذنوبهم ! الا قبح ما يحملون من الذنوب !

٣٢ - وليست الحياة الدنيا التي حسب الكفار أنه لا حياة غيرها ، والتي لا يقصد بالعمل فيها مرضاة الله ،
إلا لعبا لا نفع فيه ، وهوا يتلها به !! . وأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية ، وهي أنفع للذين يخافون الله
فيمتثلون أمره . أفلا تعقلون هذا الأمر الواضح ، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم ؟

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
 أَنْتَهُمْ فَصَرْنَا وَلَا مِيدَلٍ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْبًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِعَاقِبَةٍ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۗ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
 وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ

٣٣ - اننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبي ما يقوله الكفار تكذيبا لك ، فلا تحزن من ذلك . لأن الحقيقة أنهم لا يهتمونك بالكذب ، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون ، فينكرون بألسنتهم دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

٣٤ - ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والايذاء من أقوامهم ، كما فعل معك قومك ، فصبروا على التكذيب والايذاء ، حتى نصرناهم ، فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا ، ولا مغير لوعده الله بنصر الصابرين ، فلا بد من تحققه . ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأيدنا لهم ، ما فيه تسلية لك ، وما توجه الرسالة من تحمل الشدائد .

٣٥ - وان كان قد شق عليك انصرافهم عن دعوتك ، فإن استطعت أن تتخذ طريقا في باطن الأرض ، أو سلما تصعد به إلى السماء ، فتأتيهم بدليل على صدقك ، فافعل ! وليس في قدرتك ذلك . فأرح نفسك واصبر لحكم ربك ، ولو شاء الله هدايتهم لحملهم جميعا على الايمان بما جئت به قسرا وقهرا ، ولكنه تركهم لاختيارهم فلا تكونن من الذين لا يعلمون حكم الله وسنته في الخلق .

٣٦ - إنما يجيب دعوة الحق مقبلين عليه ، الذين يسمعون سماع فهم وتدبر . وأما هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك ، لانهم في حكم الأموات . وسيبعثهم الله يوم القيامة من القبور ، ويرجعهم إليه ، فيحاسبهم على ما فعلوا .

٣٧ - وقال الكفار متعنتين : نطلب أن ينزل على محمد دليل مادي من ربه يشهد بصدق دعوته ! قل لهم أيها النبي : ان الله قادر على أن ينزل أي دليل تقترحونه . ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله في انزال الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم !!

رَبِّهِمْ يُحْشِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

٣٨ - وان أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته ، أنه خلق كل شيء ، وليس في الأرض حيوان يدب في ظاهر الأرض وباطنها ، أو طائر يطير بجناحيه في الهواء ، إلا خلقها الله جماعات تماثلكم ، وجعل لها خصائصها وميزاتها ونظام حياتها . ما تركنا في الكتاب المحفوظ عندنا شيئاً إلا أتبناه . وان كانوا قد كذبوا ، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة (١) .

٣٩ - والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك ، لم ينتفعوا بحواسهم في معرفة الحق ، فتخبطوا في ضلال الشرك والعناد ، تخبط الأعمى الأبكم في ظلمات الليل ، لا نجاة له من الهلاك . ولو كان في هؤلاء استعداد للخير لوفقههم الله إليه ، فإنه سبحانه إذا أراد اضلال انسان لفساد قصده ، تركه وشأنه ، وإذا أراد هدايته لسلامة قصده ، يسر له السير في طريق الايمان الواضح المستقيم .

٤٠ - قل أيها النبي لهؤلاء الكفار: أخبروني ان جاءكم عذاب من عند الله في الدنيا أو جاءتكم القيامة بأهوالها ، هل تتجهون لغير الله تضرعون إليه في هذا الوقت فينفعكم شيئاً ، ان كنتم صادقين في عبادتكم لغير الله ؟

٤١ - بل انكم لا تتجهون إلا إليه ، إذ تدعونه فيكشف عنكم ما تطلبون كشفه ان شاء . وفي حال هذه الشدة ، تنسون ما تجعلونه لله شركاء !!

٤٢ - لا يشق عليك ، أيها النبي ، ما تلاقيه من قومك . فلقد بعثنا قبلك رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم ، فعاقبناهم بالشدائد نزل بهم ، وبما يضرهم في أبدانهم ، لعلهم يخشعون ويرجعون إلى الله .

(١) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون .

ونص التعليق هو :

(تنظم الكائنات الحية في مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية وطيفية وطباع مميزة ، وفي الآية الكريمة تنبيه الى تباين صور المخلوقات وطرائق معيشتها فكما أن الانسان نوع له خصائصه فكذلك سائر أنواع الاحياء . وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق دراسة نوع منها) .

وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ وَحَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ^ط فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

٤٣ - وكان ينبغي لهم أن يرجعوا إلى ربهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل استمرت قلوبهم على قسوتها ، وزين لهم الشيطان عملهم القبيح .

٤٤ - فلما تركوا الاعتاض بما ابتليناهم من الفقر والمرض ، ابتليناهم بعد ذلك بالرزق الواسع ، ففتحنا عليهم أبوابه في كل شيء من أسباب الرزق ، حتى إذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم ، ولم يشكروا الله عليه ، جاءهم العذاب فجأة ، فإذا هم متحيرون يائسون ، لا يجدون للنجاة سبيلا .

٤٥ - فأيد هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم . والحمد لله ربى الخلق بالنقم والنعم ، ومطهر الأرض من فساد الظالمين .

٤٦ - قل لهم أيها النبي : أخبروني - ان سلب الله سمعكم ، وغطى قلوبكم بما يحجبها عن الإدراك ، فجعلكم صما عميا لا تفهمون شيئا - من تعبدون غير الله ؟ ، من إله يستطيع أن يرد اليكم ما سلبه الله منكم ؟ انظر ، أيها النبي ، كيف نوضح البراهين وتنوعها ، ثم هم مع هذا يعرضون عن تدبرها والانتفاع بها !! .

٤٧ - قل : أخبروني - ان حل بكم عذاب الله فجأة دون توقع ، أو جاءكم عيانا على ترقب ، لسبق ما يتذركم بوقوعه - هل يصيب هذا العذاب إلا القوم الذين ظلموا أنفسهم بالاصرار على الشرك والضلال ؟ انه لا يصيب غيرهم .

٤٨ - وما نرسل الأنبياء إلا ليشيروا من يؤمن بالخير والثواب ، وليحذروا من يكفر من العذاب . فمن آمن بدعوتهم وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم من شر يصيبهم ، ولا يحزنون على خير يفوتهم .

٤٩ - والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل ، يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والايان .

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنِ اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنْذِرِيهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَكَفُونًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ

٥٠ - قل ، أيها الرسول ، هؤلاء الكفار : لا أقول لكم اني أملك التصرف بما يملكه الله فأجيئك إلى ما تطلبون ، ولا أدعى علم الغيب الذي لم يظلمني الله عليه ، ولا أقول اني ملك أستطيع الصعود إلى السماء ! إنما أنا بشر لا أتبع إلا ما يوحيه الله إلى . قل أيها النبي : هل يستوى الضال والمهتدى في معرفة هذه الحقائق ؟ هل يلقى بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم ، فلا تتأملون فيه بعقولكم حتى يتبين لكم الحق ؟

٥١ - وحذر بما في هذا القرآن الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيه الملائكة للحساب والجزاء ، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع إلا باذن الله ، ليبتعدوا عما يفضب الله .

٥٢ - ولا تستجب ، أيها النبي ، لدعوة التكبرين من الكفار ، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ، الذين يعبدون ربهم دائما ، ولا يريدون إلا رضاه . ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فليست مسئولا أمام الله عن شيء من أعمالهم ، كما أنهم ليسوا مسئولين عن شيء من أعمالك ، فان استجبت هؤلاء الكفار المعتنين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

٥٣ - وبمثل هذا الابتلاء الذي جرت به سنتنا ، امتحنا المتكبرين بسبق الضعفاء إلى الاسلام ، ليقول المتكبرون مستنكرين ساخرين : هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذي يهدمهم به محمد ؟ ان هؤلاء الفقراء يعرفون نعمة الله عليهم بالتوفيق إلى الايمان فيشكرونه . والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه .

٥٤ - وإذا جاءك الذين يصدقون بالقرآن فقل لهم تكريما لهم : سلام عليكم ، أشركم برحمة الله الواسعة ، التي أوجبها على نفسه تفضلا منه ، والتي تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر نتائجها ، ثم رجع إلى الله ناديا تائبا ، وأصلح أعماله ، غفر الله له ، لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة .



نُفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ^٤
 قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ^٥
 مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ^٦ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي
 مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا
 إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ
 وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ

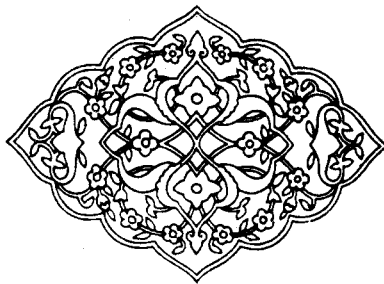
٥٥ - ويمثل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة، ليظهر طريق الحق الذي يسلكه المؤمنون، ويتبين طريق الباطل الذي يسلكه الكافرون.

٥٦ - قل، أيها النبي، لهؤلاء الكفار: إن الله قد نهاني عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله، فلا أتبع أهواءكم، فإني حين أتبعكم أكون قد انحرفت عن الحق، ولم أكن من المهتدين!

٥٧ - قل لهم: إنني على شريعة واضحة منزلة من ربي وقد كذبتهم القرآن الذي جاء بها، وليس في قدرتي أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب، بل هو في قدرة الله، ومرهون بآرادته وحكمته، وليس الأمر والسلطان إلا لله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره، يتبع سبحانه في ذلك الحكمة، وهو خير الفاصلين بيني وبينكم.

٥٨ - قل: لو أن في قدرتي انزال العذاب الذي تستعجلونه، لأنزلته عليكم غضبا لربي، وانتهى الأمر بيني وبينكم بذلك، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل.

٥٩ - وعند الله علم جميع أبواب المغيبات، لا يحيط بها علما إلا هو ومن يريد إعطاء بعضها، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات في البر والبحر ولا تسقط ورقة، أية ورقة كانت، إلا يعلمها، ولا تسقط حبة ما في باطن الأرض ولا شيء رطب ولا يابس، إلا هو سبحانه يحيط بعلمه احاطة تامة.



أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهُ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۗ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ

- ٦٠ - وهو الذى ينمكم بالليل ، ويوقظكم بالنهار ، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهى أجل كل منكم فى الدنيا بموته ، ثم يوم القيامة ترجعون جميعا إلى الله وحده ، يخبركم بأعمالكم فى الدنيا من خير أو شر ، ويجازيكم عليها .
- ٦١ - هو الغالب بقدرته ، المستعل بسلطانه على عباده ، والذى يرسل عليكم ملائكة يحصون كل أعمالكم إلى أن تجىء نهاية كل منكم ، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك ، وهم لا يقصرون فيما يوكل اليهم .
- ٦٢ - ثم يبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة ، ويوقفون أمام ربهم الذى يتولى وحده أمورهم بحق . اعلموا أن له وحده الفصل بين الخلائق وحسابهم فى ذلك اليوم ، وهو أسرع من يتولى الحساب والمجزاء .
- ٦٣ - قل ، أيها النبى ، للمشركين : من الذى ينقذكم من أهوال البر والبحر ، إذا حلت بكم ، فلجأتكم إليه تدعونه فى خضوع ظاهر وباطن ، قائلين : نقسم لئن أنقذتنا من هذه الأهوال لنكونن من المقرين بفضلك ، القائلين بشركك .
- ٦٤ - قل : الله وحده هو الذى ينقذكم من هذه الأهوال ، ومن كل شدة أخرى ، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه فى العبادة غيره مما لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا !!
- ٦٥ - قل : ان الله وحده هو الذى يقدر على أن يرسل عليكم عذابا يأتيكم من أعلاكم أو من أسفلكم . أو يجعل بعضكم لبعض عدوا ، وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة ، يعذب بعضكم بعضا عذابا شديدا !! . انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة ، لعلمهم يتأملونها ويفهمون الحق !



يُوكِلُ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِبَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ ۗ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَيْنَا آعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ ۗ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ ۗ إِلَى الْهُدَىٰ أُتِيتْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ

٦٦ - وكذب قومك بالقرآن، وهو الحق الذي لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبي لهم: لست موكلا بفظكم، واحصاء أعمالكم ومجازاتكم عليها، بل أمركم فيها إلى الله.

٦٧ - ولكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه، وسوف تعلمون صدق هذه الأخبار عند وقوعها.

٦٨ - وإذا حضرت مجلس الكفار، ووجدتهم يطعنون في آيات القرآن، أو يستهزئون بها، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث آخر. وإن نسيت وجالستهم في أثناء حديثهم الباطل، ثم تذكرت أمر الله بالبعد عنهم، فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين.

٦٩ - وليس على الذين يتقون الله شيء من أثم هؤلاء الظالمين، إذا استمروا على ضلالهم، ولكن يجب أن يذكرهم، لعلهم يخشون عذاب الله ويكفون عن الباطل.

٧٠ - واترك أيها النبي الذين اتخذوا شريعتهم اللهو واللعب، وخذعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة، وذكر دائما بالقرآن، وحذرهم هول يوم تحبس فيه كل نفس بعملها، حيث لا ناصر ولا معين غير الله، وإن كل فدية للنجاة من العذاب لا تقبل.. أولئك الكافرون الذين حسبوا في العذاب بسبب ما عملوا من شر، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم بسبب كفرهم.

وَأْمَرْنَا لِسُلَيْمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ أُصْنَامًا مَاءَ الْهَيْهَاتَ إِلَىٰ أَرْنَاكَ وَقَوْمَكَ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا سَاطِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ

٧١ - قل لأولاء الكفار توبيخا لهم ، هل يصح أن يعبد غير الله مما لا يملك جلب نفع ، ولا دفع ضرر ،
ونتتسكس في الشرك بعد أن وفقنا الله إلى الايمان ، ونكون كالذى غررت به الشياطين وأضلته في الأرض ، فصار في
حيرة لا يمتدى معها إلى الطريق المستقيم ، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال ، قائلين له : ارجع إلى
طريقنا السوى ، فلا يستجيب له ! قل أيها النبي : ان الاسلام هو الهدى والرشاد ، وما عداه ضلال ، وقد أمرنا الله
بالانقياد له ، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم .

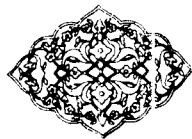
٧٢ - اعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم إلى الهدى ، وانصرفوا إلى عبادة ربكم ، وأدوا الصلاة على
أكمل وجه من الخضوع ، وخافوا الله ، وأدوا أوامره ، فإنه هو الذى تجمعون عنده .

٧٣ - وهو الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، وأقام خلقها على الحق والحكمة ، وفي أى وقت تنجبه
ارادته سبحانه إلى إيجاد شيء يوجد فوراً ، يوجد الأشياء بكلمة : « كن » ، وكل قول له هو الصدق والحق ، وله
وحده التصرف المطلق يوم القيامة ، حين ينفخ في البوق ايذاناً بالبعث ، وهو سبحانه الذى يستوى في عمله الغائب
والحاضر ، وهو الذى يتصرف بالحكمة في جميع أفعاله ، والذى يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها .

٧٤ - واذكر أيها النبي ما كان ، حين قال ابراهيم لأبيه آزر ، منكراً عليه عبادة غير الله : ما كان لك أن تجعل
الأصنام آلهة ، انى أراك وقومك الذين يشاركونك في هذه العبادة في بعد واضح عن طريق الحق .

٧٥ - وكما رأى ابراهيم - بتوفيقنا - ضلال أمته وقومه في تأليه الأصنام نزيه ملكنا العظيم للسموات والأرض
وما فيها ، ليقيم الحجة على قومه ، وليزداد ايمانا .

٧٦ - طلب ابراهيم ربه ، فهده الله ، إذ ستر الليل وجه النهار بظلمته ، فرأى نجماً متألقاً ، قال : هذا ربي .
فلما غاب ، قال مبطلاً لربوبية النجم : لا أقبل عبادة الآلهة الزائلين المتغيرين ! .



هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ جُمُوعًا

٧٧ - وحين رأى القمر طالعا بعد ذلك قال محدثا نفسه : هذا ربى . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان ربوبيته ، قال ليوجه نفوسهم إلى القاس الهداية : أقسم ان لم يهدنى ربى إلى الحق لأكونن من القوم الحائرین .

٧٨ - ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محدثا نفسه : هذا ربى ، لأنه أكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : يا قوم إني برىء من الأصنام التى تشركونها مع الله فى العبادة .

٧٩ - بعد أن رأى ضعف المخلوقات اتجه إلى خالقها قائلا : إني وجهت قصدى إلى عبادة الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، مجانباً كل سبيل غير سبيله - وما أنا - بعد الذى رأيت من دلائل التوحيد - ممن يرضى أن يكون من المشركين مثلهم .

٨٠ - ومع ذلك جادله قومه فى توحيد الله ، وخوفوه غضب آلهتهم ، فقال لهم : ما كان لكم أن تجادلونى فى توحيد الله وقد هدانى إلى الحق ، ولا أخاف غضب آلهتكم التى تشركونها مع الله ، لكن إذا شاء ربى شيئا من الضر وقع ذلك ، لأنه وحده القادر ، وقد أحاط علم ربى بالأشياء كلها ، ولا علم لآلهتكم بشيء منها !! . أتفتلون عن كل ذلك فلا تدركوا أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد ؟ !

٨١ - وأن من العجب أن أخاف آلهتكم الباطلة ، ولا تخافون أنكم عبدتم مع الله - الذى قامت الحججة على وحدانيته آلهة لم يقم دليل على أنها تستحق أن تعبد ! فأى فريق منا فى هذه الحال أحق بالطمأنينة والأمان ، ان كنتم تعلمون الحق وتدركونه ؟

٨٢ - الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا إيمانهم هذا بعبادة أحد سواه ، هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمأنينة ، وهم وحدهم المهتدون إلى طريق الحق والخير .

ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نِّسَاءِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۚ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ ۚ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءٌ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدَتْ لَهُمْ أَقْنَدُهُمْ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّ

٨٣ - وتلك الحجة العظيمة على الوهيتنا ووحدانيتنا ، أعطيناها ابراهيم ليقمها على قومه ، فارتفع بها عليهم . وستتنا في عبادنا أن نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات . ان ربك أيها النبي حكيم يضع الشيء في موضعه ، علم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق .

٨٤ - ووهبنا لابراهيم اسحق ويعقوب بن اسحق ، ووقفنا كلا منهما إلى الحق والخير كأبيها ، ووقفنا من قبلهم نوحا إلى ذلك ، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكما جزينا هؤلاء نجزي المحسنين بما يستحقون .

٨٥ - وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين .

٨٦ - وهدينا اسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعا على العالمين في زمانه ، بالهداية والنبوة .

٨٧ - واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم واخوانهم ، ووقفناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه .

٨٨ - ذلك التوفيق العظيم الذي ناله هؤلاء ، هو توفيق من الله ، يوفق إليه من يشاء من عباده . ولو أشرك هؤلاء المختارون لضاعت كل أعمال الخير التي يعملونها ، فلا يكون عليها ثواب .

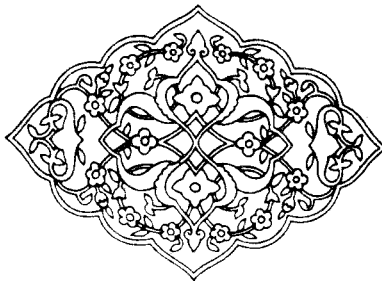
٨٩ - أولئك الذين آتيناهم الكتب المغزلة والعلم النافع وشرف النبوة ، فإن يمحذ بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهد برعايتها والانتفاع بها إلى قوم لا يكفرون بها .

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَ تُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

٩٠ - أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهاات الفضائل، ولا تسلك غير سبيلهم.. قل أيها النبي لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم: لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله أجرا! ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين، ولا غاية لي إلا أن تنتفعوا به.

٩١ - وما قدر هؤلاء الكفار الله ورحمته وحكمته حق التقدير، إذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر! قل أيها النبي للمشركين ومن يشابعهم على ذلك من اليهود: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا يضيء، وهدى يرشد؟ انكم أيها اليهود تجعلون كتابته في أجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق وأهواءكم، وتخفون كثيرا مما يلجئكم إلى الايمان والتصديق بالقرآن، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آباؤكم!! وتول أنت أيها النبي الجواب، وقل لهم: الله هو الذي أنزل التوراة، ثم اتركهم يمشون في الضلال عابثين كالصبيان.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه - كما أنزلنا التوراة - كثير الخير، باق إلى يوم القيامة، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة، مخبر عن نزولها، لتبشر به المؤمنين، وتخوف الكفار من أهل مكة ومن حولها في جميع أنحاء الأرض من غضب الله، إذا لم يدعوا له. والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الايمان به، وهم لذلك يحافظون على أداء صلاتهم كاملة مستوفاة.



بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَآخِوزِنَاكُمْ وراءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ ۚ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ

٩٣ - لم يكذب النبي حين أعلن أن القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظلماً من اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحياً من الله ، دون أن يكون قد تلقى شيئاً من الوحي . وليس أحد كذلك أشد ظلماً من قال : سأق بكلام مثل ما أنزله الله ! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم في شدائد الموت ، والملائكة يزعون أرواحهم من أجسادهم في قسوة وعنق ، لرأيت هولاً رهيباً ينزل بهم ! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ مجازاتكم بالعذاب المذل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية .

٩٤ - ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعنتم أحياء من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وجمتم إلينا منفردين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم في الدنيا كل ما أعطيناكم آياه مما كنتم تغترون به ولا نرى معكم الشفعاء الذين زعمتم أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء لله في العبادة ! لقد تقطعت بينكم وبينهم كل الروابط ، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم !

٩٥ - ان دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبعثه للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذي يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النوى ويخرج منه الشجر ، ويخرج الحسى من الميت كالإنسان من التراب ، ويخرج الميت من الحى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الآله الحق ، فليس هناك صارف يصرفكم عن عبادته إلى عبادة غيره^(١) .

٩٦ - هو الذى يشق غبش الصبح بضوء النهار ، ليعسى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم .

ذلك النظام المحكم ، تدبير القادر المسيطر على الكون المحيط بكل شيء علماً^(٢) .

(١) من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوى والجنين في كل مكان منها يشغل حيزاً ضيقاً منها . اماباق جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية وعندما يتنبه الجنين ويبدأ في الانبات تتحول هذه المواد المكتنزة الى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ في النمو وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة الثانية من طور الانبات الى طور البادرة فيبدأ النبات في الاعتماد على غذائه من الاملاح المذابة في ماء التربة التي يمتصها الجذير مع تكون الأوراق الخضراء من مواد كربوهيدراتية كالكسكريات والشويات في وجود ضوء الشمس وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب والنوى من جديد (انظر التعليق العلمى على تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران) .

(٢) دورة الشمس هي التي علمت الناس حساب الأيام والسنين ودورة القمر هي التي علمتهم حساب الشهور . انظر أيضاً التعليق العلمى على تفسير الآية (١٨٩) من سورة البقرة .

قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُهُ مِنْهَا مُتَمَرًا كَبَابًا وَسَوَافِرًا هَلْ يُعْذِرُ الْإِنْسَانَ إِذَا أُخْذَ إِلَىٰ تَمْرِهِ إِذْ أَعْتَدَ لِلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ إِنَّهُ يَكُونُ

٩٧ - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهدوا بمواقعها إلى مقاصدكم ، وأنتم سائرتم في ظلمات الليل بالبر والبحر ، انا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم ينتفعون بالعلم^(١) .

٩٨ - هو الذى أنشأكم من أصل واحد ، هو أب البشر آدم ، وآدم من الأرض ، فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم ، ومستودع لكم بعد موتكم وتغييركم في بطنها . وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها .

٩٩ - وهو الذى أنزل من السحاب ماء أخرج به نبات كل صنف ، فأخرج من النبات شيئا غضا طريا ، ونخرج منه حبا كثيرا بعضه فوق بعض ، ومن طلع النخل عراجين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول ، وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان ، ومنها ما هو مماثل الثمر في الشكل وغير مماثل في الطعم والرائحة ونوع الفائدة . انظروا في تدبر واعتبار إلى ثمره حين يثمر ، وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة ؟ ان في ذلك لدلائل لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويدعون له^(٢) .

١٠٠ - واتخذ الكافرون مع هذه الدلائل الملائكة والشياطين شركاء لله ، وقد خلقهم ، فلا يصح مع علمهم ذلك أن يعبدوا غيره ، وهو الذى خلق الملائكة والشياطين ، فلا ينبغي أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم ! .. واختلق هؤلاء الكفار لله بنين : فزعم النصراني أن المسيح ابن الله ، وزعم مشركو بعض العرب أن الملائكة بنات الله ، وذلك جهل ومن غير علم تنزه الله تعالى عما يفكرون في أوصافه سبحانه !

(١) كانت الاجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر وما تزال هي المعالم التي يتدى بها الانسان في سفره برا وبحرا ، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثابت على الاخص في تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاهه ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فنا دقيقا يعتمد عليه وذلك باستخدام آلات السدس وما إليها وبالرجوع الى الجداول الخاصة بذلك بل ان رجال الفضاء في الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم في تحديد اتجاهاتهم في بعض مراحل اسفارهم وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك في تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الأكبر وبذلك تم تعرف الانسان على المكان والزمان بالنجوم كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى .

(٢) توضح هذه الآية الكريمة في النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت وتمت في اطوارها المختلفة حتى وصلت الى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت والبروتينات والمواد الكربوهيدراتية والنشويات كل هذا يتكون في وجود ضوء الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التي توجد عادة في المجموع الخضري للنباتات وخاصة الأوراق فهي المصنع الذى يتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقي اجزاء النبات بما فيها البذور والثمار علاوة على ان الآية الكريمة تقطع بان ماء المطر هو المصدر =

لَهُ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾
وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ أَتَّبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

١٠١ - الله الذى أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأشياء وفيها هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء! وهو عالم بكل شيء يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون ، وهو يجازيهم على قولهم وفعلهم .

١٠٢ - ذلك المتصف بصفات الكمال ، هو الله ربكم ، لا إله غيره ، خالق كل شيء بما كان وما سيكون ، فهو وحده المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو وحده المتولى كل أمر وكل شيء ، فإليه وحده المرجع والمآب .

١٠٣ - لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يغيب عنه شيء ، الخبير فلا يخفى عليه شيء .

١٠٤ - قل أيها النبي للناس : قد جاءكم من خالفكم ومالك أمركم حجج وبيانات فى القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفاعه لنفسه ومن أعرض عنها فقد جنى على نفسه ! ولست أنا بحافظ عليكم ، بل أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

١٠٥ - ومثل هذا التنوع البديع فى عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا فى القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحججة بها على الجاحدين ، فلا يجحدوا إلا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله : ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ويدعون له .

١٠٦ - اتبع أيها النبي ما جاءك به الوحي من الله ، مالك أمرك ومدبر شئونك ، انه وحده الإله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعباد المشركين .

= الوحيد للقاء العذب على الأرض وطاقة الشمس هي مصدر طاقات الاحياء جميعا ، ولكن النباتات هي التي تستطيع اختزان طاقة الشمس بواسطة مادة اليخضور وتسلمها للانسان والحيوان في المواد الغذائية العضوية التي كونتها ، وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهي ان مادة الهيموجلوبين اللازمة لتنفس الانسان وكثير من انواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور فذرات الكربون والايديروجين والاكسوجين والنيروجين تكتنف ذرة الحديد في جزيء الهيموجلوبين بينما هي بنفسها تكتنف ذرة الماغنسيوم في جزيء اليخضور كما انه اتضح من البحوث الطبية ان مادة اليخضور عندما يمثلها جسم الانسان تندمج في خلاياه فتقومها وتساعد على القضاء على جراثيم الأمراض فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض .

وفي آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « انظروا الى ثمرة اذا امر وينمه » .

وفي هذه الاشارة سبق لعلم النبات الحديث في ماوصل اليه من الاعتماد في دراسته على مشاهدة الشكل الخارجى لاجزائه كافة في

ادواره المختلفة .

بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا
 قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُسْعِرُكُمُوهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يُجَاهِلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا شَبِيحِينَ الْإِنْسِ وَالْحَنِ يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ

١٠٧ - ولو أراد الله أن يعبدوه وحده لقهروهم على ذلك بقوته وقدرته ، ولكنه تركه لاختيارهم ، وما جعلناك
 رقيبا على أعمالهم ، وما أنت بمكلف أن تقوم عنهم بتدبير شئونهم واصلاح أمرهم .

١٠٨ - لا تسبوا ، أي المؤمنون ، أصنام المشركين التي يعبدونها من دون الله ، فيحملهم الغضب لها على
 اغاظتكم بسب الله تعديا وسفها . مثل ما زينا لهؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها ، ثم
 يكون مصير الجميع إلى الله وحده يوم القيامة ، فيخبرهم بأعمالهم ومجازتهم عليها .

١٠٩ - وأقسم المشركون بأقصى إيمانهم لئن جاءتهم آية مادية من الآيات التي اقترحوها ، ليكون ذلك سببا في
 إيمانهم !! قل يا أيها النبي : ان هذه الآيات من عند الله ، فهو وحده القادر عليها ، وليس لي يد فيها ، انكم أيها
 المؤمنون لاتدرون ما سبق به علمي من أنهم إذا جاءتهم هذه الآيات لا يؤمنون .

١١٠ - وانكم لاتدرون أيضا أننا نقرب قلوبهم عند مجيء الآيات بالحواطر والتأويلات ، ونقلب أبصارهم
 بتوهم التخيلات ، فيكونون بعد الآيات كحالهم قبلها ، وندعهم في ظلمهم وعنادهم يتخبطون .

١١١ - ان أولئك الذين أقسموا : إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها ، كاذبون ، والله أعلم بإيمانهم ، ولو أننا نزلنا
 الملائكة يرونهم رأى العين ، وكلمهم الموتى بعد أحيائهم واخراجهم من قبورهم ، وجمعنا لهم كل شيء مقابلا لهم
 مواجهها بين لهم الحق ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا ، والأكثر لا يدركون الحق ولا يدعون
 له ، لما أصاب قلوبهم من عمياء الجاهلية .



وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ الْأَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ
 أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِيعْ أَكْثَرٌ مِّن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ لَكُمْ أَنَّهُ عَلَى اللَّهِ

١١٢ - وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم ، جعلنا لكل نبي يبلغ عنا أعداء من عتاة
 الانس ، وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم ، يوسوس بعضهم لبعض بكلام مزخرف بموه لا حقيقة له ،
 فيلقون بذلك فيهم الغرور بالباطل ! وذلك كله بتقدير الله ومشيبته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتحبص قلوب
 المؤمنين . فاترك الضالين وكفرهم بأقوالهم التي يفترونها .

١١٣ - وانهم يوهون القول الباطل ليغروا أنفسهم ويرضوه ، وتميل إليه قلوب من على شاكلة أولئك العتاة
 الذين لا يدعون للآخرة ، ويعتقدون أن الحياة هي الدنيا ، وليقعوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فيما يفترون
 من أثم وفجور .

١١٤ - قل لهم أيها النبي : هذا حكم الله بالحق بينته الآيات الساطعة ، فلا يسوغ أن أطلب حكما غيره يفصل
 بيني وبينكم ، وقد حكم سبحانه فأنزل الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم أن تأتوا بمثله ، وهو مبين للحق
 وللعدل ، وان الذين أتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتتلا على الحق ، كما بشرت كتبهم . وان حاولوا
 اخفاء ذلك وكتمانه ، فلا تكونن يأبها النبي ، أنت ومن اتبعك ، من الذين يشكون في الحق بعد بيانه .

١١٥ - وان حكم الله قد صدر ، فتمت كلمات ربك الصادقة العادلة ، بانزال الكتاب الكريم مشتتلا على
 صدق ، وفيه الميزان الصادق بين الحق والباطل ، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ، وهو سبحانه سميع لكل
 ما يقال علم بكل مايقع منهم .

١١٦ - وإذا كان سبحانه هو الحكم العدل الذي يرجع إلى كتبه في طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع أيها النبي
 أنت ومن معك أحدا يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عددا كثيرا . فإنك ان تتبع أكثر الناس الذين لا يعتمدون على
 شرع منزل ، يبعثوك عن طريق الحق المستقيم وهو طريق الله تعالى ، لأنهم لا يسيرون إلا وراء الظنون والأوهام ،
 وان هم إلا يقولون عن تخمين لا يبنى على برهان .

١١٧ - وان ربك هو العليم علما ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهدوا إليه وصارت
 الهداية وصفا لهم .

إِنْ كُنْتُمْ بِعَايِنِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَحْرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ لِلِإِنْسَانِ أَنْ يُبَدِّلُوا كُفْرًا وَإِنْ أَعْطَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا

١١٨ - وإذا كان الله تعالى هو الذي يعلم المهتدين والضالين ، فلا تلتفتوا الى ضلال المشركين في تحريم بعض الأنعام ، وكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى اياها ، وجعلها حلالاً وطيبه لا ضرر في أكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، مادمتم مؤمنين به ، مدعين لأدلته ..

١١٩ - وانه لا يوجد أي مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا مما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى الهرم في غير حال الاضطرار ، كالميتة والدم . وان الكثيرين من الناس يبعدون عن الحق بمحض أهوائهم ، من غير علم أو توه ، أو برهان قام عندهم ، كأولئك العرب الذين حرّموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين في أكلكم ما ولد ، بل هم المعتدون بتحريم الحلال ، والله وحده هو العليم علماً ليس مثله علم بالمعتدين حقاً .

١٢٠ - ليست التقوى في تحريم ما أحل الله ، انما التقوى في ترك الاثم ظاهره وباطنه فاتركوا الآثام في أعمالكم ظاهرها وخفيها وان الذين يكسبون الاثم سيجزون مقدار ما اقترفوا من سيئات .

١٢١ - وإذا كانت الأنعام حلالاً لكم بذبحها ، فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ، اذا تركت فيه التسمية عمداً ، أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ، فان هذا فسق وخروج عن حكم الله ! .. وان العتاة المفسدين من ابليس وأعوانه ليوسوسون في صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم الى تحريم ما أحل الله ، وان اتبعتموهم فانكم مثلهم في الاشرار بالله .

١٢٢ - وانكم بإيمانكم لستم مثل المشركين في شيء ، فليس حال من كان كالميت في ضلاله فانار الله بصيرته بالهداية التي هي كالحياة ، وجعل له نور الايمان والحجج البينات ، يهتدى به ويمشي على ضوئه ، كحال الذي يعيش في الظلام المتكافئ . وكما زين الله الايمان في قلوب أهل الايمان ، زين الشيطان الشرك في نفوس الظالمين المجاحدين .

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
 فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يردْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
 قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
 وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضُنَا

١٢٣ - لا تعجب أيها النبي إذا رأيت أكابر المجرمين في مكة يدبرون الشر ويتفنون فيه ! . فكذلك الشأن في كل مدينة كبيرة يدبر الشر فيها الأكارب من المجرمين ، وعاقبته عليهم ، وهم لا يشعرون ولا يحسون بذلك .

١٢٤ - وان هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من علم ونبوة وهداية ، فاذا جاءتهم حجة قاطعة لا يدعون لها ، ولكن يقولون : لن نذعن للحق حتى ينزل علينا الوحي كما ينزل على الرسل ، والله وحده هو الذي يصطفي لرسالته من يشاء من خلقه ، وان هؤلاء المعاندين اذا كانوا يطلبون الرياسة بهذا العناد ، فسينا لهم الصغار والذل في الدنيا بسببه ، وسينا لهم العذاب الشديد في الآخرة بسبب تدبيرهم السيء .

١٢٥ - اذا كان أولئك قد ضلوا واهتديتم ، فبارادة الله تعالى وقضائه ، فن يكتب له الهداية يتسع صدره لنور الاسلام ، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديداً الضيق . كأنه من الضيق كمن يصعد الى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسقاء ، فتتصاعد انفاسه ولا يستطيع شبيهاً ! وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين ليس من شأنهم الايمان .

١٢٦ - وهذا الذي بيناه هو طريق الحق المستقيم ، قد فصلناه ووضحناه للناس ، ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية .

١٢٧ - ول هؤلاء المتذكرين المؤمنين دار الأمن ، وهي الجنة ، وهم في ولاية الله ومحبته ونصرته ، بسبب ما عملوا في الدنيا من خير .

بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
 وَكَذَلِكَ نُوتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعُشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ يَقْضُونَ
 عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَسْأَلْ يَذْهَبْكَ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِهِمُ

١٢٨ - وإذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله ، فالذين سلكوا طريق الشيطان لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول جل جلاله للأئمن من الجن والانس : أيها المجتمعون من الجن قد أكثرتم من اغواء الانس حتى تبعكم منهم عدد كثير ! . فيقول الذين اتبعوهم من الانس : يا خالقنا والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعنا بالشهوات ، وبلغنا أجلنا الذي حددته لنا . فيقول جل جلاله : مفرم النار خالدين فيها الا من شاء الله أن ينقذهم ممن لم ينكروا رسالة الله . وان أفعال الله دائما على مقتضى الحكمة والعلم .

١٢٩ - وكما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ، فجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب ما يكسبون من كباثر .

١٣٠ - والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : يا أيها الانس والجن ، لقد جاءكم الرسل يذكرون لكم الحجج والبيانات ، ويتلون عليكم الآيات ، وينذرونكم لقاء الله في يومكم هذا ، فكيف تكذبون ؟ فأجابوا : قد أقرنا على أنفسنا بما ارتكبنا ، وقد خدعتم الحياة الدنيا بمتعها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين .

١٣١ - وان إرسال الرسل منذرين مبينين انما كان لأن ربك أيها النبي لا يهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون عن الحق ، بل لا بد أن يبين لهم وينذرهم .

١٣٢ - ولكل عامل خير أو عامل شر درجاته من جزاء ما يعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والله سبحانه وهو الخالق البارئ غير غافل عما يعملون ، بل ان عملهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَنْقُومُ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْعِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۗ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
 فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
 وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَٰ

١٣٣ - والله ربك هو الغني عن العباد والعبادة ، وهو وحده صاحب الرحمة الشاملة ، وبمقتضاها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر ، وهو القادر ان يشأ يذهبكم ويجعل في الأرض خلفاء من بعدكم على حسب مشيئته ، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه ، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ، وكنتم وارثين الأرض من بعدهم .

١٣٤ - وان الذي يندركم به من عقاب ، ويشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب ، آت لا محالة ، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ ، فلا قدرة لكم على الامتناع عن الجمع والحساب .

١٣٥ - قل أيها النبي لهم مهدياً : اعملوا على النحو الذي اخترتموه بكل ما في قدرتكم ، وانى عامل في ناحية الحق ، وستعلمون حتماً من تكون له العاقبة الحسنة في الدار الآخرة ، وهي لأهل الحق لا محالة ، لأنكم ظالمون والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين .

١٣٦ - المشركون الذين يعبدون الأوثان في أوهام مستمرة ، فهم يجعلون مما خلق الله تعالى وأنشأه ، من الزرع ومن الابل والبقر والغنم ، جزءاً لله تعالى ينفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءاً آخر ينفقونه على خدمة الأوثان التي جعلوها شركاء لله تعالى بزعمهم ، فاجعلونه للأوثان يصل الى أوثانهم فينفقونه عليها ، وما يجعلونه لله بزعمهم لا يصل شيء منه الى الضيفان والفقراء ، وما أسوأ حكمهم الظالم ، لأنهم جعلوا الأوثان نظراء لخسالت الحرث والنسل ، ولأنهم لا ينفقون ما جعلوه لله في مصارفه .

١٣٧ - وكما زينت لهم أوهامهم تلك القسمة الظالمة لما خلق الله من حرث وابل وبقر وغنم ، قد زينت لهم أوهامهم في الأوثان التي زعموها شركاء لله قتل أولادهم عند الولادة ، وأن يندروا لألهتهم ذبح أولادهم ، وان تلك الأوهام تربيهم وتغلط عليهم أمر الدين . فلا يدركونه على وجهه ! واذا كانت الأوهام لها ذلك السلطان على عقولهم ، فاتركهم وما يفترونه على الله تعالى وعليك وسينالون عقاب ما يفترون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعلوا .

اللَّهُ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا وَمُحْرَمٌ
 عَلَيْنَا أَزْوَاجَنَا وَإِن يَكُن مِّمَّنَّةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
 أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَارِزِقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرًا وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ
 كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ

١٣٨ - ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه ابل وبقر وغنم وزرع ممنوعة ، لا يأكلها أحد الا من يشاءون من
 خدمة الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لا من عند الله . وقالوا أيضاً : هذه ابل حرمت ظهورها فلا يركبها
 أحد ، وهم مع ذلك لا يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من ابل وبقر وغنم ، وذلك لكذبهم على الله تعالى
 بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب في الآخرة ، بسبب افتراءهم وتحريمهم ما يحرمون من غير تحريم الله تعالى .

١٣٩ - ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما في بطون الأنعام التي جعلوها محجورة ممنوعة لا تذبح
 ولا تتركب ، ما في بطونها من أجنة خالص للذكور من الرجال ، ويحرم منه النساء ، ومع ذلك اذا نزل ميتاً فهم
 شركاء فيه ، يأكلون منه ، سيجزيهم الله تعالى على كذبهم الذي وصفوا به فعلهم ، اذا ادعوا ان هذا التحريم من
 عند الله تعالى ، وان الله عليهم بكل شيء ، حكيم ، كل افعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزي الآمين باثمهم .

١٤٠ - وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حقاً وهماً ، غير عالمين مغبة عملهم وداعيه ، وحرموا على
 أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفترين على الله بادعاء أنه هو الذي حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب
 ذلك ، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالهداية .

١٤١ - الله وحده هو الذي خلق حدائق من الكرم ، منها ما يفرس ويرفع على دعائم ، ومنها ما لا يقوم على
 دعائم وخلق النخل والزرع الذي يخرج ثمراً مختلفاً في اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون
 والرمان متشابهاً في بعض الصفات وغير متشابه في بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسقى جميعها بماء
 واحد . فكلوا من ثمرها اذا طاب لكم ، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا في الأكل فنضروا
 انفسكم وتضروا الفقراء في حقهم ، ان الله لا يرضى عن المسرفين في تصرفاتهم وأعمالهم .

حَمُولَةً وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُرْهُدٌ مَّيِّبٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ
 الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُ كَرِيمٍ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبِئُونِي
 بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُ كَرِيمٍ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَا اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

١٤٢ - وخلق الله من الأنعام، وهى الابل والبقر والضأن والماعز، ما يحمل أُنثى لكم، وما تتخذون من
 أصوافها وأوبارها وأشعارها فرشاً، وهى رزق الله لكم، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأوليائه في
 افتراء التحليل والتحریم، كما كان يفعل أهل الجاهلية ! ان الشيطان لا يريد لكم الخير، لأنه عدو ظاهر القداوة .

١٤٣ - خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكراً وانثى، فهى ثمانية أزواج خلق من الضأن زوجين، ومن
 الماعز زوجين، وقل يا محمد للمشرکين منكرأ عليهم تحريم ما حرموا من هذا، ما علة تحريم هذه الأزواج
 كما تزعمون؟ أمى كونها ذكوراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً! أم هى كونها اناثاً؟ ليس كذلك،
 لأنكم تحلون الاناث أحياناً! أم هى اشتغال الأرحام عليها! ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام!
 أخبرونى بمستند صحيح يعتمد عليه، ان كنتم صادقين فيما تزعمون من التحليل والتحریم .

١٤٤ - وخلق الله من الابل زوجين، ومن البقر زوجين . قل لهم يا محمد منكرأ عليهم : ماعلة التحريم
 لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون؟ أمى كونها ذكوراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً أمى كونها
 اناثاً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الاناث أحياناً! أم هى اشتغال الأرحام عليها؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون
 الأجنة على الدوام، وتزعمون أن هذا التحريم من عند الله! أكنتم حاضرين حين وجه اليكم الله هذا التحريم
 فسمعتن نبيه؟ لم يكن ذلك قطعاً. انتهوا عما انتم فيه، فهو ظلم، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب اليه
 ما لم يصدر عنه، ولا سند له من علم يعتمد عليه، وانما يريد بذلك اضلال الناس! ان الله لا يوفق الظالمين اذا
 اختاروا طريق الباطل .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِّنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن نَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتم إِلَّا تُخْرصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْ هُمْ

١٤٥ - قل ، أيها النبي . لا أجد الآن في مصدر التحليل والتحرير الذي أوحى به الى طعاماً محرماً على أكل يأكله ، الا أن يكون هذا الشيء ميتة لم تذك ذكاة شرعية ، أو دماً سائلاً ، أو لحم خنزير ، فان ذلك المذكور ضار خبيث لا يجوز أكله والا أن يكون هذا الشيء المحرم فيه خروج من العقيدة الصحيحة ، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، كصنم أو معبود آخر ! على أن من دعت الضرورة الى أكل شيء من هذه المحرمات ، غير طالب للذة بالأكل ، وغير متجاوز قدر الضرورة ، فلا حرج عليه لأن ربك غفور رحيم (١) .

١٤٦ - فهذا ما حرمناه عليكم . ولقد حرمناه على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرها من كل ماله ظفر من الحيوانات كالإبل والسباع ، وحرمناه عليهم من البقر والغنم وشحومها فقط ، الا الشحوم التي حملتها ظهورها ، أو التي توجد على الأعماء ، أو التي اختلطت بعظم . وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم ، وطمع لنفوسهم من اندفاعها في الشهوات ، وانا لصادقون في جميع أخبارنا التي منها هذا الخبر .

١٤٧ - فان كذبك المكذبون فيما أوحيت به اليك ، فقل لهم محذراً : ان ربكم الذي يجب أن تؤمنوا به وحده وتلتزموا أحكامه ذو رحمة واسعة لمن أطاعه ولمن عصاه أيضاً ، حيث لم يعجل بعقوبتهم ، ولكن لا ينبغي أن يغتروا بسعة رحمته ، فان عذابه لا يبد واقع بالمجرمين .

١٤٨ - سيقول المشركون اعتذاراً عن شركهم ، وتحريم ما أحل الله من المطاعم .. وتكذيباً لما أبلغتهم من مقت الله لما هم عليه : ان الاشرار منا وتحريم الحلال كانا بمشيئة الله ورضاه ! ولو شاء عدم ذلك وكره منا ما نحن عليه ، ما أشركنا نحن ولا أسلافنا ، ولا حرمننا شيئاً مما أحله لنا . وقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، كما كذبك هؤلاء واستمروا في تكذيبهم حتى نزل بهم عذابنا ! قل هؤلاء المكذبين ، هل عندكم من مستند صحيح على أن الله رضى لكم الشرك والتحليل ، فتظهروه لنا ؟ ما تتبعون فيما تقولون الا الظن الذي لا يقين من الحق شيئاً ، وما أنتم الا كاذبون فيما تزعمون .

١٤٩ - قل يا أيها النبي : لله الحجة الواضحة في كذبكم وادعائكم ان الله رضى بعلمكم ! ولا حجة لكم فيما تزعمون من الشرك والتحليل والتحرير وغيرها ، فلو شاء الله أن يوفقكم الى الهداية لهداكم اجمعين الى طريق الحق ، ولكنه لم يشأ ذلك لاختياركم سبيل الضلال .

(١) (انظر التعليق على تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة) .

وفي هذه الآية الكريمة نص على علة تحريم أكل لحم الخنزير بانه رجس والرجس هو النجس وقد جاء في القاموس المحيط ان الرجس هو القدر والمائم وكل ما استعثر من العمل والعمل المؤدى الى العذاب . فالرجس انك كلمة جامعة لمعانى القبح والقدر والعنر وهي تلتصق بالخنزير حتى عند الشعوب التي تاكله والخنزير حيوان قارت أو رمام أى أنه يأكل ما يجده في القمامة والنفايات وفضول الانسان والحيوان . وهذا هو السبب الرئيس في قيامه بدوره في انتقال بعض الامراض الوبيلة للانسان على نحو ما هو مفصل في التعليق السابق المشار اليه .

شُهَدَاءُ كُرِّهَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ ۗ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا

١٥٠ - قل لهم يا أيها النبي هاتوا أنصاركم الذين يشهدون لكم أن الله حرم هذا الذي زعمتم أنه حرام، فان
حضروا، وشهدوا، فلا تصدقهم لأنهم كاذبون. ولا تتبع أهواء هؤلاء الذين كذبوا بالأدلة الكونية والقرآن المتلو،
الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركون بالله، يساوون به غيره من المعبودات الباطلة.

١٥١ - قل لهم يا أيها النبي: تعالوا أبين لكم المحرمات التي ينبغي أن تهتموا بها وتبتعدوا عنها: لا تجعلوا لله
شريكاً ما، بأي نوع من أنواع الشرك ولا تسيئوا إلى الوالدين، بل أحسنوا إليها إحساناً بالقسا، ولا تقتلوا
أولادكم بسبب فقر نزل بكم، أو تخشون نزوله في المستقبل، فلستم أنتم الرازقين، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم
ولا تقربوا الزنا فهو من الأمور المتناهية في القبح، سواء منها ما ظهر للناس حين اتيانه، وما لم يطلع عليه إلا الله،
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها لعدم موجه، إلا إذا كان القتل بحق تنفيذاً لحكم القضاء - أمركم الله أمراً
مؤكداً باجتناب هذه المنهيات التي تقضى بدمية العقل بالبعد عنها، لتعقلوا ذلك.

١٥٢ - ولا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بأحسن تصرف يحفظه وينمي، واستمروا على ذلك حتى يصل اليتيم
إلى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم، وحينئذ ادفعوا إليه ماله، ولا تمسوا الكيل والميزان
بالنقص إذا أعطيت، أو بالزيادة إذا أخذتم، بل أوفوها بالعدل ما وسعكم ذلك، فالله لا يكلف نفساً
إلا ما تستطيعه دون حرج. وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة أو خبر أو نحو ذلك، فلا تميلوا عن العدل
والصدق، بل تحمروا ذلك دون مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ولا تنقضوا عهد
الله الذي أخذه عليكم بالتكليف، ولا اليهود التي تأخذونها بينكم، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة، بل أوفوا بهذه
العهد. أمركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات، لتذكروا أن التشريع لمصلحتكم..

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾
 ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ
 طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
 الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

١٥٣ - ولا تحيدوا عن النهج الذي رسمته لكم . لأنه هو الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدارين ، بل اتبعوه ، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التي نهاكم الله عنها حتى لا تتفرقوا شيعة وأحزابا وتبعدوا عن صراط الله السوي . أمركم الله أمراً مؤكداً بذلك لتتجنبوا مخالفته .

١٥٤ - وقد أنزلنا التوراة على موسى اتماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين ، وأنزلناها تفصيلاً لكل شيء من التعاليم المناسبة لهم ، وهدى الى الطريق السوي ، ورحمة لهم باتباعه وذلك ليؤمن بنو اسرائيل بلقاء ربهم يوم القيامة ومحاسبتهم على هذه التكاليف .

١٥٥ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك ، مشتمل على الخير الالهي والمنافع الدينية والدنيوية ، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم .

١٥٦ - أنزلناه حتى لا تعتذروا عن عصيانكم وتقولوا : ان الوحي لم ينزل الا على طائفتين من قبلنا ، هم أهل التوراة وأهل الانجيل ، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من ارشاد .

١٥٧ - وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً : لو أننا أنزل علينا الوحي الذي نزل عليهم ، لكننا أكثر منهم هداية وأحسن حالاً ، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا لا حاجة لكم بعد اليوم على عصيانكم ، ولا محل لقولكم هذا ، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد ، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون اليه في دينكم ودنياكم ، وهدايا الى الطريق السوي ، ورحمة لكم باتباعه . ولا يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التي أنزلها في كتبه ، وآياته التي خلقها في الكون . وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها ! وسنعاقب الذين يعرضون عن آياتنا ، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته في الايلام ، بسبب اعراضهم وعدم تدبرهم .

أَوْ يَأْتِي رَبِّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ
 مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّمَا أَنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسَتْ
 مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ءِئِمَّا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا ۖ وَمَنْ
 جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ
 إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

١٥٨ - لقد قامت الحجة على وجوب الايمان ، ولم يؤمن هؤلاء ، فاذا ينتظرون لكي يؤمنوا ؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلاً بدل البشر ، أو شاهدين على صدقك ؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه ، أو يشهد بصدقك ؟ أو أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك ؟ ! وعندما تأتي علامات ربك مما يلجئهم الى الايمان لا ينفعهم ايمانهم ، لأنه ايمان اضطرار ، ولا ينفع العاصي ان يتوب ويطيع الآن ، فقد انتهت مرحلة التكليف ، قل لهؤلاء المعرضين المكذبين انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، انا منتظرون حكم الله فيكم .

١٥٩ - ان الذين فرقوا الدين الحق الواحد بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة ، وصاروا بسبب ذلك أحزاباً ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مختلفة ، لست مواخذاً بتفرقهم وعصيانهم ولا تملك هدايتهم ، فاعليك الا البلاغ ، والله وحده هو الذي يملك أمرهم بالهداية والجزاء ، ثم يخبرهم يوم القيامة بما كانوا يفعلونه في الدنيا ويجازهم عليه .

١٦٠ - من عمل صالحاً يضاعف له ثوابه الى عشرة أمثاله فضلاً وكرماً ، ومن عمل عملاً سيئاً لا يعاقب الا بمقدار عصيانه ، عدلاً منه تعالى ، وليس هناك ظلم بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

١٦١ - قل يا أيها النبي مبيناً ما أنت عليه من الدين الحق : ان ربي ارشدني ووقفني الى طريق مستقيم ، بلغ نهاية الكمال في الاستقامة ، وكان هو الدين الذي اتبعه ابراهيم ماثلاً به عن العقائد الباطلة ، وما كان ابراهيم يعبد مع الله الهاً آخر كما يزعم المشركون .

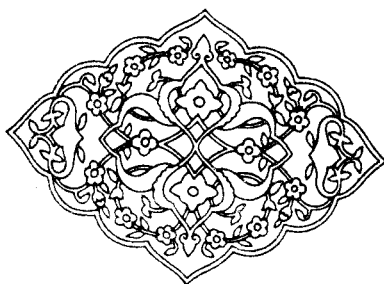
١٦٢ - قل : ان صلاتي وجميع عباداتي ، وما أتبه في حال حياتي من الطاعة ، وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ، كله خالص لوجه الله الذي خلق جميع الموجودات ، فاستحق أن يعبد وحده وأن يطاع وحده .

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٦٣ - ولا شريك له في الخلق ، ولا في استحقاق العبادة ، وقد أمرني ربي بذلك الاخلاص في التوحيد والعمل ، وأنا أول المدعين الممثلين ، وأكملهم اذعاناً وتسليماً .

١٦٤ - قل يا محمد ، منكرأ على المشركين دعوتهم اياك لموافقهم في شركهم : أطلب بالعبادة رباً غير الله ، مع أنه خالق كل شيء ؟ وقل لهم ، منكرأ عليهم أنهم لا يحملون عنك خطاياك اذا وافقتهم : لا تعمل أى نفس عملاً الا وقع جزاؤه عليها وحدها ، ولا تؤاخذ نفس بجمل ذنب نفس أخرى ، ثم تبعثون بعد الموت الى ربكم ، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من العقائد ، ويجازيكم عليه ، فكيف أعصى الله اعتماداً على وعودكم الكاذبة ؟

١٦٥ - وهو الذى جعلكم خلفاء للأمم السابقة في عمارة الكون ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الكمال المادى والمعنوى لأخذكم في أسبابه ، ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها ، وفيما آتاكم من الشرائع كيف تعملون بها . ان ربك سريع العقاب للمخالفين ، لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب ، وانه لعظيم المغفرة لمخالفات التائبين المحسنين ، واسع الرحمة بهم .



(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَيِّئَاتُ وَمَانَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ، وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا

هذه السورة مكية الاثني عشر آيات من رقم ١٦٣ الى رقم ١٧٠ ، وعدد آياتها ٢٠٦ .

وأول هذه السورة فيه امتداد لآخر سورة الأنعام ، وقد اشتملت من بعد ذلك على بدء الخليفة الانسانية ، فذكرت قصة خلق آدم وحواء ، وخروجها من الجنة بوسوسة الشيطان ، وبيان شيء من الوسوسة المستمرة للانسان في اللباس والطعام . ثم تعرضت آيات هذه السورة الكريمة ، كغيرها من سور القرآن ، الى النظر في السموات والأرض وما فيها من نظام بدعي .

كما تعرضت بعد ذلك لقصص النبيين : نوح ، وهود مع قومه عاد ، ثم لقصة صالح مع قومه ثمود الذين كانوا يتسمون بالقوة وأعطوا الثروة ، ولقصة لوط مع قومه ، وذكر ما كانوا يجرءون عليه من منكرات ، ولقصة شعيب مع أهل مدين وتضمنت بعد ذلك القصص الصادق بما فيه من عبر وعظات . وقد ساق ، سبحانه وتعالى ، بعد ذلك قصة موسى ، وما كان من أمر فرعون .

وختمت السورة بتصوير من يعطى الهداية ثم ينسلخ منها بتضليل الشيطان ، وما يكون منه ، ثم بيان الدعوة الى الحق التي جاء بها محمد ﷺ .

١ - المص ، هذه الحروف الصوتية تذكر في أوائل بعض السور المكية ، لتنبية المشركين الى أن القرآن الكريم مكون من الحروف التي ينطقون بها ، ومع ذلك يعجزون عن الايمان بمثله ، كما أن في هذه الحروف اذا تليت حملاً لهم على السماع اذا تواصلوا بالأسماعوا القرآن .

٢ - أنزل اليك القرآن لتنذر به المكذبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا ايماناً ، فلا يكن في صدرك ضيق عند تبليغه خوفاً من التكذيب .

٣ - اتبعوا ما أوحاه اليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيبيون لهم وتستعينون بهم . انكم قلما تعظون حين تتركون دين الله وتتبعون غيره مع أن العبر في ذلك كثيرة .

بِأَسْنَأِ بَيْنَنَا أَوْ هُمْ قَابِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَأِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾
 فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
 الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

٤ - فقد أهلكنا قري عدة ، بسبب عبادة أهلها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاءهم عذابنا في وقت غفلتهم واطمئنانهم ليلاً وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهاراً وهم مستريحون وقت القيلولة كقوم شعيب .

٥ - فاعترفوا بذنبهم الذي كان سبب نكبتهم فما كان منهم عندما رأوا عذابنا إلا أن قالوا - حيث لا ينفعهم ذلك - انا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بعذابه .

٦ - وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقاً عادلاً ، فلنسألن الناس الذين أرسلت إليهم الرسل : هل بلغتهم الرسالة ؟ وبماذا أجابوا المرسلين ؟ ولنسألن الرسل أيضاً : هل بلغتم ما أنزل إليكم من ربكم ؟ وبماذا أجابكم أقوامكم ؟

٧ - ولنخبرن الجميع أخباراً صادقةً بجميع ما كان منهم ، لأننا أحصينا عليهم كل شيء ، فإنا كنا غائبين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون .

٨ - ويوم نساأهم ونخبرهم ، سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديراً عادلاً ، فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصونهم عن النار ويدخلون الجنة .

٩ - والذين كثرت سيئاتهم ورجحت على حسناتهم هم الخاسرون ، لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبير في آياتنا كفرةً وعناداً .

١٠ - ولقد مكناكم في الأرض فنحنناكم القوة لاستغلالها ، والانتفاع بها ، وهبنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلاً جداً ، وستلقون جزاء ذلك .

١١ - وفي أخبار الأولين عبر ومواعظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسيانكم أمر الله ، فقد خلقنا أباكم آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، إلا إبليس فإنه لم يمتثل .

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۗ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ
 مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
 قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْجُورًا
 لَّمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَآنَ جَهَنَّمَ مِنْكَ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
 شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
 سَوْءِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا

- ١٢ - قال الله منكرأ عليه عصيانه : ما منعك عن تعظيم آدم وقد أمرتك به ؟ أجاب ابليس في عناد وكبر :
 أنا خير من آدم لأنك خلقتني من نار وخلقته من الطين ، والنار اشرف من الطين .
- ١٣ - فجراه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له : اهبط منها ، بعد أن كنت في منزلة
 عالية ، فإنبغي لك أن تتكبر وتمصى فيها .. اخرج منها محكوماً عليك بالصفار والهوان .
- ١٤ - قال ابليس لله : أمهلنى ولا تمنى الى يوم القيامة .
- ١٥ - فأجابه الله بقوله : انك من المهلين المؤخرين .
- ١٦ - ولحقده على آدم وحسده له قال : بسبب حكك على بالغواية والضلال ، اقسام لأضلن بنى آدم
 واصرفنهم عن طريقك المستقيم ، متخذاً في ذلك كل وسيلة ممكنة .
- ١٧ - واقسم لآتينهم من أمامهم ومن خلفهم . وعن ايمانهم وعن شمائلهم ومن كل جهة استطيعها ، ملتصماً
 كل غفلة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل الى إغوائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لنعمتك .
- ١٨ - فزاده الله نكاية وقال له ، اخرج من دار كرامتى مذموماً بكبرك وعصيانك ، وهالكاً في نهايتك ، وأقسم
 أن من اتبعك من بنى آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين .
- ١٩ - وبأ آدم اسكن انت وزوجك دار كرامتى ، وهى الجنة ، وتنعا بما فيها ، فكلان من أى طعام أردقا ،
 الا هذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لا تكونا من الظالمين لأنفسهم بالعقاب المترتب على المخالفة .
- ٢٠ - فزين لها الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنها الملابس ، فتتكشف عوراتها ، وقال لها ، مانهاكما
 ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا ينقطع نعيمهم في هذه
 الدار .

إِنِّي لَكُمَا لِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِمَا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجْرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
 قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِمَّا آتَيْنَا لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
 يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكَ
 هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَبِيثٌ لَا تُؤْمِنُ بِهِمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا

٢١ - وأقسم لها أنه من الناصحين لها، وكرر قسمه.

٢٢ - فساقها الى الأكل من الشجرة بهذه الخدعة، فلما ذاقا طعمها وانكشف لها عوراتها، جعلتا يجمعان بعض أوراق الشجر ليسترا بها عوراتها وعاتبها ربهما، ونبهها الى خطيئتهما قائلاً: ألم أنهكما عن تلكا الشجرة وأخبركما أن الشيطان لكما عدو مبين لا يريد لكما الخير؟

٢٣ - قال آدم وزوجته ناديين متضرعين: يا ربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك التي استوجبت زوال النعيم، وان لم تغفر لنا مخالفتنا وترحمنا بفضلك لنكونن من الخاسرين.

٢٤ - قال الله لها وللشيطان: اهبطوا جميعاً بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض استقرار وطمع الى حين انقضاء آجالكم.

٢٥ - في الأرض تولدون وتعيشون، وفيها تموتون وتدفنون، ومنها عند البعث تخرجون.

٢٦ - يا بني آدم: قد انعمنا عليكم، فخلقنا لكم ملابس تستر عوراتكم، ومواد تزينون بها، ولكن الطاعة خير لباس يقيكم العذاب. تلك النعم من الآيات الدالة على قدرة الله وعلى رحمته، ليتذكر الناس بها عظمتهم واستحقاقه وحده الألوهية. وتلك القصة من سنن الله الكونية التي تبين جزاء مخالفة أمر الله، فيتذكر بها الناس ويحرصون على طاعة الله وعلى شكر نعمه.

٢٧ - يا بني آدم: لا تستجيبوا للشيطان وإضلاله، فتخرجوا من هذه النعم التي لا تدوم الا بالشكر والطاعة، كما استجاب أبواكم آدم وزوجه فأخرجهما الشيطان من النعيم والكرامة، ونزع عنها لباسها وأظهر لها عوراتها. انه يأتيكم هو وأعوانه من حيث لا تشعرون بهم، ولا تحسون بأساليهم ومكرهم، وليس للشيطان سلطان على المؤمنين، انا جعلناه وأعوانه اولياء للذين لا يؤمنون ايماناً صادقاً يستلزم الطاعة التامة.

وَجَدْنَا عَلَيْهِمْ آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ * يَبْنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

٢٨ - وإذا فعل المكذوبون أمراً بالغ النكر، كالشرك، والطواف بالبيت عراة، وغيرها اعتذروا وقالوا، وجدنا آباءنا يسيرون على هذا المنهاج ونحن بهم مقتدون، والله أمرنا به ورضى عنه حيث أقرنا عليه، قل لهم يأيها النبي منكرأ عليهم افتراءهم: ان الله لا يأمر بهذه الأمور المنكرة، انتسبون الى الله ما لا تجدون له مستندأ ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب اليه سبحانه؟

٢٩ - بين لهم ما أمر به الله وقل: أمر ربي بالعدل وما لا فحش فيه، وأمركم أن تخصوه بالعبادة في كل زمان وكل مكان، وأن تكونوا مخلصين له فيها، وكلكم بعد الموت راجعون اليه، وكما بدأ خلقكم بيسر وكنتم لا تملكون اذذاك شيئاً، ستعودون اليه بيسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم.

٣٠ - وسيكون الناس يوم القيامة فريقين: فريقاً وفقه الله لأنه اختار طريق الحق فأمن وعمل عملاً صالحاً، وفريقاً حكم عليه بالضلالة لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفر والعصيان. وهؤلاء الضالون قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعوهم، وهم يظنون أنهم موفقون لاغترارهم بخداع الشياطين.

٣١ - يا بني آدم: خذوا زينتكم من اللباس المادى الذى يستر العورة، ومن اللباس الأدبى وهو التقوى، عند كل مكان للصلاة، وفي كل وقت تؤدون فيه العبادة، وتتمتعون بالأكل والشرب. غير مسرفين في ذلك، فلا تتناولوا المحرم، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المتعة، ان الله لا يرضى عن المسرفين^(١).

٣٢ - قل لهم يا محمد: منكرأ عليهم افتراء التحليل والتحریم على الله: من الذى حرم زينة الله التى خلقها لعباده؟ ومن الذى حرم الحلال الطيب من الرزق؟ قل لهم: هذه الطيبات نعمة من الله، ما كان ينبغى أن يتمتع بها الا الذين آمنوا في الدنيا، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمخالفين في الدنيا، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين، لا يشاركهم فيها غيرهم ونحن نفصل الآيات الدالة على الأحكام على هذا المنوال الواضح، لقوم يدركون أن الله وحده مالك الملك بيده التحليل والتحریم.

(١) بحث الاسلام على وجوب المحافظة على حسن المظهر وما يتبعه من النظافة لاسيا في كل اجتماع وهذا ما تقرره اساليب الصحة الرقائية.

وَمَا بَطَّنَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ يَبْتَغِ الْغَيْبَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ
 يَقُصُّونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
 عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَقًّا إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتُوفَوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
 مِنَ الْخَلْقِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِهِمْ لَأُولَئِهِمْ رَبَّنَا

٣٣ - قل يا محمد : انما حرم ربى الامور المتزايدة فى القبح كالزنى ، سواء منها ما يرتكب سراً وما يرتكب علانية ، والمعصية اياً كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق ، وحرمة أن تشركوا به دون حجة صحيحة أو دليل قاطع وأن تفتروا عليه سبحانه بالكذب فى التحليل والتحرير وغيرها .

٣٤ - ولكل أمة نهاية معلومة ، لا يمكن لأية قوة أن تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أية مدة مهما قلت .

٣٥ - يا بنى آدم : ان جاءتكم رسل من جنسكم الأدمى ليبلغوكم آياتى الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات مخلصين ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنياهم أو آخراهم .

٣٦ - والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاهتداء بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدون أبداً فى العذاب .

٣٧ - فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه ، وادعاء التحليل والتحرير وغيرها من غير حجة ، أو يكذبون بآيات الله الموحى بها فى كتبه والموجودة فى كونه ، أولئك ينالون فى الدنيا نصيباً مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى اذا جاءتهم ملائكة الموت ليقبضوا أرواحهم ، قالوا لهم موبخين : أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله لتدراً عنكم الموت ؟ فيجيبون : تبرأوا منا ، وتركنا وغابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين .

= وأما عدم الاسراف فقد قرر العلم ان الجسم لا يستفيد بكل مايلق فيه من الطعام وإنما يأخذ بمجرد كفايته منه ثم يبذل بعد ذلك مجهودا كبيرا للتخلص مما زاد منه عن حاجته ويجانب هذا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمي بارهاق شديد ويسلم المرء الى أمراض معينة خاصة بذلك الجهاز ومن الاسراف كذلك تناول مادة معينة من مواد الطعام بنسبة كبيرة تطفى على النسب اللازمة من المواد الأخرى كالاسراف فى تناول الدهنيات بحيث تطفى على مقدار ما يحتاجه الجسم من زلايات وهكذا الآية الكريمة تحثنا بجانب هذا على الأكل من الطيبات لتصح ابداننا ولتقوى على العمل وكذلك فان الاسراف فى الأكل يؤدي الى البدانة الامر الذى يرهق الجسم وقد يؤدي ذلك الى ارتفاع ضغط الدم والسكر والذبحة الصدرية .

هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتَهُمْ
فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا نُفْتِحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ
نَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

٣٨ - يقول الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين : ادخلوا النار في ضمن أمم من كفار الانس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لعنت الأمة التي كفرت مثلها والتي اتخذتها قدوة ، حتى اذا تابعوا فيها مجتمعين قال التابعون يذمون المتبوعين : ربنا هؤلاء أضلونا بتقليدنا لهم ، بحكم تقدمهم علينا أو بحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا فيرد الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه أحد الفريقين ، يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، ويضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم وإضلالهم ، ولكن لا تعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب .

٣٩ - وهنا يقول المتبوعون للتابعين : انكم بانقيادكم لنا في الكفر والعصيان لا تفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ، فيقول الله لهم جميعاً : ذوقوا العذاب الذي استوجبتموه بما كنتم تقترفون من كفر وعصيان .

٤٠ - ان الذين كذبوا بآياتنا المنزلة في الكتب الموجودة في الكون ، واستكبروا عن الاهتداء بها ، ولم يتوبوا ، ميثوس من قبول أعمالهم ورحمة الله بهم ، ومن دخولهم الجنة ، كما أن دخول الجمل في ثقب الابرة ميثوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب نعاقب المكذبين المستكبرين من كل أمة .

٤١ - لهم في جهنم فراش من نار واغطية من نار ، وعلى هذا النحو يعاقب الظالمين لأنفسهم بالكفر والضللال .

٤٢ - والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التي لم نكلفهم الا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتمتعون فيها ، خالدين فيها أبداً .

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُرُ الْجَنَّةَ أَوْ رْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ
 أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۖ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
 اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا
 حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ۖ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ۖ لِيَدْخُلُوهَا
 وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصُرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤٣ - وأخرجنا ما في قلوبهم ما كان فيها من غل ، فهم في الجنة اخوان متحابون ، تجرى من تحتهم الأنهار بمائها العذب ، ويقولون سروراً بما نالوا من النعيم : الحمد لله الذي دلنا على طريق هذا النعيم ، ووقفنا الى سلوكه ، ولولا أن هدانا الله اليه بارسال الرسل وتوفيقه لنا ، ما كان في استطاعتنا أن نوفق الى الهداية . لقد جاءت رسل ربنا بالوحي الحق ، وهنا يقول الله لهم : ان هذه الجنة هبة من الله ، أعطيتموها فضلاً منى دون عوض منكم كالمراث ، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا .

٤٤ - ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقاً ؟ فأجابوهم : نعم فننادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار : الحرمان أو الطرد من رحمة الله جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .

٤٥ - هؤلاء الظالمون هم الذين يمتعون الناس عن السير في طريق الله الحق ، وهو الايمان والعمل الصالح ، ويضعون العراقيل والشكوك حتى يبدو الطريق معوجاً للناس فلا يتبعوه ، وهؤلاء كافرون بالدار الآخرة لا يخشون عقاب الله .

٤٦ - وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق الى احتلال اعرافه - وهى أماكنه الرفيعة العالية - رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم ، يشرفون منها على جميع الخلائق ، ويعرفون كلأ من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم من أثر الطاعة والعصيان ، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها ، فيبشرونهم بالأمان والاطمئنان ودخول الجنة .

٤٧ - واذا تحولت أبصار المؤمنين الى جهة أصحاب النار بعد هذا النداء قالوا من هول ما رأوا من نيران : ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكَ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
 أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
 النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُلُومًا وَلِعِبَاءَ وَاغْرَثْتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
 بِعَائِنَا يَبْجَحِدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
 إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ

٤٨ - ونادى أهل الدرجات العالية في الجنة، من الأنبياء والصدّيقين، من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار، قائلين لهم لا تخفوا: ما أفادكم جمعكم الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصيبتكم وغناكم، وما أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم.

٤٩ - هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم، واقسمتم أنه لا يمكن أن ينزل الله عليهم رحمة، كأنكم تمسكون رحمته، قد دخلوا الجنة. وقال لهم ربهم: ادخلوها آمنين، فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم، ولا أنتم تحزنون على أمر فاتكم.

٥٠ - وأن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين: اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئاً مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكل والملبس وسائر متاع أهل الجنة، فيجيبهم أهل الجنة: اننا لا نستطيع، لأن الله منع ذلك كله عن القوم الجاحدين، الذين كفروا به وبنعمه في الدنيا.

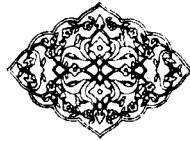
٥١ - هؤلاء الجاحدون الذين لم يسعوا في طلب الدين الحق، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات، فكان لهم ياتلون به وعبثاً يعبثونه وخذعتهم الحياة الدنيا بزخرفها فظنوها وحدها الحياة، ونسوا لقاءنا يوم القيامة نساهم، فلا يتمتعون بالجنة، ويدقون النار، بسبب نسيانهم يوم القيامة وجحودهم بالآيات البينات الواضحات المثبتة للحق.

٥٢ - ولقد آتيناكم بياناً للحق كتاباً بيناه وفضلناه، مشتتلاً على علم كثير، فيه أدلة التوحيد وآيات الله في الكون، وفيه شرعه، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية إليه، وفيه ما لو اتبعه الناس لكان رحمة بهم، ولا ينتفع به إلا الذين من شأنهم الاذعان للحق والايان به.

شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَ لَنَا أَوْ نُزِدْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
 إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
 حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

٥٣ - انهم لا يؤمنون به ، ولا ينتظرون الا المآل الذي بينه الله لمن يكفر به . ويوم يأتي هذا المآل ، وهو يوم القيامة ، يقول الذين تركوا أوامره وبيئاته وغفلوا عن وجوب الايمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند خالقنا ومربينا ، داعين الى الحق الذي أرسلوا به ، فكفرنا به . ويسألون هل لهم شفعاء يشفعون لهم ؟ فلا يجدون أوهل يردون الى الدنيا ليعملوا صالحاً ؟ فلا يجابون . قد خسروا عمل أنفسهم بفرورهم في الدنيا ، وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من ادعاء اله غير الله .

٥٤ - ان ربكم الذي يدعوكم رسله الى الحق والى الايمان باليوم الآخر والجزاء فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض في ست أحوال تشبه ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استولى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذي يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب مستمر ، كأنه يطلبه وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهي خاضعة لله تعالى مسيرات بأمره ، وأنه له وحده الخلق والأمر المطاع فيها تعالت بركات منشئه الكون وما فيه ومن فيه .



أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِقَالًا سَقَنَّهُ لِبَلَدٍ مَّيْمٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَلِكَ نَصْرِفُ الْأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَسْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٥٥ - اذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون وحده ، فادعوه بالعبادة وغيرها ، معلنين الدعاء متذللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تعتدوا باشتراك غيره أو بظلم أحد ، فان الله تعالى لا يحب المعتدين .

٥٦ - ولا تفسدوا في الأرض الصالحة بإشاعة المعاصي والظلم والاعتداء وادعوه سبحانه خائفين من عقابه ، طامعين في ثوابه ، وان رحمته قريبة من كل محسن ، وهي محققة .

٥٧ - والله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يطلق الرياح مبشرة برحمته ، في الأمطار التي تنبت الزرع وتسقي الغرس ، فتحمل هذه الرياح سحاباً^(١) محملاً بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون بعدها كالبيت فقد الحياة ، فينزل الماء ، فينبت الله به أنواعاً من كل الثمرات ويمثل ذلك الاحياء للأرض بالانبات تخرج الموتى فنجعلهم احياء ، لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث .

٥٨ - والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها نامياً حياً باذن ربه ، والأرض الخبيثة لا تخرج الا نباتاً قليلاً عديم الفائدة يكون سبب نكد لصاحبها .

٥٩ - لقد عاند المشركون ، وكذبوا بالحق اذ جاءهم مؤيداً بالحجج القاطعة ، وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم في الماضي ، لقد أرسلنا نوحاً الى قومه الذين بعث فيهم ، وقال لهم مذكراً لهم بأنه منهم : يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده ، فليس لكم أى اله غيره ، وانه سيكون البعث والحساب في يوم القيامة ، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد .

٦٠ - قال أهل الصدارة والزعامة منهم ، محيين تلك الدعوة الى الوجدانية واليوم الآخر : اننا لنراك في بعد بين عن الحق .

٦١ - قال نوح لهم نافياً ما رموه به : ليس بي كما تزعمون . ولكنى رسول من خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون بعيداً عن الحق .

(١) تقرر هذه الآفة حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم وهي ان الرياح تحمل بخار الماء وعند ارسالها اى اطلاقها تتجمع في صعيد واحد فتكون السحب وتثيرها وهي السحب الثقيلة التي ينهمر منها الماء .

تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

- ٦٢ - واني في هذه الدعوة الحق الى الوحدانية والايان باليوم الآخر ، أبلغكم ما أرسلني الله به من الأحكام الالهية التي يصلح بها الانسان واني أمحضكم النصح وأخلصه لكم ، وقد علمني الله تعالى ما لا تعلمون .
- ٦٣ - أترمونني بالضلالة والبعد عن الحق ؟ وتعجبون أن يجيء اليكم تذكير من الله خالفكم ، على لسان رجل جاء اليكم لينذركم بالعقاب ان كذبتم ، وليدعوكم الى الهداية واصلاح القلوب وتجنب غضب الله تعالى ، رجاء أن تكونوا في رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع قيام البيئات المثبتة للرسالة .
- ٦٤ - ولكنهم مع تلك البيئات لم يؤمن أكثرهم ، فكذبوه ، فأنزلنا عليهم عذاباً بالاغراق في الماء ، وانجينا الذين آمنوا به بالفلك الذي صنعه بهداية منا ، وغرق الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة ، فعاندونا وكانوا بذلك غير مبصرين الحق وقد عموا عنه .
- ٦٥ - وكما أرسلنا نوحاً الى قومه داعياً الى التوحيد ، أرسلنا الى (١) عاد هودا ، واحداً منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم اله غيره ، وان ذلك سبيل الاتقاء من الشر والعذاب وهو الطريق المستقيم ، فهلا سلكتموه لتتقوا الشر والفساد .
- ٦٦ - قال نوح الزعامة والصدارة في قومه : انا لراك في خفة عقل حيث دعوتنا هذه الدعوة وانا لنعتمد انك من الكاذبين .
- ٦٧ - قال يا قوم ليس بي في هذه الدعوة أي قدر من خفة العقل . ولست بكاذب ولكني جئت بالهداية ، وأنا رسول الله اليكم . وهو رب العالمين .
- ٦٨ - اني فيما أقول لكم أبلغكم أوامر ربي ونواهي ، وهي رسالاته اليكم ، واني أمحضكم نصحاً واخلاصاً لكم ، وأنا أمين فيما أخبركم به ، ولست من الكاذبين .

(١) عاد هي أقوى بطون الشعوب السامية ، ويشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة ، وأما منازلهم فكانت بوادي الاحقاف التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز بسورة الاحقاف الآية ٢١ .
وقد اتفق اللغات من اعلام المسلمين على ان الاحقاف بارض اليمن وان اختلفوا في تحديد مكانها اختلافا طفيفا ، فهي عند ياقوت الحموي واد بين عمان وارض مهرة وعند ابن اسحاق نقلا عن ابن عباس وعند ابن خلدون انها رمل بين عمان وحضرموت وعند قتادة رمل مشرفة على البحر بالشجر من ارض اليمن ويجدر بالذكر ان منازل عاد عند بعض الغربيين القدامى تقع في اعالي الحجاز في منطقة حسي وعلى مقربة من منازل عمود وأيا كان هذا الرأي فلا يستبعد ان يكون قوم عاد قد رحلوا في وقت ما من الاحقاف الى هذه المنطقة .

مَنْكُرٌ لِيُذِركُمْ وَآذِكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَآذِكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذِرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَ تَكْثُفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ۖ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَآذِكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ

- ٦٩ - ثم قال لهم هود: هل أثار عجبكم، واستغربتم أن يجيء اليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينذركم بسوء العقبي، فيما انتم عليه؟ إنه لا عجب في الأمر. ثم أشار الى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم، والى نعمه عليهم، فقال: واذكروا اذ جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهللكهم الله تعالى لتكذيبهم نوحاً، وزادكم قوة في الأبدان وقوة في السلطان، وتلك نعمة تقتضى الايمان: فاذكروا نعمه لعلكم تفوزون.
- ٧٠ - ولكنهم مع هذه الدعوة بالحسنى قالوا مستغربين: أجتئنا لتدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام؟ وإنا لا نفعل، فاتنا بالعذاب الذي تهدنا به ان كنت من الصادقين؟
- ٧١ - انكم لعنادكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم، وغضبه يحل عليكم، اتجادلون في أصنام سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة، وما هي من الحقائق الا أسماء لا مؤدى لها، وما جعل الله من حجة تدل على ألوهيتها، فا كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها، واذ لجتم هذه اللجاجة فانظروا عقاب الله، وأنا معكم، تنتظر ما ينزل بكم.
- ٧٢ - فأنجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأنزلنا بالكافرين ما أبادهم ولم يبق لهم من بقية وأثر، وما كانوا داخلين في زمرة المؤمنين.
- ٧٣ - وأرسلنا الى ثمود^(١) أخاهم صالحاً الذى يشاركهم في النسب والوطن، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبعده. قال لهم: اخلصوا العبادة لله وحده، ما لكم أى اله غيره، وقد جاءكم حجة على رسالتى من ربكم، هى ناقة ذات خلق اختصت به، فيها الحجة، وهى ناقة الله، فاتركوها تأكل في أرض الله من عشبها ولا تتالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الايلام.

(١) ثمود قوم يشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة شأنهم في ذلك شأن عاد، وقد ورد اسمهم في نقوش الملك سرجون الاشورى سنة ٧١٥ ق.م وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التى اخضعها هذا الملك في شمال شبه جزيرة العرب. اما مساكنهم فالمشهور في كتب العرب انها كانت بالبحر المعروفة بمداين صالح في وادى القرى، وقد زارها الاصلطخرى وذكر ان بها بئرا تسمى بئر ثمود. أما المسعودى «مروج الذهب» المجلد الأول صفحة ٢٥٩ - فقد ذكر ان منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحيشى، وديارهم بفتح الناقة، وأما بيوتهم فتحوتة في الجبال، وأما رعيهم فكانت في أيامه باقية واثارهم باقية وذلك في طريق الحجاج القادم من الشام بالقرب من وادى القرى..

تَخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
 قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّي
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِاللَّذَى آمَنْتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آئِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾
 وَلَوْطَأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

٧٤ - وتذكروا أن الله جعلكم وارثين لأرض عاد، وأنزلكم في الأرض منازل طيبة تتخذون من السهول قصوراً فخمة، وتحتون الجبال فتجعلون منها بيوتاً، فاذكروا نعم الله تعالى إذ مكنكم من الأرض ذلك التمكين، ولا تعبتوا في الأرض فتكونوا مفسدين بعد هذا التمكين.

٧٥ - قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة، مخاطبين الذين آمنوا من المستضعفين لائمين لهم ومستعيلين عليهم: اتعتقدون ان صالحاً مرسل من ربه؟ فأجابه أهل الحق: انا بما أرسل معتقدون مدعون له.

٧٦ - قال أولئك المستكبرون: انا جاحدون منكرون للذي آمنتم به: وهو ما يدعو اليه صالح من الوجدانية.

٧٧ - ولج العناد بأولئك المستكبرين، فتعدوا الله ورسوله، وذبحوا الناقة، وتجاوزوا الحد في استكبارهم، واعرضوا عن أمر ربه، وقالوا: متحدين يا صالح، ائتنا بالعذاب الذي وعدتنا ان كنت ممن أرسلهم الله حقاً.

٧٨ - فأخذتهم الزلازل الشديدة، فأصبحوا في دارهم ميتين خامدين.

٧٩ - وقبل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح، وقال: يا قوم قد أبلغتكم أوامر ربي ونواهي، ومحضت لكم النصيح، ولكنكم بلججتكم وإصراركم صرتم لا تحبون من ينصحكم.

٨٠ - ولقد أرسلنا لوطاً نبي الله الى قومه، يدعوهم الى التوحيد، وينبههم الى وجوب التخلي عن أقبح جريمة يفعلونها: أتأتون الأمر الذي يتجاوز الحد في القبح والخروج على الفطرة وقد أبدعتم تلك الفاحشة بشذوذكم، فلم يسبقكم بها أحد من الناس.

مِن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ
 إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأُنجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ
 قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
 اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكثُرْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
 وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ

٨١ - وهي أنكم تأتون الرجال مشتهين ذلك ، وتركون النساء ، أنتم شأنكم الاسراف ، ولهذا خرجتم على الفطرة وعلتم ما لم يفعله الحيوان .

٨٢ - وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار لأقبح الأفعال الا أن قالوا : اخرجوا لوطاً وآله وأتباعه من قريبتكم ، لأنهم يتطهرون وينأون عن هذا الفعل الذي يستقبحه العقل والفطرة ويستحسنونه هم .

٨٣ - ولقد حقت عليهم كلمة العذاب ، فأنجينا لوطاً وأهله ، الا امرأته فانها كانت من الضالين .

٨٤ - وأمطرنا عليهم حجارة مخربة ، ومادت الأرض بالزلازل من تحتهم فانظر يا أيها النبي الى عاقبة المجرمين وكيف كانت .

٨٥ - ولقد أرسلنا الى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم ، اعبدوا الله وحده فليس لكم ولى أى اله غيره ، قد جاءكم الحجج المبينة للحق من ربكم مثبتة رسالتى اليكم وجاءتكم رسالة ربكم بالاصلاح بينكم والمعاملة العادلة ، فأوفوا الكيل والميزان فى مبادلاتكم ، ولا تنقصوا حقوق الناس ، ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة . بافساد الزرع ونحوه ، وقطع الأرحام والمودة ، فان ذلك خير لكم ان كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين .

٨٦ - ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح : تهددون سالكه وبذلك تمنعون طالبي الخير من الوصول ، وهم أهل الايمان الذين يؤمنون بالله ، وتريدون أنتم الطريق المعوج . واذكروا اذ كنتم عدداً قليلاً ، فصيركم الله عدداً كثيراً بالاستقامة فى طلب النسل والمال ، واعتبروا بعاقبة المفسدين قبلكم .

خَيْرُ الْحَكِيمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا آلَهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَتَحَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا بِإِنكَرٍ إِذَا نَحْسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾

٨٧ - وإذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذي أرسلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين .

٨٨ - هذا شأن شعيب في دعوته قومه ، أما القوم فقد تمالأوا على الباطل وتولى أكابره الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ، وواجهوا شعيباً بما يضمرن ، فقالوا له : انا لا محالة سنخرجك ومن آمن معك من قريتنا ، ونطردكم ، ولا ننجيك من هذا العذاب ، الا أن تصيروا في ديننا الذي هجرتموه فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلاً : أنصير في ملتكم ونحن كارهون لها لفسادها ؟ لا يكون ذلك أبداً .

٨٩ - وبالغ في قطع طمعهم من العود الى ملتهم كما يطلبون ، فقال : تكون كاذبين على الله ان صرنا في ملتكم بعد أن هدانا الله الى الصراط المستقيم ولا ينبغي لنا أن نصير في ملتكم بمحض اختيارنا ورغبتنا . إلا أن يشاء الله عودتنا الى ملتكم . وهيات ذلك لأنه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا الى باطلكم ، فهو جل شأنه وسع كل شيء علماً ، يهدينا بلطفه وحكمته الى ما يحفظ علينا إيماننا ، إليه وحده سلمنا أمرنا ، مع قيامنا بما أوجبه علينا . ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنتك في الفصل بين المحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين ، وأنت لاحاطة علمك أعدل الحاكمين وأقدرهم .

٩٠ - هنا يس القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتون على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وثباته على دعوته ، فاتجه كبارهم الكافرون الى متبوعهم ، يهددونهم قائلين : والله ان طواعتم شعيباً في قبول دعوته ، انكم لخاسرون شرفكم وثروتكم في اتباعكم ديناً باطلاً لم يكن عليه سلفكم .

٩١ - هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا في دارهم منكبين على وجوههم لا حياة فيهم .

الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنقُومِ لَقَدْ
 أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
 أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرِعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
 مَسَّ ءَابَاءَنَا وَالضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ

٩٢ - هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيباً ، وهددوه وأنذروه بالاعراج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ،
 قد هلكوا وهلكت قريتهم كأن لم يعش فيها الذين كذبوا شعيباً وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً ، وأكذوا هذا
 الزعم وكانوا هم الخاسرين لسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٩٣ - فلما رأى شعيب ما نزل بهم من الهلاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال مبرئاً نفسه من التقصير معهم :
 لقد أبلغتكم رسالات ربكم المفضية الى الاحسان اليكم لو علمتم بها ، وبالغت في اسداء النصح لكم ، والعظة بما به
 تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين ؟ لا يكون ذلك بعدما أعذرت اليهم ، وبذلت
 جهدي في سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاخثاروا ما فيه هلاكهم .

٩٤ - وما بعثنا نبياً من الأنبياء في قرية من القرى ، يدعو أهلها الى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك
 الدعوة ، الا أصبناهم بالفقر والمرض ، كي يتذللوا ويتهلوا الى الله مخلصين له في كشف ما نزل بهم ، ويستجيبيوا
 لرسوله .

٩٥ - ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا في كفرهم وعنادهم ، امتحناهم بالعافية مكان البلاء استدرجاً ،
 فأعطيناهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كثروا وغوا في أموالهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم ، ان ما أصاب آباءنا
 من المهن والبلايا والرفاهية والنعيم ، فذلك شأن الدهر ، يداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتهبوا
 الى أن هذا جزاء كفرهم فيرتدعوا . وبهذا جهلوا سنته جل شأنه في أسباب الصلاح والفساد في البشر ، وما يترتب
 عليها من السعادة والشقاء فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل
 . ٣٣

٩٦ - ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا بوصاياهم وابتعدوا عما حرمه الله لأعطيناهم
 بركات من السماء والأرض ، كالمطر والنبات والثمار والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات ، ولكن
 جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصبناهم بالعقوبات وهم ناثمون ، بسبب ما كانوا يفترون من الشرك والمعاصي فأخذهم
 بالعقوبة أتر لازم لكسبهم القبيح ، وعبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون .

الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أُولَٰئِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِنَارِهِ ۚ إِنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ

٩٧ - آمن أهل هذه القرى ، الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا ، أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم وهم غارقون في نومهم ؟ .

٩٨ - أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب في ضحى النهار وانسائط الشمس وهم منهمكون فيما لا نفع فيه لهم ؟

٩٩ - أجهلوا سنة الله في المكذبين ، فأمنوا عذابه ليلاً أو نهاراً ، يسوقه بتدييره الذى يخفى على الناس أمره ؟ أنه لا يجهل تدبير الله وسنته في عقوبة المكذبين الا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة الى ما فيه سعادتهم .

١٠٠ - أغاب عن الذين يخلفون من قبلهم من الأمم سنة الله فيمن قبلهم ، وأن شأننا فيهم كشأننا فيمن سبقهم ؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء ان نعذبهم بسبب ذنوبهم أصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نختم على قلوبهم لفرط فسادها ، حتى وصلت الى حالة لا تقبل معه شيئاً من الهدى ، فهم بهذا الطبع والحتم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاظ .

١٠١ - تلك القرى التى بعد عهدنا ، وطال الأمد على تاريخها ، نقص عليك الآن بعض أخبارها مما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد بحىء البينات ، فتمرسهم بالكذب للصادقين ، فكذبوا رسلهم ولم يبتدوا ، وهكذا يجعل الله حجاباً على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق وينأون عنه .

١٠٢ - وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بيميناتهم كما أوصيناهم به من الايمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وأن الشأن المطرد فيهم تمكن أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِعَايِنَتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَنْفِرُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِعَايَةٍ فَأَتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ

١٠٣ - ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام ، ومعه دلائلنا التي تدل على صدقه فيما يبلغه عنا
الى فرعون وقومه ، فبلغهم موسى دعوة ربه ، بأراهم آية الله ، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها ، كبراً وجحوداً
فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم ، فانظر أيها النبي نهاية المفسدين في الأرض .

١٠٤ - وقال موسى : يا فرعون انى مرسل من الله رب العالمين ومالك أمرهم ، لا بلغكم دعوته ، وأدعوكم الى
شريعته .

١٠٥ - وانى حزيص على قول الصدق عن الله تعالى . وقد جئتمكم بأية عظيمة الشأن ظاهرة الحجة في بيان
الحق الذى جئت به ، فأطلق معى بنى اسرائيل ، وأخرجهم من رق قهرك ، لينهبوا معى الى دار غير دارك ،
يعبدون فيها ربهم وربك .

١٠٦ - قال فرعون لموسى : ان كنت جئت مؤيداً بأية من عند من أرسلك فأظهرها لى ان كنت من أهل
الصدق الملتزمين لقول الحق .

١٠٧ - فلم يلبث موسى أن التى عصاه التي كانت يمينه أمام فرعون وقومه ، فاذا هذه العصا ثعبان ظاهر
بين : يسعى من مكان الى آخر ، فى قوة تدل على تمام حياته .

١٠٨ - وأخرج يده من جيبه ، فاذا هى ناصعة البياض تتلألاً للناظرين .

١٠٩ - فلما أظهر موسى آية الله تعالى ، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظاء قومه ، فقالوا تزلفوا ومشايعة
لفرعون : ان هذا لماهر فى علم السحر ، وليس ذلك بأية من الله .

١١٠ - وقد وجه ارادته لسلب ملككم ، واخراجكم من أرضكم بسحره ، وما ينشأ عنه من استمالة افراد
الشعب ليتبعوه ، وانظروا ماذا تأمرون بما يكون سبيلاً للتخلص منه .

حَشِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾
 قَالَ نَعَمْ وَإِنِ اسْتَكْرَمْنَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا
 فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقِ
 عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا

١١١ - وقالوا: أخرج البت في أمره وأمر أخيه الذي يعاونه في دعوته، وأرسل في مدائن ملكك رجالاً من جندك يجمعون الناس أولى العلم بالسحر.

١١٢ - فيأتوك بكل علم بفنون السحر، وهم يكشفون لك حقيقة ما جاء به موسى. فلا يفتن به احد.

١١٣ - وجاء الى فرعون السحرة الذين جمعهم له جنده، وقالوا له: ان لنا لجزاء عظيماً يكافئ ما يطلب منا ان كانت الغلبة لنا على موسى.

١١٤ - وجاء فرعون مجيئاً لهم الى ما طلبوا: نعم ان لكم لجزاء عظيماً، وانكم مع ذلك لمن أهل المحظوة عندنا.

١١٥ - ثم توجه السحرة الى موسى، بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم، واظهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرتهم في ميدان المباراة، وقالوا له: اما أن تلقى ما عندك أولاً، واما ان نكون نحن الملقين بما عندنا من دونك.

١١٦ - فأجابهم موسى اجابة الواثق بالغلبة والظفر، مظهراً عدم مبالاته بهم: ألقوا ما أنتم ملقون أولاً. فلما ألقى كل واحد منهم ما كان معه من حبال وعصى، خيلوا الى أبصار الناس وموهوا عليهم ان ما فعلوه هو حقيقة وما هو إلا خيال، فهال الأمر الناس وأوقع في قلوبهم الرهب والرعب، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره في أعينهم عظيم.

١١٧ - وأصدر الله أمره الى موسى أن ألق بعصاك، فقد جاء وقتها، فألقاها كما أمر، فاذا عصاه تتلع بسرعة ما يكذبون ويموهون.

١١٨ - فثبت الحق وظهر في جانب موسى عليه السلام، وبطل تخيل السحرة.

صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَالْقِيَاسَ سَجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
 ءَأَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
 لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
 نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ
 قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَءَاهْتِكَ ءَالَ سُنُقُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِيءَ

١١٩ - فهزم فرعون وملؤه في ذلك المجمع العظيم ، وعادوا من ذلك أذلة بما رزقوا من الخذلان والحياة .

١٢٠ - هذا ما كان من شأن فرعون وملئه ، وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مذعنين

للحق .

١٢١ - قائلين : أمنا بمخالق العالمين ومالك أمرهم المتصرف فيهم .

١٢٢ - انه الاله الذي يعتقدونه ويؤمن به موسى وهارون .

١٢٣ - فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حميته ، فقال : هل أنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن

لكم ؟ ان هذا الصنيع الذي صنعتموه أنتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس الامكراً مكرتوه في المدينة (مصر) لأجل أن تخرجوا منها أهلها بمكركم ، فسوف ترون ما يحل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقاباً على هذا المكر والخداع .

١٢٤ - وأقسم لأنكلن بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ، فأقطع اليد من جانب والرجل من

جانب آخر ، ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا أو بالخروج على سلطاننا .

١٢٥ - فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، لتمكن الايمان من شغاف قلوبهم ، فقالوا له : انا الى ربنا راجعون ،

فنتقلب في رحمته ونعيم جزائه .

١٢٦ - وما تنكر منا وتماقبتنا عليه الا أن صدقنا موسى ، وأذعنا آيات ربنا الواضحة الدالة على الحق

لما جاءتنا . ثم توجهوا إلى الله ضارعين اليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبراً عظيماً تقوى معه على احتمال الشدائد ، وتوفنا على الاسلام غير مفتونين من وعيد فرعون .

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوِذْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَبَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنْ الشَّمْرِاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ

١٢٧ - وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا، من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وإيمان السحرة به، قال الكبراء، من قومه: أنترك موسى وقومه احراراً آمنين، ليكون مآلهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مصر بادخالهم في دينهم، ويتركك مع أهلك في غير مبالاة، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم؟ قال فرعون مجيباً لهم: سنقتل أبناء قومه تقتيلاً ما تناسلوا، ونستبق نساءهم أحياء، حتى لا يكون لهم قوة كما فعلنا من قبل، وانا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم.

١٢٨ - وهنا رأى موسى أثر الجزع في نفوس قومه، فشد من عزمهم، وقال لهم: اطلبوا معونة الله وتأيدته، واثبتوا ولا تجزعوا، ان الأرض في قبضة قدرة الله وملكه، يجعلها ميراثاً لمن يشاء من عباده لا لفرعون، والعاقبة الحسنة للذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمسك بأحكامه.

١٢٩ - فقال القوم في حزن وضعف: نحن نالنا الأذى قديماً من فرعون قبل مجيئك الينا، وحديثاً من بعد مجيئك. ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم، ان المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذى سخركم وأذاكم بظلمه، ويجعلكم خلفاء الأرض التى وعدكم اياها، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد هذا التمكين: أتشكرون النعمة أم تكفرون؟ وتصلحون في الأرض أم تفسدون؟ ليجزيكم في الدنيا والآخرة بما تعملون.

١٣٠ - ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجذب والقحط وضيق المعيشة، بنقص ثمرات الزروع والأشجار، رجاء أن ينتهبوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله، فيتعطوا ويرجعوا عن ظلمهم لبنى اسرائيل، ويستجيبيوا لدعوة موسى عليه السلام، فان شأن الشدائد أن تمنع الفرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس الى قبول الحق، وارضاء رب العالمين، والتضرع اليه دون غيره.

وَمَنْ مَعَهُ - أَلَا إِنَّمَا طَافَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ

١٣١ - ولكن دأب فرعون وأعوانه عدم الثبات على الحق ، فسرعان ما يعودون إلى الغدر والمعصية ، فهم منقلبون . فاذا جاءهم الحصب والرخاء - وكثيراً ما يكون ذلك - قالوا : نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس وان أصابهم ما يسوءهم ، كجذب أوجائحة أو مصيبة في الأبدان والأرزاق ، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه ، ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذى أدى بهم الى ما نالهم ، ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله ، فهو الذى أصابهم بسبب أعياهم القبيحة ، فهى التى ساقط اليهم ما يسوءهم ، وليس موسى ومن معه ، ولكن أكثرهم لا يدري هذه الحقيقة التى لا شك فيها .

١٣٢ - وهذه الفكرة السيئة عندهم أصروا على الجحود ، وقالوا عند رؤيتهم آيات موسى إنك مها جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك ، لأجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا ، ومن استعباد قومك فانحن لك بمصدقين ولا مذعنين .

١٣٣ - فأنزل الله عليهم مزيداً من المصائب والنكبات : بالطوفان الذى يغشى أماكنهم ، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أو شجر ، وبالقمل ، وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات ، وبالضفادع التى تنتشر فتتنفس عليهم حياتهم وتذهب بصفاتها ، وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم ، والدم الذى ينجس فيسبب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً ، ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها ، أو الذى تحول اليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات . فلم يتأثروا بها ، وجمدت قرائنهم وفسد ضميرهم ، فتمتوا عن الايمان والرجوع إلى الحق من حيث هو حق ، وكانوا قوماً موغلين فى الاجرام كما هو شأنهم .

١٣٤ - ولفرط تقلبهم حسب الدواعى ، كانوا كلما وقع عليهم نوع من العذاب قالوا لشدة تأثره فيهم وتألمهم به : يا موسى ، سل ربك لنا بالذى عهد اليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء ، أن تكشف عنا هذا العذاب ، ونحن نقسم لك لئن أزلته عنا لنخضعن لك ، ولنطلقن معك بنى اسرائيل كما أردت !

يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَنَمَتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطْلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْيُكُمُ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَجْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

١٣٥ - فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى الى وقت هم متهون اليه في كل مرة ، اذا هم ينقضون عهدهم ، ويحشون في قسمهم ، ويعودون الى ماكانوا عليه ، ولم تجد فيهم هذه المهن الزاجرة !.

١٣٦ - فأنزلنا عليهم نعمتنا ، فأغرقناهم في البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بآياتنا ، وقام غفلتهم عما تقتضيه هذه الآيات من الايمان والاذعان .

١٣٧ - وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر ، وهم بنو اسرائيل ، جميع الارض التي حياها الله بالخصب والخير الكثير ، في مشارقتها ومغارها ، ونفذت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعدته بالنصر شاملا لبني اسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المشيدة ، وما كانوا يعرشونه من السقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائش العنب ، هذا شأن الله ، وصدق وعده الجميل لبني اسرائيل .

١٣٨ - وتجاوز بنو اسرائيل البحر بعنايتنا وتأييدنا وتيسير الامر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن هؤلاء القوم أصناما يعبدونها ! فسارع موسى عليه السلام موخجا لهم رادعا وقال : انكم قوم سفهاء لاعقول لكم ، لاتعرفون العبادة الحققة ، ولا من هو الاله الذي يستحق أن يعبد !.

١٣٩ - ان هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الاصنام ، هالك ما هم فيه من الدين الباطل ، وزائل عملهم لابقاء له .

١٤٠ - أطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فأعطاكم نعمة لم يعطها غيركم من

أهل زمانكم ؟!.

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن نَرِنِّي وَلَٰكِن نَّظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۖ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

١٤١ - واذكروا اذ أنجاهم الله تعالى بعنايته من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، ويسخرونكم لخدمتهم في مشاق الاعمال، ولا يرون لكم حرمة كالبهائم، فيقتلون ما يولد لكم من الذكور، ويستبقون الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن! وفيما نزل بكم من تعذيب فرعون لكم وانجائكم منه، اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار!

١٤٢ - وعدنا موسى بالمنجاة واعطاء التوراة عند تمام ثلاثين ليلة يتعبد فيها، وأتمنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته، فصارت المدة اربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للمناجاة: كن خليفتي في قومي، واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من أمورهم، واحذر ان تتبع طريق المفسدين.

١٤٣ - ولما جاء لمناجاتنا، وكلمه ربه تكليما ليس كتكليمنا، قال: رب ارنى ذاتك، وتجل لى، أنظر اليك فأزداد شرفا. قال: لن تطيق رؤيتي. ثم أراد سبحانه أن يقنعه بأنه لا يطيقها فقال: ولكن انظر الى الجبل الذى هو أقوى منك، فان ثبت مكانه عند التجلى فسوف ترائى اذا تجليت لك. فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللائق به تعالى، جعله مفتتا مستويا بالارض، وسقط موسى مقشيا عليه لهول مارأى، فلما أفاق من صعقته قال: أنزهك يارب تنزيها عظيما عن أن ترى فى الدنيا انى تبت اليك من الاقدام على السؤال بغير اذن، وأنا أول المؤمنين فى زمانى بجلالك وعظمتك.

١٤٤ - لما منع الله موسى من رؤيته، عدد عليه نعمه ليتسلى بها عن المنع فقال: يا موسى انى فضلتك واخترتك على اهل زمانك، بتبليغ أسفار التوراة وتكليمى اياك من غير واسطة، فخذ ما فضلتك به، واشكرنى كما يفعل الشاكرون المقدرين للنعم.

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّمَ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

١٤٥ - وبيننا لموسى في الواح التوراة كل شيء من المواعظ والاحكام المفصلة التي يحتاج الناس اليها في المعاش والمعاد، وقلنا له: خذ الالواح بمجد وحزم، وأمر قومك ان يأخذوا بأفضل ما فيها، كالعفو بدل القصاص، والابراء بدل الانتظار، واليسر بدل العسر. سأريكم يا قوم موسى في أسفاركم دار الخارجين على أوامر الله، وما صارت اليه من الخراب، لتعتبروا، فلا تخالفوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم.

١٤٦ - سأمنع من التفكير في دلائل قدرتي القاسمة في الأنفس والآفاق، أولئك الذين يتطاولون في الأرض، ويتكبرون عن قبول الصواب غير محقين، وإن يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لا يصدقوها، وان يشاهدوا طريق الهدى لا يسلكوه، وان يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه! يحدث ذلك منهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة، وغفلوا عن الاهتداء بها!

١٤٧ - والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا للهداية، وكذبوا بلبائنا يوم القيامة، فأنكروا البعث والجزاء، بطلت أعمالهم التي كانوا يرجون نفعها فلا يلقون الا جزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصي.

١٤٨ - وبعد أن ذهب موسى الى الجبل لمناجاة ربه، اتخذ قومه من حلبيهم المخصصة للزينة جسدا على صورة العجل الذي لا يعقل ولا يميز، له صوت يشبه صوت البقر، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بداخله.. وقد صنعه لهم السامري وأمرهم بعبادته! بالسفاهة عقولهم. ألم يروا حين اتخذوه الها وعبدوه انه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم الى طريق الصواب؟! انهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع.

١٤٩ - ولما شعروا بزلتهم وخطيئهم، تحيروا وندموا أشد الندم على اتخاذ العجل الها. وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا، وقالوا: والله لئن لم يتب علينا ربنا ويتجاوز عنا لتكونن من الذين خسروا خسرانا بينا، بوضعهم العبادة في غير موضعها.

خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَغْلَمُ أَمْرَ رَبِّكَ وَالْتَقَى الْأَلْوَابُ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا تَجْعَلْ لِي فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

١٥٠ - ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه ، غضبان عليهم لعبادتهم العجل ، حزينا لان الله فتنهم - وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجوعه - قال لهم : ما أقبح ما فعلتم بعد غيبي ، أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظاري وحفظ عهدي حتى أتيتكم بالتوراة ؟ ! ووضع الألواح ، واتجه الى اخيه ، لشدة حزنه حين رأى ما رأى من قومه ، وأخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه أنه قصر في كفهم عما فعلوا ، فقال هارون لموسى : يا ابن امي ان القوم حين فعلوا ما فعلوا قد استضعفوني وقهروني . وقاربوا قتلى لما نبيتهم عن عبادة العجل ، فلا تسر الاعداء بايذائك لى ، ولا تعتقدي واحدا من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم .

١٥١ - قال موسى : رب اغفر لى ما صنعت بأخى قبل جليلة الأمر ، واغفر لأخى ان كان فرط فى حسن الخلاقة ، وأدخلنا فى سعة رحمتك لأنك أكثر الراحمين رحمة .

١٥٢ - ان الذين استمروا على اتخاذ العجل الها ، كالسامرى وأشباعه ، سينالهم غضب عظيم من ربهم فى الدار الآخرة ، ومهانة شديدة فى الحياة الدنيا ، بمثل ذلك الجزاء نجزي كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره .

١٥٣ - والذين عملوا الاعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصى ، ثم رجعوا الى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، ان ربك من بعد توبتهم ستار عليهم ، غفار لما كان منهم ؟

١٥٤ - ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه ، عاد الى الألواح التى ألقاها وأخذها ، وفيها نسخ فيها هدى وارشاد وأسباب رحمة ، للذين يخافون غضب ربهم .

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
 وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
 عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ الْحَبَائِثَ
 وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
 أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

١٥٥ - ثم أمر الله أن يأتيه في جماعة من قومه يعتذرون عن عبدا العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم الى الطور ، وهناك سألو الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم في ذلك المكان زلزلة شديدة غشي عليهم بسببها ، وهذا لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدا العجل ، ولم يأمرهم بالمعروف ، ولم ينههم عن المنكر ! فلما رأى موسى ذلك قال : يارب لو شئت أهلكهم أهلكهم من قبل خروجهم الى الميقات ، وأهلكني معهم ، ليرى ذلك بنو اسرائيل فلا يتهموني بقتلهم فلا تهلكنا يارب بما فعل الجهال منا ، فاحمته عبدة العجل الا فتنة منك ، أضللت بها من شئت اضلاله ممن سلخوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته . أنت القاتل وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصي من قومك ويؤدى الزكاة المفروضة ، يتجاوز عن السيئات .

١٥٦ - وقدر لنا في هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقا للطاعة ، وفي الآخرة مثوبة حسنة ، ورحمة ، لاننا رجعنا اليك وتبنا اليك ، فقال له ربه : عذابي أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصي من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

١٥٧ - وأخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو الذي يجدون وصفه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بكل خير وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الاشياء التي يستطيها الطبع ، ويحرم عليهم الاشياء التي يستخبئها الطبع كالدّم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التي كانت عليهم . فالذين صدقوا برسالته وأزروه وأبدوه ونصروه على أعدائه ، واتبعوا القرآن الذي أنزل معه كالنور الهادي ، أولئك هم الفائزون دون غيرهم ممن لم يؤمنوا به .

وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبَعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا

١٥٨ - قل بأياها النبي للناس : انى مرسل من الله اليكم جميعا ، لافرق بين عربى وعجمى وأسود وأبيض .
والله الذى أرسلنى له وحده ملك السموات والارض يدبر أمرها حسب حكته ، ويتصرف فيها كيف يشاء ،
ولامعبود بحق إلا هو ، وهو الذى يقدر على الإحياء والاماتة دون غيره ، فأمنوا به وبرسوله النبي الذى لايقرب
ولا يكتب ، وهو يؤمن بالله الذى يدعوكم الى الايمان ، ويؤمن بكتبه المنزلة ، واتبعوه فى كل ما يفعل ويقول لتهتدوا
وترشدوا .

١٥٩ - ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصحيح يهدون الناس بالحق الذى جاء به موسى من عند ربه ،
ويعدلون فى تنفيذه اذا حكموا .

١٦٠ - عدد الله نعمه على قوم موسى ، فأفاد أنه صيرهم اثنتى عشرة فرقة وجعلهم جماعات ، وميز كل جماعة
بنظامها ، منعاً للتحاسد والخلاف . وأوحى الى موسى ، حين طلب منه قومه الماء فى التيه ، بأن يضرب الحجر
بعصاه ، فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط ، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ،
فلا يزاحمهم فيه غيرهم ، وجعل لهم السحاب يلقى عليهم ظله فى التيه ، ليقيمهم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن ، وهو
طعام يشبه البرد فى منظره ، ويشبه الشهد فى مطعمه ، وأنزل السلوى ، وهو الطير السمانى ، وقال لهم : كلوا من
مستلذات مارزقناكم مما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعم ، وطلبوا غيرها ، وما رجع اليها ضرر
ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

١٦١ - واذكر بأياها النبي لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريبا لهم بما فعل أسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على
لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى آية ناحية من نواحيها
شتم ، وقولوا نسألك ياربنا أن تحط عنا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع الخناء الروس كهيئة الركوع تواضعا
لله . اذا فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم ، وسنزيد ثواب من أحسنوا الاعمال .

غَيْرِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَسَعَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴿١٧١﴾

١٦٢ - فخالفوا أمر ربهم ، فقالوا بسبب ظلمهم قولاً غير الذي قيل لهم ، قصد الاستهزاء بموسى فأنزلنا عليهم عذاباً من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد .

١٦٣ - وأسأل اليهود ، استنكاراً لما فعل أسلافهم ، عن خبر أهل القرية (أيلة) التي كانت قريبة من البحر ، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك في يوم السبت ، وحين كانت تأتيتهم حيتان الاسماك وتظهر على وجه الماء يوم السبت وفي غيره لاتأتيهم ، ابتلاء من الله ! بمثل ذلك البلاء المذكور نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر ، ليظهر منهم المحسن من المسوء .

١٦٤ - واذكر أيضاً لهؤلاء اليهود اذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم - لم يفعلوا فيما وقع فيه غيرهم - لمن يعظون أولئك الأشرار : لأى سبب تنصحون قوماً الله مهلكهم بسبب ما يرتكبون او معذبهم في الاخرة عذاباً شديداً ؟! قالوا : وعظناهم اعتذاراً الى ربكم ، لئلا ننسب الى التقصير ، ورجاء أن يتقوا .

١٦٥ - فلما تركوا ما وعظوا به ، أنجينا الذين ينهون عن العمل السوء من العذاب وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالفوا بعذاب شديد ، هو البؤس والشقاء . بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله ربهم .

١٦٦ - فلما قسوا واستمروا على ترك ما نهوا عنه ، ولم يردعهم العذاب الشديد ، جعلناهم كالقردة في مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق ، مبعدين عن كل خير .

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْأُدَارُ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا
مَاءً مِنْ تَابِعَاتِكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

١٦٧ - واذكر أيضا لهؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسلافهم على السنة أنبيائهم: ليسلطن الله على جماعة اليهود
اليوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع العذاب على ظلمهم وفسقهم، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر، لأن
عقابه واقع لامحالة، وكل أت قريب، وانه غفور رحيم لمن رجع إليه وتاب.

١٦٨ - وقد فرقناهم في الأرض جماعات: منهم الصالحون، وهم الذين آمنوا واستقاموا، ومنهم أناس منحطون
عن وصف الصلاح، وقد اخترناهم جميعا بالنعيم والنقم ليتوبوا عما نوا عنه.

١٦٩ - فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم الى القسمين، خلف سوء ورثوا التوراة عن أسلافهم ولكنهم
لم يعملوا بها، لأنهم يأخذون متاع الدنيا عوضا عن قول الحق، ويقولون في أنفسهم: سيغفر الله لنا ما فعلناه ا
يرجون المغفرة! والحال أنهم إن يأتهم شيء مثل ما أخذوه يأخذوه فهم مصرون على الذنب مع طلب المغفرة ثم
ويجهم الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ما هم عليه، فقال: انا أخذنا عليهم العهد في التوراة، وقد درسوا
ما فيها، أن يقولوا الحق، فقالوا الباطل! وان نعيم الدار الاخرة للذين يتقون المعاصي خسر من متاع الدنيا!
أستمرون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير لكم، وتوثرون عليه متاع الدنيا؟!!

١٧٠ - والذين يتمسكون بالتوراة، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم، انا لانضيع أجرهم، لإصلاحهم
وإحسانهم الأعمال.

١٧١ - رد الله على اليهود في قولهم: ان بنى اسرائيل لم تصدر منهم مخالفة في الحق، فقال: واذكر لهم أيها النبي
حين رفعتنا الجبل فوق رموس بنى اسرائيل كأنه غمامة، وفرغوا لظنهم أنه واقع عليهم، وقلنا لهم في حالة الرفع
ورهبتهم: خذوا ما أعطيناكم من هدى في التوراة بجد وعزم على الطاعة وتذكروا ما فيه لعلكم تعتبرون وتهذب
نفوسكم بالتقوى.

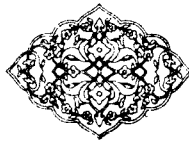
وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
 أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ
 الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
 الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ الْكَلْبَ إِذَا نَحِمَ

١٧٢ - بين الله هنا هداية بنى آدم بنصب الأدلة في الكائنات ، بعد أن بينها عن طريق الرسل والكتب ، فقال :
 واذكر أيها النبي للناس حين أخرج ربك من أضلاب بنى آدم ونسلهم وما يتوالدون قرنا بعد قرن ، ثم نصب لهم
 دلائل ربوبيته في الموجودات ، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفتنا ، والاستدلال بها على التوحيد
 والربوبية ، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا بل أنت ربنا شهدنا بذلك على أنفسنا . . لأن
 تمكنهم من العلم بالادلة وتمكنهم منه في منزلة الاقرار والاعتراف . وانما فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة : انا كنا
 عن هذا التوحيد غافلين لا نعرفه .

١٧٣ - أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبلنا ، وكنا ذرية لهم فافتدنا بهم ، أفترأخذنا يارب فتهلكنا بما فعل
 المبطلون من آباءنا ، بتأسيس الشرك الذي جرونا إليه . . . فلا حجة لكم .

١٧٤ - ومثل ذلك البيان الحكيم نيين لبنى آدم الدلائل على وجود الله ، ليرجعوا عن مخالفتهم وتقليد المبطلين .

١٧٥ - ضرب الله مثلا للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله ، فقال : واقرأ أيها النبي على قومك خبر رجل من
 بنى اسرائيل ، آتيناه علما بآياتنا المنزلة على رسلنا ، فأهلها ولم يلتفت إليها ، فأتبعه الشيطان خطواته ، وسلط عليه
 باغوائه فصار في زمرة الضالين .



عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْتَعُهُ يَلْهَثُ^٤ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا^٥ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
 سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا^٦ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ^٧ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ

١٧٦ - ولو شئنا رفعه الى منازل الأبرار لرفعناه اليها ، بتوفيقه للعمل بتلك الآيات ، ولكنه تعلق بالأرض ولم يرتفع الى سماء الهداية ، واتبع هواه ، فصار حاله في قلبه الدائم ، وانشغاله بالدنيا ، وتفكيره المتواصل في تحصيلها كحال الكلب في أسوأ أحواله عندما يلهث دائما ، إن زجرته أو تركته ، اذ يندلع لسانه من التنفس الشديد ! وكذلك طالب الدنيا يلهج وراء متعه وشهواته دائما ! ان ذلك الوصف الذي اتصف به المنسلخ من آياتنا ، هو وصف جميع الذين كذبوا بآياتنا المنزلة . فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا^(١) .

١٧٧ - قبحت حال هؤلاء الذين جحدوا آياتنا ، وماظلموا بهذا الانحراف عن الحق الانفسهم .

١٧٨ - من يوفقه الله لسبيل الحق فهو المهتدي حقا ، الفائز بسعادة الدارين ومن يحرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهذا الفريق هم الخاسرون .

١٧٩ - ولقد خلقنا كثيرا من الجن والانس مآلهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لا ينفذون بها الى الحق ، وهم أعين لا ينظرون بها دلائل القدرة ، وهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ! أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لا يدركون ذلك ، وأولئك هم الكاملون في الغفلة !

١٨٠ - وقه ، دون غيره الأسماء الدالة على أكمل الصفات فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية ، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها الى ما يلبق بذاته العلية وانهم سيجزون جزاء أعمالهم .

١٨١ - ومن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب جهم الحق وبالحق وحده يعدلون في أحكامهم .

(١) اوردت هذه الآية ظاهرة مشاهدة وهي ان الكلب يلهث سواء حملت عليه أو لم تحمل وقد اثبت العلم ان الكلب لا توجد فيه غند عرقية الا القليل في باطن اقدمه والتي لا تفرز من العرق ما يكفي لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك فانه يستعين عن نقص وسائل تنظيم الحرارة باللهث وهو ازدياد عدد مرات تنفسه زيادة كبيرة عن الحالة العادية مع تعريض مساحة أكبر من داخل الجهاز التنفسي كاللسان والسطح الخارجى من فمه .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوْلَرَّ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَرَّ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَونَ كَمَا كُنَّ حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْرَهْتُ مِنْ

١٨٢ - والذين كذبوا بآياتنا المنزلة سنستدرجهم وتركهم حتى يصلوا الى أقصى غاياتهم ، وذلك بإدراج النعم عليهم ، مع انتهاكهم في الغنى ، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون يرتعون .

١٨٣ - وسأمد لهم في الحياة غير مهمل لسيئاتهم وتدبيري لهم شديد عليهم يكافيء سيئاتهم التي كثرت بتأديهم .

١٨٤ - لقد بادروا بالتكذيب ، ولم يتدبروا ما يدعوهم الرسول اليه ، وما يقدمه من حجج بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فاهو الامنذر لهم من عاقبة شركهم ، وانذاره بين واضح .

١٨٥ - لقد كذبوا محمدا فيما يدعوهم اليه من التوحيد ، ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال في ملك الله العظيم للسموات والأرض وما فيها ، مما يدل على كمال قدرة الصانع ووحدانيته ، ولم يفكروا في أنه قد اقترب أجلهم : أو عسى أن يكون قد اقترب ، فيسارعوا الى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ، فاذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأي كلام يؤمنون بعده ؟

١٨٦ - من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلا يهديه أحد ، ويتركهم سبحانه في ضلالهم يتحيرون لا يهتدون سبيلا ! .

١٨٧ - يسألك اليهود ، يا محمد ، عن الساعة التي تنتهي فيها هذه الدنيا ، في أي وقت تكون ويستقر العلم بها ؟ قل لهم : علم وقتها عند ربي وحده ، لا يظهرها في وقتها أحد سواه قد عظم هولها عندما تقع على أهل السموات والأرض ! يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها . فكرر الجواب ، فقل لهم مؤكدا : إن علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يدركون الحقائق التي تغيب عنهم ، أو التي تظهر لهم !

أَخَيْرٍ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ۗ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لِنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ

١٨٨ - قل لهم : لأملك لنفسي جلب نفع ولادفع ضرر الا الذي شاء الله من ذلك فيملكني اياه . ولو كنت أعلم ما غاب عني كما تظنون ، لاستكثر من كل خير ، لعلمي بأسبابه ، ولدفعت عن نفسي كل سوء باجتناج موجباته : ما أنا إلا نذير بالعذاب ومبشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويدعون له .

١٨٩ - هو الله الذي أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها ، واستمرت سلالتها في الوجود ، وكنتم زوجا وزوجة ، فاذا تغشاهما حملت محمولا خفيفا هو الجنين عند كونه علقة ومضغة ، فلما ثقل الحمل في بطنها دعا الزوج والزوجة ربهما قائلين : والله لئن أعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة ، لنكونن من الشاكرين لنعمائك .

١٩٠ - فلما أعطاهما ما طلبا جعلوا الأصنام شركاء لله تعالى في عطيته الكريمة ، وتقربا اليها ، كأنها يشكرانها والله وحده هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون كشركانهم .

١٩١ - هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لا تقدر أن تخلق شيئا من الأشياء وهم مخلوقون لله ؟ !

١٩٢ - ولا يقدر على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم اذا تعدى الغير عليهم .

١٩٣ - وان تدعوا أيها العابدون الاصنام ليرشدوكم الى ماتحبون ، لا يجيبوكم إلى مرادكم ! فستو عندكم في عدم الفائدة دعاؤكم إياهم ، وسكوتكم فإنه لا يتغير حالهم في الحالين .

مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَأْذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ أَلَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نِدْعَتَكُمْ وَلَا يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا

١٩٤ - إن الذين تعبدونهم غير الله، وترجون النفع منهم، خاضعون لله بحكم تكوينهم، من حيث كونهم مسخرين لأمره مثلكم، فإن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على شيء فاطلبوه منهم، فليحققوه لكم.

١٩٥ - بل إن هذه الأصنام أقل منكم في الخلق والتكوين، ألم أرى أرجل يمشون بها؟ أو أيدي يدفعون بها الضرع عنكم وعنهم؟ أو أعين يبصرون بها، أو أذان يسمعون بها ما تطلبون فيحققوه لكم؟ ليس لهم شيء من ذلك! فكيف تشركونهم مع الله وإذا كنتم تتوهمون أنها تنزل الضرر في أو بأحد، فنادوها ودبروا لي معها ما تشاءون من غير إهمال ولا انتظار، فإنها لن تستطيع شيئاً! فلا تهملوني فاني لا أبالي بها.

١٩٦ - إن ناصري عليكم هو الله الذي له ولايتي، وهو الذي أنزل على القرآن، وهو وحده الذي ينصر الصالحين من عباده.

١٩٧ - والأصنام الذين تطلبون منهم النصر دون الله، لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم.

١٩٨ - وإن تسألوهم الهداية إلى ما فيه خيركم لا يسمعوا سؤالكم فضلاً عن إرشادكم! وإنك لتراهم في مقابلك كأنما ينظرون إليك، وهم في الحقيقة لا يرون شيئاً!.

١٩٩ - أعرض أيها النبي عن الجاهلين، وسر في سبيل الدعوة، وخذ الناس بما يسهل عليهم، وأمرهم بكل أمر مستحسن تعرفه العقول وتدرکه..

٢٠٠ - وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة لصرفك عما أمرت كأن تغضب من لجاجتهم بالشر، فاستجر بالله بصرفه عنك، لانه سميع لكل ما يقع عليهم به.

هُم مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَرَّتْ تَائِبُهُمْ بِعَاقِبَةِ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
 قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافًا مِمَّنْ رَّبِّيكَ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
 الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَيَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠٦﴾

٢٠١ - ان الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصي وقاية من الشيطان بوسوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم ، تذكروا عداوة الشيطان وكيدته ، فاذا هم مبصرون الحق فيرجعون .

٢٠٢ - واخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوسة ضلالا ثم هؤلاء الكفار لا يكفون عن ضلالهم بالتبصر .

٢٠٣ - واذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عنادا وكفرا ، قالوا : هلا طلبتها ؟ قل لهم : ما أتبع الا القرآن الذي يوحى الى من ربي ، وقل لهم : هذا القرآن حجج من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم العاملون به .

٢٠٤ - واذا تلى عليكم أيها المؤمنون القرآن فأصغوا اليه بأسماعكم . لتتدبروا مواعظه ، وأحسنوا الاستماع لتفوزوا بالرحمة .

٢٠٥ - واذكر ربك ذكرا نفسيا ، تحس فيه بالتقرب الى الله والخضوع له والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السر دون الجهر من القول . وليكن ذكرك في طرفي النهار لتفتتح نهارك بالذكر لربك وتغتمه به ، ولا تكن في عامة أوقاتك من الغافلين عن ذكر الله .

٢٠٦ - ان الذين هم قريبون من ربك بالتشريف والتكريم ، لا يستكبرون عن عبادته ، وينزهونه عما لا يليق به ، وله يخضعون .

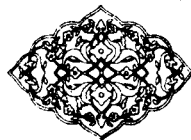
(٨) سُورَةُ الْاَنْفَالِ الْمَكِّيَّةِ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

سورة الأنفال نزلت بالمدينة ، وهي تشتمل على خمس وسبعين آية . وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بعض أحكام القتال ، والبواعث عليه ، وأسباب النصر ، ومقام القوة المعنوية في الانتصار ، وأحكام غنائم الحرب ومتى يكون الأسر ، واجتمع فيها الحكم الشرعى بحكمته ، وهي تذكر قصة غزوة بدر ، وبعض ما كان قبلها ، وما جاء في أعقابها من الإشارة الى سببها . وهو إخراج المشركين للنبي من مكة . ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ، ووجوب السلم ، إن جنحوا لها . وتحتتم السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، ووجوب هجرة المؤمنين من أرض يستدلون فيها ، ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين في سبيل عزة الإسلام وعزتهم .

١ - أخرج النبي من مكة مهاجرا بسبب مكر المشركين وتديبرهم أمر قتله . وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصر ، وكان لابد من الجهاد لدفع الاعتداء ، لكيلا يفتن أهل الإيمان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل في توزيعها . يسألونك عن الغنائم : ما مالها ولن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ فقل لهم أيها النبي : انها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يتولى تقسيمها ، فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم وأصلحوا ما بينكم ، فاجعلوا الصلوات بينكم محبة وعدلا ، فان هذه صفة أهل الايمان .



إِعْمَنَّا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ

٢ - ان المؤمنين حقا وصدقا يستشعرون دائما خوف الله وطاعته ، فاذا ذكر سبحانه فزعت قلوبهم ، وامتلات هيبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد ايمانهم رسوخا ، وازدادوا إذعانا وعلما ، ولا يعتمدون إلا على الله الذي خلقهم ويحميهم وينمهم .

٣ - وأولئك المؤمنون الصادقون في الايمان ، يؤدوا الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ، ليكونوا على تذكرك الله دائما ، وينفقون مقادير من المال الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى في الجهاد والبر ومعاونة الضعفاء .

٤ - ان هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالايمان حقا وصدقا ، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله ، وهو الذي يمنحهم سبحانه رضاه ، ويفقر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا في الدنيا ، ونعيا دائما في الآخرة .

٥ - وان النصر بيد الله ، ومقاليد الأمور اليه ، وان حال المؤمنين في خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين بيد ، وهو حق ثابت ، فان فريقا من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم .

٦ - يناظر ك أولئك الفريق ، ويحاولون أن ينصروا قولهم في الأمر الحق وهو الخروج للجهاد ، اذ كانوا مع اخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام ، فلم يدركوها ، فأثر هذا الفريق العودة من بعد ماتين أنهم منصورون ، لإعلام النبي لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ، وكانوا في ذهابهم إليه كالذي يساق الى الموت وهو ينظر أسبابه ويعانيها .



يَكَلِّمَنَّهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يَغْشَىٰ كُفْرًا أُمَّةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرَأَيْتَ مَاذَا فَعَصَرُوا

٧ - واذكروا أيها المؤمنون وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على إحدى الطائفتين التي فيها الشوكة والقوة، وأنتم تودون أن تدرخوا الطائفة الأخرى التي فيها المال والرجال، وهي قافلة أبي سفيان، فاخترتم المال ولا شوكة فيه! ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكلماته المعلنة للإرادة والقدرة، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين^(١).

٨ - ليثبت الحق ويزيل الباطل، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا في حق الله، وفي حق المؤمنين وفي حق أنفسهم.

٩ - اذكروا أيها المؤمنون - وأنتم تنقاسمون الغنائم وتختلفون - الوقت الذي كنتم تتجهون فيه إلى الله تعالى، طالبين منه الغوث والمعونة، إذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال، فأجاب الله دعاءكم، وأمدكم بالأرواح الطاهرة الكثيرة التي تبلغ الألف متتابعة، يجيء بعضها وراء بعض^(٢).

١٠ - وما جعل الله تعالى ذلك الامداد بالأرواح الطاهرة إلا بشارة لكم بالنصر، لتطمئنون وتقدموا، والله يعينكم والنصر لا يجيء إلا بمعونة الله القوى الغالب، الذي يضع الأمور في مواضعها بمقتضى علمه الذي لا يغيب عنه شيء.

١١ - اذكروا أيها المؤمنون، وقت أن خفتن من قلة الماء، ومن الأعداء، فوهبكم الله الأمن، وأصابكم النعاس فتمتم آمنين، وأنزل الماء من السماء لتطهروا به ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم، وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن. ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام^(٣).

(١) تتناول الآيات الكريمة ما يجيش في النفوس أثناء القتال من قنق ملاقاته قلة من العدو وكره ملاقاته العدد الكثير والرغبة في إصابة المال والغنائم دون ملاقاته الكارهة بينا يريد الله تعالى إعلاء الدين وإظهار الحق واستئصال الكافرين.

(٢) لما علم مقاتلو المؤمنين أن لا محيص عن القتال أخذوا يستغيثون بالله تعالى للنصر فاستجاب الله تعالى لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين أي بدأ الأمر بإرسال مقدمة تليها باقي القوات وهو ما يعمل به حالياً عند إرسال قوات التعزيز لجنود المقاتلين في ميادين القتال إذ تنص المبادئ الحديثة على إرسال الامدادات أفواجا متتابعة حتى يسهل توجيه كل فريق إلى مكانه في المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل التعزيزات للقوات المقاتلة تبهج النفوس وتعلو الروح المعنوية وهو ما أراد الله سبحانه وتعالى بقوله: وما جعله الله إلا بشرياً ولتطمئن به قلوبكم. والنصر دائماً من عند الله.

(٣) تتناول الآية الأولى فضل الله تعالى على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الأمن في راحة النوم ونزول المطر للطهارة والاعتسال =

فَوْقَ الْأَعْتَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٤ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُرْبَهُ إِلَّا مَتَّحِرًا فَالْقِتَالُ أَوْ مَتَّحِرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ^٥ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

١٢ - اذكروا أيها المؤمنون أن الله أوحى للأرواح الطاهرة أن تودع في نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر، قائلاً لهم: قوروا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق وجاهدوا في سبيل الله، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين، فيفزعون هم دونكم، فاضربوا أيها المؤمنون رهوسهم التي فوق أعتاقهم، وقطعوا أصابعهم التي يحملون بها السيوف.

١٣ - كان ذلك النصر والتأييد لكم، والرعب والفرع لهم، لأنهم تحدوا الله ورسوله، فكانوا في جانب والله ورسوله في جانب آخر، ومن يحاد الله ورسوله فانه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد.

١٤ - ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فذوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وان للجاحدين بآياته عقاباً آخر يوم القيامة، هو عذاب النار.

١٥ - أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له، اذا التقيتم بالذين كفروا في الميدان، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم، فلا تفروا منهم وتجعلوا ظهوركم أمام سيوفهم.

١٦ - ومن لا يلاقيهم وجها لوجه فارا منهم، فان الله يفضب عليه، ومصيره الى النار، وهى أسوأ مصير لكم، ومن لا يلاقيهم بوجهه كيدا ومهارة حربية، أو يترك طائفة لينحاز الى طائفة أخرى من المؤمنين، لتكون قوة للقاء فانه لا إثم عليه.

٤ وتلبد الرمل نتيجة وجود الماء فثبت عليه الاقدام ومن المعروف ان الرمال الناعمة تسبب تعباً للمقاتلين وتعتبر عائقاً يحول دون خفة الحركة التي هي من مبادئ الحرب الرئيسية وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى للملائكة بتثبيت المؤمنين والقضاء الرعب في قلوب الكافرين، والمعروف ان الرعب اذا استولى على الجنود في الميدان اصابهم بالفشل، وفي الآية الكريمة اشارة الى مكان الاصابة المهلكة وهى في أعلى الرقبة وقطع الأطراف حتى يسقط السلاح من اليد.

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيهُنَ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَ كُرُّ الْفَتْحِ ۗ وَإِنْ نَتَيْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ
 فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
 الصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

١٧ - اذا كنتم ايها المؤمنون قد انتصرتهم عليهم ، وقتلتم من قتلتم منهم ، فانكم لم تقتلوهم بقوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم ، بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ، وما رميت ايها الرسول اذ كنت ترمى التراب والحصى فى وجوههم افزاعا لهم ، ولكن الله تعالى هو الذى رضى فأفرغهم الرضى ، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعمًا حسنة ، منها الابتلاء بالشدة ، ليظهر اخلاصهم ، وأن الله عليهم بأمرهم ، سميع لأقوالهم ، وكذلك هو عليهم بأمر اعدائهم وأقوالهم .

١٨ - ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مضعف لكل تدابير الكافرين .

١٩ - ان كنتم ايها المشركون تتعلقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الأمر الفاصل ، وليس نصرا لكم ، بل هو نصر للمؤمنين ، وان تعودوا الى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، ولن تغنى عنكم جماعتكم المؤتلفة على الانتم شيئا ! ولو كان العدد عندكم كثيرا ! فان الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

٢٠ - يا ايها الذين صدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول الى الحق وأنتم تسمعون وتعون مايقول .

٢١ - ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سمعنا الحق ووعيناه ، لكنهم لا يدعون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .

٢٢ - ان أولئك المشركين ، والمنافقون معهم ، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع ، وبالبيكم فلا تتكلم ، فهم صموا عن الحق ، فلم يسموه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه !! .

٢٣ - ولو علم الله بعلمه الأزلى أن فيهم ، وهم بهذه الحال ، ما يكون خيرا لأنفسهم وللناس وللحق ، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق الى عقولهم ، ولو سمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء ، وحال الاعراض الآن لانفارقهم لغلبة الهوى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ۗ وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٢٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِالْحَقِّ وَأَذْعَنُوا لَهُ ، أَجِيبُوا اللَّهَ فِي اتِّجَاهِ قَلْبِي إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ، وَأَجِيبُوا الرَّسُولَ فِي تَبْلِيغِهِ مَا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ ، إِذَا دَعَاكُمْ الرَّسُولَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ بِالْأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا حَيَاةٌ لِأَجْسَامِكُمْ وَأَرْوَاحِكُمْ وَعَقُولِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ ، وَاعْلَمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَائِمٌ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، يُوْجِّهُهَا كَمَا يَشَاءُ فَيَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِكُمْ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا الْهَوَى ، فَهُوَ مُنْقَذُكُمْ مِنْهُ إِنْ اتَّجِهْتُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَإِنَّكُمْ جَمِيعًا سَتَجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَكُونُ الْجَزَاءُ .

٢٥ - وَاجْعَلُوا وَقَايَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَفْسِدُ جَمَاعَتَكُمْ ، كَالْامْتِنَاعِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَكَالشَّقَاقِ ، وَكَالْامْتِنَاعِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الذَّنْبَ لَا يَصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَحَدَمَهُمْ ، بَلْ يَصِيبُ الْجَمِيعَ ، وَاعْلَمُوا عِلْمًا جَازِمًا أَنَّ عِقَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٢٦ - وَتَذَكَّرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حَالِ قُوَّتِكُمْ ، وَقَدْ كُنْتُمْ عِدَدًا قَلِيلًا ، وَضَعْفَاءَ يَسْتَفْتِلُ أَعْدَاؤُكُمْ ضَعْفَكُمْ ، وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْكُمْ الْخَوْفُ مِنْ أَنْ يَتَخَطَفَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ ، فَهَاجَرْتُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَجَعَلَ مِنْ يَثْرَبِ مَأْوَى لَكُمْ ، وَكَانَ لَكُمْ النُّصْرَ بِتَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَرَزَقَكُمْ الْغَنَائِمَ الطَّيِّبَةَ رَجَاءً أَنْ تَشْكُرُوا هَذِهِ النِّعْمَ ، فَتَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ .

٢٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِالْحَقِّ ، وَأَذْعَنُوا لَهُ ، لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مِنْكُمْ خِيَانَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بِمُؤَالَاةِ أَعْدَاءِ الْحَقِّ ، أَوْ بِالْخِيَانَةِ فِي الْغَنَائِمِ ، أَوْ بِالْقَعُودِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَلَا تَحُونُوا فِي الْأَمَانَاتِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ .

٢٨ - وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ أَنَّ فِتْنَةَ نَفُوسِكُمْ تَجِيءُ مِنْ فِرْطِ مَحَبَّتِكُمْ لِأَوْلَادِكُمْ ، فَلَا تَغْلِبُوا مَحَبَّةَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُ أُمُورَكُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ عَظِيمٌ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ .

إِنْ تَشْقُوا اللَّهَ بِجَعَلِ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَلِكِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ نُنزِلُ عَلَيْهُمْ
آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

٢٩ - بأيا الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، إن تخضعوا لاوامر الله في السر والعلن ، يجعل الله تعالى في
أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل . ويهيبكم نصرا ليفصل بينكم وبين أعدائكم ، ويستر سيئاتكم فتذهب
ويغفرها لكم ، وهو سبحانه صاحب الفضل الكبير دائما .

٣٠ - واذكر أيها النبي نعمة الله عليك ، إذ يكر المشركون للايقاع بك : اما بأن يجسوك ، واما بأن يقتلوك ،
واما بأن يخرجوك ! انهم يدبرون لك التدبير السيئ ! والله تعالى يدبر لك الخروج من شرهم ، وتدبير الله هو الخير
وهو الأقوى والغالب .

٣١ - واذكر ، أيها النبي ، معاندة المشركين عندما كنت تقرأ آيات القرآن الكريم ، وهي آياتنا ، فيذهب بهم
فرط الجهل والغرور الى أن يقولوا : لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، فاهو الا ماسطره الأولون من
قصص ! .

٣٢ - واذكر أيها النبي كيف ذهبوا في محادتك ومحادة الله أن قالوا معاندين وجهين النداء لله ربهم : ان كان
ماتحياً به هو الأمر الثابت ، فاجعل السماء تمطر حجارة ، أو أنزل عذابا شديدا أيما .

٣٣ - وماكان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم في الدنيا بعذاب شديد وأنت فيهم تدعو الى الحق راجيا اجابتهم ،
وماكان من شأن الله أن يعذب العصاة وهم يستغفرونه ويقبلون عما هم فيه .

٣٤ - وان حالهم القائمة الآن تسوخ تعذيبهم ، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذي حرم الله القتال حوله ،
ولكن يؤخرهم الله لما قدره في علمه من ايمان الكثيرين منهم ، وانهم في حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد
المكرم ، لأنهم دنسوه باللوثية وانما نصراؤه الحقيقيون هم المؤمنون الطائعون لله ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون
الدين ، ولا مقام ذلك البيت الكريم .

مُكَاً وَتَصَدِيبَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَدْ تَلَوْتُمُوهَا حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنَّ آنتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلٰكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ عُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

٣٥ - وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم الاصفيرا وصفقا بالايدي ، واذا كان تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه في ميدان القتال ، لينزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم .

٣٦ - ان هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله ، ينفقون أموالهم لينعوا الناس عن الايمان بالحق ، وهم سينفقونها ، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وسيغلبون في ميدان القتال في الدنيا ، ثم يجمعون الى جهنم في الآخرة ان استمروا على كفرهم .

٣٧ - وان الهزيمة في الدنيا ، والعذاب بالنار في الآخرة ، ليفصل الله الخبيث النفس والفعل والقول عن الطيب في نفسه وقلبه وقوله وفعله ، وليجعل الخبيث بعضه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله في النار يوم القيامة ، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون وحدهم في الدنيا والآخرة .

٣٨ - وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب ، فقل ، يابى الرحمة ، هؤلاء الجاحدين إنهم إن ينتهوا من العناد والاشراك فان الله يغفر لهم ماسبق من أفعالهم . وان استمروا على ضلالهم وعادوا الى قتالكم ، فقد تقررت الطريقة الحققة في الأولين ، وهي نصر الحق على الباطل ، ان التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر .

٣٩ - واستمروا في قتال المشركين حتى يمتنعوا عن افسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى ، فان انتهوا عن الكفر وايداء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فان الله تعالى علم بأفعالهم ومجازهم عليها (١) .

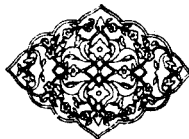
٤٠ - وان استمروا على اعراضهم وايدائهم للمؤمنين ، فاعلموا أيها المؤمنون أنكم في ولاية الله ، وهي أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصرة وأعظمها .

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيَّةِ الْحَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمَعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيُخَيِّمَ مَنْ حَىٰ عَن بَيْنِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادْنَاكُم كَثِيرًا لَفَاسَلْتُمْ لِتَنْزِعْتُمُ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ

٤١ - واعلموا ، أيها المسلمون ، أن ماظفرتم به من مال الكفار فحكه أن يقسم خمسة أخماس ، خمس منها لله وللرسول ولقراية النبي واليتامى ، وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء ، والمساكين ، وهم ذوو الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل ، وهو المنقطع في سفره المباح ، والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التي يقررها الرسول في حياته ، والامام بعد وفاته ، وباقي الخمس يصرف للمذكورين .
 واما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة ، وسكتت عنها الآية ، فهي للمقاتلين ، فاعلموا ذلك ، واعلموا به ان كنتم آمنتم بالله حقا ، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ، يوم الفرقان الذي فرقنا فيه بين الكفر والايمان ، وهو اليوم الذي التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر ، والله عظيم القدرة على كل شيء ، وقد نصر المؤمنين مع قتلهم وخذل الكافرين مع كثرتهم .

٤٢ - واذكروا حين كنتم في الوادي بأقرب الجانين من المدينة ، وهم بأبعد الجانين ، وركب التجارة الذي تطلبونه أقرب اليكم مما يلي البحر ، ولو تواعدتم أنتم على التلاقي للقتال لما اتفقتم عليه ، ولكن الله دبر تلاميكم على غير موعد ولا رغبة منهم . لينفذ أمرا كان ثابتا في علمه أنه واقع لا محالة ، وهو القتال المؤدى الى نصركم وهزيمتهم ، لتقطع الشبهات ، فيهلك الهالكون عن حجة بينة بالمشاهدة ، وهي هزيمة الكثرة الكافرة ، وبحيا المؤمنين عن حجة بينة ، وهي نصر الله للقلة المؤمنة . إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شيء من أقوال الفريقين ولا نياتهم .

٤٣ - واذكر ، أيها الرسول ، حين تفضل الله عليك ، فصور لك في منامك جيش الأعداء في قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم ، فثبتوا أمام جمعهم ولو ترككم ترونهم كثيرا ، دون أن يثبتكم بهذه الرؤيا ، لهبتموهم ، ولترددتم في قتالهم ، ولعجزتم ، وكان التنازع في الاقدام وعدمه ، ولكن الله سلم من ذلك ونجس من عواقبه ، انه عليم بما في القلوب التي في الصدور .



فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَجَّجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَأٍ وَّرِپَاءِ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لِمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَلَبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ

٤٤ - واذكر، أيها الرسول، حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقي قلة في أعينكم، كما يظهركم الله في أعين أعدائكم قلة، ولما في أنفسهم من الفرور بالكثرة، ليقدم كل منكم على قتال الآخر، فيتم تنفيذ أمر علمه الله، وكان لا بد أن يتم، وإلى الله ترجع أمور العالم كله، فلا ينفذ الا ما قضاه وهياً أسبابه.

٤٥ - يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاثبتوا ولا تفروا واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين، مكثرين في ذلك الذكر مع الثبات والصبر، فانكم ان فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفلاح محققاً^(١).

٤٦ - وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه، ودعوا التنازع والاختلاف، فإنها مدعاة الى ضياع القوة والى العجز، واصبروا على ما تلقون من مكاره الحرب، فان الله مع الصابرين بالعون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء.

٤٧ - ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم، مغرورين بما هم من قوة ونعمة، مفاخرين ومتظاهرين بها أمام الناس، يزدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والاسلام، والله محيط بأعمالهم علماً وقدره، وسوف يجازيهم عليها في الدنيا والآخرة.

٤٨ - واذكروا، أيها المسلمون، حينما حسن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته، قائلاً لهم: انه لا يستطيع أحد من الناس أن يغلبيهم، ويؤكد لهم أنه يجير لهم! فلما تقابل الفريقان في الحرب بطل كيد ووسوسته ورجع مدبراً، وتبرأ منهم، وخاف ان يهلكه الله، والله شديد العقاب على الذنوب.

(١) في الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات في وجه العدو وان العبد ينفى الا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ الى الله عند الشدائد، وفي ذلك أيضاً تنبيه الى أهمية التدين والايان في رفع الروح المعنوية والثبات وفي الآيات أيضاً ابصاح لأهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لا يدب الفشل نتيجة الفرقة كما ينفى عدم التفاخر والتباهي بالعظمة والانصراف الى التظاهر بالشجاعة والساحة والرياء.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابِ آلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ
 اللَّهَ لَرَّيْكَ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ آلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا

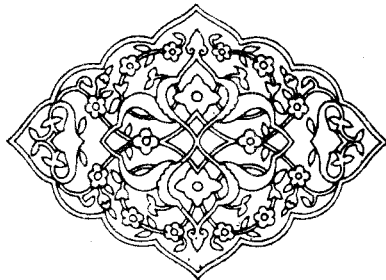
٤٩ - واذكر، أيها الرسول، حينما يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم في إقدامكم وثباتكم :
 غر هؤلاء المسلمين دينهم !! وان من وكل الى الله أمره مؤمنا به معتمدا عليه، فان الله يكفيه مأهده، وينصره على
 أعدائه، لأن الله قوى السلطان حكيم في تدبيره .

٥٠ - ولو ترى، أيها الرسول، ذلك الهول المخيف، الذي ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوفاهم الملائكة فيزعون
 أرواحهم، وهم يضربونهم من امام ومن خلف، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة !! .

٥١ - وان الله ليس ظالما لعبيده في تعذيبهم على ما ارتكبهوه، بل ذلك هو العدل، لأنه لا يستوى المسيء
 والمحسن، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة .

٥٢ - ان عادة هؤلاء المشركين وشأنهم في الكفر، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم . جحودا منهم بآيات
 الله، فعذبهم الله على ذنوبهم، وهو غير ظالم لهم . ان الله قوى في تنفيذ حكمه، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه .

٥٣ - وهذا عدل في الجزاء، بسبب ان الله لا يغير نعمة أنعم بها على قوم، كنعمة الأمن والرخاء والعافية،
 حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب ! وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون .



ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا تَشَفَّعْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۗ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۗ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

٥٤ - وكما أن دأب هؤلاء في الانكار لآيات الله ونعمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم في الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبهه بينهم في الكفر بالآيات ، وجحود رسالة الرسل ، وتكذيبهم ، وفي الاستمرار على ذلك . فكلما أخذ الله بذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها ، وآل فرعون بالفرق ، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم ، واستحقوا ما نزل بهم من العقاب .

٥٥ - ان شر ما يدب على وجه الأرض عند الله في حكمة وعدله ، هم الكفار المصرون على كفرهم .

٥٦ - الذين عقدت معهم العهود والمواثيق ، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة ، وهم اليهود لا يردعهم عن ذلك تعظيم الله ، ولا خوف من نعمته وعذابه .

٥٧ - فان تدرك أيها الرسول ، هؤلاء الناقضين لعهدهم ، وتصادفهم في الحرب ظافرا بهم ، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم ويخيف من وراءهم ، فتفرق جموعهم من خلفهم . فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض العهود . ولدفع غيرهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء (١) .

٥٨ - وان تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنهى بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد ، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك ، بأن تعلن فسخك لعهدهم ، حتى يكونوا على علم بأمرك ، وحتى لا يستطيعوا خيانتك ، إن الله لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم .

٥٩ - ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم ! انهم لا يعجزون الله عن الاحاطة بهم ، بل هو القادر وحده ، وسيجزئهم بقوته وعدله .

(١) في الآيات الكريمة تحذير من الذين يعاهدون ثم ينقضون العهد هؤلاء يجب التنكيل بهم ومن وراءهم وفي الآية بيان لأهمية تدمير مؤخرة العدو وهو أسلوب من أساليب القتال الحديثة لأن إيقاع الاضطراب في مؤخرة العدو كفيل بإرباكه ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخرته وفي هذا تفكيك لقوته .

يضاف الى ذلك ان في المناطق الخلفية من ميادين القتال توجد المنشآت الادارية التي تعتمد عليها القوات في الاعاشة ووقوع الاضطراب في هذه الامحاء يؤدي الى عدم انتظام القوات وبالتالي الى إيقاع الهزيمة بالعدو .

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
 * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۗ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ ۗ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۗ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ۗ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۗ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَالِحُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۗ وَإِنْ

٦٠ - وأعدوا يا معشر المسلمين لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، ومن المرابطين في الثغور وأطراف البلاد بخيلهم ، لتخيفوا بهذا الاعداد والرباط عدو الله وعدوكم ، من الكفار المتربصين بكم الدوائر وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم . لأنه لا يخفى عليه شيء . وكل ما أنفقتم من شيء في سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فان الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن ينقصكم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم (١) .

٦١ - وان مال الأعداء عن جانب الحرب الى جانب السلم ، فاجنح لها أيها الرسول ، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك انما أنت قاصد بها الدفاع ، لعدوانهم ، وتحميدهم لدعوتك . فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ، ولا تخف كيدهم ومكرهم انه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به ، العليم بما يدبرون ويأتمرون ، فلا يخفى عليه شيء (٢) .

٦٢ - وإن أرادوا من تظاهرهم بالجنوح الى السلم خدعة ومكرا بك ، فان الله يكفيك أمرهم من كل وجه ، وقد سبق له أن أيدك بنصره ، حين هبأ لك من الأسباب الظاهرة والخفية مائتت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار .

٦٣ - وجمع بينهم على الهبة بعد التفرق والتعادي ، فأصبحوا ملتفين حولك ، باذلين أرواحهم وأموالهم في سبيل دعوتك ، وانك لو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال والمنافع ، في سبيل هذا التأليف ، لما أمكنك أن تصل اليه ، لأن القلوب بيد الله ، ولكن الله ألف بينهم ، بهدایتهم الى الايمان والهبة والاخاء ، وانه تعالى قوى غالب ، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم .

٦٤ - يا أيها النبي كفاك وكني أتباعك المؤمنين أن الله لكم ناصرا ومؤيدا .

(١) في الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد لملاقاة العدو فالهزب قديما وحديثا أمر خطير جليل تتوقف عليه مصائر الامم لذلك فهي جديرة بالتحضير والتجهيزات والاعداد في مختلف نواحي العدد والقوة والعتاد ودخول الحرب دون تجهيز واعداد يسبب الفشل ونحن نرى الدول الآن تستعد في وقت السلم للحرب وتبنى سياستها واستراتيجيتها وتعبيء جميع مواردها للحصول على النصر في الحرب . والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهي بذلك أولى باعداد كل منها اعدادا شاملا يضمن النصر .
 (٢) مبدأ عظيم من مبادئ الاسلام دين السلام ونحن الان نسمع كل دول العالم تنادى بالسلام ولذا انشئت هيئة الأمم المتحدة .

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَافٍ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَعَنَ خَصَفَ اللَّهُ عَنْكَ وَعَلِمَ أَنَّ فَيْكُرَ
 ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^٤ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يَبْغِضَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ بِنَائِبِهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمَ

٦٥ - يأبى النبي حت المؤمنين على القتال لإعلاء كلمة الله ورغبتهم فيما وراءه من خير الدنيا والآخرة ، لتقوى بذلك نفوسهم وانه ان يوجد منكم عشرون معتصمون بالايان والصبر والطاعة ، يغلبوا مائتين من الذين كفروا . ذلك بأنهم قوم لا يدركون حقائق الأمور ، فليس لهم إيمان ولا صبر ولا مطمع في ثواب ..

٦٦ - واذا كان واجبتكم أيها المؤمنون أن تصبروا على ملاقات أعدائكم في حال قوتكم ، ولو كانوا أمثالكم ، فقد رخص الله لكم في غير حال القوة ان تصبروا أمام مثليكم فقط من الأعداء لعلهم أن فيكم ضعفا يقتضى التيسير عليكم والترخيص لكم ، بعد أن تثبت هيبه الاسلام في نفوس الكفار ، فان يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار ، وان يكن منكم ألف يغلبوا أالفين بارادة الله ومعونته ، والله مع الصابرين بنصره وتأيدته (١) .

٦٧ - لايسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم ، أو يأخذ منهم الفداء أو يمن عليهم بالعفو عنهم ، حتى يتغلب ، ويظهر على أعدائه ، ويثقلهم بالجراح ، فلا يستطيعوا قتالا في الأرض ، ولكنكم ، يا جماعة المسلمين ، سارعت في غزوة بدر الى اتخاذ الأسرى قبل التمكن في الأرض ، تريدون منافع الدنيا والله يريد لكم الآخرة ، باعلاء كلمة الحق ، وعدم الالتفات الى ما يشغلكم عن الدنيا والله قوى قادر غالب ، يدبر الأمور لكم على وجه المنفعة .

٦٨ - لولا حكم سابق من الله بالعفو عن المجتهد المخطيء لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به .

٦٩ - فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالا لكم غير خبيث الكسب ، واتقوا الله في كل أموركم ، ان الله عظيم الغفران والرحمة لمن شاء من عباده اذا أناب الى ربه .

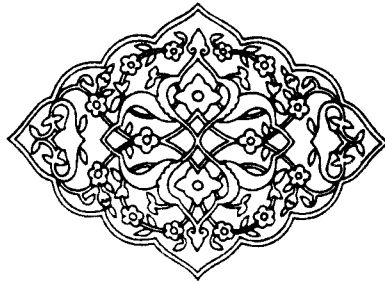
(١) في الآيات الكريمة بيان لأهمية العقيدة الراسخة والايان في الحرب فليس المهم العدو وانما القوة قوة الروح المقاتلة وایمان القلب ، وهو أمر واضح في جميع الحروب على مر الزمان . وكم من فئة قليلة قوية الايمان بقضيتها غلبت فئة كبيرة واهية ولا تؤمن بقضيتها الخاسرة ، وفي الآيات أيضا بيان لوضع القائد في المعركة فن واجباته تنظيم ودفع جنوده وتحريضهم على القتال ويدخل في ذلك ان يكون أسوة لهم وان يوضح لهم اساليب النصر وهذا وذاك من واجب كل قائد في كل زمان .

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا ۗ وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

٧٠ - يأيها النبي ، قل للذين وقعوا في أيديكم من الأسرى : ان يكن في قلوبكم خير يعلمه الله ، يخلف لكم خيرا مما أخذه المؤمنون منكم ، ويغفر لكم ماكان من الشرك والسيئات ، والله كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه .

٧١ - وان يريدوا خيانتك بما يظهر بعضهم من الميل الى الاسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك ، فلا تبتس ، فسيمكنك الله منهم ، كما خانوا الله من قبل باخذا الأنداد والشركاء والكفر بنعمته ، فأمكن منهم اذ نصرك عليهم في بدر ، مع التفاوت بين قوتك في القلة ، وقوتهم في الكثرة ، والله قوی غالب متصرف بحكمته فأمكن من نصره عباده المؤمنين .

٧٢ - إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه ، وهاجروا من مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والذين آوهم في غربتهم ، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله ، ويعادون من عاداه ، بعضهم نصراء بعض في تأييد الحق وإعلاء كلمة الله على الحق . والذين لم يهاجروا ، لا يثبت لهم شيء من ولاية المؤمنين ونصرتهم ، اذ لا سبيل الى ولايتهم حتى يهاجروا ، وان طلبوا منكم النصر على من اضطهدوهم في الدين ، فانصروهم . فان طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم ، لم ينقضوا الميثاق معكم ، فلا تجيبوهم ، والله جاعل بصير لا يخفى عليه شيء ، فقفوا عند حدوده لئلا تقفوا في عذابه .

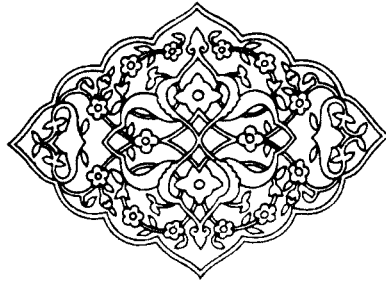


كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٣ - والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون في عداوتكم ، فلاتوالوهم ، فان خالفتهم وواليتموهم ، تقع الفتنة في صفوفكم والفساد الكبير في الأرض .

٧٤ - والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الايمان ، والله تعالى يغفر لهم ، ولهم رزق كبير في الدنيا والآخرة .

٧٥ - والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين ، فأولئك منكم يا جماعة المهاجرين والأنصار ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلاً عن ولاية الإيمان - ولاية القرابة ، فبعضهم أولى ببعض في المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك في كتابه وهو العليم بكل شيء .





بِرَّاءَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩﴾ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا

سورة التوبة مدنية ، نزلت بالمدينة في العام التاسع ، وحملها على بن أبي طالب إلى المسلمين في الحج ، وقرأها عليهم ، وأمير الحج في هذا العام أبو بكر الصديق رضی الله عنه ، وآياتها تسع وعشرون ومائة ، وقد ابتدأت ببراءة الله تعالى من المشركين ، ولذلك سميت سورة براءة ، وذكرت بعد ذلك حرمة الأشهر الحرم ، وعهد المشركين ، ووجوب الوفاء مالم يكتثوا ، ومن ينكث في العهد فإنه يجب حربه ، وبينت بعد ذلك أن لب التقرب الى الله تعالى هو الايمان به ، وأنه لا يكمل الايمان إلا اذا كان الله ورسوله أحب الى المؤمنين من كل شيء وذكر سبحانه أن الاعتزاز بالقوة ، يبعد النصر وأشار الى حال المسلمين في غزوة حنين . وفي هذه السورة حرم على المشركين دخول المسجد الحرام ، لأنهم نجس .

وفيها النص على وجوب قتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد ، وبين فيها عدد الأشهر الحرم ، وفيها بينت ضرورة النفرة إلى القتال عند كل نداء من غير تلوؤ ، وفيها من بعد ذلك إشارات الى المخلفين والمعوقين عن الخروج للقتال ، وبيان أحوال المنافقين الذين يتغنون الفتنة في كل وقت تكون الدعوة فيه إلى القتال ، وذكر الله تعالى المنافقين في معاملتهم للمؤمنين في السلم وفي الحرب .

وفي هذه السورة الأمر القاطع المعلن لعقوبة النفاق ، وهو ألا يصلى النبي ﷺ على أحد منهم ، وذكر سبحانه بعد ذلك الأعدار التي تسوغ التخلف ، وبين سبحانه حال الذين أظهروا الدخول في الاسلام من الأعراب ، أو خضعوا لأحكامه بعد أن صارت له قوة ، وبين أن هؤلاء الأعراب مقيمون حول المدينة وقريبا منها .

وذكر من بعد ذلك أحوال الناس بالنسبة للايمان ، وذكر خبر مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ليغضوا من المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ ، ثم ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، وتوبة الذين كانوا قد خلفوا عن رسول الله ﷺ ، وقبول الله تعالى لهذه التوبة ، كما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الناس في تلى آيات القرآن عند نزولها ، وختم سبحانه وتعالى السورة بأن الله تعالى اختار محمدا للرسالة وهو لا يريد عنت من أرسل اليهم ، وأنه بهم رموف رحيم ، وأن الله حسبه اذا تولوا عنه .

١ - الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد .

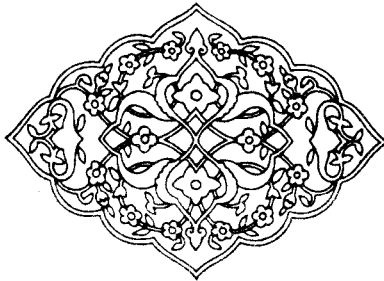
أَنْكَرَ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ
 أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْعًا وَلَا يَظْهَرُوا
 عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا
 الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَآخِصُّوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَأْبُوا وَآقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْنَا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

٢ - فلکم الأمان أيها المشركون - مدة أربعة أشهر - من حين البراءة تنتقلون فيها حيث شئتم ، واعلموا أنكم حينما كنتم خاضعون لسلطان الله ، وأنتم لا تعجزونه ، وإن الله كاتب الخزي على الذين يمجّدونه .

٣ - وبلاغ من الله ورسوله الى الناس عامة ، في مجتمعهم يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين . فأيها المشركون الناقضون للعهد ، إذا رجعتم عن شرككم بالله ، فإن ذلك خير لكم في الدنيا والآخرة ، أما ان أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه ، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله . أيها الرسول أندر جميع الكافرين بعذاب شديد الايلام .

٤ - أما من عاهدتم من المشركين ، فحافظوا على عهودكم ولم يخلوا بشيء منها ولم يعينوا عليكم أحدا ، فأوفوا لهم عهدهم الى نهايته واحترموه .. إن الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم .

٥ - فإذا انقضت مدة الأمان - الأشهر الأربعة - فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد في كل مكان ، وخذوهم بالشدّة ، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق ، واقعدوا لهم في كل سبيل ، فإن تابوا عن الكفر . والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وابتاء الزكاة ، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم في دين الله ، والله عظيم المغفرة لمن تاب ، واسع الرحمة بعباده .



كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ أبلغَهُ مَأمَنُهُ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَقْبُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُرضُونَكم بِأَقْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾
أَشْتَرُوا بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَقْبُؤُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ

٦- وإن طلب منك الأمان ، أيها الرسول ، أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ، فإن دخل في الاسلام فهو منكم ، وإن لم يدخل فأبلغه مكانا يكون فيه أمانا . وهذا الأمر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهله للاسلام ، ورغبته في العلم به .

٧- كيف يكون لهؤلاء المشركين ، الناقضين للعهد مرارا ، عهد محترم عند الله وعند رسوله ؟ فلا تأخذوا بعهودهم ، إلا الذين عاهدتموهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا أنتم لهم على عهدهم ماداموا مستقيمين ، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم .

٨- كيف تحافظون على عهودهم ، وهم قوم - إن يتمكنوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم - فلن يدخروا جهدا في القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء يمدعونكم بكلامهم المسسول ، وقلوبهم منطوية على كراهيتكم ، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد .

٩- أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضا قليلا من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، إن هؤلاء قبيح ما كانوا يعملون .

١٠- تلك حال جحودهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم .

١١- فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهم اخوانكم في الدين ، لهم مالكم وعليهم ما عليكم ، وبين الله الآيات لقوم ينتفون بالعلم .

إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ وَأَوَّلَ
 مَرَّةٍ أَخْبَسْتُمْ عَلَيْهِمُ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَيَسْفِئْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
 وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ
 أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

١٢ - وإن نقضوا عهدهم من بعد توكيدها ، واستمروا على الطعن في دينكم ، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم ، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، لينتهوا عن كفرهم .

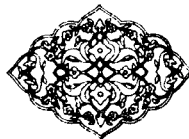
١٣ - هلا تسارعون ، أيها المؤمنون ، إلى قتال جماعة من المشركين ، نقضوا عهودكم مرارا ، وقد سبق أن هموا بإخراج الرسول من مكة وبقتله ، وهم الذين بدأوكم بالابذاء والعدوان من أول الأمر ، أتخافوهم ؟ لا تخافوهم فالله وحده أحق بأن تخافوه ، إن كنتم صادقين في إيمانكم .

١٤ - قاتلوهم أيها المؤمنون ، يذقهم الله العذاب على أيديكم ، ويذلم وينصركم عليهم ، ويشف بهزيمتهم وإعلاء عزة الاسلام ما كان من ألم كامن وظاهر بصدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار .

١٥ - ويملاً الله قلوب المؤمنين فرحا بالنصر بعد الهم والخوف ، ويذهب عنهم الغيظ ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم ، والله واسع العلم بشئون عباده ، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم .

١٦ - لا تظنوا أيها المؤمنون أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه . إن من سنته تعالى الاختبار ، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين ، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء ، والله عليم بجميع أعمالكم ، ومجازيكم عليها .

١٧ - ليس المشركون أهلا لأن يعمرؤا مساجد الله ، وهم مستمرين على كفرهم ، معلنون له ، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها ، وهم خالدون في النار يوم القيامة .



وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَ كُفْرٍ وَإِخْوَانَكُمْ ءُولِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

١٨ - ولكن الذين يعمرن مساجد الله ، إنما هم الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأدوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يحشوا الا الله وحده ، وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين الى الصراط المستقيم .

١٩ - لا ينبغي أن تجعلوا القاتنين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين في منزلة الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا في سبيل الله . ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند الله . والله لا يهدي الى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر وظلم غيرهم بالأذى المستمر .

٢٠ - الذين صدقوا بوحداية الله ، وهاجروا من دار الكفر الى دار الاسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات وهؤلاء هم الظافرون بمنوبة الله وكرامته .

٢١ - وهؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم ويخصهم برضاه ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .

٢٢ - وهم خالدون في الجنة لا يتحولون عنها ، وان الله عنده أجر عظيم وثواب جليل .

٢٣ - يأبى المؤمنون لا يتخذوا من آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم وأزواجكم ، نصراء لكم ، ماداموا يحبون الكفر ويفضلونه على الايمان ومن يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِمَّا الْمُسْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

٢٤ - قل يأها الرسول للمؤمنين : إن كنتم تحبون آباءكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم ، وأقرباءكم ، وأموالاً اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها ، ومساكن تستريحون للاقامة فيها أكثر من حاكم الله ورسوله والجهاد في سبيله ، حتى شغلتمكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتي الله بحكمه فيكم وعقوبته لكم . والله لا يهدي الخارجين على حدود دينه .

٢٥ - لقد نصركم الله أيها المؤمنون على أعدائكم في كثير من المواقع بقوة إيمانكم ، وحين غرتمكم كثرتكم في معركة حنين ترككم الله لأنفسكم أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئاً وظهر عليكم عدوكم ، ولشدة الفزع ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلاً للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففرتم منهزمين ، وتركتم رسول الله مع قلة من المؤمنين (١) .

٢٦ - ثم أدرتكم عناية الله ، فأنزل الطمأنينة على رسوله ، وملأ بها قلوب المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التي نبتت أقدامكم ولم تروها ، فانتصرتم .. وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة وذلك جزاء الكافرين في الدنيا .

٢٧ - ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، إذا رجع عنه مخلصاً ، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

(١) كانت موقعة حنين بين المسلمين وقبيلتي ثقيف وهوازن وكان جيش المسلمين فيها يبلغ نحو اثني عشر الفا وعدد الكفار نحو أربعة آلاف وقد شددوا في القتال ، لأن القضاء عليهم قضاء على آخر نفوذ للوثنية في العرب ، لأن مكة فتحت قبل ذلك بقليل وقد التقى الفريقان المؤمنون بكثرتهم وقد اعجبهم وأولئك بقلتهم الغنيمة وكانت الجولة للشرك لفرور المسلمين ولكن انتهت المعركة بنصر المؤمنين ، والعبارة في هذه الفقرة ان الكثرة العددية ليست هي عامل النصر إنما عامل النصر هو القوة المعنوية .

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتُمُوهُ اللَّهُ أَلَمْ يُوَفِّكُمْ ﴿٣٠﴾ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

٢٨ - يأبى المؤمنون ، انما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم وهم ضالون في العقيدة ، فلا تمكنوهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة) . وإن خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويغنيكم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونكم ، حكيم في تدبيره لها .

٢٩ - يأبى الذين آمنوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيمانا صحيحا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقرارا صحيحا ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الاسلام ، قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا اليكم الجزية (١) خاضعين طائعين غير متمردين . ليسهموا في بناء الميزانية الاسلامية .

٣٠ - ترك اليهود الوجدانية في عقيدتهم ، وقالوا : عزير (٢) ابن الله وترك النصارى الوجدانية كذلك فقالوا : المسيح ابن الله . وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يرددونه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليه حجة ولا برهان ، وهم في هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ، لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم ، عجبا لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل .

(١) الجزية من الموارد الهامة في ميزانية الدولة الاسلامية وكانت هذه الضريبة تتراوح ما بين ثمانية واربعين درهما ، واثني عشر درهما للفرد الواحد تؤخذ من اليهود والنصارى ومن في حكمهم وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط ان يكون له مال يدفع منه فرض عليه واعفى منها النساء والأطفال والشيوخ لأن الحرب لاتعلن عليهم ولا يدفعها العمى والمقعدون الا اذا كانوا أغنياء وكذلك الفقراء والمساكين والارقاء ولم يكن يطالب بها الرهبان اذا كانوا في عزلة عن الناس .

وكان الاساس في فرض ضريبة الجزية حماية اهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن في حكمهم لم يكلفوا الحرب أو الدفاع عن أنفسهم أو غيرهم فكان من العدالة أن يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ونظير تمتعهم برفاق الدولة العامة وانها في مقابل ما يؤخذ من المسلم فان المسلم يؤخذ منه خمس الغنائم والزكاة وصدقة الفطر والكفارات المختلفة للذنوب فكان لا بد أن يؤخذ من غير المسلم ما يقابل القدر الذي يؤخذ من المسلم وهي تنفق في المصالح العامة وعلى فقراء اهل الذمة الذين يدفعونها ولا يقصد بهذه الضريبة الادلال أو العقوبة لأن هذا لا يتفق وعدالة الاسلام ولا يتماشى مع غايته السامية .

(٢) عزير هو عزرا الكاهن من نسل هارون خرج من بابل مع رجوع اليهود الثاني بعد وفاة رسول الله موسى بنحو الف عام ، وكان عزرا يلقب بالكاتب لأنه كان يكتب في شريعة موسى .

ملحوظة : خرج عزرا ومن معه من اليهود الى اورشليم سنة ٤٥٦ ق . م في السنة السابقة من حكم اربخشستا ملك فارس بعد خراب اورشليم وحرقت بيت المقدس ونهبه بزمان طويل .

إِلَّهَا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَطْلِ وَيُصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا

٣١ - اتخذوا رجال دينهم أربابا ، يشرعون لهم ، ويكون كلامهم ديننا ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبعوهم في باطلهم ، وعبدوا المسيح ابن مريم ، وقد أمرهم الله في كتبه على لسان رسله ألا يعبدوا إلا الها واحدا ، لأنه لا يستحق العبادة في حكم الشرع والعقل إلا الاله الواحد ، تنزه الله عن الاشرار في العبادة والخلق والصفات .

٣٢ - يريد الكافرون بزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الاسلام ، ولا يريد الله الا اتمام نوره ، بإظهار دينه ونصر رسوله ، ولو كانوا كارهين لذلك .

٣٣ - هو الله الذي كفل اتمام نوره بإرسال رسوله (محمد ﷺ) بالحجج البينات ، ودين الحق (الاسلام) ليعلى هذا الدين على جميع الأديان السابقة عليه ، وإن كرهه المشركون فإن الله يظهره رغما عنهم .

٣٤ - يأبى المؤمنون : اعلموا أن كثيرا من علماء اليهود وrehبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق ، ويستغلون ثقة الناس فيهم وأتباعهم لهم في كل ما يقولون ويمنعون الناس عن الدخول في الاسلام ، والذين يستحذون على الأموال من ذهب وفضة حاسبين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأنذرهم أيها الرسول بعذاب موجه .

٣٥ - في يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال في نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال الهمة جباه أصحابها ، وجنوبهم ، وظهورهم ويقال تويخا لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تودوا منه حق الله ، فذوقوا اليوم عذابا شديدا .

يُقِنُّونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

٣٦ - إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشرة شهرا ، في حكم الله وتقديره ، وفيما بينه في كتبه منذ بدء العالم . ومن هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر يحرم القتال فيها ، وهي : رجب والقعدة والحجة والمحرم . وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هودين الله المستقيم ، الذي لا يتبدل فيه ولا تغيير . فلا تظلموا في هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها . وقاتلوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم ، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعا ، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يخافون فيلتزمون أوامره ويحجتبون نواهيته .

٣٧ - وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - إلا إمعان في الكفر ، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم ، وكان العرب في الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا القتال فيه ، ويجعلوا الشهر الحلال حراما . ويقولون : شهر بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التي حرّمها الله ، وقد حسنت لهم أهواؤهم أعمالهم السيئة ، والله لا يهدي القوم المصرين على كفرهم الى طريق الخير .

٣٨ - يا أيها المؤمنون ما لكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد في سبيل الله ، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد ؟ لا ينبغي ذلك عجبا لكم لأنتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم ، فما التمتع بالدنيا ولدانها في جنب متاع الآخرة إلا قليل تافه .

٣٩ - إن لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد في سبيل الله ، يعذبكم الله عذابا موجعا . ويستبدل ربكم بكم قوما آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئا ، والله عظيم القدرة على كل شيء .

حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكُمْ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا نَخَرُّجَنَّا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ

٤٠ - أيها المؤمنون ، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله كفيل بنصره ، كما أيدته ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة . وليس معه إلا رفيقه أبو بكر ، وكان ثانی اثنين وبينهما في الغار مختفين من المشركين الذين يتعقبونها ، خشي أبو بكر على حياة الرسول . فقال له الرسول مطمئنا : لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة في قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجنود من عنده ، لا يعلمها إلا هو سبحانه . واتهى الأمر (١) بأن جعل شوكة الكافرين مقلوبة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يختل تدبيره .

٤١ - أيها المؤمنون ، إذا دعا داعى الجهاد فلبوا النداء أفرادا وجماعات - كل على قدر حاله ، ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح وجاهدوا بالمال والنفس في سبيل اعلاء كلمة الله فى ذلك العز والخير لكم . . إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحققة (٢) .

٤٢ - ندد القرآن بالمنافقين فى تخلفهم عن متابعة الرسول فى الجهاد ، فقال : لو كان مادعا إليه هؤلاء المنافقون عرضا من أعراض الدنيا قريب المال ، أو لو كان كذلك سفرا سهلا ، لاتبعوك - أيها الرسول - ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون أنهم لو استطاعوا لخروجوا معك ، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم ، والله لا يخفى عليه حالهم ، فهو يعلم كذبهم وسيجزئهم على ذلك .

٤٣ - لقد عفا الله عنك أيها الرسول فى إذتك لهؤلاء المنافقين فى التخلف عن الجهاد ، قبل أن تتبين أمرهم ، وتعلم الصادق من أعذارهم ان كان ، كما تعرف الكاذبين منهم فى ادعائهم الايمان وفى انتحال الأعذار الصادقة .

(١) الغار الذى اختفى فيه النبي ﷺ وصاحبه كان بجبل ثور ، وهو جبل قريب من مكة وقد أقاما به ثلاثة ايام وخرجا منه ليل بعد ان علما ان الطلب لها قد سكن ووصلا الى المدينة لثمان خلت من ربيع الاول من السنة الأولى للهجرة .
(٢) من المعاني المقصودة قوموا للقتال ركبانا ومشاة مسلحين بتعاد خفيف وآخر ثقيل وهذا من الاساليب المعروفة الآن فالأسلحة الخفيفة كالسيوف لها غرضها فى قتال الجنود أما الأسلحة الثقيلة فهي لدك معاول العدو وحصونه .

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَانَهُمْ فَتَبَطَّوهُمْ وَقَبَلْ أَعْدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوا كُرْهًا إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونِ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ

٤٤ - ليس من شأن المؤمنين حقا بالله ، وحسابه في اليوم الآخر ، ان يستأذنوك في الجهاد بالمال والنفس ، أو في
التخلف عنك ، لأن صدق إيمانهم يجب اليهم الجهاد في سبيل الله . والله يعلم صدق نيات المؤمنين .

٤٥ - انما يستأذنك الذين لا يؤمنون إيمانا صادقا بالله وحسابه في اليوم الآخر ، فإن قلوبهم دائما في شك وريبة ،
وهم يعيشون في حيرة ، وسينالون جزاء ذلك .

٤٦ - ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين ، في الخروج مع الرسول للجهاد ، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها .
ولكن الله كره خروجهم لعلهم أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم ، فعوقهم عن الخروج بما امتلأت به
قلوبهم من النفاق ، وقال قائلهم : اعدوا مع القاعدین من أصحاب المعاذير .

٤٧ - ولو خرجوا معكم الى الجهاد مازادوكم بمخروجهم قوة ، ولكن يشيعون الاضطراب أو يسرعون الى
الفتنة ، ويشيعونها فيما بينكم ، وفيكم من يجهل خبث نياتهم ، ويمكن أن يخدع بكلامهم ، أو لضعفه يسمع دعوتهم الى
الفتنة والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون انفسهم بما أضمره من الفساد .

٤٨ - وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم ، وديروا لك - أيها الرسول - المكاييد ، فأحبط الله
تدبيرهم ، وحقق نصرك ، وأظهر دينه على الرغم منهم .

٤٩ - وبعض المنافقين كان يقول للرسول : ائذن لي في القعود عن الجهاد ، ولا توقعني في شدة وضيق . انهم
بهذا الموقف قد أوقعوا انفسهم في معصية الله ، وإن نار جهنم لهيطة بهم في اليوم الآخر .

قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴿٥٢﴾ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَهُ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾
 وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
 وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنَّكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنَّكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا

٥٠ - هؤلاء المنافقون لا يريدون بك . أيها الرسول ، وبأصحابك ، الا المكاره ، فيتألمون اذا نالكم خير من نصر أو غنيمة ، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل ويقولون حينئذ شامتين . قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد ، وينصرفون مسرورين .

٥١ - قل لهم أيها الرسول : لن ينالنا في دنيانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نفتر بالخير ناله ، ولا نجزع بالشر يصيبنا فإن الله - وحده - المتولى لجميع أمورنا ، وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون .

٥٢ - قل لهم أيها الرسول : ليس لكم أن توقعوا شيئاً ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين اما النصر والغنيمة في الدنيا واما الاستشهاد في سبيل الله والجنة في الآخرة . ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به ، أو يعذبكم بالذلة على أيدينا ، فانتظروا أمر الله ، ونحن معكم منتظرون أمره .

٥٣ - قل أيها الرسول للمنافقين ، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بانفاق المال في الجهاد وغيره : أنفقوا ما شئتم طائعين أو مكرهين ، فلن يتقبل الله عملكم الذي أحبطه نفاقكم ، انكم دائماً متردون على دين الله ، خارجون على أمره .

٥٤ - وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله - والكفر يحبط الأعمال وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذي أمروا أن يؤدوها عليه ، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سترًا لنفاقهم ، ولا ينفقون شيئاً إلا وهم كارهون لهذا الانفاق في سرائرهم .

٥٥ - ولا يرقك ، أيها السامع ، وبأخذ بقلبك ، ما ترى المنافقين فيه من مال وبنين ، فإن الله ما أعطاهم هذا ليكابدوا في سبيله المتاعب والمشقات ، لحفظه في الحياة الدنيا ، دون أن يوجروا على ذلك ، ويدركهم الموت وهم كافرون فيعذبون بسببها في الآخرة .

٥٦ - ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم ، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله ، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف ، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم ، فهم يؤكدونه بالأيمان الفاجرة .

أَوْ مَغْرَبٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَمِسُ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^ط فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

٥٧ - وهم يضيقون بكم، ويكرهون معاشرتكم، ولو يجدون حصناً أو سراديب في الجبال أو جحوراً في الأرض يدخلون فيها، لانصرفوا إليها مسرعين.

٥٨ - وبعض هؤلاء المنافقين يعيبك أيها الرسول، ويطعن عليك في قسمة الصدقات والغنائم، إذ لا هم لهم إلا حطام الدنيا، فان أعطيتهم ما يرغبون منها رضوا عن عملك، وإن لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك.

٥٩ - ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين عابوك في قسمة الصدقات والغنائم رضوا بما قسم الله لهم، وهو ما أعطاهم رسوله وطابت نفوسهم به - وان قل - وقالوا: كفانا حكم الله، وسيرزقنا الله من فضله، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا في هذه المرة، وإنا إلى طاعة الله وأفضاله واحسانه لراغبون. لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم.

٦٠ - لا تصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويعملون فيها، والذين تولف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم في خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الاسلام ويبشرون به. وفي عتق رقاب الأرقاء والأسرى من رتبة العبودية وذل الأسر، وفي قضاء الديون عن المدنيين العاجزين عن الأداء. إذا لم تكن ناشئة عن اثم أو ظلم أو سفه، وفي امداد الفزاة بما يعينهم على الجهاد في سبيل الله وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر وفي عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهلهم. شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع^(١).

(١) الزكاة نظام وضع لتجمع اموال من الفنى وترد على الفقير فهي حق الفقير في مال الفنى ويجمعها ولى الأمر. وينفقها في مصارفها التي يعد أهمها وأجلها محاربة آثار الفقر في الفقير فهي تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل أمر لا فساد فيه، وفيها باب للقرض الحسن وتطبيقها في وجوه البر ومنها يسد دين من عجز عن سداده وكان قد اقترضه، وفي صدر الاسلام لم يحصل في المجتمع الاسلامي جاتا بيت على الطوى ولا شحاذا تذلل الحاجة حتى أنها لكثرتها كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من ينفق عليه منها. ولقد شكك عامل الصدقات على أفريقية الى عمر بن عبد العزيز انه لا يجد فقيراً ينفق عليه فقال له سدد الدين عن المدنيين فسد ثم شكاً ثانية.

قال: اشتر عبداً واعتقهم وذلك مصرف من مصارفها والحقيقة انها لو جمعت من وجوهها وصرفت في مصارفها لتبين من تطبيقها أنها أعظم نظام للتكافل الاجتماعي.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكْرًا لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَخْزَى الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوهُ وَإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ نَعْدِبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ

٦١ - ومن الناس منافقون يتعمدون إيذاء النبي ، وتناوله بما يكره ، فيتهمونه بأنه محب لسباع كل ما يقال له من صدق وكذب ، وأنه يخدع بما يسمع ، فقل لهم أيها الرسول : أن من تناولونه في غيبته بهذه التهمة ، ليس كما زعمتم ، بل هو أذن خير لا يسمع الا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ، يصدق بالله ووحيه ، ويصدق المؤمنين ، لأن إيمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وان الله أعد لمن يؤذيه عذابا مؤلما دائما شديدا .

٦٢ - يتخلفون عنكم في قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذبا ، ويخلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم على رضائه ان كانوا مؤمنين حقاً .

٦٣ - ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر ، أو يحاد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم في نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح ، والذل الشديد .

٦٤ - المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول . ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتزل فيهم على النبي آيات من القرآن تظهر ما يخفون في قلوبهم ويسرونه فيما بينهم ، فقل لهم أيها الرسول : استهزئوا ما شئتم ، فان الله مظهر ما تخشون ظهوره .

٦٥ - تأكد أيها الرسول أنك ان سألت المنافقين ، بعد افتضاح أمرهم ، عن سبب طعنهم في الدين واستهزائهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نخوض في الحديث ونلهو ، فقل لهم : كيف ساع لكم أن نخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله .

٦٦ - لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة . قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الايمان ، فان نفع عن طائفة منكم ثابت وأمنت بسبب إيمانهم وصدق توبتهم ، فإننا نعدب طائفة أخرى منكم بسبب اصرارهم على الكفر والنفاق ، واجرامهم في حق الرسول والمؤمنين .

وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِيمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

٦٧ - المنافقون والمنافقات يتشابهون في أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويبخلون ببذل المال في وجوه الخير ، فهم كأجزاء من شيء واحد ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدم ، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .

٦٨ - كتب الله للمنافقين وللكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولا يخرجون منها ، وهى حسبهم عقاباً ، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة .

٦٩ - ان حالكم أيها المنافقون كحال أمثالكم ممن سبقوكم الى النفاق والكفر ، فانهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً ، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه ، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف ، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا ، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل ، انهم قد بطلت أعمالهم ، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وكانوا هم الخاسرين وأنتم مثلهم في سوء الحال والمآل .

٧٠ - أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم ، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ، جاءتهم رسل الله بالحجج البينات من عند الله ، فكذبوا وكفروا ، فأخذ الله كلا بذنبه ، وأهلكهم جميعاً ، وما ظلمهم الله بهذا ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وتقدمهم على الله واستحقاقهم العذاب وحدهم ، فهم الذين يظلمون أنفسهم .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ
طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا لَرَبِّنَا لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا كَانُوا أَكْفَرًا مِمَّا قَالُوا لَسَخَّرْنَا لَهُمْ قُلُوبَهُمْ
وَإِن يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لَنُصَدِّقُنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ

٧١ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الايمان يأمرن بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين ، يؤدون الصلاة في أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقها في اibanها ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويحبتون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلون في رحمة الله ، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكيم في عطائه .

٧٢ - وقد وعدهم الله الجنة خالدون في نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم في دار الاقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضاء الله عنهم يستشعرون به ، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم . .

٧٣ - يا أيها النبي ، ثابر على جهادك في ردع الكفار عن كفرهم والمنافقين عن نفاقهم ، واشتد عليهم في جهادك ، وان ما لهم الذي أعدده الله لهم في الآخرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير .

٧٤ - ان المنافقين يخلفون أمامك أيها الرسول بالله أنهم ما قالوا منكراً مما بلغك عنهم ، وهم كاذبون في الانكار ، حانثون في اليمين ، وانهم قد قالوا كلمة الكفر ، وظهر كفرهم بعد أن كان باطناً . وما كان سبب نقتهم عليك الا بطراً بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التي شاركوا فيها المسلمين ، فإن يرجعوا إلى الله بترك النفاق والندم على ما كان منهم يقبل الله توبتهم ويكون ذلك خيراً لهم وان يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله في الدنيا بمختلف ألوان البلاء . وفي الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم في الأرض من يدافع عنهم أو يشفع لهم أو ينصرهم .

٧٥ - ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن آتاهم الله مالاً ، وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين في أعماهم .

بِخُلُوبِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
 وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّهُمْ وَيَجْهَلُونَ مَا فِي آلِهِمُ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
 الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧٩﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
 أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

٧٦- فلما استجاب الله لهم ، وأعطاهم من فضله ، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن
 الخير ، وهم معرضون عنه وعن الله .

٧٧- فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق في قلوبهم الى أن يموتوا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم وكذبهم
 في بينهم .

٧٨- كيف يتجاهلون ان الله مطلع عليهم . لا يخفى عليه ما يضمرونه في السر من نقض العهد ، وما يتناجون به
 في الخفاء من الطعن في الدين وتبدير المكاييد للمسلمين ، وهو جل شأنه العليم الذي لا يغيب عنه شيء .

٧٩- ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيرون على الموسرين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين ،
 ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم وقد جازاهم الله على سخريتهم بما كشف من
 فضائهم ، وجعلهم سخريه للناس أجمعين ولهم في الآخرة عذاب شديد .

٨٠- لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم فسواء أن تستغفر لهم أيها النبي أم
 لا تستغفر لهم ، ومهما أكثرت من طلب المغفرة لهم ، فلن يعفو الله عنهم ، لأنه لا أمل في العفو والمغفرة مع الكفر
 والإصرار عليه وقد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لا يهدي الخارجين عليه وعلى رسوله ، تمردهم على شرعه
 ودينه ..

يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجَ مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْدَدْنَا لَكُمْ أُوْلَاءَ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا

٨١- ان المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله والمسلمين ، وفرحوا بقعودهم في المدينة بعد خروج النبي منها ، وبخالفتهم أمره بالجهاد معه ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، ويضحوا بأرواحهم ، في سبيل اعلاء كلمة الله ونصر دينه ، وأخذوا يشبطون غيرهم ، ويغرونهم بالقعود معهم ويخوفونهم من النفور الى الحرب في الحر ، فقل أيها الرسول لهؤلاء لو كنتم تعلمون ، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون .

٨٢- فليضحكوا فرحا بالقعود ، وسخرية من المؤمنين ، فان ضحكهم زمنه قليل ، لانهائه بانتهاه حياتهم في الدنيا ، وسيعقبه بكاء كثير لانهاية له في الآخرة ، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات .

٨٣- فان أعادك الله من الغزو الى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو ، فاستأذنونك في أن يخرجوا معك للجهاد في غزوة أخرى ، فلا تأذن لهم ، وقل لهم : لن نخرجوا معي في أية غزوة ، ولن تشاركوا معي في قتال أي عدو ، لأن قعودكم عن الخروج في أول مرة لم يسبق بعذر يبرره ، ولم يلحق بتوبة تغفره ، فاقعدوا كما ارتضيتم أن تقعدوا مع المتخلفين من العجزة والكهول والنساء والأطفال .

٨٤- واذا مات أحد منهم ، فلا تصل عليه ، ولا تقف على قبره عند دفنه لأنهم عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله .

٨٥- ولا يثير عجبك أيها الرسول ما أعطيناكم من الأموال والأولاد مع سخطنا عليهم فلم يكن ذلك عن إيثارهم بالخير ، بل لتنفيذ ما أراد الله من شقائهم في الدنيا بالانهماك في جمع المال ، وما يلحقهم في ذلك من الهموم والمصائب ، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين ، وقد خسروا الأولى والآخرة .

ذَرْنَا نَكُنَّ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ
الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَكُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لِيُحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ

٨٦ - وهؤلاء المنافقون ، اذا سمعوا شيئاً مما أنزل عليك في القرآن ، يدعوهم الى إخلاص الايمان بالله ، والى
الجهاد مع رسول الله ، طلب الأغنياء والأقوياء منهم أن تأذن لهم في التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك : اتركنا
مع المعذرين القاعدين في المدينة .

٨٧ - انهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا في عدد المتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لا ينهضون
لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالخوف والنفاق ، فهم لا يفهمون فيها حقيقياً ما في الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز
في الدنيا ورضوان في الآخرة .

٨٨ - ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم ارضاء لله
واعلاء لكلمته وأولئك لهم وحدهم كل خير في الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم وحدهم الفائزون .

٨٩ - وقد هيا الله لهم في الآخرة النعيم المقيم ، في جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح
الكبير .

٩٠ - وكما تخلف بعض المنافقين في المدينة عن الخروج للجهاد ، جاء فريق من الأعراب وهم أهل البادية ،
ينتحلون الأعداء ليؤذن لهم في التخلف وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيما يظهرونه من الإيمان ، فلم يحضروا
ولم يعتذروا لله ورسوله ، وذلك دليل كفرهم ، وسيئزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم .

٩١ - ان الذين يقبل عذرهم في التخلف ، هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ، اذا
أخلص هؤلاء لله ورسوله في دينهم فانهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة .

تَفِيضٍ مِّنَ الدَّمْعِ حَزْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
رِضْوَانًا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ

٩٢ - وكذلك لاجرح على من جاء من المؤمنين يلتمسون أن تحملهم الى الجهاد فقلت لهم ، لا أجد ما أحملك عليه ، فانصرفوا عنك وعبوتهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد في سبيل الله لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

٩٣ - انما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك - أيها النبي - في تخلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم مع قدرتهم واستطاعتهم رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ، والشيوخ العاجزين ، والمرضى غير القادرين ، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لا يعلمون العاقبة الوخيمة التي تترتب على تخلفهم في الدنيا وفي الآخرة .

٩٤ - سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون اليكم ، أيها المؤمنون المجاهدون اذا رجعت من ميدان الجهاد والتقيتم بهم ، فقل لهم أيها الرسول لاتعتذروا فإننا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ، وأوحى الى نبيه بشيء من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل ، ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا الى الله الذي يعلم السر والعلانية فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون .

٩٥ - سيحلفون لكم بالله ، حينما ترجعون اليهم ، انهم صادقون في معاذيرهم ، لكي يرضوكم فتغفلوا عن عملهم ، فلاتحققوا لهم هذا الغرض ، بل اجنبوهم وامقتوهم ، لأنهم في أشد درجات الخبث النفس والكفر ، ومصيرهم الى جهنم ، عقابا على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار .

٩٦ - يقسمون لكم طمعا في رضائكم عنهم ، فان خدعتم بأيامهم ورضيتم عنهم ، فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم ، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ
الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سِذْخُلَهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾
وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَهُمُ نَحْنُ نَعْلَهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

٩٧ - الأعراب من أهل البادية أشد جحودا ونفاقا، وقد بلغوا في ذلك غاية الشدة، وذلك لبعدهم عن أهل الحكمة ومناجى العلم، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود الله، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام، والله عليم بأحوال الفريقين، حكيم فيما يقدره من جزاء.

٩٨ - وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية، يعتبرون الانفاق في سبيل الله غرامة وخسرانا، لعدم اعتقادهم في ثوابه تعالى، ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أيها المؤمنون ألا رد الله تلك المصائب عليهم وجعل الشر الذي ينتظرونه لكم محيطا بهم، والله سميع بأقوالهم، عليم بأفعالهم ونياتهم، وبما يقترفون من أثم.

٩٩ - وليس كل الأعراب كذلك، فمنهم مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة، يتخذون الانفاق في سبيل الله وسيلة يتقربون بها إلى الله وسببا لدعاء الرسول لهم، إذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، وهي لاشك قرينة عظيمة توصلهم إلى ما يبتغون، فإن الله سيفرحهم برحمته، لأنه الغفور للذنوب، الرحيم بخلقهم.

١٠٠ - والمؤمنون الذين سبقوا إلى الإسلام، من المهاجرين والأنصار، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا، يرضى الله عنهم، فيقبل منهم ويجزيهم خيرا، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات تجري الأنهار تحت أشجارها، فينعمون فيها نعيمًا أبديا، وذلك هو الفوز العظيم.

عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ
 وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

١٠١ - ومن يجاور المدينة من أهل البادية من يضمر الكفر ويظهر الايمان ، ومن سكان المدينة قوم مروا على النفاق ، حتى برعوا فيه وستروه عن الناس ، حتى لقد خفي أمرهم عليك - أيها الرسول - ولكن الله هو الذى يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين : مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيظهم ، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون فى الآخرة الى عذاب النار وهولها الشديد .

١٠٢ - وهناك ناس آخرون أذوك ، ثم من بعد ذلك اعترفوا بما أذنبوا ، وسلكوا طريق الحق ، فهؤلاء قد أتوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وانهم لهذا يرجى لهم أن تقبل توبتهم ، وأن الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويغفر لهم .

١٠٣ - خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وادع لهم بالخير والهداية فان دعاءك تسكن به نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، والله سميع للدعاء عليهم بالمخلصين فى توبتهم .

١٠٤ - ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذى يقبل التوبة الخالصة والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده .

١٠٥ - وقل - أيها الرسول - للناس : اعملوا ولا تقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب فان الله يعلم كل أعمالكم ، وسيراها الرسول والمؤمنون فيزنونها بميزان الايمان ويشهدون بمقتضاها ، ثم تردون بعد الموت الى من يعلم سرهم وجهركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، بعد ان ينبتكم بها صغيرها وكبيرها .

١٠٦ - وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب ، ومنها التخلف عن الجهاد ، وليس فيهم نفاق ، وهؤلاء مرجأون لأمر الله : اما أن يعذبهم ، واما أن يتوب عليهم ويغفر لهم ، والله عليم بأحوالهم وماتطوى عليه قلوبهم ، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب .

مِن قَبْلِ وَّلِيحِلْفُنَّ إِن آرْدَنَّا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَقْنِ أَسَسَ بِنِينُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِّنْ أَسَسَ بِنِينُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارِ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِينَهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ

١٠٧ - ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لا يتفنون به وجه الله ، وانما يتفنون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين وانهم سيحلفون على انهم ما ارادوا ببناء هذا المسجد الا الخير والعمل الاحسن ، والله يشهد عليهم انهم كاذبون في ايمانهم (١).

١٠٨ - لاتصل - انها الرسول - في هذا المسجد ابدا ، وان مسجدا اقيم ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته من اول امره كمسجد قباء لجدير بان تؤدي فيه شعائر الله ، وفي هذا المسجد رجال يحبون ان يطهروا اجسادهم وقلوبهم باداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثيب الذين يتقربون اليه بالطهارة الجسمية والمعنوية .

١٠٩ - لا يستوى في عقيدته ولا في عمله من اقام بنيانه على الاخلاص في تقوى الله وابتغائه رضائه ومن اقام بنيانه على النفاق والكفر ، فان عمل المتق مستقيم ثابت على اصل متين ، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه في نار جهنم . والله لا يهدي الى طريق الرشاد من اصر على ظلم نفسه بالكفر .

١١٠ - وسيظل هذا البناء الذي بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف في قلوبهم لا ينتهي حتى تنقطع قلوبهم بالندم والتوبة أو بالموت ، والله عليم بكل شيء ، حكيم في أفعاله وجزائه .

(١) المسجد المذكور في الآية قد اقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر فقد ازعجهم بناء مسجد قباء الذي شيده بنو عمرو ابن عوف وباركه النبي ﷺ بالصلاة فيه فحرض ابن عامر الراهب هؤلاء المنافقين لبنيوا مسجدا يفاخرون به من بنوا مسجد قباء فتكون العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد ولينخذوه وكرا لاجتماعهم وتببيت الشر للمؤمنين ، وبعد تمام بناءه دعا الرسول ﷺ للصلاة فيه لينخذوا من صلاته فيه مادة للعصبية والتفريق وهم ان يجيب غير عالم بما يبيتون ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك واعترامه ان يجيب دعوتهم فنهاه سبحانه وتعالى عن ان يقوم فيه فضلا عن ان يصل في فيه .

اللَّهُ فَاسْتَبَشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ
 السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
 أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسِينَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

١١١ - يؤكد وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيله ، بأنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال
 بالجنة ثمنا لما بذلوا ، فانهم يجاهدون في سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون في سبيله ، وقد أثبت الله هذا
 الوعد الحق في التوراة والانجيل ، كما أثبتته في القرآن وليس أحد أبر ولا أوفى بعهده من الله ، فافرحوا أيها المؤمنون
 المجاهدون ، بهذه المبايعة التي بذلتم فيها أنفسكم وأموالكم الفانية وعضتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الشراء والبيع
 هو الظفر الكبير لكم .

١١٢ - ان أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة أنهم يكثرن التوبة من هفواتهم الى الله ، ويمجدونه
 على كل حال ، ويسعون في سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم . ويؤدونها كاملة في خشوع ،
 ويأمرون بكل خير يوافق ماجاء الشرع ، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشرأيها
 الرسول المؤمنين .

١١٣ - ليس للنبي وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ، من بعد أن يعلم
 المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر ، أنهم مستحقون للخلود في النار .

١١٤ - لم يكن ما فعله ابراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، الا تحقيقا لوعده من ابراهيم لأبيه ، رجاء
 إيمانه ، فلما تبين لابراهيم أن أباه عدو لله ، باصراره على الشرك حتى مات عليه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ولقد
 كان ابراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبورا على الأذى .

١١٥ - وما كان من سنن الله ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال ، ويجرى عليهم أحكامه بالذم والعقاب ، بعد
 أن أرشدهم الى الاسلام ، حتى يتبين لهم عن طريق الوحي الى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه ، ان الله محيط علمه
 بكل شيء .

وَلَا نَصِيرٌ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ

١١٦ - إن الله وحده مالك السموات والأرض وما فيها ، وهو المتصرف فيها بالإحياء والإماتة ، وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم .

١١٧ - لقد تفضل الله سبحانه على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا معه الى الجهاد في وقت الشدة (في غزوة تبوك)^(١) فنتبهم وصاتهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كادت قلوبهم تميل الى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم ، انه سبحانه كثير الرأفة بهم عظيم الرحمة .

١١٨ - وتفضل سبحانه بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك ، لاعتن نفاق منهم ، وكان أمرهم مرجأ الى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا وعلما أنه لا ملجأ من غضب الله الا باستغفاره والرجوع اليه ، حينئذ هداهم الله الى التوبة ، وعفا عنهم ، ليظلوا عليها ، ان الله كثير القبول لتوبة التائبين عظيم الرحمة بعباده .

١١٩ - يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والايان ، وكونوا مع الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم .

(١) « كانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم - والجيش الاسلامى الذى خرج في هذه الغزوة يسمى جيش العسرة لأن التأهب لها كان في زمن عسرة من الناس وشدة من الحرمان - ولما وصل النبي ﷺ الى تبوك جاء يوحنا وصالح الرسول على الجزية وأقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليال ثم خرج الرسول بعدها قافلا الى المدينة وهذه آخر غزوة خرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام غازيا . »

نَبِيًّا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَاذْيَابًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزادتهم ءِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزادتهم رجسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرْوَنَ

١٢٠ - ما كان يحل لأهل المدينة ، ومن يجاورونهم من سكان البوادي ، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ ، ولا أن يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه ، إذ أنهم لا يصيبهم في سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع ، ولا ينزلون مكانا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة الا حسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء ، وان الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا في أعمالهم .

١٢١ - وكذلك لا يبذل المجاهدون أى مال ، صغيرا أو كبيرا ، ولا يسافرون أى سفر في سبيل الله ، الا كتبه الله لهم في صحائف أعمالهم الصالحة ، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء .

١٢٢ - ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعا الى النبي ﷺ إذا لم يقتض الأمر ذلك ، فليكن الأمر أن تخرج الى الرسول طائفة ليتفقهوا في دينهم ، وليدعوا قومهم بالانذار والتبشير حينما يرجعون اليهم ليثبتوا دائما على الحق ، وليحذروا الباطل والضلال (١) .

١٢٣ - يأبها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم ، وكونوا أشداء عليهم في القتال ، ولا تأخذكم بهم رافة واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه .

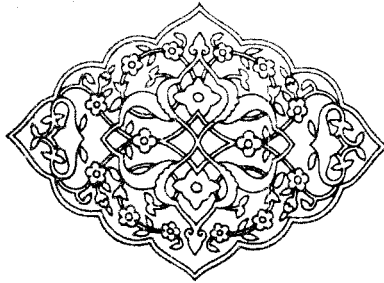
١٢٤ - واذا ما أنزلت سورة من سور القرآن ، وسمعها المنافقون سخروا واستهزؤوا وقال بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة ايمانا ؟ ولقد رد الله عليهم بأن هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المؤمنون الذين أبصروا النور وعرفوا الحق ، فقد زادتهم آيات الله ايمانا ، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون .

١٢٥ - وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وماتوا وهم كافرون .

(١) « في الآية الكريمة بيان لقاعدة هامة في الكتاب وهي ما كان للمؤمنين أن ينفروا جميعا نحو غزوة أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يبطوا جميعا فان ذلك يحل بأمر المعاش ولذلك يعين من كل فرقة طائفة تطلب العلم والتفقه وتحصل على المراد وتعود لترشد باقي القوم » .

أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

- ١٢٦ - أولا يعتبر المنافقون بما يتلهم الله به في كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكشف استارهم وظهور أحوالهم ونصر المؤمنين وظهور باطلهم ، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا هم يذكرون ما وقع لهم ؟
- ١٢٧ - وكذلك اذا ما أنزلت سورة ، وهم في مجلس الرسول ، تفاخروا وقال بعضهم لبعض ، هل يراكم أحد ؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعتة والإيمان به ، زادهم الله ضلالا بسبب تماديهم في الباطل واعراضهم عن الحق ، لأنهم قوم لا يفقهون .
- ١٢٨ - لقد جاءكم ، أيها الناس ، رسول من البشر مثلكم في تكوينه ، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر ، وهو حريص على هدايتكم ، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة .
- ١٢٩ - فان اعرضوا عن الايمان بك أيها الرسول ، فلاتحزن لاعراضهم واعتز بربك ، وقل : يكفيني الله الذي لا إله غيره ، عليه وحده توكلت وهو مالك الملك ورب الكون وصاحب السلطان العظيم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١٠﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿١١﴾ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾
إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَدْبُرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ

هذه السورة مكية نزلت في مكة ، وتشتمل على ١٠٩ آيات ، وقد ابتدأت بالإشارة الى مكانة الكتاب الكريم ، وما يقوله المشركون في شأن النبي ﷺ ، ثم ذكر الكون وآيات الله تعالى فيه ، والجزاء يوم القيامة وسنة الله تعالى بالنسبة للكافرين ، والتنديد عليهم في عقابهم ، وحال الناس في الضراء والسراء ، وقدرة الله تعالى على كل شيء ، وعجز الاوثان عن أى شيء . وفيها الاشارة الى التحدى بأن يأتيوا بسورة ولو مفتراة ، وفيها التهديد الشديد بعذاب الله تعالى ، وأحوال نفوس الناس ، ومراقبة الله تعالى لأعمالهم ، وانتقل بعد ذلك الى التسرية عن النبي ﷺ لألمه من كفرهم ، مع قيام الحجمة القاطعة عليهم ، وسرى عنه بذكر قصص الأنبياء مع اقوامهم ، فجاءت قصة نوح ، وقصة موسى وهارون وفرعون وبنى اسرائيل ، ثم اشارة الى قصة يونس ، وبها سميت السورة واتجه البيان في السورة من بعد ذلك الى النبي تمام العظة والاعتبار .

١ - هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة ، وهو أعلم بمراده منها ، وهى مع ذلك تشير الى أن القرآن مكون من مثل هذه الحروف ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله ! وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون اليه ، وان اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التي هى آيات القرآن المحكم في أسلوبه ومعانيه ، والذي اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس في امور دينهم ودنياهم .

٢ - ماكان للناس أن يعجبوا وينكروا وحينما الى رجل منهم (محمد) ، ليحذر الناس من عذاب الله ، ويشير الذين آمنو منهم بأن لهم منزلة عالية عند ربهم ، لا يتخلف وعد الله ، وما كان لهؤلاء المنكرين أن يقولوا عن محمد رسولنا انه ساحر واضح أمره !

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا
 إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
 حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ

٣ - ان ربكم ، أيها الناس ، هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيها في ستة أيام^(١) لا يعلم الا الله مداها . . ثم هيمن بعظيم سلطانه - وحده ودير أمور مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله في شيء ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يشفع لاحد الا باذنه . . ذلكم الله الخالق ، هو ربكم وولى نعمتكم فاعبدوه وحده ، وصدقوا رسوله ، وآمنوا بكتابه . فعليكم أن تذكروا نعمة الله وتندبروا آياته الدالة على وحدانيته .

٤ - وكما بدأ الله الخلق فإليه وحده مرجعكم ، ومرجع المخلوقات كلها ، وقد وعد الله بذلك وعدا صادقا لا يتخلف . وانه سبحانه بدأ الخلق بقدرته ، وبعد فنائه سيعيده بقدرته ، ليثيب المؤمنين المطيعين بعدله التام ، وأما الكافرون فلهم شراب في جهنم شديد الغليان ، ولهم عذاب موجه جزاء كفرهم .

٥ - وربكم الذى خلق السموات والأرض والذى جعل الشمس تشع الضياء ، والقمر يرسل النور ، وجعل للقمر منازل ينتقل فيها ، فيختلف نوره تبعاً لهذه المنازل ، لتستعينوا بهذا في تقدير مواعيتكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب^(٢) ، وما خلق الله ذلك الا بالحكمة ، وهو سبحانه ييسر في كتابه الآيات الدالة على ألوهيته وكمال قدرته لكي تندبروها بعقولكم وتستجيبيوا لما يقتضيه العلم .

(١) خلق الله الكون بأسره في ست مراحل ، وتتضمن المرحلة احقاباً برمتها ، وتلك المراحل التي عبر عنها بالأيام الستة تسخير للشمس والقمر والنجوم لفائدة البشر وكذلك تعاقب الليل والنهار ، وأن النهار طارىء على ظلام السماء وذكر الليل أولاً لأن الظلام هو الأصل فأما النهار ، فقد نشأ بسبب تناثر ضوء الشمس في جو الأرض التي تدور حول نفسها وتعرضه للاشعاع الشمسى .
 (٢) « هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا : الشمس جرم سماوى ملتهب مضيء بذاته ، وهو مصدر الطاقات على الأرض ومنها الضوء والحرارة بينما القمر جرم غير مضيء بذاته بل يعكس أو يرد مايقع عليه من ضوء الشمس فيبدو منيراً .
 « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، منازل القمر أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهى التي تنتج عنها أوجعه القمر ومن ثم يمكن تحديد الشهر القمري وهو العلامة الفلكية الظاهرة لتحديد الشهر ، ويتم القمر دورته حول الأرض في ٢٩ - تسعة وعشرين يوماً ، ١٢ واثننا عشرة ساعة ، و ٤٤ وأربع وأربعين دقيقة ، ٢,٨ واثنان وثمانية من عشر ثانية . »

وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيُّتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَتِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذُرُّوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

- ٦- ان في تعاقب الليل والنهار واختلافها بالزيادة والنقصان ، وفي خلق السموات والأرض وما فيها من الكائنات ، لأدلة واضحة وحججاً بينة على أوهية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويخافون عذابه (١) .
- ٧- ان الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاء الله في اليوم الآخر ، واعتقدوا - واهين - ان الحياة الدنيا هي منتاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .
- ٨- هؤلاء مأواهم الذي يستقرون فيه هو النار ، جزاء ما كسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .
- ٩- ان الذين آمنوا إيماناً صحيحاً ، وعملوا الأعمال الصالحة في دنياهم يثبتهم ربهم على الهداية بسبب إيمانهم ، ويدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار خلالها ، وينعمون فيها نعيماً خالداً .
- ١٠- دعاء المؤمنين في هذه الجنات تسبيح وتزويه لله عما كان يقوله الكافرون في الدنيا ، وتحية الله لهم ، وتحية بعضهم لبعض تقرير للأمن والاطمئنان وخاتم دعائهم دائماً حمداً لله على توفيقه إياهم بالإيمان ، وظفرهم برضوانه عليهم .
- ١١- ولو أجاب الله ما يستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكهم وأبادهم جميعاً ، ولكنه يتلطف بهم ، فيرجىء هلاكهم ، انتظارا لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته في جزائهم ، اذ يتركون والأدلة قائمة عليهم ، يتعمدون الانحراف والاتجاه الى طريق الضلال والظلم !

(١) « قد يكون معنى الاختلاف التباين او التعاقب ، فأما الاختلاف بمعنى التباين : فالليل والنهار ضوءان متميزان وتباينها بطبع الظواهر الطبيعية ا وجميع الأحياء في هذا الكوكب بطابعه ، كما هو وارد في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، والتباين قد يعني أيضا التفاوت في أطوال النهار وأطوال الليل على مدار العام في أى مكان على الأرض فهو مرتبط بظاهرة الفصول والتباين بهذا المعنى ناتج عن دوران الأرض حول الشمس كل عام مرة وعن ميل محورها .
أما الاختلاف بمعنى التعاقب فهو نتيجة لدوران الأرض حول محورها .
أنظر أيضا التعليق العلمي على الآية ٨٠ من سورة المؤمنون .

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانٌ لَّهِ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّائِي أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ۗ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

١٢ - وإذا أصاب الإنسان ضر في نفسه أو ماله أو نحوه ذلك ، أحس بضعفه ودعا ربه على أي حال من حالاته ، مضطجعا أو قاعدا أو قائما ، ان يكشف ما نزل به من محنته ! فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضره ، انصرف عن جانب الله ، واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضر ، ولم يدع الله الى كشفه وكمثل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ماعملوا من سوء وما اقرفوا من باطل !

١٣ - ولقد أهلكنا الامم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم الى الايمان ، وما كان في علم الله أن يحصل منهم ايمان ، بسبب تشبههم بالكفر والعصيان ! فاعتبروا يا كفار قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين باهلاكهم .

١٤ - ثم جعلناكم ، يا أمة محمد خلفاء في الأرض ، تعمرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ماتخارونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد أن عرفتم ما جرى على أسلافكم .

١٥ - وحينما تجلت آيات القرآن من رسولنا محمد على المشركين ، قال له الكافرون الذين لا يخافون عذاب الله ولا يرجون ثوابه : آتنا كتابا غير هذا القرآن ، أو بدل ما فيه مما لا يعجبنا ، قل لهم أيها الرسول لا يمكنني ولا يجوز أن أغير أو أبدل فيه من عندي ما أنا إلا متبع ومبلغ ما يوحى الى من ربي إني أخاف إن خالفت وحى ربي عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله !

عُمَرَاءٍ مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُولا شُفَعَتْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
 اتَّبِعُونَ اللَّهَ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
 إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ
 عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ

١٦ - قل لهم ، يا أيها الرسول : لو شاء الله ألا ينزل على قرآنا من عنده ، والا أبلغكم به ، ما أنزله ، وما تلوته عليكم ، ولا أعلمكم الله به . لكنه نزل ، وأرسلني به ، وتلوته عليكم كما أمرني . وقد مكثت بينكم زمنا طويلا قبل البعث لم أذع فيه الرسالة ، ولم أتل عليكم شيئا ، وأنتم تشهدون لي بالصدق والأمانة ، ولكن جاء الوحي به فأمرت بتلاوته ، ألا فاعقلوا الامور وأدركوها ، واربطوا بين الماضي والحاضر .

١٧ - ليس هناك أشد ظلما لنفسه ممن كفر وافتري الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله التي جاء بها رسوله : انه لا ينجح الكافر في عمله ، وقد خسر خسرانا مبينا بكفره ، ومغاضبته لله تعالى !

١٨ - ويعبد هؤلاء المشركون ، المفترون على الله بالشرك ، أصناما باطلة ، لا تضرهم ولا تنفعهم ، ويقولون : هؤلاء الاصنام يشفعون لنا عند الله في الآخرة قل لهم أيها الرسول : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا في السموات ولا في الأرض؟! تنزه الله عن الشريك وعمّا تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء !

١٩ - وما كان الناس في تكوينهم الا أمة واحدة بمقتضى الفطرة ، ثم بعثنا اليهم الرسل لارشادهم وهدايتهم بمقتضى وحي الله تعالى ، فكانت تلك الطبيعة الانسانية التي استعدت للخير والشر سببا في أن يغلب الشر على بعضهم ، وتحكم الاهواء ونزعات الشيطان ، فاختلّفوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بامهال الكافرين بك أيها النبي ، وارجاء هلاكهم الى موعد محدود عنده ، لعجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذي وقعوا فيه ، كما وقع لأمم سابقة .

٢٠ - ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ، تقنعنا بصدق رسالته ! فقل لهم ، أيها الرسول : ان نزول الآيات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب الا الله ، وان كان القرآن لا يقنعكم فانتظروا قضاء الله بيني وبينكم فيما تجدونه ، افي معكم من المنتظرين .

بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا هُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُ كُرًى فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنجِيتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هُوَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَرَ تَغْرَنَ

٢١ - ومن شأن الناس اننا إذا أنعمنا عليهم ، من بعد شدة أصابتهم في أنفسهم أو أهلهم أو أموالهم ، لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم بعد صرف الضر عنهم ، بل هم يقابلون ذلك بالامعان في التكذيب والكفر بالآيات ! قل أيها الرسول : ان الله قادر على اهلاككم والاسراع بتعذيبكم ، لولا حكم سابق منه يأمهالكم إلى موعد اختص وحده بعلمه . إن رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تمكرون وسيحاسبكم ويجازيكم .

٢٢ - الله الذي تكفرون بنعمه ، وتكذبون بآياته ، هو الذي يمكنكم من السير والسعي في البر مشاة وركبانا ، وفي البحر ، بما سخر لكم من السفن التي تجرى على الماء ، بما يهيئ الله لها من ريح طيبة تدفعها في أمان إلى غايتها ، حتى إذا أطمأنتم وفرحتم بها هبت ريح عاصفة أثارَت عليكم الموج من كل جانب ، وأيقنتم أن الهلاك واقع لا محالة ! في هذه الشدة لا تجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين في الدعاء ، وموقنين أنه لا منقذ لكم سواه ، متعهدين له لئن أنجاهم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين .

٢٣ - فلما أنجاهم مما تعرضوا له من الهلاك ، نقضوا عهدهم ، وعادوا مسرعين إلى الفساد الذي كانوا من قبل ! يأها الناس الناقضون للعهد ان عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم وحدكم ، وإن ما تتمتعون به في دنياكم متاع دنيوى زائل ، ثم إلى الله مصيركم في النهاية فيجزىكم بأعمالكم التي أسلفتموها في دنياكم .

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

٢٤ - ما حالة الحياة الدنيا في روعتها وبهجتها، ثم في فنائها بعد ذلك، إلا كحالة الماء ينزل من السماء، فيختلط به نبات الأرض، مما يأكله الناس والحيوان، فيزدهر ويشمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها، وأيقن أهلها أنهم مالكون زمامها ومنفقون بثأرها وخيرها، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئاً محسوداً، كأن لم تكن أهله بسكانها وأخذة بهجتها من قبل ففي كلتا الحالتين نضارة وازدهار يتهيج بها الناس ثم يعقبها زوال ودمار وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة، يبين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون^(١).

٢٥ - والله يدعو عباده بالإيمان والعمل الصالح إلى جنة دار الأمن والاطمئنان وهو سبحانه يهدي من يشاء هدايته - لحسن استعداده وميله إلى الخير - إلى الطريق الحق وهو السلام.

٢٦ - للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله، فأمنوا وعملوا الخير لديهم وديانهم لهم المنزلة الحسنى في الآخرة وهي الجنة، ولهم زيادة على ذلك فضلاً من الله وتكريماً، ولا يقشى وجوههم كآبة من هم وهوان: وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبداً.

٢٧ - والذين لم يستجيبوا لدعوة الله، فكفروا واقترفوا المعاصي فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء، ويفسأهم الهوان، وليس لهم واق يمنعهم من عذاب الله، ووجوههم مسودة من الغم والكآبة كأنما أسدل عليها سواد من ظلمة الليل! وهم أهل النار يشقون فيها أبداً.

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - هول الموقف، يوم نجمع الخلائق كافة - ثم نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيره: قفوا مكانكم أنتم ومن اتخذتموهم شركاء من دون الله، حتى تنظروا ما يفعل بكم، فوقعتم الفرقة بين المشركين والشركاء، وتبرأ الشركاء من عابديهم، قائلين لهم: لم ندعكم إلى عبادتنا، وما كنتم تعبدوننا! وإنما كنتم تعبدون أهواءكم.

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة بدأت تتكشف بوادها وهي تسخير الإنسان للعلم لخدمته واستطاعته به أن يسيطر على ما يحقق أهدافه حتى إذا ما قاربت هذه الحقيقة الاكتمال وظن الإنسان أنه قد بلغ أوج المعرفة أتى أمر الله .

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ

٢٩ - ويكفينا الله بعلمه وحكمه شهيدا وفاصلا بيننا وبينكم . . انا كنا بمعزل عنكم لا نشعر بعبادتكم لنا .

٣٠ - في ذلك الموقف تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر ، وتلقى جزاءه . وفي هذا الموقف أيقن المشركون بوحداية الله الحق ، وبطل كل ما كانوا يفترونه على الله .

٣١ - ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص ، وقل : من الذي يأتيكم بالرزق من السماء بإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والتمر؟ ومن الذي يمنحكم السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات ، وهو حى من الأرض وهى موات؟ ومن يخرج الميت من الحى كالإنسان يسلب عنه الحياة؟ ومن الذى يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته؟ فسيعترفون ، لا مناص ، بأن الله وحده فاعل هذا كله . فقل لهم ، أيها الرسول ، عند اعترافهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تدعونا للحق وتخافوا الله مالك الملك؟

٣٢ - فذلکم الله الذى أقرتم به ، هو وحده ربکم الذى تحققت ربوبيته ووجبت عبادته دون سواه وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته إلا الوقوع فى الضلال ، وهو الاشرک بالله وعبادة غيره ! فكيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل .

٣٣ - كما تحققت الوهية الله ووجبت عبادته ، حق قضاؤه على الذين خرجوا عن أمر الله متمردين بأنهم لا يدعون للحق ، لأن الله تعالى لا يهدى إلى الحق إلا من سلك طريقه ، لا من تمرد عليه .

٣٤ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين . هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع أن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فناءه؟ انهم سيعجزون عن الجواب ! فقل لهم حينئذ : الله وحده هو الذى ينشئ الخلق من عدم ثم يعيده بعد فناءه ، فكيف تنصرفون عن الايمان به .

يَهْدِي الْحَقِّ أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ ۗ فَالْكَرْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۗ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْعًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
 الْقُرْآنَ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۗ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۗ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۗ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَانظُرْ كَيْفَ

٣٥- قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التي جعلتموها شركاء لله من يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فيرشد سواه إلى السبيل الحق ؟ فسيعجزون ! فهل القادر على الهداية إلى الحق أولى بالاتباع والعبادة ؟ أم الذي لا يستطيع أن يهتدى في نفسه ، وهو بالأولى لا يهتدى غيره ، اللهم إلا إذا هداه غيره ؟ كرووس الكفر ، والأخبار والرهبان الذين اتخذوهم أربابا من دون الله ! فالذي جعلكم تنحرفون حتى أشركتم هؤلاء بالله ؟ وما هذه الحال العجيبة التي تجرکم إلى تلك الأحكام الغريبة .

٣٦- وما يتبع أكثر المشركين في معتقداتهم إلا ظنونا باطلة لا دليل عليها ! والظن - على وجه العموم - لا يفيد ، ولا يغني عن العلم الحق أي غناء ، ولا سيما إذا كان ظنا وهميا كظن هؤلاء المشركين . وإن الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدونهم ! وسيجازهم على ذلك .

٣٧- وما كان يتأتى في هذا القرآن أن يفتره أحد ، لأنه في إعجازه وهدايته وإحكامه لا يمكن أن يكون من عند غير الله . وليس هو إلا مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية ، فيما جاءت به من الحق ، وموضحا لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع . لاشك في أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله .

٣٨- بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده ! فقل لهم ، أيها الرسول : ان كان هذا القرآن من عمل البشر ، فأتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تشاؤون من دون الله ، إن كنتم صادقين في زعمكم ان القرآن من عندي .

كَانَ عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾
 وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيحُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ
 مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
 الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشُرُهُم

٣٩ - بل سارع هؤلاء المشركون الى تكذيب القرآن من غير أن يتدبروا ، ويعلموا ما فيه ! فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم ! ويمثل هذه الطريقة في التكذيب من غير علم ، كذب الكافرون من الأمم السابقة رسلهم وكتبهم ! فانظر أيها الانسان ما آل اليه أمر المكذبين السابقين ، من خذلانهم وهلاكهم بالعذاب ! وهذه سنة الله في أمثالمهم .

٤٠ - ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمن بالقرآن بعد أن يفتن إلى ما فيه ، ويتنبه لمعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ! والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على ما فعلوه .

٤١ - وإن أصروا على تكذيبك أيها الرسول - بعد وضوح الأدلة على نبوتك - فقل لهم : إن لي جزاء عملي ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، واني مستمر في دعوتي ، وأنتم لا تؤخذون بعملي ، وأنا لا أؤخذ بعملكم فافعلوا ما شئتم وسيجازي الله كلا بما كسب .

٤٢ - ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك - أيها الرسول - حين تدعوهم إلى دين الله ، وقد أغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على اسماع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة إذا أضيف إلى صممهم عدم تفهمهم لما تقول .

٤٣ - ومنهم من ينظر اليك ويفكر في شأنك ، فيرى دلائل نبوتك الواضحة ، ولكن لا يهتدى بها ، فثله في ذلك مثل الأعمى ولست بقادر على هداية هؤلاء العمى ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلاهما لا هداية ! فالأعمى لا يهتدى حسا ، والضال لا يهتدى معنى .

٤٤ - إن الله سبحانه وتعالى سيجازي الناس بأعمالهم بالعدل والقسطاس ، ولا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهم باختيارهم الكفر على الايمان !

كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۗ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَأَمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
فَلَا يَسْتَعْرِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنْتُمْ بِهِ ؕ آءَلْعَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا

٤٥ - وأنذرهم - أيها الرسول - يوم نجمعهم للحساب ، فيتحققون مجي' اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ،
ويتذكرون حياتهم في الدنيا ، كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغي من عمل الخير ، ويعرف بعضهم بعضا
يتلامون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال ! . قد خسر المكذبون باليوم الآخر فلم يقدموا في دنياهم عملا
صالحا ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم .

٤٦ - وإن أريناك - أيها الرسول - بعض الذي نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، والحق العذاب بهم ،
أو تتوفيتك قبل أن ترى كل ذلك ، فلا مناص من عودتهم إلينا للحساب والجزاء . والله سبحانه رقيب وعالم بكل
ما يفعلونه ، ومجازيهم به .

٤٧ - ولقد جاء رسول لكل أمة قبلها دعوة الله ، فأمن من آمن ، وكذب من كذب ، فإذا كان يوم المحشر ،
وجاء رسوهم وشهد على مكذبيه بالكفر ، وللمؤمنين بالإيمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحدا
فيا يستحقه من جزاء .

٤٨ - ويعين الكافرون في التكذيب باليوم الآخر ، فيستعجلونه متهمين ويقولون : متى يكون هذا الذي تعدنا به
من العذاب ، إن كنت أيها الرسول ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا إليه ؟

٤٩ - قل لهم أيها الرسول : اننى لا أملك لنفسي خيرا ولا شرا ، إلا ما أقدرنى الله عليه . فكيف أملك تقديم
العقوبة ؟ . إن لكل أمة نهاية حددها الله أزلا فإذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتا ما ، كما
لا يستطيعون سبقتها !

٥٠ - قل لهؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : أخبروني إن وقع بكم عذاب الله ليلا أو نهارا ، فأى
فائدة يحصل عليها من استعجاله المجرمون الآثمون ؟ والعذاب كله مكروه ..

٥١ - أنتكرون العذاب الآن ، ثم إذا حل بكم يقال لكم توبيخا : هل آمنتم به حين عايتموه ، وقد كنتم
تستعجلونه في الدنيا مستهينين جاحدين ..

عَذَابِ أَخْلَدِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ
 وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا
 الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْأَلِيمُ يَعْلَمُ
 حَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

٥٢ - ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب : ذوقوا العذاب الدائم .. لا تجزون الآن إلا على أعمالكم التي كسبتموها في الدنيا .

٥٣ - ويطلب الكفار منك أيها الرسول - على سبيل الاستهزاء والانكار - أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدم به من البعث والعذاب ؟ قل لهم : نعم وحق خالق الذي أنشأني انه حاصل لا شك فيه وما أنتم بغالين ولا مانعين ما يريد الله بكم من العذاب .

٥٤ - ولو أن كل ما في الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود ، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعابن هوله ، وحينئذ يتردد الندم والحسرة في سرائرهم لعجزهم عن النطق به ! ولشدة ما دهاهم من الفرع لرؤية العذاب ! ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين في هذا الجزاء . لأنه نتيجة ما قدموا في الدنيا .

٥٥ - ليعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما في السموات والأرض ، وليعلموا أن وعده حق ، فلا يعجزه شيء ، ولا يفلت من جزائه أحد ، ولكنهم قد غرتم الحياة الدنيا لا يعلمون ذلك علم اليقين .

٥٦ - والله سبحانه - يهب الحياة بعد عدم ، ويسلبها بعد وجود وإليه المرجع في الآخرة ، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شيء .

٥٧ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله ، فيه تذكير بالآيمان والطاعة وعظة بالترغيب في الخير ، والترهيب من عمل السوء ، وسوق العبر بأخبار من سبقوكم وتوجيه نظرهم إلى عظمة الخلق لتدركوا عظمة الخالق ، وفيه دواء لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق ، وهداية إلى الطريق المستقيم . وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيبون .

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آءِ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
 أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
 عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

٥٨ - قل لهم أيها الرسول : افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم ، بإنزال القرآن وبيان شريعة الاسلام ، وهذا خير من كل ما يجمعه الناس من متاع الدنيا ، لأنه غذاء القلوب وشفاء أسقامها .

٥٩ - قل - أيها الرسول - للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا : أخبروني عما منحكم الله من رزق حلال طيب ، فأقمتم من أنفسكم مشرعين ، تجعلون بعضه حلالا ، وبعضه حراما دون أن تأخذوا بشرع الله ؟ إن الله لم يأذن لكم في هذا ، بل أنتم تكذبون في ذلك على الله !

٦٠ - ما الذي يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله فيدعون الحل والتحريم ، من غير أن يكون عندهم دليل ؟ إن الله أنعم عليهم نعمًا كثيرة ، وأحلها لهم بفضلها ، وشرع لهم ما فيه خيرهم ، ولكن الأكثرين لا يشكرون الله عليها ، بل يفترون على الله الكذب .

٦١ - وانك أيها الرسول قد بلغت وهو معلوم لله ، وما تكون في أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل ، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شيء في وزن الذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من هذا ولا أكبر منه . إن ذلك كله يسجل في كتاب عند الله بين واضح .

٦٢ - تنبهوا أيها الناس ، واعلموا أن الموالين لله بالايان والطاعة يحبهم ويحبونه ، لا خوف عليهم من الخزي في الدنيا ، ولا من العذاب في الآخرة وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ هُمْ الْبَشَرِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
 هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ

٦٣ - وهم الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصي ، وخافوا الله في كل أعمالهم .

٦٤ - هؤلاء الأولياء البشري بالخير في الدنيا ، وعدهم الله به من نصر وعز ، وفي الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به وهذا الذي بشروا به في الدنيا ، وظفروا به في الآخرة هو الفوز العظيم .

٦٥ - ولا تحزن - أيها الرسول - لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل ان النتيجة لك وسيعتز الاسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفكرون عليك ، العليم بما يضرونه ، وسيجازيهم على ذلك .

٦٦ - لتعلموا - أيها الناس أن الله وحده كل من السموات والأرض خلقا وملكا وتدبرا . وإن الذين أشركوا بالله لا يتبعون شركاء الله في الحقيقة وهم لا يتبعون إلا أوهاما باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا إلا واهمين يظنون القوة فيما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

٦٧ - إن الذي يملك من في السموات والأرض ، هو الذي خلق لكم الليل لتستربحوا فيه من عناء السعي في النهار ، وخلق لكم النهار مضيئا لتسعوا فيه وتجلبوا مصالحكم . ان في خلق الليل والنهار لدلائل بينة لمن يسمعون ويتدبرون .

سُلْطٰنٍ بِهٰذَا اَتَقُوْلُوْنَ عَلٰى اَللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٦٨﴾ قُلْ اِنَّ اَللّٰدِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلٰى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ لَا يَفْلِحُوْنَ ﴿٦٩﴾
 مَنَعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ اِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيْدَ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ﴿٧٠﴾ * وَاَتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَاَ
 نُوْحٍ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖۙ يٰقَوْمِۙ اِنْ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكُمْ مَّقَامِىَ وَتَذٰكِرِىٔ بَيٰبِنَتِ اَللّٰهِ فَعَلٰى اَللّٰهِ تَوَكَّلْتُ فَاَجْمِعُوْا اَمْرَكُمْ
 وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ اَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اَقْضُوْا اِلَىَّ وَلَا تَنْظُرُوْنَ ﴿٧١﴾ فَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاَسْأَلْتُمْ مِّنْ
 اَجْرِىْ اِنْ اُجْرِىٓ اِلَّا عَلٰى اَللّٰهِ وَاَمَرْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوْهُ فَنَجَّيْنٰهُ وَمَنْ مَّعَهُۥ فِى الْفُلْكِ

٦٨ - وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا في العبادة حجارة ، ولم يزهوا الله حق التنزيه ، وقالوا أن الله ولدا .. فالله مزه عن ذلك .. أنه غنى عن أن يتخذ ولدا ، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء ، والله باق خالد ، وكل ما في السموات وما في الأرض مخلوق ومملوك له ، وليس عندكم أيها المفكرون حجة ولا دليل على ما زعمتم ! فلا تختلقوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة .

٦٩ - قل لهم أيها الرسول : إن الذين يختلقون على الله الكذب ويزعمون أن له ولدا ، لن يفلحوا أبدا !

٧٠ - لهم متاع في الدنيا يفترون به ، وهو قليل ، طال أو قصر ، بجوار ما يستقبلهم ! ثم اليانا مرجعهم ، فنحاسبهم ونذيقهم العذاب المؤلم بسبب كفرهم .

٧١ - وان ما ينزل بك من قومك قد نزل بمن سبقك من الأنبياء . وقرأ أيها الرسول على الناس ، فيما ينزله عليك ربك من القرآن قصة نوح رسول الله لما أحس كراهية قومه وعداءهم لرسالته ، فقال لهم : يا قوم إن كان وجودى فيكم لتبليغ الرسالة قد أصبح شديدا عليكم ، فإني مستمر مثابر على دعوتى متوكل على الله في أمرى ، فاحزموا أمركم ومعكم شركاؤكم في التدبير ، ولا يكن في عدائكم لى أى خفاء ، ولا تمهلونى بما تريدون لى من سوء ، إن كنتم تقدرون على ايدائى ، فإن ربى يرعائى .

٧٢ - وإن بقيتم على الاعراض عن دعوتى ، فإن ذلك لن يضيرنى ، لأنى لم أقم بها لأتقاضاكم عليها أجرا أخشى عليه الضياع بسبب إعراضكم ، إنما أطلب أجرى عليها من الله وحده ، وقد أمرنى أن أكون مسلما اليه جميع أمرى .

وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
إِلَى قَوْمِهِمْ بِجَاءِهِمْ وَالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحْرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ

٧٣ - ومع هذا المجهود وتلك المثابرة التي بذلها من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا في تكذيبه وعدائه ،
فنجاه الله ومن معه من المؤمنين به ، الراكبين معه في الفلك وجعلهم عمارا للأرض بعد هلاك الكافرين الذين
أغرقهم الطوفان ، فانظر يا محمد كيف لقي المستخفون بالندر مصيرهم السيء .

٧٤ - ثم أرسلنا من بعد نوح رسلا آخرين ، داعين الى التوحيد ، ومبشرين ومنذرين ومؤيدين بالمعجزات الدالة
على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح فما كان من شأن الجاحدين منهم أن يدعوا ، لأن التكذيب سبق
التبصر والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتداء على الحقائق وعلى البيئات .

٧٥ - ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وإلى خاصته ، داعين إلى عبادة الله
وحده ، ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون في دعوتها ، وكانوا بهذا الرفض
مرتكبين جرما عظيما أثم به .

٧٦ - فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا في معجزة موسى وهي العصا التي انقلبت حية أمام
أعينهم : إن هذا سحر مؤكد واضح .

٧٧ - قال لهم موسى مستنكرا : اتصفون الحق الذي جئتكم به من عند الله بأنه سحر ؟ أتكون هذه الحقيقة
التي عاينتموها سحرا ؟ ! وهأنذا أتحداكم أن تثبتوا أنها سحر ، فأتوا بالساحرين ليثبتوا ما تدعون ، ولن يفوز
الساحرون في هذا أبدا .

وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ
 أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا لِمُوسَىٰ إِذْ ذُرِّيَّتُهُ مِنَ قَوْمِهِ
 عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
 يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّسْئُلِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

٧٨ - قال فرعون وقومه لموسى : انما جئت الينا قاصدا ان تصرفنا عن دين آبائنا وتقاليد قومنا لكى نصير لكما اتباعا ويكون لك ولاخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة ؟ واذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما .

٧٩ - وزعم فرعون وقومه ان موسى واخاه ساحران لا رسولان ، فأمر رجاله بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة فى فنون السحر .

٨٠ - ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمتازته بسحرمهم على رؤوس الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر .

٨١ - فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، قال لهم موسى : إن الذى فعلتموه هو السحر حقا ، والله سبحانه سيبطله على يدي ، ان الله لا يهيب أعمال المفسدين لأن تكون صالحة ونافعة .

٨٢ - أما الحق فان الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون من بغضهم له ومحاربتهم اياه .

٨٣ - ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فإن الذين آمنوا بموسى لم يكونوا إلا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوف من فرعون ومن معه أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون فى أرض مصر وانه لمن المغالين الذين أسرفوا فى استكبارهم واستعلائهم .

٨٤ - أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسيا لهم ومشجعا : يا قوم ، ان كان الايمان قد دخل قلوبكم فى إخلاص لله فلا تخشوا سواه ، وأسلموا أموركم إليه . وتوكلوا عليه ، وثقوا فى النهاية ان كنتم ثابتين على الاسلام .

فَتَنَّا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بِيوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنفِي لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

٨٥- فقال المؤمنون : على الله وحده توكلنا ، ثم دعوا ربهم ألا يجعلهم أداة فتنة وتعذيب في يد الكافرين .

٨٦- ودعوا ربهم قائلين : نجنا بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وبفيض رحمتك التي اتصفت بها ، من القوم الجاحدين الظالمين .

٨٧- وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن يتخذوا لقومها بيوتا يسكنونها بأرض مصر ، وأن يجعلوا هذه البيوت قبلة يتجه اليها أهل الايمان الذين يتبعون دعوة الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالخير للمؤمنين .

٨٨- ولما تمادى الكفار في تعنتهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يارب انك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان فكانت عاقبة هذه النعم اسرافهم في الضلال والاضلال عن سبيل الحق للملهم اسحق أموالهم . واتركهم في ظلمة قلوبهم ، فلا يوقفوا للايمان حتى يروا العين العذاب الاليم ، الذى هو العاقبة التى تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

٨٩- قال الله تعالى : قد أجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير فى الطريق المستقيم ، واتركا سبيل أولئك الذين لا يعلمون الأمور على وجهها ولا يدعون للحق الذى وضع .

٩٠- ولما جاوزنا بنى اسرائيل البحر ، تعقبهم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم فأطبقتنا عليهم البحر ، فلما أدرك الفرق فرعون قال : صدقت بالله الذى صدقت به بنو اسرائيل ، وأذعنت له ، وأنا من الطائعين الخاضعين .

قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُجِيبُكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَاقُرْءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَفَكَوْنُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

٩١ - لم يقبل الله من فرعون هذا الايمان الذى اضطر اليه ، وتلك التوبة التى كانت وقد حضره الموت ، بعد أن عاش عاصيا لله مفسدا في الأرض فات كافرا مهانا .

٩٢ - واليوم الذى هلكت فيه نخرج جنتك من البحر ، ونبغها لتكون عظة وعبرة لمن كانوا يعبدونك ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن البيئات الباهرة في الكون التى تثبت قدرتنا (١) .

٩٣ - ولقد مكنا لبني اسرائيل بعد ذلك فعاشوا في أرض طيبة ، محافظين على دينهم ، بعيدين عن الظلم الذى كانوا فيه ، موفورة لهم الأرزاق والنعم ، ولكنهم ما ان ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان ، حتى أصابهم داء الفسقة فاختلغوا مع أنه قد تبين لهم الحق والباطل ، وسيقضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا منهم بما عمل .

٩٤ - فإن ساورك أو ساور أحدا غيرك شك فيما أنزلنا اليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك . وذلك تأكيد للصدق ببيان الدليل عند احتمال أى شك فليس هناك مجال للشك ، فقد أنزلنا عليك الحق الذى لا ريب فيه ، فلا تجار غيرك في الشك والتردد .

٩٥ - ولا تكن أنت ولا أحد من الذين اتبعوك ، من الذين يكذبون بالحجج والبيئات ، لتلا يحل عليك الحشران والغضب كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون والخطاب للنبي خطاب لكل من اتبعه .

(١) يظهر ان الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ليراه الناس ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم لمن كان يعتبر نفسه آها ، ويقول لقومه الخائعين ليس لكم من اله غيرى .

هذا ويلاحظ ان خروج بني اسرائيل من مصر قد وقع في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وهو منفتح بن رمسيس الثاني الذى سخر بني اسرائيل في بناء عاصمة ملكه .

وقد دلت الكشوف التاريخية الحديثة على أن اسم هذه المدينة المطمورة « بورعمسس » وكان خروج بني اسرائيل مع موسى للدعوة الى الوحدة والخلع ربة فرعون الذى يسخرهم ويذيقهم سوء العذاب : اليس هذا دليلا على انه من عند الله ؟

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۖ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي

٩٦ - إن الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر، لما علم من عنادهم وتعصبهم لن يؤمنوا معها أجهدت نفسك في اقتناعهم.

٩٧ - ولو جئتهم بكل حجة منها يكن وضوحها فلن يقتنعوا وسيستمرون على ضلالهم إلى أن ينتهي بهم الأمر إلى العذاب الأليم.

٩٨ - لو أن كل قرية من القرى تؤمن لنفعا إيمانها، لكنها لم تؤمن، فلم يكن النفع إلا لقوم يونس، فانهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم، فكشفنا عنهم الخزي وما يترتب عليه من آلام، وجعلناهم في متعة الدنيا الفانية حتى كان يوم القيامة.

٩٩ - ولو أراد الله إيمان من في الأرض جميعا لآمنوا، فلا تحزن على كفر المشركين، ولا إيمان إلا مع الرغبة فلا تستطيع أن تكره الناس حتى يذعنوا للحق ويستجيبوا له فليس لك أن تحاول إكراههم على الإيمان ولن تستطيع ذلك معها حاولت.

١٠٠ - لا يمكن لإنسان أن يؤمن إلا إذا اتجهت نفسه إلى ذلك وهياً الله لها الأسباب والوسائل أما من لم يتجه إلى الإيمان فهو مستحق لسخط الله وعذابه، وسنة الله أن يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبرونها.

١٠١ - قل يا أيها النبي لهؤلاء المعاندين: انظروا إلى ما في السموات والأرض من بينات ترشد إلى الوهية ووحدايته، ففيها ما يقنعكم بالإيمان. ولكن الآيات على كثرتها والنذر على قوتها لا تغني عن قوم جاحدين لا يتعقلون، إذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلن ينتظروا^(١).

(١) هذه الآية وكثير غيرها تدعو إلى العلم بالمشاهدة والتأمل وتدعو إلى العلم بالكون ومافيه إذ قد سخر للإنسان لأنه السبيل إلى المعرفة بالمشاهدة المحسوسة.

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

١٠٢ - فهل ينتظر أولئك الجاحدون إلا أن ينالهم من الأيام الشداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم؟! قل لهم أيها النبي إذا كنتم تنتظرون غير ذلك، فانتظروا انى منتظر معكم، وستصيبكم الهزيمة القريبة والعذاب يوم القيامة.

١٠٣ - ثم ننجي رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب، لأنه وعد بنجاتهم، ووعدته حق لا يتخلف.

١٠٤ - قل لهم أيها الرسول: إن كنتم تشكون في صحة الدين الذي بعثت به فاعلموا أنه مها تشككتم فيه فلن أعبد الأصنام التي تعبدونها من دون الله، ولكنى أعبد الله الذي بيده مصيركم، وهو الذي يتوفاكم، وقد أمرنى أن أكون من المؤمنين به.

١٠٥ - يا أيها النبي قم حق القيام بالاتجاه الى الله منصرفا اليه، ولا تدخل في غمار الذين أشركوا بالله، فجانبهم وابتعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين.

١٠٦ - ولا تلجأ بالدعاء والعبادة الى غير الله مما لا يجلب لك نفعا، ولا يزل بك ضررا فانك ان فعلت ذلك كنت داخلا في غمار المشركين الظالمين والنهى الموجه للنبي هو موجه لأمته، وهو تأكيد للنهى، لأن النهى حيث لا يمكن وقوع المنهى عنه مبالغة في النهى.

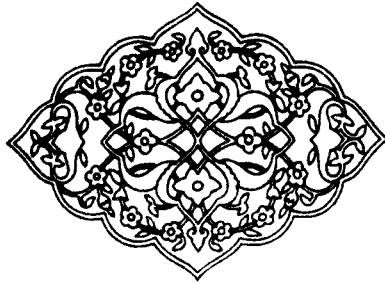


لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرَدِّكَ بِحَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُرْهُ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ۗ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٧ - وان يصبك الله بضر أيها النبي فلن يكشفه عنك إلا هو، وان يقدر لك الخير فلن يمنعه عنك أحد لأنه
يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده، وهو سبحانه الواسع المغفرة العظيم الرحمة.

١٠٨ - بلغ أيها الرسول دعوة الله إلى الناس كافة، وقل لهم: أيها الناس قد أنزل الله عليكم الشريعة الحقة
من عنده فمن شاء أن يهتدى بها فليسارع، فإن فائدة هداة ستكون لنفسه، ومن أصر على ضلاله فإن ضلاله سيقع
عليه وحده، وأنا لست موكلًا بارغامكم على الإيمان، ولا مسيطرا عليكم.

١٠٩ - واتبعت أيها الرسول على دين الحق، واتبعت ما أنزل عليك من الوحي، صابرا على ما ينالك في سبيل
الدعوة من مكاره، حتى يقضى الله بينك وبينهم، بما وعدك به من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وهو خير
الحاكمين ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبُ أَحَكَّتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ① أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَإِنْ أَسْتَفِرُّوْا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ بِمَتَّعِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي

سورة هود: هي سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم، وعبادة الله وحده، والانذار، والتبشير، ثم بيان قدرة الله وربوبيته، وأحوال الناس في تلقيهم نعمه ونقمه، ثم مقام القرآن، والتحدى به، وكفر الكافرين به من غير عذر في كفرهم، وبيان ثواب المؤمنين.

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين، ومجادلة أقوامهم لهم، وإنزال العذاب الدنيوي بالكافرين ونجاة المؤمنين، فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان في سورة يونس، ففيها بيان لعقوبة الكافر وعناده، وبيان لإنزال المقت به، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبي الله هود، ببيان يوضح عقوبة الكفر، وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدتهم.

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبي الله صالح مع ثمود، ثم قصة نبي الله وخليله ابراهيم ثم قصة نبي الله لوط، ثم قصة نبي الله شعيب.

ثم ذكر سبحانه وتعالى العبر في هذا القصص الحق، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين إلى العمل وانتظار الثواب، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل ووجوب التوكل عليه.

١ - الر... حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز، مع أنه مكون من الحروف التي ينطقون بها، وللتنبية إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم، أنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه، واضحة بينة، ثم فصلت أحكامها. وللكتاب مع شرفه في ذاته شرف أنه من عند الله الذي يعلم كل شيء، ويضع الأمور في مواضعها سبحانه.

٢ - أرشد به الناس، أيها النبي، وقل لهم: لا تعبدوا الا الله، انني مرسل منه لأنذركم بعذابه ان كفرتم، وأبشركم بثوابه ان آمنتم وأطعتم.

فَضِّلْ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْنُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

٣- وتضرعوا إلى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه باخلاص العبادة وعمل الصالحات ، فيمتعكم متاعا حسنا في الدنيا إلى أن تنتهي آجالكم المقدره لكم فيها ، ويعطى في الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله . وان تنصرفوا عما أدعوكم إليه ، تعرضتم للعذاب ، فاني أخاف عليكم هذا العذاب في يوم كبير يحشر فيه الناس جميعا ويكون فيه الهول الأكبر .

٤- إلى الله وحده مرجعكم في الدنيا ويوم القيامة ، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ، وهو قادر على كل شيء ، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شيء من الأشياء .

٥- ان الناس يطون صدورهم كاتمين لما يجول فيها ، مجتهدين في كتابتهم ، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفي خلجات صدورهم عن الله ؟ ألا فليعلم هؤلاء أنهم ان أووا إلى فراشهم لابسين لباس النوم ، فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى ما في الصدور ، فان الله عليهم بهم ، في سرهم وعلتهم ، لأنه يعلم ما يصاحب الصدور ويطوى فيها .

٦- وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شيء ، فلا توجد دابة تتحرك في الأرض الا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها في مختلف البيئات تفضلا منه ، ويعلم مكان استقرارها في حال حياتها ، والمكان الذي تودع فيه بعد موتها ؟ .. كل شيء من ذلك مسجل عنده سبحانه في كتاب موضح لأحوال ما فيه .

٧- والله خلق السموات والأرض وما فيها في ستة أيام ، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله . وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم أيها الناس ، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يعرض عن ذلك ... ومع هذه القدرة الخالقة ان قلت لهم مؤكدا : أنهم سيبعثون من قبورهم ، وأنهم خلقوا ليموتوا وينعثوا ، سارعوا إلى الرد عليك مؤكدين أن هذا الذي جئتهم به لا حقيقة له ! وما هو الا كالسحر الواضح الذي يلعب بالعقول .

وَلَيْنَ أَنْزَلْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ۗ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۖ ﴿٩﴾
وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۗ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

٨- ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم في الدنيا إلى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة، ليقولون مستهزئين: ما الذي يمنعنا الآن؟ فليأت به إن كان صادقاً في وعيده. ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب أت حتماً، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتيهم، وأنه سيحيط في الدنيا بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم.

٩- وأن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التي يكون عليها، فإذا أعطيناه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة في الرزق، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا، أسرف في يأسه من عودة هذه النعمة إليه، وأسرف في كفره بالنعم الأخرى التي لا يزال يتمتع بها.

١٠- واننا لو أعطيناه نعمة بعد ضلوعه، فانه يقول: ذهب ما كان يسوءني ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا، وعلى المبالغة في التفاخر على الغير، فينشغل قلبه عن شكر ربه، هذا هو شأن غالب بني الإنسان: مضطرب بين اليأس والتفاخر!

١١- ولا يخلو من هذا العيب إلا الذين صبروا عند الشدائد، وعملوا الصالحات في السراء والضراء. هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة.

١٢- لا تحاول أيها النبي إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون، وعساك إن حاولت إرضاءهم أن تترك تلاوة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه عليهم، كاحتقار بعض آلهتهم، خوفاً من قبيح رددهم واستهزائهم! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلوه، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كزراً تنعم به كالمملوك، أو يبيء معك ملك يخبرنا بصدقه! فلا تبال أيها النبي بعنادهم، فأنت إلا منذر ومحذر من عقاب الله من يخالف أمره، وقد فعلت فأرج نفسك منهم. واعلم أن الله على كل شيء رقيب ومهيمن، وسيفعل بهم ما يستحقون.

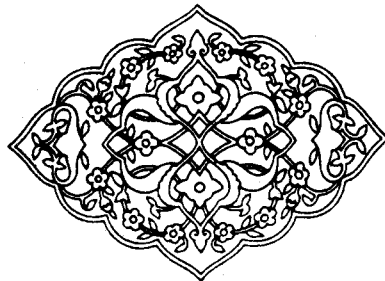
أَفْتَرْتَهُ قُلُوبًا فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ ۖ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾
فَاَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاَعْلَمُوْا اَنْمَّا اَنْزَلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا نُوْفِ اِلَيْهِمْ اَعْمَلُوْهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا لَا يُبْخَسُوْنَ ﴿١٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا
النَّارُ وَحَبِيْطٌ مَّا صَنَعُوْا فِيْهَا وَبَطَلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴿١٦﴾ اَفَنْ كَانَ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوْهُ شٰهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ
قَبْلِهِ كِتٰبٌ مُّوسٰى اِمٰمًا وَرَحْمَةً اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ مِنَ الْاَحْزَابِ فَاَلنَّارُ مَوْعِدُهُ ۗ فَلَا تَكُ

١٣ - ان القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فإن قالوا: انه ألفه من عنده أو افتراه على الله! فقل لهم: ان كان هذا القرآن من عند بشر، أمكن للبشر أن يأتيوا بمثله، وأنتم فصحاء البشر. فأتوا بعشر سور مثله مختلفات، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن، ان كنتم صادقين في دعواكم أنه كلام بشر!

١٤ - فان عجزتم، وعجز من استعنتم بهم فأتوا بمثله ولو مفترى، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل الا مقترنا بعلم الله، فلا يعلم وعلمه أحد، واعلموا أنه لا اله الا الله فلا يعمل عمله أحد. فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم، ان كنتم طالبين للحق.

١٥ - من كان يطلب الحياة الدنيا، والتمتع بلذاتها وزينتها نعظهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شيء.

١٦ - هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا، ليس لهم في الآخرة الا عذاب النار، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب، وهو في نفسه باطل أيضا، لأن العمل الذي لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن.



فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
 الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۗ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
 كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

١٧ - أفن كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه ، ويطلب الحق مخلصا ، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذي أنزله الله قدوة يتبع ما جاء به ، ورحمته لمنبعه ، كمن يسير في حياته على ضلال وعباية ، فلا يهتم الا بمتاع الدنيا وزينتها ؟ ! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم ، يؤمنون بالنبي والكتاب الذي أنزل عليه . ومن يكفر به عن تألبوا على الحق وتحزبوا ضده ، فالنار موعده يوم القيامة . فلا تكن أيها النبي في شك من هذا القرآن أنه الحق النازل من عند ربك ، لا يأتيه باطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به .

١٨ - وليس أحد أكثر ظلما لنفسه وبعدا عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله . ان هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء ، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفظع الجرم والظلم بالنسبة لحالقتهم ! ان لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون .

١٩ - هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم ، وهو سبيله المستقيم ، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ، فتكون معوجة ، وهم بالآخرة - وما فيها من ثواب المؤمن وعقاب الكافر - كافرون .

٢٠ - أولئك الكافرون ، لم تكن لهم قوة تعجز الله عن أخذهم بالعذاب في الدنيا ، ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يعجل لهم العذاب وان العذاب سيقع عليهم في الآخرة أضعاف ما كان سيقع عليهم في الدنيا ، لو أراد الله أن يقع ، لأنهم كرهوا أن يسمعوا القرآن ، ويصروا آيات الله في الكون ، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا .

٢١ - أولئك الكافرون لم يرمحوا بعبادة الله شيئا ! بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعاوى باطلة وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفعون لهم ، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التي لا زيف فيها ولا افتراء .

هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ءَاتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ
 إِلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ أَمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ
 يَادِبُوا بِرَأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ۚ بَلْ نَظُنُّكَ كَازِبٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ
 رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمُكُمْ مَّوَاهِبًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَٰكُ

٢٢ - حقا، انهم في الآخرة أشد الناس خسرانا.

٢٣ - ان الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربهما، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها.

٢٤ - مثل الفريقين: المؤمنين والكافرين، كالأعمى الذي يسير على غير هدى، والأصم الذي لا يسمع ما يرشده إلى النجاة، وكقوى البصر الذي يرى طريق الخير والنجاة، وقوى السمع الذي يسمع كل ما ينفعه، هذان الفريقان لا يستويان في الحال والمآل. أفلا تتفكرون أيها الناس فيما بينكم من التباين والكفر، وفيما بين الباطل والحق من خلاف، فبتبعوا عن طريق الضلال، وتسيروا في الطريق المستقيم؟

٢٥ - وكما أرسلناك إلى قومك لتنذرهم وتبشرهم، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود، أرسلنا نوحا إلى قومه فقال لهم: انى محذر لكم من عذاب الله، ميين لكم طريق النجاة.

٢٦ - قائلا لهم: انى أطلب منكم ألا تعبدوا الا الله، لأنى أخاف عليكم ان عبدتم غيره أو أشركتم معه سواء في العبادة، أن يحل عليكم يوم عذابه ذو ألم شديد.

٢٧ - قال الكبار من قومه: ما نرى الا أنك بشر مثلنا، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة، وفضلا يجعلنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله! وما نرى الذين اتبعوك من بيننا الا الطبقة الدنيا منا وما نرى لكم من فضل علينا. بل انا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون.

٢٨ - قال نوح: يا قوم، أخبروني - ان كنت مؤيدا بحجة واضحة من ربي، وأعطاني برحمته النبوة والرسالة، فحجب نورها عنكم، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال - فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطرين كارهين؟

إِنَّ أُجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ
 مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
 أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَاثْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾
 قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ

٢٩ - ويا قوم ، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربي مالا ، وإنما أطلب جزائي من الله . وما أنا بطارد الذين
 آمنوا برهم عن مجلسي ومعاشرتي ، لجرد احتقاركم لهم . لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة ، فيشكونني إليه ان طردتهم
 لفرهم . ولكني أراكم قوما تجهلون ما يصح أن يتفاضل به الخلق عند الله . أهو الغنى والجاه ، كما تزعمون ؟ أم
 اتباع الحق وعمل الخير ؟

٣٠ - ويا قوم ، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عني ، ان طردتهم وهم المؤمنون به ، أهل بعد هذا تصرون على
 جهلكم ، فلا تذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم ؟

٣١ - ولا أقول لكم ، لأني رسول ، ان عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء ، فأجعل من يتبعني
 غنيا ! ولا أقول : انى اعلم الغيب ، فأخبركم بما اختص به علم الله ، بحيث لا يعلمه أحد من العباد ! ولا أقول :
 انى ملك حتى تردوا على بقولكم : ما ذاك الا بشر ! ولا أقول عن الذين تحتقرونهم ان الله لن يؤتيهم خيرا ارضاء
 لرغباتكم ! لأن الله وحده هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من اخلاص ! .. انى إذا قلت لهم ما تحبونه ، أكون من زمرة
 الظالمين لأنفسهم ولغيرهم .

٣٢ - قالوا : يا نوح قد جادلنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا ، حتى مللنا ، ولم نعد نتحمل منك كلاما ، فأتنا بهذا
 العذاب الذى تهددنا به ، ان كنت صادقا فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك .

٣٣ - قال نوح : هذا أمر بيد الله وحده ، فهو الذى يأتيكم بما يشاء حسب حكته ، ولستم بمفلتين من عذابه
 إذا جاء ، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا
 بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
 وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا
 مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِبُهُ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ

٣٤ - ولا ينفعكم نصحي ل مجرد ارادتي الخير لكم ، ان كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم ،
 حتى صارت لا تقبل حقا ! وهو سبحانه ربكم ، وسيرجعكم إليه يوم القيامة ، ويجازيكم على ما كنتم تعملونه .

٣٥ - ان هذا القصة الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه ؟ أيقولون افتراه ؟ وان قالوا ذلك ، فقل أيها
 الرسول : ان كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ، على وحدي اثم ! وإذا كنت صادقا ، فأنتم
 المجرمون وأنا بريء من آثار جرمكم .

٣٦ - وأوحى الله إلى نوح : أنه لن يصدقك ويدعن للحق من قومك أحد بعد الآن ، غير من سبق منه الإيمان
 قبل ذلك . فلا تخزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه معك من تكذيبك وإيذائك لأننا سننتقم منهم قريبا .

٣٧ - وقلنا له : اصنع الفلك لئنجيك عليها بعنايتنا ، وتحت رعايتنا . ولا تخاطبني في شأن هؤلاء الظالمين لأنني
 استجبت دعاءك ، وأمرت بإهلاكهم غرقا^(١) .

٣٨ - وشرع نوح في عمل الفلك ، وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة
 الغرض الذي يقصده ! قال نوح : ان تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فانا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون
 منا .

٣٩ - فسوف تعلمون من منا الذي سيأتيه عذاب يذله في الدنيا ويجعل عليه في الآخرة عذاب دائم خالد !

(١) انظر التعليق العلمي على الآية : ٢٧ من سورة المؤمنون .

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاقِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا رَأْسُ أَبِ لِي مَاءٌ كِ
وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

٤٠ - حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم ، جاء الماء بقوة فائرا ذا رغوة ، كالماء الذي يغلي فوق النار ، قلنا لنوح : احمل معك في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرا وأنثى ، واحمل فيها أيضا أهل بيتك جميعا ، إلا من سبق عليه حكنا بإهلاكه ، واحمل فيها أيضا من آمن من قومك ، ولم يكونوا إلا عددا قليلا .

٤١ - وقال نوح للذين آمنوا من قومه ، بعد أن أعد الفلك : اركبوا فيها متيمين بذكر اسم الله تعالى ، وقت اجرائها وفي وقت رسوها ، وعند النزول فيها والخروج منها ، وارجوا مغفرة الله على ما فرط منكم ورحمته بكم ، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

٤٢ - ونزلوا في السفينة ، فصارت تجرى بهم سائرة في موج يعلو ويرتفع ، حتى بصير كالجبال في علوها ، وفي ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة ، وقد كان في معزل عن دعوة أبيه فناده : اركب معنا يا بني ولا تكن مع الجاحدين بدين الله تعالى !

٤٣ - لم يطع الولد أباه الشفيق ! وقال : سأخذ مأوى لى مكانا يمنعني من الماء ! فقال الأب العالم بقضاء الله في شأن العصاة : يا بني لا يوجد ما يمنع من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين ! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع فكان مع المغرقين الهالكين الجاحدين .

٤٤ - وبعد أن هلك الجاحدون بالإغراق ، جاء أمر الله التكويني ، فقيل بحكم التكوين : ابلعي ماءك أيتها الأرض ، وامتنعي عن انزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض ، ولم تمد بشيء من السماء ، وانتهى حكم الله بالإهلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجوودي وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته ، فقيل : هلاك للقوم الظالمين بسبب ظلمهم .

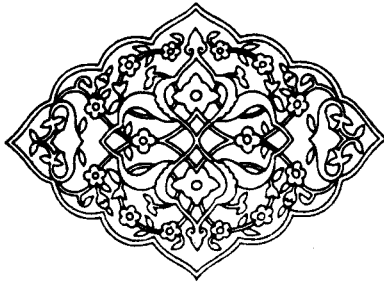
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفُوحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِمُهُمْ ثُمَّ يُمَسِّمُهُمْ مِّنَّا عَذَابَ أَلِيمٍ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ

٤٥ - نارت الشفقة في قلب نوح على ابنه ، فنادى به ضارعا مشفقا فقال : يا خالتي ومنشئى ، ان ابني قطعة منى ، وهو من أهلى ، وقد وعدت أن تنجى أهلى ، وأن وعدك حق ثابت واقع ، وأنت أعدل الحاكمين ، لأنك أعلمهم ، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوى الحكم .

٤٦ - قال الله سبحانه : ان ابنك ليس من أهلك ، اذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقطعت الولاية بينك وبينه ، وقد عمل أعمالا غير صالحة ، فلم يصر منك ، فلا تطلب ما لا تعلم : أهو صواب أم خطأ ؟ ولا تسر وراء شفقتك وانى أرشدك إلى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تنسيهم الشفقة الحقائق الثابتة !

٤٧ - قال نوح : يا خالتي ومتولى أمرى ألبأ إليك فلا أسألك من بعد ما لا أعلم الحق فيه ، واغفر لى ما قلته بدافع شفقتى ، وان لم تتفضل على بمغفرتك ، وترحمنى برحمتك ، كنت فى عداد الخاسرين .

٤٨ - قيل بلسان الوحى : يا نوح ، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالما آمنا ، بسلام من الله تعالى وأمن منه ، وبركات من الله عليك وعلى الذين معك ، الذين سيكونون أما مختلفه من بعدك ، وسينال بركة الإيمان والإذغان بعضهم ، وبعضهم سيكونون أما يستمتعون بالدنيا وينالون منها غير مدعنين للحق ، ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد .



لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِن أَنُتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾
يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا أَعْرَابُكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٓءِ

٤٩ - تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التي لا يعلمها الا الله ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي ، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك ، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائما للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات .

٥٠ - ولقد أرسلنا إلى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، اذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره : وما أنتم الا كاذبون في ادعائكم أن الله شركاء في استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعا لكم عند الله (١) .

٥١ - يا قوم ، لا أطلب منكم على النصح مكافأة من جاء أو سلطان أو مال وإنما أجرى على الله الذي خلقتي ، ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم !

٥٢ - يا قوم ، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه . انكم ان فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم كثيرا متبعا ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم التي تغترون بها ! ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ، مصممين على الاجرام الذي يردبكم في الهلاك .

٥٣ - قالوا : يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه ، وما نحن بتاركي عبادة آلهتنا لمجرد قولك ، أنتركها ، وما نحن لك بمصدقين .

(١) أنظر التعليق العلمي على الآية : ٦٥ من سورة الأعراف .

قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن
تَوَلَّوْا فَقَدْ أْبَلَّغْتُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ

٥٤ - ما نقول في موقفك منا الا ان بعض آهتنا مسك بشر، فصرت تهذي بهذا الكلام، قال مصرا على إيمانه متحديا: أقول، وأشهد الله على ما أقول، وأشهدكم عليه، وانى برىء من داء الشرك الذى أنتم فيه، فأنتم المرضى.

٥٥ - ولا أبالي بكم ولا بأهنتكم التى تدعون أنها مستقى بسوء، فتعاونوا أنتم وأهنتكم على الكيد لى، ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ان استطتم.

٥٦ - إننى اعتمدت على الله، وهو مالك أمرى وأمركم، لا يعجزه شيء عن رد كيدكم وهو القادر على كل شيء فامن دابة الا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها، فلا يعجزه حفظى من أذاكم، ولا اهلاكم، ان أفعال ربي تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه، فينصر المؤمنين المصلحين، ويخذل الكافرين المفسدين.

٥٧ - فإن تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى اعراضكم، والعاقبة السيئة عليكم، فقد أبلغتم ما أرسلنى الله به إليكم، وليس على الا البلاغ، والله يهلككم ويحيى بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم، وأنتم لا تضرونه باعراضكم عن عبادته، ان ربي مهيمن على كل شيء، مطلع عليه، فاتحسنى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

٥٨ - ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هودا، والذين آمنوا معه، من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم، ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان.

٥٩ - تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة، وعصوا رسل الله جميعا، بعضياتهم رسوله إليهم، وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا
لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي
مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۗ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ

٦٠ - فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم في الدنيا ولعنة تتبعهم يوم القيامة ، ألا فليتبته كل من علم خبر عاد . ان عادا جحدوا نعمة خالقهم عليهم ، ولم يشكروها بالإيمان به وحده فأصبحوا جديريين بطردهم من رحمة الله وانزال الهلاك الشديد بهم ، ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا .

٦١ - وقد أرسلنا إلى ثمود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عمارتها واستنار ما فيها والانتفاع بغيرها . . فادعوه أن يفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بالندم على معصيته والإقبال على طاعته ، كلما وقعتم في ذنب . ان ربي قريب الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه (١) .

٦٢ - قالوا : يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا ، قبل هذا الذي تدعونا إليه ، أطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وما ألفناه وألفوه ؟ انا لفي شك من دعوتك إلى عبادة الله وحده ، فهذا مثير للريب وسوء الظن فيك وفيما تدعو إليه .

٦٣ - قال : يا قوم ، خبروني ان كنت على بصيرة نيرة وبينتة مما أدعوكم إليه مؤيدا بحجة من ربي ، وأعطاني ربي رحمة لي ولكم ، وهي النبوة والرسالة ، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ، استجابة لكم ؟ ومن ينصرفي ويعينني على دفع عذابه ان عصيته ؟ انكم لا تستطيعون نصركم ودفع عذابه عنى ، فأتزيدونني غير الضياع والوقوع في الخسران ان أظعنكم وعصيت ربي وربكم .

(١) أنظر التعليق العلمي على الآية : ٧٣ من سورة الأعراف .

اللَّهُ وَلَا تَمْسُوها بِسوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
 غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
 آلَ إِنَّا إِنَّمَا كَفَرْنَا بِهِمْ آلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
 قَالِيبَتْ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ

٦٤ - ويا قوم ، هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدق فيما أبلغه لكم ، لأنها على غير ما تألفون من أمثالها ، فاتركوها تاكل في أرض الله لأنها ناقته ، والأرض أرضه ، ولا تناولوها بسوء يؤذيها ، فانكم ان فعلتم ذلك بأخذكم من الله عذاب قريب .

٦٥ - فلم يسمعوا نصحه ، ولم يستجيبوا له ، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة بتهديده أن قتلوا الناقة ، فقال لهم : تمتعوا بحياتكم في داركم ثلاثة أيام ، ثم يأتيكم بعدها عذاب الله ، ذلك وعده الحق الذي لا يتخلف ، ولا يقع عليه تكذيب .

٦٦ - فلما جاء عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة خاصة منا ، ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود . ان ربك أيها النبي هو القوى الغالب ، فاطمئن إلى قوته وعزته وعونه ونصره .

٦٧ - وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعتها ، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعدوان فأصبحوا في ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم ، ميتين لا حراك بهم .

٦٨ - وانتهى أمرهم ، وزالت آثارهم من ديارهم ، كأنهم لم يقيموا فيها ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ويعلم أن ثمود جحدوا بآيات من خلقهم ، وبسبب ذلك كان الهلاك والبعد عن رحمة الله .

٦٩ - ولقد أرسلنا الملائكة إلى ابراهيم ببشارته هو وزوجته بمولود . قالوا يحيونه سلاما : قال يرد تحيتهم : سلام . وأسرع فلم يمكث أن حضر إليهم بمجل مشوي سمين ليأكلوا منه .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رِثَالًا مِّنْ ثِيَابِهَا فَسَخَّرْنَا لُوطَ بْنَ أَبِي هٰشِمٍ وَمِنْ وَرَاءِ مَا يَحْكُوْنَ يَعْذُوبُ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّكَ الْوَالِدُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأَوْلَادُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يٰ إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَن هٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَآتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ

٧٠ - فلما رأى أيديهم لا تبلغه ولا تمتد إليه، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف، وأحس أنهم ملائكة، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه. قالوا وقد عرفوا أثر الخوف في نفسه، لا تخف انا أرسلنا هلاك قوم لوط.

٧١ - وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم في مكان قريب منهم، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخى زوجها، فبشرناها على السنة الملائكة بأنها ستلد من ابراهيم زوجها ولدا يسمى اسحاق، وسيعيش ولدا، وسيكون لها منه بعد اسحاق يعقوب.

٧٢ - صاحت متعجبة وقالت، يا عجبا! ألد وأنا عجوز، وهذا زوجي ترونه شيخا كبيرا ولا يولد لمثله؟ ان هذا الذى أسمعه والله شيء عجيب، اذ كيف يولد لهرمين مثل ومثل زوجي؟.

٧٣ - قالت الملائكة لها: أتعجبين من أن يولد لكما على كبركما، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شيء؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم، أهل بيت النبوة، فليس بعجيب أن يهب لكم مالا يهب لغيركم، انه فاعل ما يستوجب الحمد، عظيم كثير الإحسان والكرم والعطاء.

٧٤ - فلما ذهب عن ابراهيم الخوف وسمع البشارة السارة بالولد، أخذه الاشفاق، وأخذ يجادل رسلنا في هلاك قوم لوط.

٧٥ - ان ابراهيم لكثير الحلم، لا يحب تعجيل العقاب، كثير التأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره، تائب راجع إلى الله بما يحبه ويرضاه، فرفته ورحمته ورأفته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينبوا إليه.

٧٦ - قالت الملائكة: يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال والتماس الرحمة لهؤلاء القوم، انه قد جاء أمر ربك بهلاكهم، وأنهم لا يد أتيتهم عذاب نافذ غير مردود يجدل أو غير جدل.

عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمَهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَلْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ
 أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ
 مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
 رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَاسْرِبِ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ
 إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً

٧٧ - ولما جاءت الملائكة رسلنا الى لوط في صورة شبان حسان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقة بهم ، لخوفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام .

٧٨ - وعلم قومه بهم ، فجاءوا مسرعين اليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويقترنون السيئات ، قال لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي ، تزوجوا بهن ، فذلك أظهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله وصونوا أنفسهم من عقابه ، ولا تفضحوني وتهينوني بالاعتداء على ضيفي ، أليس فيكم رجل شديد الرأي ، رشيد العقل ، يردكم عن الفحى ويكفكم عن السوء ؟ .

٧٩ - قالوا : لقد عملت يا لوط أنه ليس لنا في بناتك أى حق في نكاحهن أو رغبة فيهن ، انك دون شك تعلم ما نريد من مجيئنا واسراعنا اليك .

٨٠ - قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قوياً اعتمدت عليه ، لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات .

٨١ - قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تخف ولا تخزن انا رسل ربك ، لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء اليك بشر يسوءك أو ضر بصيبك ، فسر أنت وأهلك في بعض أوقات الليل ، اذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه ، لكن امرأتك التى خانتك فلا تكن من الخارجين معك ، انه لا بد مصيبها ما قدر أن يصيب هؤلاء . . ان موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب ، فلا تخف .

مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
 قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۗ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ يُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيًا هُمْ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ

٨٢ - فلما جاء وقت العذاب الذي قدرناه وقضينا به ، جعلنا على القرية التي كان يعيش فيها قوم لوط سافلها ، فقلبناها ، وأمطرنا عليهم في اثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجر .

٨٣ - كانت تقع عليهم متابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك ، أيها النبي ، وليست بعيدة عن الظالمين من قومك .

٨٤ - ولقد ارسلنا الى قوم مدين^(١) اخاهم في النسب والمودة والتراحم شعيباً ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم ما يكال ويوزن ، اني اراكم يرجي منكم الخير ، بالشكر والطاعة لله ، واعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وانى أخاف عليكم اذا لم تشكروا خيره وتطيعوا امره ، أن يحل بكم عذاب يوم لا تستطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعذبين فيها فلا يجدون سبيلاً الى الخلاص منها .

٨٥ - ويا قوم أدوا المكيال والموزون مما تبيعونه وافيا على وجه العدل والتسوية ، ولا تنقصوا الناس حقهم في أشيائهم ، ولا تجوروا وتفسدوا في الأرض بسرقة أموالهم أو الاغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم ، تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام .

٨٦ - ما يبق لكم من المال الحلال الذي تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذي تجمعونه من حرام ، ان كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا انفسكم ، وراقبوا ربكم ، لست عليكم رقيباً أحصى أعمالكم واحاسبكم عليها .

(١) هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضى أنها معاقب عليها شرعا والعقاب بالتعزير ويقابل هذا في التشريعات الوضعية ما يسمى جريمة تزوير المكيال أو الميزان التي حدد القانون الوضعى عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال . أرض مدين واقعة بين شمال الحجاز وجنوب الشام . وكان فيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأبيكة وقد أرسل الله عليهم عقابا شديدا بسبب عصياتهم .

أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَسْتَوُوا بِكَ لِأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
 قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكَ إِلَيَّ مَا أَنْتَ بِمُنْهَكُمُ عَنْهُ
 إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
 شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
 وَأَسْتَغْفِرُكُمْ رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعْرُضْ عَلَيَّ مِنْ أَلَلِّهِ

٨٧ - قالوا ساخزين مستهزئين : يا شعيب ، أصلاتك هي التي تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف في أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا ، ان ذلك غاية السفه والطيش . ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأي ، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد .

٨٨ - قال : يا قوم : اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ، ورزقني رزقاً حسناً تفضلاً منه ، ايصح لي أن أكرم ما أمرني بتبليغه لكم ، من ترك عبادة الأصنام ، وطلب ايفاء الكيل والميزان ، وترك الفساد في الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أتجه الى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك ، ما أريد بموعظتي ونصيحتي وأمرى ونهْيى الا الاصلاح قدر طاقتي وجهدي واستطاعتي ، وما كنت موقفاً لاصابة الحق الا بمعونة الله وتأْييده وتسديده ، عليه وحده أعتد ، واليه وحده أرجع .

٨٩ - ويا قوم لا يحملنكم الخلاف بيني وبينكم على العناد والاصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

٩٠ - واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ثم ارجعوا إليه ناديين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم ، ان ربي كثير الرحمة محب ودود يغفر للتائبين ويحب الأوابين .

٩١ - قالوا : يا شعيب ما نعقل كثيراً مما تقوله لنا ، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفاً لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الاقتناع ، ان اردنا بك ما تكره ، ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأنها على ديننا ، لقتلناك رجماً بالحجارة ، وما أنت علينا بعزير حتى نجعلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم ، وانما هي المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك .

وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِي يَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَلْقَوْنَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
 سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِّنْ يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
 شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَنَّ
 لَرِّ يَغْنَوُا فِيهَا ۚ أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾
 إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

٩٢ - قال : يا قوم ، أعشيري أحق بالمعاملة من الله ، فذكرتموها ونسيتموه وجاملتموني واتخذتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ؟ ان ربي محيط علمه بكل ما تعملون ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وسيحاسبكم عليها وان نسيتموه .

٩٣ - ويا قوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه وما تستطيعون عمله ، ان لم تسمعوا نصحي اني مثابر على العمل بما يخالف عملكم ، وسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يفضحه ويذله ، ومن منا الذي هو كاذب : أنا الذي أنذركم بالعذاب ، أم أنتم الذين انذرتوني بالاخراج من القرية ؟ وانتظروا ما سيحصل : اني معكم منتظر .

٩٤ - ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم ، نجينا شعيباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك ، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم ، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة ، والرجفة المهلكة ، فأصبحوا في ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم : لا حراك بهم (١) .

٩٥ - وانتهى أمرهم وزالت آثارهم ، كأنهم لم يقيموا في ديارهم ، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ألا هلاكاً لمدين ، وبعداً من رحمة الله كما بعدت ثمود من قبلهم (٢) .

٩٦ - ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه ، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس .

٩٧ - أرسلناه الى فرعون وكبار رجاله ، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه في الكفر ، فاتبعوا أمر فرعون ، وخالفوا أمر موسى ، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يتبع .

(١) ، (٢) انظر التعليق العلمى على الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ من هذه السورة .

وَبَشِّرِ الصَّالِينَ ﴿٩٨﴾ الَّذِينَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْهَا نَزْلًا سَائِغًا وَنُحًى لَقَالُوا إِنَّا كُنَّا بِهَذَا قُرْءَانٍ كَذِبًا ﴿٩٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْسَى الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٠٠﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠١﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّا أَخَذُوهَ الْأِيمَ شَدِيدٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٤﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُودٍ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

٩٨ - يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم في الدنيا ، فيوردهم النار حيا ، يصلونها ويتجرعون غصص عذابها ، وقبح هذا المورد الذي يشربون منه ماء حيا ليطفئ ظمأهم فيقطع أمعاهم .

٩٩ - وهم في هذه الدنيا قد تبعهم لعنة من الله والملائكة والناس ، ويوم القيامة تتبعهم كذلك اللعنة ، لأنها عطاؤهم ، وانه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب ، ويقال فيه : بشس هذا العطاء المعطى لهؤلاء .

١٠٠ - ذلك القصاص أيها النبي هو بعض أخبار القرى التي أهلكتها ، نقصها عليك لتعظ بها قومك ، وتطمئن الى نصر الله لك ، بعض هذه القرى كالزرع القائم على ساقه ، ليشهدوا بما حصل ، وبعضها عاقى الأثر ، كالزرع الذي حصد .

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد في الأرض ، فاستطاعت أن ترد عنهم الهلاك أهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا نفعهم بشيء لما جاء أمر ربك أيها النبي ، وما زادهم اصرارهم على عبادة الأوثان ، الا الهلاك والضياح .

١٠٢ - ومثل هذا الأخذ الشديد ، الذي أخذ به ربك أيها النبي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، أخذه الشديد اذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد ، إن أخذه قوى مؤلم شديد على الظالمين .

١٠٣ - ان في ذلك القصاص لموعظة يعتبر بها من أيقن بالبعث وخاف عذاب يوم الآخرة ، ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس ، وذلك يوم مشهود براه الملائكة والناس .

١٠٤ - وما تؤخره الا بمدة قليلة حددناها ، ومها طالت في نظر الناس فهي قليلة عند الله .

فَنُهِمُ شِقِيًّا وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

١٠٥ - يوم يأتي هولاء لا يستطيع انسان أن يتكلم الا بإذن الله ، فن الناس شق بما يعانى من ألوان الشدة ، وهو الكافر ، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة ، وهو المؤمن .

١٠٦ - فأما الذين شقوا فى النار مآلمهم ، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة ، عند خروج الهواء من صدورهم ، وعند دخوله فيها .

١٠٧ - خالدين فى النار مادامت السموات والأرض ، لا يخرجون منها الا فى الوقت الذى يشاء الله اخراجهم فيه ، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب ، وان ربك أيها النبي فعال لما يريد فعله ، لا يمنعه أحد عنه .

١٠٨ - وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة ، بعد انتهاء موقف الحساب الى ما لا نهاية ، الا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين ، وهم عصاة المؤمنين ، الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم ، ثم يخرجون منها الى الجنة ، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيمًا مستديمًا ، غير منقوص ولا مقطوع .

١٠٩ - وإذا كان أمر الأمم المشتركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة ، هو ما قصصنا عليك أيها النبي ، فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عباد الأوثان من قومك ، ان استمروا على ضلالهم ، لأنهم كالسابقين من آباؤهم ، الذى قصصنا عليك قصصهم من قبل ، كلهم مشركون وانا لموفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملاً على قدر جرائمهم ، لا ينقصون منه شيئاً .

فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفِضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كَلِمًا لَيُوفِينَهِمْ
 رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ ۚ إِنَّهُ رَبٌّ يُعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَفَرُوا ۚ إِنَّهُ رَبُّكُمْ يُعْمَلُونَ
 بِصِيرٍ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا سَكَرَ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ۚ ثُمَّ لَأَنْتَصِرُونَ ﴿١١٣﴾
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلَّذِينَ كَرِهُوا ۚ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ

١١٠ - وتؤكد لك أيها النبي اننا أعطينا موسى التوراة ، فاختلف قومه من بعده في تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد اخضاعها لشهواته ، فنفروا شيعاً ، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذي جاءتهم به ، ولولا وعد الله سابق بتأخير عذابهم الى يوم القيامة ، لحل بهم في دنياهم قضاء الله وحكمه باهلاك المبطلين ونجاة المحقين ، كما حل بغيرهم من الأمم التي جاءتهم بها ، بعد اختلاف اسلافهم في فهمها ، وتحريفهم لها ، مما جعل ادراك الحقائق منها أمراً عسيراً . وان هؤلاء الذين ورثوا التوراة لني حيرة وبعد عن الحقيقة .

١١١ - ان كل فريق من هؤلاء سيوفهم ربك حتما جزاء أعمالهم ، انه سبحانه خير بهم محيط بدقائق ما يعملون من خير أو شر ، ويجازي كلأ منهم حسب عمله .

١١٢ - وإذا كان هذا هو حال الأمم التي جاءها كتاب من الله فاختلفت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتفسير أو إهمال أو مغالاة في تكليف أنفسكم ما لا تطيقون ، إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه .

١١٣ - ولا تميلوا أدنى ميل الى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تعملوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ، فستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار ، ولا تجحدوا أحداً يدفعه عنكم ، ثم تكون عاقبتكم انكم لا تنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولركونكم إلى عدوه .

١١٤ - وأد الصلاة أيها النبي على أتم وجه في طرفي النهار ، وفي أوقات متفرقة من الليل ، فانها تطهر النفوس فتقلب على نزع الشر ، وتمحو آثار السيئات التي قلما يخلو منها البشر ، ذلك الذي أمرت به أيها النبي من الارشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها ، الذين يذكرون ربه ولا ينسونه .

اللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ

١١٥ - واصبر أيها النبي على مشاق ما أمرناك به ، وأحسن تنفيذه ، يعطك الله أجراً عظيماً ، لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم .

١١٦ - كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة ، التي أهلكتناهم بسبب ظلمها ، جماعة منهم لهم كلمة مسموعة وفضل من دين وعقل ، ينهون غيرهم عن الفساد في الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذي حل بهم ، ولن يكون هذا ، لكن الذي حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسلهم ، في الوقت الذي أصر فيه الظالمون المعاندون على ما تعودوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ، وكانوا في إيثارهم لهذه الطريق غارقين في الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنة في خلقه .

١١٧ - وما كان من سنة الله ، ولا من عدله في خلقه ، ان يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهي متمسكة بالحق ، ملتزمة للفضائل . عاملة على ما يصلح أمرها وأمر غيرها .

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبي لجعل الناس على دين واحد ، مطيعين الله بطبيعة خلقهم ، كالملائكة ، ولكن العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ، بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين في كل شيء ، حتى في أصول العقائد ، كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، مما لا يجوز الخلاف فيه ، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ، يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه .

١١٩ - لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرهم ، فانهم اتفقوا على حكم الله فيهم ، فأنموا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر . وهذه المشيئة التي اقتضتها حكته تعالى في نظام هذا العالم ، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب والعقاب . وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لا بد من أن يملأ جهنم من أتباع ابليس من الجن والناس .

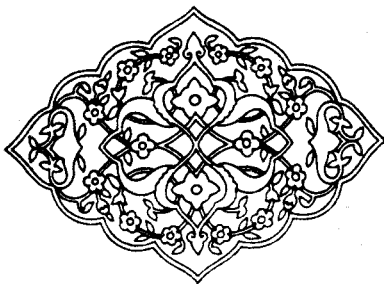
مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

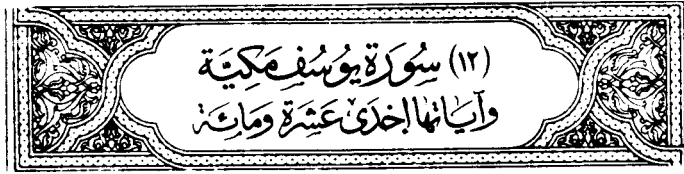
١٢٠ - ونقص عليك أيها النبي من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أهمهم ما تقوى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة، وقد جاءك في هذه الأنباء بيان الحق الذي تدعو إليه، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل، من توحيد الله والبعد عما يفضبه، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون، فيزدادون إيماناً، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه.

١٢١ - وقل أيها النبي للذين يصرون على العناد والكفر، ابدلوا أقصى ما في قدرتكم من محاربة الإسلام وايداء المؤمنين به، فاننا ماضون في طريقنا ثابتون على عملنا.

١٢٢ - وانتظروا ما ترقبونه لنا، اننا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها.

١٢٣ - والله وحده علم كل غيب في السموات والأرض، فيعلم ما سيحل بكم، وما يكون لنا، وإليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور، وإذا كان الأمر كذلك، فاعبد ربك وحده، وتوكل عليه، ولا تخش أحداً سواه، وما ربك بغافل عما تعملون جميعاً أيها المؤمنون والكافرون، وسيجازي كل بما يستحقه في الدنيا والآخرة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

هذه السورة مكية ، وآياتها مائة واحدى عشرة آية : قص الله فيها قصة يوسف فى ثمان وتسعين آية ، وقدم لها بثلاث آيات ذكر فيها هذا الوحى الذى أنزله على محمد ﷺ ، فساهى فى الآية الأولى كتاباً مبيناً ، وفى الثانية قرآناً عربياً : إشارة الى أن من حقه أن يحفظ فى السطور والصدور معاً . ثم ذكر فى الآية الثالثة ما اشتمل عليه من أحسن القصص وذكر النبى بأنه لم يكن يعلمه قبل تنزل الوحى به عليه ، وذلك دليل على أنه من عند الله .

وقد ختمت القصة والسورة بتأكيد ما بدت به ، فوجه الله نظر نبيه فى عشر آيات الى أن هذه القصة من أنباء الغيب ، لم يكن ﷺ يعلمها ويعلم حقائقها ودقائقها ، قبل أن ينزل عليه الوحى بها ، ولم يكن عند اخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم ودبروا الشر لأخيه من أبيهم ، ثم أخبره بأن العناد والحسد يحمل أكثر الناس على الكفر ، وإن حرصه عليه السلام على إيمان أكثرهم لا يجديهم . وعزاه عن ذلك بأنه لا يطلب أجراً ، وإنما يحمل اليهم القرآن هدى وذكرى للناس أجمعين . وأشار فى ختام السورة الى الرسل الذين ذكر له قصصهم ومواقف أقوامهم منهم ، وانتصارهم فى النهاية على الكافرين المجرمين ، وأكد أن فى قصص هؤلاء الأنبياء عبراً لأصحاب العقول ، وأن هذا القرآن الذى تحدث بهذه القصص وغيرها ما كان حديثاً يختلق وينسب الى الله كذباً ، وإنما هو الحق والصدق ، والكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب السالوية ، والهدى والرحمة لقوم يفكرون ويعتبرون ويؤمنون .

وأظهر خصائص هذه السورة أنها ذكرت قصة يوسف بتمامها ، وأظهرت شيوع الحسد فى الأسرة اذ ظهرت المحبة لبعضهم ، فكان حسد أولاد يعقوب لأخيه قد حملهم على إلقائه فى غيابة الحب ، ولكن الله حفظه من مكروهم ، كما حفظه من اغراء امرأة العزيز حين بلغ أشده فى بيت العزيز ، ومكن له أرض مصر ، وجعله ملاذ الذين ائتمروا به . . وكذلك شأنه سبحانه مع أنبيائه وأوليائه ينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم فى الأرض ، ما تمسكوا بالحق ، وآمنوا به ، واعتصموا بحبله .

١ - ألف . لام . راء . تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم ايها العرب هى التى تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل ما فيه . الواضح الموضح لمن يسترشد به ، ويستهديه . وفى هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ، فيستمعوا ولو اتفقوا على عدم السماع .

٢ - انا أنزلنا على رسولنا بلفظكم أيها العرب كلاماً عربياً يقرأ ويحفظ ، لكي تفهموه وتبلغوا الناس ما فيه .

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أُوحِيَنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِشْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلُّلٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحُلُ

٣ - نحن نلقى عليك أيها النبي أحسن القصص بإيحائنا اليك هذا الكتاب ، وقد كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه ، وعما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات .

٤ - من ذلك القصص أيها النبي قصة يوسف (١) ، إذ قال لأبيه : يا أبت ، اني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، رأيتهم جميعاً خاضعين لي ساجدين أمامي .

٥ - قال أبوه : يا بني ، لا تحك لأخوتك هذه الرؤيا ، فانها تثير في نفوسهم الحسد ، فيغريهم الشيطان بتدبير الحيل ضدك . يجتالون للكيد لك ويمكرون بك ، ان الشيطان للانسان عدو ظاهر العداوة .

٦ - وكما رأيت نفسك في المنام سيداً مطاعاً ، ذا شرف وسلطان ، يصطفيك ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى ، وبيان ما توول اليه ، فيعظم قدرك وذكرك ، ويتم الله نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ، بالنبوة والرسالة كما أتمها على أبويك من قبل أبيك يعقوب ، وهما إبراهيم واسحق ، ان ربك كثير الحكمة فلا يخطيء ، كثير العلم فيصطفي من عباده من يعلم أنه أهل للاصطفاء .

٧ - لقد كان في قصة يوسف واخوته دلائل وعبر ، للسائلين عنها والراغبين في معرفتها .

٨ - إذ قال اخوة يوسف لأبيه فيما بينهم : ليوسف وأخوه الشقيق أحب الى أبنائنا منا ، ونحن جماعة قوية هي أنفع له منها ، ان أبانا بايثاره يوسف وأخاه علينا لنى خطأ وبعد عن الحق ، والصواب واضح ، ظاهر الواضح .

(١) يوسف عليه السلام هو ولد يعقوب العبراني الكنعاني وقد بيع في مصر في عهد الفزاة الأجانب الذين يسمون بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قدموا إلى مصر من بلاد الشام حيث احتلوا دلتا النيل حوالي عام ١٧٣٠ ق . م . قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة وحكموا مصر حوالي قرن ونصف قرن من الزمان حيث طردوا حوالي عام ١٥٨٠ ق . م . على يد أحسن الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة إلى ما وراء الحدود المصرية .

لَكَرُّ وَجْهٍ أَيْبُكْرٌ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ
 الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ آبَاؤَهُمْ

٩ - اقتلوا يوسف أو القوا به في أرض بعيدة عن أبيه، لا يصل إليها، يخلص لكم حب أبيكم واقباله عليكم، وتكونوا من بعد إبعاد يوسف عنه بالقتل أو النقي قوماً صالحين إذ يقبل الله توبتكم، ويقبل أبوكم اعتذاركم.

١٠ - قال أحد المتحدثين منهم : لا تقتلوا يوسف ، فان ذلك جرم عظيم ، وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر ، يلتقطه بعض السائرين في الطريق ، اذا أتى ذلوه في البئر ، فيذهب به بعيداً عنكم وعن أبيه ، ان كنتم مصريين على ابعاده وتحقيق غرضكم بالفعل .

١١ - قالوا بعد أن تم اتفاقهم على ابعاد يوسف : يا أبانا ما الذي رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر بالأمن اذا كان معنا ؟ نحن نؤكد لك أننا نحبه ، ونشفق عليه ، ونريد له الخير ، ونرشده اليه ، وما وجدنا غير الحب وخالص النصح .

١٢ - أرسله معنا الى المراعى غداً ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويمرح وانا لحريصون على المحافظة عليه ، ودفعت الأذى عنه .

١٣ - قال : إننى لأشعر بالحزن اذا ذهبتم بعيداً عنى .. وأخاف اذا امتنتم عليه أن يأكله الذئب وأنتم في غفلة عنه .

١٤ - قالوا : نقسم لك ، لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ، ليكون ذلك العار والخسار ، انا اذا حدث هذا الذى تخشاه ، لخاسرون لكل ما يجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه . فاطمن فلن نتهاون في المحافظة عليه لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياع والهوان .

١٥ - فلما مضوا به بعيداً عن أبيه ، واجمعوا رأيهم في القائه في غور البئر ، انفذوا ما عزموا عليه ، وأهمناه الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذى دبروه وقدموا عليه ، وهم لا يشعرون حين تخبرهم أنك أخوهم يوسف الذى أتمروا به ، وظنوا أنهم قضاوا عليه واستراحوا منه .

عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِهِ يَدِيرُ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمِّهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلِداً وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسُفَ

١٦ - ورجعوا الى أبيهم وقت العشاء ، يظهرون الحزن ويرفمون أصواتهم بالبكاء .

١٧ - قالوا يا أبانا ، اننا مضينا نتسابق في الرمي والجرى ، وتركنا يوسف عند متاعنا ليحرسه ، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه ، مشغولون بالتسابق دونه ، وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك ، ولو كان ما نقوله الحق والصدق .

١٨ - وأحضروا قيصه وعليه دم يشهد بادعائهم ، اذ زعموا أنه دم يوسف ليصدقهم ابوهم ، ولكنه قال ، ان الذئب لم يأكله كما زعمتم ، بل قد سولت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فأقدمتم عليه ، فشأنى صبر جميل لا يصحبه الجزع على ما أصابني منكم ، والله وحده الذى يطلب منه العون على ما تزعمون وتدعون من الباطل .

١٩ ✓ - وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع في السير الى مصر ، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود اليهم من البئر بما يسقيهم ، فألقى دلوه فيه ورفعته منه فاذا يوسف متعلق به . . قال واردهم يعلن ابتهاجه وفرحه يا للخير ويا للخير السار . . هذا . غلام . . وأخفوه في أمتعتهم ، وجعلوه بضاعة تباع ، والله محيط علمه بما كانوا يعملون .

٢٠ - وباعوه في مصر بثمن دون قيمته ، كان الثمن دراهم قليلة ، وكانوا في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه ، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينزعوه منهم .

فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَّىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ۗ وَالْفَيْءَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

٢١ - وقال الذي اشتراه من مصر لزوجته : أحسن معاملته وأكرمه حتى تطيب له الإقامة معنا ، لعله ينفعنا أو ننبهنا ونتخذة ولدًا لنا ، وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الإقامة كريمة ، جعلنا ليوسف في أرض مصر مكانة أخرى كبرى ، ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، لتعلمه تفسير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ما سيقع قبل أن يقع ويستعد له ، والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريده ، لا يعجزه شيء عن شيء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون خفايا حكمته ولطف تدبيره .

٢٢ - ولما بلغ يوسف أقصى قوته ، أعطيناه حكماً صائباً ، وعلماً نافعاً ، ومثل هذا الجزاء الذي أعطيناه إياه على إحسانه ، نجزي المحسنين على إحسانهم .

٢٣ - وأرادت التي هي كان هو يعيش في بيتها ، ويشعر بسلطانها ، ان تغريه بنفسها ، لتصرفه عن نفسه الطاهرة الى موافقتها ، فأخذت تذهب وتجيء أمامه ، وتعرض عليه محاسنها ومفاتها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ، وأحكمت اغلاتها ، وقالت : أقبل على فقد هيات لك نفسى ، قال : انى الجأ إلى الله ليحمينى من الشر ، وكيف ارتكبه معك وزوجك العزيز سيدى الذى أحسن مقامى ؟ انه لا يفوز الذين يظلمون الناس بالفدر والحياة فيوقعون أنفسهم في معصية الزنى ؟ .

٢٤ - ولقد عزمتم أن تخالطه ونازعته نفسه اليها ، لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ، ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فامتنع عن المعصية والحياة وثبت على طهره وعفته . وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لتصرف عنه سوء الحياة ومعصية الزنى ، انه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

سَوْءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي^ع وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيصُهُ قَدْ
 مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَبِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾
 فَلَمَّا رَأَى قَبِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا^ع
 وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ
 نَفْسِهَا قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
 مُتَّكِفًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ أَخْرِجْ عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

٢٥ - وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه إليه ، لتحول دون خروجه ،
 وجذبت قبيصه من خلفه تمنعه ، وقطعته .. ووجدوا عند الباب زوجها قالت تثيره عليه : لا جزاء لمن أراد بزواجك
 ما يسوءك الا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه .

٢٦ - قال يوسف يدافع عن نفسه : هي طلبتني ، وحاولت أن تخدعني عن نفسي ، وتخاصبا في الاتهام ، فحكم
 حكم من أهلها فقال ان كان قبيصه شق من أمام ، فقد صدقت في ادعائها ، وهو من الكاذبين فيما أخبر به .

٢٧ - وان كان قبيصه شق من خلف ، فقد كذبت في قولها ، وهو من الصادقين فيما قال .

٢٨ - فلما رأى الزوج قبيص يوسف قد من خلف ، قال لزوجته : ان اتهاك له بما وقعت انت فيه مع براءته
 هو من كيدكن ، معشر النسوة ، ان مكركن عظيم .

٢٩ - يا يوسف اعرض عن هذا الأمر ، واكنمه ولا تذكره ، واستغفري انت لذنبك ، انك كنت من الآثمين
 الذين تعمدوا الوقوع في الخطأ وارتكاب الاثم ، واتهموا غيرهم بما آثموا هم به .

٣٠ - وانتهى الخبر الى جماعة من النساء في المدينة ، فتحدثن وقلن : ان امرأة العزيز تغري خادمها وتخدعه
 عن نفسه ليطيحها فيما تريده منه ، قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل الى صميمه ، انا نعتقد انها بمسلكها معه في
 ضلال واضح وخطأ بين .

حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ
 نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّرَ يَفْعَلُ مَا أَمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ
 فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ حَتَّى
 حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجْمَلُ

٣١ - فلما سمعت باغتيابهن وسوء كلامهن فيها ، دعتهن الى بيتها ، وأعدت لهن ما يتكفن عليه من الوسائد والمارق ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ، وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين ما تناله منه أيديهن . وقالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما ظهر ورأينه أعظمته وأخذهن حسنه الرائع وجماله البارع ، فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن ، قلن متعجبات مندهشات : تنزهاً لله ، ما هذا الذي نراه بشراً لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا الا ملك كثير المحاسن طيب الشائل ، سخي الصفات .

٣٢ - قالت امرأة العزيز تعقب على كلامهن : فذلكن الفتى الذى بهركن حسنه ، وأذهلكن عن أنفسكن حتى حصل ما حصل ، هو الذى لمتننى فى شأنه ، ولقد طلبته وحاولت اغراءه ليستجيب لى فامتنع وتأبى ، كأنه فى عصمة كان يستزيد منها ، وأقسم ان لم يفعل ما أمره به ليعاقبن بالسجن وليكونن من الأذلاء المهينين .

٣٣ - قال يوسف : وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وسمع منهن النصيح بمطاوعتها يارب : السجن أحب الى نفسى مما يطلبنه منى لأن فى هذا معصيتك ، وان لم تحول عنى شر مكرهن وكيدهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء الطائشين .

٣٤ - فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، انه هو وحده السميع لدعوات المتجئين اليه ، العليم بأحولهم وبما يصلحهم .

٣٥ - ثم ظهر رأى للعزيز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف فأجمعوا على هذا الرأى ، وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن إلى زمن يقصر أو يطول ، لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته ويبعدا عن الغواية .

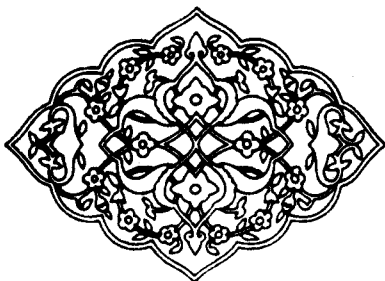
فَوَقَّ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرْكَعُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
 تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ
 مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

٣٦ - ودخل السجن مع يوسف فتيان من خدام الملك ، قال له أحدهما : لقد رأيت في منامي أني أعصر عنبا
 ليكون خمرا ، وقال له الآخر : لقد رأيت أني أهل فوق رأسى خبزا تأكل منه الطير ، خبرنا يا يوسف بتفسير هذا
 الذى رأيناه ومآل أمرنا على هداة . انا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالإحسان واجادة تفسير الرؤى .

٣٧ - قال لها : يؤكد ما علماه عنه : لا يأتيكما طعام يساق إليكما رزقا مقدرًا لكما ، إلا أخبرتكما بمآله إليكما ،
 قبل أن يأتيكما ، وذكرت لكما صنعته وكيفيته ، ذلكما التأويل للرؤيا والاختبار بالمغيبات مما علمنى ربى وأوحى به إلى
 لأنى أخلصت له عبادتى ، ورفضت أن أشرك به شيئا ، وابتعدت عن دين قوم لا يصدقون بالله ، ولا يؤمنون به على
 وجه صحيح ، وهم بالآخرة وحسابها منكرون كافرون .

٣٨ - تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين أبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، فعبدت الله وحده ، فاصح
 لنا أن نجعل لله أى شريك من أى شىء كان ، من ملك أو جنى أو انسى ، فضلا عن الأصنام التى لا تنفع ولا تضر
 ولا تسمع ولا تبصر ، ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ، إذ أمرنا بتبليغه إليهم ، ولكن أكثر الناس
 لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر .

٣٩ - يا صاحبي فى السجن : أرباب شتى كثيرة يخضع المرء لكل واحد منها ، خير : أم الله الواحد الذى
 لا يقالب ؟ .



بِهَآ مِنْ سُلْطَنٍ ۚ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۗ أَمَرَ آلَا تَعْبُدُونَا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَلْصِقِي السِّجْنَ ۖ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْتَنِي رَبَّهُ نَحْمَرُ ۖ وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ ۖ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۗ قُضِيَ الْأَمْرُ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ۖ فَلَبِثَ
فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَىٰ يَأْسَافٌ ۚ يَأْتِيهَا الْمَلَآئِقَةُ فِي رُؤْيَايَ ۖ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ ۖ وَمَا نَحْنُ
بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ۖ فَأَرْسَلُونِي ﴿٤٥﴾

٤٠ - ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتموها أنتم وأباؤكم على أوهام لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها
آلهة من حجة وبرهان ، ما الحكم في أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد وما لا تصح عبادته ، إلا الله أمر ألا تخضعوا لغيره
وأن تعبدوه وحده . ذلك الدين السليم القويم الذي تهدي إليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لا يسترشدون
بهذه الأدلة ، ولا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال .

٤١ - يا صاحبي في السجن ، اليكما تفسير مناميكما ، أما أحدكما الذي عصر العنب في رؤياه فيخرج من
السجن ، ويكون ساق الخمر للملك ، وأما الثاني فيصلب ويترك مصلوبا فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه ، ثم
الأمر على الوجه الذي بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا .

٤٢ - وقال للذي توقع النجاة منها : اذكرني عند الملك بصفتي وقصتي عساه ينصفني وينقذني مما أعانيه ،
فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فكث يوسف في السجن سنين لا تقل عن ثلاث .

٤٣ - وقال الملك : اني رأيت في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف ، ورأيت سبع سنبلات
خضر ، وسبع سنبلات أخر يابسات .. يأتيها الكبراء من العلماء والحكماء أفتوني في رؤياي هذه ان كنتم تعرفون
تفسير الرؤى وتفتون فيها .

٤٤ - قالوا : هذه أخلاط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس في النفس ، وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .

٤٥ - وقال الذي نجا من صاحبي يوسف في السجن ، وتذكر بعد مضي مدة طويلة ، وصية يوسف ، أنا أخبركم
بتأويل الحديث الذي ذكره الملك ، فأرسلوني إلى من عنده علم بتأويله أتكم بنبيته .

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسِئُ لَعَلِّي
 أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
 مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا مَحْصُونُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهٖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ
 إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودْتُنَّ

٤٦ - مضى الساقى إلى يوسف : حتى جاءه فناداه : يوسف أيها المريض على الصدق أفتنا في رؤيا سبع بقرات
 سمان يأكلهن سبع ضعاف وفي رؤيا سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؟ أرجو أن أرجع إلى الناس بفتواك عساهم
 يعلمون معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك .

٤٧ - قال يوسف : تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قحاً وشعيراً سبع سنين متواليات : دائبين على
 العمل في الزراعة ، فاتحصدونه احفظوه فاتركوه في سنبله ، الا قليلاً مما تأكلونه في هذه السنين ، مع الحرص على
 الاقتصاد (١) .

٤٨ - ثم يأتي بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجربة ، تأكل ما ادخرتم لها ، الا قليلاً مما تحبثونه وتحفظونه ،
 ليكون بذراً لما تزرعونه بعد ذلك .

٤٩ - ثم يأتي بعد هذه السنين المجربة عام يغاث فيه الناس بالمطر ، ويعرضون فيه العنب والزيتون وكل
 ما يعصر .

٥٠ - تنبه الملك إلى يوسف بسبب تعبيره لرؤياه ، وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه ، فلما أتاه من
 يبلغه رغبة الملك لم يستخفه الخبر ، رغم ما يحمل من بشرى الفرج ولم تزعزع حلمه لهفة السجين على الخلاص من
 ضيق السجن ووحشته ، وأثر التهمل حتى تظهر براءته ، على التعجل بالخروج وأثار التهمة عالقته بأردافه ، فقال
 للرسول ، عد إلى سيدك واطلب منه أن يعود إلى تحقيق تهمتي ، فيسأل النسوة اللواتي جمعتهن امرأة العزيز كيدا
 لى ، فغلبهن الدهش وقطعن أيديهن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتي وطهرى أودنسى وعهسرى ؟ انى
 أطلب ذلك كشفاً للحقيقة في عيون الناس ، أما ربى فانه راسخ العلم باحتياهن .

(١) تتفق هذه الآية مع ما وصل إليه العلم من ان ترك الحب في سنبله عند تخزينه وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات ،
 وفوق ذلك يقيه محافظاً على محتوياته الغذائية كاملة .

يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْعِنَاصُ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ
 عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ ۗ وَانَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾
 * وَمَا أُبْرِيُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
 أَتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۗ فَلَبَّأ كَلِمَةٌ ۖ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ
 إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ۗ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۗ نُنِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَسَاءِ

٥١ - فاستحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليفضل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلا إليكن ؟ فأجبتنه : نزهه الله عن أن يكون نسي عبده حتى تلوث طهره ، فاللسنا فيه شيئا يشين . وحينئذ قويت نزعة الخير في نفس امرأة العزيز ، فاندفعت تقول : الآن وضع الحق وظهر أنا التي خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته ، وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على ونسبها إلى .

٥٢ - هذا اعتراف مني بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أني لم أستغل غيبته في السجن ، وأنمادى في الحياة ، وأعول على تثبيت اتهامه ، ولأن الله لا ينجح تدبير الخائنين .

٥٣ - وما أدعى عصمة نفسي من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين السوء والشر ، الا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء . واني لأطعم في رحمة الله وغفرانه ، لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين .

٥٤ - فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ، وكلف رجاله أن يحضروه ليجعله من خاصته وخلصائه ، فلما حضر إليه وجرى بينها الحديث ، تجلى له من يوسف ما تجلى من طهارة النفس وثقوب الرأي فقال له ، ان لك في نفسي لمقاما كريما ثابتا ، وأنت الأمين الموثوق به .

٥٥ - وعلم الملك منه حسن التدبير وكفاءته لما يقوم به ، وأحس يوسف بذلك ، وحينئذ طلب منه أن يستوزره قائلا له : ولني على خزائن ملكك ومستودعات غلات أرضك ، لأنني كما تأكد لديك ضابط لأموار المملكة ، حافظ لها ، خبير بالتدبير وتصريف الأمور .

وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْأَاحِرَةَ خَيْرٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْعِلْمِ أَلَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَئِمَّا كَلَّ لَكَ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

٥٦- وقبل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جلييلة ، فجعل له سلطانا وقدرة في أرض مصر ، ينزل منها بأى مكان يريد . وهذا شأن الله في عباده ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ، ولا يهدر ثوابهم وإنما يؤتيهم أجورهم على الإحسان بالإحسان في الدنيا .

٥٧- وان ثوابه في الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ، وكانوا يراقبونه ويحافظون يوم الحساب .

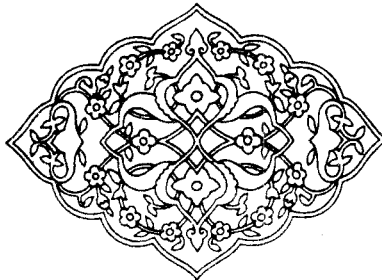
٥٨- واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بال يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ، بعدما علموا من تدبير يوسف للمؤمن ، واستعداده لسنوات الجذب . فبعث يعقوب إليها أبناءه طلبا للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفا عليه ، فلما بلغ أبناءه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه .

٥٩- وأمر يوسف أن يكرموا في ضيافته ، ويدفع لهم من الميرة ما طلبوه فتم لهم ذلك ، وأخذ يتحدثهم ، ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ، وهو بها عليم ، فأخبروه أنهم تركوا أخا لهم حرص أبوهم ألا يفارقه ، وهو بنيامين شقيق يوسف ، فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تخافوا شيئا ، فقد رأيتكم أيفاء كيلكم وكرامى لكم في نزولكم .

٦٠- فإن لم تحضروا أخاكم هذا ، فليس عندي لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتوني مرة أخرى .

٦١- قال اخوته : سنحتال على أبيه لينزل عن ارادته ولا يخاف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر في ذلك

أو نتوانى فيه .



يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾
 قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَّتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضَعْتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
 وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَنَا تُنِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
 بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن آيَاتِ

٦٢ - ولما هموا بالرحيل ، قال لأتباعه : ضموا ما قدموه من ثمن بضاعتهم في أمتعتهم ، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم ، فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين في أعطائهم الطعام ، وانقين بالوفاء بالعهد ، وأمنين على أخيتهم وليبعثوا الطمأنينة في نفس أبيهم .

٦٣ - فلما عادوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر ، وتلففه بهم ، وأنه أنذرهم بمنع الكيل لهم في المستقبل ان لم يكن معهم بنيامين ، وواعدهم بوفاء الكيل لهم ، واکرام منزلتهم ، ان عادوا إليه بأخيهم ، وقالوا له : ابعث معنا أخانا فإنك ان بعثته اكلنا ما نحتاج إليه من الطعام واقيا ، ونعدك وعدا مؤكدا أننا سنبدل الجهد في المحافظة عليه .

٦٤ - وثارت في نفس يعقوب ذكريات الماضي ، فربطها بالحاضر ، وقال لابنيه : ان أمرى إذا استجبت لكم لعجيب فلن تكون حالى حين أمنكم على أخيكم الا مثل حالى حين ائتمنتكم على يوسف فأخذتموه ، ثم عدمتم تقولون : أكله الذئب ، فالله حسبي في حماية ابني ، ولا أعتد الا عليه ، فهو أقوى حافظ ، ورحمته أوسع من أن يفجعنى بعد يوسف في أخيه .

٦٥ - وكان اخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم في حقائبهم ، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ما صنع بهم يوسف ، وتذرعوا بذلك إلى بث الطمأنينة في قلب يعقوب ، واقناعه بالاستجابة إلى ما طلب العزيز وبالغوا في استمالته ، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأبوة ، فقالوا : يا أبانا أى شيء تريده أجمل مما جرى وينتظر أن تجرى به الأحداث ؟ هذه أموالنا أعيدت إلينا دون أن يحتجز منها شيء فنسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا ، ونزعى أخانا ، ويزيد ميرتنا حمل بعير لحق أخينا ، فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حمل بعير .

٦٦ - ونجحت محاولة أبناء يعقوب في اقناعه ، وأثر مقاوم فيه ، ففزله عن التشدد في احتجاز ابنه وحبسه عن الذهاب مع اخوته إلى مصر ، ولكن قلبه لا يزال في حاجة إلى ما يزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم : لن أبعثه معكم إلا بعد أن تعطوني ضمانا قويا ، فتعاهدوا الله عهدا موثقا أن تعيدوه إلى ، وألا يمنعكم عن رده الا أن تهلكوا أو يحبط بكم عدو يغلبكم عليه فاستجابوا له ، وقدموا ما طلب من الموائيق ، وعندئذ أشهد الله على عهودهم وإيمانهم بقوله :
 الله على ما دار بيننا مطلع رقيب .

مُتَفَرِّقَةً وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
 وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
 وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
 ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ

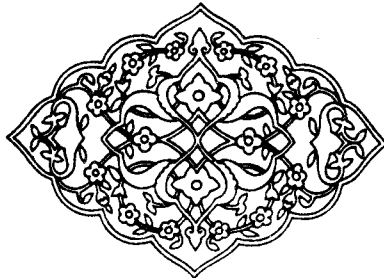
٦٧- اطمان يعقوب إلى عهد أبنائه، ثم دفعته الشفقة عليهم إلى أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة، لكيلا يلتفتوا الأنظار عند دخولهم، ولا تترقبهم الأعين، وقد يكون ما يسيئهم، وليس في قدرتي أن أدفع عنكم أذى، فالدافع للأذى هو الله وله وحده الحكم، وقد توكلت عليه وفوضت إليه أمري وأمركم، وعليه وحده يتوكل الذين يفوضون أمورهم إليه مؤمنين به.

٦٨- لقد استجابوا لوصية أبيهم، فدخلوا من أبواب متفرقة، وما كان ذلك ليدفع عنهم أذى كتبه الله لهم، وإن يعقوب ليعلم ذلك، فإنه ذو علم علمناه إياه، ولكن وصيته كانت لحاجة في نفسه، وهي شفقة الأب على أبنائه أعلتها في هذه الوصية، وإن أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب، فيفوضون لله ويحترسون.

٦٩- ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلا كريما، واختص أخاه شقيقه بأن آواه إليه، وأسر إليه قائلا: اني أخوك يوسف، فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معي.

٧٠- فبعد أن أكرم وفادتهم، وكالهم الطعام، وزادهم حملا لأخيه، أعد رحالهم للسفر، ثم أمر أعوانه أن يدسوا اثناء شرب الماء في حمل بنيامين، ثم نادى أحد أعوان يوسف: أيها الركب القافلون بأعمالكم، قفوا انكم لسارقون.

٧١- فارتاع اخوة يوسف للنداء، واتجهوا إلى المنادين يسألونهم، ما الذي ضاع منكم وعم تبخثون؟



جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ

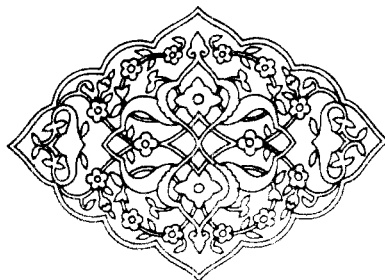
٧٢- فأجابهم الأعوان: نبحت عن الصواع، وهو انا الملك الذي يشرب به، ومكافأة من يأتي به حمل حمل من الطعام، وأكد رئيسهم ذلك فقال: وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل.

٧٣- قال اخوة يوسف: ان اتهامكم ايانا بالسرقة لعجيب، ونؤكد بالقسم ان فيا ظهر لكم من أخلاقنا وتمسكتنا بديننا في مرقى مجيئنا ما يؤكد علمكم أننا لم نأت بغية الإفساد في بلادكم، وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين.

٧٤- وكان يوسف قد أوحى إلى أتباعه أن يكلوا إلى اخوته تقدير الجزاء الذي يستحقه من وجد الصواع عنده، تمهيدا لأخذ أخيه منهم بحكمهم، وليكون قضاؤهم مبرما لا وجه للشفاعة فيه، فقالوا لهم: فاذا يكون جزاء السارقين عندكم ان ظهر أنه منكم؟

٧٥- ولوثوق أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع، قالوا غير متلجلجين: جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقا، فبمثل هذا الجزاء نجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس.

٧٦- وانتهى الأمر إلى تفتيش الرحال، وكان لابد من الاحكام حتى لا يظهر في تنفيذ الخطة افتعال، وتولى يوسف التفتيش بنفسه، بعد أن مهد الأمر، فبدأ بتفتيش أوعية العشرة الأشقاء، ثم انتهى إلى تفتيش وعاء أخيه، فأخرج السقاية منه، وبذلك نجحت حيلته، وحق له بقضاء اخوته أن يحتجز بنيامين وهكذا دبر الله الأمر ليوسف فما كان في استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر الا بإرادة الله وقد أرادها فدبرنا الأمر ليوسف ووقفناه إلى ترتيب الأسباب واحكام التدبير والتلطف في الاحتيال، وهذا من فضل الله الذي يعلى في العلم منازل من أراد وفوق كل صاحب علم من هو أعظم، فهناك من يفوقه في علمه.



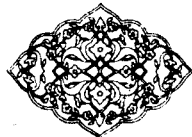
أَخُّ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَاسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾
 قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
 نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا
 أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
 يَحْكُرَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا

٧٧ - وكان اخراج الصواع من حقيبة أخيه مفاجأة أخجلت اخوته ، فتنصلوا باعتذار يبرىء جماعتهم دونه ، ويطعنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع وراثه من قبل الأم ، وقالوا : ليس بعجيب أن تقع منه سرقة إذ سبقه إلى ذلك أخوه الشقيق ! وفطن يوسف إلى طعنهم الخفى ، فسأه ، ولكنه كتم ذلك ، وأضر في نفسه جوابا لو صارحهم به لكان هذا الجواب : أنتم أسوأ منزلة وأحط قدرا ، والله أعلم وأصدق علما بكلامكم الذى تصفون به أخاه بوصمة السرقة .

٧٨ - ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهام أو افتدائه ، رجاء أن تصدق موثيقهم ليعقوب ، فاتجهوا إلى ترقيق قلب يوسف بمحدث الأبوة في شيوخوتها وقالوا له : يا أيها العزيز ، ان لأخينا أبا طاعنا فى السن ، فإن رحمته قبلت واحدا منا ليلقى الجزاء بدل ابنه الذى تعلق به قلبه ، وأملنا أن تقبل الرجاء ، فقد جربنا عادتك الكريمة ، وتأكد لنا انطباعك عن حب الإحسان وعمل المعروف .

٧٩ - وما كان ليوسف أن ينقض تدبيراً وفقه الله إليه ، ويفلت من يده أخاه ، ولذلك لم يلته استعطافهم ، وردد هم ردا حاسما ، وقال لهم : انى ألجأ إلى الله منزها نفسى عن الظلم فاحتجز غير من عثرنا على مالنا معه ، إذ لو أخذنا سواء بعقوبته لكننا من المعتدين الذين يأخذون البرىء بذنوب المسوء !

٨٠ - فلما انقطع منهم الأمل ، ويسوا من قبول الرجاء ، اختلوا بأنفسهم يتشاورون فى موقفهم من أيهم ، فلما انتهى الرأى إلى كبيرهم المدير لشئونهم قال لهم : ما كان ينبغى أن تنسوا عهدكم الموثق بيمين الله لأبيكم أن تحافظوا على أخيكم حتى تردوه إليه ، ولا أنكم عاقدتموه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ! ولذلك سابق بمصر لا أفارقها ، الا إذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وسمح لى بالرجوع إليه ، أو قضى الله لى بالرجوع الكريم ، ويسره لى بسبب من الأسباب ، وهو أعدل الحاكمين .



عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَعَلَ الْقَرِيبَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ الْاِنْفُسُ اَمْرًا فَوَصَّرْكُمْ جَمِيلًا عَسَى اَللّٰهُ اَنْ يَّاتِيَنِي بِسَمٍ جَمِيْعًا اِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٨٣﴾
 وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سِنَّيْ عَلٰى يُوْسُفَ وَاَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيْمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ تَفَتُوْا تَذْكُرُ يُوْسُفَ
 حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْاَهْلِكِيْنَ ﴿٨٥﴾ قَالَ اِنَّمَا اَشْكُوْا بَنِيَّ وَحُزْنِيَّ اِلَى اللّٰهِ وَاَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا

٨١ - عودوا أنتم إلى أبيكم وقصوا له القصة وقلوا له ان يد ابنك امتدت إلى صواع الملك فسرقتها وقد ضبطت في حقيبته وعوقب على ذلك باسترقاقه وما أخبرناك الا بما عايناه ، وما كنا مطلعين على المستور من قضاء الله حين طلبناه منك وأعطيناك على حفظه وردة إليك العهود والمواثيق وهو أعدل الحاكمين .

٨٢ - وان كنت في شك مما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم في القافلة ، لتظهر لك براءتنا ، ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول .

٨٣ - فرجع بقية الأبناء إلى يعقوب ، وخبروه كما وصاهم أخوهم الكبير فهيج الخبر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثاني ، ولم تطب نفسه ببراءتهم من النسب في ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل في يوسف ، وصرح باتهامهم قائلاً لهم : ما سلمت نيتكم في المحافظة على ابني ، ولكن زينت لكم نفوسكم أن تتخلصوا منه مثلما تخلصتم من أخيه ، فلولا فتواكم وحكمكم أن يؤخذ السارق رقيقاً عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابني ولا تخلف أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لي الا أن أتجمل في مصيبتى بالعزاء الحميد ، راجياً أن يرد الله على جميع أبنائي ، فهو صاحب العلم المحيط بحال وحالهم ، وله الحكمة البالغة ، فيها يصنع لي ويدبر .

٨٤ - وضاق بما قالوا فأعرض عنهم خالياً بنفسه ، مشغولاً بأساه وأسفه على فقد يوسف ، فذهب سواد عينيه من شدة الحزن ، وقد كظم غيظه وألمه أشد الكظم^(١) .

٨٥ - وتوالت الأيام ويعقوب مسترسل في لوعته ، وخشى أبنائه سوء العاقبة ، فاتجهوا إلى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له ، وهم بين الاشفاق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف : لئن لم تخفف عن نفسك لتزيدن ذكرى يوسف الآلمك وأوجاعك ، إلى أن يذيبك الغم فتشرف على الموت ، أو تصيح في عداد الميتين !

(١) ينشأ عن الحزن العميق حال نفسية يزداد بسببها الضغط على العينين فتصاب العين ببعض الأمراض وضعف البصر شيئاً فشيئاً قد يزول نهائياً وتبدو العين بيضاء .

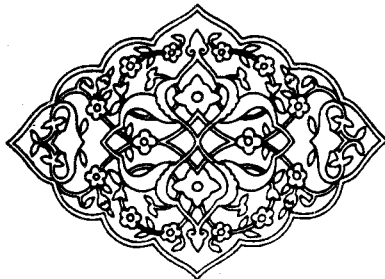
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أُوْنَكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ

٨٦- ولم يؤثر قولهم فيه ، فردهم قائلاً : ما شكوت لكم ، ولا طلبت منكم تخفيف لوعتي ! وليس لي الا الله اضرع إليه وأشكو له همومي صعبها وسهلها وما أستطيع كتمانها وما لا أستطيع ، لأنني أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته ما لا تدركون !

٨٧- والثقة في الله تحيي الأمل ، ولذلك لم يذهب الغم برجاء يعقوب في عودة ولديه إليه ، وألقى في روعه أنها من الأحياء ، وأن موعد التقائه بها قد حان ، فأمر بنيه أن ينقبوا عنها ، قائلاً لهم : يا بني ارجعوا إلى مصر فانضموا إلى أخيكم الكبير ، واجنحوا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارها في رفق لا يشعر به الناس ، ولا تقنطوا من أن يرحمنا الله بردها ، لأنه لا يقنط من رحمة الله غير الجاحدين .

٨٨- واستجاب اخوة يوسف لطلب أبيهم ، فذهبوا إلى مصر ، وتحالوا لمقابلة حاكمها الذي ظهر لهم من بعد أنه يوسف ! فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ، وجئنا إليك بأموال قليلة هي بضاعتنا وهي ترد لقلتها ورداءتها ، وليست كفاء ما نرجوه منك ، لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ، وأجمل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، ان الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب .

٨٩- أخذت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التي تعفو عن الإساءة ، وابتدأ يكشف أمره لهم قائلاً في عتب ، هل أدركتم قبح ما فعلتموه بيوسف من إلقائه في الجب ، وبأخيه من أذى . مندفعين في ذلك بمجهل انساكم الرحمة والأخوة !؟



يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾
 قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى
 وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
 لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ

٩٠- نبيهم تلك المفاجأة السارة إلى ادراك أن هذا يوسف ، فتحصوه ، ثم قالوا مؤكدين : انك لأنت يوسف
 حقا وصدقا ! فقال يوسف الكريم مصدقا لهم : أنا يوسف ، وهذا أخى ، قد من الله علينا بالسلامة من المهالك ،
 وبالكرامة والسلطان ! وكان ذلك جزاء من الله لإخلاصى واحسانى ، وان الله لا يضيع أجر من يحسن ويستمر على
 الإحسان .

٩١- فقالوا : صدقت فيما قلت ، ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة وانا بك
 بالملك وعلو المكانة ، وانما كنا آثمين فيما فعلنا بك وبأخيك ، فأذنا الله لك ، وجزانا جزاء الآثمين .

٩٢- فرد عليهم النبي الكريم قائلا : لا لوم عليكم اليوم ، ولا تأنيب ، ولكم عندى الصفح الجميل لحرمة
 النسب وحق الأخوة ، وأدعو الله لكم بالعمو والغفران ، وهو صاحب الرحمة العظمى .

٩٣- ثم سألم يوسف عن أبيه ، فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه : أعطاهم
 قميصه ، وقال لهم : عودوا به إلى أبى فاطرحوه على وجهه ، فسيؤكد له ذلك سلامتى ، وتقلأ قلبه الفرحه ، ويجعله الله
 سببا لعودة بصره ، وحينئذ تعالوا إلى به ، وبأهلكم أجمعين .

٩٤- وارتحلوا بالقميص ، وكان قلب يعقوب مستغرقا فى ترقب ما تأتى به رحلة بنيه ، وكان الله معه فى هذا
 الترقب فوصل روحه بأرواحهم ، فحين تجاوزت قافلتهم أرض مصر فى طريقها إليه ، شرح الله صدره بالأمل ،
 وأحاطه بجزى من الطمأنينة إلى اقتراب البشرى بسلامة يوسف ، وأخبر أهله بذلك اذ يقول : انى أشعر برائحة
 يوسف المحبوبة تغمرنى ، ولولا خشية أن تتهمونى فى قولى لأنبأتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان !

٩٥- فرد عليه أهله ردا خشنا ، حالقين بالله إنه لا يزال ذاهبا عن صوابه ، هائما فى خياله ، فتهايا له ما تهايا
 من فرط محبته ليوسف ، ولهجه بذكراه ، ورجائه للقياه .

فَارْتَدَّ بِصِيرًا ۗ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكُمْ لِكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

٩٦ - واستمر على أمله منتظرا رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به ، إلى أن أتاه من يحمل القميص ويشره بسلامة يوسف ، فحين طرح القميص على وجه يعقوب نفحته رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحه ، فعاد إليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته إليه بأهله اتجه إلى من حوله يذكرهم بنبوءته ، ويعاتبهم على تكذيبه ، ويوجه أذهانهم إلى ذكر ما أكده لهم أنفاً من أنه يدرك من رحمة الله وفضله ما لا يدركون .

٩٧ - فأقبلوا عليه معتذرين عما كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجاوز عن آثامهم ، لانهم كما أكدوا في اعتذارهم كانوا آثمين .

٩٨ - فقال يعقوب : سأداوم طلب العفو من الله عن سيئاتكم ، وأنه وحده صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة .

٩٩ - رحل يعقوب إلى مصر ، وسار بأهله حتى بلغها ، فحين دخلوا على يوسف ، وكان استقبلهم في مدخل مصر ، عجل به الحنان والشوق إلى أبيه وأمه ! ففرحها إليه ، وطلب منها ومن أهله أن يقيموا في مصر آمنين سالمين بإذن الله .

١٠٠ - وسار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها ، وصدر يوسف أبويه ، فأجلسهما على سرير ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل ما هيا الله لهم على يدي يوسف ، اذ جمع به شمل الأسرة بعد الشتات ونقلها إلى مكان عظيم من العزة والتكريم ، فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها في القديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه ، فأنار ذلك في نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ، فقال لأبيه : هذا تفسير ما قصصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لي ، قد حققه ربي ، وقد أكرمني وأحسن الي ، فأظهر براءتي ، وخلصني من السجن ، وأتى بكم من البادية لتلتق ، من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين أخوتي ، وأغراهم بي ، وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتسخير لتنفيذ ما يريد ، وهو الهيظ علما بكل شيء ، البالغ حكمة في كل تصرف وقضاء .

* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ - واتجه يوسف إلى الله ، يشكره بإحصاء نعمه عليه ، ويرجوه المزيد من فضله ، قائلا : يارب ما أكثر نعمك على ! وما أعظمها ! لقد منحتني من الملك ما أحمدك عليه ، وهبتني من العلم بتعريف الأحلام ما وهبت ! يا خالق السموات والأرض وبارئها ، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتى فى محياى وبعد مماتى ، اقبضنى اليك على ما ارتضيت لأنبيائك من دين الإسلام ، وأدخلنى فى زمرة من هديتهم إلى الصلاح من أبائى وعبادك الصالحين المخلصين .

١٠٢ - ذلك الذى قصصنا عليك أيها النبي من أخبار الماضى السحيق ، لم يأتك الا بإيحاء منا ، وما كنت حاضرا أخوة يوسف وهم يدبرون له من المكائد وما علمت بكيدهم الا عن طريقنا !

١٠٣ - وفى أغلب الطباع مرض يجعلها غير قابلة لتصديق ما أوحى اليك مها تعلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين .

١٠٤ - وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل جزاء أو منفعة ، فإن لم يهتدوا فلا تحزن عليهم ، وسيهدى الله قوما غيرهم ، فأنزلناه اليهم خاصة ، وما هو الا موعظة وعبرة لكل من خلق الله فى السموات والأرض .

١٠٥ - وما أكثر الدلائل على وجود الخالق ووحدانيته وكماله ، الثابتة فى السموات والأرض ، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين !

١٠٦ - وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شيء ، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد ! فلا يعترفون بوحدانىة الله اعترافا خالصا ، ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك المشركين ،

١٠٧ - أتخذوا عند الله عهدا بعدم تعذيبهم ، فضمنوا الأمن والسلامة من أن يصيبهم الله بعذاب غامر ، ويفشاهم بنقمته ، كما فعل بأسلافهم من قبل ؟ أو أن تفاجئهم القيامة وتبغتهم وهم مقيمون على الشرك والكفر ثم يكون مصيرهم الى النار؟ !

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِاسْتِنَاعِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٨ - نبيهم يا محمد إلى سمو غايتك ، وبصرهم بنبل مهمتك ، فقل لهم . هذه سنتي وطريقي ، أَدْعُو الناس إلى طريق الله وأنا مثبت من أمرى ، وكذلك يدعو إليها كل من تبعنى وأمن بشريعتى ، وأنزه الله عما لا يليق به ، ولست مشركا به أحدا سواه .

١٠٩ - وما تحولنا عن سنتنا في اختيار الرسل حين اخترناك أيها النبي ولا خرجت حال قومك عن أحوال الأمم السابقة . فإنا بعثنا من قبلك ملائكة ، وإنما اخترنا رجالا من أهل الأمصار نزل عليهم الوحي ، ونرسلهم مبشرين ومنذرين ، فيستجيب لهم المهتدون ، ويعاندهم الضالون ! فهل غفل قومك عن هذه الحقيقة ، وهل قعد بهم العجز عن السعى فأهلكناهم في الدنيا ومصيرهم إلى النار ، وأمن من آمن فنجيناهم ونصرناهم في الدنيا ، ولثواب الآخرة أفضل لمن خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ، أسلبت عقولكم أيها المعاندون فلا تفكروا ولا تدبروا !

١١٠ - ولا تستبطئ يا محمد نصرى ، فإن نصرى قريب أكيد ، وقد أرسلنا من قبلك رسلا فاقتضت حكمتنا أن يترأخى عنهم نصرنا ، ويتناول عليهم التكذيب من قومهم ، حتى إذا زلزلت نفوس واستشعرت القنوط وأدركهم نصرنا ، فأنعمنا بالنجاة والسلامة على الذين يستأهلون منا إرادة النجاة وهم المؤمنون ، وأدركنا دائرة السوء على الذين أجزموا بالعناد وأصرروا على الشرك ، ولا يدفع عذابنا وبطشنا دافع عن القوم المجرمين .

١١١ - وقد أوحينا إليك ما أوحينا من قصص الأنبياء ، تنبيها لفؤادك ، وهداية لقومك ، وأودعناه من العبر والعظات ما يستنير به أصحاب العقول واللفظ ويدركون أن القرآن حق وصدق ، فإنا كان حديثنا مختلفا ولا أساطير مفتراة ، وإنما هو حق ووحي ، ويؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل ! ويبين كل ما يحتاج إلى تفصيله من أمور الدين ، ويهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه وكان من المؤمنين الصادقين .

(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

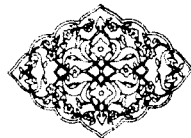
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْتَلَّةِ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

(سورة الرعد) سورة مدنية وسميت (الرعد) لما اشتملت عليه من تقديس الرعد لله تعالى . وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية ، وقد ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم ، وأنه يوحى من الله ، ثم بينت سلطان الله تعالى في الكون ونهبت إلى ما فيه من ابداع ومنافع ، ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى في الإنشاء الى قدرته على الإعادة والبعث ، وعلم الله تعالى بكل شيء ، وإلى بيان قدرته على العقاب في الدنيا ، وعليه يقاس العقاب في الآخرة . ثم وجهت الانظار إلى ما في الكون من عجائب تبهر ، وبعد ذلك بين الله تعالى أحوال الناس في تلقيهم للهدى القرآني ، ثم ذكر أوصاف المؤمنين في علاقتهم بالإنسانية ، وأخلاق الكافرين وتعتهم في طلب معجزات غير القرآن مع عظم منزلته ، وعظم استهزائهم برسولهم ، وبين للرسول انه قد استهزى برسول من قبله ! وأن الله تعالى قائم على الأتشاء والنفوس ، وأنه مجاز كلا بما يستحق ، وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة ، وأن الله تعالى هو الذي يؤيد رسله بما يراه من معجزات ، وإذا كان المشركون ينكرون رسالة النبي فالله يشهد بصدقها وحسبه ذلك وكفى .

١ - (المر) هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن ، وهي تشير إلى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التي تتكون منها كلمات العرب ! وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب لسماح القرآن ! ذلك أن المشركين تواصلوا فيما بينهم ألا يسمعوا هذا القرآن ، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون .

ان تلك الآيات العظيمة هي هذا القرآن ، الكتاب العظيم الشأن الذي نزل عليك أيها النبي بالحق والصدق من الله الذي خلقك واصطفاك ، ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم أن يذعنوا للحق ، بل هم يعاندون فيه .



اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَبِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضٍ عَلَى الْآخَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ * وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَؤَدَّا كُنَّا رَبًّا أَوْنَالِنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ

٢ - ان الذي أنزل هذا الكتاب هو الله الذي رفع ما ترون من سموات تجرى فيها النجوم بغير أعمدة ترى ولا يعلمها الا الله ، وان كان قد ربط بينها وبين الأرض بروابط لا تنقطع الا أن يشاء الله ، وذلك الشمس والقمر بسلطانه ولنفعتكم ، وهما يدوران بانتظام لزمان قدره الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه يدبر كل شيء في السموات والأرض ، ويبين لكم آياته الكونية رجاء أن توقنوا بالوحدانية .

٣ - وهو سبحانه الذي بسط لكم الأرض ، وجعلها دلو لا تسيرون فيها شرقا وغربا ، وجعل في هذه الأرض جبالا ثابتة وأنهارا تجرى فيها المياه العذبة ، وجعل من هذه المياه الثمرات المختلفة التي تتوالد ، وجعل منها الأنواع المتقابلة أصنافا ، منها الحلو والحامض ، ومنها الأبيض والأسود ، وأنه سبحانه يستر النهار بالليل ، وأن في هذا الكون وعجائبه لعلامات بيّنة تثبت قدرة الله ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر^(١) .

٤ - وان الأرض ذاتها فيها عجائب ، فيها قطع من الأرض يجاور بعضها بعضا ، وهي مختلفة التربة مع ذلك ، بعضها قاحل ، وبعضها خصب ، وان اتحدت التربة ، ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب ، وفيها زرع يحصد ، ونخيل مثمر ، وهي مجتمعة ومتفرقة ، ومع أنها تسقى بماء واحد يختلف طعمها ، وأن في هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به^(٢) .

(١) النباتات الزهرية المثمرة جميعها ينتج من تزاوج عناصر الذكورة والأنثوية سواء أكانت تلك العناصر في زهرة واحدة أو في زهرتين مختلفتين .

(٢) تشير الآية الكريمة إلى علوم الأراضى والبيئة وأثرها على صفات النبات فمن المعروف علميا أن التربة الزراعية تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب ومن الماء ومصدره المطر ومن الهواء ومن المادة العضوية التي يرجع وجودها إلى بقايا النبات والأحياء الأخرى التي توجد على سطح التربة أو في داخلها وفضلا عن ذلك فتوجد ملايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجردة لصغر حجمها وتختلف أعدادها من عشرات الملايين إلى مئات في كل جرام من التربة السطحية الزراعية .
إن النظرة الشاملة لصفات التربة الطبيعية والكيميائية والحيوية إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرة الخالق فالأرض كما يقول الزراعيون بحق تختلف من شبر إلى شبر .

ومعروف للعلماء أن أى نقص في أحد المواد الأساسية للتغذية يتبعه تغيير مميز يظهر أعراضه على النبات ولذلك يعدم الزراعيون إلى تعويض النقص بالتسميد الملائم وعوامل البيئية أكثر من أن تحصى ولها أثر ملحوظ على الثمر والثمار سواء أكان النبات متحد الأصل أو مختلفه فسبحان من بيده ملكوت كل شيء . وهو على كل شيء قدير .

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِمَّا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ

٥ - وان أمر المشركين مع هذه الدلائل لعجب ، فإن كنت يا محمد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت
وبعد أن نصير ترابا نكون أحياء من جديد ؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ، عقولهم قيدت بالضلال ، وأمهم
النار التي يخلدون فيها ، فهم جاحدون ، مع أن من يقدر على الإنشاء يقدر على الإعادة .

٦ - ويذهب بهم فرط ضلالهم أن يطلبوا انزال العذاب عاجلا بدل أن يطلبوا الهداية التي تنقذهم ويتوهمون أن
الله لا ينزل بهم العقوبة في الدنيا ان أراد ، وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ، فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشأن
الله أن يغفر الظلم لمن يتوب ويعود إلى الحق وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله .

٧ - ويقول هؤلاء الجاحدون غير معتمدين بالمعجزة الكبرى ، وهي القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته
من الحس كتحريك الجبال ، فبين الله لنبية الحق في القضية ؟ ويقول له سبحانه : إنما أنت أيها النبي منذرهم بسوء
العاقبة ، ان استمروا على ضلالهم ، ولكل قوم رسول يهديهم إلى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن
يختاروا ، إنما عليهم أن يجيبوا التحدى وأن يأتوا بمثله . . .

٨ - الذي أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذي يعلم كل شيء ، ويعلم النفوس الإنسانية من
وجودها نطفة في الرحم إلى موتها ، فيعلم ما تحمّل كل أنثى من أجنة وحالها من ذكورة أو من أنوثة ، وما تنقصه
الأرحام وما تزداد به وقتا بعد آخر ، حتى تنتهي مدة الحمل ويتكامل نمو الجنين ، ويظهر في الوجود . كل شيء
عنده سبحانه بقدر معلوم ، وله زمان معلوم (١) .

٩ - هو الذي يعلم ما يغيّب عن حسنا ، ويعلم ما نشاهده علما أعظم مما نشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم
النشأن الذي يعلو كل ما في الوجود .

(١) الله يعلم ما تحمّل كل أنثى في رحمها من أجنة ويعلم حالة الرحم وهو في حالة صفرة بينما تغيب فيه النطفة ويعلم حاله وهو يزداد
يوما بعد يوم حتى يصبح جنينا كامل النمو صالحا للنزول وكل شيء عند الله بمقدار وحساب صغيرا أو كبيرا .

جَهْرَهُ ۚ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ مِّنْ خِيفَتِهِ ۚ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ۚ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۚ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ۚ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ۖ إِلَّا كَبْسِطٌ كَقَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ ۚ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

١٠ - يعلم كل أحوالكم في حياتكم ، وكل أقوالكم وأعمالكم ، فيعلم ما تسرون ، وما تعلنون من أفعال وأقوال ، ويعلم استخفاءكم بالليل وبروزكم بالنهار ، والكل في علمه سواء .

١١ - وان الله سبحانه هو الذي يحفظكم ، فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتناوب على حفظه من أمامه ومن خلفه ، وان الله سبحانه لا يغير حال قوم من شدة إلى رخاء ومن قوة إلى ضعف حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التي يصيرون إليها ، وإذا أراد الله أن ينزل بقوم ما يسوءهم فليس لهم ناصر يحميهم من أمره ، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ما ينزل بهم .

١٢ - وأن قدرة الله تعالى في الكون بارزة آثارها ظاهرة ، فهو الذي يريكم البرق فترهبون منظره أو تخافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة إليه فيفسد الزرع ، أو تطمعون من وراء البرق في مطر غزير تحتاجون إليه ليصلح الزرع . وهو الذي يكون السحب المملوءة بالأمطار .

١٣ - وأن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً مطلقاً ، حتى ان صوته الذي تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمد على تكوينه دلالة على خضوعه ، وكذلك الأرواح الطاهرة التي لا ترونها تسبح حامدة له ، وهو الذي ينزل الصواعق المحرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه ، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون في شأن الله سبحانه ، وهو شديد القوة والتدبير في رد كيد الأعداء .

١٤ - وان الذين يدعونهم في خوفهم وأمنهم من الأصنام دون أن يدعوا الله وحده ، لا يجيبون لهم نداء ولا دعاء ، وحالهم معهم كحال من يسط كفه ويضعها ليحمل بهذه اليد المبسوطة الماء ليلبغ فمه فيرتوى ، وليس من شأن الكف المبسوطة أن توصل الماء إلى الفم ، وإذا كانت تلك حالهم ، فادعائهم الأصنام الاضباع وخسارة .

وِظَلَّلَهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَخْلِقَهُ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ

١٥ - والله سبحانه يخضع لإرادته وعظمته كل من في السموات والأرض من أكوان وأناس وجن وملائكة طامعين ، أو كارهين لما ينزل بهم ، حتى ظلالهم من طول وقصر حسب أوقات النهار في الظهيرة وفي الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه .

١٦ - أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هاديا مبينا ، فقال له : قل لهم أيها النبي : من الذى خلق السموات والأرض ، وهو الحافظ لها ، والمسير لما فيها ؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذى لا يحارون فيه ، فقل لهم : هو الله المعبود بحق دون سواه ، فكان حقا عليكم أن تعبدوه وحده . ثم قل لهم : أفتررون بعد وضوح البراهين المثبتة لوحدانية الله فى كل شىء ، وتتخذون مع ذلك أوثانا تعتبرونها آلهة من غير أن تقرروا بوحدانيته ! وهذه الأوثان لا تملك لذاتها نفعا ولا ضرا ! فكيف تسوونها بالخالق المدبر ، انكم تسوون بين الخالق لكل شىء ومن لا يملك شيئا ! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين ! فهل يستوى من يبصر ومن لا يبصر ؟ وهل تستوى الظلمة المتكافئة الحالكة والنور المبين ؟ أيسوغون تلك التسوية ؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم إلى زعم أن أوثانهم شركاء له فى الخلق والتدبير ، فتشابه عليهم أمر الخلق ، كما ضلوا العبادة ؟ قل لهم أيها النبي ، الله وحده هو الخالق لكل ما فى الوجود ، وهو المنفرد بالخلق والعبادة ، الغالب على كل شىء .

١٧ - وأن نعمه تعالى مرثية لكم ، وأصنامكم لا تأثير لها فى هذه النعم ، فهو الذى أنزل عليكم الأمطار من السحاب ، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذى قدره الله تعالى لإنبات الزرع ، وإثمار الشجر . والأنهار فى جريانها تحمل مالا نفع فيه ويعلو على سطحها ، فيكون فيها ما فيه نفع فيبق ، ومالا نفع فيه يذهب . ومثل ذلك الحق والباطل ، فالاول يبقى والثانى يذهب ، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس ، ومنها مالا نفع فيه يعلو السطح . وأن مالا نفع فيه يرمى وينبذ ، وما فيه النفع يبقى ، كذلك الأمر فى العقائد : ما هو ضلال يذهب ، وما هو صدق يبقى . ويمثل هذا بين الله سبحانه الحقائق ، ويمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة (١) .

(١) بين الله هنا شبيهين بالحق هما الماء الصافي والمعدن الصافي ينتفع بها ويبين شبيهين للباطل هما زبد الماء وزبد المعادن المذابة لا نفع منها فقال : أنزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بمقدارها فى الصخر والكبر فحمل الماء السائل زبدا عاليا على وجه الماء يسمى غثاء ومن بعض المعادن التى يوقد الناس عليها فى النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالين عمل حلية أو متاع ينتفع به كالأواني وغيرها زبد مثل زبد الماء فى كونه عاليا فوق سوائل المعادن يسمى خبيثا كهذا المذكور من الماء وزبده والمعدن وزبده بين الله =

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ^٤ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١٨﴾
 * أَقْسَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى^٥ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
 بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
 الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

١٨ - وأن الناس في تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاب دعوة الله الخالق المدبر ، فلمهم العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة ، وقسم لم يجب دعوة الذى أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة السيئة في الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما في الأرض جميعا ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ! ولكن أى يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسوءهم ويتهون به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

١٩ - ان المهتدين والضالين لا يستون ، فهل يكون الذى يعلم أن ما أنزل عليك من الله الذى رباك وكونك واصطفاك لأداء رسالته ، هو الحق الذى لا شك فيه . هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالأعمى الذى لا يبصر ؟ أنه لا يدرك الحق ويتذكر عظمة الله الا أصحاب العقول التى تفكر .

٢٠ - أولئك الذين يدركون الحق ، هم الذين يوفون بعهد الله تعالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين بمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون المواثيق التى عقدها باسم الله بينهم وبين العباد ، ولا بالميثاق الأكبر الذى عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق . ويؤمنون ، الا أن يضلوا في يقينهم .

٢١ - وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، انهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم ، ويؤيدون ولائهم في الحق ، وهم يعرفون حق الله ، فيخشونه ، ويخافون الحساب الذى يسوءهم يوم القيامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

٢٢ - وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتجمله في سبيل اعلاء الحق ، ويؤدون الصلاة على وجهها تطهيرا لأرواحهم وتذكرا لربهم ، وينفقون من المال الذى أعطاهم الله في السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون السيئات بالحسنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة ، بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

= للناس الحق والباطل فالحق كالماء الصافي والمعدن الصافي والباطل كالزبد الصافي والذى لا ينتفع به . فأما الزبد الناشئ عن السيل والمعادن فيذهب مرصيا به وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن فيبقى في الأرض للنفع كهذين الثنين في الجلاء والوضوح بين الله الأمثال للناس دائما فيبصرهم بالخير والشر .

ولما بين الله سبحانه وتعالى شأن كل من الحق والباطل شرع بين حال أهل كل منها فقال للذين أجابوا ربهم بالطاعة المثوبة في الآخرة وفى الجنة ونعيمها والذين لم يجيبوا لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبدلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله ولكنه لا يقبل منهم إذا فرض وملك .

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

٢٣ - تلك العاقبة الطيبة اقامة مستمرة في الجنات والنعيم ، يكونون فيها هم وآبائهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، ومعهم أزواجهم وذرياتهم والأرواح الطاهرة الطيبة تحميمهم وتحميهم إليهم من كل ناحية .

٢٤ - وتقول لهم تلك الأرواح : الأمن الدائم لكم بسبب صبركم على الأذى ، وصبركم في مكافحة أهوائكم ، وما أحسن هذه العاقبة التي صرتم إليها ، وهي الإقامة في دار النعيم .

٢٥ - وان أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين الذميمة .. فالمشركون ينقضون عهد الله الذي أخذه عليهم بمقتضى الفطرة ووثقه ، فيخالفون فطرتهم وعقولهم بعبادتهم حجارة لا تنفع ولا تضر وينتكون في عهدهم مع العباد ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله فلا يطيعون أوامره ولا يفردون بالعبادة ويفسدون في الأرض ، بالاعتداء فيها ، وعدم اصلاحها والانتفاع بها ، والله سبحانه لا يحب العبث والإفساد .

٢٦ - وإذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أوتوا مالا وفيرا ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطي الرزق الوفير لمن يشاء إذا أخذ في الأسباب ، ويضيقه على من يشاء ، فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن فلا تظنوا أن كثرة المال في أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أوتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، وما الحياة الدنيا الا متاع ضئيلة فانية ! .

٢٧ - وان أولئك المشركين تذهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبي من الله معجزة أخرى ؟ فقل أيها النبي أن السبب في عدم إيمانكم ليس نقص المعجزة ، انما هو الضلال والله سبحانه وتعالى يضل من يريد ضلاله مادام يسير في طريق الضلال ويهدي إلى الحق من يرجع إلى الله دائما .

٢٨ - وان هؤلاء الذين يرجعون إلى الله ، ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ، وأن القلوب لا تسكن وتطمئن الا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

الْصَّلِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَعَابٍ ﴿٣٨﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٩﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ
حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْأَمْعَادَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٤١﴾ أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ
أَمْ تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظُهُرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ

٢٩ - وان الذين أذعنوا للحق، وقاموا بالأعمال الصالحة، لهم العاقبة الطيبة والمآل الحسن.

٣٠ - كما أرسلنا إلى الماضين من الأمم رسلا بينوا لهم الحق، فضل من ضل واهتدى من اهتدى، وأتيناهم معجزات تدل على رسالتهم، أرسلناك في أمة العرب وغيرهم، وقد مضت من قبلهم أمة، وكانت معجزتك القرآن، لتقرأ عليهم قراءة توضح معانيه وجلاله، وهم جاحدون برحمة الله عليهم بإنزال القرآن، فقل لهم أيها النبي: الله هو الذي خلقني ويحميني ويرحمي، لا اله يعبد بحق غيره، أعتد عليه وحده، وإليه مرجعي ومرجعكم.

٣١ - انهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأنيبه لو طلبوا الحق وأذعنوا له، فلو ثبت أن كتابا يقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها، أو تنصدع به الأرض، أو تخاطب به الموتى، لكان ذلك هو القرآن، ولكنهم معاندون، والله وحده الأمر كله في المعجزات وجزاء المجاهدين، وله في ذلك القدرة الكاملة، وإذا كانوا في هذه الحال من العناد، أفلا ييأس الذين أذعنوا للحق من إيمان هؤلاء المجاهدين، وأن جحودهم بإرادة الله، ولو أراد أن يهتدى الناس جميعا لاهتدوا! وأن قدرة الله ظاهرة بين أيديهم، فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التي تهلكهم، أو تنزل قريبا منهم، حتى يكون الموعد الذي وعد الله به، والله تعالى لا يخلف وعده.

٣٢ - وإذا كان أولئك المجاهدون قد استهزأوا بما تدعو إليه وبالقرآن فقد سخر بالرسول الذين أرسلوا قبلك أيها النبي، فلا تحزن لأنى أمهل الذين جحدوا ثم أخذهم فيكون العقاب الشديد الذي لا يقدر وصفه ولا تعرف حاله.

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنَّا لَهُمْ أَكْتَابٌ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدٌ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

٣٣- ان المشركين سفهوا في جحودهم ، فجعلوا لله شركاء في العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس ، محص عليها ما تكسب من خير أو شر ، تماثله هذه الأوثان ؟ قل لهم أيها النبي ! صفوهم بأوصافهم الحقيقية ! أهم أحياء أهم يدفعون الضر عن أنفسهم ؟ فإن كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، فهل تخدعون أنفسكم بأن يخبروا الله بما تتوهمون أنه لا يعلمه في هذه الأرض ، أم تضعونهم في موضع العبادة بألفاظ تتلوى بها ألسنتكم ، بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وقومهم الباطل ، وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ! ومن يكن ضلالهم مثلهم ، فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

٣٤- لهم العذاب في الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، ان سار المؤمنون في سبيل الحق ، ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد وأدوم ، وما لهم أحد يقيمهم من عذاب الله القاهر فوق كل شيء .

٣٥- وإذا كان هؤلاء هذا العذاب ، فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها . وحال هذه الجنة التي وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ، وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الإيمان أنها تجرى من تحت أشجارها المياه العذبة ثمراتها دائمة لا تنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر أما الجاحدون فعاقبتهم دخول النار .

٣٦- والذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم أن يفرحوا بالكتاب الذي أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الإلهية ، ومن يتخذون الدين تحزبا : ينكرون بعض ما أنزل إليك عداوة وعصية ، فقل أيها النبي : اني ما أمرت الا بأن أعبد الله لا أشرك في عبادته شيئا وإلى عبادته وحده أدعو ، وإليه وحده مرجعي .

٣٧- ومثل الإنزال للكتب السماوية ، أنزلنا إليك القرآن حاكما للناس فيما بينهم ، وحاكما على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ، فهو عربي ، ولا تسابير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذي جاءك من الوحي والعلم ، ولئن سابيرتهم فالك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والحطاب للنبي ، وهو بالأولى للمؤمنين ، والتحذير لهم حقيق ، وللنبي لبيان أنه مع اصطفاؤه وعلو منزلته قابل للتحذير .

مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَطَيْنَا الْحِسَابَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا يُعْقَبُ
لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ مَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ

٣٨ - وإذا كان المشركون يثيرون العجب من أن لك أزواجاً وذرية، ويطلبون معجزة غير القرآن، فقد أرسلنا من قبلك رسالهم أزواج وأولاد، فالرسول من البشر له أوصاف البشر، ولكنه خير كله، وليس لنبى أن يأتي بمعجزة كما يجب أو يجب قومه! بل الذى يأتي بالمعجزة هو الله، وهو الذى يأذن له بها. لكل جيل من الأجيال أمر كتبه الله لهم يصلح به أمرهم، فلكل جيل معجزته التى تناسبه.

٣٩ - يحو الله ما يشاء من شرائع ومعجزات، ويحل ما يشاء ويثبتته وعنده أصل الشرائع الثابت الذى لا يتغير، وهو الوحداية وأمهاات الفضائل، وغير ذلك.

٤٠ - ولئن أريناك بعض الذى نعددهم من ثواب أو عقاب، أو توفيناك قبل ذلك، لرأيت هول ما ينزل بالمشركين! ولرأيت نعيم المؤمنين! وليس عليك هذا، انما عليك أن تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا.

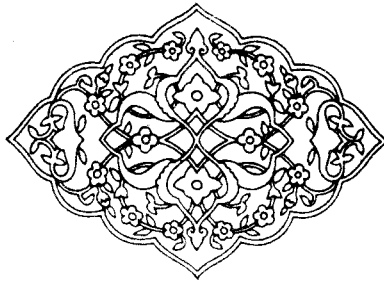
٤١ - وان أمارات العذاب والهزيمة قائمة! ألم ينظروا إلى أنا نأتى الأرض التى قد استولوا عليها، يأخذها منهم المؤمنون جزءاً بعد جزء؟ وبذلك تنقص عليهم الأرض من حولهم، والله وحده هو الذى يحكم بالنصر أو الهزيمة، والثواب أو العقاب، ولاراد لحكمه، وحسابه سريع فى وقته، فلا يحتاج الفصل إلى وقت طويل، لأن عنده علم كل شىء، فالبيئات قائمة (١).

(١) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الأخيرة إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردها المركزى يؤديان إلى تفلطح فى القطبين وهو نقص فى طرفى الأرض وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزيئات الغازات المغلفة للكرة الأرضية إذا ما تجاوزت قوة جاذبية الأرض لها فإنها تنطلق إلى خارج الكرة الأرضية. وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض فى نقص مستمر لأطرافها. لا أرض أعداء المؤمنين، وهذا احتمال فى التفسير تقبله الآية الكريمة.

وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنْتُ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

٤٢ - وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيء لرسولهم ، والله سبحانه تدبير الأمر كله في حاضر الكافرين وقابلهم ، وسيكون الجزاء على ما يصنعون ، وهو يعلم ما تعلمه كل نفس . وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة المحسنة للمؤمنين ، فسيعلمون يوم القيامة بالرؤية لمن تكون العاقبة المحسنة بالإقامة في دار النعيم .

٤٣ - والغاية من المرء الذي يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا لك أيها النبي لست مرسلا من عند الله ! فقل لهم : حسبى أن الله هو الذي يحكم بيني وبينكم ، والذي يعلم حقيقة القرآن ، وما يدل عليه من اعجاز باهر تدركه العقول السليمة .



سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ
وَايَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّ كَتَبْتُ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
 اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

١ - ألف . لام . راء : في الابتداء بهذه الحروف تنبيه إلى اعجاز القرآن ، مع أنه مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع . هذا المذكور في السورة كتاب منزل اليك يا محمد من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر والجمل إلى نور الايمان والعلم بتيسير ربهم ، وذلك النور هو طريق الله الغالب بالانتقام الم محمود على الانعام .

٢ - طريق الله الذي له كل ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ، وإذا كان هذا هو حال الآله الحق ، فاهلاك بعذاب شديد للكافرين .

٣ - الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويمنعون الناس عن شريعة الله ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة في نظر الناس لينفروا منها . أولئك الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق .

٤ - وما أرسلنا رسولا قبلك ، يأبى النبي ، الا متكلما بلغة قومه الذين بعثناه فيهم ليفهمهم ما أتى به ، فيفقهوه ويدركوه بسهولة ، وليس عليه هدايتهم ، فالله يضل من يشاء ، لعدم استعداده لطلب الحق ، ويهدي من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذي لا يغلب على مشيئته ، والذي يضع الأمور في مواضعها ، فلا يهدي ولا يضل الا للحكمة .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايِنِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مَنَعْتُمُوهُمْ لَآ يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا نَكْفُرُونَ بِمَا

٥ - ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا ، وقلنا له : أخرج قومك بنى اسرائيل من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وذكرهم بالوقائع والنقم التي أوقعها الله بالأمم قبلهم . ان في ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله ، تدعو إلى الإيمان كل من يتحقق به كمال الصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، وهذه صفة المؤمن .

٦ - واذكر أيها النبي لقومك ، لعلهم يعتبرون ، وقت قول موسى لقومه تنفيذاً لأمر ربك : اذكروا نعمة الله عليكم ، حين أخرجكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب السيئ ، بتكليفكم الأعمال الشاقة ، ويذبحون أبناءكم الذكور ، ويستحيون نساءكم بلا قتل ذليلات مستضعفات ، وفي كل ما ذكر من التعذيب والإنجاء اختبار من الله عظيم ، ليظهر مقدار الصبر والشكر .

٧ - واذكروا يا بنى اسرائيل حين أعلمكم ربكم وقال : والله ان شكرتم ما وهبناكم من نعمة الإنجاء وغيرها ، وبالثبات على الإيمان والطاعة لأزيدنكم من نعمي ، وان جحدتم نعمي بالكفر والمعصية ، لأعذبنكم عذاباً مؤلماً ، لأن عذابي شديد للجاحدين .

٨ - وقال موسى لقومه حينما عاندوا وجحدوا : ان تجحدوا نعم الله ولا تشكروها بالإيمان والطاعة ، أنتم وجميع من في الأرض ، فإن ذلك لن يضركم شيئاً ، لأن الله غني عن شكر الشاكرين ، مستوجب الحمد بذاته ، وان لم يحمد أحد .

أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لِنِى شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْئِنَا ۖ فَوَحِّىْ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

٩ - ألم يصل إليكم خبر الذين مضوا من قبلكم ، قوم نوح وعاد وحمود ، والأمم الذين جاءوا من بعدهم ، وهم لا يعلمهم الا الله لكثرتهم ، وقد جاءتهم رسلهم بالهجة الواضحة على صدقهم ، فوضعا أيديهم على أفواههم استغرابا واستنكارا ، وقالوا للرسل : انا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والأدلة ، وانا لنى شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد ، لانظمن إلى شىء وفي حيرة منه !

١٠ - قالت الرسل لأقوامهم ! منكرين عليهم شكهم في وجود الله ووحدانيته ، متعجبين من ذلك : أفى وجود الله وألوهيته وحده شك ، وهو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذيه ، وهو يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم التى وقعت منكم قبل الإيمان ، ويؤخركم إلى انتهاء آجالكم ؟ ! قالت الأقوام لرسولهم تعنتا : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، لا فضل لكم علينا يؤهلكم للرسالة .. تريدون أن تمنعونا بما تدعوننا إليه عما كان عليه آبائنا من العبادة ! فأتونا بحجة واضحة مما نقترحه عليكم .

١١ - قالت لهم رسلهم : ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم ، ولكن الله يصطفى من يشاء من عباده فيخصصهم بالنبوة والرسالة ، وما كان فى قدرتنا أن نأتيكم بحجة مما تقترحون إلا بتيسير منه ، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون ولنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم .

١٢ - وأى عذر لنا فى ترك التوكل على الله ، وهو قد أرشد كلامنا إلى سبيله ومنهاجه الذى شرع له ، وأوجب عليه سلوكه فى الدين ؟ وانا لنؤكد توكلنا على الله ، ولنصبرن على أذاكم لنا بالعناد واقتراح المعجزات ، والله وحده هو الذى يتوكل عليه المتوكلون .

الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسَكِنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَجْرعهٗ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلَهُمُ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ الرَّ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ نَسَأَ يَذْهَبْكَ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرُّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ

١٣ - عمد أهل الحل والعقد من الكفار العاتين إلى القوة ، بعد أن عجزوا جميعا عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسلمهم : ليكون أحد أمرين : اما أن نخرجكم من أرضنا ، واما أن تدخلوا في ديننا ، فأوحى الله إلى الرسل قائلا : لنهلكن الكافرين ، لظلمهم .

١٤ - ولنسكننكم أرضهم من بعد هلاكهم . وذلك الإسكان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حسابي ، وخاف وعيدي بالعذاب ، فإن من غلب عليه الخوف أطاع .

١٥ - ان الرسل استنصروا على أقوامهم بما يشؤوا من إيمانهم ، وطلبوا النصر من ربهم على الكافرين من أقوامهم ، فنصرهم الله وربحوا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد .

١٦ - وقد استقبل الهزيمة في الدنيا ومن ورائه في الآخرة عذاب جهنم ، ويسقى فيها من ماء كريبه ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار .

١٧ - يتكلف شربه ، كأنه يبتلعه مرة بعد أخرى ، ولا يقرب من استساغته لأنه لا يمكن أن يستساغ لكرهته وقذارته ! ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو في جهنم بيت فيستريح مما هو فيه ، بل يستقبل في كل وقت عذابا أشد .

١٨ - ان حال أعمال الخيرين الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها ، لبنائها على غير أساس من الإيمان ، كحال رماد اشتدت لتفريقه الريح في يوم شديد العواصف ، لا يقدرّون يوم القيامة على شيء مما كسبوا في الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشيء منها إذ لا يرون لها أثرا من الثواب ، كما لا يقدر صاحب الرماد المتطاير في الريح على امساك شيء منه ، وهؤلاء الضالون يحسبون أنهم محسنون ، مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق .

١٩ - ألم تعلم أيها المخاطب أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقوموا على الحق بمقتضى حكمته ، ومن قدر على هذا كان قادرا على اهلاككم أيها الكافرون ، والإتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحدانيته إذا شاء .

٢٠ - وما ذلك الإذهاب والإتيان على الله بمتعذر ولا بمتعسر .

الضَعْفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصَبٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إني كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي

٢١ - وسيظهر الكفار جميعا من قبورهم للرائين ، لأجل حساب الله تعالى ، ظهورا لاشك فيه كأنه واقع الآن فعلا فيقول ضعفاء الرأي من الأتباع للقادة المستكبرين : انا كنا لكم تابعين في تكذيب الرسل ومحاربتهم والإعراض عن نصائحهم ، فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشيء ؟ قال المستكبرون : لو هدانا الله إلى طريق النجاة ووقفنا له لأرشدناكم ودعوناكم إليه ، ولكن ضللنا فأضللتناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر ، ليس لنا مهرب من العذاب !

٢٢ - ويقول ابليس ، حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين ، لمن اتبعه : ان الله تعالى وعدكم وعدا حقا بالبعث والجزاء فأنجزه ، ووعدتكم وعدا باطلا بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى ، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على اتباعى ، لكن دعوتكم بوسوسى إلى الضلالة فأسرعتم إلى طاعى ، فلا تلومونى بوسوسى ، ولوموا أنفسكم على اجابى وما أنا اليوم بمغيثكم من العذاب ، وما أنتم بمغيثى ! إني جحدت اليوم اشراككم اباى مع الله فى الدنيا حيث أظعنونى كما يطبع العبد ربه : ان الكافرين لهم عذاب مؤلم .

٢٣ - وأدخل فى الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجرى من تحت قصورها الانهار خالدين فيها بإذن الله تعالى وأمره ، تحببهم فيها من الملائكة تفيده الأمن والاطمئنان .

٢٤ - ألم تعلم أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة ، وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة ، أصلها ضارب بجذورها فى الأرض ، وأفنانها مرتفعة إلى جهة السماء .

أَكَلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةِ خَيْبَةٍ
 أَجْتُنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
 دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
 مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
 يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ

٢٥ - تعطى ثمراها كل وقت عينه الله لإثمارها بإرادة خالقها ، كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت . وبين الله الأمثال للناس ، فيشبه المعاني بالحواس لتعظوا فيؤمنوا .

٢٦ - الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة ، كأنها اقتلعت ، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات فيها ، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها ! لأنها لم تعاضد بحجة .

٢٧ - يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة ، ويبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم ، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه !

٢٨ - ألم تنظر أيها السامع إلى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بحمد ودينه كفرا بالله تعالى وأنزلوا أتباعهم بإضلالهم إياهم دار الهلاك .

٢٩ - وهي جهنم يقاسون حرها وقبح المقر جهنم .

٣٠ - وجعلوا لله الواحد الأحد أمثالا من الأصنام في العبادة ، لتكون عاقبة عملهم اضلال الناس عن سبيل الله ! وقل أيها النبي لأولئك الضالين : تمتعوا بشهواتكم فإن مرجعكم إلى النار ! .

٣١ - قل يا محمد لعبادي الصادقين الذين آمنوا واحسنوا : أقيموا الصلاة ، وأنفقوا بعض ما رزقناكم في وجوه البر ، مسرين ومعلنين ، وفي كل خير ، من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة .

رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ
 وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
 كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
 كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ
 غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ
 الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ

٣٢ - الله وحده هو الذي أنشأ السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وأنزل من السحاب ماء مدرارا ، فأخرج بسببه رزقا لكم . هو ثمرات الزرع أو الشجر ، وسخر لكم السفن لتجري في البحر تحمل أرزاقكم وتجارتكم بإذنه ومشيبته ، وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفخوا بها في رى الأنفس والزررع .

٣٣ - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، للإضاءة واصلاح النبات والحيوان ، وسخر لكم الليل للراحة ، والنهار للسعى .

٣٤ - وهيا لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا . وان تعدوا ما أنعم الله به عليكم لا يمكنكم حصر أنواعه ، فضلا عن أفراده ! ان المجاهد الذي قابل النعم بالجحود لشديد الظلم والجحود .

٣٥ - واذكر ، أيها النبي ، لقومك ، ليعتبروا فيرجعوا عن اشراكهم ، قول أبيهم ابراهيم بعد بناء الكعبة : يارب اجعل هذا البلد الذي فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين ، وأبعدني وأبنائي عن عبادة الأصنام .

٣٦ - لأن الأصنام تسببت في اضلال كثير من الناس بعبادتهم لها . فن تبني من ذريتي ، وأخلص لك العبادة ، فإنه من أهل ديني ، ومن عصاني باقامته على الشرك فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة .

٣٧ - يا ربنا اني اسكنت بعض ذريتي في وادي مكة الذي لا ينبت زرعاً ، عند بيتك الذي حرمت التعرض له والتهاون بشأنه ، وجعلت ما حوله آمناً . ربنا ، فأكرمهم ليقوموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوبا خيرة من الناس تقبل إليهم لزيارة بيتك ، وارزقهم من الثمرات بإرسالها إليهم مع الوافدين ، ليشكروا نعمتك بالصلاة والدعاء .

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْغَلَتُهُمْ هَوَاءُ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ يُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ ۖ أَوْلَا تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ

٣٨ - ربنا ، إنه يستوى عند علمك سرنا وعلانيتنا ، فأنت أعلم بمصالحنا ، وأرحم بنا منا ، وما يخفى عليك شيء ولو كان صغيرا ، في الأرض ولا في السماء ، فلا حاجة بنا إلى الدعاء ، ولكننا ندعوك اظهارا للعبودية ، وتخضع لعظمتك ، ونفتقر إلى ما عندك .

٣٩ - الحمد لله الذي أعطاني ، مع كبر سني ، والياس من الولد ، اسماعيل ثم اسحاق ! ان ربي لسميع دعائي ، يجب له .

٤٠ - رب وفقني لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتي ، ربنا تقبل دعائي قبول المستجيب .

٤١ - ربنا اغفر لي ما فرط مني من الذنوب ، واغفر له للمؤمنين . يوم يتحقق الحساب ، ويكون من بعده الجزاء .

٤٢ - ولا تظنن : أيها الرسول ، ربك غافلا عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وأهله : بل هو عالم بمخالفتهم ، وقدر تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ، لا يسيطرون عليها ، فلا ترتد إليهم من هول ما ترى .

٤٣ - وهم مسرعون نحو الداعي ، رافعي رؤوسهم إلى السماء ، لا ترجع أعينهم إلى ارادتهم ، وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف .

٤٤ - وبين أيها النبي ، للناس أهوال يوم القيامة الذي يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي : ربنا أخر العذاب عنا ، وردنا إلى الدنيا ، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب ، نتدارك ما فرطنا بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل . فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسيتم أنكم حلفتم من قبل في الدنيا أنكم إذا متم لا تزول عنكم هذه النعمة ، ان كان بعث يوم القيامة .

الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعَلَيْهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانَ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُكَ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٥ - وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي من الأمم قبلكم ، وظهر لكم بمشاهدة آثارهم كيف عاقبناهم فلم تنزجروا ، وبيننا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم ، فلم تعتبروا .

٤٦ - وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لابطال الدعوة ، عند الله علم مكرهم ، وما كان مكرهم ، لتزول منه الشريعة الثابتة ثبات الجبال .

٤٧ - فلا تظن ، أيها الرسول ، أن الله تعالى مخلف رسله ما وعدهم به من النصر ، لأنه غالب لا يمنع أحد عما يريد ، شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله .

٤٨ - فينتقم منهم يوم القيامة حين نجعل الأرض الموجودة الآن ونجعل السموات غير السموات كذلك ، ويخرج الخلائق من قبورهم لحكم الله الذي لا شريك له ولا غالب له .

٤٩ - وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم .

٥٠ - مطلية جلودهم بسائل من القطران ، كالملابس على أجسادهم ، وتعلو النار وجوههم وتجعلها .

٥١ - يفعل بهم ذلك ، ليجزي الله كل نفس منهم بما كسبته في الدنيا والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شيء .

٥٢ - هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله ، وليعلموا إذا خافوا وتأملوا أنه لا إله إلا الله واحد ، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم ، فيبتعدوا عما فيه هلاكهم .

(١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَسْبَعُ وَتَسْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ

سورة الحجر سورة مكية وهي تشتمل على تسع وتسعين آية، ابتدأت بالحروف الصوتية تنبيها إلى أن القرآن مكون من الحروف التي تتكون منها كلماتكم، ومع ذلك كان معجزا لكم، لأن منزله هو الله سبحانه وتعالى، وتتكون تلك الحروف بأصواتها الممدودة تنبيها للمعرضين عن القرآن يدعوهم إلى الاستماع، فمساهم ينتفعون ويهديهم الله تعالى.

والسورة الكريمة تبين العبر بما نزل بالأمم السابقة والإشارة إلى أخبار الأنبياء السابقين، وما لقيتهم به أهمهم، وتشير إلى آيات الله في الكون من سماء مرفوعة ذات بروج محفوظة، وأرض ممهدة مبسوطة، وجبال راسيات ورياح حاملة للماء، وما يلقح الأشجار، وتشير إلى المعركة الأولى في الخليقة بين ابليس اللعين وأدم وزوجه، واستمرار هذه المعركة بين الخير والشر إلى أن تنتهي هذه الدنيا، ثم عاقبة الشر يوم القيامة، وعاقبة الخير. وبعد ذلك قص الله سبحانه قصص النبيين ابراهيم ولوط، وأصحاب الحجر، وتشير إلى منزلة القرآن، وحال المشركين في تلقيه، وما يجب على النبي ازاء جحودهم وهو أن يعلن رسالته، ويجهر بها، ويعبد الله حتى يأتيه الأمر اليقين.

١- تلك آيات الكتاب المنزل المقروه المبين الواضح.

٢- يود ويتمنى الذين جحدوا بآيات الله سبحانه وتعالى كثيرا، عندما يرون عذاب يوم القيامة، أن لو كانوا قد أسلموا في الدنيا وأخلصوا دينهم لله.

٣- ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم في الآخرة من عذاب! فدعهم بعد تبليغهم وانذارهم، ليس لهم هم إلا أن يأكلوا ويستمتعا بملاذ الدنيا، ويصرفهم أملمهم الكاذب، فن المؤكد أنهم سيعلمون ما يستقبلهم عندما يرونه رأى العين يوم القيامة.

٤- وإذا كانوا يطلبون انزال العذاب الدنيوي، كما أهلك الله الذين من قبلهم، فليعلموا أن الله لا يهلك مدينة أو أمة الا لأجل قدره معلوم عنده.

مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
 إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
 وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا

٥ - لا يتقدمون عليه ، ولا يتأخرون عنه .

٦ - وان من قبح حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبي متهمين قائلين : أيها الذي نزل عليه الكتاب المذكور ، ان
 بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بنزول الذكر عليه الا للتهكم .

٧ - ولفرط جحودهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملائكة تكون لك حجة ان
 كنت صادقا معدودا في الصادقين .

٨ - وقد أجايبهم الله تعالت كلماته : ما نزل الملائكة الا ومعهم الحق المؤكد الثابت الذي لا مجال لإنكاره ، فإن
 كفروا به فإنهم لا يجهلون ، بل ينزل بهم العذاب الدنيوى فورا .

٩ - وانه لأجل أن تكون دعوة النبي بالحق قائمة إلى يوم القيامة ، لم نزل الملائكة ، بل أنزلنا القرآن المستمر
 تذكيره ، وانا لحافظون له من كل تغيير وتبديل ، حتى تقوم القيامة .

١٠ - ولا تحزن أيها الرسول الأمين ، فقد أرسلنا قبلك رسلا في طوائف تعصب للباطل مثل تعصبيهم ، ولقد
 مضوا مع الأولين الذين هلكوا لجحودهم !

١١ - وما كان شأن الذين سبقوهم في تعصبيهم للباطل إلا أن يستهزئوا برسولهم رسولا رسولا ، كما يستهزئون
 بك ! فتلك سنة المبطلين !

١٢ - كما أدخلنا القرآن في قلوب المؤمنين فأضاءها ، أدخلنا الباطل في قلوب الذين اتسموا بالإجرام ، فانقلبت
 الأوضاع في قلوبهم ، إذ تأصل الباطل في نفوسهم .

١٣ - لا يؤمن أولئك المجرمون به ، وقد مضت طريقة الله تعالى في امهالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .

عَلَيْهِمْ بِأَبَا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
 وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ
 السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
 وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

١٤ - ان هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ، ولا تظن أنها النبي أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة !

١٥ - ما آمنوا ، ولقالوا : انما حبست ابصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل ان ما كان هو السحر ، وقد سحرنا ، فلا جدوى في أى آية مع الجحود في قلوبهم .

١٦ - واننا قد جعلنا في السماء نجوما ، تكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والهيئات ، وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين معتبرين ، مستدلين بها على قدرة مبدعها .

١٧ - ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرده من رحمة الله تعالى .

١٨ - من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاستماع إلى الكلام الذى يجرى بين سكان هذه النجوم ، فإننا نلحقه بجرم سماوى واضح بين .

١٩ - وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود ، ووضعنا فيها جبالا ثابتة ، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم ، وجعلناه مقدرًا بأزمان معينة في نموه ، وغذائه ، ومقدرا بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفي أشكاله في الخلق والطبيعة^(١) .

٢٠ - وجعلنا في الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ، ففيها الحجارة التى تبنيون منها المساكن ، والحيوان الذى تنتفعون بلحمه أو جلده أو ريشه ، والمعادن التى تخرج من بطنها ، وغير ذلك ، وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة أيضا لمن يكونون في ولايتكم من عيال وأتباع ، فإله وحده هو يرزقهم واياكم .

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات العملية للنبات ، وهى أن كل صنف من النبات يتأثر أفراده من الوجهة الظاهرية تأثرا تاما ، وفي التكوين الداخلى نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق في كافة أجهزة النبات المختلفة وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذى وجدت من أجله وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد .

مَعْلُومٌ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِحَ فَاذْلَنَّا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 نُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْ مَنكُرٍ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 بِمِشْرِهِمْ إِنَّهُمُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْحَيَّانَ خَلَقْنَاهُ
 مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَاذْأ

٢١ - وما من شيء من الخير إلا عندنا كالحزائن المملوءة ، من حيث تهبته وتقديمه في وقته ، وما تنزل إلى العباد إلا بقدر معلوم حددته حكمتنا في الكون .

٢٢ - وقد أرسلنا الرياح حاملة بالامطار وحاملة بذور الإنبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقيا لكم ، وان ذلك خاضع لإرادتنا ولا يتمكن أحد من التحكم فيه حتى يصير عنده كالحزائن (١) .

٢٣ - وانا وحدنا نمد الأشياء بالحياة ، ثم ننقلها إلى الموت إذ الوجود كله لنا .

٢٤ - وكل منكم له أجل محدود ، نعلمه نحن ، فنعلم الذين يتقدمون في الموت والحياة ، والذين يتأخرون .

٢٥ - وان المتقدمين والمتأخرين سيجمعون في وقت واحد ، وسيحاسبهم ويجازهم الله وأن ذلك مقتضى حكمته وعلمه ، وهو الذي يسمى الحكيم العليم .

٢٦ - واننا في خلقنا للعالمين في هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الإنسان من طين يابس يصوت إذا نقر عليه (٢) .

٢٧ - وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله ابليس من النار ذات الحرارة الشديدة النافذة في مسام الجسم الإنساني .

٢٨ - واذكر أيها النبي أصل الخلق ، إذ قال خالقك رب العالمين للملائكة اني مبدع بشرا خلقته من طين يابس ، له صوت إذا نقر عليه ، وهو متغير اللون له صورة .

(١) سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم من أن الرياح عامل هام في نقل حبوب اللقاح إلى الأعضاء المؤنثة في النبات ليم بذلك عقد الحمار ، كما أنه لم يعرف إلا في أوائل القرن الحالى أن الرياح تلقح السحاب بما يزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف أو النويات التي تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطة من الماء نامية داخل السحب هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب وقوام هذه النويات أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأتربة ونحوها كلها لازمة للأمطار .
 لقد ثبت في العلم حديثا أن للمطر دورة مائة ، تبدأ بتبخير المياه من سطح الأرض - والبحر ثم تعود إليه مرة ثانية على نحو ما سلف ذكره ، فإذا ما نزل المطر استقى منه كل حى على الأرض كما تستقى منه الأرض نفسها ، ولا يمكن التحكم فيه لأنه بعد ذلك يتسرب من الأحياء ومن الأرض إلى التبخر ، ثم تبدأ الدورة ثانية بالتبخر وهكذا دواليك .
 ومن هذا يستبين معنى الآية في قوله تعالى (وما أنتم له بخازنين) أى ما نعيه من الزول من السماء ولا التسرب إليها على صورة البخار .

(٢) الصلصال والحما صور من الطين تتفق معه في التركيب ، لأنها تتكون كإثما من عناصر التربة مضافا إليها الماء وهى المادة التي يتكون منها الإنسان ، كما ذكر في الآيات المختلفة من القرآن الكريم .

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَتَّكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَئِن لَّمْ أَكُنْ لِأَسْجِدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمًا ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا

٢٩ - فإذا أكملته خلقا، ونفخت فيه الروح التي هي ملكي، فانزلوا بوجوهكم ساجدين له تحية واکراما.

٣٠ - فسجدوا جميعا خاضعين لأمر الله.

٣١ - لكن ابليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله.

٣٢ - عندئذ قال الله تعالى: يا ابليس، ما الذي سوغ لك أن تعصى ولا تكون مع الخاضعين الساجدين.

٣٣ - قال ابليس ما كان من شأنى أن أسجد لإنسان خلقته من طين يابس له صوت إذا نقر، وهو متغير اللون

مصور.

٣٤ - قال الله تعالى: إذا كنت متمردا خارجا على طاعتي، فأخرج من الجنة فانك مطرود من رحمتي ومن

مكان الكرامة.

٣٥ - وإنى قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة إلى يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء، وفيه يكون لك

ولن اتبعك العقاب.

٣٦ - قال ابليس، وهو المتمرد على طاعة الله، يا خالتي أمهلني ولا تقبضني إلى يوم القيامة، يوم يبعث الناس

أحياء بعد موتهم.

٣٧ - قال الله تعالى: انك من الموجلين المهلين.

٣٨ - إلى وقت قدرته وهو معلوم لي، ومهما يظل فهو محدود.

٣٩ - قال ابليس المتمرد العاصي: يا خالتي الذي ييقيني: لقد أردت لي الضلال فوقعت فيه، وبسبب ذلك

لأزين لبني آدم السوء، ولأعملن على ضلالهم أجمعين.

٤٠ - ولن ينجو من اضلالى إلا الذين أخلصوا لك من العباد، ولم أتمكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمرائها

بذكرك.

صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

٤١ - ان خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم بحق على لا أتعدها ، لأنى لا أستطيع اضلالهم .

٤٢ - قال الله تعالى : ان عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على اضلالهم ، لكن من اتبعك من الضالين الموغلين فى الضلال لك سلطان على نفوسهم .

٤٣ - وان النار الشديدة العميقة هى ما يوعدون به أجمعين من عذاب ألم .

٤٤ - وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها أبواب سبعة لكثرة المستحقين لها ، ولكل باب طائفة مختصة به ، ولكل طائفة مرتبة معلومة تتكافأ مع شرمهم .

٤٥ - هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ، أما الذين عجز الشيطان عن اغوائهم لأنهم يجعلون بينه وبين نفوسهم حجابا ، فلهم حدائق عظيمة وعيون جارية .

٤٦ - يقول لهم ربهم ، ادخلوا هذه الجنات باطمئنان آمنين ، فلا خوف عليكم ، ولا تحزنون على أوقاتكم .

٤٧ - وان أهل الإيمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ، فقد أخرجنا ما فيها من حقد ، فهم جميعا يكونون اخوانا يجلسون على أسرة تتقابل وجوههم بالبشر والمحبة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر .

٤٨ - لا يمسهم فيها تعب ، وهى نعيم دائم لا يخرجون منها أبدا .

٤٩ - أخبر أيها النبى الأمين عبادى جميعا أنى كثير الغفران والعفو لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، وأنى كثير الرحمة بهم .

٥٠ - وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غيره لا يعد مؤلما بجواره .

وَنبِيَّهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَيَّ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا لَهَا لِمَن قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا لَهَا لِمَن

٥١ - ونبیہم، أيہا النبی، فی بیان رحمۃ الخاصۃ فی الدنیا، و عذابہ للعصاة فیہا، عن الضیف من الملائکۃ الذین نزلوا علی ابراهیم .

٥٢ - اذکر أيہا الامین : إذ دخلوا علیہ فخاف منهم ، فقالوا له : أمنا واطمئنا . فقال لهم انا خائفون منکم إذ فاجأتمونا وجئتم فی غیر وقت للضيف عادة ، ولا نعلم ما وراہکم !

٥٣ - قالوا : لا تخف واطمئن ، فانا نبشركم بولود لك یؤتیه الله تعالى فی مستقبل حیاته علما عظیما^(١) .

٥٤ - قال : کیف تبشروننی بولود یولد لی مع أنه قد أصابتنی الشیخوخة بضعفها ، فعلی أى وجه تبشروننی بهذا الأمر الغریب ؟ !

٥٥ - قالوا بشركنا بالأمر الثابت الذى لاشك فیہ ، فلا تكن ممن ییأسون من رحمة الله .

٥٦ - قال ابراهیم : انی لا یأس من رحمة الله ، فإنه لا یأس من رحمة الله إلا الضالون الذین لا یدرکون عظمتہ و قدرته .

٥٧ - قال ، وقد استأنس بهم : إذا كنتم قد بشرتمونی بهذه البشرى ، فاذا یكون من شأنكم بعدها ، أيہا الذین أرسلکم الله ؟

٥٨ - قالوا : انا أرسلنا الله تعالى إلى قوم أجرموا فی حق الله وحق نبیہم وحق أنفسهم ، من شأنهم الإجمام ، هم قوم لوط ، فسنهلكهم .

٥٩ - ولم یسلم من الإجمام و عذابہ إلا أهل لوط ، فإن الله تعالى قد أمرنا بأن ننجمهم أجمعین .

(١) واضح هنا أن التبشیر لیس بإسماعیل علیہ السلام ، إذ أن إسماعیل كان قد ولد من قبل وكان هو وأمه هاجر بكة ، وما ذكر هنا من التبشیر كان لإبراهیم ، ولامرأته وحينئذ كان یاسحاق لأنه ابن إبراهیم من زوجته سارة .

الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾

٦٠- ولا يستثنى من أهله الا امرأته ، فانها لم تتبع زوجها ، بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب .

٦١- ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لانزال ما توعد به ، بأرض لوط وآله .

٦٢- قال لهم لوط : انكم قوم تنكركم نفسى وتنفر منكم ، مخافة أن تمسونا بشر .

٦٣- قالوا : لا تخف منا ، فاجئناك بما تخاف ، بل جئناك بما يسرك ، وهو انزال العذاب بقومك الذين كذبوك وكانوا يشكون في صدقه أو ينكرونه .

٦٤- وجئناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه ، وهو انزال العذاب ، وان صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله .

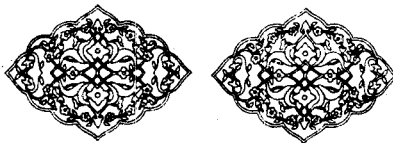
٦٥- إذا كان العذاب نازلا بهم ، فسر ليلا مع أهلك الذين كتبت نجاتهم ، بعد مرور قطع من الليل .

٦٦- وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى لوط : إنا حكنا وقد رنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند دخول الصباح ، ولا يبق منهم أحد .

٦٧- ولما أصبح الصباح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر : ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم جريمتهم الشنيعة ، وهى اتيان الرجال .

٦٨- خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : ان هؤلاء ضيوفى فلا تفضحونى بفعلتكم القبيحة .

٦٩- وخافوا الله تعالى ، فلا ترتكبوا فاحشتكم ، ولا توقعونى فى الخزى والذل أمامهم .



قَالُوا أَوْلَىٰ نَهَكَ عَنِ الْعَالِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَلْسَبِيلُ مُقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠- قال أولئك المجرمون : أولم نهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم ما نشتهي ؟ !

٧١- قال نبي الله لوط ، بينهم إلى الطريق الطبيعي الشرعي : هؤلاء بنات القرية ، وهن بناتي ، تزوجوهن ان كنتم راغبين في قضاء الشهوة .

٧٢- بحق حياتك أيها النبي الأمين ، انهم لفي غفلة عما سينزل بهم ، جعلتهم كالسكارى ! انهم لضالون متحيرون لا يعرفون ما يسلكون .

٧٣- وبينما هم في هذه السكر الغافلة ، استولى على ألباهم صوت شديد الإزعاج ، وقد أشرقت الشمس .

٧٤- ولقد نفذ الله سبحانه حكمه فقال : جعلنا على مدائنهم سافلها بانقضاضها ، وأنزلنا عليهم طينا متحجرا كان ينزل كالطر ، فدورهم تهدمت . وان خرجوا إلى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الحجارة ، وبذلك أحيط .

٧٥- ان في هذا الذي نزل بقوم لوط لسلامة بيته تدل على تنفيذ الله وعيده ، يعرفها الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها . فكل عمل موصوف بالإجرام متمم به ، له مثل هذه النتيجة في الدنيا وفي الآخرة .

٧٦- وان هذه المدينة أثارها قائمة ثابتة ، وهي واقعة على طريق قائم ثابت يسلكه الناس ويعتبر بها من أراد الاعتبار .

٧٧- وان في بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله تعالى وعيده ، يدركه المؤمنون المذعنون للحق .

٧٨- ومثل تكذيب قوم لوط ، كذب أصحاب الفيضة العظيمة ذات الثمرات رسولهم ، وكانوا ظالمين شديدي الظلم في عقائدهم ومعاملاتهم .

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَارٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُخْتَلُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِبُوتَاءٍ أَمِينِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَخْلَقَ الْعَلِيمَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْأَمْثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَانخَفِضْ

- ٧٩ - فأنزلنا تقمنا عليهم ، وان آثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من يمر بديارهم ان كان من أهل الإيمان .
- ٨٠ - ولقد كذب مثل السابقين أصحاب الحجر رسولهم الذى أرسل إليهم . وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة^(١) .
- ٨١ - بينا لهم الحجج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها .
- ٨٢ - وكانوا قوما ذوى منعة وعمران ، فكانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ومن الجبال ، وكانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم .
- ٨٣ - فلما كفروا وجحدوا أتهم أصوات مزعجة منذرة بالهلاك ، فأهلكوا فى وقت الصباح .
- ٨٤ - وما دفع عنهم الهلاك الذى نزل بهم ما كانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون .
- ٨٥ - ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما من فضاء : وما فيها من أناس وحيوان ونبات وجماد ، وغيرهم مما لا يعلمه البشر ، الا بالعدل والحكمة والصلاح الذى لا يتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذى يكون فيه انتهاء الشر أتيا لا محالة ، واصفح أيها النبى الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ، وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصفوح الحليم .
- ٨٦ - ان الله الذى خلقك أيها النبى ورباك ، هو الكثير الخلق ، العليم بحالك وحالمهم ، فهو حقيق بأن تكل إليه أمرك وأمرهم ، وهو الذى يعلم الأصلح لك ولهم .
- ٨٧ - ولقد آتيناك ، أيها النبى الأمين ، سبع آيات من القرآن ، هى الفاتحة التى تكررهما فى كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ، وكمال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والإعجاز ، فأنت بهذا القوى الذى يجدر منه الصفح .

(١) أصحاب الحجر هم ثمود ، والحجر واد بين المدينة والشام .
انظر التعليق العلمى على الآية رقم ٧٣ من سورة الأعراف .

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ

٨٨- لا تنظر أيها الرسول نظرة تمن ورغبة إلى ما أعطيناها من متع الدنيا أصنافا من الكفار المشركين واليهود والنصارى والمجوس ، فانه مستصغر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم ، ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على غيهم وتظامن وتواضع ، وارفق بالذين معك من المؤمنين ، فإنهم قوة الحق وأهل الله .

٨٩- وقل أيها النبي ، للجاحدين جميعا : انى أنا المنذر لكم بعداى الشديد ، والمبين انذارى بالأدلة القاطعة المعجزة .

٩٠- وان هذا مثل انذار أولئك الذين قسموا القرآن إلى شعر وكهانة وأساطير وغيرها ، ولم يؤمنوا به مع قيام الحجة عليهم .

٩١- الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعا متفرقة ، وهو كل لا يقبل التجزئة فى اعجازه وصدقه .

٩٢- وإذا كانت تلك حالهم ، فوالذى خلقك وحفظك ورباك لنحاسبنهم أجمعين يوم القيامة .

٩٣- على أعياهم من إيذاء وجحود واستهزاء .

٩٤- فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت إلى ما يفعله المشركون ويقولونه .

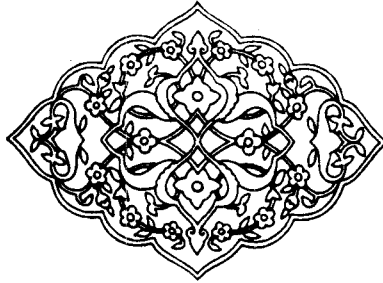
٩٥- وان أولئك المشركين ، الذين يسخرون من دعوتك ، لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دعوتك .

٩٦- أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان ، وسوف يعلمون نتائج شرکهم حين ينزل بهم العذاب الأليم .



نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

- ٩٧- وانا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفس بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة .
٩٨- فإذا أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله تعالى واتجه إليه ، وكن من الخاضعين الضارعين إليه ، واستعن
بالصلاة فإن فيها الشفاء .
٩٩- والتزم عبادة الله الذى خلقك وهو حافظك : حتى يأتى الأمر المستيقن . وهو يوم القيامة والميعاد .



(١٦) سُورَةُ النَّجْلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى

هذه السورة مكية ، ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة منها فإنها مدنية . وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة . ابتدأت السورة الكريمة بتأكيد وعيد الله تعالى للمشركون ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى على تنفيذه ، بدليل خلقه السموات والأرض ، ثم بيان نعمه على الناس كافة بخلق الابل ، وإنبائه الزرع ، وما خلق في البحر من أسماك تؤكل ، وجواهر اللزينة . ثم أشار إلى ما تستوجب هذه النعم من شكره سبحانه ، ووجوب عبادته وحده ، واستقبال المشركون للدعوة إلى الوحداية ، وافتراءهم على القرآن الكريم ، وادعاء أنه من أساطير الأولين . ثم أشار سبحانه إلى عذاب المشركون يوم القيامة ، ونعيم المؤمنين ، ثم ذكر سبحانه انكار المشركون للبعث ولجأتهم في الإنكار ، ويستنكر سبحانه جحودهم ببيان قدرتهم ، ويؤكد وعده للمتقين ووعيده لهم ، ثم يقرب البعث ببيان قدرته عليهم ، وخضوع الوجود كله له سبحانه ، وبيان أنه سبحانه هو الذى يكشف ، وبيان خرافات المشركون في اعتقادهم القدرة فيمن لا يملك نفعا ولا ضرا ، وسوء رأيهم في المرأة طفلة وامرأة . وأشار سبحانه إلى الرسل السابقين وساق سبحانه العبر في خلقه وتكوينه للأشياء وما فيها من نعم للإنسان ، وتفاوت الأرزاق من أن يكون للغنى فضل على الفقير ، ونعمه على الإنسان في خلقه ذكرا أو أنثى والأنسال بالزواج منها . وأخذ يضرب سبحانه الأمثال لبيان قدرته ، ثم وجه الأنظار إلى عظم المخلوقات الدالة على عظمة الخالق وفائض نعمه ، ومقابلة المشركون هذه النعم الجليلة . وبعد أن بين مطالب الإسلام في العدل وصلة الرحم بالوفاء بالمعهد واعجاز القرآن ، وكفر المشركون به وافتراءهم عليه ، أشار سبحانه إلى حال المشركون يوم القيامة . وبين كيف كانوا يحملون ومحرمون من غير حجة ، وأشار إلى اليهود الذين يقاربون المشركون ، وبين أنه يجب ألا يعاقبوا الا بالمثل وأن على المؤمنين أن يصبروا وأن يلتزموا التقوى والإحسان .

١ - تأكدوا أيها المشركون أن ما توعدكم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لا شك فيه ، فلا تستهزئوا باستعجال وقوعه ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يعبد من دونه ، وعما تشركون به من آلهة لا تقدر على شيء .

مَن يَسْأَلْ مِن عِبَادِهِ أَنِ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
 وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا
 بَلِيغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأُنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

٢ - ينزل الملائكة بما يحمي القلوب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده ، ليعلموا الناس أنه لا إله

يعبد بحق إلا أنا . فابتعدوا عما يفضيني ويعرضكم للعذاب ، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب .

٣ - خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف في شيء من ملكه ،

أو يستحق أن يعبد مثله .

٤ - خلق كل فرد من أفراد الانسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهى النطفة ، فإذا به انسان قوى مجادل

عن نفسه ، مكافح لخصومه ، مبین لهجته .

٥ - وقد تفضل الله عليكم أيها العباد ، فخلق لكم الابل والبقر والضأن والمعز لتتخذوا من أصوافها

وأوبارها وأشعارها ما تستدفنون به ، ومن لحومها تأكلون ما يحفظ حياتكم .

٦ - ولكم فيها بهجة وسرور ، حين ترونها راجعة من مراعيها ملأى البطون والضروع ، وحين تذهبون إلى

الحقول والمراعى تسرع الخطا إلى غذائها .

٧ - وتحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه بدونها إلا بتحميل أنفسكم أقصى

جهدها ومشقتها .. ان ربكم الذى هيا ذلك لراحتكم لشديد الرأفة بكم ، واسع الرحمة لكم .

٨ - وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها ، فتتخذوا منها زينة تدخل السرور على قلوبكم ، وسيخلق

ما لا تعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات ، مما سخره الله لبنى الانسان ، إذا استخدم عقله وفكر به واهتدى

إلى استخدام كل القوى .

٩ - وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يبين لكم الطريق المستقيم الذى يوصلكم إلى الخير ، ومن الطريق

ما هو مائل منحرف لا يوصل إلى الحق ، ولو شاء هدايتكم جميعا هداكم وحملكم على الطريق المستقيم ، ولكنه خلق

لكم عقولا تدرك ، واردة توجه . وترككم لاختياركم .

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَا كُرًّا فِي الْأَرْضِ مَحْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ تَكْوَانًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُ لِحِمَارٍ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيبًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
 مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَيْسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا

١٠ - هو الذى أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه ينبت من الشجر ، وفي هذا الشجر ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتقدم باللبن واللحوم ، والأصواف والأوبار والأشعار .

١١ - ينبت لكم بالماء الذى ينزل من السماء الزرع الذى يخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعنانب ، وغيرها من كل أنواع الثمرات التى تأكلونها غير ما ذكر ، ان فى ايجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهم ويفكرون فى القدرة التى أوجدتها .

١٢ - وسخر لكم الليل إذ جعله مهياً لراحتكم . والنهار إذ جعله مناسباً لسعيكم وحركتكم وأعمالكم ، والشمس إذ تقدم بالدفء والضوء ، والقمر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله تهتدوا بها فى الظلمات ، ان فى ذلك لعلامات وأدلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك .

١٣ - وبجوار ما خلقه لكم فى السماء ، وهباً لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيراً من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجعل فى جوفها كثيراً من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك لمنافعكم . ان فى ذلك كله لأدلة واضحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فيتعظون ، ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم ورحمته بهم .

١٤ - وهو الذى ذلل البحر وجعله فى خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طرياً طازجاً ، وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . وترى أيها الناظر المتأمل السفن تجرى فيه شاقة مياهه تحمل الأمتعة والأقوات . سخره الله لذلك لتنتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هبها لكم ، وذلك لخدمتكم .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ^٤ وَالنَّجْمِ^٥ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَنُيَخْلَقُكُمْ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتَانًا يَلْبَسُهُمَا^٦ فَيُدْعَانِ إِلَىٰ آلِهَاتِهِمَا^٧ وَإِنَّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَأَمْحُوهَا^٨ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُعْتَبَرُونَ^٩ أَمْ لَا يُعْتَبَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتَانًا يَلْبَسُهُمَا^{١٠} فَيُدْعَانِ إِلَىٰ آلِهَاتِهِمَا^{١١} وَإِنَّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَأَمْحُوهَا^{١٢} إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرٌ أَنَّهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

١٥ - وجعل الله في الأرض جبالا ثابتة تحفظها أن تضطرب ، وجعل فيها أنهارا تجري فيها المياه الصالحة للشرب والزرع ، وطرقا ممهدة لتهتدوا بها في السير إلى مقاصدكم .

١٦ - وجعل علامات ترشد الناس في أثناء سيرهم في الأرض ، وهم في ذلك يسترشدون في أثناء سيرهم بالنجوم التي أودعها السماء إذا عميت عليهم السبل والتبست معالم الطرق^(١) .

١٧ - هل يستوى في نظر العقل السليم التسوية بين القادر والعاجز فيجعل من يخلق هذه الأنبياء كمن لا يستطيع خلق أى شيء ؟ أنعمون أيها المشركون عن آثار قدرة الله . فلا تعتبروا وتشكروا عليها الله ؟

١٨ - وان تحاولوا عد أنعم الله عليكم لا يمكنكم احصاؤها ، ان الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فتوبوا إليه وأخلصوا العبادة له ، يغفر لكم ويرحمكم .

١٩ - والله يدرك بعلمه الشامل ما تخفون ، وما تظهرون ، لا يخفى عليه شيء من سركم وجهركم .

٢٠ - هذا الخالق المنعم العالم بكل شيء ، هو وحده المستحق للعبادة ، أما الأصنام التي تعبدونها ، فهي عاجزة لا تستطيع أن تخلق شيئا ، ولو كان ذبابا . . بل هي نفسها مخلوقة ربما صنعتوها بأيديكم .

٢١ - وهي جمادات ميتة لا حس لها ولا حركة ، ولا تدرى متى تكون القيامة والبعث لعابديها ، فلا يليق بكم أيها العقلاء بعد هذا أن تظنوا أنها تنفعكم فتشركوها مع الله في العبادة .

٢٢ - وقد وضع بكل هذه الدلائل أن الهكم الذى يجب أن تعبدوه وحده إله واحد لا شريك له ، ومع ذلك فالذين لا يؤمنون بالبعث والحساب قلوبهم منكرة لوحدانيته منعهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له .

(١) انظر التعليق العلمى على الآية ٩٧ من سورة الأنعام .

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأْتَى اللَّهُ بَنِيئَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ آيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَفْتُونَ فِيهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ نَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ۗ فَأَلْقَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ

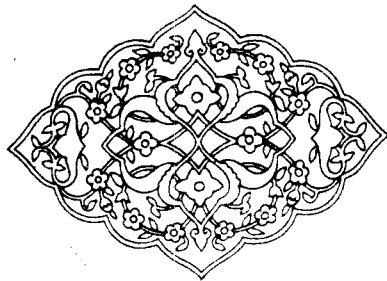
٢٣ - لا شك أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، من عقائد وأقوال وأفعال ، وسيحاسبهم على كل ذلك ، ويعاقبهم على استكبارهم ، لأنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له .

٢٤ - وإذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرون : أى شيء أنزله ربكم على محمد ؟ قالوا في عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو إلا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فنقلها وصار يرددها .

٢٥ - قالوا ذلك ، ليمصدوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة أمرهم أنهم يعذبون يوم القيامة عذاب ضلالهم كاملا ، وعذاب بعض الناس الذين خدعهم وغرروا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث ! . تنبه أيها السامع لتقبح ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها !

٢٦ - وقد سبق هؤلاء الكافرين المتكبرين أمثال لهم ، دبروا المكائد لأنبيائهم ، واحتالوا في اضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار في الدنيا من حيث لا يتوقعون !

٢٧ - ثم فى الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أعمالهم ، ويوقفهم الله موقف الخزى والعار ، حين يفضحهم ويظهر ما كانت تخفيه صدورهم . ويقول لهم : أين هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة ؟ وكنتم تحاربونى ورسلى فى سبيلهم ؟ أين هم حتى يمدوا لكم العون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جوابا ! وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة ان الخزى اليوم والعذاب المسوء واقعان على الجاحدين .



بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾
 * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
 وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نَتَقَوْهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ

٢٨ - الحزى على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم . وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وبارتكاب السوء ، واستسلموا بعد طول العناد إذ علموا حقيقة جرمهم ، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم : ما كنا في الدنيا نعمل شيئا من المعاصي !.. فنقول لهم الملائكة والأنبياء : كلا انكم كاذبون ، وقد ارتكبتم أفظع المعاصي ، والله سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه في دنياكم ، فلا يفيدكم انكاركم !

٢٩ - ويقال لهم بعد ذلك ، مآلكم دخول النار والعذاب فيها عذابا مؤبدا لا ينقطع ، وقبحت جهنم دارا ومقاما لكل متكبر على الانقياد إلى الحق والايان بالله ورسله .

٣٠ - وقيل للذين آمنوا بالله واتقوا ما يفضبه من قول أو فعل أو عقيدة ما الذى أنزله ربكم على رسوله ؟ قالوا : أنزل عليه القرآن .. فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا ، فكانوا بذلك من المحسنين . والله سبحانه يكافئ المحسنين بحياة طيبة في هذه الحياة الدنيا ، ويكافئهم في الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه في الدنيا . ولنعم الدار التى يقيم فيها المتقون في الآخرة .

٣١ - وهى جنات ثابتة للاتامة ، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون من النعيم ، ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل المتقين الذين آمنوا به ، واتقوا ما يفضبه ، وأحسنوا عملهم .

٣٢ - وهم الذين تقيض أرواحهم الملائكة ، وهم طاهرون من دنس الشرك والمعاصي ، وتقول الملائكة تطمينا لهم : أمان من الله لكم ، فلا يصيبكم بعد اليوم مكروه ، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة في دنياكم .

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطُّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدْيَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا

٣٣ - هؤلاء هم المتقون الذين استعدوا لآخرتهم ، وذلك جزاؤهم ، أما المشركون ، فإنهم بعنادهم وبقائهم على
 شركهم ، لا ينتظرون إلا الملائكة تقبض أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر ، ويأتيهم عذاب ربك
 بإهلاكهم جميعا . ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المعاندون ، فعل الذين سبقوهم في ذلك مع أنبيائهم فعاقبهم الله على
 فعلهم ، ولم يكن ظلما لهم حين عاقبهم ، ولكنهم هم الذين ظلّموا أنفسهم حين عرضوا لعذاب الله بكفرهم .

٣٤ - فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات ، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به .

٣٥ - وقال الذين أشركوا عنادا ومغالطة : لو شاء الله أن نعبد وحده ونطيعه فيما يأمر به لما عبدنا غيره ،
 ولما حرمتنا من عندنا ما لم يحرمه ، كالبحيرة والسائبة وهي حجة باطلة يستندون عليها في كفرهم . وقد احتج بها من
 سبقوهم من الكفار ، بعد ما أرسلنا إليهم رسلنا ، فأمرهم بالتوحيد وطاعة الله ، ونهوهم عن الشرك وعن تحريم ما لم
 يحرمه الله ، فقامت عليهم الحجة ، وأدى رسلنا ما أمرناهم بتبليغه ، وعلينا نحن حسابهم ، وليس على الرسل شيء بعد
 ذلك .

٣٦ - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليقول لهم : اعبدوا الله وحده . واجتنبوا كل طاغية مفسد ، فبلغهم
 وأرشدهم : ففريق استمع إلى الارشاد وتقبله ، فهده الله بحسن استعداده إلى الطريق المستقيم ، وفريق أعرض عن
 سماع الحق فحق عليه أن يسير في الطريق المنحرف عن الصواب ، فأنزل الله به العذاب . وإذا كنتم في شك من
 هذا يا مشركي مكة ، فسيروا في الأرض ، قريبا منكم ، فانظروا وتأملوا كيف حل بالمكذبين ، من عاد وثمود وقوم
 لوط ، عذاب الله ؟ وكيف كانت عاقبة أمرهم خسرانا وهلاكا ؟ !

٣٧ - ان تكن حريصا أيها النبي على هداية المشركين من قومك ، باذلا معهم أقصى ما في جهدك ، فلا تهلك
 نفسك حزنا إذا لم يتحقق ما تريد ، فقد تحكمت فيهم الشهوات ، والله لا يجبر على الهداية من اختاروا الضلال
 وتمسكوا به لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم ، وسيلقون جزاءهم عذابا عظيما ، ولا يجحدون لهم يوم القيامة من
 ينصرهم ويحميهم من عذاب الله .

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُرْأَلِيَّةَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

٣٨ - وقد أضاف المشركون إلى شركهم بالله انكارهم ليوم القيامة ، فأقسموا بالله غاية طاعتهم في القسم ، وأكذبا أن الله لا يبعث من يموت ! وهم كاذبون في قسمهم ، وسيبعثهم الله جميعا ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله عهده ، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله في خلق هذا العالم وأنه لم يخلقه عبثا ، ولا عن حسابه في الآخرة ومجازاته .

٣٩ - وإن من عدل الله في خلقه أن يبعثهم جميعا بعد موتهم ، فيظهر لهم حقائق الأمور التي اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم الكافرون أنهم كانوا مخطئين في اتخاذهم شركاء لله ، كاذبين في قسمهم أن الله لا يبعث من يموت ، ويليق كل من الفريقين جزاءه على علم به وبأسبابه .

٤٠ - وليس بعث الناس يوم القيامة بعسير علينا حتى يستعبده هؤلاء الكفار ، لأننا إذا أردنا شيئا لا يحتاج إيجاده إلا أن نقول له : كن ، فيكون كما نريد .

٤١ - والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، واخلاصا لعقيدتهم ، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب من المشركين ، لتعويضهم في الدنيا على اخلاصهم واحتمالهم للعذاب ، حياة طيبة حسنة لا تأتي إلا بالجهاد ، وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم في الجنة أعظم ، لو كان المظالمون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم ..

٤٢ - وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحملوه من عذاب في سبيل عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم إلى الله وحده ، غير مباليين بما سواه ، ومن أجل هذا أحسنا لهم الجزاء .

٤٣ - وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل ارسالك إلى أمك ، أي النبي ، إلا رجالا نوحى إليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك . فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية ، ان كنتم لا تعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعا ما كانوا إلا رجالا لا ملائكة .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَهُمْ بَمَعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَتَفَبَّهُوا ظُلْمًا ۗ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

٤٤ - وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم ، وأنزلنا عليهم الكتب تبين لهم شرعهم الذي فيه مصلحتهم ، وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ، وتدعوهم إلى التدبر فيه ، رجاء أن يتدبروا فيتعتظوا ويستقيم أمرهم .

٤٥ - فكيف يصح بعد كل هذا أن يتأذى المشركون في عنادهم ، ويتدبروا المكابد للرسول ؟ هل أغراهم حلم الله بهم ، فاعتقدوا أنهم في مأمن من عذاب الله ، فلا يحسف بهم الأرض كما فعل بقارون ؟ أو يأتيهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بشمود وهم لا يدرون أين نزل !

٤٦ - أو يهلكهم في أثناء تنقلهم في الأرض للتجارة بعيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الإفلات من عقاب الله ، لأنه لا يعجزه شيء يريد .

٤٧ - أو ينزل بهم العذاب في أنفسهم وأموالهم رويدا رويدا ، وهم في كل لحظة في عذاب من الخوف منه والترقب لوقوعه ، فلا تتأدوا أيها المشركون وتفتروا بتأخير عقوبتكم ، فقد اقتضت رأفة الله الشاملة ورحمته الواسعة ألا يعاجلكم بالعقوبة في الدنيا ، كي تتفكروا وتتدبروا لأنه سبحانه رؤوف رحيم ..

٤٨ - أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم ، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القائمة ، تنتقل ظلها ، وتمتد تارة يمينا وتارة شمالا ، تابعة في ذلك لحركة الشمس نهارا والقمر ليلا ، وكل ذلك خاضع لأمر الله ، منقاد لأحكام تدييره ، لو تدبر المشركون هذا ، لعلموا أن خالقه ومدبره هو وحده المستحق للعبادة والخضوع ، القادر على اهلاكهم لو أراد .

٤٩ - لله وحده - لا لغيره - يخضع وينقاد جميع ما خلقه في السموات وما دب على الأرض ومشي على ظهرها من مخلوقات ، وفي مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته (١) .

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم في تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب في مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها ، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقته .

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَإِنِّي فَارِهِبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا سَكَرُوا لِضُرِّهِ فَلَإِيهِ يَجْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْطَلَّنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ

٥٠ - وحالهم أنهم دائما على خوف من ربهم القادر القاهر، ويفعلون ما يأمرهم به .

٥١ - وقال الله : لا تعبدوا اثنين، وتجعلوهما الهين، لأن الشركة في العبادة تنافي وحدانية الخلق والتكون،
إنما المعبود بحق إله واحد، فخافوني ولا تخافوا غيري .

٥٢ - وله وحده ما في السموات والأرض خلقا، وملكا وعبيدا . فحقه دون غيره أن يعبد ويحمد، ويخضع له
وترجى رحمته ويخاف عذابه .

٥٣ - وأي شيء جاءكم من النعم فهو من الله وحده، ثم إذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم
إلا إليه .

٥٤ - ثم إذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم، نسي بعضكم حق الله عليه من التوحيد واخلص
العبادة له، فيشركون بمخالقهم ومربيهم ويعبدون معه غيره .

٥٥ - ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم انكار فضلنا على ما أعطيناهم فتمتعوا أيها الكافرون بما لا تؤدون
حق شكره، فسوف تعلمون عاقبة الكفر .

٥٦ - ويجعل المشركون لأوثانهم، التي يسمونها بغير علم آلهة، نصيبا يتقربون به إليها، من الرزق الذي
أعطيناها إياه من الحرث والأنعام وغيرها لأسألكم وعزقي، أيها المشركون، عما كنتم تختلفونه من الكذب وتفترونه
من الباطل، وأجازيكم عليه .

٥٧ - ويجعلون لله ما يكرهون، فيزعمون أن الملائكة بنات، ويعبدونها تنزه الله عن ذلك ! ويجعلون لأنفسهم
ما يحبون، وهم الذكور من الأولاد .

أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ؕ أَيُّسِرُّكُمْ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْرِفُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَسْنَتَهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

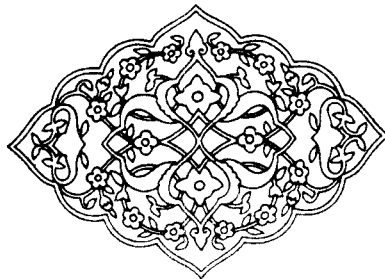
٥٨ - وهم إذا خبر أحدهم بأنه ولدت له أنثى ، صار وجهه مسودا من الحزن وهو مملوء غيظا يكظمه .

٥٩ - يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لتلا يروا كآبته من الأثم الذي أصابه من وجود المولود الذي أخبروه به ، وتستولى عليه حيرة : أيقية حيا مع ما يلحقه من الهوان على ذلك في زعمه ؟ أم يدفنه في التراب وهو حى حتى يموت تحته ؟ تنبه أيها السامع لفظاعة عمل هؤلاء ألا قبح حكهم الذي ينسبون فيه لله ما يكرهون أن ينسب إلى أنفسهم .

٦٠ - للذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من نواب وعقاب الحلال التي تسوء ، وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الاناث ، والله الصفة العليا ، وهو الغنى عن كل شيء ، فلا يحتاج إلى الولد ، وهو الغالب القوى الذى لا يحتاج إلى معين .

٦١ - ولو يعجل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم ، ما ترك على ظهر الأرض دابة ، ولكنه بجله وحكمته يؤخر الظالمين إلى وقت عينه ، وهو وقت انتهاء أجالهم ، فإذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة كما لا يتقدمون عليه لحظة .

٦٢ - وينسب المشركون إلى الله ما يكرهون أن ينسب إليهم من البنات والشركة ، وتنطق أسنتهم الكذب إذ يزعمون مع ذلك أنهم ، كما أن لهم في الدنيا الغنى والسلطان ، لهم عند الله العاقبة الحسنى ، ان بعنوا ، وهى الجنة . لاشك أن لهم النار ، وأنهم مسوقون إليها قبل غيرهم .



أَعْمَلُهُمْ فَهَوِ لِيهِمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْتَقِيمُ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا
 لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

٦٣ - تأكد أيها النبي اننا أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك يمثل ما أرسلناك به إلى الناس جميعا ، فحسن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصي فكذبوا رسلهم ، وعصوهم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم في الدنيا يزين لهم ما يضرهم ، وهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

٦٤ - وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين به للناس الحق فيما كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذي أنزله .

٦٥ - والله أنزل من السماء ماء يحمله السحاب ، فجعل الأرض منبتة فيها حياة ، بعد أن كانت قاحلة لا حياة فيها . ان في ذلك لدليلا واضحا على وجود مدبر حكيم^(١) .

٦٦ - وان لكم أيها الناس في الابل والبقر والغنم لموعظة تعتبرون بها وتتقلون في هداها من الجهل إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونسقيكم من بعض ما في بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهل التناول للشاربين^(٢) .

٦٧ - ومن ثمرات النخيل والأعناب التي أنعمنا بها عليكم ومكانكم منها تتخذون عصيرا مسكرا غير حسن ، وطعاما طيبا حسنا ، ان في ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم .

٦٨ - وأهم ربك ، أيها النبي ، النحل أسباب حياتها ، ووسائل معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتا في كهوفها ، ومن فجوات الشجر ، ومن عرائش المنازل والكروم بيوتا كذلك .

(١) ينزل الماء من السماء إلى الأرض ليذيب عناصرها التي تمتصها النباتات وتحول إلى خلايا حية وأنسجة .
 (٢) توجد في ضروع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن تدها الأوعية الشريانية بمخلصة مكونة من الدم ، والكيلوز ، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طعاما ، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين : الدم والكيلوز ، وتفرز عليها عصارات خاصة تحيلها إلى لبن يختلف في لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منها .

لَا يَأْتِيَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تِجَارَةٌ يُتْرَقُ فِيهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْجَنَّةَ يَتَزَوَّجُونَ مِمَّن كَفَرُوا فَتَذَرُ الْكُفْرَ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٩ - ثم هداها، سبحانه، للأكل من كل ثمرات الشجر والنبات، وسهل لها أن تسلك لذلك طرقا هياها لها ربهامذلة سهلة، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ان في ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم، ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة^(١).

٧٠ - والله خلقكم، وقدر لكم أجالا مختلفة، منكم من يتوفاه مبكرا. ومنكم من يبلغ أزدل العمر فيرجع بذلك إلى حال الضعف، إذ تأخذ حيويته في الضعف التدريجي، فيقل نشاط الخلايا وتهن العظام والمضلات والأعصاب فتكون عاقبته أن يفقد كل ما عليه. ان الله عليم بأسرار خلقه، قادر على تنفيذ ما يريد.

٧١ - والله فضل بعضكم على بعض في الرزق. فجعل رزق السيد المالك أفضل من رزق مملوكه، فما الذين كثر رزقهم من السادة بمعطين نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم، حتى يصيروا مشاركين لهم في الرزق على حد المساواة. وإذا كان هؤلاء الكفار لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في الرزق الذي جاء من عند الله، مع أنهم بشر مثلهم، فكيف يرضون أن يشركوا مع الله بعض مخلوقاته فيما لا يليق إلا به تعالى، وهو استحقاق العبادة؟ فهل تستمر بعد كل هذا بصائر هؤلاء المشركين مطموسة، فيجحدوا نعمة الله عليهم بإشراكهم معه غيره.

٧٢ - والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس، فيؤمنون بالباطل، ويجحدون نعمة الله المشاهدة، وهي التي تستحق منهم الشكر، وإخلاص العبادة لله^(٢).

(١) يتركب عسل النحل من كمية كبيرة من الجلوكوز والفرنفوز وهو أسهل أنواع السكريات في الهضم، وثبت في آخر الأبحاث الطبية أن الجلوكوز مفيد في كثير من الأمراض ويعطى بطريق الحقن والغم والشرج، بصفته مقويا، ويعطى ضد التسمم في مختلف المعادن وضد التسمم الناشئ من أمراض الأعضاء، مثل التسمم البولي والصفراء، وغيرها، كما ثبت أنه يحتوي على نسبة عالية من الفيتامينات خصوصا فيتامين ب المركب.

(٢) الزواج رابطة مقدسة، وهو أصل الأسرة التي هي نواة الأمة والمجتمع، والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان كما أودعت في غيره من أنواع الحيوان، ولولا الزواج الذي هو تنظيم مقدرة الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتساوى الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان في سبيل تلبية الفطرة عن طريق الفوضى والشيوخ، وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سواه الله وأودع فيه العقل والفكر وفضله على كثير من خلقه واستخلفه الأرض.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ
 الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ
 رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
 أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ

٧٣ - ويعبدون غير الله من الأوثان وهي لا تملك أن ترزقهم رزقا - أى رزق - ولو قليلا سواء كان هذا
 الرزق آتيا من جهة السماء كالماء أم خارجا من الأرض كثمر الأشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل
 شيئا من ذلك ولا أقل منه !

٧٤ - وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم ، فلا تذكروا الله تعالى أشباها ، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة ،
 وتشبيهات غير صحيحة ، تعبدونها معه ! ان الله يعلم فساد ما تعملون ، وسيجازيكم عليه ، وأنتم في غفلة لا تعلمون
 سوء مصيركم !

٧٥ - جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون ، هو عبد مملوك لا يقدر على فعل شيء ، وحر رزقه الله رزقا
 طيبا حلالا ، فهو يتصرف فيه ، وينفق منه في السر والجهرا ! هل يستوى العبيد الذين لا يقدرون على شيء ،
 والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون ؟ ان الله مالك كل شيء ، فهو يتصرف في ملكوته كما يريد ، وغيره
 لا يملك أى شيء فلا يستحق أن يعبد ويحمد ، الثناء كله حق لله وحده ، والتزويه له وحده ، وله العلو وحده ، لأن
 كل خير صدر عنه ، وكل جميل مرده إليه ، ولا يفعل هؤلاء ما يفعلون عن علم ، وإنما يفعلون ما يفعلون تقليدا
 لرؤسائهم ، بل أكثرهم لا يعلمون ، فيضيفون نعمه إلى غيره ، ويعبدونه من دونه !

٧٦ - وجعل الله مثلا آخر هو رجلان : أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره : كل على من يلى أمره ،
 إذا وجهه سيده إلى جهة ما لا يرجع بفائدة . هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع . يأمر بالحق
 والعدل ، وهو في نفسه على طريق قوم لا عوج فيه ؟ ان ذلك الأخرس الذى لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم
 ولا يفهم ، هو مثل الأصنام التى عبدوها من دون الله ، فإنها لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ، فلا يمكن أن تستوى مع
 السميع العليم الداعى إلى الخير والحق ، وإلى الطريق المستقيم .

= وإذا كان الوضع الإلهي للإنسان في هذه الحياة يقضى بتنظيم الفطرة الخاصة بالزواج سوا به عن فوضى الحيوان ، فإن الإنسان من
 جهة أخرى مطبوع على حب البقاء ، وإذا كان لا سبيل له إلى بقاءه بذاته وهو يؤمن بذلك من صنع الله في آياته وأجداده وسائر الأحياء
 فإنه يرى أن سبيله إلى البقاء إنما هو في نسله المعروف ، إليه يراه امتدادا لبقائه واستمرارا وخلودا .
 ولعل من أوضح ما يملأ فطرته به قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من
 الطيبات) .

إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ

٧٧ - لله وحده علم ما غاب عن العباد في السموات والأرض ، وما أمر مجيء يوم القيامة ، وبعث الناس فيه ، عند الله في السرعة والسهولة ، إلا كرد طرف العين بعد فتحها ! بل هو أقرب سرعة من ذلك . ان الله عظيم القدرة لا يعجزه أى شيء .

٧٨ - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئاً مما يحيط بكم ، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وسائل للعلم والادراك ، لتؤمنوا به عن طريق العلم ، وتشكروه على ما تفضل به عليكم (١) .

٧٩ - ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيران في الهواء إلى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تبسطها وتقبضها ، وسخر الهواء لها ، فامسكهن في الجو إلا الله بالنظام الذى خلقها عليه ؟ ان في النظر إليها والاعتبار بحكمة الله في خلقها ، لدلالة عظيمة ينتفع بها المستعدون للايمان (٢) .

٨٠ - والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على انشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن ، وجعل لكم من جلود الابل والبقرة والغنم وغيرها أخبية تسكنون فيها وتنقلونها في حللكم وترحالكم ، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشاً تتمتعون بها في هذه الدنيا إلى حين آجالكم .

(١) اثبت الطب الحديث أن حاسة السمع تبدأ مبكرة جداً في حياة الطفل في الأسابيع القليلة الأولى ، أما البصر فيبدأ في الشهر الثالث ، ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الشهر السادس ، أما الفؤاد وهو الإدراك والتمييز ، فلا يتم إلا بعد ذلك . وهكذا فالترتيب الذى جاءت به آيات القرآن الكريم هو ترتيب ممارسة هذه الحواس .

(٢) الطيور تطير لعدة أشياء في تكوينها : أهمها شكل الجسم الانسيابي ، والبسطة في الأجنحة المزودة بالريش ، والعظام المحسوفة الخفيفة ، والأكياس الهوائية بين الأحشاء ، وهى متعلقة بالرتين ، وتقتله بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .

يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى

٨١ - والله جعل لكم من الأشجار التي خلقها وغيرها ظللا تقيكم شر الحر، وجعل لكم من الجبال كهوفا ومغارات تسكنون فيها كالبيوت، وجعل لكم ثيابا من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تصونكم من حرارة الشمس، ودروعا من الحديد تصونكم من قسوة حرور أعدائكم، كما جعل لكم هذه الأنبياء، يتم عليكم نعمته بالدين القيم، لتتقادوا لأمره وتخلصوا عبادتكم له دون غيره!

٨٢ - فإن أعرض عنك أيها النبي الذين تدعوهم إلى الاسلام، فلا تبعه عليك في اعراضهم، فليس عليك إلا التبليغ الواضح، وقد فعلت..

٨٣ - ان اعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله سبحانه هو مصدر كل النعم عليهم ولكنهم يعملون عمل من ينكروها حيث لم يشكروه عليها، وأكثرهم حمد على تقليد الآباء في الكفر بالله، حتى كان أكثرهم هم الجاحدون.

٨٤ - وحذر أيها النبي كل كافر بربه مما سيحصل، يوم نبعث من كل أمة نبيا ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها، وإذا أراد الكافر منهم أن يعتذر لا يؤذن له في الاعتذار، ولا يوجد لهم شفيع يمهّد لشفاعته، بأن يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم، لأن الآخرة ليست دار توبة.

٨٥ - وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم، وطلبوا أن يخففه الله عنهم، لا يجاب لهم طلب، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة.

٨٦ - وإذا رأى الذين أشركوا آلهتهم التي عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا: يا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين، فخفف عنا العذاب بالقاء بعضه عليهم، فيجيئهم شركاؤهم قائلين: انكم أيها المشركون لكاذبون في دعواكم اننا شركاء، وأنكم عبدتمونا، إنما عبدتم أهواءكم ولسنا كما زعمتم شركاء.



اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَادَنَّهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا
عَلَى هَتُولَاءِ ﴿٨٩﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٩٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضَتْ عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا نَحْنُذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ

٨٧ - حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ما كانوا يختلفونه من أن معبوداتهم تشفع لهم ، وتدفع العذاب عنهم .

٨٨ - الذين كفروا ومنعوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ، زداناهم عذابا فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر ، بسبب ما كانوا يتعمدون من الافساد واضلال العباد .

٨٩ - وحذر أيها النبي ، كفار قومك مما سيحصل يوم نحضر من كل أمة شهيدا عليها ، هو نبيها الذي يكون بين أبنائها ، ليكون ذلك أقطع لعذرها ، ونجىء بك أيها النبي شهيدا على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن يعتبروا من الآن قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق ، وفيه الهداية وفيه الرحمة والبشرى بالنعيم ، للذين يذعنون له ويؤمنون به .

٩٠ - ان الله يأمر عباده بأن يعدلوا في أقوالهم وأفعالهم ، ويقصدوا إلى الأحسن من كل الأمور فيفضلوه على غيره ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ، خصوصا الذنوب المفرطة في القبح ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم إلى الصالح من أموركم ؛ لعلكم تتذكرون فضله في حسن توجيهكم ، فتمثلوا كلامه .

٩١ - وأوفوا بالعهد التي تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله على الوفاء بها ، مادام الوفاء متسقا مع ما شرعه الله ، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها ، بعد تأكدها بذكر الله ، وبالعزم أو بالتنصيم عليها ، وقد راعيت في عهدكم وحلفكم أن الله يكفل وفاءكم ، وأن الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهدكم وأيمانكم ، لأن الله سبحانه يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف وبر وحنث ، فيجازيكم على ما تفعلون .

تَكُونُ أُمَّةً مِثْلَ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّةٍ إِنْ مَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِءٌ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
 وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ

٩٢ - ولا تكونوا في الحنث في ايمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التي تفرز الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنتفضه وتركه محلولا ، متخذين ايمانكم وسيلة للتفريغ والحداع لغيركم ، مع انكم مصرون على الغدر بهم ، لانكم أكثر وأقوى منهم ، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم ، أو لترجوا زيادة القوة بالقدر وإنما يختبركم الله ، فإن أترتم الوفاء كان لكم الغنم في الدنيا والآخرة ، وإن اتجهتم إلى الغدر كان الخسران . . وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم تختلفون عليه في الدنيا ، ويجازيكم حسب أعمالكم^(١) .

٩٣ - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة في الجنس واللون والايان ليس بينها تخالف ، وذلك بخلقكم خلقا آخر ، كالملائكة لا اختيار لها ، ولكن شاء الله أن تختلفوا في الأجناس والألوان ، وأن يحصل لكم اختيارا ، فن اختار شهوات الدنيا وأثرها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا الله بالعمل الصالح سهل له ما أراد . وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا ، وتجازون حسب أعمالكم .

(١) هاتان الآيتان تدلان على أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالمعهد وأن العلاقات الدولية لا تنظم إلا بالوفاء بالمعهد وأن الدول الإسلامية إذا عقدت عهدا فإنما تعقده باسم الله فهو يتضمن بين الله وكفاله ، وتدل الآية على ثلاثة معان لو نفذتها الدول لساد السلم .

أولها : أنه لا يصح أن تكون المعاهدات سبيلا للخديعة وإلا كانت غشا ، والغش غير جائز في العلاقات الإنسانية سواء كانت علاقات أحاد أم علاقات جماعات ودول .

ثانيتها : أن الوفاء بالمعهد قوة في ذاته وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من أسباب القوة فيكون كالحصاة التي تفك غزوها بعد تقويته وتوثيقه .

ثالثها : أنه لا يصح أن يكون الباعث على نكث العهد الرغبة في القوة أو الزيادة في رقعة الأرض أو نحو ذلك .

عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا ۖ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَ كُرٍ يَنْفَعُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۖ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ

٩٤ - ولا تسلكوا سبيل الغدر، فتتخذوا الأيمان سبيلا للتفريز والمخدبة، فإنه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن المهجة المستقيمة ويكون في ذلك اعراض عن سبيل الله في الوفاء، وتكونون قدوة سيئة في الغدر، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للاسلام، فيعرضون عنه، وينزل السوء بكم في الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق، وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الإيلام.

٩٥ - ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهود المؤكدة متاع الدنيا، فهو قليل منها كان كثيرا، لأن ما عند الله، من جزاء المحافظين على العهد في الدنيا، ومن نعيم الآخرة الدائم، خير لكم من كل ما يغريكم بنقض العهود، فتدبروا ذلك وافهموه ان كنتم من أهل العلم والتمييز بين الصالح وغير الصالح، ولا تفعلوا إلا ما فيه صلاح لكم في دنياكم وأخراكم.

٩٦ - فإن ما عندكم أيها الناس من نعيم ينفذ وينتهى معها طال زمنه، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لا ينقطع، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكاليف بما وعدناهم به. من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم، ينعمون به نعيما دائما في الآخرة.

٩٧ - ان من عمل عملا صالحا في هذه الدنيا، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مندفعا إلى هذا العمل الصالح بقوة الايمان، بكل ما يجب الايمان به، فإننا لا بد أن نحياه في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا والشكر على نعم الله فيها، وفي الآخرة لا بد أن نجزي هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم في الدنيا.

٩٨ - وان الذي يحمي النفس من نزعات الهوى هو القرآن، فإذا تدبرت هذا أيها المؤمن وأردت أن تحيا بعيدا عن تلاعب الشيطان، وتفوز بطيب الحياة في الدارين، فاني أرشدك إلى أمر يعينك على هذا، وهو قراءة القرآن، وإذا أردت قراءة القرآن، فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص إلى الله أن يمنع عنك وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله، الذي يطيب له أن يفرر بالناس ويوقعهم في عصيان الله.

٩٩ - فإنك ان فعلت هذا مخلصا لله، حماك الله منه، وبعدت عنك وساوسه، لأنه ليس له تأثير على الذين عمرت قلوبهم بالايمان بالله، واستمداد العون منه وحده، والاعتقاد عليه.

عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ تَزَلَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أُعْجِبُكُمْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا

١٠٠ - إنما تأثيره وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأثيره ، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه ، حتى أوقعهم في أن يشركوا بالله في العبادة آلهة لا تضر ولا تنفع .

١٠١ - وإذا جعلنا معجزة لك بدل معجزة مساوية لنبي سابق ، فجتناك بالقرآن معجزة ، رموك بالافتراء والكذب على الله ، والله وحده هو العليم علما ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات ، ولكن أكثرهم ليسوا من أهل العلم والمعرفة الصادقة .

١٠٢ - قل لهم مبينا منزلة معجزتك أيها النبي ، ان القرآن قد نزل على من ربي مع جبريل الروح الطاهر ، مقترنا بالحق ، مشتتلا عليه ، ليثبت به قلوب المؤمنين ، وليكون هاديا للناس إلى الصواب ومبشرا بالنعيم كل المسلمين .

١٠٣ - اننا لنعلم ما يقوله كفار مكة : انه لا يعلم محمدا هذا القرآن إلا رجل من البشر نصرته ، هو شاب رومي ، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول ، قولهم هذا باطل ، لأن الشاب الذي يقولون عنه أنه يعلمك هذا التعليم أعجمي لا يحسن العربية ، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة ، إلى حد أنك عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها ، فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم ؟ .

١٠٤ - ان الذين لا يدعون لآيات الله التي عجزوا عن محاكاتها ، وأصروا مع عجزهم على كفرهم بها ، لا يهديهم الله ، ولهم في الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم .

١٠٥ - إنما يجروا على افتراء الكذب على الله من لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم وحدهم بالفنون في الكذب نهايته ، ولست أيها النبي من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به .

مَنْ أٰكْرَهٗ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّٰهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَآ جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَآجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَدِّلٌ عَنۢ نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ

١٠٦ - ان الذين ينطقون بالكفر بعد الايمان ، عليهم غضب من الله ، إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر ، وهو عامر القلب بالايمان ، فإنه ناج من غضب الله أما الذين تتشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم ألسنتهم فأولئك عليهم غضب شديد من الله الذي أعد لهم عذابا عظيما في الآخرة .

١٠٧ - وذلك الذي استحقوه من غضب الله وعذابه ، انما كان بسبب حبهم الشديد لتعيم الدنيا ومتاعها الزائل ، حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماهم عن الخير ، فتركهم الله وما يحبون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته في خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتقاديمهم في الباطل .

١٠٨ - هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم فلم يعودوا يسمعون سماع فهم وتدبر ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما في الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغارقون في الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم إلا إذا أزالوا الغفلة عن عقولهم .

١٠٩ - وهؤلاء لاشك أنهم وحدهم هم الخاسرون لكل خير في الآخرة .

١١٠ - ثم اعلم أيها النبي أن ربك معين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ، وصبروا على مشاق التكاليف ، وعلى ما يلاقونه في سبيل دينهم ، ان ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم ان تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمِمَّا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَالِغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السُّنْتُورُ الْكُذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا

١١١ - اذكر لقومك أيها النبي، محذرا إياهم، يوما يأتي فيه كل إنسان لا يهجم إلا الدفاع عن نفسه، لا يشغله عنها والد ولا ولد، وهو يوم القيامة، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ما كسبت من أعمال، خيرا كانت أم شرا، ولا يظلم ربك أحدا.

١١٢ - وجعل الله سبحانه لأهل مكة مثلا يعتبرون به هو قصة قرية من القرى، كان أهلها في أمن من العدو، وطمانينة من ضيق العيش، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان، فجحدوا نعم الله عليهم، ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره، فعاقبهم الله بالمصائب التي أحاطت بهم من كل جانب، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن، وذلك بسبب تماديهم في الكفر والمعاصي.

١١٣ - ولقد جاءهم رسول منهم، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم، وبسبب هذا الظلم.

١١٤ - إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبيدها بؤسا، فاتجهوا أيها المؤمنون إلى الشكر، وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولا تحرموه على أنفسكم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده ان كنتم تخلصونه حقا بالعبادة.

١١٥ - فإن الله لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة، والدم الذي ينزل من الحيوان عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، فمن ألجأته ضرورة الجوع إلى تناول شيء مما حرمه الله عليكم، غير طالب له، ولا يتجاوز في أكله حد ازالة الضرورة، فإن الله لا يؤاخذ على ذلك، لأنه سبحانه غفور لعباده يفر لهم ما يقعون فيه من أخطاء لا يصرون عليها، رحيم بهم حين منعهم مما يضرهم، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم.

عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَنَعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ

١١٦ - وإذا كان الله قد بين حكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تجرءوا على التحليل والتحرير انطلاقاً وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال ، وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا أنكم تفترون على الله الكذب ، وتسبون إليه ما لم يقبله ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بخير ولا فلاح .

١١٧ - وإذا كانوا يجرون بذلك وراء شهواتهم ومنافعهم الدنيوية ، فإن تمتعهم بها قليل زائل ، ولم في الآخرة عذاب شديد .

١١٨ - ولم تحرم إلا على اليهود وحدهم ما قصصناه عليك أيها النبي من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، إلا ما حملت ظهورها ، أو الحوايا أو ما اختلط بالعظام . وما ظلمناهم بهذا التحريم ، ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسبيهم فيه بسبب تقديهم وشهرهم وعدم وقوفهم عند الحلال .

١١٩ - ثم ان الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تدبر العواقب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فإن ربك أيها النبي يفر لهم ذنوبهم ، لأنه سبحانه بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن السيئات ، واسع الرحمة بالعباد .

١٢٠ - ان ابراهيم الذي تفخرون أيها المشركون أنتم واليهود كان جامعاً لكل الفضائل ، بعيداً عما أنتم عليه من باطل ، خاضعاً لأمر ربه ولم يكن مثلكم مشركاً به .

١٢١ - وكان شاكراً لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلك طريق الحق المستقيم الموصل للنعم الدائم .

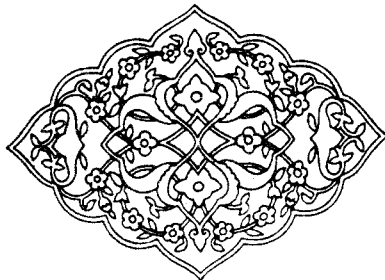
١٢٢ - وجعلنا له في الدنيا ذكراً حسناً على كل لسان ، وسيكون قطعاً في الآخرة في زمرة الصالحين المنعمين بجنات الله ورضوانه .

أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِنَا إِحْسَنًا مِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

١٢٣ - ثم أوحينا إليك - أيها النبي - بعد ابراهيم بقرون عديدة ، وأمرناك باتباع ابراهيم فيما دعا إليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الأديان الباطلة ، فإنه لم يكن من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون .

١٢٤ - وليس تعظيم يوم الجمعة ، وترك تعظيم يوم السبت في الاسلام ، مخالفا لما كان عليه ابراهيم كما يدعى اليهود ، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراماً له لم يكن من شريعة ابراهيم ، وإنما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يحترموه ، بل خرج بعضهم على هذا التعظيم ، وخالفوا أمر ربهم فكيف يعيرون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه ، مع أنهم وهم المكلفون بذلك خرجوا عليه ؟ وتأكد أيها النبي أن ربك سيقضى بينهم يوم القيامة في الأمور التي اختلفوا فيها ، ويجازى كلا منهم بعمله .

١٢٥ - أيها النبي : ادع إلى طريق الحق الذي شرعه ربك مع قومك ، واسلك في دعوتهم الطريق الذي يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم منهم بما يناسبهم من ايراد المواعظ ، وضرب الأمثال التي توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التي لا يشوبها عنف ولا أسباب حتى تتمكن من اقناعهم واستمالتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذي يعلم من غرق في الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، ومن سلم طبعه فاهتدى وأمن بما جئتم به .

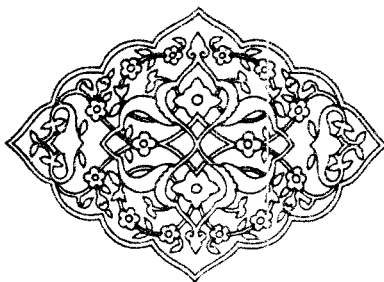


فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢٦ - وان أردتم عقاب من يعتدى عليكم أيها المسلمون ، فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولا تتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا أنكم لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم في الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم .

١٢٧ - واصبر أنت - أي النبي - فإن ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويعالج مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك ، وإيمانهم بك ، ولا يضيق صدرك من مكرهم وتديراتهم لحقق دعوتك ، فإنك لن يضرك شيء من فعلهم ، وقد أدبت ما عليك واتقيت ربك .

١٢٨ - فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتتاب نواهيهم ، وأحسنوا لله أعمالهم بالاقبال على طاعته ، يعينهم وينصرهم في الدنيا ويجزيهم خير الجزاء في الآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَخْتَدُوا مِنْ دُونِي

تشتمل هذه السورة الكريمة على احدى عشرة آية ومائة ، وهي سورة مكية ماعدا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ومن آية ٧٣ إلى ٨٠ ، فجموع الآيات المدنية اثنتا عشرة آية ، ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى ، ثم ذكرت الاسراء ، ثم رسالة موسى ، وما كان من بنى اسرائيل . ثم أشارت إلى منزلة القرآن الكريم في الهداية ، وإلى الآيات الكونية في الليل والنهار . وما يكون للناس يوم القيامة من جزاء على ما يقدمون من أعمال في الدنيا . وبين سبحانه أسباب فساد الأمم ، وحال الأفراد في مساعيهم ونتائج أعمالهم في الآخرة ، وجاءت الآيات من بعد ذلك باكرام الوالدين ، وحال الناس بالنسبة لأموالهم ، وجاءت بأوامر عشرة فيها بناء المجتمع الفاضل ، ثم رد سبحانه مفتريات المشركين بالنسبة للملائكة ثم بين القرآن تصريفه في الحجج .

ثم أشار سبحانه إلى ما يستحق من تحميد ، وإلى جحود المشركين ، وقدم سبحانه وصايا للمؤمنين ، وبين معاملته تعالى للكافرين في الدنيا وفي الآخرة . ثم بين سبحانه أصل الخليفة الانسانية والشيطانية وهدد سبحانه المشركين بآياته ، وبين بعد هذا سبحانه الكرامة الانسانية ، وذكر سبحانه بعداب يوم القيامة ثم ذكر محاولة المشركين لصرف النبي عن دعوته وتثبيت الله تعالى له وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك النبي بعدة وصايا هادية ، وأدعية ضارعة ، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى منزلة القرآن الكريم ، وتكلم سبحانه عن الروح وأشار إلى أسرارها ، ثم ذكر سبحانه اعجاز القرآن وعجز الجن والانس عن أن يأتوا بمثله ، وموقف الناس منه . وبين سبحانه قدرته على أن يأتي بآيات أخرى ، ثم بين منزلة القرآن فيما اشتمل عليه من الحق وحال المؤمنين الصادقين في ايمانهم ، وما ينبغى من أن يحمدا الله دائما ويكبروه .

١ - تنزيها لله عما لا يليق به ، وهو الذي سار بعبدته محمدا في جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذي باركنا حوله لسكانه في أوقاتهم ، لزيه من أدلتنا ما فيه البرهان الكافي على وحدانيتنا وعظم قدرتنا ، ان الله وحده هو السميع البصير .

وَكَيْلًا ﴿٢١﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ جَاسِقًا خَلَّلَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٢٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢٥﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٢٦﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ

٢ - وان بيت المقدس كان يسكنه بنو اسرائيل من بعد موسى ، حتى أفسدوا فيه ، فشردوا منه من قبل ، مع
أنا أعطينا موسى التوراة ، وجعلنا فيها هداية لهم ، وقلنا لهم لا تتخذوا غير الله من تفوضون إليه أموركم .
٣ - أنتم أيها الاسرائيليون ذرية المخلصين الذين كانوا مع نوح في الفلك بعد ايمانهم ونجبتهم من الفرق .
اجعلوا نوحا قدوتكم كما جعله أسلافكم ، فإنه كان عبدا كثير الشكر لله على نعمته .

٤ - وأنفذنا بقضائنا إلى بنى اسرائيل فيما كتبناه في اللوح المكنون أنهم يفسدون في بيت المقدس لا محالة
مرتين ، في كل مرة منها كان الظلم والظغيان ، وترك أحكام التوراة ، وقتل النبيين ، والتعاون على الاثم . وأنه
ليسط سلطانكم وتعلون مستكبرين ظالمين .

٥ - فإذا جاء وقت عقاب أولاهما سلطنا عليكم ، بسبب افسادكم عبادا لنا أصحاب بطش شديد ، فأخذوا
يسرون في داخل الديار ، لم يتركوا جزءا منها ، ليقتلوكم . وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يكون .

٦ - ثم لما استقام أمركم ، واهديتم ، وجمعتم شملكم ، ورجعتم عن الفساد ، رددنا لكم الغلبة على الذين بعثوا
عليكم ، ورزقناكم أموالا وبنين ، وجعلناكم أكثر مما كنتم عددا .

٧ - وقلنا لهم : ان أحسنتم فأطعمتم الله ، كان احسانكم لأنفسكم في الدنيا والآخرة ، وان أسأتم بالعصيان ،
فإلى أنفسكم تسيئون . فإذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مرق افسادكم في الأرض ، بعثنا عليكم أعداءكم ،
ليجملوا آثار المساءة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم ، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس ، فيخربوه
كما دخلوه وخربوه أول مرة ، وليلهكوا ما غلبوا عليه اهلاكا شديدا .

وَأَنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوْتَآءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مِّنْ أَمْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا

٨ - عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية، ان تبتم، وان عدتم إلى الفساد عدنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكافرين سجنا ومحبساً.

٩ - ان هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التي هي أقوم السبل وأسلمها. في الوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا، ويبشر المؤمنين بالله ورسوله، الذين يدعون للحق ويعملون الأعمال الصالحات، بالأجر العظيم يوم القيامة.

١٠ - وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم في جهنم عذاباً شديداً الأليم.

١١ - وأن في طبع الانسان تعجلاً في الحكم على ما يقع من الناس، وفي أقواله وأفعاله، فهو يسارع بالدعوة إلى الشر مسارعة في الدعوة إلى الخير، ويسارع في دعاء الله تعالى بأن ينزل الشر على من يبادر بالغضب عليه مسارعة بالدعاء له بالخير.

١٢ - وجعلنا الليل والنهار بهيئاتها وتعاقبها علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شيء، وكانت علامته ظلاماً لا تسرى فيه الشمس، تلك العلامة الكبرى، وجعلنا النهار مبصراً، وترى فيه الشمس الآية الكبرى للتجهوا في ضوء النهار إلى التصرف في معاشكم، ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد للسنين وحساب الأشهر والأيام وكل شيء لكم فيه مصلحة بيناه لكم بيانا واضحا، لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة.

١٣ - وألزمنا كل انسان عمله لزوم القلادة للنعق، ونخرج له يوم القيامة كتابا فيه أعماله، يلقاه مفتوحا، ليسرع في قراءته.

١٤ - ويقال له: اقرأ بقدره الله - ولو لم يكن في الدنيا قارئاً - كتاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحاسبة عليك عملك.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُنَّ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَتُولَاءُ وَهَتُولَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

١٥ - من اتبع طريق الحق فإنما ينفع نفسه ، ومن حاد عنه فإنما اثم ضلاله على نفسه ، ولا تحمل نفس مذنبه فوق ذنبها ذنب نفس أخرى ، وما صح لنا أن نعذب أحدا على فعل شيء قبل أن نبعث إليه رسولا من لدنا يهدي إلى الحق ويردع عن الباطل .

١٦ - وإذا قدرنا في اللوح المحفوظ أهلاك اهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا ، سلطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها ، وخرجوا عن جادة الحق ، واتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا ، وبذلك يحق عليها كلها العقاب ، فندمرها تدميرا شديدا .

١٧ - وكثيرا من أهل القرون من بعد نوح أهلكتناهم بتمردهم على أنبيائهم ، ويكفيك بيان ربك واعلامه ، لأنه العالم بكل شيء علما دقيقا كعلم من يبصر ، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها ، فلا يخفى عليه أفعال أحد من العباد وسيجازهم بما يستحقون .

١٨ - من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له ، متخذًا الأسباب ، ولا يوقن بيبعاد ، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة ، عجلنا له في الدنيا ما نشاء تعجيله من البسط والسعة ، وكان هذا لمن نريد التعجيل له ، ثم أعدنا له في الآخرة جهنم يقاسى حرها وهو مذموم بما قدم ، هالك مطرود من رحمة الله .

١٩ - ومن أراد بعمله الآخرة ، ولها عمل ، وهو مصدق بالله وجزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه .

٢٠ - وانا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا ، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد ، مؤمنا كان أو كافرا ، ما داموا قد اتخذوا الأسباب .

عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿٢٢﴾
 * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
 لَهُمَا آفٌ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
 وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ
 الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِنْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾

٢١ - انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض ، في المال والحياة والسعة ، إذا اتخذوا أسباب ذلك في الدنيا ، لحكمة نعلمها وأن تفاوتهم في الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم في الدنيا ، فينبغي الاعتناء بها ، فالآخرة هي التي تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيقي .

٢٢ - لا تجعل أيها المكلف مع الله شريكا ، فتصير موصوما بالاهانة ، ويكون الخذلان مكتوبا عليك .

٢٣ - وحكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبأن تبروا الوالدين برا تاما ، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عند أيها المخاطب حال الضعف وصارا في آخر العمر ، فلا تتأفف لما يصدر منها بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لها قولا جميلا لينا فيه احسان وتكريم لها .

٢٤ - وألن لها جانبك وتواضع لها وكن شفيقا عليها ، وقل في شأنها : رب ارحمها كما رحمتني حين رباني صغيرا .

٢٥ - ربكم أيها الناس أعلم منكم بما في ضمائركم ، ومحاسبكم عليه بالثواب أو العقاب فإن تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ، ثم كانت منكم هفوة ، ثم أنبتم إلى الله ، فإن الله سبحانه يغفر لكم ، لأنه دائم المغفرة للراجعين إليه .

٢٦ - وأعط ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ من البر والصلة ، وذا الحاجة المسكين ، والمسافر الذي انقطع عن ماله ، حقها من الزكاة والصدقة ، ولا تبعثر مالك في غير المصلحة تبذيرا كثيرا .

٢٧ - لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونها للفساد والانفاق في الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائما ، وصاحبه مثله .

٢٨ - وان أرغمتك أحوالك المالية على الاعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تعطهم لعدم وجود ما تعطيمهم في الحال ، مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولا حسنا يؤملهم فيك .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۗ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الِّمُسْتَقِيمِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

٢٩ - ولا تمسك يدك عن الانفاق في الخير، وتجعلها كأنها مربوطة في عنقك بغل من الحديد لا تقدر على مدها، ولا تبسطها كل البسط بالاسراف في الانفاق، فتصير مذموما على الامسك نادما أو منقطعا لشيء عندك، بسبب التبذير والاسراف.

٣٠ - ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، لأنه خير بطائعهم بصير بحوائجهم، فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب.

٣١ - وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع، لأننا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم، ان قتلهم كان اثما عظيما.

٣٢ - ولا تقربوا الزنى، بمباشرة أسبابه ودواعيه، لأنه رذيلة واضحة القبح، وبشس طريقا طريقه.

٣٣ - ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا قتلا يكون للحق، بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة، ومن قتل مظلوما، فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من القاضى، فلا يجاوز الحد في القتل، بأن يقتل غير القاتل، أو يقتل اثنين بواحد، فإن الله نصره وأوجب له القصاص أو الدية، فلا يصح أن يتجاوز الحد.

٣٤ - ولا تصرفوا في مال اليتيم الا بالطريقة التي هي أحسن الطرق لتنميته وثماره، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده، وإذا بلغ فسلموه له، وحافظوا على كل عهد التزمتموه، فإن الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه.

٣٥ - وأوفوا الكيل إذا كلتم للمشتري، وزنوا له بالميزان العدل، فإن ايفاء الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، لأنه يرغب الناس في معاملتكم، وأجل عاقبة في الآخرة.

عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُورًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ
 الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ
 رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِلَنِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ
 وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ
 إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

- ٣٦ - ولا تتبع أيها المرء مالا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ، وأنت لم تعلم ، فإن نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة .
- ٣٧ - ولا تمس في الأرض متكبرا مختلا ، فإنك مهما فعلت فلن تحرق الأرض بشدة وطأتك ، ولن تبلغ مها تطاولت أن تحاذي بطولك قم الجبال .
- ٣٨ - كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان القبيح منه من المنهيات مكروها ميقوضا عند ربك .
- ٣٩ - وهو مما أوحاه إليك ربك من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ، ولا تجعل مع الله إلها غيره فتلقى في جهنم ملوما عند نفسك وعند غيرك هالكا مطرودا من رحمة ربك .
- ٤٠ - أنك سبحانه على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أفضلكم ربكم على نفسه ، فخصكم بأقوى الأولاد ، وهم البنون ، واتخذ هو لنفسه من الملائكة بنات بزعمكم ، انكم في قولكم هذا تفترون بهتانا عظيما .
- ٤١ - لقد بينا في هذا القرآن أحسن بيان ضروبا من الأمثال والمواعظ والأحكام ، ليتعظ هؤلاء المشركون ، ولكنهم لتحجر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين إلا شرودا عن الحق .
- ٤٢ - قل أيها النبي ، اظهرا لابطال زعمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة في الوجود كما يقولون ، لطلب هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .
- ٤٣ - تنزه الله تنزها لا تقا به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهة .

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآيَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعًا عَلَىٰ أذُنِهِمْ نَفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

٤٤ - ان السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المخلوقات ، تنزهه وتقدهس ، وتدل باتقان صنعها على كمال ملك الله وتنزيهه سبحانه عن كل نقص وأنه لا شريك له من شيء من المخلوقات في ملكه الواسع الا ينزهه كذلك مع الثناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لاستيلاء الغفلة على قلوبهم ، وكان الله حلما عليهم ، غفورا لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .

٤٥ - وإذا قرأت أيها النبي القرآن الناطق بدلائل الحق ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء ، حين ارادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك عنهم ، فلا يرونك .

٤٦ - وجعلنا بمقتضى حكمتنا في الاضلال والهداية على قلوبهم أغطية ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفي آذانهم صمما ، فلا يسمعون سماع انتفاع ، لأنهم اسرفوا في العناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك في القرآن منفردا عن ذكر آلهتهم ، رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .

٤٧ - نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم اليك ، وهم ذوو مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لغيرهم في مسارتهم : ان اتبعتم فأنتم لا تتبعون إلا رجلا مغلوبا على عقله .

٤٨ - انظر كيف ذكر لك الأشياء ، فشبهوك بالمسحور ، والكاهن ، والشاعر ، فضلوا بذلك عن منهاج الحجاة فلا يستطيعون طريقا إلى الطعن يمكن قبوله ، أو فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقا إليه .

٤٩ - قال المنكرون للبعث : أنبعث إذا صرنا عظاما نخرة ، وقطعا متفرقة ، فنكون خلقا جديدا فيه حياة ؟ ان هذا مالا يدخل العقول .

٥٠ - فقل لهم يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة بحال ، أو حديدا وهو أصلب من الحجارة .

أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ ذَبَابًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

٥١ - أو خلقاً آخر غيرها، مما تنكر قلوبكم قبوله الحياة، لبعثتم، فسيقولون مستبعدين: من يعيدنا؟ فقل لهم: يعيدكم الله الذي أوجدكم أول مرة فسيحركون إليكم رؤوسهم تعجباً، ويقولون استهزاء: متى البعث الذي تعدنا به؟ فقل لهم: أرجو أن يكون قريباً.

٥٢ - وسيكون يوم يبعثكم الله فيه من قبوركم، فتبعثون حامدين ربكم على كمال قدرته وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا زمناً قليلاً، تستقصرون المدة الطويلة في جنب ما أنتم قادمون عليه.

٥٣ - وقل يأها النبي لعبادى المؤمنين، أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التي هي أحسن للاقتناع، ويتركوا الكلام الخشن الذي يتسبب عنه الشر والفساد، فإن الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين، لأنه دائماً عدو للإنسان بين العداوة.

٥٤ - ربكم أعلم بعاقبة أمركم، إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم بعدهم، وما أرسلناك موكولاً إليك أمرهم فتجبرهم على الإيمان، وإنما أرسلناك بشيراً للمصدقين ونذيراً للمكذبين، فدارهم، ومر أصحابك بالاحتمال منهم.

٥٥ - وربك أعلم بكل من في السموات والأرض وبأحوالهم، فيختار منهم لنبوته من يشاء، وقد اختارك لرسالته، فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء في الفضل عنده، جل شأنه، بل بعضهم أفضل من بعض، ولقد فضل النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين، لا بالملك، ففضل داود أنه أوتي الزبور، لأنه أوتي الملك، فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن.



زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّءُوسَ الَّتِي آرَبْتِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ فَآيُزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَيْنَا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

٥٦ - قل هؤلاء الذين يعبدون المخلوقين، ويزعمونهم آلهة من دون الله، ادعوا من تعبدونه إذا نزلت بكم
شدة، أو أخفتم نزولها، وسلوهم في شأنها، فلن تجدوا منهم كشيئا لضرركم، ولا تحويلا له عنكم.

٥٧ - وان هؤلاء المخلوقين الذين يدعوه من يعبدهم يعبدون الله، ويطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة
ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله، ويطمعون في رحمته، ويرهبون عذابه، ان عذاب الله ينفسى أن
يحذر ويخاف.

٥٨ - وقد جرت سنتنا أن نهلك كل قرية ظالمة بمن فيها، أو نعذب أهلها عذابا شديدا بالقتل وغيره، فليحذر
ذلك قومك، فقد جرى بذلك قضاؤنا، وسطر في كتابنا.

٥٩ - لقد اقترح عليك قومك أن تأتيهم بالآيات والمعجزات، ولم يقنعوا بما أتاهم مما يقنع ذوى الأبواب، وقد
جرت سنتنا مع من يقترح الآيات، ثم يجاب إليها ولا يؤمن بها، أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين. ومنهم
ثمود، إذ اقترحوا آيات، فكانت الناقة معجزة مضيئة نيرة واضحة مجلية للشك والريب، فكفروا بها، فكان ما كان
من أمرهم، وكان من حكمة الله ألا يجيب قومك إلى ما طلبوا، خشية أن يكفروا بها، ويرجى منهم من يؤمن أو يلد
من يؤمن. والآيات انما نرسل بها إلى الناس تخويفا وارهابا.

٦٠ - واذكر أيها النبي حين قلنا لك: ان ربك أحاط بالناس، فهم في قبضة قدرته، فبلغهم ولا تخف أحدا
فهو يعصمك منهم، وما جعلنا ما عاينته ليلة الاسراء من العجائب إلا امتحانا واختبارا للناس، يزداد به ايمان
المؤمن وكفر الكافر، وما جعلنا الشجرة المذمومة في القرآن، وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم،
الا اختبارا لهم أيضا، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبت؟ ونحوفهم بها، فا يزيدهم تخويفا انما تجاوزوا
للحد الكبير.

قَالَ أَتَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ مَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُم بِصُورَتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مِمَّا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكَ الَّذِي يُرْسِلُ لَكَ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

٦١ - وان الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين ابن آدم وابلis ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفور ، الا ابلis امتنع وقال منكرا : كيف أسجد لمن خلقته من طين وأنا من نار فأنا خير منه .

٦٢ - قال ابلis : أخبرني يارب عن هذا الذي كرمته علي ، بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي وأنا خير منه ؟ وعزتك لئن أخرتن حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالاغواء ، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

٦٣ - قال له المولى تهديدا واستدرجا : امض لشأنك الذي اخترته لنفسك ، فن أطاعك من ذرية آدم فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء واقرا كاملا .

٦٤ - واستخف واستنزل بدعائك إلى معصية الله من استطعت منهم ، وأفرغ جهدك في جميع أنواع الاغراء ، وشاركهم في كسب الأموال من الحرام وصرفها في الحرام ، وتكفير الأولاد واغرائهم على الافساد ، وعدم المواعيد الباطلة كشفاعة ألتهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يعد الشيطان أتباعه الا بالتفريير والتمويه .

٦٥ - أما عبادي المخلصون لي ، فليس لك على اغوائهم قدرة ، لتوكلهم على ربهم ، وكفى به ناصرا يستمدون منه العون في الخلاص منك .

٦٦ - ربكم هو وحده الذي يجرى لكم السفن في البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . انه دائم الرحمة بكم .

٦٧ - وإذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر في البحر ، غاب عنكم كل من تدعونه في حواتجكم من الأصنام ، إلا الله وحده ، فانكم لا تذكرون سواه ، فلما نجاكم من الفرق ، وأخرجكم إلى البر ، أعرضتم عن توحيديه وكفرتهم النعمة ، وشأن الانسان دائما جحد النعمة .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرَّ وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُرْفِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
 فَيُفْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرَّ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ
 فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى
 فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
 وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَتِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَىٰ آلِهِمْ شَيْخًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

٦٨ - وإذا نجوتكم بمخروجكم إلى البر، أفأمنت من عذاب الله؟ كلا إن شاء قلبكم جانبا من البر فهلتم تحتها، وإن شاء أرسل عليكم ريحا شديدة ترميكم بالحصى والحجر، فلا تجدون حافظا مما يصيبكم.

٦٩ - أم أمنت أن يعيدكم ربكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم قاصفا من الريح يكسر فللكم؟ فيفرقكم بسبب جحودكم نعمته حين أنجاهم أولا، ثم لا تجدوا لكم علينا من يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم.

٧٠ - ولقد كرّمنا أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتحير الأشياء، وأعطيناهم الكرامة والعزة إن أطاعوا، وحملناهم في البر على الدواب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من المستلذات، وفضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلا عظيما.

٧١ - واذكر أيها النبي لقومك، يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذي يعرفون به، أو زعيمهم من رئيس اتبعوه، أو نبي، أو كتاب، فيقال: يا أهل موسى، يا أهل القرآن، وهكذا ليتسلموا كتب أعمالهم، فن أعطى كتاب أعماله بيمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرءون كتبهم مبتهجين ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء.

٧٢ - وأما الفريق الآخر، فيغمه ما يرى، وتسد عليه مسالك النجاة، ويعمى عن كشف ضره، كما كان أعمى في الدنيا عن طريق الحق والرشاد، ومن كان في الدنيا أعمى، فهو أشد في الآخرة، وأبعد عن سبيل الخير.

٧٣ - وإن المشركين يتفنون في محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات، وتكون كالمفتري علينا، وحينئذ يتخذونك صاحباً لهم، وإن هذه المحاولات قد تكررت وكثرت، وكان من شأنها أن تقرّبك مما يريدون، ولكنك رسولنا الأمين.

٧٤ - وقد شملك لطفنا، فصرناك عن الاستجابة لهم، وثبتناك على الحق، ولولا ذلك لأوشكت أن تميل إلى استجابتهم، طمعا في أن يكمل إيمانهم يوما إذا دخلوا في أوائل الإسلام.

الْحَيَوَةَ وَضَعَفَ أَمَمَاتٍ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِطْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ

- ٧٥ - ولو قاربت الركون اليهم ، لجمعنا عليك عذاب الدنيا ، وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيرا علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك أبدا لأنه ممتنع على رسولنا الأمين .
- ٧٦ - ولقد حاول كفار مكة ، وكادوا أن يزعموك من أرض مكة بعداوتهم ومكرهم ، ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منها إلا زمنا قليلا ، ثم يغلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .
- ٧٧ - وذلك كطريقنا في الرسل قبلك ، من اهلاك من أخرجوا نبهم ، ولن تجد لطريقنا تبديلا .
- ٧٨ - أقم الصلاة المفروضة ، من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب ، إلى ظلمة الليل ، وهذه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر التي تشهدا الملائكة .
- ٧٩ - وتيقظ من نومك في بعض الليل ، فتعبد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجاء أن يقيمك ربك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلاق .
- ٨٠ - وقل : يارب أدخلني ادخلا مرضيا كريما في كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، واخرجني منه اخراجا مرضيا كريما ، واجعل من فضلك قوة تنصرفي بها على أعدائي .
- ٨١ - وقل منذرا قومك المشركين : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، وذهب الباطل والشرك والدين الفاسد والظلم ، ان الباطل مضمحل زائل دائما .
- ٨٢ - وكيف لا يقوى الحق ، ونحن نزل من القرآن ما هو شفاء لما في الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لكفرهم به .

الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَعَا بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحْتِهَا نَاجِيَةٌ فَتُنْفِجِرَ الْأَنْهَارَ

٨٣ - وان في طبع الانسان الفرور والقنوط ، فإذا أنعمنا عليه بالصحة والسمة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، وبعد عنا بنفسه تكبرا وتعاطفا ، وإذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .

٨٤ - قل أيها النبي لكفار قريش ، رغبة عن اثاره الشر والجدال : كل منا ومنكم يعمل ويسير على طريقته ، فربكم علم علمها ليس فوقه علم بمن هو أوضح طريقا واتباعا للحق فيؤتبه أجره موفورا ، ومن هو أضل سبيلا فيعاقبه بما يستحق .

٨٥ - ويسألك يا محمد قومك ، بإيعاز من اليهود ، عن حقيقة الروح ، قل : الروح من علم ربي الذي استأثر به ، وما أُوتيتم من العلم إلا شيئا قليلا في جنب علم الله تعالى .

٨٦ - ولئن أردنا أن نمحو من صدرك القرآن الذي أوحينا اليك ، لفعلنا ثم لا تجد من يقوم لك وينصرك .

٨٧ - ولكن أبقينا رحمة من ربك لأن فضله في هذه المعجزة كان عليك عظيما .

٨٨ - قل لهم متحديا أن يأتوا بمثله ، وانهم ليعجزون ، لئن اجتمعت الانس والجن ، وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في نظمه ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم يظهر بعضا .

٨٩ - ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس في هذا القرآن ، من كل معنى هو كالمثل في غرابته ، فأبى أكثر الناس الا الجحود والانكار .

٩٠ - ولما ظهر اعجاز القرآن ، ولزمتهم الحجمة ، اقترحوا الآيات والمعجزات ، فعل المهجوج المبهوت المتحير ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عينا لا ينقطع ماؤها .

خَلَقَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِفَاؤًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانُ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُتَمَمِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمْ وَصْمًا ۖ مَا وَنَهُم جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدَانُهُمْ ۗ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهم بَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْذَا كَأَظْمًا وَرَفَلْنَا أَوْنًا لِّمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

٩١ - أو يكون لك بمكة بستان من نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا كثيرا .

٩٢ - أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعا كما زعمت أن الله توعدنا بذلك ، أو تأتي بالله والملائكة تقابلهم معاينة ومواجهة .

٩٣ - أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب ، أو تصعد في السماء ولن نصدقك في هذه الحال إلا إذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقرؤه ، قل لهم : أنزه ربي عن أن يتحكم فيه أحد ، أو يشاركه في قدرته ، ما كنت إلا بشرا كسائر الرسل ، ولم يأتوا قومهم بآية إلا باذن الله .

٩٤ - وما منع مشركي مكة أن يدعنوا للحق حين جاءهم الوحي مقرونا بالمعجزات الا زعمهم جهلا منهم أن الله تعالى لا يبعث رسلا من البشر بل من الملائكة .

٩٥ - قل ردا عليهم : لو كان في الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالآدميين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم ، ولكن الملائكة لا يكونون كالشركاء ، ولو كانوا لجاهوا في صورة البشر .

٩٦ - وقل ان أنكرتم رسالتي فكفى الله حاكما بيني وبينكم مقرررا صدق رسالتي إليكم انه كان بعباده عالما بأهوائهم بصيرا بأفعالهم وهو مجازهم عليها .

٩٧ - وقل لهم : من يهده الله لحسن استعداده فهو المهتدي ، ومن يضلله لفساد طبعه ، فلن تجد له أنصارا غيره يهدونهم في الدنيا ، ونحشرهم في الآخرة مسحوبين على وجوههم لا ينظرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، ومكانهم الذي يأوون إليه جهنم ، كلما ضعف هيبها زادها الله تلهيا واشتعالا .

٩٨ - ذلك العذاب جزاؤهم ، بسبب كفرهم بالأدلة التي أتناها لهم على الحق ، وقولهم : أنبعث خلقا جديدا بعد أن نصير عظاما ورفاتا؟ .

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّارْتِيَابٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ نَسْفُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ نَبِيُّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ

٩٩ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض، مع عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم من الانس والجن، ومن هو قادر على ذلك، كيف لا يقدر على إعادتهم، وهي أهون عليه، وقد جعل سبحانه لإعادتهم بعد الموت أجلا محمدا لاشك في حصوله، وهو يوم القيامة، ومع ذلك أبي الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، بعد اقامة هذه الحججة إلا جحودا.

١٠٠ - قل هؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رزق ربي، لبخلتم خشية الفقر، لأن الانسان مطبوع على شدة الحرص والبخل، والله هو الغني الجواد، يمنح ما شاء لمن يشاء، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس؟ وهو في ذلك كله حكيم عليم.

١٠١ - ولو أوتي هؤلاء من الآيات ما اقترحوا، لصرفوها عن وجهها، ولم يؤمنوا بها، ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات^(١) ومع ذلك كفروا، وقال فرعون: انى لأظنك مسحورا يا موسى.

١٠٢ - قال موسى: لقد علمت يا فرعون أن الذي أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض لأنه هو الذي يقدر عليها وهي واضحات تبصرك بصدق، ولكنك تكابر وتعااند، وانى لأظنك يا فرعون هالكا إذا لم ترجع عن عنادك.

١٠٣ - فتأدى فرعون في طغيانه، فأراد أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر، فأغرقناه مع جنوده جميعا.

١٠٤ - ونجينا موسى وقومه، وقلنا، من بعد اغراق فرعون، لبني اسرائيل: اسكنوا الأرض المقدسة بالشام، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى، جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل.

(١) هذه الآيات التسع: ١ - العصا - ٢ - اليد البيضاء - ٣ - الطوفان - ٤ - الجراد والضفادع والقمل والدم - ٥ - الجذب ونقص الثمار - ٦ - فلق البحر - ٧ - انبجاس الماء من الحجر - ٨ - نطق الجبل كأنه ظلة - ٩ - خطابه لربه.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلآذْقَانِ سُبْحًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
 رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَجْرُونَ لِلآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعَا
 الرَّحْمَنِ أَيُّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾
 وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبُرَ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

١٠٥ - وما أنزلنا القرآن الا مؤيدا بالحكمة الالهية : التي اقتضت انزاله ، وهو في ذاته وما نزل الا مشتملا على الحق كله ، فعقائده هي الصحيحة ، وأحكامه هي المستقيمة . وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشرا من آمن بالجنة ، ونذيرا لمن كفر بالنار ، فليس عليك شيء إذا لم يؤمنوا .

١٠٦ - وقد فرقنا هذا القرآن ، ونزلناه منجما على مدة طويلة ، لتقرأه على الناس على مهل ليفهموه . نزلناه شيئا بعد شيء تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

١٠٧ - قل لكفار مكة تهديدا لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون ، من الايمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والادراك السليم من قبل نزوله ، إذا يتلى عليهم يقعون على الوجوه سجدا ، شكرا لله على نعمته .

١٠٨ - ويقولون تنزه ربنا عن خلف الوعد الذي وعد به من نعيم وعذاب ، ان وعده كان حاصلًا لا محالة .

١٠٩ - ويقعون ثانيا على الوجوه سجدا باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعا لله .

١١٠ - قل لهؤلاء المشركين : سمو الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنى ، ولا شبهة لكم في أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . وإذا قرأت القرآن في صلاتك ، فلا ترفع صوتك به ، لئلا يسمع المشركون فيسيبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا في قراءتك .

١١١ - وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك في الملك ، لأنه وحده منشئه ، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذل لحقه ، وعظم ربك تعظيما يليق به .

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْعِشْرَةُ وَمَا فِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

هذه السورة مكية ، ما عدا الآية ٣٨ والآيات التي تبتدىء من ٨٣ إلى ١٠١ ففيها عشرون آية مدنية . وقد
ابتدأت بحمد الله تعالى لانزاله القرآن الكريم ، وبيان أن القرآن هو الانذار والتبشير ، وفيه انذار الذين ادعوا أن
الله ولدا ، وفيها ذكر حرص النبي ﷺ على ايمان الذين يدعوهم بدعاية الله ثم ذكر قصة أهل الكهف الذين رقدوا
ثم بعثوا بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وهو عدد من النصارى فروا من ظلم الحاكم
الرومانى ، ورقدوا في الكهف تلك المدة ثم بعثوا للدلالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت .

ثم بعد ذلك أمره الله بأن يتلو القرآن ، وينذر به ويبشر ، ثم بيان حال أهل الجنة فيها وأهل النار ، وضرب
الله مثلا لرجلين أحدهما غنى يعتز بماله وبنيه ، والثاني يعتر بالله ، وبين سبحانه أن ولايته هي الحق ، ثم بين سبحانه
زينة الحياة الدنيا الفانية ، ثم ما يكون يوم القيامة من نعيم مقيم أو عذاب أليم ، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع
العبد الصالح الذى أوقى علما من الله . وفى هذه القصة يصور ما يجهله الانسان ولو كان نبيا مرسلا من أولى العزم
من الرسل من قدرة الله إلا إذا آناه الله علمه . ثم يمجىء ذكر ذى القرنين ووصوله إلى أقصى الشرق وبنائه للسد ،
ثم يوم القيامة وما يكون فيه ، وجزاء المؤمنين ، وعلم الله تعالى وكلماته التي لا تنفذ ، وختمت السورة ببيان الطريق
لارضائه سبحانه .

١ - الثناء الجميل مستحق لله تعالى الذى أنزل على عبده محمد القرآن ، ولم يجعل فيه شيئا من الانحراف
عن الصواب ، بل كان فيه الحق الذى لا ريب فيه .

٢ - وجعله قيا مستقيا فى تعاليمه لينذر الجاحدين بعذاب شديد صادر من عنده ، ويبشر المصدقين الذين
يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابا جزيلا .

٣ - هو الجنة خالدين فيها أبدا .

اللَّهُ وَلَدًا ④ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ⑤ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑥
 فَلَعَلَّكَ بَلِخِغِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ⑦ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ⑧ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
 لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑨ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑩ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ⑪ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
 مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ⑫ فَضَرْبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑬ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنُ
 لِمَا لَبِئْتُوا أَمْدًا ⑭ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ⑮ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ

٤ - وينذر على وجه الخصوص الذين قالوا عن الله انه اتخذ ولدا، وهو المنزه عن أن يكون كالحوادث يلد أو يولد له .

٥ - وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فاعظم الافتراء في هذه الكلمة التي تجسروا على اخراجها من أفواههم ! ما يقولون إلا افتراء ليس بعده افتراء .

٦ - لا تهلك نفسك - أيها النبي - أسفا وحزنا على اعراضهم عن دعوتك غير مصدقين بهذا القرآن .

٧ - انا قد خلقناهم للخير والشر، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها، لنعاملهم معاملة المختبر ليظهر منهم الأصالح عملا، فن استهوته الدنيا ولم يلتفت إلى الآخرة ضل، ومن آمن بالآخرة اهتدى .

٨ - وانا لمصيرون عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء عامرة بظواهر الحياة .

٩ - لقد أنكر الذين استهوتهم الدنيا بزيتها البعث، مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل، وهذه قصة أهل الكهف في الجبل واللوح الذي رقت فيه أسماؤهم بعد موتهم لم تكن عجبا وحدها دون سائر الآيات، وان كان شأنها خارقا للعادة، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا .

١٠ - اذكر حين صار هؤلاء الفتيان إلى هذه المغارة، وجعلوها مأوى لهم، فرارا بدينهم من الشرك والمشركين، فقالوا: ياربنا آتنا من عندك مغفرة وأمانا من عدونا، ويسر لنا من شأننا هداية وتوفيقا .

١١ - فاستجبنا دعاءهم فأمنناهم آمنين في الكهف سنين عديدة .

١٢ - ثم أيقظهم الله بعد أن ظلوا نياما أمدا طويلا، لتكون عاقبة ذلك اظهار علمنا من أصاب من الفريقين في تقدير مدة مكثهم .

١٣ - نحن نقص عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق: انهم فتيان كانوا قبل العهد السابقة على دين الحق، صدقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين، وزدناهم يقينا .

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوها مِنْ دُونِها لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَتُولاء قومنا اتخذوا من دونه ءالهة لولا يأتون عليهم بسُلطانٍ بَينَ يَمِينٍ فَسَنُأْظِمُّ مَن آفترى على الله كذبا ﴿١٥﴾
وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأَوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ

١٤ - وثبتنا قلوبهم على الايمان والصبر على الشدائد ، حين قاموا في قومهم ، فقالوا متعاهدين : ربنا أنت الحق رب السموات والأرض ، لن نعبد من غيره إلها ، ولن نتحول عن هذه العقيدة . والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيدا عن الصواب .

١٥ - ثم قال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره ، هلا يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة ، انهم لظالمون فيما فعلوا ، ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه .

١٦ - وقال بعضهم لبعض : مادمننا قد اعتزلنا القوم في كفرهم وشركهم ، فالجأوا إلى الكهف فرارا بدينكم ، يبسط لكم ربكم من مغفرتة ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به (١) من مرافق الحياة .

(١) لم يكن على وجه التحقيق معرفة أصحاب الكهف ، ولا زمانهم ولا مكان الكهف الذى أوى إليه هؤلاء الفتية ، ومع ذلك فلا بأس من القيام بمحاولة قد تلقى ضوئا ولو خافتا عليهم . ولما كان القرآن الكريم قد نص على أنهم فتية آمنوا بربههم فلا بد أنهم وشعبهم قد تعرضوا لاضطهاد دينى رأى معه هؤلاء الفتية الاعتصام بالكهف . ويشير التاريخ القديم إلى وقوع اضطهادات دينية في الشرق القديم ، حدثت في أوقات مختلفة - ونذكر فيما يلي اضطهادين قد يكون أحدهما مناسبا للمقام :

أما أولها فقد حدث في عهد الملك السلوق انتيوخوس الرابع الملقب بانيفانيس (حوالى ١٧٦ - ٨٤ ق . م) فإنه لما أعتلى هذا الملك عرش سوريا ، وكان مولعا أشد الولوع بالثقافة الإغريقية وحضارتها ، فرض على اليهود بفلسطين - وكانت في قبضة سوريا منذ عام ١٩٨ ق . م - التدين بديانة الإغريق وأبطل شريعتهم ، ودرس « الهيكل » بوضعه شمال زوس معبود الإغريق الأعظم على المذبح ، وتقديم الخنازير ذبايح له ، ثم أنه أحرق ما وجدته من نسخ التوراة .

ففى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ويكون مكانهم فى فلسطين عامة أو فى أورشليم ذاتها ، ويكونون قد بعثوا حوالى عام ١٢٦ م أبان حكم الروم للشرق ، أى قبل مولد النبى ﷺ (حوالى ٥٧١ م) بأربعائة وخمسة وأربعين عاما تقريبا . أما الاضطهاد الثانى فقد حدث فى عهد الإمبراطور الرومانى هادريانوس (١١٧ - ١٣٨) ، فهذا الإمبراطور قد فعل باليهود مثل ما فعل انتيوخوس السالف الذكر تماما ، وتفصيل ذلك أنه حدث فى عهده أن أعلن اليهود العصيان على الإمبراطورية الرومانية (الروم) عام ١٣٢ م ، فطردوا الحاميات الرومانية واستولوا على أورشليم ، وصكوا نقودهم ذكرى لتحرير المدينة المقدسة ، وقبضوا على زمام الأمور طوال ثلاث سنوات ، وأخيرا تحرك هادريانوس وجيشه ، وقع الثورة ، وأخضع فلسطين ، واستعاد أورشليم ، وقضى على القومية اليهودية قضاء تاما ، وقد لاقى قوادها حتفهم ، وبيع اليهود فى سوق النخاسة ، وكان من نتائج ذلك أن عطل هادريانوس الشعائر اليهودية ، وأبطل تعاليم اليهود وقوانينهم .

وفى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ، ويكون مكانهم فى أى مكان فى الشرق القديم أو فى أورشليم نفسها ، ويكون قد بعثوا حوالى عام ٤٣٥ م ، أى قبل مولد النبى ﷺ بمائة وثلاثين عاما .

ويبدو أن الاضطهاد الأول أكثر تلاؤما مع أصحاب الكهف ، لأنه كان أشد قوة . أما الاضطهادات المسيحية فلا تتلاءم مع مولد النبى

السَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَحَسَبَهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلِبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِ لَوْأَ بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

١٧ - وقد كان الكهف فتحة متسعة في الجبل ، وهي متجهة إلى الشمال يجيئهم فيها النسيم العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم ، وإذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أشعتها في كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله ، ومن يوفقه الله لإدراكها يهتدى ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد .

١٨ - وتظنهم أي الناظر متبهمين . وفي الحقيقة هم نيام ، ونقلبهم في نومهم يمينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الأرض ، وكلبهم الذي صاحبهم ماذا ذراعيه بالفناء وهو نائم أيضا في شكل اليقظان ، لو اطلعت أيها المخاطب عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولملأ قلبك منهم فزعا هيبتهم في منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، كيلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد حتى تنتهي المدة .

١٩ - وكما أنماهم أيقظناهم ليسأل بعضهم بعضا عن مدة مكثهم نائمين ، فقال واحد منهم : ما الزمن الذي مكثتموه في نومكم ؟ . فقالوا : مكثنا يوما أو بعض يوم . ولما لم يكونوا مستيقظين من ذلك ، قالوا : اتركوا الأمر لله ، فهو الأعلم به ، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه ، وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهروا أمركم لأحد من الناس .

٢٠ - أنهم ان رأوكم يقتلونكم رجما بالحجارة أو يعيدوكم إلى الشرك بالقوة ، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا في الدنيا والآخرة .

أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْذَكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَتِهِ

٢١ - وكما أنفناهم وبعثناهم أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا شك في آتيانها . فأمّن أهل المدينة بالله واليوم الآخر ، ثم أمات الله الفتية فتنازعوا في شأنهم : فقال بعضهم ابنوا على باب الكهف بنيانا وتركهم وشأنهم فربهم أعلم بما لهم ، وقال أصحاب الكلمة في القوم لتتخذن على مكانهم مسجدا للعباد ؟ .

٢٢ - سيقول فريق من الخائضين في قصتهم من أهل الكتاب : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقول آخرون : هم خمسة سادسهم كلبهم . ظنا خاليا من الدليل ، ويقول آخرون : هم سبعة وثامنهم كلبهم . قل لهؤلاء المختلفين : ربّي علم عليا ليس فوقه علم بعدهم . ولا يعلم حقيقته إلا قليل من الناس أطلعهم الله على عددهم ، فلا تجادل هؤلاء المختلفين في شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا لينا دون محاولة اقناعهم ، فإنهم لا يقتنعون . ولا تسأل أحدا منهم عن نبئهم ، فقد جاءك الحق الذي لا مرية فيه .

٢٣ - ولا تقولن لشيء تقدم عليه وتهتم به : إني فاعل ذلك فيما يستقبل من الزمان .

٢٤ - الا قولنا مقترنا بمشيئة الله بأن تقول : ان شاء الله ، وإذا نسيت أمرا فتدرك نفسك بذكر الله ، وقل عند اعتزامك أمرا وتعليقه على مشيئة الله : عسى أن يوفقني ربّي إلى أمر خير مما عزمت عليه وأرشد منه .

٢٥ - وان الفتية مكثوا في كهفهم نياما ثلاثمائة سنين زادت تسعا (١) .

٢٦ - وقل أيها الرسول للناس : ان الله وحده هو العالم بزمَنهم كله ، انه سبحانه هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض ، فأعظم بصره في كل موجود ، وما أعظم سمعه لكل مسموع ، وما لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره ، ولا يشرك في قضائه أحدا من خلقه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة فلكية ، وهي أن ثلاثمائة سنة شمسية تقابلها ثلاثمائة وتسع سنوات قريّة ، وقد سبقت الآية علم الفلك .

وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ

٢٧ - وقرأ - أي الرسول - ما أوحى إليك من القرآن، ومنه ما أوحى إليك من نيا الفتية، ولا تستمع لما يهزون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة أخرى، فإنه لا مغير لما ينبيه الله بكلمة الحق في معجزاته، فإنه لا يقدر أحد على تبديله، ولا تخالف أمر ربك فإنك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه.

٢٨ - واحتفظ - أي الرسول - بصحبة صحابتك من المؤمنين الذين يعبدون الله وحده في الصباح وفي العشي دائما، يريدون رضوانه، ولا تنصرف عينك عنهم إلى الجاهدين من الكفار لارادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا، ولا تطع في طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، لسوء استعداده، وصار عبدا لهواه، وصار أمره في جميع أعماله بعيدا عن الصواب! والنهي للنبي نهى لفسيره، وأن النبي ﷺ لا يريد الحياة الدنيا وزينتها، ولكن كان اتجاه النهي إليه لكي يحترس غيره من استهواء الدنيا، فإنه إذا فرض فيه ارادة الزينة للأبدان لفرض كل انسان في نفسه ذلك ليحترس.

٢٩ - وقل أي الرسول: ان ما جئت به هو الحق من عند ربكم، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن، فذلك خير له، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم الا نفسه. اتنا أعدنا لمن ظلم نفسه بالكفر نارا تحيط بهم كالسرادق. وان يستقت الظالمون بطلب الماء وهم في جهنم. يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة، يحرق الوجوه بلهبه! قبح هذا الشراب لهم، وقبحت جهنم مكانا لراحتهم!!

٣٠ - أما الذين آمنوا بالله وبدينه الحق الذي يوحى إليك، وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة، فانا لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من الأعمال..



الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثُهَا وَلَرَّ تَطْلُمُ مِنْهُ شَيْعًا ۖ وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ؕ قَالَ
مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

٣١ - هؤلاء لهم جنات يقيمون فيها منعمين أبداً ، تنساب الأنهار من بين أشجارها وقصورها يتحلون فيها
بمظاهر السعادة في الدنيا ، كالأساور الذهبية ، وملابسهم فيها الثياب الخضراء من الحرير على اختلاف أنواعه ،
متكئين فيها على السرر بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنة دار مقام وراحة ، يجدون فيها كل
ما يطلبون .

٣٢ - بين أيها الرسول في شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلا وقع فيما سلف بين رجلين : كافر
ومؤمن ، وللكافر حديقتان من أعناب ، وأحطانها بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعاً نضراً مثمراً .

٣٣ - وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجاً موفوراً ، ولم تنقص منه شيئاً ، وفجّرنا نهراً ينساب
خلالهما .

٣٤ - وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن في
غرور ، وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيراً .

٣٥ - ثم دخل احدي جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بغروره فقال : ما أظن أن تفتي هذه الجنة أبداً .

٣٦ - وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربي بالبعث كما تزعم ، والله لأجدن خيراً من هذه
الجنة عاقبة لي ، لأنني أهل للنعيم في كل حال ، فهو يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء
على الايمان وفعل الخير .

٣٧ - قال صاحبه المؤمن مجيباً له : أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذي خلق أصلك آدم من تراب ، ثم من
نطفة مائية ، ثم صورك رجلاً كاملاً ، فإن اعتزتك بمالك وعشيرتك ، فاذا ذكر ربك وأصلك الذي هو من الطين .

رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهِيَ غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَوْ تَكُنُّ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَّةِ الدُّنْيَا كَمَا أَزَلَّنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا كُلِّ شَيْءٍ

٣٨ - لكن أقول : ان الذي خلقني وخلق هذا العالم كله هو الله ربي ، وأنا أعبده وحده ، ولا أشرك معه أحدا .

٣٩ - ولولا قلت عند دخول جنتك والنظر الى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة لي على تحصيله إلا بمعونة الله ، فيكون ذلك شكرا كفيلا بدوام نعمتك . ثم قال له : إن كنت تراني أقل منك مالا وأقل ولدا ونصييرا ؟

٤٠ - فلعل ربي يعطيني خيرا من جنتك في الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على جنتك قدرا قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضا ملساء لا ينبت فيها شيء ، ولا يثبت عليها قدم .

٤١ - أو يصير ماؤها غائرا في الأرض لا يمكن الوصول اليه ، فلا تقدر على اخراجه لسقيها .

٤٢ - قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت المهلكات بثمار جنته ، وأهلكها ، وأبادت أصولها . فأصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا على ما أنفق في عمارتها ، ثم عاجلها الخراب ، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

٤٣ - عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز ، وما كان هو بقادر على نصرته نفسه .

٤٤ - فإن النصره في كل حال ثابتة لله الحق وحده وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له

العاقبة .

مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَمْالَ وَالْبُنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِرَ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ لِمَجْعَلِ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

٤٥ - واذكر - أيها الرسول - للناس مثلا للحياة الدنيا في نضرتها وبيهجتها ثم سرعة فناها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الأرض فاخضر وأينع ، ثم لم يلبث طويلا حتى جف وصار يابسا متكسرا تفرقه الرياح والله قادر على كل شيء انشاء وافناء .

٤٦ - المال والبنون جمال ومتمعة لكم في الحياة الدنيا وهي قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هي فانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يجزل ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الانسان .

٤٧ - وأندر الناس أيها الرسول بيوم يفسى هذا الوجود فيزيل فيه الجبال وتبصر فيه الأرض ظاهرة مستوية لا يسترها شيء مما كان عليها ، ونحشر فيه الناس للحساب فلا تترك منهم أحدا .

٤٨ - ويعرض الناس في هذا اليوم على الله في جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بعد الموت كما أحييناكم أول مرة ، وحيثمونا فرادى بلا مال ولا بنين ، وكنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .

٤٩ - ووضع في يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصره المؤمنون فرحين مما فيه ، ويبصره الجاحدون خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ، ويقولون إذا رأوها : ياهلاكنا ، إنا نعجب لهذا الكتاب الذي لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها علينا ! ووجدوا جزاء ما عملوا حقا ولا يظلم ربك أحدا من عباده .

٥٠ - واذكر أيها الرسول لهم بدء خلقهم ، ليعلموا أنهم من الطين ، وليس لهم أن يفتروا بما هم فيه ويخضعوا بعدو أيهم ابليس ، لأنه كان من الجن فاستكبر وتمرد على الله ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريته أنصارا لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟! قبح هذا البديل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .

* مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ

٥١ - ما أحضرت ابليس ولا ذريته خلق السموات والأرض . ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم . وما كنت في حاجة الى معين فضلا عن أن اتخذ المفسدين أعوانا ، فكيف تطيعون الشيطان وتعصونى .

٥٢ - واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين : نادوا الذين ادعيتم في الدنيا انهم شركائى في العبادة ليشفعوا لكم بزعمكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم وجعلنا الآن ما كان بينهم هلاكا للكفار ، بعد أن كان في الدنيا تواصل عبادة ومحبة .

٥٣ - وعابن المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ، ولم يجدوا بديلا عنها مكانا يحلون فيه .

٥٤ - ولقد ذكر الله للناس في هذا القرآن الذى كفروا به . وطلبوا معجزة أخرى غيره ، مثلا متنوعة ليعظهم بما فيها ، ولكن الانسان في طبيعته حب الجدل فإذا كان جاحدا جادل بالباطل .

٥٥ - وما منع المشركين من الايمان حين جاءهم سبب الهدى ، وهو الرسول والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله ، إلا تعنتهم وطلبهم من الرسول أن تأتيم سنة الله في الأولين . وهى الهلاك المستأصل الذى أتى الأولين ، أو تأتيم العذاب عيانا .

٥٦ - ولكن الله لا يرسل رسله إلا للتبشير والانذار ، ولم يرسلهم ليقترح عليهم المعاندون معجزات معينة ، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحججة ، ويجادلون المرسلين بالباطل ليبتلوا الحق وقد وقفوا من القرآن والنذر موقف المستهزئ الساخر الذى يعنى بطلب الحقائق .

فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَدْعَاةً تَقَدَّمْنَا لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

٥٧ - وليس أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل من المعاصي ! إنا بسبب ميلهم الى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تعقل ولا يصل اليها النور ، وفي آذانهم صمما فلا تسمع سماع فهم ! وان تدعهم أيها الرسول الى الدين الحق فلن يهتدوا مادامت هذه طبيعتهم البتة .

٥٨ - وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب إليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لعجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه لحكمة قدرها آخرهم لموعدهم يدقون فيه أشد العقاب ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .

٥٩ - وما هي ذى القرى الماضية التي دمرناها لما ظلم أهلها بتكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك إذا لم يؤمنوا .

٦٠ - وان علم الله لا يحيط به أحد ، الا أن يعطيه نبيا أو صالحا ، واذكر أيها الرسول أن موسى بن عمران قال لفتاه خادمه وتلميذه : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمنا طويلا .

٦١ - فلما بلغ موسى وفتاه المكان الجامع بين البحرين نسيا فيه حوتها الذي حملاه بأمر الله ، فاتخذ في البحر واتخذ طريقه في الماء .

٦٢ - فلما ابتعد موسى وفتاه عن المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفتاه : آتنا ما نتغذى به ، لقد لقينا في سفرنا هذا تعبًا ومشقة .

٦٣ - قال له فتاه : اتذكر حين التجأنا الى الصخرة ، فاني نسيت الحوت ، وما أنساني ذلك إلا الشيطان ، ولا بد أن يكون الحوت اتخذ سبيله في البحر ، واني لأعجب من نسياني هذا .

٦٤ - قال له موسى : إن هذا الذي حدث هو ما كنا نطلبه لحكمة ارادها الله ، فرجعا في الطريق الذي جاء منه يتبعان أثر سيرهما .

رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ
 إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
 صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
 فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا
 أَنْتَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ
 إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٥ - حتى وصلا الصخرة ، فوجدا عبدا من عبادنا الصالحين ، أعطيناه الحكمة ، وعلمناه من عندنا علما غزيرا .

٦٦ - قال موسى للعبد الصالح : هل أسير معك على أن تعلمني مما علمك الله ؟

٦٧ - قال له : انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٦٨ - وكيف يمكنك الصبر على شيء لا خبرة لك بمثله . ؟

٦٩ - قال موسى : ستراني ان شاء الله صابرا مطيعا فيما تأمر به .

٧٠ - قال العبد الصالح : فإن اتبعني ورأيت ما تنكره ، فلا تفتحنى بالسؤال عنه حتى أحدثك عنه .

٧١ - فانطلقا يمسيان على ساحل البحر ، حتى وجدا سفينة ، فركباها ، فخرقها العبد الصالح في أثناء سيرها ،

فاعترض موسى قائلا : أخرجتها قاصدا اغراق أهلها ، لقد ارتكبت أمرا منكرا ! .

٧٢ - قال العبد الصالح : انني قلت لك انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٧٣ - قال له موسى : لا تؤاخذني على نسيان وصيتك ، ولا تكلفني مشقة في تحصيل العلم منك وتجعله عسيرا .

٧٤ - وبعد أن خرجا من السفينة ذهابا منطلقين ، فلقيا في طريقها صبيا قتلته العبد الصالح ، فقال موسى

مستنكرا : أتقتل نفسا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدا . ؟ لقد أتيت فعلا مستنكرا ! .

* قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَغَشَبْنَاهُ أَنْ يَرَاهُمَا طَافِينَ وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا

٧٥ - قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : انك لن تستطيع صبرا على السكوت عن سؤالي .

٧٦ - قال موسى : إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني ، لأنك قد بلغت الغاية التي تعذر بها في فراق .

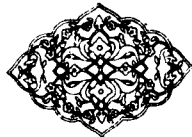
٧٧ - فسارا حتى أتيا قرية ، فطلبا من أهلها طعاما ، فأبوا ضيافتها ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط ، فنقضه العبد الصالح ، وبناء حتى أقامه ، قال موسى : لو شئت طلب أجر على النقص والبناء لفعلت .

٧٨ - قال العبد الصالح : هذا التعرض منك مرارا لما أفعل سبب الفراق بيني وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التي خفي عليك أمرها ، ولم تستطع صبرا على ما خفي حتى تعرف حقيقته وسره .

٧٩ - أما السفينة التي خرقتها ، فهي لضعفاء محتاجين يعملون بها في البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيبا يزهدهم فيها ، لأن خلفهم ملكا يفتصب كل سفينة صالحة .

٨٠ - وأما الغلام الذي قتلته ، فكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا - ان عاش - أنه سيصير سببا لكفرهما .

٨١ - فأردنا بقتله أن يعوضها الله عنه خيرا منه ديننا وأعظم برا وعظما .



رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ
 قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهَاءَ آيَاتُنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّى
 إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ
 وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
 مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

٨٢ - وأما الجدار الذي أفتته - دون أجر - فكان لفلامين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحته كنز تركه أبوهما
 لهما ، وكان رجلا صالحا ، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجاه ، ورحمة بها ، وتكريما لأبيهما
 في ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادى انما فعلته بتوجيه من الله ، هذا تفسير ما خفي عليك يا موسى ولم تستطع
 الصبر عليه .

٨٣ - يسألك - أيها الرسول - بعض الكفار عن نبأ ذى القرنين ، فقل لهم سأقص عليكم بعض أخباره .

٨٤ - لقد مكنا لأمره في الأرض ، يتصرف فيها بتديره وسلطانه ، وآتيناه الكثير من العلم بالأسباب
 ما يستطيع به توجيه الأمور .

٨٥ - فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه في الأرض ، واتخذ سببا يوصله الى بلوغ المغرب .

٨٦ - وسار حتى وصل الى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس في رأى العين تغرب في مكان به عين
 ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألمه الله أن يتخذ فيهم أحد
 أمرين : اما أن يدعوهم الى الايمان ، وهذا أمر حسن في ذاته ، واما أن يقاتلهم إن لم يجيبوا داعى الايمان .

٨٧ - فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ، استحق العذاب الدنيوى على
 يديه ، ثم يرجع الى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

٨٨ - وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحا ، فله العاقبة الحسنى في الآخرة ، وسنعامله في الدنيا برفق

وبسر . . .

٨٩ - ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول الى مطلع الشمس مشرقا .

بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

٩٠- حتى بلغ مشرق الشمس - في رأى العين - في نهاية ما وصل اليه من العمران فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى ، لا يستهم من حرها ساتر .

٩١- وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الايمان ، دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الاولى .

٩٢- ثم سار كذلك مستعينا بما هيا الله من أسباب التوفيق ، سالكا طريقا بين الشرق والغرب .

٩٣- حتى وصل - في رحلته الثالثة - إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين .. وهناك وجد قوما لا يفقهون ما يقال لهم إلا في عسر ومشقة (١) .

٩٤- فلما أنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج ، وهم قوم كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون في أرضهم ويخربون ، على أن يجعلوا له ضريبة في نظير هذا العمل .

٩٥- فرد عليهم قائلا : إن ما منحني الله من الثروة والسلطان خير مما تعرضون على . وشرع يقيم السد ، طالبا منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات ، ليحقق لهم ما أرادوه .

٩٦- وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد فجمعوا له منها ما أراد ، فأقام به سدا عاليا ساوى به بين حافتي الجبلين ، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار ، فأوقدوها حتى انصهر الحديد ، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا متينا .

(١) السد بين الجبلين المذكورين في التفسير ، هما جبلان : أذربيجان وأرمينية ، وقيل هما جبلان في أواخر الشمال منقطع أرض التركستان .

فَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقِبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
نَزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٩٧- فا استطاع هؤلاء الكافرون أن يتسلقوا السد لارتفاعه، ولا أن يثقبوه لصلابته.

٩٨- وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد، قال شاكرًا لله: هذا السد رحمة من ربي بعباده، وسيظل قائمًا حتى
يحيى أمر الله بهدمه، فيصير أرضًا مستوية، وأمر الله نافذ لا محالة.

٩٩- وبند إتمام السد، ظل يأجوج ومأجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم، وحبس شرهم عن الآخرين، فاذا
كان يوم القيامة ونفخ في الصور، جمع الله الخلائق جميعًا للحساب والجزاء.

١٠٠- وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين ابرازًا يروعهم ويحشرهم فيها.

١٠١- وذلك لأن أعينهم في الدنيا كانت في غفلة عن التبصر في آيات الله كأن عليها غطاء وكانوا لفضلالهم
لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفاقدى حاسة السمع^(١).

١٠٢- هل عميت بصائر الذين كفروا، فظنوا أن اتخاذهم آلهة من عبادي كالملائكة وعيسى يعبدونها من
دوني، نافع لهم وصارف عنهم العذاب؟! انا اعتدنا لهم جهنم مقرا يتألون فيه ما يستحقون من جزاء..

١٠٣- قل أيها الرسول لهؤلاء الكافرين: هل أخبركم بأشد الناس خسرانًا لأعمالهم، وحرمانًا من ثوابها؟

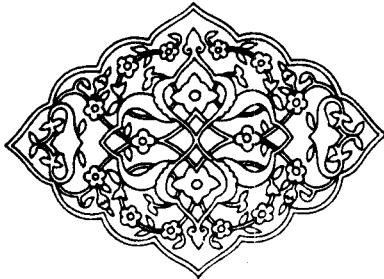
١٠٤- هم الذين بطل عملهم في الحياة الدنيا لفساد اعتقادهم، وهم يعتقدون أنهم يحسنون بعملهم صنيعًا!

(١) «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سماع»: الذين كانت أعينهم في غفلة عن تدبير مواضع التذكير
بي في السموات والأرض، وبذلك تدعو الآية الكريمة إلى دراسة كل ما يحيط بالإنسان من شواهد دالة على وجود الله.

وَرَنَّا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبِحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبِحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

- ١٠٥ - هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وأنكروا يوم البعث والحساب ، فضاعت أعمالهم واستحقوا يوم القيامة التحقير والاهمال ، إذ ليس لهم عمل يعتد به !
- ١٠٦ - ذلك الذى بيناه وفصلناه شأن هؤلاء وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب كفرهم وسخرتهم بما أنزل الله من آيات وما أرسل من رسل .
- ١٠٧ - ان الذين صدقوا فى الايمان وعملوا الأعمال الصالحة ، جزاؤهم جنات الفردوس ينزلون فيها .
- ١٠٨ - وينعمون أبدا لا يبغون عنها بديلا .
- ١٠٩ - قل أيها الرسول للناس : ان علم الله محيط بكل شئ ، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لنفد هذا المداد ، ولو مد بمثله قبل أن تنفذ كلمات الله ! .
- ١١٠ - قل أيها الرسول للناس : انما أنا انسان مثلكم ، مرسل اليكم أعلمكم ما علمنى الله اياه ويوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك له ، فن كان يطمع فى لقاء الله وثوابه فليعمل الأعمال الصالحة مخلصا وليتجنب الاشراك بالله فى العبادة .



(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِيَاؤُهَا ثَمَانِيَةٌ وَتَسْمَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَتَبْنَا بِعَصَى ۝ ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ

هذه السورة مكية ، وليس فيها مدنى إلا آية ٥٨ ، ٧١ ، وعدد آياتها ٩٨ آية ، وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ككثير من السور ، وفيها قصة ولادة يحيى بن زكريا عليها السلام ، وطلب زكريا الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، ومع أن امرأته عاقرة ، ولقد ذكر من بعد ذلك قصة السيدة البتول مريم عليها السلام ، وولادتها للمسيح عليه السلام ، ثم ذكرت قصة ابراهيم عليه السلام ، ودعوته الى الوحدانية وطلبه من أبيه أن يهجر عبادة الأوثان ، وما كان بينها من مجاوبات حول الأوثان وسيطرة الشيطان .

وفيها اشارة الى الأنبياء من ذرية ابراهيم : اسماعيل واسحق وذرية اسحق ثم اشارة الى قصة ادريس عليه السلام وذكر بعد ذلك سبحانه الأخلاف الذين جاءوا بعد النبيين من طائعين وعصاة وذكر أن الجنة هى جزاء المؤمنين ، والنار هى جزاء الكافرين ، واحوال الكافرين فى جهنم وأشار سبحانه الى المنحرفين الذين يقولون : ان الله اتخذ ولدا ..

وقد بين سبحانه منزلة القرآن ، وأنذر الكافرين . وضرب الأمثال على هلاك العاصين للأنبياء وأشار الى أنهم لا آثار لهم .

- ١ - حروف صوتية لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعون .
- ٢ - هذا أيها الرسول قصص ربك عن رحمته لعبده ونبيه زكريا .
- ٣ - حين التجأ الى الله ودعاه فى خفية عن الناس .
- ٤ - فقال : رب انى قد ضعفت وشاب رأسى ، وكنت بدعائك غير شقى يارب ، بل كنت سعيدا مستجاب الدعوة .

أَمْرًا نِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَنْزَكِرِيَا إِنَّا
نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَلْحَقِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ
لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُحْضَرُ يَوْمَ يَأْتِي السَّحَابَ الْمُسَوِّمَ مَعِ السُّلَيْمِ ﴿١٥﴾

۵ - وانی خفت آقاری ایا میسنوا القیام علی امر الدین بعد موتی ، وکانت ولا تزال امراتی عقیما ، فارزقنی من فضلك غلاما یخلفنی فی قومی .

۶ - یرتی فی العلم والذین ، ویرث من آل یعقوب الملک ، واجعله یارب مرضیا عندک وعند الناس .

۷ - فنودی : یازکریا انا نبشرك بغلام سمیناه یحیی ، ولم نسّم به أحدا قبل .

۸ - قال زکریا متعجبا : یارب کیف یكون لی ولد وزوجی عقیم وأنا فی سن الشیخوخة ؟ .

۹ - فأوحی الله لعبده زکریا ، أن الأمر کما بشرت به ، وأن منحک الولد مع کبر السن وعقم الزوج هین علی ولا تستبعد ذلك فقد خلقناک من قبل ولم تک شیئا موجودا .

۱۰ - قال زکریا : رب اجعل لی علامة تدل علی حصول ما بشرت به . قال الله تعالی : علامتک أن تحبس عن الکلام ثلاث لیل ، وأنت سلیم الحواس واللسان .

۱۱ - فخرج زکریا علی قومه من مصلاه ، فأشار الیهم أن سبّحوا الله صباحا ومساء ..

۱۲ - ولد یحیی ، وشب ثم نودی ، وأمر بأن یعمل بما فی التوراة ، فی جد وعزم ، وقد آتاه الله فی طور الصبا فقه الدین وفهم الأحکام .

۱۳ - وطبعه الله علی الحنان ، وسمو النفس ونشأه علی التقوی .

۱۴ - وجعله الله کثیر البر بوالدیه ، والاحسان الیهما ولم یجعله متجبرا علی الناس ، ولا عاصیا لله .

يُبْعَثُ حَيًّا ⑩ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ⑪ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ⑫ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ⑬ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ⑭ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ⑮ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هِينٌ ⑯ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ⑰ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ⑱ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ⑳ فَنَادَاهَا مِنَ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ㉑ وَهَرَبِيَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ

١٥ - وسلامة له وأمان، أن يمسه ضر أو أذى يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه حيا.

١٦ - واذكر أيها الرسول ما في القرآن من قصة مريم، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس، وذهبت الى مكان جهة الشرق من مقامها.

١٧ - وضربت بينها وبينهم حجابا، فأرسل الله اليها جبريل في صورة انسان تم الخلق، حتى لا تفرزع من رؤيته، في هيئته الملكية التي لا تألفها..

١٨ - قالت: مريم اني التجئ الى الرحمن منك، أن يرجى منك أن تتق الله، وتحشاه.

١٩ - قال الملك: ما أنا الا رسول من ربك لاكون سببا في أن يوهب لك غلام طاهر خير.

٢٠ - قالت مريم: كيف يكون لي غلام ولم يقربني انسان، ولست فاجرة؟.

٢١ - قال الملك: الأمر كما قلت: لم يمسه رجل. قال ربك: اعطاء الغلام بلا أب على سهل، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنا، كما يكون رحمة لمن يهتدى به. وكان خلق عيسى أمرا مقدرا لا بد منه.

٢٢ - وتحققت ارادة الله، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذي اراده الله، وذهبت بحملها الى المكان البعيد عن الناس.

٢٣ - فأجأها ألم الولادة، الى أن تركزن الى جذع نخلة لتستند اليه وتستتر به، وتخيلت ما سيكون من انكار أهلها هذا الأمر، وتمنت لو أدركها الموت، وكانت شيئا منسيا لا يذكر.

٢٤ - فناداها الملك من مكان منخفض عنها: لا تحزني بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس، قد جعل ربك بالقرب منك نهرا صغيرا.

النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
 لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ بِهِنَّ قَوْمَهَا تَجْمَلُهُنَّ ۖ قَالُوا يَمْرَمٌ لَقَدْ جِئْتِ شَيْعًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
 يَتَأَخَّتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
 فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرَأٍ بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
 أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

٢٥ - وهزى النخلة نحوك يتساقط عليك الرطب الطيب (١).

٢٦ - فكلى منه واشربى ، وطبى نفسا . فإن رأيت احدا من البشر ينكر عليك أمرك . . فأشبرى اليه انك صائفة عن الكلام ولن تتحدثى اليوم إلى أحد .

٢٧ - فأقبلت مریم على أهلها تحمل عيسى ، فقالوا لها فى دهشة واستنكار: لقد أتيت أمرا فظيما منكرا .

٢٨ - يا سلالة هارون النبى التقى الورع ، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أمك فاجرة (٢).

٢٩ - فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه . فقالوا: كيف نتحدث مع طفل لا يزال فى المهد .

٣٠ - فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال: انى عبد الله سيؤتىنى الانجيل ، ويخترانى نبيا .

٣١ - ويجعلنى مباركا معلما للخير نفاعا للناس ، ويأمرنى بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتى .

٣٢ - كما يأمرنى أن أكون بارا بوالدى ، ولم يجعلنى متجبرا فى الناس ، ولا شقيا بمعصيته .

٣٣ - والأمان من الله على يوم ولادى ، ويوم موتى ، ويوم بعثى حيا .

٣٤ - ذلك الموصوف بهذه الصفات ، هو عيسى ابن مریم ، وهذا هو القول الحق فى شأنه ، الذى يجادل فيه المبطلون ويشك فى أمر نبوته الشاكون .

(١) « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا »: ثبت أن البلع الرطب يحتوى على المواد الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة سهلة الهضم وأنه بذلك يناسب النساء .

(٢) « يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوءا وما كانت أمك بغيا »: ذكر فى دائرة المعارف الإنجليزية أن القرآن غلط غلطا تاريخيا حين قال: يا أخت هارون فى سورة مریم مع أن بين مریم وهارون أخى موسى مئات السنين ، وقد غفلوا عن أن الاخوة تطلق فى لسان العرب على الاخوة النسبية ، فالمراد يا من انبثت هارون فى الصلاح والتقوى ، ما الذى غير حالك من الصلاح إلى ضده ، وما كان أبوك أمرا سوءا بأتى الحنا ، وما كانت أمك امرأة فحش .

سَبَّحْنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿۳۵﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿۳۶﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿۳۷﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿۳۸﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿۳۹﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ ﴿۴۰﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿۴۱﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿۴۲﴾ يَا أَبَتِ

۳۵ - وما صح ولا استقام في العقل أن يتخذ الله ولدا - نزه الله عن ذلك - وشأنه سبحانه أنه إذا قضى أمرا من الأمور نفذت إرادته لا محالة .. بكلمة - كن - فيتحقق في الوجود كأننا .

۳۶ - وإن الله سيدي وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحدا ، وهذا الذي دعوتكم اليه طريق يوصلكم الى السعادة .

۳۷ - ومع ما تقدم من قول الحق في عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشديد يوم يحضرون موقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ويلقون سوء الجزاء .

۳۸ - ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله !! لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر ، في ضلال عن الحق ، ظاهر لا يخفى .

۳۹ - وحذر أيها الرسول هؤلاء الظالمين ، يوما يتحسرون فيه على تفریطهم في حق الله وحق أنفسهم - وقد فرغ من حسابهم ، ونالوا جزاءهم - وقد كانوا في الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء .

۴۰ - الا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على الله .

۴۱ - واذكر أيها الرسول للناس ، ما في القرآن من قصة ابراهيم ، أنه كان عظيم الصدق ، قولا وعملا ، محبرا عن الله تعالى .

۴۲ - واذكر حين وجه ابراهيم الخطاب الى أبيه في رفق قائلا له : يا أباي كيف تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تجلب لك خيرا ، ولا تدفع عنك شرا ؟!



إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِبُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَأْتِبُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي
إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَرَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا

٤٣ - يا أي، لقد جاءني من طريق الوحي الالهي ما لم يأتك من العلم بالله، والمعرفة بما يلزم الانسان نحو
ربه، فاتبعني فيما ادعوك اليه من الايمان، أدلك على الطريق المستقيم، الذي يوصلك الى الحق والسعادة.

٤٤ - يا أبت: لاتطع الشيطان فيما يزين لك من عبادة الأصنام، فإن الشيطان دائم على معصية الرحمن
ومخالفة أمره.

٤٥ - يا أبت: اني أخشى ان أصرت على الكفر أن يصيبك عذاب شديد من الرحمن، فتكون قرينا للشيطان
في النار تليه ويليك.

٤٦ - قال الأب لابراهيم منكرا عليه، مهددا له: كيف تنصرف عن الهتي يا ابراهيم وتدعوني الى عبادة
الهلك؟ لئن لم تكف عن شتم الأصنام لاضرربك بالحجارة، فاحذرنى واتركنى زمانا طويلا، حتى تهدأ ثائرتى عنك.

٤٧ - تلتطف ابراهيم مع ابيه وودعه قائلا: سلام عليك منى، وسأدعو لك ربي بالهداية والمغفرة، وقد عودنى
ربي أن يكون رحما بي وقريبا منى.

٤٨ - وهأنذا أهجركم وأبتعد عما تعبدون من دون الله، وأعبد ربي وحده - راجيا أن يقبل طاعتي ولا يخيب
رجائي.

٤٩ - فلما فارق ابراهيم ابيه وقومه وأهتهم، أكرمهم الله بالذرية الصالحة، على بأس منها، إذ بلغ هو وزوجه
حد الكبر، الذي لا ينجب، فوهب له اسحق، ورزقه من اسحق يعقوب، واختار منها نبيا.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَيْنَاهُ
 مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٨﴾ * نَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

۵۰ - وأعطيناهم فوق منزلة النبوة كثيرا من خير الدين والدنيا برحمتنا، وأورثناهم في الدنيا ذكرى طيبة خالدة بلسان صدق على يتحدث بذكرهم.

۵۱ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة موسى، انه كان خالصا بنفسه وقلبه وجسمه لله، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة.

۵۲ - وكرمناه، فناديناه عند جبل الطور، وسمع موسى النداء الالهي من الجهة اليمنى، وقربناه تقرب تشریف، واصطفيناه لمناجاتنا.

۵۳ - ومنحناه من رحمتنا ونعمنا، واخترنا معه أخاه هارون نبيا، يعاونه في تبليغ الرسالة.

۵۴ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة اسماعيل.. انه كان يصدق في وعده، وقد وعد أباه بالصبر على ذبحه له، ووفى بوعده ففداه الله وشرفه بالرسالة والنبوة.

۵۵ - وكان يأمر أهله باقامة الصلاة واتباء الزكاة، وكان في المقام الكريم من رضا ربه.

۵۶ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة ادريس، انه كان شأنه الصدق قولاً وفعلاً وعملاً. وقد منحه الله شرف النبوة.

۵۷ - وقد رفعه الله بذلك مكانا ساميا.

۵۸ - أولئك الذين سلف ذكرهم، ممن أنعم الله عليهم من النبيين، بنعم الدنيا والآخرة، من ذرية آدم ومن ذرية من نجاه الله مع نوح في السفينة، ومن ذرية ابراهيم كاسماعيل، ومن ذرية يعقوب كأنبيا بني اسرائيل، ومن هديناهم الى الحق، واخترناهم لاعلاء كلمة الله.. هؤلاء اذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم، خشعوا وخروا ساجدين لله متضرعين له.

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
 شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
 وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا
 بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَآبِينٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أُوذِيَ لَمَمَةً لَسَوْفَ أُخْرَجُ
 حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

۵۹ - ثم جاء بعد هؤلاء الاخيار اجيال على غير هديهم ، تركوا الصلاة ، وأهلوا الانتفاع بهديها ، وانهمكوا في المعاصي ، وسيلق هؤلاء جزاء غيهم وضلالهم في الدنيا والآخرة .

۶۰ - لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة ، وصدق الايمان ، والعمل الصالح ، فان الله يقبل توبتهم ، ويدخلهم الجنة ، ويوفهم اجورهم .

۶۱ - هذه الجنات دار خلود ، وعد الرحمن بها عباده التائبين ، فأمنوا بها بالغيب ، فهم داخلوها لاصحالة ، فان وعد الله لا يتخلف .

۶۲ - وهم في تلك الجنات لا يجرى بينهم لغو الحديث ، ولا يسمعون الا خيرا وأمنا ، ورزقهم فيها رغد مكفول دائما .

۶۳ - وانما يؤتى الله تلك الجنة ، ويملكها لمن كان تقيا في الدنيا ، بترك المعاصي وفعل الطاعات .

۶۴ - وحين دخولهم ، واستقرارهم فيها ، يقولون حامدين لله : ما دخلنا في الجنة ، ولا نتقل فيها من منزل الى منزل ، الا بأمر الله وفضله ، فهو سبحانه المالك والمدبر ، العالم بمستقبلنا وماضينا ، وما بين ذلك ، ولا ينسى الله تحقيق وعده لمن عباده المتقين .

۶۵ - فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والارض وما بينها ، والمدبر لشؤونها ، والمستحق وحده للعبادة ، فاعبده أيها المخاطب ، وثابر على عبادته صابرا مطمئنا ، فهو سبحانه المستحق - وحده - للعبادة ، وليس له نظير يستحق العبادة ، أو يسمى باسم من أسمائه ..

۶۶ - ويقول الانسان مستغربا البعث : كيف أبعث حيا بعد الموت والفناء !!؟

۶۷ - كيف يستغرب قدرة الله على البعث في الآخرة ، ولا يذكر انه تعالى خلقه في الدنيا من عدم ، مع أن إعادة الخلق أهون من بدئه في حكم العقل .

لنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مَنَكَرَ إِلَّا وَاوَدُّهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَرَّ أَهْلُكَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ

٦٨ - وإذا كان أمر البعث غريباً ينكره الكافرون، فوالذي خلقك ورباك ونماك، لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع شياطينهم، الذين زينوا لهم الكفر، وسنحضرهم جميعاً حول جهنم، جاثين على ركبهم في ذلة، لشدة الهول والفرع.

٦٩ - ثم لننزعن من كل جماعة أشدهم كفراً بالله، وتمرداً عليه، فيدفع بهم قبل سواهم إلى أشد العذاب.

٧٠ - ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم إلى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها.

٧١ - وإن منكم معشر الخلق إلا حاضر لها، يراها المؤمن ويمر بها، والكافر يدخلها، وتنفيذ هذا أمر واقع حتماً، جرى به قضاء الله.

٧٢ - ثم اتنا نשמع المتقين برحمتنا، فننجيهم من جهنم، ونترك بها الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم، تعذيباً لهم.

٧٣ - وكان الكافرون في الدنيا، إذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة، أعرضوا عنها، وقالوا للمؤمنين - معتزين بما لهم وجمعهم - : لستم مثلنا حظاً في الدنيا، فنحن خير منكم منزلاً ومجلساً، فكذلك سيكون حظنا في الآخرة التي تؤمنون بها.

٧٤ - وكان على هؤلاء الكافرين أن يتعظوا بمن سبقهم من أمم كثيرة، كفرت بالله وكانوا أحسن منهم حظاً في الدنيا، وأكثر متاعاً، وأبهى منظراً، فأهلكهم الله بكفرهم - وهم كثيرون - وفي آثارهم عبر لكل معتبر.

جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴿٧٦﴾
 أَفْرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَمَّخَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ الرَّ تَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ

٧٥ - قل - أيها الرسول - هؤلاء : من كان في الضلالة والكفر أمهله الرحمن ، وأمل له في العمر ، ليزداد طغيانا وضللا ، وسيرد الكفار قوهم للمؤمنين : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ إلى أن يشاهدوا ما يوعدون ، أما تعذيب المسلمين إياهم في الدنيا بالقتل والاسر واما خزي القيامة لهم ، فحينئذ يعلمون أنهم شر منزلا وأضعف انصارا .

٧٦ - أما المؤمنون بآيات الله ، فحينما يسمعونها ، يقبلون عليها ، ويزيدهم الله بها توفيقا لحسن العمل ، والاعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ثوابا وعاقبة .

٧٧ - تعجب أيها الرسول من أمر الكافر بآيات الله ، الذي فتنته دنياه ، فأنكر البعث وقال - مستهزئا - : ان الله سيعطيني في الآخرة التي تزعمونها مالا وولدا أعتر بها هناك ، وظن ان الآخرة كالدينا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء الخير والشر ، وان الفضل فيها بالعمل الصالح .

٧٨ - فهل اطلع ذلك الكافر على الغيب ، حتى يخبر عن صدق ، وهل أخذ من الله عهدا بذلك حتى يتعلق بأمل ؟

٧٩ - فليرتدع عما يفتره ، فاننا نحصى عليه افتراءه ، وسيصل عذابه ممدودا مدا طويلا لا يتصوره .

٨٠ - سيسلبه الله ما يعتز به في الدنيا ، من مال وولد ، ويهلكه ، ويأتي في الآخرة وحيدا منفردا ، دون مال أو ولد أو نصير .

٨١ - أولئك الكافرون اتخذوا غير الله الهة مختلفة عبودها ، لتكون لهم شفعا في الآخرة .

٨٢ - عليهم ان يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها . ويكون هؤلاء المعبودون خصما للمشركين ، يطالبون بتعذيبهم .

عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
 وَقَدًّا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

۸۳ - ألم تعلم ، أيها الرسول ، أننا مكنا الشياطين من الكافرين - وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين - تغريمهم
 وتدفعهم الى التمرد على الحق فانقادوا لها ..

۸۴ - فلا يضيق صدرك - أيها الرسول - بكفرهم ، ولانستعجل لهم العذاب ، فانما تركهم في الدنيا امدا محدودا
 ونحصى عليهم اعمالهم وذنوبهم ، لنحاسبهم عليها في الآخرة ..

۸۵ - اذكر - أيها الرسول اليوم الذي نجتمع فيه المتقين الى جنة الرحمن وفودا وجماعات مكرمين .

۸۶ - وندفع فيه المجرمين الى جهنم عطاشا ، كاندفاع الدواب العطاش الى الماء .

۸۷ - ولا يملك الشفاعة في هذا اليوم أحد الا من يأذن الله تعالى له ، لعهد كان له .

۸۸ - لقد قال المشركون واليهود والنصارى : ان الله اتخذ ولدا ، من الملائكة أو من الناس .

۸۹ - لقد أتيتم أيها القائلون ذلك القول أمرا منكرا ، تنكره العقول المستقيمة .

۹۰ - تكاد السموات يتشققن منه ، وتنخسف الارض ، وتسقط الجبال قطعا مفتتة .

۹۱ - وانما تقرب حوادث السموات والارض والجبال ان تقع ، لانهم سموا لله ولدا .

۹۲ - وما يستقيم في العقل ان يكون لله ولد ، لان اثبات الولد له يقتضى حدوده وحاجته .

۹۳ - ما كل من في السموات والارض الا سيأتي الله سبحانه يوم القيامة عبدا خاضعا لألوهيته .

۹۴ - لقد أحاط علمه بهم جميعا وأعمالهم ، فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أعمالهم .

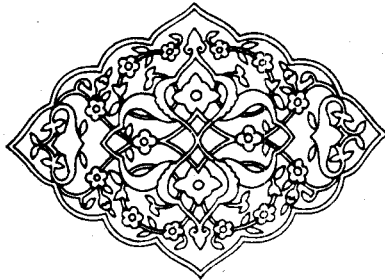
۹۵ - وهم جميعا يجيئون اليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمال .

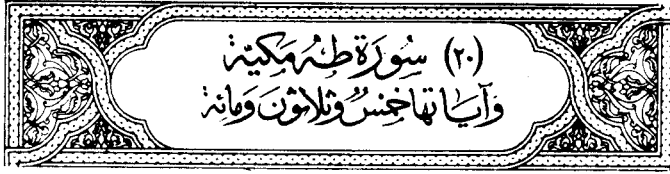
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

٩٦ - ان المؤمنين العاملين الصالحات يحبهم الله ، وحببهم الى الناس .

٩٧ - فانما يسرنا القرآن بلسانك لتبشر برضا الله ونعيمة من اتبع اوامره واجتنب نواهيه . وتنذر بسخط الله وعذابه من كفر به واشتد في خصومته .

٩٨ - فلا يحزنك - ايها - الرسول - عنادهم لك ، فقد اهلك الله قبلهم كثيرا من الأمم والأجيال ، لعنادهم ولكفرهم ، ولقد اندثروا ، فلا ترى منهم أحدا ، ولا تسمع لهم صوتا ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَحْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

هذه السورة سورة مكية الا آيتين : هما الآية رقم ١٣٠ . ١٣١ . وعدد آياتها ١٣٥ ، وقد ابتدأت السورة بحرفين صوتيين للتنبية على اعجاز القرآن ، ولحمل السامعين على الانصات . وقد ذكرت منزلة القرآن بعد هذين الحرفين ، وشرفه بشرف منزله ، وهو الله سبحانه وتعالى ، مالك السموات والارض ، والذي يعلم السر ، وما هو أخفى من السر ، ثم ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وكيف ابتدأ بعث موسى عليه السلام ، وطلبه ان يكون اخوه هارون عليها السلام عوناً له وموازراً ، ثم كيف التقيا بفرعون بعد الهيبة من لقائه لعظم طغيانه ، وفي هذه الاثناء بين الله تعالى نشأة موسى عليه السلام .

وفيها المجاوبة بين موسى وفرعون ، ثم بين موسى عليه السلام والسحرة ، وحال موسى من خوف الهزيمة أمام السحرة ، والتفاف عصاه لما ألقوا من حبال ، ثم فيها كيف انتهى أمر السحرة ، وإيمانهم ، وتعذيب فرعون لهم ، ثم نجاة موسى مع بنى اسرائيل من فرعون ، وكيف غرق فرعون ، وقد تبعهم بعد انفلاق البحر ، وكيف نجى موسى الى الطور ، وقد ترك قومه ليذهب لمناجاة ربه ، ففتنهم السامري ، ووسوس لهم أن يعبدوا هيكل عجل عمل من الذهب ، وكان مرور الهواء في جوفه يحدث خواراً ، وقد غضب موسى لما حدث ، واخذ برأس اخيه يجره اليه .

ثم جاء في السورة الكريمة ما أصاب السامري ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى العبر في قصص موسى وغيره ، وجاء في آخر السورة بوصايا كريمة بالصبر والعفة والصلاة ، ثم بيان تهافت المشركين في طلبهم معجزة غير القرآن ، وأشار سبحانه الى حكمة ارسال الرسل ، ثم ختمت السورة الكريمة بالاشارة الى ما يكون للكافرين من عذاب ، وما يكون للمؤمنين من ثواب ..

١ - بدأ الله تعالى السورة بهذه الحروف ، لتحدى المنكرين والاشارة الى ان القرآن مكون من هذه الحروف التي تتكلمون بها ، ومع ذلك عجزتم عن الاتيان بسورة قصيرة او آيات من مثله .

٢ - انا ما أوحينا اليك - أيها الرسول - هذا القرآن ليكون سبباً في ارهاق نفسك اسفاً على اعراض المعرضين عنك .

٣ - لكن أنزلناه تذكرة لمن يخاف الله فيطيعه .

وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
 الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ
 حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ
 هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَلْمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
 وَأَنَا آخَرْتِكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾

٤ - قد نزل عليك هذا القرآن من عند الله القادر خالق الارض والسموات الرفيعة العالية .

٥ - عظيم الرحمة على ملكه استولى .

٦ - له - وحده - سبحانه ملك السموات وما فيها والارض وما عليها ، وملك ما بينها ، وما اختبأ في الارض من معادن وخيرات .

٧ - وكما شملت قدرة الله كل شيء قد أحاط علمه بكل شيء ، وان ترفع صوتك أيها الانسان بالقول ، فان الله يعلمه ، لانه يعلم حديثك مع غيرك ويعلم حديث نفسك .

٨ - هو الله الاله الواحد المستحق للعبادة دون سواه ، اذ هو المتصف بصفات الكمال ، وله الصفات الحسنى .

٩ - هل علمت أيها النبي خبر موسى مع فرعون ؟

١٠ - حين أبصر نارا في مسيره ليلا من مدين الى مصر ، فقال عند ذلك لزوجه ومن معها : انتظروا في مكانكم ، انى ابصرت نارا ، ارجو ان احمل لكم منها جمره تدفئكم ، او اجد حول النار من يهدينى الى الطريق .

١١ - فلما بلغ مكانها ، سمع صوتا علويا يناديه : يا موسى .

١٢ - انى انا الله ربك ، فانزع نعليك تكريما للموقف ، فانك بالوادى المطهر المبارك وهو « طوى » .

١٣ - وأنا الله اصطفيتك بالرسالة ، فاصغ لما أوحى اليك لتعلمه وتبلغه قومك .

١٤ - اننى انا الله الاله الواحد ، لامعبود بحق سواى ، فامن بى واعبدنى ، وداوم على اقامة الصلاة لتظل فى

ذكر دائم بى .

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا
 مَعَارِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَظْ سُنْعِيهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِتُزَيِّكَ مِنْ
 آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾

- ١٥ - ان الساعة التي هي موعد لقائى وقد أخفيت موعدها عن عبادى ، وأظهرت لهم دلائلها ، آية للاحالة ، لتحاسب كل نفس على ما عملت وتجزى به .
- ١٦ - فلا يصرفنك ياموسى عن الايمان بالساعة والاستعداد لها من لا يصدق بها ، وما لمع هواه فتهلك .
- ١٧ - وما تملك التي تمسكها بيدك اليمنى ؟
- ١٨ - وأجاب موسى : انها عصاى أعتد عليها فى سبرى ، وأسوق بها غنمى ، ولى فيها منافع أخرى ، كدفع أذى الحيوان .
- ١٩ - قال الله سبحانه لموسى : ارم بها على الأرض .
- ٢٠ - فرمى بها موسى ، ففوجىء بها تنقلب حية تمشى !
- ٢١ - فارتاع منها ، فطمأنه الله قائلا : تناولها دون خوف ، فاننا سنعيدها عصا كما كانت .
- ٢٢ - وأدخل يدك فى جيب ثوبك مضمومة الى جنبك ، تخرج بيضاء ناصعة من غير داء وقد جعلناها لك معجزة ثانية على رسالتك .
- ٢٣ - لتريك بعض معجزاتنا الكبرى لتكون دليلا على صدقك فى الرسالة .
- ٢٤ - اذهب الى فرعون وادعه الى الايمان بالله الواحد الأحد ، فانه قد تجاوز الحد فى كفره وطمغيانه
- ٢٥ - فتضرع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره ، ليذهب عنه الغضب ، وليؤدى رسالة ربه ..
- ٢٦ - وسهل لى أمر الرسالة لأؤدى حقها ..

وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ
 بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُنْصِحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
 قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾
 أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ
 مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ
 كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ

٢٧ - وفك عقدة لساني لأبين .

٢٨ - ليفهم الناس فهمًا دقيقًا ما أقول لهم .

٢٩ - واجعل لي مؤازرا من أهلي .

٣٠ - هو أخى هارون .

٣١ - أشدد به قوتي .

٣٢ - وأشركه معي في تحمل أعباء الرسالة وتبليغها .

٣٣ - كي ننزهك كثيرا عما لا يليق بك .

٣٤ - ونردد أسماءك الحسنى كثيرا . .

٣٥ - ياربنا : انك دائما بصير بنا ، ومتكفل بأمرنا . .

٣٦ - نادى الله رسوله موسى قائلا : قد أعطيتك ما سألت ، وهذه منة عليك .

٣٧ - ولقد سبق ان تفضلنا عليك بمنة اخرى دون سؤال منك .

٣٨ - حين الهننا أمك الهاما كريما كانت فيه حياتك .

٣٩ - الهنناها ان تضعك - طفلا رضيعا - في الصندوق ، وأن تلقى به في النيل ، لننجيك من قتل فرعون ،
 إذ كان يقتل من يولد في بني اسرائيل من الذكور ، وسخرنا الماء ليلقى الصندوق بالشاطئ ، وشاءت ارادتنا أن
 يأخذ الصندوق فرعون عدوى وعدوك ، وأحببتك حب رحمة وولاية ، ليجبك كل من يراك ، ولتربي تربية كريمة
 ملحوظا برعايتي .

جِئْتُ عَلَى قَدْرِ يَمُوسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِأَيِّنِي وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾
 أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ أَلْفَهُ بِتَذَكُّرًا وَيُحْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ
 يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
 إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

٤٠ - واعلم يا موسى سابق عنايتنا بك حين مشت أختك ترقب أمرك ، فلما صرت في قصر فرعون ، ورأيتهم يبحثون لك عن مرضع ، دلتهم على أمك ، فرددناك اليها لتفرح بحياتك وعودتك ، ولتكف عن الحزن والبكاء ، ولما كبرت وقتلت خطأ رجلا من قوم فرعون ، نجيناك من الغم الذي لحق بك ، وخلصناك من شرهم ، فذهبت الى مدين ومكثت فيها سنين عدة ، ثم عدت من مدين في الموعد الذي قدرناه لارسالك ..

٤١ - واصطفيتك لوحى وحمل رسالتى .

٤٢ - اذهب مع اخيك مؤيدين بمعجزاتى الدالة على النبوة والرسالة ولاتضعفا في تبليغ رسالتى ، ولا تغفلا عن ذكرى والاستعانة بى .

٤٣ - اذهب مع اخيك هارون الى فرعون ، انه كافر تجاوز الحد في كفره وطفغيانه .

٤٤ - فادعوا الى الايمان بى في رفق ولين ، راجيين أن يتذكر ماغفل عنه من الايمان ، ويحشى عاقبة كفره وطفغيانه .

٤٥ - فتضرع موسى وهارون الى الله قائلين : ياربنا اتنا نخشى ان يبادرنا فرعون بالاذى ، ويتجاوز الحد فى الاساءة .

٤٦ - فطمأنها الله بقوله : لاتخافا فرعون ، اننى معكما بالرعاية والحفظ ، سمع لمايقول ، مبصر لما يفعل ، فلا أمكنه من ايذائكما .

٤٧ - فاذهبا الى فرعون فقولا له : اتنا رسولان اليك من ربك ، جئنا ندعوك الى الايمان به ، وان تطلق بنى اسرائيل من الاسر والعذاب ، قد آتيناك بمعجزة من الله تشهد لنا بصدق مادعونك اليه ، وبالامان من عذاب الله وغضبه لمن اتبع هداه .

٤٨ - وان الله قد أوحى الينا ان عذابه الشديد واقع على من كذبنا وأعرض عن دعوتنا .

٤٩ - قال فرعون فى طفغيانه وجبروته : فمن ربكما يا موسى ؟

خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ
 نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
 نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكُمْ
 أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَلْمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ

٥٠ - فأجابه موسى : ربنا الذى منح نعمة الوجود لكل موجود ، وخلقه على الصورة التى اختارها سبحانه له ، ووجهه لما خلق (١) .

٥١ - قال فرعون : فاشأن القرون الماضية وما جرى لها ؟

٥٢ - قال موسى : علم هذه القرون عند ربى وحده ، وهى مسجلة فى صحائف اعمالهم ، لا يغيب عن علمه شىء منها ولا ينساه ..

٥٣ - هو الاله المتفضل على عباده بالوجود والحفظ ، مهد لكم الارض فبسطها بقدرته ، وشق لكم فيها طرقا تسلكونها ، وأنزل المطر عليها تجرى به الانهار فيها ، فأخرج سبحانه أنواع النبات المختلفة المتقابلة فى ألوانها وطعمها ومنافعها ، فمنها الابيض ، ومنها الاسود ، ومنها الحلو ، ومنها المر ..

٥٤ - ووجه - سبحانه - عباده الى الانتفاع بما أخرج من النبات ، بالاكل ورعى الانعام ، ونحو ذلك . فذكر ان فى هذا الخلق وابداعه والإنعام به دلائل واضحة ، يهتدى بها ذوو العقول الى الايمان بالله ورسالاته .

٥٥ - ومن تراب هذه الارض خلق الله آدم وذريته ، واليه يردهم بعد الموت لمواراة أجسامهم ، ومنها يخرجهم احياء مرة أخرى للبعث والجزاء .

٥٦ - ولقد أرينا فرعون على يد موسى المعجزات البينة المؤيدة لرسالته وصدقه فى كل ما أخبره به عن الله وعن آثار قدرته ، ومع هذا فقد تمادى فرعون فى كفره ، فكذب بكل ذلك ، وأبى أن يؤمن به .

٥٧ - قال فرعون لموسى : أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ، وتجعلنا فى يد قومك بسحرك الذى قتلت الناس به ؟ !

(١) أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شىء صفاته الخاصة التى تؤهله لأداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة كما أنها سبيل هداية الإنسان .

مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنبِيَ ﴿٦٠﴾
 قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ
 بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
 بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْنَ صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ
 تَلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَبَلُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَىٰ

٥٨ - وانا سنبتل سحرك من عندنا، فاجعل بيننا وبينك موعدا تلتق فيه، ولا يختلف منا أحد.

٥٩ - فأجابه موسى: موعدنا يوم عيدكم الذي تترنون فيه مبتهجين به، فيجتمع الناس في ضحى ذلك اليوم، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم.

٦٠ - فانصرف فرعون، وتولى الامر بنفسه، فجمع وسائل تدبيره، وعلية من السحرة، وأدوات السحر، ثم حضر في الموعد بكل ذلك.

٦١ - قال لهم موسى: يحذرهم هلاك الله وعذابه، وينهاهم عن اختلاق الكذب، بزعمهم الوهية فرعون، وتكذيبهم رسل الله، وانكارهم المعجزات، وهددهم بأن الله يستأصلهم بالعذاب ان استمروا على هذا، ويؤكد خسران من افترى الكذب على الله.

٦٢ - فدعروا من تحذير موسى، وتفاوضوا سرا فيما بينهم متجادبين وكل يشير برأى فيما يلقون به موسى.

٦٣ - وأجمعوا فيما بينهم على أن موسى وهارون ساحران، يعملان على اخراجهم من بلادهم، باخراج السلطان من أيديهم، وذلك بالسحر ليتمكن بنو اسرائيل فيها، وليبطلا عقيدتهم الطيبة في زعمهم!

٦٤ - فاجعلوا ماتكيدون به موسى أمرا متفقا عليه، ثم احضروا مصطفين، لتكون لكم في نفوس الراتين الهية والقلبية، وقد فاز اليوم من غلب.

٦٥ - واجه السحرة موسى برأى واحد، وخيره في شيوخ واعتزاز، بين ان يبدأ فيلقى عصاه، أو أن يكونوا هم البادئين.

تَسَعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ بُجْدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَأَمْنَتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ ءِإِنَّهُ لَكَبِيرُكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

٦٦ - قال موسى : بل ابتدئوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، فتخيل موسى من السحر انها انقلبت ثعابين تتحرك

وتسير .

٦٧ - فأحس موسى بالخوف لما رآه من اثر السحر ، ومن احتمال أن يلتبس السحر على الناس بالمعجزة ! .

٦٨ - فأدركه الله بلطفه قائلاً : لا تخش شيئاً ، انك الغالب المنتصر على باطلهم .

٦٩ - وألقى العصا التي يمينك لتبتلع ما زوروا من السحر ، ان صنعهم لا يجاوز قومه السحرة ، وان الساحر

لا يفوز أبناً كان .

٧٠ - فألقى موسى عصاه فإذا بها تنقلب حقا بقدره الله حية كبيرة مخيفة ، وابتلعت كل ما أعدوه ، فلما رأى

السحرة تلك المعجزة بادروا الى السجود ، موقنين بصدق موسى ، قائلين : آمنا بالله - وحده - رب هارون وموسى ،

ورب كل شيء .

٧١ - قال فرعون : كيف تؤمنون به دون اذن مني ؟ انه لرئيسكم الذي علمكم السحر ، وليس عمله معجزة كما

توهمتهم !! وهددهم : لأقطعن ايديكم وارجلكم مختلفات بقطع اليمنى من واحدة واليسرى من الاخرى ، ولأصلبنكم

في جدوع النخل ، وستعلمون أى الالهين أشد عذاباً وأدوم زمناً ، أنا أم اله موسى .

٧٢ - ثبت السحرة على ايمانهم ، ودفعوا تهديد فرعون بقولهم : لن نبتى على الكفر معك بعد ما تبين لنا الحق في

معجزة موسى ، ولن نختارك على اله موسى الذى خلقنا ، فافعل ما تريد ان تفعله !! ان سلطانتك لا يتجاوز هذه

الحياة القصيرة .

إِنَاءً آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ
 مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
 الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾
 وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾
 فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ
 قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

٧٣ - فانا مقيمون على الايمان بربنا الحق ، ليتجاوز لنا عما سلف من السيئات ، وليغفر لنا ممارسة السحر
 الذى اكرهتنا على تعلمه ، والعمل به وربنا خير منك ثوابا ، اذا اطيع ، وابق منك سلطانا وقدرة على الجزاء .

٧٤ - ان من يموت على الكفر ويلقى الله مجرما فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يجيا حياة
 يتمتع فيها بنعيم .

٧٥ - ومن يلاق ربه على الايمان وصالح العمل ، فله المنازل السامية .

٧٦ - تلك المنازل هى جنات الاقامة فى النعيم ، تجرى بين اشجارها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء لمن طهر
 نفسه من الكفر بالايمان ، والطاعة بعد الكفر والمعصية .

٧٧ - ثم تابعت الاحداث بين موسى وفرعون ، وأوحى الله إلى رسوله موسى أن يخرج بينى اسرائيل من مصر
 ليلا ، وأن يضرب البحر بعصاه فتحدث معجزة أخرى ، اذ يفتح له الطريق يبسا فى الماء ! . وطمانه ألا يخاف من
 ادراك فرعون لهم ، ولا أن يفرقهم الماء ! .

٧٨ - فنفذ موسى ما أمر الله به ، فخرج فرعون بجنوده وراه ، فأدركهم عند البحر . وسار وراههم فى الطريق
 التى تفتحت فى البحر لموسى وقومه ، وهنا تحققت المعجزة الاخرى ، وهى انطباق مياه البحر على فرعون وقومه ،
 فأغرقهم جميعا .

٧٩ - وهكذا انحرف بقومه عن طريق الحق ، وغرر بهم قهلكوا جميعا ! .

٨٠ - يا بنى اسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم فرعون ، وواعدناكم بالنجاة من عدوكم على لسان موسى ، أن
 تصلوا آمنين الى جانب الطور ، ونزلنا عليكم المن والسلوى ، رزقا طيبا ، من الحلو ولحم الطير الشهى .

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ^ط وَمَنْ يَجْلَلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ
 وَءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أُتْرَىٰ وَعَجِلْتُ
 إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
 غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَا

٨١- كلوا من هذه الطيبات التي رزقتم بها دون مجهود، ولا تظلموا، ولا تتركبوا معصية الله في هذا العيش
 الرغيد، حتى لا ينزل بكم غضبي، فان من ينزل عليه غضبي ينحدر الى أسفل الطبقات من عذاب الله.

٨٢- وانى عظيم الغفران لمن رجع عن كفره، وأحسن الايمان، وأصلح العمل، واستمر على ذلك حتى يلقى
 الله.

٨٣- سبق موسى قومه الى الطور، ليظفر بمنجاة ربه، فسأله الله عن السبب الذي أعجله بالحضور دون
 قومه.

٨٤- قال موسى: ان قومي قريبون منى، لاحقون بى، وانما سبقتهم اليك يارب رغبة في رضاك.

٨٥- قال الله له: انا قد امتحنا قومك من بعد مغادرتك لهم، فوقعوا في فتنة، اذ أضلهم السامرى.

٨٦- فعاد موسى الى قومه فى غضب شديد وحزن مؤلم، وخاطب قومه منكرا عليهم بقوله: لقد وعدكم ربكم
 النجاة والهداية، بنزول التوراة، والنصر بدخول الارض المقدسة، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله
 لكم، أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بطغيانكم الذى حذركم منه فأخلفتم عهدكم لى بالسير على
 سنتى والهجىء على أتري.

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَأْمَنَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَأَتَّخِذَ بِلَحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَا خَطْبُكَ

٨٧ - قال قوم موسى معتذرين : لم تتخلف عن موعدك باختيارنا ، ولكننا حملنا حين خرجنا من مصر أبقالا من حلل القوم ، ثم رأينا - لشؤمها علينا - أن نتخلص منها ، فأشعل السامري النار في حفرة ورمينا فيها هذه الأبقال ، فكذلك رمى السامري مامعه من الحلى .

٨٨ - فصنع السامري لهم عجلا مجسما من الذهب ، ير الريح في جوفه فيكون له صوت يسمع كخوار البقر ، لتتم الخديعة به ، ودعاهم الى عبادته فاستجابوا ، وقال هو واتباعه ، هذا معبودكم ومعبود موسى فسي ، انه يسهل بالتأمل والاستدلال على ان العجل لا يكون الها .

٨٩ - لقد عميت بصائرهم حين يعترون هذا العجل الها ! أفلا يرون انه لا يرد على اقوالهم ، ولا يستطيع ان يدفع عنهم ضرا ، ولا أن يجلب لهم نفعاً ؟

٩٠ - وكان هارون مقياً فيهم ، حين قيام هذه الفتنة ، ولقد قال لهم قبل رجوع موسى عليه السلام : يا قوم ، لقد وقعتم في فتنة السامري بهذا الباطل ! وان الحكم الحق هو الله الرحمن دون سواه ، فاتبعوني فإنا أنصحكم به ، وامثلوا رأيي بالامتناع عن هذه الضلالة .

٩١ - قالوا : سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل الى أن يعود موسى إلينا ! .

٩٢ - قال موسى متأثراً بما علمه ورآه من قومه : يا هارون ، أى سبب منعك أن تكفهم عن الضلالة اذ رأيتهم وقعوا فيها ؟

٩٣ - ولم تقم مقامى بنصحهم كما عهدت اليك ، أفلا تتبني فإنا عهدت به اليك أم هل عصيت أمرى ؟ .

٩٤ - قال هارون لموسى : يا ابن أُمى ، لاتعاجلنى بغضبك ، ولا تمسك بلحيتى ولا برأسى لقد خفت ان شددت عليهم فتفرقوا شيعا وأحزابا أن تقول لى : فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم تخلفنى فيهم كما عهدت اليك .

يَسْمِرِي ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۚ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ۝ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۗ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ ۗ وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝ إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَنْ أَعْرَضَ
عَنَّا فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۝ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

٩٥ - قال موسى عليه السلام للسامري: ما هذا الامر الخطير الذي بعد خطبا وقعت فيه؟!

٩٦ - قال السامري لموسى: عرفت من حذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو اسرائيل، وصنعت لهم صورة
عجل له هذا الصوت، وقبضت قبضة من التوراة فآلقيتها في جوف العجل، تموها على الناس، وكذلك زينت لي
نفسى أن أفعل ما فعلت.

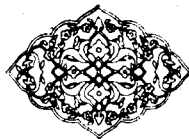
٩٧ - قال موسى للسامري: اخرج من جماعتنا، وابتعد عنا، وان جزاءك في الدنيا أن تهيم على وجهك، وينفر
الناس منك، حتى لا تكون بينك وبينهم صلة، فلا يقربك أحد، ولا تقترب أنت من أحد، وان لعذابك في الآخرة
موعدا محددًا لاستطيع الفرار منه!! وندد موسى به وبإلهه قائلاً: أنظر الآن ماذا نصنع بالهك الذى عكفت على
عبادته، وفتنت الناس به، لنحرقه ثم لنذروه في البحر ذروا!!

٩٨ - وقام موسى بانجاز ما قال، ثم اتجه الى بنى اسرائيل بعد هذه العبرة قائلاً لهم: ان الهكم الواحد، هو
الذى لا يعبد بحق سواه، وقد أحاط علمه بكل شىء مما كان وما سيكون.

٩٩ - كما قصصنا عليك أيها الرسول نبأ موسى، نخبرك بالحق عن الامم السابقة وقد أنزلنا عليك من عندنا
كتاباً فيه تذكير لك ولأمتك، بما فيه صلاح دينكم ودنياكم.

١٠٠ - من انصرف عن تصديقه والاهتداء به، فانه يضل في حياته، ويأتى يوم القيامة حاملاً اثم ما صنع،
ويجازى بالعذاب الشديد.

١٠١ - ويخلد في هذا العذاب، وبئس هذا الحمل السىء يوم القيامة!.



وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
 قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجٍ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
 لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
 يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۗ عَلِيمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ

١٠٢ - اذكر أيها الرسول لامتك اليوم الذي نأمرك به الملك ان ينفخ في الصور نفخة الاحياء والبعث من القبور. وندعوهم الى المحشر، ونسوق المجرمين الى الموقف زرق الوجوه ربعا وفزعا!

١٠٣ - يتهامون فيما بينهم في ذلة واضطراب عن قصر الحياة الدنيا، حتى كأنهم لم ينعموا بها، ولم يلبثوا فيها الا عشرة أيام!

١٠٤ - وليس تهامسهم خافيا، فنحن اعلم بما يتهامون به، وبما يقول اقربهم الى تصوير شعورهم نحو الدنيا بأنها لم تكن الا كيوم واحد!

١٠٥ - ويسألك المنكرون للبعث - أيها الرسول - عن مصير الجبال يوم القيامة التي تحدث عنه، فأجبههم بأن الله يفتتها كالرمل، ثم يطيرها بالرياح فتكون هباء!

١٠٦ - فيدع أماكنها من الأرض بعد نسفها ملساء مستوية.

١٠٧ - لاتبصر في الأرض انخفاضاً ولا ارتفاعاً، كأنها لم تكن معمورة من قبل.

١٠٨ - يوم القيامة يتبع الناس بعد قيامهم من قبورهم، دعوة الداعي الى المحشر مستسلمين، لا يستطيع أحد منهم أن يعدل عنه يمينا ولا شمالا، وتخضع الاصوات بالسكون والرهبة لعظمة الرحمن، فلا يسمع الا صوت خفي.

١٠٩ - يومئذ لاتنفع الشفاعة من أحد، الا من أكرمه الله فأذن الله بالشفاعة ورضى قوله فيها، ولاتنفع الشفاعة في أحد الا من اذن الرحمن في أن يشفع له، وكان مؤمنا، ورضى الله قوله بالتوحيد والايان.

١١٠ - والله - جل شأنه - يعلم ماتقدم من أمورهم في دنياهم، وما يستقبلونه منها في اخرهم، فهو سبحانه يدبر الامر فيهم بمقتضى علمه، وهم لا يحيطون علما بتدبيره وحكمته..

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى
 اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾
 وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ

١١١ - وذلت وجوه في هذا اليوم ، وخضعت للحي الذي لا يموت ، القائم بتدبير أمور خلقه . وقد خسر النجاة والثواب في اليوم الآخر من ظلم نفسه في الدنيا فأشرك بربه ! .

١١٢ - ومن يعمل من الطاعات وهو مصدق بما جاء به محمد ﷺ فهو لا يخاف ان يزداد في سيئاته ، أو ينقص من حسناته .

١١٣ - ومثل هذا البيان الحق الذي سلف في هذه السورة - في تمجيد الله وقصة موسى ، وأخبار القيامة - أنزل الله هذا الكتاب قرآنا عربيا ، وصرف القول في أساليب الوعيد ووجوهه ، لينتهوا عما هم فيه من العصيان ، وليجدد القرآن لهم عظة واعتبارا .

١١٤ - فارتفع عن الظنون ، وتنزه عن مشابهة الخلق الملك الذي يحتاج اليه الحاكمون والمحكومون ، المحقق في الوهية وعظمته ، ولا تعجل يا محمد بقراءة القرآن من قبل ان يفرغ الملك من القائه اليك ، وقل : رب زدني علما بالقرآن ومعانيه .

١١٥ - ولقد وصينا آدم - أيها الرسول - من أول أمره ، ألا يخالف لنا أمرا ، فنسى العهد وخالف ، ولم نجد له أول أمره عزما وثيقا ، وتصميا قويا يمنع من أن يتسلل الشيطان الى نفسه بوسوسته ! .

١١٦ - واذكر ، أيها الرسول ، حين أمر الله الملائكة بتعظيم آدم على وجه أراده سبحانه ، فامتثلوا ، لكن إبليس وهو معهم - وكان من الجن - خالف وامتنع ، فأخرج وطرد !

١١٧ - فخطب الله آدم قائلا : ان هذا الشيطان الذي خالف امرنا في تعظيمك عدو لك ولحواء زوجتك ، فاحذروا وسوسته بالمعصية ، فيكون سببا في خروجكما من الجنة ، فتشقى يا آدم في الحياة بعد الخروج من الجنة .

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۗ ﴿١١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۗ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۗ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رَّرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۗ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۗ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۗ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْتَقِنِي ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۗ ﴿١٢٣﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

١١٨ - ان علينا أن نكفل لك مطالب حياتك في الجنة ، فلن يصيبك فيها جوع ولا عرى .

١١٩ - وأنه لن يصيبك فيها عطش ، ولن تتعرض فيها لحر الشمس كما هو شأن الكادحين في خارج الجنة .

١٢٠ - فاحتال عليه الشيطان يهمس في نفسه ، مرغبا له ولزوجه في الأكل من الشجرة المنهى عنها ، قائلا : أنا أدلك بآدم على شجرة ، من أكل منها رزق الخلود ، ورزق ملكا لا يفنى !

١٢١ - ودله على الشجرة المحرمة فخدع آدم وزوجه باغراء ابليس ، ونسيا نهي الله ، واكلتا منها ! فظهرت لهما عوراتهما ، جزاء طمعهما ، حتى نسيا ووقعا في مخالفتها ، وصارا يقطعان من ورق شجر الجنة ويستتران ما بدا منها ، وخالف آدم ربه ، وكان ذلك قبل النبوة ، فحرم الخلود الذي تمناه وفسد عيشه !

١٢٢ - ثم اصطفاه الله للرسالة ، فقبل توبته ، وهداه الى الاعتذار والاستغفار .

١٢٣ - أمر الله آدم وزوجه أن يخرجوا من الجنة ويهبطا الى الأرض وأخبرهما سبحانه بان العداوة ستكون في الأرض بين ذريتهما ، وأنه سبحانه سيهدم بالهدى والرشاد ، فمن اتبع منهم هدى الله فلا يقع في المآثم في الدنيا ، ولا يشقى بالعذاب .

١٢٤ - ومن أعرض عن هدى الله وطاعته ، فانه يجيى حياة لا سعادة فيها ، فلا يقنع بما قسم الله ، ولا يستسلم الى قضاء الله وقدره ، حتى اذا كان يوم القيامة جاء الى موقف الحساب مأخوذا بذنبه ، عاجزا عن الحجة التي يعتذر بها ، كما كان في دنياه أعمى البصيرة عن النظر في آيات الله .



بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٦﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى ﴿١٢٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ اللَّيْلِ
فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٢٩﴾ وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا

١٢٥ - وفي هذا الموقف يسأل ربه ، في فزع : يارب ، كيف انسى الحجة ، وأعجزتني عن المعذرة ، ووقفني
كالأعمى ؟! وقد كنت في الدنيا أبصر ماحولى واجادل وادافع !!

١٢٦ - الأمر في شأنك كما وقع : جاءتك دلائلنا ورسلا في الدنيا فنسيها ، وتعاميت عنها . ولم تؤمن بها ،
وكذلك اليوم تترك منسيا في العذاب والهوان !

١٢٧ - ومثل هذا الجزاء السيء ، نجزي في الدنيا من أقبل على المعصية ، وكذب بالله وآياته ، وان عذاب
الآخرة لأشد ألما ، وأدوم مما كان في الدنيا ..

١٢٨ - كيف يتعامون عن آيات الله ، وقد تبين لهم اهلاطنا لكثير من الامم السالفة بسبب كفرهم ، ولم يتعظوا
بهم مع أنهم يمشون في ديارهم ومسالكهم ، ويشهدون آثار ماحل بهم من العذاب ؟! وان في تلك المشاهد لعظات
لأصحاب العقول الراجحة .

١٢٩ - ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم الى أجل مسمى هو القيامة ، لكان العذاب لازما لهم
في الدنيا كما لزم كفار القرون الماضية .

١٣٠ - فاصبر - أي الرسول - على مايقولونه في رسالتك من تكذيب واستهزاء . ونزه ربك عما لا يليق به ،
بالثناء عليه ، وعبادته وحده دائما ، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب ، ونزهه واعبده في ساعات
الليل ، وفي أطراف النهار بالصلاة ، حتى تدوم صلتك بالله ، فلتطمئن الى ما أنت عليه ، وترضى بما قدر لك .

١٣١ - ولاتتعد بنظرك الى ما متعنا به أصنافا من الكافرين ، لأن هذا المتاع زينة الحياة الدنيا وزخرفها ،
يتمتعن الله به عباده في الدنيا ، ويدخر الله لك في الآخرة ما هو خير وأبقى من هذا المتاع .

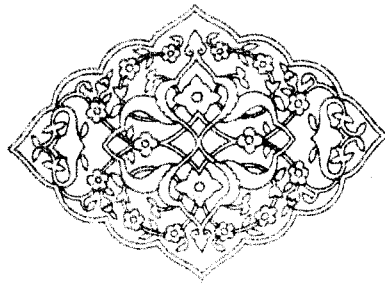
تَحْنُ نَزْرُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَبْنَا بَعَايَةَ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَرَ تَأْتِيهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾
 وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ
 وَنُخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا ۗ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

١٣٢ - ووجه أهلك الى أن يؤدوا الصلاة في أوقاتها ، فالصلاة أقوى ما يصلهم بالله ، وداوم على اقامتها كاملة ، لانكلفك رزق نفسك ، فنحن متكفلون برزقك ، وان العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة مكفولة لاهل الصلاح والتقوى .

١٣٣ - وقال الكافرون في عنادهم : لماذا لا ياتينا محمد بدليل من ربه ، يلزمنا الايمان به ؟ ! فكيف يجحدون القرآن - وقد جاءهم به مشتتلا على ما في الكتب السابقة من انباء الامم الماضية ، واهلاكهم بسبب تكذيب الرسل ، وليس محمد بدعا في ذلك ؟ !

١٣٤ - ولو عاجل الله هؤلاء الكافرين بالاهلاك ، قبل أن يرسل اليهم محمدا ، لاعتذروا يوم القيامة قائلين : ياربنا لم ترسل الينا رسولا في الدنيا مؤيدا بالآيات لتتبعه ، قبل أن ينزل بنا العذاب والنخزى في الآخرة . . ولكن لا عذر لهم الآن بعد ارسال الرسول !

١٣٥ - قل أيها الرسول لهؤلاء المعاندين : اتنا جميعا منتظرون لما يؤول اليه أمرنا وأمركم ، وستعلمون حقا ، أى الفريقين صاحب الدين الحق والمهتدى بهدى الله ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ

سورة مكية نزلت بعد سورة ابراهيم وآياتها ١١٢ آية وهي تبين قرب الساعة ، مع غفلة المشركين عنها . وقد دعوا أن الرسول لا يكون بشرا ، وقالوا مرة عن القرآن سحر ، ومرة شعر ، ومرة أضغاث أحلام . والنذر بين أيديهم قائمة ، وما كان الرسل الا رجلا مثل محمد ﷺ ، وان السابقين قبلهم كذبوا . كما كذبت قريش فقصرم الله قراهم . وهو القادر على الالهلاك والابقاء ، وله كل مافي السموات والارض ، والملائكة في معارجهم يسبحون الله تعالى ولا يفترون وان صلاح السموات والأرض دليل على أن منشئها واحد ، فلو شاركه أحد لفسدتا والرسول جميعا جاءت بعبادة الله وحده ، وليس له ولد . ولا يقول أحد انه اله مع الله ، والا فجزأؤه جهنم . . . وبين سبحانه شأن عظمة خلقه ، وعجائب التكوين في السموات والارض ، وبين حال المشركين والكافرين ، ونبه سبحانه وتعالى الى حفظ الله تعالى للناس ، وأشار سبحانه الى مايكون من جزاء يوم القيامة للكافرين . وذكر قصة موسى وهارون مع فرعون وقصة ابراهيم مع قومه وانعامه عليه بالذرية الطيبة ، وذكر سبحانه قصة لوط وقومه وهلاكهم وقصة نوح عليه السلام وكفر قومه ، وابادتهم الا من آمن ثم أشار سبحانه وتعالى الى قصص سليمان . وداود . وأيوب والصالح وغيرته . ومايجازى به الذين اتقوا واحسنوا . وحالهم يوم القيامة ، ورحمة الله في الرسالة المحمدية . وانذار الله للمشركين ، وأن الامر له يحكم وهو خير الحاكمين .

١ - دنا للمشركين وقت حسابهم يوم القيامة ، وهم غافلون عن هوله ، معرضون عن الايمان به .

٢ - ماياتيهم قرآن من ربهم مجدد نزوله . مذكر لهم بما ينفعهم ، الا استمعوه وهم مشغولون عنه بما لا نفع فيه . يلعبون كما يلعب الاطفال .

تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلِيمٍ بَلْ
 أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَرَّ قَصْمَنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا

٣ - لاهية قلوبهم عن التأمل فيه ، وبالفوا في اخفاء تأمرهم على النبي وعلى القرآن ، قائلين فيما بينهم : ما محمد الا بشر مثلكم والرسول لا يكون الا ملكا ، اتصدقون محمدا فتحضرون مجلس السحر وأنتم تشاهدون أنه سحر؟!!

٤ - قال الرسول لهم وقد أطلعهم الله على حديثهم الذي أسروه : ربي يعلم كل ما يقال في السماء والارض ، وهو الذي يسمع كل ما يسمع ، ويعلم كل ما يقع ..

٥ - بل قالوا : انه اخلاط احلام رأها في المنام ، بل اختلقه ونسبه كذبا الى الله .. ثم اعرضوا عن ذلك وقالوا : بل هو شاعر يستولى على نفوس سامعيه ، فليأتنا بمعجزة مادية دالة على صدقه ، كما أرسل الأنبياء الاولون مؤيدين بالمعجزات .

٦ - لم تؤمن قبلهم أمة من الأمم التي أهلكتها بعد أن كذبت بالمعجزات المادية ، فهل يؤمن هؤلاء اذا جاءهم ما يطلبون؟!!

٧ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي الا رجلا من البشر ، نوحى اليهم الدين ليلفوه الناس . فاسألوا أيها المنكرون أهل العلم بالكتب المنزلة ان كنتم لا تعلمون ذلك .

٨ - وما جعلنا الرسل اجسادا تخالف اجساد البشر يعيشون دون طعام ، ويبقون على الايام ، وما كانوا باقين مخلدين ..

٩ - ثم صدقناهم ، وحققتنا لهم الوعد ، فأنجيناهم وانجينا معهم من أردنا نجاتهم من المؤمنين ، وأهلكنا الكافرين المسرفين في تكذيبهم وكفرهم برسالة انبيائهم .

١٠ - لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه تذكير لكم اذا علمتموه وعلمتم بما فيه ، فكيف تعرضون وتكفرون به؟! ابلغ بكم العناد والحمق الى ما أنتم عليه فلا تعقلون ما ينفعكم فتسارعون اليه؟

قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَانَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ
 وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُؤَيِّلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ
 حَصِيدًا خَلْمِدينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَتَّخِذُهُ
 مِن لَّدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
 تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

١١ - وكثير من أهل القرى اهلكناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم وأنشأنا بعد كل قوم منهم قوما غيرهم أحسن منهم حالا ومالا .

١٢ - فلما أردنا اهلاكهم ، واحسوا بما يقع عليهم من شدة عذابنا وقدرتنا على انزاله سارعوا الى الهرب ، والتماس النجاة بما يشبه عمل الدواب .

١٣ - لاتسرعوا أيها المنكرون ، فلن يعصمكم من عذاب الله شيء ، وارجعوا الى ما كنتم فيه من نعيمكم ومساكنكم ، لعل خدمكم وأتباعكم يسألونكم المعونة والرأى كما كان شأنكم ، وانى تستطيعون ؟؟

١٤ - قالوا - وقد سمعوا الاستهزاء بهم منادين هلاكهم موقنين به - : انا كنا ظالمين حين اعرضنا عما ينفعنا ، ولم نؤمن بآيات ربنا .

١٥ - فزالت هذه الكلمات يرددونها . ويصيحون بها . حتى جعلناهم - بالعذاب - كالزراع المحصود خامدين لاحياة فيهم .

١٦ - وما خلقنا السماء والارض وما بينها بهذا النظام المحكم ، والصنع البديع نلعب بها ، بل جعلناها لحكم عالية يدركها التأملون .

١٧ - لو أردنا أن نتخذ مانلهو به لما أمكن أن نتخذه الا من ملكنا الذى ليس فى الوجود ملك غيره ، ان كنا ممن يفعل ذلك . ولسنا ممن يفعله لاستحالاته فى حقنا .

١٨ - بل أمرنا الذى يليق بنا هو أن نقذف الحق فى وجه الباطل فيذهب ، ولكم أيها الكافرون الهلاك ، بسبب افترائكم على الله ورسوله .

١٩ - والله وحده كل من فى السموات والارض خلقا وملكا ، فن حقه وحده أن يعبد ، والمقربون اليه من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته والخضوع له ، ولا يشعرون بالاعياء والملل من طول عبادته بالليل والنهار .

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ
لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

٢٠ - يزهونه جل شأنه عما لا يليق به . لا يتخلل تزهيهم هذا فتور ، بل هو تزيه دائم لا يشغلهم عنه شاغل ..

٢١ - لم يفعل المشركون ما يفعله المقربون من اخلاص العبادة لله . بل عبدوا غيره واتخذوا من الأرض آلهة
لا تستحق أن تعبد ، وكيف يعبد من دون الله من لا يستطيع اعادة الحياة ؟!

٢٢ - لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدير أمرها ، لاختل النظام الذي قام عليه خلقها ، وبلغ غاية
الدقة والاحكام ، فتزهاها الله صاحب الملك عما ينسبه اليه المشركون .

٢٣ - لا يحاسب - سبحانه - ولا يسأل عما يفعل ، لأنه الواحد المتفرد بالعزة والسلطان ، الحكيم العليم ،
فلا يخطيء في فعل أى شئ ، وهم يحاسبون ويسألون عما يفعلون لأنهم يخطئون لضعفهم وجهلهم وغلبة الشهوة
عليهم .

٢٤ - لم يعرفوا حق الله عليهم ، بل اتخذوا من غيره آلهة يعبدونها دون دليل معقول أو برهان صادق . قل
أيها النبي : هاتوا برهانكم على أن الله شريكا في الملك يبرر اشراكه في العبادة . هذا القرآن الذي جاء مذكرا لأمتي
بما يجب عليها ، وهذه كتب الانبياء التي جاءت لتذكر الامم قبل تقوم كلها على توحيد الله . بل أكثرهم لا يعلمون
ما جاء في هذه الكتب لأنهم لم يهتموا بالتأمل فيها . فهم معرضون عن الايمان بالله .

٢٥ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي رسولا ما ، الا اوحينا اليه أن يبلغ امته انه لا يستحق العبادة
غيري ، فأخلصوا لى العبادة .

٢٦ - وقال بعض كفار العرب : اتخذ الرحمن ولدا ، بزعمهم أن الملائكة بناته . تزئه عن أن يكون له ولد . بل
الملائكة عباد مكرمون عنده ، بالقرب منه ، والعبادة له .

٢٧ - لا يسبقون الله بكلمة يقولونها ، قبل أن يأذن لهم بها ، وهم بأمره دون غيره يعملون ، ولا يتعدون حدود
ما يأمرهم به .

أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ

٢٨ - يعلم الله كل أحوالهم وأعمالهم - ما قدموه وما آخروه - ولا يشفعون عنده الا لمن رضى الله عنه ، وهم من شدة خوفهم من الله تعالى ، وتعظيمهم له ، في حذر دائم ..

٢٩ - ومن يقل من الملائكة : انى اله يعبد من دون الله ، فذلك نجزيه جهنم . مثل هذا الجزاء نجزي كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، ويظلمون أنفسهم بادعاء الربوبية والشرك .

٣٠ - أعمى الذين كفروا ، ولم يبصروا أن السموات والارض كانتا في بدء خلقها ملتصقتين ، فبقدرتنا فصلنا كلا منها عن الاخرى ، وجعلنا من الماء الذى لاحياة فيه كل شىء حى؟! فهل بعد كل هذا يعرضون ، فلا يؤمنون بانهم لا اله غيرنا؟! (١).

(١) « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى » . تقرر هذه الآية معاني علمية أيدتها النظريات الحديثة في تكوين الكواكب والأرض ، إذ أن السموات والأرض كانتا في الأصل متصلة بعضها ببعض على شكل كتلة متصلة متساكة .. والحقيقة العلمية التي اتفق عليها هي أن السموات والأرض كانتا متصلتين ، واستدل على ذلك بأدلة علمية عديدة . أما الفتق فعناه الانفصال ، وهو ما قرره الآية الشريفة وأيده العلم بعد ذلك . وهناك نظريات عديدة تفسر بمض الظواهر في هذا الشأن وتجزع عن تفسير الأخرى ، لذلك فليس بين هذه النظرية ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع . وسنذكر فيما يلي على سبيل المثال نظريتين :

النظرية الأولى : الخاصة بتكوين المجموعة الشمسية - مثلا - تقرر أن الضخم الكونى حول الشمس بدأ في التمدد في الفضاء البارد ، وأخذت حبيبات الغاز الذى يتألف منه الغمام بالتكثف على الذرات الغازية ذات الحركة السريعة ، ثم تجمعت هذه الذرات بالتصادم والتراكم ، وهي تجسب في داخلها كميات من الغاز الثقيلة ، وازداد التراكم والتجمع على مر الأحقاب حتى تكونت الكواكب والأقمار والأرض على أبعاد مناسبة ، ومن المعروف أن التجمع والتراكم يؤدي إلى زيادة في الضغط الذى يؤدي بدوره إلى زيادة شديدة في الحرارة ، وعندما تبلورت القشرة الأرضية بالبرودة وخلال عمليات الانفجارات البركانية العديدة التي أعقبت ذلك حصلت الأرض على كميات هائلة من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون بالانفصال عن الطفوح البركانية السائلة .. وبما ساعد على تكوين الأوكسوجين الطليق في الهواء بعد ذلك نشاط وتفاعل أشعة الشمس عن طريق التمثيل الضوئي مع النباتات الأولية والأعشاب .

أما النظرية الثانية : الخاصة بنشأة الكون عامة فتلخص في أن قوله تعالى : « كانتا رتقا » أى مضمومتين ملتصقتين في صورة كتلة واحدة ، وهذا آخر ما وصل إليه البحث العلمى في نشأة الكون ، وهو أنه قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشدا هائلا متجمعا في أبسط صورة لتقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل ، وأن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها بما فيها المجموعة الشمسية والأرض كانت مكلسة تكديسا شديدا في كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال . وقوله تعالى « ففتقناهما » إشارة لما حدث لذلك السائل النوروى الأولى من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء . انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض .

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » : تقرر هذه الآية حقيقة علمية أثبتتها أكثر من فرع من فروع العلم ، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كائن حى نباتا كان أو حيوانا ، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحويلات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو أما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه .

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها .

بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالنَّشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

- ٣١- ومن دلائل قدرتنا ، انا جعلنا في الأرض جبالا ثوابت ، لتلا تضرب بهم ، وجعلنا فيها طرقا فسيحة ، ومسالك واسعة ، لكي يهتدوا بها في سيرهم الى اغراضهم .
- ٣٢- وجعلنا السماء فوقهم كالسقف المرفوع ، وحفظناها من أن تقع ، أو يقع ما فيها عليهم . وهم مع ذلك منصرفون عن النظر والاعتبار بآياتنا الدالة على قدرتنا ، وحكمتنا ورحمتنا .
- ٣٣- والله هو الذي خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كل من هذه يجري في مجاله الذي قدره الله له ، ويسبح في فلكه لا يحيد عنه .
- ٣٤- وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها النبي - الخلود في هذه الحياة حتى يتربص بك الكفار الموت . فكيف ينتظرون موتك ليشتموا بك وهم سيموتون كما تموت ؟ ! أفإن مت يبقى هؤلاء احياء دون غيرهم من سائر البشر ؟ .

تعليق الخبراء على الآية ٣١ :

« وجعلنا في الأرض رواسي أن تعمد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون » : لما كان باطن الأرض منصهرا سائلا ، فلو فرضنا أن الجبال وضعت في بعض نواحي الكرة الأرضية كأنها صخور هائلة مرتفعة فإن ثقلها قد يؤدي بالقشرة الأرضية أن تميد أو تنثنى أو تتصدع . لذلك جعل - جل شأنه - الجبال رواسي : أي ذات جذور ممتدة في داخل القشرة الأرضية إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها ، فهي كأنها أوتاد كما جعل كثافة هذه الارتفاعات والجذور أقل من كثافة القشرة المحيطة بها . كل ذلك حتى يتوزع الضغط على القشرة العميقة بحيث يكون مساويا في جميع أجزائها فلا تميد أو تتصدع لأن التوزيع المتماثل للأثقال على سطح كروي يكاد لا يحدث تأثيرا يذكر . وقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء على الأرض ووجود سلاسل الجبال عليها مما يحقق الوضع الذي عليه الأرض وقد ثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة وخفيفة ، وأن تحت ماء المحيطات توجد المواد الثقيلة الوزن ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف الكرة الأرضية . وهذا التوزيع الذي أساسه الجبال دائما قصد به حفظ توازن الكرة الأرضية ، ولما ارتفعت الجبال حدثت السهول والوديان والممرات بين الجبال وشواطئ البحار والمحيطات والهضبات ، وكانت سبلا وطرقا .

تعليق الخبراء على الآية ٣٢ :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن السموات وما فيها من أجرام محفوظة بكيانها مماسكة لا خلل فيها ، و محفوظة من أن تقع على الأرض . والسماء هي كل ما علانا .. تبدأ بالفضاء الهوائي الذي يحمي أهل الأرض من كثير من أهوال الفضاء التي لا تستقيم معها الحياة بمجال ، مثل الشهب والنيازك والأشعة الكونية ، وفوق الأرض الفضل الهوائي الذي تحتفظ به الأرض بقوة الجاذبية ولا سبيل إلى فقده في خضم الفناء المتناهي وفوق الغلاف الهوائي أجرام السماء على أبعاد مختلفة تحتفظ بنظام دورانها وكيانها منذ القدم كذلك .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا » : أي أن الغلاف الجوي ومئات الأجرام السماوية التي تشاهد بمساقطها على القبة التي تبدو لنا نظارتنا كأنها على سطح هذه القبة السماوية وتظهر لنا كأنها متمسة اتساعا كبيرا أفقيا ، بينما يظهر الاتساع الرأسى أقل بكثير من الاتساع الأفقى ، وتتمثل هذه الظاهرة عند مشاهدة قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب حيث يظهر أكبر مما هو عليه عندما تكون الشمس في سمت الرأس ، ومصدر ذلك هو الخداع البصرى الذي يجعلنا نقدر المسافات الأفقية بدقة أكثر من المسافات الرأسية .. وهذه القبة السماوية تشمل الغلاف الجوى للأرض الذي له مميزات وخصائص تختلف كلما زاد الارتفاع على الأرض كما تشمل أيضا سائر الأجرام السماوية التي يقطعها الخط البصرى على القبة السماوية .

= تعليق الخبراء على الآية ٣٣ :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » : لكل جرم سماوى مداره الخاص الذى يسبح فيه ، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون ، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة هي الأفلاك ، ونحن نرى هذه الحقيقة ممثلة واضحة في الشمس والقمر . كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنها يسبحان .

تَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هَزُؤًا أَهْذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْتَكَ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكَ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلْهُنَّ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْضَةٌ فَنَبَهْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

٣٥- كل نفس لا بد ان تنوق الموت . ونعاملكم في هذه الحياة معاملة المختبر بما يصيبكم من نفع وضرر ، لتمييز الشاكر للخير والصابر على البلاء ، من الجاحد للنعم والجازع عند المصيبة . والينا ترجعون فنحاسبكم على أعمالكم .

٣٦- وإذا رآك - أيها النبي - الذين كفروا بالله وبما جئت به لا يضحونك الا في موضع السخرية والاستهزاء . يقول بعضهم لبعض : أهذا الذي يذكر آلهتكم بالغيب ؟ وهو بذكر الله الذي يصمهم برحمته هم لا يصدقون .

٣٧- وإذا كانوا يطلبون التعجيل بالعذاب فان طبيعة الانسان التعجل سأريكم - أيها المستعجلون - نعمتي في الدنيا وعذابي في الآخرة فلا تشغلوا أنفسكم باستعجال ما لا بد منه .

٣٨- ويقول الكافرون مستعجلين العذاب مستبشرين وقوعه . متى يقع هذا الذي تعدونا به أيها المؤمنون ان كنتم صادقين فيما تقولون ؟

٣٩- لو يعلم الذين كفروا بالله حالهم حين لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ، ولا يجدون من ينصرهم بدفعها ، ما قالوا هذا الذي يقولونه .

٤٠- لاتأتيهم القيامة على انتظار وتوقع ، بل تأتيهم فجأة فتحيرهم ، فلا يستطيعون ردها . ولا هم يمهلون ليتوبوا ويعتذروا عما قدموا ..

٤١- ولقد حدث للرسول قبلك أن استهزأ بهم الكفار من أمهم ، فحل بالذين كفروا وسخروا من رسلهم العذاب الذي جعلوه مثار السخرية والاستهزاء .

٤٢- قل أيها النبي لهم : من يحفظكم في الليل والنهار من نعمته ويرحمكم وينعم عليكم ؟ لأحد يستطيع ذلك . بل هم عن القرآن الذي يذكرهم بما ينفعهم ويدفع العذاب عنهم منصرفون .

٤٣- ألمه آلهة تمنع العذاب من دوننا ؟ كلا : انهم لا يستطيعون أن يعينوا أنفسهم حتى يعينوا غيرهم . ولا أحد يستطيع أن يحفظ واحدا منهم في جواره وصحبته اذا أردنا بهم العذاب والهلاك .

تطبيق الخبر على الآية ٣٧ :

« خلق الإنسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » : أن المقصود بالآيات هي الكونية الدالة على وجود الله وقدرته . وسيكشف العلم عنها تباعا بحكم ارتقاء العقل البشري . وذلك في مواعيد موقوتة ، كلما حل أجل آية أظهرها الله أو يسر الله للبشر الوصول إلى إحدى هذه الآيات .

أَطْرَافَهَا أَفْهَمُ الْعَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَيْنَ مَسَّكُمْ
 نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَؤُوبِلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
 وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ
 أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ

- ٤٤ - لم نجعل عقاب هؤلاء بكفرهم ، بل استدرجناهم وتمعناهم في الحياة الدنيا كما متعنا آباءهم قبلهم حتى طال عليهم العمر . أيتعانون عما حولهم فلا يرون أنا نقصد الأرض فننقصها من أطرافها بالفتح ونصر المؤمنين ؟! أفهم الغالبون أم المؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد ؟ .
- ٤٥ - قل أيها النبي : لا أحذركم بكلام من عندي ، وإنما أحذركم بالوحى الصادر عن الله لى ، وهو حق وصدق ، وهم لظول إعراضهم عن صوت الحق ختم الله على سمعهم حتى صاروا كالصم ، ولا يسمع الصم الدعاء حين يخوفون بالعذاب .
- ٤٦ - وتأكد أنهم ان أصابتهم اصابة خفيفة من العذاب الذى يسخرون منه يصبحون من الهول قائلين : ياويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا وغيرنا ، اذ كفرنا بما أخبرنا به .
- ٤٧ - ونضع الموازين التى تقيم العدل يوم القيامة ، فلا تظلم نفس بنقص شيء من حسناتها أو زيادة شيء من سيئاتها ، ولو كان وزن حبة صغيرة أتينا بها وحاسبنا عليها ، وكفى ان نكون الحاسبين فلا تظلم نفس شيئاً .
- ٤٨ - ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة التى تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام . وهى الى ذلك نور يهدى الى طرق الخير والرشاد ، وتذكير ينتفع به المتقون .
- ٤٩ - الذين يخافون خالقهم ومالك أمرهم فى حال بعد الناس عنهم ، لا يراءون أحداً ، وهم من أهوال يوم القيامة فى خوف دائم .
- ٥٠ - وهذا القرآن تذكير كثير الخير ، أنزلناه لكم كما أنزلنا الذكر على موسى ، فكيف يكون منكم انكاره وأنتم أولى الناس بالايمان به ؟!
- ٥١ - ولقد أعطينا ابراهيم الرشاد والتفكير فى طلب الحق مخلصاً من قبل موسى وهارون ، وكنا بأحواله وفضائله التى تؤهله لحمل الرسالة عالمين .

تعليق الخبراء على الآية ٤٤ :

« أفلا يرون أنا نأق الأرض ننقصها من أطرافها ، أفهم الغالبون » هذه الآية من آيات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ، فهى تشير الى أن الأرض ليست كاملة الأستدارة . ولم يتمكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالدقة إلا منذ ٢٥٠ سنة تقريباً ، عندما قامت بعثة من الإخصانيين فى علم المساحة لقياس المسافة الطولية بين عرضين متساويين فى الطول تفصلهما درجة واحدة قوسية ، وذلك فى مختلف أنحاء العالم ، وتبين من هذه القياسات أن نصف القطر الاستوائى يزيد على نصف القطر القطبى بمقدار ٢١,٥ كيلومتر تقريباً ، أى أن الأرض انتصت من أطرافها ممثلة فى القطبين ، ومن المعلوم أن شكل الأرض وأبعادها هو الأساس فى رسم الخرائط .

تعليق الخبراء على الآية ٤٧ :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » : تشير هذه الآية الكريمة الى أن حبة الخردل تتناهى فى صفر الوزن . وأثبتت التجارب العلمية أن الكيلو جرام من حبوب الخردل يحتوى على ٩١٢ ألف حبة ، وتكون الحبة بذلك حوالى جزء من ألف جزء من الجرام ، أى مئليجرام تقريباً ، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن ، وهى تستعمل لذلك فى مقارنة المكايل بالموازين الدقيقة نوعاً .

مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
 الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
 فَجَعَلَهُمْ جُذَآءًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مِنْ فَعَلٍ هَٰذَا بِعَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُ يُقَالُ لَهُ رِءُوسٌ أِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ
 فَعَلْتَ هَٰذَا بِعَالِهَتِنَا يَا اِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَظْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

٥٢ - واذكر أيها النبي حين قال ابراهيم لأبيه وقومه مستخفا بالأصنام التي كانوا يعظمونها ويعكفون على عبادتها: ما هذه التماثيل التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣ - قالوا: وجدنا آباءنا يعظمونها ويخصونها بعبادتهم، فاتبعناهم.

٥٤ - قال: لقد كنتم في هذه العبادة وكان آباؤكم من قبلكم في بعد عن الحق واضح..

٥٥ - قالوا: أجتئنا في هذا الذي تقول بما تعتقد أنه الحق، أم أنت بهذا الكلام من الذين يلهون ويلعبون، غير متحملين أي تبعه؟

٥٦ - قال: لاهزل فيما قلته، بل ربكم الذي يستحق دون غيره التعظيم والخشوع والعبادة، هو الذي خلق السموات والأرض وأوجدهن على غير مثال سابق. فحقه وحده أن يعبد، وأنا على ذلك الذي اقوله من المتحققين الذين يقولون ما يشاهدونه ويعلمونه.

٥٧ - وقال في نفسه: أقسم بالله لأدبرن تديرا أكره به أصنامكم بعد ان تبعدوا عنها، ليظهر لكم ضلال ما أنتم عليه.

٥٨ - ذهب ابراهيم بعد انصرفهم الى الأصنام فحطمها وجعلها قطعا، الا صنما كبيرا تركه ليرجعوا اليه، ويسألوه عما وقع لألهتهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم.

٥٩ - قالوا بعد أن رأوا ما حصل لأصنامهم: من فعل هذا بألهتنا؟ انه دون شك من الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للمقاب..

٦٠ - قال بعضهم: سمعنا شابا يذكرهم بالسب يدعى ابراهيم.

٦١ - قال كبارهم: انهبوا اليه فاحضروه، ليحاسب على مرأى من الناس، لعلهم يشهدون بما فعل.

٦٢ - قالوا بعد أن أحضروه: أنت الذي فعلت هذا بألهتنا يا ابراهيم؟

٦٣ - قال منبها لهم على ضلالهم متهمكا بهم، بل فعله كبيرهم هذا. فاسألوا الآلهة عن فعل بها هذا ان كانوا يستطيعون أن يردوا جواب سؤالكم.

٦٤ - فعادوا الى أنفسهم يفكرون فيما هم عليه من عبادة مالا ينفع غيره ولا يدفع عن نفسه الشر، فاستبان لهم خطوهم. وقال بعضهم: ليس ابراهيم من الظالمين. بل أنتم بعبادة مالا يستحق العبادة الظالمون.

٦٥ - ثم انقلبوا من الرشد الطارىء الى الضلال، وقالوا لابراهيم. انك قد علمت ان ليس هؤلاء الذين نعبدهم ينطقون، فكيف تطلب منا أن نسألهم؟

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا إِذِنتَ لَهُ مَأْوَىٰ وَعَلَّمْنَا إِيَّاهُ مِمَّا يَشْتَاكِي مِنَ الْمَحْتَبِئِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ إِنَّهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِمَّنْ

٦٦ - قال : أياكون هذا حالهم من العجز ويكون هذا حالكم معهم ، فتعبدون من غير الله ما لا ينفعكم أقل نفع ان
عبدتموه ولا يضركم ان اهتمتموه ١٢
٦٧ - قبحا لكم ولاهتكم : أتعطلون تفكيركم وتهملون الاعتبار بما تدركون ؟ . ان هذه الأصنام لا تستحق
العبادة .

٦٨ - قال بعضهم لبعض : احرقوه بالنار وانصروا آلهتكم عليه بهذا العقاب . ان كنتم تريدون أن تفعلوا
ما تنصرون به آلهتكم .

٦٩ - فجعلنا النار باردة وسلاما لا ضرر فيها على ابراهيم .

٧٠ - وأرادوا أن يبطشوا به ، فأنجيناه ، وجعلناهم أشد الناس خسرانا .

٧١ - ونجيناه ولوطا من كيد الكائدين ، فاتجها إلى الأرض التي أكثرنا فيها الخير للناس جميعا ، وأرسلنا فيها
كثيرا من الأنبياء .

٧٢ - وهبنا له اسحق ، ومن اسحق يعقوب هبة زائدة على ما طلب . وكلا من اسحق ويعقوب جعلناه أهل
صلاح .

٧٣ - وجعلناهم أنبياء يدعون الناس ، ويهدونهم إلى الخير بأمرنا لهم أن يكونوا مرشدين ، وألهناهم فعل
الخيرات وادامة القيام بالصلاة على وجهها واعطاء الزكاة ، وكانوا لنا دون غيرنا خاضعين مخلصين .

٧٤ - وآتيناه لوطا القول الفصل والساد في الحكم والعلم النافع ، ونجيناه من القرية التي كان أهلها يعملون
الأعمال الشاذة في سوتها ، انهم كانوا قوما ملتزمين لما يسوء المنكرات خارجين عن طاعة الله ومألوف الطباع .

٧٥ - وسلكتنا في أهل رحمتنا ، انه من الصالحين الذين يشملهم الله برحمته ويمدهم بنصره .

٧٦ - ولندكر هنا نوحا من قبل ابراهيم ولوط ، حين دعا ربه أن يطهر الأرض من الفاسقين . فاستجبتنا دعاه
ونجيناه هو ومن آمن من أهله من كرب الطوفان العظيم .

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاءَ آتِينَ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكَرَّ لِتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُفَوِّضُ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا

٧٧ - ومنعناه بنصرنا من كيد قومه الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته . انهم كانوا أصحاب شر ، فأغرقناهم أجمعين .

٧٨ - واذكر أيها النبي داود وسليمان حين كانا يحكما في الزرع ، اذ انتشرت فيه غم القوم من غير أصحابه وأكلته ليلا ، وكنا لحكما في القضية المتعلقة به عالمين^(١) .

٧٩ - فهمنا الفتوى سليمان ، وكلا منها أعطينا حكمة وعلمنا بالحياة وشؤونها ، وسخرنا مع داود الجبال بزهن الله كما يزهه داود عن كل ما لا يليق به ، وسخرنا الطير كذلك يسبحن الله معه ، وكنا فاعلين ذلك بقدرتنا التي لا تعجز .

٨٠ - وعلمنا داود صنعة نسج الدروع ، لتكون لباسا ينعكم من شدة بأس بعضكم لبعض ، فاشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم ..

٨١ - وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ، تجرى بحسب رغبته وأمره إلى الأرض التي زدنا فيها الخير ، وكنا بكل شيء عالمين ، لا تغيب عنا كبيرة ولا صغيرة .

٨٢ - وسخرنا له من الشياطين من يفوضون في الماء إلى أعماق البحار ، ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان ، ويعملون عملا غير ذلك ، كبناء الحصون والقصور ، وكنا لهم مراقبين لاعمالهم ، فلا ينالون أحدا بسوء ، ولا يتمردون على أمر سليمان .

٨٣ - واذكر أيها النبي أيوب حين دعا ربه - وقد أضناه المرض - وقال : يارب . أتى قد أصابني الضر وآلني ، وأنت أرحم الراحمين ..

(١) قصة الحكم : أن الغم رعت ليلا زرع صاحب حرث . فلم يبق منه شيء . فحكم داود بأن الغم لصاحب الحرث في نظير زرعه ، فخالفه سليمان ، وقال : تبقى الغم في يد صاحب الزرع حتى ينبت زرعه ، ويصير إلى ما كان عليه ، ويترادان من بعد .

مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَآ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

٨٤- فأجبناه إلى ما كان يرجوه ، فرفقنا عنه الضر وأعطيناه أولادا بقدر من مات من أولاده وزدناه مثلهم
رحمة به من فضلنا ، وتذكيرا لغيره ممن يعبدوننا ليصبروا كما صبر ، ويطمعوا في رحمة الله كما طمع .

٨٥- وأذكر أيها النبي لقومك اسماعيل وادريس وذا الكفل ، كل منهم من الصابرين على احتمال التكليف
والشدائد .

٨٦- وجعلناهم من أهل رحمتنا ، أنهم من عبادنا الصالحين .

٨٧- وأذكر أيها النبي قصة يونس صاحب الحوت ، اذ ضاق بأعراض قومه عن دعوته ، فهجرهم ورحل
عنهم بعيدا غاضبا عليهم ، ظانا أن الله أباح له أن يهجرهم وأنه لن يقضى عليه الأمر ، فأبتلعه الحوت ، وعاش
وهو في ظلمات البحر ، ونادى ربه ضارعا إليه معترفا بما كان منه قاتلا : يارب ، لا معبود بحق إلا أنت . أتزهك
عن كل ما لا يليق بك ، أعترف أني كنت من الظالمين لنفسي بعمل ما لا يرضيك .

٨٨- فأجبناه إلى ما كان يرجوه ونجينا من الغم الذي كان فيه ، ومثل هذا الإنجاء من البلاء تنجى المؤمنين
الذين يعترفون بأخطائهم ويدعوننا مخلصين .

٨٩- وأذكر قصة زكريا ، حين نادى ربه بعد أن رأى من قدرته سبحانه ما بعث في نفسه الأمل في رحمته ،
فقال : يارب ، لا تتركني وحيدا دون وارث ، وأنت خير الذين يرثون غيرهم ، فإنك الباقي بعد فناء الخلق .

٩٠- فحققنا رجاءه ، وأجبناه دعاءه ، ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى ، وجعلنا زوجه العقيم سالحة للولد ، أن
هؤلاء الأصفياء الأنبياء كانوا يسارعون في عمل كل خير ندعوهم إليه ، ويدعوننا طمعا في رحمتنا وخوفا من
عذابنا . وكانوا لا يعظمون ولا يهابون أحدا غيرنا .

وَأَبْنَاءَ آيَةَ اللَّعَلِّينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ
كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ ﴿٩٤﴾
وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِن كُفِّرُوا وَنَاكَبُوا فَمَنْ يَكْفُرْ لِيَكْفُرْ لَهُ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ آيَاتُنَا حَتَّىٰ يَخِشَوْا رَبَّهُمْ لَنُعَذِّبَهُنَّ بِالْعَذَابِ الَّيْسُ فِيهَا

٩١ - واذكر مع هؤلاء قصة مريم التي صانت فرجها ، فألقينا فيها سرا من أسرارنا ، وجعلناها تحمل دون زوج ، وجعلنا ابنا دون أب ، فكانت هي وابنها دليلا ظاهرا على قدرتنا في تغيير الأسباب والمسببات ، وأنا قادرين على كل شيء .

٩٢ - ان هذه الملة التي هي الإسلام هي ملتكم الصحيحة التي يجب أن تحافظوا عليها ، حال كونها ملة واحدة متجانسة لا تتأفر بين أحكامها .. فلا تفرقوا فيها شيئا وأحزابا ، وأنا خالقكم ومالك أمركم ، فاخلصوا لى العبادة ولا تشركوا معي غيري .

٩٣ - ومع هذا الإرشاد تفرق أكثر الناس بحسب شهواتهم ، جاعلين أمر دينهم قطعا ، فصاروا به فرقا مختلفة ، وكل فريق منهم راجع إلينا يحاسب على أعماله .

٩٤ - فمن يعمل عمله من الأعمال الصالحة ، وهو يؤمن بالله وبدينه الذي ارتضاه فلا نقص لشيء من سعيه ، بل سيوفى جزاءه كاملا ، وأنا لهذا السعي كاتبون ، فلا يضيع شيء منه .

٩٥ - وممنع على أهل كل قرية أهلكتناهم بسبب ظلمهم أنهم لا يرجعون إلينا يوم القيامة ، بل لابد من رجوعهم وحسابهم على سوء أعمالهم ..

٩٦ - حتى إذا فتحت أبواب الشر والفساد ، وأخذ أبناء يأجوج ومأجوج يسرعون خفافا من كل مرتفع في الجبال والطرق بعوامل الفوضى والقلق .

٩٧ - واقترب الموعد به الذي لابد من تحقيقه وهو يوم القيامة ، فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبدا من شدة الهول ، فيصيحون قائلين : يا خوفنا من هلاكنا ، قد كنا في غفلة من هذا اليوم ، بل كنا ظالمين لانفسنا بالكفر والعناد .

٩٨ - ويقال هؤلاء الكفار : انكم والالهة التي عبدتموها من غير الله وقود نار جهنم ، أنتم داخلون فيها معذبون

بها .

خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ ۗ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا ۗ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَيْنَا إِلَهًا

٩٩- لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله آلهة تستحق أن تعبد ما دخلوها معكم ، وكل من العابدين والمعبودين باقون في النار .

١٠٠- لم فيها نفس يخرج من الصدور بصوت مخنوق ، لما يلاقونه من الضيق ، وهم فيها لا يسمعون شيئاً يسرهم .

١٠١- ان الذين وقفناهم لاتباع الحق وعمل الخير ، ووعدناهم بالعاقبة الحسنة ، أولئك من جهنم وعذابها مبعدون .

١٠٢- لا يسمعون صوت فوران نارها ، وهم فيما تشتهيهم أنفسهم خالدون .

١٠٣- لا يحزنهم الهول الأكبر الذي يفزع منه الكفار ، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة ، يقولون : هذا يومكم الذي وعدكم ربكم النعيم فيه .

١٠٤- يوم نطوي السماء كما تطوى الورقة في الكتاب ، ونعيد الخلق إلى الحساب والجزاء ، لا تعجزنا اعداتهم ، فقد بدأنا خلقهم ، وكما بدأناهم نعيدهم ، وعدنا بذلك وعداً حقاً ، انا كنا فاعلين دائماً ما نعد به .

١٠٥- ولقد كتبنا في الزبور - وهو كتاب داود من بعد التوراة - أن الأرض يرثها عبادي الصالحون لعمايتها ، وتيسير أسباب الحياة الطيبة فيها .

١٠٦- ان في هذا الذي ذكرناه من أخبار الانبياء مع أقوامهم وأخبار الجنة والنار لكفاية في التذكير والاعتبار ، لقوم مستعدين لعبادة الله وحده ، لا تفتهم زخارف الدنيا .

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي الا لتكون رحمة عامة للعالمين .

وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
 إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

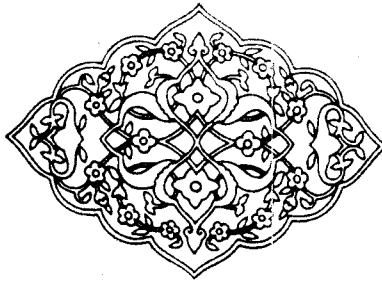
١٠٨ - قل أيها النبي للناس كافة: ان لب الذي أوحى الله به إلى هو: أنه لا اله لكم الا هو وأن بقية ما يوحي به بعد ذلك تابع لهذا الأصل، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن تستسلموا وتخضعوا لله وحده.

١٠٩ - فإن أعرضوا عن دعوتك، فقل لهم: لقد أعلمتكم جميعا بما أمرني به ربي، وبذلك استوتينا في العلم، ولا أدري ما توعدون به من البعث والحساب، أهو قريب أم بعيد؟

١١٠ - ان الله يعلم كل ما يقال مما تجهرون به، وما تكتمون في أنفسكم.

١١١ - وما أدري لعل امهالكم وتأخير العذاب عنكم اختبار يمتحنكم الله به، ويمتكم فيه بلذائذ الحياة إلى حين قدره الله بحسب حكته.

١١٢ - قل أيها النبي: يارب احكم بيني وبين من بلغتهم الوحى بالعدل حتى لا يستوى المؤمنون والكافرون وربنا المنعم بجلال النعم. المستحق للحمد والشكر. وهو المستعان به على إبطال ما تزخرفون افتراءه أيها الكافرون ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورَابِكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

سورة مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وآياتها ثمان وسبعون آية .

بدأت بالتخويف من الله ، والتذكير بأهوال القيامة ، والتعريف بالمجادلين بالباطل والجهل . وعقبت ذلك بسوق دليل البعث ، مصورا في تطور خلق الإنسان وخروج النبات ، وتعرضت للمخاصمة في الله ونتيجتها . وذكرت الحج وتعظيم الشعائر . وبعد ذلك اذن الله فيها للمؤمنين بالقتال الدفاعي . واتبع ذلك بتسليية الرسول ﷺ عما أصابه من قومه ، بذكر ما أصاب الرسل قبله من عنت واضطهاد . وبين آيات السورة أدلة على قدرته تعالى ووحدانيته ، وتحديد لوظيفة الرسل . وأنها الإنذار دون الالغاء . وفي ختام السورة ، تحدى الشركاء المزعومون ، تسفيها لعقول المشركين ، بأنهم عاجزون عن خلق أضعف مخلوق . وهو الذباب ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستخلصونه منه . ودعت إلى الصلاة ، والزكاة . والعبادة والجهاد . في غير حرج يقصد ، فهو دين أبيكم ابراهيم والد اسماعيل ، الذي توالدت منه العدنانية ، وعاقبة أمركم أن يشهد عليكم رسولكم بالتبليغ ، وتشهدون على الأمم السابقة أن رسلها بلقتها كما جاءكم به القرآن . وختمت السورة بطلب الاعتصام بالله ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

١ - يأيها الناس : احذروا عقاب ربكم ، وضعوا في قلوبكم ذكر يوم القيامة ، لأن الاضطراب الذي يحدث فيه شديد مزعج ترتجف منه الخلائق .

٢ - يوم تشاهدون القيامة ترون هولا يبلغ من شدته أنه لو كانت هناك مرضعة تديها في فم رضيعها لذهلت عنه وتركته . ولو كانت هناك امرأة ذات حمل اسقط جنينها في غير أوانه فزعا ورعبا ، وتشاهد أيها الناظر حال الناس في ذلك اليوم من نظراتهم الذاهلة ، وخطواتهم المترنحة ، فتظنهم سكارى وما بهم من سكر ، ولكن الهول الذي شاهده ، والخوف من عذاب الله الشديد هو الذي أفقدهم توازنهم .

يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٤﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ^٦ وَنُقَرِّئُ الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ
هَامِدَةً فإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

٣- ومع هذا التحذير الشديد الصادق فإن بعض الناس دفعه العناد أو التقليد إلى الجدل في الله وصفاته ، فأثبت له الشركاء أو أنكر قدرته على البعث ومجازاة الناس على أعمالهم ، غير مستند في جدله وانكاره إلى علم صحيح أو حجة صادقة ولكنه يقلد ويتبع خطوات كل شيطان متمرد على ربه بعيد عن هديه .

٤- قضى الله أن كل من اتبعه واتخذه وليا وهاديا أضله عن طريق الحق ، ووجهه إلى الباطل المفضي به إلى عذاب النار المسعرة المتأججة .

٥- يأبها الناس ان كنتم في شك من بعثناكم بعد الموت ففي خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث ، فقد خلقنا أصلكم من تراب ، ثم جعلنا منه نطفة حولناها بعد مدة الى قطعة دم متجمدة ، ثم جعلناها قطعة من اللحم مصورة ، فيها معالم الإنسان ، أو غير مصورة ، لنبين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج في التكوين ، والتغيير من حال إلى حال ، ونسقط من الارحام ما نشاء ، ونقر فيها ما نشاء ، حتى تكمل مدة الحمل ، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا ، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة ، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله ، ومنكم من يد له عمره حتى يصير إلى الهرم والحرف فيتوقف علمه وادراكه للاشياء ، ومن بدأ خلقكم بهذه الصورة لا تعجزه اعادتكم . وأمر آخر يدل على قدرة الله على البعث أنك ترى الأرض قاحلة يابسة ، فإذا أنزلنا عليها الماء دبت فيها الحياة وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تخلله من الماء والهواء ، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق منظره ، ويبهير حسنه ، وتبتهج لمرآه .

٦ ، ٧- ذلك الذي تقدم من خلق الإنسان وانبث الزرع شاهد بأن الله هو الاله الحق ، وأنه الذي يحيي الموتى عند بعثهم كما بدأهم ، وأنه القادر على كل شيء ، وأن القيامة آتية لا شك فيها تحقيقا لوعده ، وأن الله يحيي من في القبور بعثهم للحساب والجزاء .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنْ أَلَّفَهُ بَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنْ أَلَّفَهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ

- ٨ - ومع ما تقدم فبعض الناس يجادل في الله وقدرته ، وينكر البعث على غير أساس علمي أو إلهام صادق ، أو كتاب منزل من الله يستبصر به . فجداله لمجرد الهوى والعناد .
- ٩ - وهو مع ذلك يلوى جانبه تكبرا واعراضا عن قبول الحق ، وهذا الصنف من الناس سيصيبه خزي وهوان في الدنيا بتصر كلمة الحق ، ويوم القيامة يعذبه الله بالنار المحرقة .
- ١٠ - ويقال له : ذلك الذي تلقاه من خزي وعذاب انما كان بسبب افرائك وتكبرك ، لأن الله عادل لا يظلم ، ولا يسوى بين المؤمن والكافر ، والصالح ، والفاجر ، بل يجازى كلا منهم بعمله .
- ١١ - ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه . بل هو مززع العقيدة ، تتحكم مصالحه في إيمانه ، ان أصابه خير فرح به واطمأن ، وان أصابته شدة في نفسه أو ماله أو ولده ارتد إلى الكفر ، فخر في الدنيا راحة الاطمئنان إلى قضاء الله ونصره ، كما خسر في الآخرة النعيم الذي وعده الله للمؤمنين الثابتين الصابرين ، ذلك الخسران المزدوج هو الخسران الحقيقي الواضح .
- ١٢ - يعبد هذا الخاسر من دون الله أصناما لا تضره ان لم يعبدها ، ولا تنفعه ان عبدها ذلك الفعل منه هو الضلال البعيد عن الحق والصواب .
- ١٣ - يدعو من دون الله من ضره بإفساد العقول وسيطرة الاوهام أقرب للنفس من اعتقاد مناصرته ، فلبس ذلك المعبود نصيرا ، ولبس ذلك المعبود عشيرا .
- ١٤ - ان المؤمنين بالله ورسله ايمانا اقترن بالعمل الصالح يدخلهم رهم يوم القيامة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، ان الله يفعل ما يريد من عقاب المفسد واثابة المصلح .

أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ
 وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ
 وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُبِينِ اللَّهُ فَعَالَهُ مِنْ مُمْكِرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ﴿١٨﴾
 * هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
 الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾ كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا

١٥ - من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بجبل إلى سقف بيته ، ثم ليختنق به وليقدر في نفسه وينظر ، هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله ؟ .

١٦ - ومثل ما بينا حجتنا واضحة فيما سبق أن أنزلنا على الرسل ، أنزلنا القرآن كله على محمد آيات واضحات لتقوم الحججة على الناس ، وإن الله يهدي من أراد هدايته لسلامة فطرته وبعده عن العناد وأسبابه .

١٧ - إن الذين آمنوا بالله وبرسله جميعا ، واليهود المنتسبين إلى موسى ، وعباد النجوم ، والملائكة ، والنصارى المنتسبين إلى عيسى ، والمجوس عباد النار ، والمشركين عباد الأوثان . . إن هؤلاء جميعا سيفصل الله بينهم يوم القيامة بإظهار الحق من الباطل منهم ، لأنه مطلع على كل شيء عالم بأعمال خلقه ، وسيجازيهم على أعمالهم .

١٨ - ألم تعلم أيها العاقل أن الله يخضع لتصرفه من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس يؤمن بالله ويخضع لتعاليمه فاستحقوا بذلك الجنة ، وكثير منهم لم يؤمن به ولم ينفذ تعاليمه فاستحقوا بذلك العذاب والإهانة ، ومن يطرده الله من رحمته لا يقدر أحد على إكرامه ، إن الله قادر على كل شيء ، فهو يفعل ما يريد .

١٩ - هذان فريقان من الناس تنازعوا في أمر ربهم ، وما يليق به ، وما لا يليق ، فأمن به فريق وكفر فريق ، فالذين كفروا أعد الله لهم يوم القيامة نارا تحيط بهم من كل جانب ، كما يحيط الثوب بالجسد ، ولزيادة تعذيبهم تصب الملائكة على رؤوسهم الماء الشديد الحرارة !

٢٠ - فينفذ إلى ما في بطونهم فيذيبها كما يذيب جلودهم .

٢١ - وأعدت لهم أعمدة من حديد .

مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ الْبَسِ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ

٢٢ - كلما حاولوا الخروج من النار من شدة الغم والكره ضربتهم الملائكة بها وردتهم حيث كانوا ، وقالت لهم : ذوقوا عذاب النار المحرقة جزاء كفركم .

٢٣ - أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة ، فإن الله يدخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الانهار ، ينعمون بما ينعمون فيها من صنوف النعيم ، وتزينهم الملائكة بأساور الذهب واللؤلؤ ، أما لباسهم المعتاد فمن حرير .

٢٤ - وزيادة في تنعيمهم بالجنة المهم الله فيها الطيب من القول ، والحميد من الفعل ، فيسبحون الله ويقدمونه ويشكرونه ، ويعاشر بعضهم بعضا بحبة وسلام .

٢٥ - ان الذين كفروا بالله ورسله واعتادوا مع ذلك منع الناس من الدخول في الإسلام ، ومنع المؤمنين من دخول المسجد الحرام في مكة - وقد جعله الله حرما آمنا للناس جميعا ، المقيم والطارىء - يجازيهم على ذلك بالعذاب الشديد ، وكذلك كل من ينحرف عن الحق ، ويرتكب أى ظلم في الحرم عذبه عذابا أليما .

٢٦ - واذكر أيها النبي هؤلاء المشركين الذين يدعون اتباع ابراهيم عليه السلام ، ويتخذون من البيت الحرام مكانا لاصنامهم ، اذكر لهم قصة ابراهيم والبيت الحرام حين أرشدناه إلى مكانه ، وأمرناه ببنائه وقلنا له : لا تشرك بي شيئا ما في العبادة ، وطهر بيتي من الأصنام والأقدار ليكون معدا لمن يطوف به ، ويقم بجواره ، ويتعبد عنده .

٢٧ - وأعلم الناس أيها النبي أن الله فرض على المستطيعين منهم أن يقصدوا هذا البيت ، فلبوا نداءك ، ويأتون إليه مشاة وركبانا على ابل يضمرها السفر من كل مكان بعيد .

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ
 وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
 إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ
 شَعْبَةَ اللَّهِ فإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

٢٨ - ليحصلوا منافع دينية لهم بأداء فريضة الحج، ومنافع دنيوية بالتعارف مع اخوانهم المسلمين والتشاور معهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وليذكروا اسم الله في يوم عيد النحر والأيام الثلاثة بعده على ذبح ما رزقهم ويسر لهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا منها ما شئتم وأطعموا الذي أصابه البؤس والفقير.

٢٩ - ثم عليهم بعد ذلك أن يزيلوا من أجسامهم ما علق بها أثناء الإحرام، من آثار العرق وطويل السفر، ويصرفوا ما نذروه لله ان كانوا قد نذروا شيئاً، ويطوفوا بأقدم بيت بنى لعبادة الله في الأرض.

٣٠ - ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيماً لها في نفسه كان ذلك خيراً له في دنياه وآخرته، وقد أحل الله لكم أكل لحوم الإبل والبقر والغنم، إلا في حالات تعرفونها مما يتلى عليكم في القرآن كالميتة وغيرها، فاجتنبوا عبادة الأوثان، لأن عبادتها قذارة عقلية ونفسية لا تليق بالإنسان، واجتنبوا قول الزور على الله وعلى الناس!

٣١ - وكونوا مخلصين لله حريصين على اتباع الحق. غير متخذين أى شريك لله في العبادة فإن من يشرك بالله فقد سقط من حصن الإيمان، وتنازعت الضلالات، وعرض نفسه لأبشع صورة من صور الهلاك، وكان حاله حنئذ كحال الذى سقط من السماء فتمزق قطعاً تخاطفتها الطيور فلم يبق له أثر، أو عصفت به الريح العاتية فشتت أجزاءه وهوت بكل جزء منه في مكان بعيد.

٣٢ - ان من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله والهدايا التي يسوقها الى فقراء الحرم، فيختارها عظيمة سماناً صحاحاً لا عيب فيها فقد اتق الله، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب المؤمنة، وعلامة من علامات الإخلاص.

٣٣ - لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية، فتركبوها وتشربون لبنها إلى وقت ذبحها، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حينما تذبحونها عند البيت الحرام تقرباً إلى الله.

بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
 وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
 الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۗ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ

٣٩- أذن الله للمؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا اعتداءهم عليهم ، بسبب ما نالهم من ظلم صبروا عليه طويلا ، وإن الله لتقدير على نصر أوليائه المؤمنين (١).

٤٠- الذين ظلمهم الكفار وأرغمهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها ، وما كان لهم من ذنب عندهم الا أنهم عرفوا الله فعبده وحده . ولولا أن الله سخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل ، ونغادى الطغاة في طغيانهم ، واطعدوا صوت الحق . ولم يتركوا للنصارى كنائس ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود معابد ، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكرا كثيرا وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه ، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق في الأرض . ووعد الله لا يتخلف ، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يغلبه غالب .

٤١- هؤلاء المؤمنون الذين وعدنا بنصرهم هم الذين ان مكنا سلطانتهم في الأرض حافظوا على حسن صلتهم بالله وبالناس ، فيؤدون الصلاة على أمم وجوهها ، ويعطون زكاة أموالهم مستحقيا ، وأمروا بكل ما فيه خير ، ونهوا عن كل ما فيه شر ، والله وحده مصير الأمور كلها ، فيعز من يشاء ، ويدل من يشاء حسب حكته .

٤٢- وإذا كنت تلاقى أيها النبي تكذيبا وإيذاء من قومك فلا تحزن ، وتأمل في تاريخ المرسلين قبلك تجد أنك لست أول رسول كذبه قومه وأذوه ، فن قبل هؤلاء الذين كذبوك ، كذبت قوم نوح رسوهم نوحا ، وكذبت قوم عاد رسوهم هودا ، وكذبت قوم ثمود رسوهم صالحا .

٤٣- وكذب قوم ابراهيم رسوهم ابراهيم ، وقوم لوط رسوهم لوطا .

(١) « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » : أن ما ذكره القرآن الكريم من الحكم في الآية « ٣٩ » سبق به القوانين الوضعية ، وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه ، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه ، لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة ولو قتل نفسا وأزهق أرواحا . إن هذه الآية قررت أن المسلمين مأذون لهم في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدى عليهم . ومن ذلك نأخذ أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم ، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحجة البينة والأدلة الواضحة .

ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
 وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
 فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا

٤٤ - وكذب أهل مدين رسولهم شعيبا ، وكذب فرعون وقومه رسول الله موسى ، لقي هؤلاء المرسلون ما لا تقبلت ، وقد أهملت هؤلاء المكذبين مدة لعلمهم يثوبون إلى رشدهم ويستجيبيون لدعوة الحق ، ولكنهم افتروا وتمادوا في تكذيب رسولهم وايدانهم ، ازدادوا اثما على آثامهم ، فعاقبتهم بأنواع العقاب ، فانظر في تاريخهم تجد كيف كان عقابهم لهم شديدا ، حيث أبدلتهم بالنعمة نقمة ، وبالعاية هلاكا ، وبالعاية خرابا .

٤٥ - فأهلكنا كثيرا من أهل القرى بأهلها الذين يعمرونها ، بسبب ظلمهم وتكذيبهم لرسولهم فأصبحت ساقطة سقوفها على جدرانها ، خالية من سكانها ، كأن لم تكن موجودة بالأمس ، فكم من بئر تعطلت من روادها واختنق ماؤها ، وقصر عظيم مشيد مطلى بالجص خلا من سكانه

٤٦ - يقولون ما يقولون ويستعجلون العذاب ، ولم يسيروا في الأرض ليشاهدوا بأعينهم مصراع هؤلاء الظالمين المكذبين ؟ فرما تستيقظ قلوبهم من غفلتها ، وتعقل ما يجب عليهم نحو دعوة الحق التي تدعوهم إليها ، وتسمع آذانهم أخبار مصارع هؤلاء الكفار فيعتبروا بها ، ولكن من البعيد أن يعتبروا بما شاهدوا أو سمعوا ما دامت قلوبهم متحجرة ، إذ ليس العمى الحقيقي عمى الأبصار ، ولكنه في القلوب والبصائر .

٤٧ - ويأخذ الغرور كفار مكة فلا يبالون مع قيام هذه العبر . فيستعجلونك - أيها النبي - بوقوع ما توعدتهم به من العذاب تحديا واستهزاء ، وهو لا محالة واقع بهم ، ولكن في موعد قدره الله في الدنيا أو في الآخرة ، ولن يخلف وعده بحال ولو طالَّت السنون ، فإن يوما واحدا عنده يمانل ألف سنة مما تعدون وتحسبون^(١) .

(١) « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » . يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبي . وأن فكرة الزمن العالمي المطلق الذي كان يسلم به الأقدمون قبل ظهور النسبية هي فكرة خاطئة .

وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِيَّامًا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۗ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ

٤٨ - وكثير من أهل القرى كانوا مثلهم ظالمين ، فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالعقاب ثم أنزلته بهم ، وإلى وحدي مرجع الجميع يوم القيامة فأجازهم بما يستحقون ، فلا تغفروا - أيها الكفار - بتأخير العذاب عنكم .

٤٩ - قل أيها النبي لهؤلاء المكذبين الذين يطلبون منك التعجيل بعذابهم : ليس من مهمتي أن أجازيكم على أعمالكم ، وإنما أنا محذر من عقاب الله تحذيرا واضحا ، والله هو الذي يتولى حسابكم ومجازاتهم .

٥٠ - فالذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله لذنوبهم التي وقعوا فيها ، كما أن لهم رزقا كريما في الجنة .

٥١ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن مسابقين المؤمنين معارضين لهم ، شاقين زاعمين - خطأ - أنهم بذلك يبلغون ما يريدون ، أولئك يخلدون في عذاب الجحيم .

٥٢ - لا تحزن - أيها النبي - من محاولات هؤلاء الكفار ، فقد جرت الحوادث من قبلك مع كل رسول من رسلنا ونبي من أنبيائنا أنه كلما قرأ عليهم شيئا يدعوهم به إلى الحق تصدى له شياطين الإنس المتمردون ، لإبطال دعوته وتشكيك الناس في يتلوه عليهم ، لكي يحولوا بين النبي وبين أمنيته في اجسابة دعوته ، فيزيل الله ما يدبرون ، ثم تكون الغلبة في النهاية للحق حيث يثبت الله شريعته وينصر رسوله ، وهو عليم بأحوال الناس ومكاندهم ، حكيم في أفعاله يضع كل شيء في موضعه .

٥٣ - وإنما مكن الله المتمردين على الحق من القاء الشبه والعراقيل في سبيل الدعوة ليكون في ذلك امتحان واختبار للناس ، فالكفار الذين تحجرت قلوبهم ، والمنافقون ومرضى القلوب ، يزدادون ضلالا بترويج هذه الشبه ومناصرتها ، ولا عجب في أن يقف هؤلاء الظالمون هذا الموقف فإنهم لجوا في الضلال وأوغلوا في العناد والشقاق .

الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

٥٤ - وليزداد الذين أتوا علم الشرع والايان به ايمانا وعلما بان مايقوله الرسل والانبيا انما هو الحق المنزل من عند الله . وان الله ليتولى المؤمنين دائما بعنايته في المشاكل التي تمر بهم ، فيهديهم الى معرفة الطريق المستقيم فيتبعونه .

٥٥ - والذين كفروا لا يوقفون فيستمرن على شكهم في القرآن حتى يأتيهم الموت ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير لهم فيه ولا رحمة وهو يوم القيامة .

٥٦ - حيث يكون السلطان القاهر ، والتصرف المطلق لله وحده في هذا اليوم الذي يحكم فيه بين عباده ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يخلدون في جنات تتوافر لهم فيها كل صنوف النعيم .

٥٧ - والذين كفروا وكذبوا بآيات القرآن التي أنزلناها على محمد ، فأولئك لهم عذاب يلقون فيه الذل والهوان .

٥٨ - والذين تركوا أوطانهم لإعلاء شأن دينهم يبتغون رضا الله ، ثم قتلوا في ميدان الجهاد ، أو ماتوا على فراشهم ، يجزيهم الله أحسن الجزاء ، وان الله هو خير من يعطي الثواب الجزيل .

٥٩ - وليزلهن في الجنة درجات يرضونها ويسعدون بها ، وان الله لعليم بأحوالهم فيجزئهم الجزاء الحسن ، حلیم يتجاوز عن هفواتهم .

٦٠ - ذلك شأننا في مجازاة الناس : لا نظلمهم ، والمؤمن الذي يقتص من جنى عليه ، ويجازيه بمثل اعتدائه دون زيادة ، ثم يتأدى الجاني في الاعتداء عليه بعد ذلك ، فان الله يعطي عهدا مؤكدا بنصره على من تعدى عليه ، وان الله لكثير العفو عن جازى بمثل ما وقع عليه ، فلا يؤاخذ به ، كثير المغفرة فيستر هفوات عبده الطائع ولا يفضحه يوم القيامة .

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعََلَن

٦١ - ذلك النصر هين على الله لأنه قادر على كل شيء ، ومن آيات قدرته البارزة أمامكم هيمنته على العالم ، فيداول بين الليل والنهار بأن يزيد في أحدهما ما ينقصه من الآخر ، فتصير بعض ظلمة الليل مكان بعض ضوء النهار ، وينعكس ذلك ، وهو سبحانه مع تمام قدرته سميع لقول المظلوم ، بصير بفعل الظالم ، فينتقم منه .

٦٢ - ذلك النصر للمظلومين منه تعالى ، وتصرفه المطلق في الكون كما تلمسون مرجعه انه هو الاله الحق الذي لا اله معه غيره ، وان ما يعبد المشركون من الأصنام هو الباطل الذي لاحقيقة له وأن الله وحده هو العلي على ماعداه شأننا ، الكبير سلطانا .

٦٣ - الا تعتبر ايها العاقل بما ترى حولك من مظاهر قدرة الله فتعبد وحده ؟ فهو الذي أنزل ماء الأمطار من السحاب فأصبحت الأرض به مخضرة بما ينبت فيها من النبات ، بعد أن كانت مجدبة ، ان الله كثير اللطف بعباده ، خير بما ينفعهم فبيئه لهم بقدرته .

٦٤ - كل ما في السموات وما في الارض ملك له ، وعبيد له وحده ، ويتصرف فيه كما يشاء ، وهو الغني عن عباده ، وهم المفتقرون اليه ، وهو الحقيق وحده بالحمد والثناء عليه ، من جميع خلقه .

٦٥ - ألا تنظر أيها العاقل الى مظاهر قدرة الله فتراه ييسر للناس جميعا الانتفاع بالأرض وما فيها ، وهياً لهم البحر تسير فيه السفن بمشيتته وأمسك الكواكب في الفضاء بقدرته حتى لا يختل نظامها ، أو تقع على الأرض الا اذا اقتضت ارادته ذلك ، ان الله سبحانه شديد الرأفة والرحمة بعباده فبيئه كل سبل الحياة الطيبة لهم ، فكيف بعد ذلك كله لا يخلصون في شكره وعبادته؟ (١) .

٦٦ - وهو الذي أوجد فيكم الحياة ، ثم يميتكم حين تنقضي آجالكم ، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء ، ان الانسان مع كل هذه النعم والدلائل لشديد الجحود بالله وبنعمه عليه .

تعليق الخبراء على الآية ٦٥ :

(١) « ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ، والفلك تجري في البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ان الله بالناس لرءوف رحيم » : تتضمن هذه الآية الكريمة معاني علمية دقيقة ، فالسما - وهي كل ما علانا - تبدأ بغلاف الأرض الهوائي ، فالفضاء ، فأجرام السماء المشع منها لذاته مثل النجوم والمجموعات النجمية والسدم ، والمجرات . وغير المشع لذاته كالأقمار ، والكواكب والمذنبات ، النيازك ، الجزئيات ، الذرات ، والغبار الكوني . جميع هذه العوالم تحتفظ بكيانها وتماسكها تحت تأثير عدة قوى ، أهمها الجاذبية والقوى الناشئة عن الحركة .

ولقد تجلت مشيئة الله ورأفته بالعباد بأن هياً غلافا جويما يحتوي على العناصر الغازية التي لا غنى للحياة عنها ، كما أنه يحمي سكان الأرض من الاشعاعات الكونية وأسراب الشهب والنيازك التي تهيم في الفضاء والتي عندما تدنو من الأرض تحترق في جوها العلوي قبل أن تصل إلى السطح .

ومن أرادته تعالى ورحمته أن سقوط النيازك التي تدمر سطح الأرض نادر الحدوث جدا ، وهو يتم في الأماكن الخالية من السكان ، وهذه الظاهرة تدل على عناية الله تعالى ورحمته بعباده ، وفي هذا تأكيد وتصديق لقوله تعالى : « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلْتُمْ عَنْهُ فَعَلَ اللَّهُ فِعْلَهُ يُعَلِّمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ع إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرْكِمْ بَشَرٍ مِنْ دَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّاهُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْ أَلْمِصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ الْمُسْتَقِيمِ

٦٧ - وقد جعلنا لكل أمة من أصحاب الشرائع السابقة شريعة خاصة بهم لائحة بعصرهم يعبدون الله عليها الى ان ينسخها ما يأتي بعدها. ومن أجل هذا جعلنا لأمتك - أيها النبي - شريعة يعبد الله عليها الى يوم القيامة. واذا كان هذا امرنا ووضعنا، فلا يجوز ان يشتد في منازعتك فيه هؤلاء المتعبدون بأديانهم السابقة عليك، فقد نسخت شريعتك شراعتهم، فلاتلتفت لمجادلتهم، واستمر في الدعوة الى ربك حسبما يوحى اليك. انك لتسير على هدى ربك المستقيم.

٦٨ - وان أصروا على الاستمرار في مجادلتك. فأعرض عنهم، وقل لهم: الله أعلم بأعمالكم، وبما تستحقون عليها من الجزاء.

٦٩ - الله يحكم بيني وبينكم يوم القيامة، فيا كنتم تختلفون فيه معي، فيثيب المهتدى ويعاقب الضال.

٧٠ - واعلم أيها العاقل أن علم الله محيط بكل ما في السماء وما في الأرض، فلا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء المجادلين، فكل ذلك ثابت عند الله في لوح محفوظ، لأن احاطته بذلك واثباته وحفظه يسير عليه كل اليسر.

٧١ - ويعبد المشركون من دون الله أوثانا وأشخاصا لم ينزل بعبادتها حجة في كتاب سماوي، وليس لديهم عليها دليل عقلي، ولكن لمجرد الهوى والتقليد، وليس هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وامتحنوا عقولهم نصير ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب النار يوم القيامة كما يزعمون.

٧٢ - هؤلاء المشركون اذا تلا أحد عليهم آياتنا الواضحات، وفيها الدليل على صحة ما تدعو اليه - أيها النبي - وفساد عبادتهم، تلحظ في وجوههم الحنق والغيط الذي يستبد بهم، حتى ليكاد يدفعهم الى الفتك بالذين يتلون عليهم هذه الآيات. قل لهم أيها النبي، تكيتنا وانذارا: هل تستمعون الى فأخبركم بشيء هو أشد عليكم شرا من الغيط الذي يحرق نفوسكم؟ انه هو النار التي توعد الله بها الذين كفروا أمثالكم يوم القيامة وما أسوأها مصيرا ومقاما.

فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاقْعُولُوا أَلْحِينَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

٧٣ - يأياها الناس : انا نبرز أمامكم حقيقة عجيبة في شأنها . فاستمعوا اليها وتدبروها : ان هذه الأصنام لن تستطيع أبدا خلق شيء ، مهما يكن تافها حقيرا كالذباب ، وان تضافروا جميعا على خلقه ، بل ان هذا المخلوق التافه ، لوسلب من الأصنام شيئا من القرايين التي تقدم اليها فانها لاتستطيع بحال من الاحوال ان تمنعه عنه أو تسترده منه ، وما أضعف الذي يهزم أمام الذباب عن استرداد ما سلبه منه ، وما أضعف نفس الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام كما ترون أشد ضعفا فكيف يليق بانسان عاقل أن يعبدها ويلتمس النفع منها ؟ .

٧٤ - هؤلاء المشركون ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه حين أشركوا به في العبادة أعجز الاشياء ، مع أن الله هو القادر على كل شيء العزيز الذي لا يغلبه غالب .

٧٥ - وقد اقتضت ارادة الله وحكمته ان يختار من الملائكة رسلا ، ويختار من البشر كذلك رسلا ، ليلفوا شرعه الى خلقه ، فكيف تعترضون على من اختاره رسولا اليكم ؟ ان الله سميع لأقوال عباده ، بصير بما يفعلون ومجازيهم عليه .

٧٦ - وهو سبحانه يعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة لاتخفى عليه منهم خافية واليه وحده مرجع الأمور كلها .

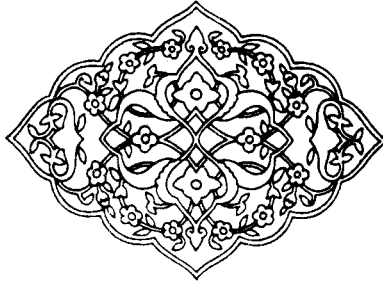
٧٧ - يأياها الذين آمنوا لاتلتفتوا الى تضليل الكفار ، واستمروا على أداء صلاتكم تامة وافية راكعين ساجدين ، واعبدوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، ولا تشرکوا به أحدا ، واعملوا كل ما فيه خير ونفع ، كي تكونوا من المصلحين السعداء في أخراكم وديناكم .



وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٧٨ - وجاهدوا في سبيل اعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته حتى تنتصروا على اعدائكم وشهواتكم لأنه سبحانه قريبكم اليه ، واختاركم لنصرة دينه ، وجعلكم أمة وسطا ، ولم يكلفكم فيما شرعه لكم ما فيه مشقة عليكم لاتحملونها ويسر عليكم ما يعترضكم من مشقة لاتطبقونها مما جعله لكم من أنواع الرخص ، فالزموا هذا الدين ، فهو دين أبيكم ابراهيم في مبادئه وأسسهِ ، وهو سبحانه الذي سماكم المسلمين في الكتب المنزلة السابقة ، وفي هذا القرآن لاذعانكم لما شرعه لكم ، فكونوا كما سماكم الله لتكون عاقبتكم أن يشهد رسولكم بأنه بلغكم وعلمتم بما بلغكم به فتسعدوا وتكونوا شهداء على الأمم السابقة بما جاء في القرآن من أن رسلها بلغتها ، واذا كان الله قد خصكم بالطاعة له ، فتقيموا الصلاة على أتم الميزات كلها ، فن الواجب عليكم أن تقابلوها بالشكر والطاعة له فتقيموا الصلاة على أتم وجوهاها ، وتعطوا الزكاة لمستحقيها وتتوكلوا على الله في كل أموركم وتستمدوا منه العون فهو معينكم وناصركم .

فنعم المولى ونعم النصير .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

سورة مكية ، وآياتها مائة وثمان عشرة آية ، ابتدأت باثبات الفلاح للمؤمنين ، وأتبع ذلك ببيان صفاتهم . ثم ذكرت أصل خلق الانسان ، وتطور أصله ، وتسلسل سلالاته ، وبعض مظاهر قدرة الله تعالى وعقبت ذلك بقصص الأنبياء ، المردفة باتحاد الرسالات ووحدة الانسان ، وان اختلف الناس الى معترف ومنحرف ، ووصفت طالب الهدى وصاحب الضلال ، وبينت موقف المشركين من النبي ﷺ ، وانتقلت من ذلك الى مظهر قدرة الله في أحكام خلق الانسان ، وأخذ سبحانه فيها يسأل الناس ليجيبوه بفطرهم ، بما يقرر وجوده ، ويثبت ألوهيته ، ثم بينت السورة أحوال الناس في القيامة ، وانهم سيحاسبون ، ويؤخذون بالعدل ، وتحتم السورة ببيان جلاله سبحانه وتعالى ، وتنبه رسوله الى طلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين .

١ - تحقق الفلاح للمؤمنين بالله وبما جاءت به الرسل ، وفازوا بأمانهم .

٢ - الذين ضموا الى ايمانهم العمل الصالح ، فهم في صلاتهم متوجهون الى الله بقلوبهم خائفون منه متذللون له ، يحسون بالخضوع المطلق له .

٣ - هم مؤثرون للجد ، معرضون عما لا خير فيه من قول وعمل .

٤ - وهم محافظون على اداء الزكاة الى مستحقها ، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية ، وبين تطهير النفس وتطهير المال^(١) .

٥ - وهم يحافظون على أنفسهم من أن تكون لها علاقة بالنساء^(٢) .

(١) « والذين هم للزكاة فاعلون » : هدفت فريضة الزكاة الى توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين ، وإشعار كل فرد منهم بأنه مسئول عن أخيه ، يحس بإحساسه ، ويتألم لألمه ، فيعمل ما استطاع ليقه نائبات الزمان ومرارة الحرمان ، فلا يحقد فقير أو مسكين على غنى ، بل يشعر الجميع بأنهم أسرة واحدة متعاونة معتصمة بحبل الله ، ولا يبأس مدين من أن يعطى ما يفي به دينه إذا كان لا يملك ما يوفي به هذا الدين . . ولا توهن عزيمته غاز في سبيل الله لنصرة دينه وتحرير وطنه حاجة إلى مال يعينه على تحقيق غايته ، ولا يعدم مسافر أو غريب محتاج أو منقطع عن ماله من يبدل له نفقة يستعين بها حتى يصل إلى وطنه والزكاة بجانب هذا كله كانت وسيلة من الوسائل الفعالة التي اتخذها الإسلام لفك الرقاب وإلغاء الرق ، ولقد توسع الإسلام في تحقيق أهدافه الاجتماعية العالمية ، ونبذ التعصب الديني المقنوت ، فأباح أن يعطى الكفار من الزكاة إذا دعت الحاجة إلى استلافهم ، وكذلك العاملون عليها ، والمكاتبون ، وأبناء السبيل والغارمون لإصلاح ذات البين ، والذين يعاونون المسلمين في القتال . أما الهدف الاقتصادي للزكاة فهو القضاء على الفقر ايضاً حل ، ومعاونة كل ذي حاجة على النحو الذي تقدم .

(٢) « والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » : تتصل هذه الآيات بآيات أخرى في سورة النور أولها : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة » . . ان الآيات الكريمة المذكورة تشير إلى ما ينتج عن الزنا من أثار اجتماعية . . . أما الناحية الاجتماعية فيؤدي الزنا إلى اختلاط الأنساب . كما أنه من الناحية الطبية ينقسم تأثير الزنا إلى ناحيتين :

الأولى : هي الناحية الجسدية وما ينتج عنها ، مثل السيلان والزهرى والقرحة والزرقة ، ومن مضاعفاتها أن السيلان ينتهي بمضاعفات بولية تناسلية أو مفضلية أو رمدية قد ينتج عنها فقد الإبصار ، أما الزهرى فينتشر في الجسم كله ويصيب الأنسجة والشرابين والجهاز العصبي ، وقد ينتهي بصاحبه إلى الجنون ، كما يؤثر على النسل ، فيموت الجنين أو يشوه .

الثانية : التأثير العصبي . فإن الزناة منهم من قد يصاب بتأنيب الضمير والشعور بالاثم ، وفي النهاية يصاب بانتهاب عصبي ، ومن كثرة الاقراط قد يؤدي به إلى طريق الجنون .

أَيْمَنَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ

٦- الابطريق الزواج الشرعى أو بملكية الجوارى^(١) فلا مؤاخذه عليهم فيه .

٧- فن أراد الاتصال بالمرأة عن غير هذين الطريقين فهو متعد للحدود المشروعة غاية التعدى .

٨- وهم محافظون على كل ما ائتمنوا عليه من مال أو قول أو عمل أو غير ذلك ، وعلى كل عهد بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس ، فلا يخونون الأمانات ولا ينقضون العهود .

٩- وهم مداومون على أداء الصلاة في أوقاتها ، محققون لأركانها وخشوعها ، حتى تؤدي الى المقصود منها ، وهو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

١٠- هؤلاء الموصوفون الذين يرثون الخير كله وينالونه يوم القيامة .

١١- هم الذين يتفضل الله عليهم بالفردوس ، أعلى مكان في الجنة ، يتمتعون فيه دون غيرهم .

١٢- وان على الناس أن ينظروا الى أصل تكوينهم ، فانه من دلائل قدرتنا الموجبة للايمان بالله وبالبعث ، فاننا خلقنا الانسان من خلاصة الطين .

١٣- ثم خلقنا نسله فجعلناه نطفة - أى ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى - تستقر في الرحم وهو سكان مستقر حصين .

١٤- ثم صيرنا هذه النطفة بعد تلقيح البويضة والاختصاص دما . ثم صيرنا الدم بعد ذلك قطعة لحم ، ثم صيرناها هيكلًا عظميًا ، ثم كسونا العظام باللحم ، ثم أئتمنا خلقه فصار في النهاية بعد نفخ الروح فيه خلقًا مغايرًا لبداً تكوينه ، فتعالى شأن الله في عظمته وقدرته ، فهو لا يشبهه أحد في خلقته وتصويره وابداعه .

١٥- ثم انكم ، يا بني آدم ، بعد ذلك الذى ذكرناه من أمركم صائرون الى الموت لا محالة .

١٦- ثم انكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء .

١٧- واننا قد خلقنا سبع سموات مرتفعة فوقكم فيها مخلوقات لم نغفل عنها فحفظناها ودبرناها ، ونحن لانغفل عن جميع المخلوقات ، بل نحفظها كلها من الزوال والاختلال وتدبر كل أمرها بالحكمة^(٢) .

(١) كان الرق في الماضى ثابتا ، وكان للرجل أن يسطق من جواريه من يتخذها كزوجة ، والإسلام أباح الرق في القتال المشروع إذا كان الأعداء يسترقون من قبيل المعاملة ، فإن لم يسترق الأعداء فإن المسلمين لا يسترقون .

(٢) « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » ، الطرائق السبع في الآية كناية عن عدد السموات ، وانها ليست بساء واحدة ، وهو - عز وجل - لا يغفل عن هذه السموات وما فيها من خلق .

فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةً كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجْرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرِهِ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

١٨ - وأنزلنا من السماء مطرا بحكمة وتقدير في تكوينه وانزاله، وتيسيرا للانتفاع به جعلناه مستقرا في الأرض على ظهرها وفي جوفها، وإنا لقادرون على ازالته وعدم تمكينهم من الانتفاع به، ولكننا لم نفعل رحمة بكم، فآمنوا بخالقه وأشكروه (١).

١٩ - فخلقنا لكم بهذا الماء حدائق من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة. ومنها تأكلون.

٢٠ - وخلقنا لكم شجرة الزيتون التي تنبت في منطقة طور سيناء، وفي ثمارها زيت تنتفعون به، وهو ادام للآكلين (٢).

٢١ - وان لكم في الأنعام وهي الابل والبقر والغنم مايدل على قدرتنا وتفضلنا عليكم بالنعم، نسقيكم لبنا مستخرجا مما في بطونها خالصا سائغا سهلا للشاربين، ولكم فيها سوى اللبن منافع كثيرة كاللحوم والأصواف والأوبار ومنها تعيشون وترزقون.

٢٢ - وعلى هذه الأنعام، وعلى السفن تركيبون وتحملون الأنتقال، فخلقنا لكم وسائل الانتقال والحمل في البر والبحر، وبها يكون الاتصال بينكم.

٢٣ - وفي قصص الأولين عبرة لكم لتؤمنوا، فقد أرسلنا نوحا الى قومه، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم اله يستحق العبادة غيره، ألا تخافون عقابه، وزوال نعمه ان عصيتم.

(١) « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون: تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية خاصة بالدورة المائية في الأرض، فمن المعلوم أن عمليات البحر من المحيطات والبحار تنشأ عنها إثارة السحب التي يزل منها المطر الذي هو أساس المياه العذبة على سطح الأرض، والعنصر الأساسي للحياة عليها. ومن الأمطار تفيض الأنهار التي تهب الحياة للمناطق القاحلة والثانية، ثم هي أخيرا تصب في البحار، وتعيد الطبيعة الكرة من البحر إلى الجو إلى البر ثم إلى البحر ثانية.. غير أن بعض مياه الأمطار في أثناء هذه الدورة الطبيعية يتسرب إلى باطن القشرة الأرضية مكونا المياه الجوفية التي ينتقل فيها من مكان إلى آخر، وكثيرا ما تستقر وتظل مخترنة في أحواض تركيبية شاسعة تحت السطح تقيدها في مكانها أمادا طويلة، كذلك التي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية، والتي كشفت البحوث الحديثة عن أصلها القديم، وقد تعثر مثل هذه التراكيب الجيولوجية الخازنة تغييرات حرارية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية، فتذهب بها وماها من ماء إلى أمكنة أخرى قاحلة، فتحببها بعد موتها.

وتشير هذه الآية إلى الحكمة العالية في توزيع الماء بقدر أي بتقدير لائق حكيم، لاستغلال المنافع ودفع المضار.. ثم معنى آخر للآية الكريمة يفيد أن مشيئة الخالق - جل وعلا - اقتضت أن يسكن في الأرض كمية معلومة من المياه في محيطاتها وبحارها تكن لحدوث التوازن الحراري المناسب في هذا الكوكب، وعدم وجود فروق عظيمة بين درجات حرارة الصيف والشتاء لا تلائم الحياة، كما في بعض الكواكب والتوابع، كالقمر.. كما أن مياه الأرض أنزلت بقدر معلوم، لا يزيد فيغطي كل سطحها، ولا يقل فيقصر دون رى الجزء البرى منها.

(٢) « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين: تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وعدد بعضها في الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلا لمدد تزيد على مئات السنين، فلا يأخذ أمرها جهدا من الإنسان إنما تثمر آثارا مستمرة طبيعية.. كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر.

فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِرَ بَصُورًا بِهِ ۗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۗ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي
 مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

٢٤ - فقال الكبراء من قومه الذين كفروا منكرين لدعوته صادين العامة عن اتباعه : لافرق بين نوح وبينكم . فهو مثلكم في البشرية ، ولكنه يريد أن يتميز عليكم بهذه الدعوة . ولو كان هناك رسل من الله كما يزعم ، لأرسلهم ملائكة ماسمعنا في تاريخ آبائنا السابقين بهذه الدعوة ولا بإرسال بشر رسولا .

٢٥ - ما هو إلا رجل به جنون ولذلك قالوا . فانتظروا واصبروا عليه حتى ينكشف جنونه ، أو يمجن هلاكه .

٢٦ - دعا نوح ربه بعد ما يش من إيمانهم فقال : يارب انصرني عليهم . وانتقم منهم بسبب تكذيبهم لدعوتي .

٢٧ - فقلنا له عن طريق الوحي : اصنع السفينة ، وعنايتنا ترعاك ، فتدفع عنك شرهم وترشدك في عملك ، فاذا حل ميعاد عذابهم ، ورأيت التنور يفور ماء بأمرنا ، فأدخل في السفينة من كل نوع من الكائنات الحية ذكرا وأنثى ، وأدخل أهلك أيضا ، الا من تقرر تعذيبهم لعدم إيمانهم ، ولا تسألني نجاة الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالكفر والطغيان ، فاني حكمت باغراقهم لظلمهم بالاشراك والعصيان^(١) .

٢٨ - فاذا ركبت واستقررت أنت ومن معك في السفينة فقل شاكرا ربك ، الحمد لله الذي نجانا من شر القوم الكافرين الطاغين .

٢٩ - وقل يارب مكئي من النزول في منزل مبارك تطيب الإقامة فيه عند النزول الى الأرض ، وهب لي الأمن فيه ، فأنت وحدك الذي تنزل في مكان الخير والأمن والسلام .

٣٠ - ان في هذه القصة عبرا ومواعظ ، وانا نختبر العباد بالخير والشر ، وفي أنفسهم الاستعداد لكل منها .

= وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين ، كما تتميز بوجود الأملاح الكلسية والحديدية والفسفورية ، وهو مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان ، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين « ا » ، وفيتامين ب ويستخرج من الثمار زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة ، وهذا الزيت يستعمل بكثرة في التغذية . وتضيف الأبحاث الطبية إلى زيت الزيتون فوائد عديدة ، فهو يفيد الجهاز الهضمي عامة . . والكبد خاصة . وهو يفضل كافة أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية ، إذ لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون ، كما أنه ملطف للجلد ، إذ يجعله ناعما ومرنا . ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة صناعية ، إذ يحضر منه بعض الصناعات ويدخل في تركيب أفضل وأحسن أنواع الصابون وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والصناعية .

(١) « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفرقون » : أن ما جاء في وصف حدوث الطوفان في الآيات الكريمة رغم أنه موجز ، إلا أنه بالنسبة للعقل المفكر يتضمن من المعاني والحقائق العلمية ما يعزب عن كثير من البشر . . والتنور لغة : هو الكانون ينجيز فيه . أو هو وجه الأرض وكل مفجر ماء ، وكل محفل ماء .

قَرْنَا **آخَرِينَ** ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ **أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴿٣٢﴾ وَقَالَ **أَمَلَأُ**
مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاتِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ **إِنَّكُمْ إِذَا لَخَلَسْتُمْ** ﴿٣٤﴾ **أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ**
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * **هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوعَدُونَ** ﴿٣٦﴾ **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا**
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ **إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ** ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ **قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَبَنَّ نَدِمِينَ** ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ **فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً**
فَعَبْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ **ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ** ﴿٤٢﴾ **مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ** ﴿٤٣﴾

٣١ - ثم خلقنا من بعد نوح طبقة من الناس غيرهم وهم عاد .

٣٢ - فأرسلنا اليهم هودا وهو منهم . وقلنا لهم على لسانه : اعبدوا الله وحده فليس لكم اله يستحق العبادة
غيره ، وهو وحده الجدير بان تحافوه ، فهلا خفتم عقابه ان عصيتموه ؟ .

٣٣ - وقال الكبراء من قومه الذين كفروا وكذبوا ببقاء الله وما في الآخرة من حساب وجزاء ، وأعطيناهم
أكبر حظ من الترف والنعيم ، قالوا منكربين عليه دعوته ، صادين العامة عن اتباعه : لافرق بين هود وبينكم ،
فاهو الا بشر مماثل لكم في البشرية ، يأكل من جنس ما تأكلون منه ، ويشرب من جنس ما تشربون ، ومثل هذا
لا يكون رسولا لعدم تميزه عليكم .

٣٤ - وحذروهم في قوة وتأكيد ، فقالو : ان أطعتم رجلا يماثلكم في البشرية ، فأنتم حقا خاسرون لعدم
انتفاعكم بطاعته .

٣٥ - وقالوا لهم أيضا منكربين للبعث : أيعدكم هود أنكم تبعثون من قبوركم بعد ان تموتوا وتصيروا ترابا
وعظاما مجردة من اللحوم والأعصاب .

٣٦ - ان ما وعدكم به بعيد جدا ولن يكون أبدا .

٣٧ - ليس هناك الا حياة واحدة هي هذه الحياة الدنيا التي نجد فيها الموت والحياة يتواردان علينا ، فولود
يولد وحى يموت ، ولن نبعث بعد الموت أبدا .

٣٨ - ما هو الا رجل كذب على الله ، وادعى ان الله أرسله ، وكذب فيما يدعو اليه ، ولن نصدقه ابدا .

٣٩ - قال هود ، بعد ما يش من ايمانهم : يارب انصرفي عليهم وانقم منهم ، بسبب تكذيبهم لدعوتي .

٤٠ - قال الله له مؤكدا وعده : سيندمون بعد قليل من الزمن على ما فعلوا عندما يحل بهم العذاب .

٤١ - فأخذتهم صيحة شديدة أهلكتهم لاستحقاقهم ذلك الهلاك ، وجعلناهم في الحقارة والضعف كالشيء الذي
يجرفه السيل أمامه من أعواد الشجر وأوراقه وهلاكه وبعدا عن الرحمة للظالمين بكفرهم وطفياهم .

٤٢ - ثم خلقنا من بعدهم أقواما غيرهم ، كقوم صالح ولوط وشعيب .

٤٣ - لكل أمة زمنها المعين لها لا تتقدم عنه ولا تتأخر .

= ونحن عندما نحاول تحديد تاريخ حدوث الطوفان نجد أنه ليس بالأمر السهل ، فقد حدثت طوفانات عديدة في أزمنة غير سحبية في
عهد البشرية ، كما حدث في أرض بابل وفي الهند وفي الصين وفي الأمريكيتين .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمْ لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ

٤٤ - ثم أرسلنا رسلنا متتابعين كلا الى قومه ، وكلما جاء رسول الى قومه كذبوه في دعوته ، فأهلكناهم متتابعين ، وجعلنا أخبارهم أحاديث يرددها الناس ويعجبون منها ، فبعدا عن الرحمة ، وهلاكاً لقوم لا يصدقون الحق ولا يدعون له .

٤٥ - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالدلائل القاطعة الدالة على صدقها ، وبحجة واضحة تبين أنها قد أرسلنا من عندنا .

٤٦ - أرسلناهما الى فرعون وقومه فامتنعوا في تكبر عن الايمان ، وهم قوم موصوفون بالكبر والتعالى والقهر .

٤٧ - وقالوا في تعجب وانكار: أنؤمن بدعوة رجلين ممانلين لنا في البشرية ، وقومها بنو اسرائيل خاضعون لنا ومطيعون كالعبيد .

٤٨ - فكذبوها في دعوتها فكانوا من المهلكين بالفرق .

٤٩ - ولقد أوحيانا الى موسى بالتوراة ، ليهتدى قومه بما فيها من ارشادات الى الاحكام واسباب السعادة .

٥٠ - وجعلنا عيسى بن مريم وأمه في حملها به من غير أن يمسهما بشر ، وولادته من غير أب دلالة قاطعة على قدرتنا البالغة ، وانزلناها في أرض مرتفعة منبسطة تستقر فيها الاقامة ويتوافر الماء الذي هو دعامة العيش الرغيد .

٥١ - وقلنا للرسل ليبلغوا أقوامهم : كلوا من أنواع الحلال الطيب ، وتمتعوا واشكروا نعمتي بعمل الصالحات ، اني عليم بما تعملون ومجاز لكم عليه .

= وجاء ذكر بعض هذه الطوفانات في القصص الشعبي ، إلا أنه من المستبعد أن يكون لها علاقة بالطوفان العظيم أو طوفان نوح . وقد ثبت من البحث والملاحظة أن العالم انتابته طوفانات عالية كثيرة . وأن آخر الطوفانات العالمية كان سببه انقضاء عصر الجليد الأخير وانصهار معظم الثلوج المتجمدة في القطبين ، ونحن لا نعلم علم اليقين متى انقلب الميزان وفار التنور - وجه الأرض - نتيجة للارتفاع المفاجيء في سرعة انصهار الجليد حتى علا منسوب الماء العام للبحار ، وطففت المياه . وجدير بالذكر أنه قد صاحب انصهار ثلوج العصر الجليدي الأخير مناخ شديد المطر في مناطق نائية عن القطبين ، مثل حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومها يكن من شيء فمن المسلم به أنه ليس لدينا من الوثائق ما يمكننا من تحديد عصر نوح وقومه ، فالظاهرة كلها معجزة إلهية . ومن الإعجاز أن ينصح نوح وقومه ويحذرهم من غضب الله ، ويوحى الله أنه مفرقهم إذا لم ينتصخوا . . ثم يوحى إليه أن يصنع الفلك ، ثم يأتي أمر الله ، وينقلب الميزان ، ويفور التنور ، وينهر المطر تحقياً لما أخبر الله به نوحاً من أن الله يعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَسْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَائِتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتَاوَا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

٥٢ - وقلنا لهم ليبلغوا أقوامهم : ان هذا الدين الذي أرسلتكم به دين واحد في العقائد وأصول الشرائع . وانكم أمة واحدة في كل الاجيال ، منهم المهتدى ومنهم الضال . وانا ربكم الذي امرتكم باتباعه فخافوا عقابي ان عصيت .

٥٣ - فقطع الناس أمر دينهم . ففهم المهتدون ومنهم الضالون الذين اتبعوا اهواءهم ففترقوا بسبب ذلك جماعات مختلفة متعادية . كل جماعة فرحة بما هي عليه . ظانة أنه وحده الصواب .

٥٤ - فاترك الكافرين يا محمد في جهالتهم وغفلتهم مادمت قد نصحتهم حتى يقضى الله فيهم بالعذاب بعد حين .

٥٥ - أيلظن هؤلاء العاصون انا اذ تركتهم يتمتعون بما أعطيناها من المال والبنين .

٥٦ - نكون قد رضينا عنهم ، فتفيض عليهم الخيرات بسرعة وكثرة ، انهم كالبهائم لايشعرون لعدم استخدامهم عقولهم . اننى غير راض عنهم ، وان هذه النعم استدراج منا لهم .

٥٧ - ان الذين هم يخشون الله ويهابونه وقد تربت فيهم المخافة منه سبحانه .

٥٨ - والذين هم يؤمنون بآيات ربهم الموجودة في الكون والملوة في الكتب المنزلة .

٥٩ - والذين هم لايشركون بالله أحدا .

٦٠ - والذين يعطون ممارزتهم الله . ويؤدون عملهم وهم خائفون من التقصير ، لأنهم راجعون الى الله بالبعث ومحاسبون .

٦١ - أولئك يسارعون بأعمالهم الى نيل الخيرات ، وهم سابقون غيرهم في نيلها .

٦٢ - ونحن لانكلف أحدا الا بما يستطيع ان يؤديه ، لأنه داخل في طاقته ، وكل عمل من أعمال العباد مسجل عندنا في كتاب ، وسنخبرهم به كما هو ، وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقص ثواب .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
 بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
 عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
 وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ أَحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا نَّحْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ

٦٣ - لكن الكافرين بسبب عنادهم وتعصبهم غافلون عن عمل الخير والتكليف بالمستطاع ودقة الحساب ،
 والى جانب ذلك لهم أعمال اخرى خبيثة مداومون عليها .

٦٤ - فاذا أوقفنا العذاب بالأغنياء المترفين ضجوا وصرخوا مستغيثين .

٦٥ - فنقول لهم : لا تصرخوا ولا تستغيثوا الآن ، فلن تفلتوا من عذابنا ، ولن ينفعكم صراخكم شيئا .

٦٦ - لا عذر لكم ، فقد كانت آياتي الموحى بها تقرأ عليكم فكنتم تعرضون عنها اعراضا يقلب احوالكم ،
 ولا تصدقونها ولا تعملون بها .

٦٧ - وكنتم في اعراضكم متكبرين مستهزئين ، تصفون الوحي بالأوصاف القبيحة عندما تجتمعون للسمر .

٦٨ - أجهل هؤلاء المعرضون فلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه حق ؟ ام كانت دعوة محمد لهم غريبة عن
 الدعوات التي جاء بها الرسل الى الأتومات السابقين الذين أدركهم آباؤهم ؟ .

٦٩ - أم لم يعرفوا رسولهم محمدا الذي نشأ بينهم في أخلاقه العالية التي لا يعهد معها الكذب . فهم ينكرون
 دعوته الآن بغيا وحسدا ؟ .

٧٠ - أم يقولون : انه مجنون ؟ كلا : انه جاءهم بالدين الحق وأكثرهم كارهون للحق . لأنه يخالف شهواتهم
 واهواءهم فلا يؤمنون به .

٧١ - ولو كان الحق تابعا لأهوائهم لشاع الفساد في الأرض ولتنازعت الأهواء ، ولكننا ارسلنا اليهم القرآن
 الذي يذكرهم بالحق الذي يجب ان يجتمع عليه الجميع ، ومع ذلك هم معرضون عنه^(١) .

٧٢ - بل أتطلب منهم أيها النبي أجرا على اداء الرسالة ؟ لم يكن ذلك ، فان اجر ربك خير مما عندهم ، وهو
 خير المعطين .

(١) « ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم معرضون » : كلمة
 « الحق » من الألفاظ المشتركة ، قد يراد منها « الله » سبحانه وتعالى نحو قوله تعالى « فتعالى الله الملك الحق » يراد منها « القرآن » نحو قوله
 تعالى « إنا أرسلناك بالحق » ويراد منها « الدين كله » بما فيه من قرآن وسنة صحيحة نحو قوله : « وقل جاء الحق وزهق الباطل » والأظهر في
 كلمة الحق هنا هو أن المراد المعنى الأول « الله » سبحانه وتعالى . ويكون المراد من الآية : لو جرت سنة الله على مسابرة الكافرين
 فيها يشتهون ويقترحون لما استقام النظام الذي قام عليه شأن السموات والأرض ، وما فيها من خلاق . ولكن الله ذو حكمة عالية وقدره
 نافذة وقد أحاط علمه بما خلق ، وتكفلت حكمته بالتدبير الحكيم . وتصريح القرآن بأن السموات فيها خلاق إنما يوجهنا هذا :
 أولا : إلى أن الإيمان بذلك على وجه الإجمال يفتي . تاركين التعرض إلى التفصيل إلى أن يشاء الله - سبحانه بيانه بمقتضى قوله
 « سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » .

ثانيا : يوجهنا أيضا إلى محاولة البحث العلمي إن استطعنا ، « لأن الوصول إلى هذه الحقيقة يؤكد إيماننا .. والإيمان هو الهدف الهام من
 توجيهنا إلى تلك الآيات » .

لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ

٧٣ - وانك يا محمد، لتدعوهم الى الدين الذي هو الطريق المستقيم الموصل الى السعادة .

٧٤ - وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من نعيم أو جحيم يعدلون عن الطريق المستقيم الذي يأمن السائر فيه الى طريق الحيرة والاضطراب والفساد .

٧٥ - ولو رحمناهم وأزلنا عنهم منازلهم من ضرر في أبدانهم وقحط في أموالهم ونحو ذلك لزدادوا كفرا ، وتقادوا في الطغيان .

٧٦ - ولقد عذبناهم بعذاب أصابهم كالقتل أو الجوع فما خضعوا بعده لربهم ، بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم بمجرد زواله .

٧٧ - سيستمرون على إعراضهم ، حتى اذا عذبناهم عذابا شديدا بالجوع أو القتل في الدنيا صاروا حيارى يائسين من كل خير ، لا يجدون مخلصا .

٧٨ - وكيف تكفرون بالله ، وهو الذي أنشأ لكم السمع لتسمعوا الحق ، والأبصار لتروا الكون وما فيه ، والعقول لتدركوا عظمته فتؤمنوا ؟ انكم لم تشكروا خالقها بالايمان والطاعة الا قليلا أى قلة .

٧٩ - وهو الذي خلقكم في الأرض ، واليه وحده تجمعون للجزاء يوم القيامة .

٨٠ - وهو الذي يحيى ويميت بأمره وقوانينه تعاقب الليل والنهار واختلافها طولا وقصرا الا تعقلون دلالة ذلك على قدرته ووجوب الايمان به وبالبعث ؟ (١) .

٨١ - لم يفعلوا ذلك ، بل قلدوا السابقين المكذبين ، فقالوا مثل قولهم .

٨٢ - قالوا منكرين للبعث : أنبعث بعد الموت وبعد ان نصير ترابا وعظاما ؟

٨٣ - لقد وعدنا ووعد آباؤنا من قبلنا بذلك ، وما هذا الوعد الا أكاذيب السابقين التي سطرها .

(١) «وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون» وردت آيات الليل والنهار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مما يدل على أن الحق - سبحانه وتعالى - يذكر عباده بهذه الآية الكونية ، وبما تتضمنه من معان عميقة تحفز المفكرين إلى التأمل والبحث . واختلاف الليل والنهار ينصب على ناحيتين رئيسيتين : الأولى : الاختلاف الزمنى طولا وقصرا . والثانية : الاختلاف فى الظواهر الطبيعية وغير المرتبة . أولا - الاختلاف الزمنى :

النهار هو الفترة الزمنية بين ظهور حاجب الشمس واختفائها من أفق المكان حيث يلامس سطح الأرض . وكما نشاهدها بالعين . وحيث أن موقع الحافة العليا للشمس فى الحقيقة ليس عند الأفق . وإنما نشاهده كذلك لأن الإشعاع المنبعث منها يتقوس لدى انكساره أثناء مروره فى طبقات الجو ، حتى يصل إلى عين الراصد ، فيشاهدها كما لو كانت عند الأفق . والواقع أن هذه الحافة منخفضة عند الأفق بمقدار ٣٥ دقيقة قوسية .

والليل هو الفترة الزمنية المتممة لفترة النهار . حتى يبلغ مجموعها فترة دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق =

وفيا بين الليل والنهار فترتان زمنيّتان : هما فترة الشفق الغربي ، وفترة الشفق الشرقي . وفترة النهار تختلف باختلاف عرض المكان وفصول السنة . وتختلف أيضا فترة الليل تبعاً لذلك . وتحدد مواقيت الصلاة والصوم تبعاً لوضع قرص الشمس بالنسبة للأفق .

ثانياً - الاختلاف في الظواهر الطبيعية :

وهذه هي الظواهر العديدة المختلفة الألوان ، والتي تنشأ من تفاعل الإشعاع الشمسي - بما يحتويه من اشعاعات موجية مرئية وغير مرئية . وجسيمات تحمل شحنات كهربائية مع الغلاف الجوي وأسطح البحار والصحارى . . إلخ . كما أن هناك مشاهدات فلكية كالمحسوف والكسوف والمذنبات والنجوم والكواكب السيارة والشهب والنيازك التي قد تحجبها شدة أضواء الشمس أثناء النهار ، بينما تظهر واضحة أثناء الليل . وأهم الظواهر الفيزيائية التي يختلف فيها الليل عن النهار هي الضوء بالنهار ، وسببه أن الإشعاع المباشر للشمس عندما يسقط على الغلاف الجوي الذي يتألف من جزيئات صغيرة ويحمل الذرات الغبارية ، فإنه ينعكس في مختلف الاتجاهات ويشتت . فإذا كان الجو نقياً ، وأحجام الذرات الغبارية صغيرة جداً ، والشمس مرتفعة عن الأفق ، فإن اللون الأكثر تشتتاً وحساسية للعين هو اللون الأزرق ، فتظهر السماء زرقاء . أما عند شروق الشمس أو غروبها فإن الأفق يظهر بلون برتقالي متدرجاً إلى الأحمر ، بينما يكون الضوء الأزرق المشتت قليلاً نسبياً ، ولذلك يميل لون السماء عند السمت إلى الزرقة المخافتة .

وفي لحظة غروب الشمس عند الأفق نشاهد لونا أخضر عند حافتها العليا لمدة ثانية أو أقل ، وهذه الظاهرة تسمى بالوميض الأخضر . وتشاهد عادة على سطح البحر أو وراء قم الجبال أو حتى جدران المنازل . وترجع هذه الظاهرة إلى حيود الأشعة الشمسية الذي ينتج عنه تحلل طيفها إلى ألوان منها الضوء الأخضر .

والخلاصة أن الإشعاع الشمسي يتألف من مجموعة من الألوان المرئية وغير المرئية ، ويتميز بعضها عن بعض بطول الموجة وتخضع هذه الموجات لمفصاض عديدة كالإنبكسار والإنعكاس والتشتت والتداخل والأستقطاب والحيود . فإذا ما تفاعلت مع الغلاف الجوي في حالات خاصة فإننا نشاهد نتيجة لهذا التفاعل ضوء النهار والسراب وأقواس قزح والهالة الشمسية إلى غير ذلك من آيات السماء من الظواهر الكونية وعندما تغيب الشمس وراء الأفق تظهر السماء بألوان مختلفة نظراً لتشتت الضوء في طبقات الجو العليا ، وكلما انخفض قرص الشمس خفت ضوء الشفق ، وقلت ألوانه الطبيعية ، حتى إذا ما بلغ ١٨,٥ درجة قوسية أصبحت السماء قائمة ، وقد اصطلح المقياسيون على أن تلون هذه اللحظة غسق الليل إيداناً بصلابة العشاء ، وتلك اللحظة يبدأ عندها الضوء البروجي على شكل مخروط قاعدته عند الأفق الغربي ، ويمتد في ليالي الشتاء الصافية حتى تبلغ قبة الظروف السمت ، وفي منتصف الليل تظهر الأضواء البروجية عند الشروق أولاً كراس قبة مخروطية ضوئية خافت ، تزداد قوته في الارتفاع ، وتمتد قاعدته عند الأفق الشرقي ، حتى إذا بزغ الفجر ، أي عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقي بمقدار ١٨,٥ درجة ، وهي إيدان بصلابة الفجر ، وتبدأ ألوان الشفق الشرقي في الظهور تدريجياً وعكسياً للشفق الغربي ، وما الفجر الكانث سوى الضوء البروجي الذي يبلغ أقصى شدته عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقي بأكثر من ١٨,٥ درجة قوسية . ولقد تبين حديثاً أن للشمس غلافاً رقيقاً يمتد امتداداً هائلاً في الفضاء حتى يكاد يلامس جو الأرض . هذا هو الغلاف الرقيق الذي يسبب الأضواء البروجية بأشكالها المختلفة .

هذه الظواهر العديدة التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تتكشف لنا إذا كانت السماء خالية من السحب والأعاصير الهائلة بالتراب ، لأنها تظهر عندئذ وهي قائمة اللون ، وإذا كانت السحب محملة بقطرات ماء المطر فهي تتفاعل مع الأشعة الشمسية ، وتحدث أقواس قزح في أحوال مناسبة .

وإذا كان السحاب من نوع السمحاق الذي يحمل حبيبات بلورية مسدسة من الماء المتجمد ، فإن هذه البلورات تتفاعل مع الإشعاع الشمسي فتتكسر من سطحها إلى داخلها ، وينعكس على الأسطح الداخلية ، ثم تنكسر إلى الخارج . وقد نشاهد في ظروف وأحوال مناسبة الهالة الشمسية بمظاهرها الجميلة وهي دائرة ملونة كبرى حول الشمس . وعند سواد الليل تظهر النجوم متلألئة على سطح القبة السماوية كما لو كانت على مسافة قريبة منا ، وفي الواقع هي على مسافات شاسعة . تقاس بالسنين الضوئية كما تظهر على هذه القبة أيضاً الكواكب السيارة والمذنبات والشهب والنيازك وهي تبدو قريبة جداً نسبياً ، كما لو كانت فروع المسافات قد أنعدمت . وهذا ما يجعلنا ندرك المعنى الحق في قوله تعالى : وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وكما بينا سابقاً بالإضافة إلى الاشعاعات الموجية من الشمس هناك إشعاع من الجسيمات ، ينبعث من مناطق شمسية شديدة النشاط ، وتحمل شحنات كهربائية ، كما تنبعث منها إشعاعات شديدة فوق البنفسجية ، هذه الجسيمات والاشعاعات تتفاعل مع الطبقات الجوية العليا ، وتتأثر بالمجال المغناطيسي حول الأرض ، فتنتشر الأضواء الشمالية أو الجنوبية ، وتظهر قائمة في السماء الشمالية كأنها ستائر من الإضاءة الجميلة الألوان خضراء اللون ، ويميل إلى الإحمرار والزرقة عند الحواف . هذه الأشكال قد تستمر ساعات طويلة في السماء الشمالية وتكاد تشاهدها في ليالي عديدة عندما تكون الشمس في أوج نشاطها ، نرى هذه الستائر ليس فقط في العروض الشمالية بل أيضاً في العروض المتوسطة الاستوائية .

وهناك شحنات كهربائية في السحب والجو يتولد عنها البروق وإضاءة بعض السحب العالية . جميع هذه الظواهر العديدة التي نشاهدها تجعلنا ندرك المعنى الحق في قوله سبحانه وتعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولى الأبصار . وما سبق يتضح أن الاختلاف في الظواهر الفيزيائية إنما لأسباب لا يمكن للإنسان أن يتدخل فيها ، وإن الله - جل شأنه - هو الذي له اختلاف الليل والنهار ، ولا سبيل إطلاقاً إلى تحكّم الإنسان في أي يوم على الليل والنهار . وهو - جل شأنه - بما وضع من موازين دقيقة وتقديرات محددة يتعاقب الليل والنهار ، ويختلف على مدار السنة طولاً وقصراً .

الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٨٤- قل لهم يا محمد: من الذى ملك الأرض ومن فيها من الناس وسائر المخلوقات، ان كان لكم علم فأجيبوني؟

٨٥- سيقرون بأن الأرض لله. قل لهم اذن: فلم تشركون به؟ ألا تذكرون ان من يملك ذلك جدير بأن يعبد وحده؟

٨٦- قل لهم أيضا: من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟

٨٧- سيقرون بأنه هو الله. قل لهم اذن: ألا تخافون عاقبة الشرك والكفر والعصيان لصاحب هذا الخلق العظيم.

٨٨- قل لهم أيضا: من بيده ملك كل شيء ومن له الحكم المطلق فى كل شيء، وهو يحمى بقدرته من يشاء، ولا يمكن لأحد أن يحمى أحدا من عذابه؟ ان كنتم تعلمون جوابا فأجيبوا؟

٨٩- سيقرون بأنه هو الله. قل لهم:

اذن كيف تخدعون بالهوى ووحى الشياطين، وتنصرفون عن طاعة الله؟

٩٠- لقد بينا لهم الحق على لسان الرسل. وانهم لكاذبون فى كل ما يخالف هذا الحق.

٩١- ما اتخذ الله له ولدا، وقد تنزه عن ذلك، وما كان له شريك. اذ لو كان له شريك لاستبد كل بما خلق، وصار له ملكه، ولتناحر بعضهم مع بعض كما يرى بين الملوك، ولفسد الكون بهذا التنازع، فتزده الله عما يقوله المشركون مما يخالف الحق.

٩٢- هو محيط بكل شيء علما. يعلم ما يغيب عنا وما يظهر لنا فتزده الله عما ينسبه الكافرون اليه من وجود الشريك له.

٩٣- قل يا أيها النبي: يارب: ان أنزلت بهم ما أوعدتهم من العذاب فى الدنيا وأنا موجود بينهم.

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
السَّيِّئَةِ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنذِرُ عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ بِهَا

٩٤ - فأتوسل اليك ألا تجعلني مع القوم الكافرين الطاغين .

٩٥ - ونحن قادرون تماماً على أن نزيك ما أوعدناهم به من العذاب نازلأ بهم . فاطمن لنصرنا .

٩٦ - استمر في دعوتك وقابل اساءتهم بالعمل الذي هو أحسن من العفو أو غيره . ونحن عالمون تماماً بما يصفونك به ، ويصفون به دعوتك من سوء وافتراء ، وسنجازهم عليه .

٩٧ - وقل : يارب : استعيز بك من أثر وساوس الشياطين على نفسي بعمل ما لا يرضيك .

٩٨ - وأستعيز بك يارب . أن يكونوا معي في أي عمل من الأعمال ، ليكون سلبأ خالصأ لوجهك الكريم .

٩٩ - سيستمرون على تكذيبهم ، حتى اذا حل موعد موت أحدهم ندم وقال : يارب ردني الى الدنيا .

١٠٠ - لأعمل عملاً صالحاً فيما تركته من مالي أو زمني ، ولن يجاب الى طلبه . فهذا كلام يقوله دون فائدة لا يقبل منه ، ولو استجيب له لم يعمل به ، ومع ذلك فلن يعود أبداً ، فالموت حاجز بينهم وبين ما يتمنون الى أن يبعثهم الله .

١٠١ - فاذا جاء موعد البعث بعثناهم بدعوتهم الى الخروج من مقابرهم ، وذلك بما يشبه النفخ في البوق فيجيشون متفرقين ، لا تنفع أحداً قرابة أحد ، ولا يسأل بعضهم بعضاً شيئاً ينفعه ، فلكل منهم يومئذ ما يشغله .

١٠٢ - فالعمل هو ميزان التقدير ، فن كانت لهم عقائد سليمة وأعمال صالحة لها وزن في ميزان الله ، فأولئك هم الفائزون .

١٠٣ - ومن لم يكن لهم حسنات أو أعمال لها وزن عند الله ، فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم ببيعها للشيطان ، وهم معذبون في النار ، خالدون فيها .

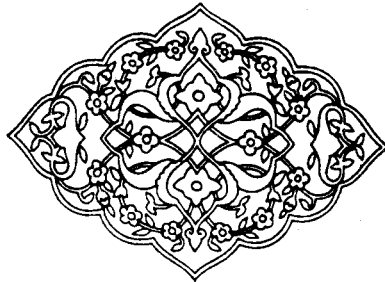
١٠٤ - تحرق النار في وجوههم ، وهم فيها عابسون من سوء مصيرهم .

تَكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
 قَالَ أَخْسِفُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْسَنِ أَنْسَاكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
 هُمُ الْفَآزِقُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَرِهْتُمْ لِي فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
 لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَخَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ آلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ

- ١٠٥ - يؤنبهم الله ويقول لهم ، قد كانت آياتي المنزلة تقرأ عليكم في الدنيا ، فكنتم تكذبون بما فيها .
- ١٠٦ - قالوا مقرين بخطئهم : ربنا كثرت معاصينا التي أورتتنا الشقاء ، وكنا بذلك ضالين عن طريق الثواب .
- ١٠٧ - وقالوا : ربنا ، أخرجنا من النار وأعدنا الى الدنيا ، فان عدنا الى الكفر والعصيان كنا ظالمين لأنفسنا .
- ١٠٨ - قال الله لهم تحقيراً : اسكتوا اذلاء مهانين ، ولا تكلموني مطلقاً .
- ١٠٩ - ما ظلمتكم بل ظلمتم أنفسكم ، اذ كان المؤمنون الصالحون من عبادي يقولون في الدنيا : ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .
- ١١٠ - فكنتم تسخرون منهم دائماً ، حتى أنساكم الاشتغال بالسخرية منهم ذكري وعبادتي فلم تؤمنوا وتطيعوا ، وكنتم منهم تضحكون استهزاء .
- ١١١ - اني جزيتهم اليوم بالفلاح ، لأنهم صبروا على سخرتكم وايدائكم .
- ١١٢ - قال الله للكافرين : كم سنة عشتموها في الدنيا ؟
- ١١٣ - قالوا : استقصاراً لمدة معيشتهم بالنسبة لطول مكثهم في العذاب : عشنا يوماً أو بعض يوم ، فاسأل من يتمكنون من العد ، لأننا مشغولون بالعذاب .
- ١١٤ - فيقول الله لهم ، ما عشتم في الدنيا الا زمناً قليلاً . ولو انكم كنتم تعلمون عاقبة الكفر والعصيان وأن متاع الدنيا قليل ، لآمنتم وأطعتم .
- ١١٥ - أظنتم أننا خلقناكم بغير حكمة فافسدتم في الأرض . وظننتم انكم لا تبعثون لجازاتكم ؟ كلا .

أَمَلِكُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

- ١١٦ - العظمة لله وحده، هو مالك الملك كله، لا معبود بحق سواه، هو صاحب العرش العظيم.
- ١١٧ - ومن يعبد مع الله الهاً آخر لا دليل له على استحقاقه العبودية. فان الله يعاقبه على شركه لا محالة، ان الكافرين لا يفلحون، وانما الذي يفلح هم المؤمنون.
- ١١٨ - وقل - يا أيها النبي داعياً الله ضارعاً اليه - : يا رب اغفر لي ذنبي وارحمي فأنت خير الراحمين، لأن رحمتك واسعة وقريبة من المحسنين.



﴿٢٤﴾ سُورَةُ النُّورِ قَدْ نَزَّلْنَا
وَأَنبَأْنَا مَا أُنجِجَ وَسُكُوتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

سورة النور مدنية، وآياتها ٦٤، بين الله فيها وجوب تطهير المجتمع من الزنا، وإشاعة الفاحشة بالفعل وبالقول بين المؤمنين، وشرع لذلك عقوبات رادعة، كما شرع في زنا الزوج تشريعا خاصا لتوفر الثقة بين الزوجين. واستطرد الحديث في الزنا الى ذكر الكذب في هذه المواقف، وما يجب على المؤمنين ازاء قوله السوء التي يعوزها الدليل، ويتبع ذلك بأداب دخول البيوت، ومن له حق الاطلاع على زينة المرأة، ويرد بعد الحكم بالدعوة العامة الى العفة المطلقة. ثم يأتي نور الله، وتذكر المساجد، وتعرض أعمال الكافرين، وأحوال المعاندين، وبجانهم تظهر أحوال المؤمنين. وبعد ذلك تعرض السورة آداب الأسر، وأصحاب القرابات والأطفال والكبار في شأن المخالطة، ومن يحق للمرأة أن يأكل على موائدهم. وفي ختامها ذكرت أوصاف المؤمنين اذا دعاهم الرسول لأمر جامع، وبينت كبير سلطانه تعالى وواسع علمه.

١ - هذه سورة أوحينا بها وأوجينا أحكامها. ونزلنا فيها دلائل واضحة على قدرة الله ووحدانيته. وعلى أن هذا الكتاب من عند الله، لتعظوا بها.

٢ - ومن تلك الأحكام حكم الزانية والزاني فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا يمنعكم شيء من الرأفة بها عن تنفيذ الحكم، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الناس، وليحضر تنفيذ الحكم فيها جماعة من المؤمنين. ليكون العقاب فيه ردع لغيرها.

تعلق الخبراء على الآية ٢ - ٤ .

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بها رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » : الجرائم في الشريعة الإسلامية هي محظورات زجر الله عنها بحد أو تعزير ، وهذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع عن ارتكابه ، أو بترك فعل أمر الشرع باتيانه . وعلّة تحريم هذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع باتيانه . وعلّة تحريم هذه المحظورات انها اعتداء على إحدى المصالح المعتبرة في الإسلام . ومصالح الإسلام المعتبرة خمس وهي :

١ - المحافظة على النفس .

٢ - المحافظة على الدين .

٣ - المحافظة على العقل .

٤ - المحافظة على المال .

٥ - المحافظة على العرض .

فالقتل مثلا اعتداء على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وتعاطي الخمر اعتداء على العقل ، والسرقه اعتداء على المال ، والزنا اعتداء على العرض .

وقسم الفقهاء الجرائم إلى تقسيمات عدة تختلف باختلاف وجهات النظر إليها . ونحن بصدد التعليق على هذه الآية التقسيم من حيث جسامه العقوبة وكيفية تقديرها ، وهي تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

١ - الحدود .

٢ - القصاص أو الدية .

٣ - التعزير .

أما الحدود فهي الجرائم التي تعتبر في حد ذاتها اعتداء على حق الله ، أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد . وذلك حددها الله ، وحددت عقوبتها بنص في القرآن أو في السنة أما جرائم القصاص والدية فهي جرائم تغلب فيها حقوق العباد . وتولى الله تحديد عقوبات بعضها بالنص ، وترك البعض لتقدير ولي الأمر . ومثلها جرائم الدماء . مثل جريمة القتل وقطع الأطراف والجراح . أما جرائم التعزير فاكثرت في الإسلام فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بمدحها بالأخف والأشد وترك للوالي اختيار العقوبة في كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التي وقعت بها .

جرائم الحدود سبع :

١ - الزنا .

٢ - قذف المحصنات .

٣ - البغي .

٤ - السرقه .

٥ - قطع الطريق .

٦ - شرب الخمر .

٧ - الردة .

وقد حددها الله وجاء تعدادها جميعا في نصوص القرآن كما حدد العقوبات عليها القرآن أيضا . عدا عقوبة الزاني المحصن « المتزوج » وهي الرجم ، وعقوبة شارب الخمر وهي ثمانون جلدة ، وعقوبة الردة وهي القتل ، فقد نصت عليها السنة .

وقد درجت القوانين الوضعية على الزجر في جريمة الزنا بتوافه العقوبات كالحبس . فشاعت الفاحشة بين الناس ، وانتشر الفسق والفجور ، وهانت الأعراض ، وكثرت الأمراض واختلطت الأنساب . ومن عجب أن الشرائع الحديثة للبلاد المتقدمة تحمي هذه الجرائم ، ففي قانون العقوبات الفرنسي مثلا : الزاني والزانية غير المحصنين لا عقوبة عليها ، مادام قد بلغا سن الرشد . إذ حرمتها الشخصية تقتضى تركها يفعلان بأنفسهما ما يشاءان . أما الزنا بالنسبة للمحصن من الرجال أو النساء فعقوبتهم الحبس . وليس للهيئة الاجتماعية متمثلة في النيابة العامة أن تصدى للجريمة بالتحقيق ، إلا بناء على طلب أحد الزوجين ، وترتب على اعتبار الجريمة واقعة على حق الزوج وحده إنه إذا أبلغ الحادث فله أن يسحب بلاغه ، فيقف التحقيق ، وله أن يعفو عن زوجته فتخرج من السجن قبل انقضاء العقوبة ولو صار الحكم عليها نهائيا .

وبيعب البعض على الإسلام التشدد في عقوبة الزنا ، وكان أحرى بهم أن يدركوا أنه بقدر تغليظ العقوبة في الإسلام تشدد في طريق الإثبات . فبينا أكتفي في ثبوت جريمة القتل بشهادة شاهدين عدلين ، حتم في ثبوت جريمة الزنا شهادة أربعة شهود عدول ، وأوا الواقعة رأى العين . أو اعتراف الجاني .

هذا . ونلاحظ أن القرآن الكريم أوجب علانية عقوبة الجلد ، لما في ذلك من تشهير بالجاني وتخويف لغيره .

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

٣ - الحبيث الذي من دأبه الزنا. لا يرغب الا في نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك^(١) والحبيثة التي من دأبها الزنا لا يرغب في نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك. ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للهم.

٤ - والذين يتهمون العفيفات الزنيات بالزنا، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشتون صدق الاتهام، فعاقبهم بالضرب ثمانين جلدة وبعد قبول شهادتهم على أى شيء كان مدى الحياة. فهؤلاء هم الجديرون باسم الخارجين خروجاً شنيعاً على حدود الدين.

٥ - لكن من تاب منهم فندم على هذه المعصية، وعزم على الطاعة وظهر صدق توبته بصدق سلوكه، فان الله يتجاوز عن عقابه.

٦ - والذين يتهمون زوجاتهم بالزنا، ولم يكن هناك عدد يشهد بصدق اتهامهم، فيطالب الواحد منهم ليدفع عن نفسه الحد والعقوبة، بأن يشهد بالله أربع مرات أنه صادق في هذا الاتهام.

٧ - ويذكر في المرة الخامسة أنه يستحق الطرد من رحمة الله ان كان من الكاذبين في ذلك.

٨ - ولو سكتت الزوجة بعد ذلك أقيم عليها عقوبة الزنا، ولكي تدفع عنها العقوبة يجب عليها أن تشهد بالله اربع مرات أن الزوج كاذب في اتهامه اياها بالزنا.

٩ - وتذكر في المرة الخامسة انها تستحق أن ينزل بها غضب الله ان كان من الصادقين في هذا الاتهام.

١٠ - ولولا تفضل الله عليكم ورحمته بكم، وانه كثير قبول التوبة من عباده، وحكيم في كل أفعاله، لما شرع لكم هذه الأحكام، ولعجل عقوبتكم في الدنيا على المعصية.

(١) هذا إذا لم يكن توبة، والتفسير على هذا يكون لبيان طبائع أهل الشرك أو الزنا في أنهم لا يرغبون إلا في المفساد. ورأى المناهضة والظاهرة عدم صحة الزواج من الزاني أو الزانية قبل التوبة.

عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمَّ يَاتُوا بِالشَّهَادَةِ قَالُوا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكَ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسِّنِّكَرِ وَتَقُولُونَ يَا قَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَنَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكَ اللَّهُ أَنْ تَعُدُّوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الدِّينِ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

١١ - ان الذين اخترعوا الكذب الصارف عن كل هداية بالنسبة لعائشة زوج النبي ﷺ - اذ أشاعوا حولها الافك والكذب - هم جماعة ممن يعيشون معكم ، لا تظنوا هذه الحادثة شرأ لكم بل هي خير لكم ، لأنها ميزت المنافقين من المؤمنين الخالصين ، وأظهرت كرامة المبرئين منها ، والمتألمين ، ولكل شخص من هذه الجماعة المتهمة جزاؤه على مقدار اشتراكه في هذا الاتهام ، ورأس هذه الجماعة له عذاب عظيم لعظم جرمه .

١٢ - كان مقتضى الايمان انكم عند سماع خبر التهمة ، أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً من العفاب والظهر وأن يقولوا في انكار: هذا كذب واضح البطلان ، لتعلقه بأكرم المرسلين وأكرم الصديقات .

١٣ - هلا أحضر القائمون بالاتهام اربعة شهود يشهدون على ما قالوا؟ انهم لم يفعلوا ذلك .. واذا لم يفعلوا فأولئك في حكم الله هم الكاذبون .

١٤ - ولولا تفضل الله عليكم ببيان الأحكام ، ورحمته لكم في الدنيا بعدم التعجيل بالعقوبة وفي الآخرة بالمغفرة لنزل بكم عذاب عظيم بسبب الخوض في هذه التهمة .

١٥ - فقد تناقلتم الخبر بالستكم وأشعثموه بينكم ، ولم يكن عندكم علم بصحته وتظنون ان هذا العمل هين ، لا يعاقب الله عليه ، أو يكون عقابه يسيراً مع أنه خطير يعاقب الله عليه أشد العقاب .

١٦ - وكان ينبغي عند سماع هذا القول الباطل ، أن تتصحوا بعدم الخوض فيه ، لأنه غير لائق بكم ، وأن تعجبوا من اختراع هذا النوع القبيح الخطير من الكذب .

١٧ - وأن الله ينهاكم أن تعودوا لمثل هذه المعصية البتة ان كنتم مؤمنين حقاً لأن وصف الايمان يتناقى معها .

١٨ - وينزل الله لكم الآيات الدالة على الأحكام واضحة جلية .. والله واسع العلم لا يغيب عنه شيء من أعمالكم ، وهو الحكيم في كل ما يشرع ويخلق ، فكل شرعه وخلقته على مقتضى الحكمة .

الِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

١٩ - ان الذين يحبون أن يفسوا ذكر القبائح ، فيفسوا معه القبائح نفسها بين المؤمنين ، لهم عذاب مؤلم في الدنيا بالعقوبة المقررة ، وفي الآخرة بالنار ان لم يتوبوا . والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة والباطنة ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه .

٢٠ - ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ، وأنه شديد الرأفة واسع الرحمة ، لما بين لكم الأحكام ، لعجل عقوبتكم في الدنيا بالمعصية .

٢١ - يا أيها الذين آمنوا حصنوا أنفسكم بالايان ، ولا تسيروا وراء الشيطان الذي يجركم الى إشاعة الفاحشة والمعاصي بينكم . ومن يتبع الشيطان فقد عصي ، لأنه يأمر بكبائر الذنوب وقبائح المعاصي ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ببيان الأحكام وقبول توبة العصاة ما طهر أحد منكم من دنس العصيان . ولكن الله يطهر من يتجه الى ذلك بتوفيقه للبعد عن المعصية ، أو مغفرتها له بالتوبة ، والله سميع لكل قول ، عليم بكل شيء ، ومجازيكم عليه .

٢٢ - ولا يحلف الصالحون وذوو اليسار منكم ، على أن يمنعوا احسانهم ممن يستحقونه من الأقارب والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وغيرهم لسبب من الأسباب الشخصية ، كاساءتهم اليهم ، ولكن ينبغي أن يسامحهم ويمرضوا عن مجازاتهم ، واذا كنتم تحبون أن يعفو الله عن سيئاتكم ، فافعلوا مع المسيء اليكم مثل ما تحبون أن يفعل بكم ربكم ، وتأدبوا بأدبه فهو واسع المغفرة والرحمة (١) .

٢٣ - ان الذين يتهمون بالزنا المؤمنات العفيفات الطاهرات ، اللاتي لا يظن فيهن ذلك ، بل هن لفرط انصرافهن الى الله غافلات عما يقال عنهن ، يبعدهم الله عن رحمته في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم ان لم يتوبوا .

(١) نزلت هذه الآية عندما حلف أبو بكر الصديق أن يمنع معوته عن قريبه مسطح بن اثانة لمخوضه في حديث الأفك حول السيدة عائشة رضی الله عنها .

الْسِنْتَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ أَخْحَبْتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وُتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ

٢٤ - ذلك العذاب يكون يوم القيامة حيث لا سبيل للانكار، بل يثبت عليهم ما ارتكبوا اذ تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بجميع ما ارتكبوا من آثام، وذلك بظهور آثار مما عملوه عليها، أو بأن ينطقها الله الذي أنطق كل شيء.

٢٥ - في ذلك اليوم يعاقبهم الله العقاب المقرر لهم كاملاً غير منقوص، وهنا يعلمون علم اليقين ألوهية الله وأحكام شريعته، وصدق وعده ووعيده، لأن كل ذلك واضح دون خفاء.

٢٦ - الخبيثات من النساء يكن للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال يكونون للخبيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء يكن للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال يكونون للطيبات من النساء، فكيف يتصور السوء في الطيبة المصونة زوج الطيب الأمين، والرسول الكريم ﷺ؟ وهؤلاء الطيبون مبرأون من التهم التي يصفهم بها الخبيثون، وهم مغفرة من الله ما لا يخلو منه البشر من صفار الذنوب، واکرام عظيم بنعيم الجنة، وطيباتها.

٢٧ - يأها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً ليست لكم، الا بعد أن تطلبوا الاذن من ساكنها ويسمح لكم بالدخول، وبعد أن تلقوا تحية السلام على ساكنها ذلك الاستئذان والسلام خير لكم من الدخول بدونها، وشرعه الله لكم لتتعظوا وتعملوا به.

٢٨ - فان لم تجدوا في هذه البيوت أحداً يأذن لكم، فلا تدخلوا حتى يجيء من يسمح لكم به. وان لم يسمح لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا، ولا تلحوا في طلب السماح بالدخول، فان الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفوسكم، والله مطلع على كل أحوالكم ومجازيكم عليها فلا تخالفوا ارشاداته.

٢٩ - واذا أردتم دخول بيوت عامة غير مسكونة بقوم مخصوصين، ولكم فيها حاجة كالحوانيت والفنادق ودور العبادة، فلا حرج عليكم ان دخلتم بدون استئذان. والله عالم أتم العلم بجميع أعمالكم الظاهرة والباطنة فاتقوا مخالفته.

أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ
 مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
 أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ
 لَا يَبْظُرُونَ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ

٣٠ - قل يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُؤْمِنِينَ - محذراً لهم مما يوصل إلى الزنا ويعرض للثم: أنهم مأمورون ألا ينظروا إلى ما يحرم النظر إليه من عورات النساء ومواطن الزينة منهن، وأن يصونوا فروجهن بسترها وعدم الاتصال غير المشروع، ذلك الأدب أكرم بهن وأطهر لهم وأبعد عن الوقوع في المعصية والتهمة. إن الله عالم أتم العلم بجميع ما يعملون ومجازيهم على ذلك.

٣١ - قل أيضاً يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُؤْمِنَاتِ: انهن مأمورات بكف نظرن عما يحرم النظر إليه، وأن يصن فروجهن بالستر وعدم الاتصال غير المشروع، والا يظهرن للرجال ما يفرجهن من المحاسن الخلقية والزينة كالصدر والعضد والقلادة، الا ما يظهر من غير اظهار كالوجه واليد، واطلب منهن يا أيها النبي أن يسترن المواضع التي تبدو من فتحات الملابس، كالعنق والصدر، وذلك بأن يسترن عليها أغطية رؤوسهن، والا يسمحن بظهور محاسنهن، الا لأزواجهن والأقارب الذين يحرم عليهم التزوج منهن تحريماً مؤديداً كأبائهن أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن من غيرهن، أو اخواتهن أو أبناء اخواتهن أو أبناء اخواتهن، ومثل هؤلاء صواحبهن، وسواء منهن الحرائر والمملوكات، والرجال الذين يعيشون معهن، ولا يوجد عندهم الحاجة والميل للنساء كالطاعنين في السن، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا حد الشهوة، واطلب منهن أيضاً الا يفعلن شيئاً يلفت انظار الرجال إلى ما خفي من الزينة، وذلك كالضرب في الأرض بأرجلهن، ليسمع صوت خلاخليلهن المستترة بالثياب، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون فإيا خالفتم فيه أمر الله، والتزموا آداب الدين لتسعدوا في دنياكم وأخراكم.

يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتَبَيَّنْكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصِنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنْ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمَشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَوَّ

٣٢ - وأعينوا على الابتعاد عن الزنا وما يوصل اليه ، بتزويج من لم يتزوج من رجالكم ونسائكم ، ومن كان صالحاً من ممالئكم لذلك ، ولا تكن رقة الحال مانعة من الزواج ، فان الله سيهيء وسائل العيش الكريم لمن أراد إعفاف نفسه ، وفضل الله واسع لا يثقله اغناء الناس ، وهو عالم أتم العلم بالنيات وبكل ما يجري في الكون .

٣٣ - والذين لا يجدون القدرة على ثنونات الزواج ، فعليهم أن يسلكوا وسيلة أخرى كالصوم والرياضة^(١) . والأعمال العقلية ، يعفون بها أنفسهم ، حتى يهيء الله لهم من فضله ما يستطيعون به الزواج ، والارقاء الذين يطلبون منكم تعاقداً على دفع عوض مقابل عتقهم ، عليكم أن تجيبوهم الى ما طلبوا ، ان علمتم أنهم سيصدقون في الوفاء ويستطيعون الأداء وعليكم أن تساعدهم على الوفاء بما تعاقدوا عليه وذلك مثلاً بتخفيض ما اتفقت عليه أو اعطائهم بعض المال الذي أنعم الله به عليكم بالزكاة أو الصدقة . ويحرم عليكم أن تجعلوا جواريتكم وسيلة للكسب الدنيوي الرخيص باحتراف البغاء وتكرهوهن عليه . كيف تكرهوهن وهن يردن العفاف ؟ ومن يكرههن عليه فان الله يغفر لمن يكرهوهن بالتوبة عن الاكراه . لأن الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٤ - ولقد أنزلنا اليكم في هذه السورة وغيرها آيات واضحة مبينة للأحكام ، وأنزلنا إليكم أمثلة من أحوال السابقين وارشادات ومواعظ يفيد منها الخائفون من الله .

(١) يفسر هذا قول النبي ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - أي ثنونات الزواج - فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

تَمَسَّهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُّورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ، مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
 فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
 وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمُ

٣٥ - الله مصدر النور في السموات والأرض، فهو منورها بكل نور حسي نراه ونسير فيه، وبكل نور معنوي، كنور الحق والعدل، والعلم والفضيلة، والهدى والايان، وبالشواهد والآثار التي أودعها مخلوقاته، وبكل ما يدل على وجود الله ويدعو الى الايمان به سبحانه، ومثل نوره العظيم وأدلته الباهرة في الوضوح، كمثل نور مصباح شديد التوهج، وضع في فجوة من حائط تساعد على تجميع نوره ووفرة اضاءته، وقد وضع المصباح في قارورة صافية لامعة لمعان كوكب مشرق، يتلأأ كالدردر ويستمد المصباح وقوده من زيت شجرة كثيرة البركات، طيبة التربة والموقع، هي شجرة الزيتون المغروسة في مكان معتدل متوسط، فلا هي شرقية فتحرم حرارة الشمس آخر النهار، ولا هي غربية فتحرمها أول النهار، بل هي على قمة الجبل، أو في فضاء الأرض تفيد من الشمس في جميع أجزاء النهار، يكاد زيت هذه الشجرة لشدة صفائه بضيء، ولولم تمسه نار المصباح، فهذه العوامل كلها تزيد المصباح اضاءة فوق اضاءة، ونوراً على نور.

وهكذا تكون الشواهد المنبثة في الكون حسيها ومعنويها، آيات واضحة لا تدع مجالاً للشك في وجود الله، وفي وجوب الايمان به وبرسالته وما جاءت به. والله يوفق من يشاء الى الايمان عن طريقها، اذا حاول الانتفاع بنور عقله. وقد أتى الله بالأمثلة المحسوسة ليسهل ادراك الأمور المعقولة، وهو سبحانه واسع العلم، يعلم من نظر في آياته، ومن أعرض واستكبر، ومجازهم على ذلك.

٣٦ - ان هناك قوماً يسبحون الله ويعبدونه في المساجد التي أمر الله أن تبنى وتعظم وتعمر بذكر الله، وهم يترددون عليها صباحاً ومساءً.

٣٧ - لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن تذكر الله ومراقبته فهم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة خائفين من يوم القيامة الذي لا تستقر فيه القلوب من القلق والهلم، وترقب المصير فيه وتلفت فيه الأنظار في حيرة ودهشة من غرابة النظر وشدة الهول.

٣٨ - ستكون عاقبة عملهم مكافأة الله لهم أحسن مكافأة على أعمالهم الطيبة، وأن يتفضل عليهم بأكثر مما يستحقون، فهو سبحانه واسع الفضل يعطي من يشاء من عباده الصالحين عطاء كبيراً، لا يحاسبه عليه أحد ولا يستطيع العادون احصاءه.

كَسْرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾ أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجْجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ
 بَعْضٍ إِذَا أُخْرِجَ يَدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَالَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٢﴾
 وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا

٣٩ - والذين جحدوا وأنكروا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وأن أعمالهم الحسننة ستفيدهم يوم القيامة ، ولكنهم مخطئون في ظنهم هذا ، فنزل أعمالهم في بطلانها وعدم جدواها كمثل اللعنان الذي يحدث من سقوط أشعة الشمس وقت الظهيرة على أرض مستوية في ببداء ، فيظنه العطشان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا نافعا كما كان يظن ، كذلك أعمال الكفار يوم الجزاء ستكون هباء منثورا ، وسيجد الكافر عقاب الله ينتظره واقعا تاما لا نقص فيه ، ان حساب الله أت لا ريب فيه ، وهو سبحانه سريع في حسابه لا يبطيء ولا يخطيء (١) .

٤٠ - وهذا مثل آخر لأعمال الكفار ، فنزلها كمثل ظلمات البحر الواسع العميق ، الذي تتلاطم أمواجه عند هياجه ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطيها سحب كثيف قائم يحجب النور عنها ، فهذه ظلمات متراكمة ، لا يستطيع راكب البحر معها أن يرى يده ولو أدناها الى بصره ، فوقف حائرا مهبوتا ، وكيف يرى شيئا ويخلص من هذه الحيرة بدون نور يهديه في مسيره وبقية الارتظام والهلاك ؟ وكذلك الكافرون لا يفيدون من أعمالهم ، ولا يخرجون من عياتهم وضلالهم ، ولا ينجون بأنفسهم الا بنور الايمان ، ومن لم يوقفه الله لنور الايمان ، فليس له نور يهديه الى الخير وبدله على الطريق المستقيم ، فيكون من الهالكين .

٤١ - ألم تعلم يا أيها النبي علما يقينا ان الله يخضع له كل من يسكن السموات والأرض ، ويخضع له الطير كذلك ، وهي باسطة أجنحتها . فهذه المخلوقات كلها خاضعة لأمر الله وتديره ، تنزهه عن الشريك وعن كل ما لا يليق ، وكل منها قد علم بالهام الله ما وجب عليه من خضوع وتنزيه وأداء لوظيفته في الحياة . والله من ورائهم عالم أتم العلم بصلاة كل مصل ، وتسبيح كل مسبح ، وجميع ما يفعله العباد فكيف لا يؤمن به الكافرون ؟
 ٤٢ - والله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيهن ، وصاحب السلطان عليهما وكلهم راجع اليه يوم القيامة للحساب والجزاء .

(١) « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » : السراب مجرد ظاهرة ضوئية سببها انعكاس الشعاع المنبعث من الأجسام المضيئة ، وارتداده من سطح أرض فسيحة جرداء عندما على التدرج بمجذاء سطح الأرض ، متباعدة عنها قليلا قليلا ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار ، فيتجه الشعاع المنعكس حتى يصل إلى الراصد . وعندما ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة ممتدة . وكذلك ترى صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها بحيرة من الماء على أديم الأرض ، بينما تظهر باقي الأجسام مثل الأشجار والنخيل مقلوبة مؤكدة وجود الماء ظاهريا . وتبدو ظاهرة السراب هذه بأجلى معانيها إذا ما بلغ الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملامس له بضع درجات مئوية . وهي تتساهد عادة في الصحارى والمناطق المنبسطة والطرق الصحراوية المستقيمة المعبدة بالأسفلت . ومما سبق يتضح أن السراب مجرد وهم .

تعليق الخبراء على الآية ٤٠ :

« أو كظلمات في بحر لجي يشناه موج من فوقه موج من فوقه سحب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فاله من نور » . تجمع هذه الآية الكريمة أهم ظواهر عواصف البحر ، فالمعروف أن عواصف البحار العميقة أو المحيطات تنطلق فيها أمواج مختلفة الطول أو السعة أو الارتفاع ، بحيث يبدو الموج منطلقا في طبقات بعضها فوق بعض ، فيحجب ضياء الشمس ، =

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ
 مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
 أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

٤٣ - ألم تر أيها النبي أن الله يسوق بالريح سحباً ، ثم يضم بعضه الى بعض ويجعله متراكماً ، فتري المطر
 يخرج من خلال السحاب ، والله ينزل من مجموعات السحب المتكاثفة التي تشبه الجبال^(١) في عظمتها برداً ،
 كالخصى ينزل على قوم فينفعهم أو يضرهم تبعاً لقوانينه وارادته ولا ينزل على آخرين كما يريد الله فهو سبحانه
 الفاعل المختار ، ويكاد ضوء البرق الحادث من اصطلاك السحب يذهب بالأبصار لشدته ، وهذه الظواهر دلالات
 قدرة الله الموجبة للايمان به^(٢) .

٤٤ - يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر والبدء والانتهاه بدوران الفلك ، إن في ذلك لعبرة
 لذوى العقول السليمة المتبصرة ، يؤمنون عن طريقها بالله .

٤٥ - الله خالق كل شيء ، وأبدع الأشياء بارادته ، وخلق كل حي يدب من أصل مشترك هو الماء ، لذلك
 لا يخلو الحى منه ، ثم يخالف بينها في الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلاف الأخرى ، فن الدواب نوع يزحف
 على بطنه كالأسماك والزواحف ، ومنها نوع يمشى على رجله كالإنسان والطيور ، ومنها نوع يمشى على أربع
 كالبهائم ، يخلق الله ما يشاء من خلقه على أية كيفية تكون للدلالة على قدرته وعلمه ، فهو المريد المختار ، وهو
 القادر على كل شيء .

لما تثيره هذه العواصف من سحب ركامية سميكة تجب بدورها ضوء الشمس ويحجم معها الظلام في سلسلة من عمليات الاعتماد التي تصل
 إلى حد انعدام رؤية الأجسام رغم سلامة النظر . ولما كانت نشأة الرسول - ﷺ - في البادية .. فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه
 وحيا من الله ، دليل على أن القرآن الكريم من عند الله ، وعلى أنه معجزة هذا الرسول الكريم .

(١) لا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تطول به فوق السحاب ، فربما من فوقه كأنها الجبال والآكام ، وإذا
 لم تكن تلك الطائرات في عصر النبي ﷺ فإنه يكون ذلك دليلاً على أن هذا الكلام من عند الله الذي يعلم ما علا ، وما تخفض .

(٢) « ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من
 برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار » : تنسب هذه الآية الكريمة ركب العلم . فإنها تناولت
 مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها . وما عرف علمياً في العهد الأخير من أن السحب الممطرة تبدأ على هيئة وحدات تتألف
 عدد منها في مجموعات هي السحب الركامية : أى السحب التي تنمو في الاتجاه الرأسى ، وترتفع قممها إلى علو ١٥ أو ٢٠ كيلو متراً ، فتبدو
 كالجبال الشاخنة .

والمعروف علمياً أن السحابة الركامية الممطرة تمر بمراحل ثلاث هي :

١- مرحلة الالتحام والتجو .

٢- ثم مرحلة المطول .

٣- وأخيراً مرحلة الانتهاء .

كما أن هذه السحب هي - وحدها - التي تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء . وقد يتلاحق حدوث البرق في سلسلة تكاد تكون متصلة
 « ٤٥ ترفيهاً في الدقيقة الواحدة » فيذهب بصر الراصد من شدة الضياء . وهذا هو عين ما يحدث للملاحين والطياريين الذين يخترقون
 عواصف الرعد في المناطق الحارة . وينجم عن فقد البصر هذا أضرار بليغة تشكل خطراً حقيقياً على أعمال الطيران وسط العواصف
 الرعدية .

تعليق الخبراء على الآية ٤٥ :

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله
 على كل شيء قدير » : الماء في الآية الكريمة هو ماء التناسل أى المشتمل على الحيوانات المنوية ، والآية الكريمة لم تنسب فقط ركب العلم
 في بيان نشوء الإنسان من النطفة ، كما جاء في قوله تعالى : « فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق » (٦٠ ، ٥ من سورة الطارق)
 بل سبقته كذلك في بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل من الحيوانات المنوية ، وإن اختلفت أشكال هذه
 الحيوانات المنوية وخصائصها في كل نوع من أنواع هذه الدواب .

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِأَرْسُولِهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُنْ لَّهُمْ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي يَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾
* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ أَمْرَتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ ۗ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۗ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ

٤٦ - لقد أنزلنا بالوحي آيات واضحة تبين الأحكام والمعات، وتضرب الأمثال، والله يوفق إلى الخير من يشاء من عباده الذين استعدوا للنظر فيها والافادة منها.

٤٧ - والمنافقون يقولون بألسنتهم: أئنا بالله وبالرسول وأطعنا أوامرهما. وعند اختيارهم يعرض فريق منهم عن مشاركة المسلمين في أعمال الخير كالجهاد وغيره، بعد قولهم هذا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا جديرين باطلاق اسم المؤمنين عليهم.

٤٨ - ومن أحوالهم أنهم اذا طلبوا الى التحاكم أمام الرسول بمقتضى ما أنزل الله، ظهر نفاق بعضهم فرفضوا التحاكم اذا عرفوا أن الحق في جانب خصومهم.

٤٩ - أما اذا عرفوا أن الحق في جانبهم، فهم يأتون الى الرسول مسرعين ليحكم بينهم وبين خصومهم.

٥٠ - ولماذا يقفون هذا الموقف من التحاكم أمام الرسول؟ لأن نفوسهم مريضة بالعمى فلا تخضع لحكمك الحق، أم لأنهم شكوا في عدالة محمد ﷺ في الحكم؟ لا شيء من ذلك أصلاً. ولكنهم هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم بسبب كفرهم ونفاقهم وعدوهم عن الحق.

٥١ - انما كان القول الحق للمؤمنين الصادقين اذا دعوا الى التحاكم بمقتضى ما جاء عن الله ورسوله، أن يقولوا قائلين مذعنين: سمعنا دعوتك يا محمد ورضينا حكمك، وهؤلاء يكونون أهل فلاح في دنياهم وأخراهم.

٥٢ - ومن يطع الله ويرض بما يأمر به الرسول ﷺ، ويمتنع عن ما نهى الله العلية، ويستحضر جلاله ويتق غضبه، فأولئك هم الفائزون برضى الله ومحبهه، ونعيم الجنة، والفائزون بالخير المطلق.

٥٣ - وأقسم المنافقون بالله أقصى ما يكون من ايمان مغلفة، انك يا محمد ان أمرتهم بالخروج معك للفترو أطاعوا، قل لهم: لا تحلفوا فالأمور المطلوبة منكم معروفة لكم لا ينكرها أحد منكم، ولا ينفي العلم بها ايمان تكذبون فيها، وان الله لمطلع تام الاطلاع على كل ما يقع منكم ومجازيكم عليه.

= وما تحتمله الآية من معان علمية أن الماء قوام تكوين كل كائن حى، فلا يمتوى جسم الإنسان على نحو ٧٠ في المائة من وزنه ماء.. أى أن الشخص الذى وزن ٧٠ كجم، في جسمه نحو ٥٠ كجم ماء. ولم يكن تكوين الجسم واحتواؤه هذه الكمية الكبيرة من الماء معروفاً مطلقاً قبل نزول القرآن.

والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء.. فبيها الإنسان يمكنه أن يعيش ٦٠ يوماً بدون غذاء، لا يمكنه أن يعيش بدون الماء إلا من ٣ - ١٠ أيام على أقصى تقدير.

والماء أساس تكوين الدم والسائل اللمفاوى والسائل النخاعى وإفرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخاط والسوائل الموجودة في المفاصل. وهو سبب رخاوة الجسم وليوته، ولو فقد الجسم ٢٠ في المائة فإن الإنسان يكون معرضاً للموت.

والماء يذيب المواد الغذائية بعد هضمها فيمكن امتصاصها، وهو كذلك يذيب الفضلات من عضوية ومعدينية في البول والعرق. وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر والأهم من تكوين الجسم. ولذلك يمكن القول بأن كل كائن حى مخلوق من الماء.

إِلَّا الْبَلْعُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهَمُّ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَغْنِيَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُم لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ

٥٤ - قل لهم : اطيعوا الله واطيعوا الرسول طاعة صادقة تدل عليها أفعالكم ، فان أعرض المنافقون ولم يمتثلوا ، فانما على محمد ما حملة الله من أمر التبليغ وليس مكلفاً بهدايتهم ، وعليكم ما حملكم الله من التكليف والطاعة ، وستعاقبون اذا استمرتم على العصيان ، وان تطيعوا الرسول تهتدوا الى الخير ، وما عليه سوى التبليغ الواضح - أطعمتم أم عصيتم - وقد بلغ .

٥٥ - وعد الله الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له منكم ، وعملوا الأعمال الصالحة وعداً مؤكداً ، أن يجعلهم خلفاء لمن سبقوهم وارثين لهم في الحكم والولاية في الأرض ، كما كان الشأن فيمن سبقوهم وأن يمكن لهم الاسلام الذي ارتضاه ديناً لهم ، فتكون لهم المهابة والسلطان ، وان يبذل حالهم من خوف الى أمن بحيث يعبدونني مطمئنين ، لا يشركون معي أحداً في العبادة . ومن اختاروا الكفر بعد هذا الوعد الصادق ، أو ارتدوا عن الاسلام فأولئك هم الخارجون المتمردون الجاحدون .

٥٦ - وأقيموا الصلاة كاملة الأركان في خشوع وخضوع ، بحيث تكون مانعة من الفحشاء والمنكر ، واعطوا الزكاة لمستحقها . واطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به ليكون لكم رجاء في رحمة الله ورضوانه .

٥٧ - لا تظنن أيها النبي أن الكافرين سيعجزون الله عن أخذهم بذنوبهم ، أو تمكن أهل الحق من رقابهم في أى مكان من الأرض ، بل انه القادر ، فصيرهم يوم القيامة هو النار وبئس المصير مصيرهم .

٥٨ - يا أيها الذين آمنوا ، يجب أن تأمروا عبيدكم وصبيانكم الذين لم يصلوا الى حد البلوغ ألا يدخلوا عليكم الا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات ، وهي قبل صلاة الفجر^(١) وحين تتخففون من ثيابكم وقت القيلولة ، ومن بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم ، فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب

(١) « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » : هذه الآية الشريفة إحدى الآيات التي توجه أنظار الناس إلى اللياقة الاجتماعية في محيط الأسرة ، وذلك أن اندماج المالك - الخدم - والصبيان في أسرهم ، قد يتجاوز بهم الاحتشام في المحالطة ، فيدخلون على الغير دون استئذان في الأوقات المذكورة في الآية ، ونظرا لأنها أوقات خلوة وحرية شخصية وتحلل من لباس المحشمة ، عنيت الآية بتشريع الاستئذان في تلك الأوقات بالنسبة لمن ذكرتهم من المالك والصبيان ، حتى لا يطلعوا على ما يعتبر سرا لا يستنساخ اطلاعهم عليه ، إذ هو كالعورة التي ينبغي سترها ، وفي هذا توجيه لأعضاء الأسرة الى إتخاذ الملابس اللائقة بمقابلة بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم مصونة ، وحرمتهم مكفولة وأدابهم مرعية ، والقرآن جدير بهذه التوجيهات التي تنهض بأخلاقنا إلى المستوى الرفيع .

الْحَلْمُ فَلَيْسَتْغَدُوا كَمَا اسْتَعْدَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالَكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِذَا كَانُوا

اليقظة ، ويبدو من عورات الجسم ما لا ينبغي رؤيته ، ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات ، لأن العادة جرت بأن يتردد فيها بعضهم على بعض لقضاء المصالح ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آيات القرآن لبيان الأحكام ، والله سبحانه واسع العلم عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم عليه .

٥٩ - وإذا وصل صبيانكم حد البلوغ وجب عليهم أن يستأذنوا للدخول في كل بيت ، وفي جميع الأوقات ، كما وجب ذلك على الذين بلغوا من قبلهم ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آياته التي أنزلها ، والله سبحانه واسع العلم ، عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم على أعمالهم .

٦٠ - والنساء الطاعنات في السن اللاتي لا يطمنن في الزواج ، لا مؤاخذه عليهن إذا تخففن من بعض الملابس ، بحيث تكن غير مظهرات زينة أمر الله بإخفائها من أجسامهن ، ولكن استغفانهن بالاستتار الكامل خير لهن من التخفف ، والله سميع لقولهن عليم بفعلهن وقصدهن ومجازهن على ذلك .

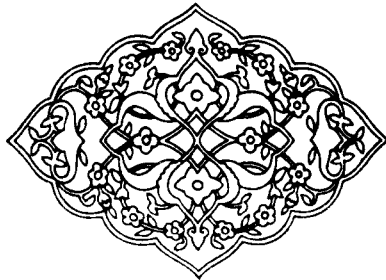
٦١ - ليس على أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض حرج ، بل ولا عليكم أيها الأصحاء حرج ، في أن تأكلوا من بيوت أولادكم فهي بيوتكم ، ولا أن تأكلوا بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو اخوانكم أو اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو عماتكم أو أخوالكم أو خالاتكم ، أو البيوت التي وكل اليكم التصرف فيها ، أو بيوت أصدقائكم المخالطين إذا لم يكن فيها حرمان ، وذلك كله إذا علم سماح رب البيت بأذن أو قرينة ، وليس عليكم جناح في أن تأكلوا مجتمعين أو منفردين ، فإذا دخلتم بيوتاً حيوياً بالسلام أهلها الذين هم قطعة منكم ، بسبب اتحاد الدين أو القرابة . فهم كأنفسكم ، وهذه التحية تحية مشروعة مباركة بالثواب وفيها تطيب للنفوس . وعلى هذا النحو يوضح الله لكم الآيات لتعقلوا ما فيها من العظات والأحكام وتفهموها وتعملوا بها .

مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَعِذُّوهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا
 اسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ
 فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

٦٢ - ان المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ولم يتركوا الرسول وحده في أمر مهم يتطلب اجتماعهم كالجهاد ، الا بعد أن يستأذنه في الانصراف ويسمح لهم به ان الذين يقدرونك أيها النبي حق قدرك ، ويدركون خطر الاجتماع فلا ينصرفون الا بعد موافقتك ، وهم الصادقون في ايمانهم بالله ورسوله ، فاذا استأذنتك هؤلاء لقضاء بعض مصالحهم فاذن بالانصراف لمن تشاء منهم ، اذا رأيت من الدلائل أنه في حاجة ماسة الى الانصراف ، ولا يحتم الاجتماع وجوده ، ومع ذلك أطلب المغفرة لهم من الله على انصرافهم الذي ما كان يليق أبدا ، ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٦٣ - احرصوا على احترام دعوة الرسول لكم الى الاجتماع للأمر الهامة ، واستجيبوا لها ولا تجعلوها كدعوة بعضكم في جواز التهاون فيها والانصراف عنها ، ولا تنصرفوا الا بعد الاستئذان والموافقة ، وفي أضيق الحدود وأشد الضرورات . فاقه سبحانه يعلم من ينصرفون بدون اذن مختفين بين المجموع حتى لا يراهم الرسول ، فليحذر المخالفون عن أمر الله أن يعاقبهم سبحانه على عصيانهم بمحنة شديدة في الدنيا كالفقح والزلال ، أو بعذاب شديد الايلام قد أعد لهم في الآخرة وهو النار .

٦٤ - تنبهوا أيها الناس الى أن الله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيها ، يعلم ما أنتم عليه من الكفر والاسلام والعصيان والطاعة ، فلا تخالفوا عن أمره ، وسيخبر الناس عند رجوعهم اليه يوم القيامة بكل ما عملوا في الدنيا وسيجازيهم عليه ، لأنه محيط بكل شيء علماً . .



(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَهَا سَبْعٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آِهَةً لَا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

عدد آيات هذه السورة سبع وسبعون آية، كلها مكية الا الآيات رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠. بدأت السورة ببيان منزلة القرآن، وسعة ملك منزله، الذي له ملك السموات والأرض، ومع عظم سلطانه، يتخذ المشركون من دونه الأوثان، ويكذبون بالقرآن، وينكرون رسالة الرسول ﷺ، بحجة أنه بشر، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويطلبون تعنتاً ملائكة تبليغهم الرسالة، ولو جعلهم ملائكة لجعلهم رجالاً، يمكنهم التفاهم مع البشر. فيبق الالتياس، وقد اعترضوا على نزول القرآن منجماً، فأجيبوا بحكمة ذلك، وأتبع هذا العناد بأمثلة معيرة عن الأنبياء وأقوامهم، لكن القوم اتبعوا أهواءهم، فصاروا كالأنعام أو أضل سبيلاً. وجاءت الآيات الكونية الدالة على كمال قدرته تعالى، الموجهة الى النظر والمعرفة، وختمت السورة بأوصاف المؤمنين التي ورتهم غرف الجنة العالية، يلقون فيها تحية وسلاماً.

١ - تعالى أمر الله وتزايد خيره، هو الذي نزل بالقرآن فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ، ليكون نذيراً به مبلغاً إياه الى العالمين.

٢ - هو سبحانه الذي يملك وحده السموات والأرض، والمنزه عن اتخاذ الولد، ولم يكن له أى شريك في ملكه، وقد خلق كل شيء وقدره تقديراً دقيقاً بنواميس تكفل له أداء مهمته بنظام^(١).

٣ - ومع ذلك ترك الكافرون عبادته، واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله من أصنام وكواكب وأشخاص وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ما، وهم مخلوقون لله، ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم ولا جلب خير لها، ولا يملكون امانه أحد ولا احياءه، ولا بعث الأموات من قبورهم، وكل من لا يملك شيئاً من ذلك لا يستحق أن يعبد، وما أجهل من يعبده، والمستحق للعبادة وحده هو مالك كل هذا.

(١) «الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً»: أثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير بحكم تكوينها وما يجري عليها من تطورات مختلفة وفق نظام دقيق ثابت لا يقدر عليه إلا خالق قدير مبدع. فن حيث التكوين فقد تبين أن جميع هذه الموجودات والمخلوقات على اختلاف أشكالها وتباين صورها تتألف من اتحاد عناصر محدودة العدد، إذ يبلغ عددها قرابة المائة عنصر «منها ٩٦ معروفة حتى الآن» وهي تندرج في صفاتها الطبيعية والكيميائية وأوزانها الذرية وتبدأ بالعنصر رقم «١» وهو الهيدروجين ووزنه الذري «١» وتنتهي - حتى الآن - بالعنصر رقم ٩٦ وهو عنصر اليورانيوم ووزنه الذري غير معلوم، وآخر عنصر علم وزنه الذري هو اليورانيوم ويبلغ وزنه الذري ٢٣٨,٥٧، وتسير هذه العناصر في اتحادها لتكوين المركبات حسب قوانين ثابتة لا تتغير عنها، وكذلك النبات والحيوان فإن كلاهما ينقسم إلى أسر وفصائل وأنواع تندرج صفاتها في مدارج الرقي من الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة مثل الميكروبات إلى كائنات متعددة الخلايا إلى الإنسان وهو أكملها. ولكل من هذه الأنواع صفات خاصة تتوارث فيما بينها جيلاً بعد جيل وكل هذا يسير تبعاً لقوانين ونظم ثابتة دقيقة تنبئ بجلاء ووضوح عن عظمة الخالق وقدرته. فسبحانه وتعالى عما يشركون.

كَفُرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْلُطِمْهُ الْأُولِينَ
 اكَتَبَهَا فِيهِ ثَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
 نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾
 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ

٤ - وطعن الكفار في القرآن وقالوا: انه كذب اخترعه محمد من عند نفسه ونسبه الى الله ، وساعده في اختراعه جماعة آخرون من أهل الكتاب ، فارتكب الكفار بقولهم هذا ظلماً في الحكم واعتداء على الحق ، وجاءوا بزور لا دليل عليه ، لأن من أشاروا اليهم من أهل الكتاب لسانهم أعجمي ، والقرآن لسان عربي مبين .

٥ - وقالوا عن القرآن أيضاً: انه أكاذيب السابقين سطروها في كتبهم ، ثم طلب منهم أن تكتب له وتقرأ عليه على الدوام صباحاً ومساءً حتى يحفظها ويقولها .

٦ - قل لهم أيها النبي : ان القرآن أنزله الله الذي يعلم الأسرار الخفية في السموات والأرض ، وقد أودعها في القرآن المعجز دليلاً على أنه وحيه سبحانه ، ان الله واسع المغفرة والرحمة ، يتجاوز عن العصاة اذا تابوا ولا يعجل بعقوبتهم .

٧ - وسخروا من محمد فقالوا : أى شيء يمتاز به هذا الذي يزعم أنه رسول حتى أنه يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد في الأسواق لكسب عيشه كما يفعل سائر البشر؟ لو كان رسولاً لكفاه الله ذلك ، ولسأل ربه أن ينزل له ملكاً من السماء يساعده على الانذار والتبليغ ويصدقه في دعواه فتؤمن به .

٨ - وهلا سأل أن يكفيه مؤونة التردد على الأسواق ، فيلقى اليه كنزاً من السماء ينفق منه أو يجعل له حديقة يقتات من ثمارها؟ وقال كبار الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر صادين الناس عن الايمان بـمحمد ، ومحاولين تشكيك المؤمنين : ماتبعون الا رجلاً مسحوراً عقله ، فهو يهذى بما لا حقيقة له .

٩ - انظر أيها النبي كيف ضربوا لك الأمثال ، فتلوك مرة بمسحور ، وأخرى بمجنون ، وثالثة بكذاب ، ورابعة بتلقى القرآن عن أعاجم ، انهم بذلك قد ضلوا طريق الحق . والمهاجرة الصحيحة فلا يجدون اليها سبيلاً .

جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ؕ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْعُورًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ؕ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا لَنَا أَنْ

- ١٠ - تعالى الله وتزايد خيره ، هو الذي ان شاء جعل لك في الدنيا أحسن مما اقترحوا ، فيجعل لك فيها مثل ما وعدك في الآخرة من جنات كثيرة تجرى الأنهار في جناتها وخلال أشجارها ومن قصور مشيدة .
- ١١ - والحقيقة أنهم جاحدون بكل آية ، لأنهم كذبوا بالبعث ويوم القيامة ، فهم لهذا يتعللون بهذه المطالب ليصرفوا الناس الى باطلهم ، وقد أعدنا لمن كذب بيوم القيامة ناراً مستعرة شديدة الالتهاب .
- ١٢ - اذا رأوها ورأتهم من بعيد سمعوا لها صوتاً متغيظاً متحفزاً لإهلاكهم ، وفيه مثل الزفرات التي تخرج من صدر متغيظ علامة على ما هي عليه من شدة .
- ١٣ - واذا ألقوا في مكان ضيق منها يتناسب مع جرمهم وهم مقرونة أيديهم الى أعناقهم بالأغلال ، نادوا هناك : طالبين تعجيل هلاكهم ليستريحوا من هول العذاب .
- ١٤ - فيقال لهم توبيخاً وسخرية : لا تطلبوا هلاكاً واحداً بل اطلبوه مراراً ، فلن تجدوا خلاصاً مما أنتم فيه ، وأن أنواع عذابهم كثيرة .
- ١٥ - قل يا أيها النبي للكافرين : أهذا المصير الذي أوعد به الكافرون خير أم الجنة الدائم نعيمها ، والتي وعد المؤمنون الأتقياء بأن تكون لهم ثواباً ومصيراً يصيرون اليه بعد البعث والحساب ؟ .
- ١٦ - لهم فيها ما يرغبون ينعمون به نعيماً دائماً دون انقطاع ، وكان هذا النعيم وعداً من الله لهم ، سألوا ربهم تحقيقه فأجابهم الى ما سألوه ، لأن وعده لا يتخلف .
- ١٧ - واذكر للعظة يوم يحشر الله المشركين للحساب في يوم القيامة مع من عبدوهم في الدنيا من دون الله ، كعيسى وعزير والملائكة ، فيسأل الله المعبودين : أنتم الذين أضللتهم عبادة فأمروهم بأن يعبدوكم ، أم هم الذين ضلوا السبيل باختبارهم فعبدوكم ؟ .

تَتَّخِذُ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا
تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُرًا نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا أَنْهُمْ لَيًّا كَلُومًا وَالطَّعَامَ وَيمشونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ بَصِيرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾
* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ تَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا
كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَيِّكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٣﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

١٨ - فيكون جوابهم: تزهت وتقدست، ما كان يحق لنا أبداً أن نطلب من دونك ولياً ينصرنا ويتولى أمرنا، فكيف مع هذا ندعو أحداً أن يعيدنا دونك؟ ولكن السبب في كفرهم هو انعامك عليهم بأن متعتهم طويلاً بالدنيا هم وآبائهم، فأطغاهم ذلك ونسوا شكرك والتوجه اليك وحدك بالعبادة، وكانوا بذلك الطغيان والكفر قوماً مستحقين للهلاك.

١٩ - فيقال للعابدين المشركين: لقد كذبكم من عبدتموهم فيما زعمتم من اضلالهم اياكم. فأنتم اليوم الى العذاب صائرور، لا تملكون حيلة لصرفه عنكم ولا تجدون نصراً من أحد يخلصكم منه، وليعلم العباد جميعاً أن من يظلم بالكفر والطغيان كما فعل أولئك فانتا نعهذه عذاباً شديداً.

٢٠ - واذا كان المشركون يعيبونك - أيها النبي - بأكلك الطعام ومشيك في الأسواق للعمل والكسب فنلك سنة الله في المرسلين من قبلك، ما أرسلنا أحداً منهم الا كان يأكل الطعام ويتردد في الأسواق، وجعلنا بعضكم أيها الناس ابتلاء لبعض، والمفسدون يحاولون سد الطريق الى الهداية والحق بشق الأساليب، فهل تصبرون على حقكم أيها المؤمنون وتمسكون بدينكم حتى يأتي أمر الله بالنصر؟ اصبروا فالله مطلع على كل شيء ويجازى كلا بما عمل ..

٢١ - وقال الذين ينكرون البعث ولا يتوقعون الجزاء على أعمالهم: لماذا لا تنزل علينا الملائكة بتأييدك أو يترأى لنا الله فيخبرنا بأنه أرسلك؟. لقد تمكن الكبر من نفوسهم وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان.

٢٢ - يوم القيامة يرون الملائكة كما تمنا، وسيكون ذلك مصدر تنفير لهم لا بشارة .. يستعيذون منهم كما كانوا يستعيذون مما يفرغهم في الدنيا.

بِجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نَسْفُكُ السَّمَاءَ بِالْغَمَمِ
 وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْبَسُ الظَّالِمُ
 عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا بُولَتَى لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
 عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
 الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ

٢٣ - ويوم القيامة ، نأتى الى ما عملوه من مظاهر البر والاحسان فى الدنيا فنحبطه ونحرمهم نوابه ، لعدم ايمانهم الذى به تعتبر الاعمال .

٢٤ - اصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً واحسن منزلاً وماوى للاسترواح ، لانه الجنة المعدة للمؤمنين لا النار المعدة للكافرين .

٢٥ - واذكر - ايها النبى - يوم تنفرج السماء وتنتفتح ، ويظهر من فرجها الغمام ، وتنزل الملائكة نزولاً مؤكداً .

٢٦ - فى هذا اليوم ، تبطل املك المالكين من الناس وتنقطع دعاواهم ، ويخلص الملك للرحمن وحده ، ويكون يوماً شديداً عصيباً على الكافرين .

٢٧ - يوم القيامة يعرض الظالم لنفسه - بالكفر ومخالفة الرسل - على يديه أسفاً وندماً يقول متمنياً : يا ليتنى اتبعت الرسل فسلكت طريق الجنة وتجنبت طريق النار .

٢٨ - يقول نادماً على اتباع من أضلوه : يا ليتنى لم أصدق فلاناً الذى ملكته قيادى ..

٢٩ - لقد أبعدنى هذا الصديق عن ذكر الله وذكر القرآن بعد أن يسر لى ، وهكذا يخذل الشيطان الانسان ويسلمه الى ما فيه هلكته .

٣٠ - وقال الرسول يشكو الى الله ما يلاقه تعنت قومه : انهم تركوا القرآن وهجروه ، وقادوا فى اعراضهم وعنادهم وعدائهم .

٣١ - كما جعلنا قومك ، يا محمد يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين يعادونه ويقاومون دعوته ، وسينصرك الله ويهديك الى قهرهم ، وحسبك به هادياً ونصيراً .

٣٢ - وقال الذين كفروا طعنوا فى القرآن : لم لم ينزل دفعة واحدة ؟ لقد أنزلناه كذلك مفرقاً ليثبت به فؤادك بأنسك به وحفظك له ، ورتلناه فرقناه آية أو قرآناه على لسان جبريل شيئاً فشيئاً على تودة وقهمل .

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ اتَّوَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ۖ أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرِجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ

٣٣ - ولا يأتونك بحال من الاعتراضات الواهية الا جئناك بالحق نبينه ونفسره أحسن تفسير .

٣٤ - والذين كفروا برسالتك سيسحبون الى النار على وجوههم أذلاء ، وهم شر الناس منزلة وأوغلهم في الضلال .

٣٥ - ويسلى الرسول بما وقع للرسول قبله ، ولقد نزلنا على موسى التوراة وكلفناه أن يقوم بتبليغ رسالتنا ، وأيدناه بأخيه هارون وزيراً له ومعينا في أمره .

٣٦ - فقلنا : اذهب أنت وأخوك الى فرعون وقومه وأيدناه بالمعجزات التي تدل على صدقه ، فلم يؤمنوا بها وكذبوه ، فكان عاقبتهم أن أهلكناهم ومحقتهم محقاً .

٣٧ - وكذلك فعلنا من قبل موسى مع قوم نوح لما كذبوه ، ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل أجمعين ، فقد أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم عبرة للناس ، وجعلنا لهم ولكل مشرك في الآخرة عذاباً أليماً .

٣٨ - وكذلك أهلكنا عاداً وثمود وأصحاب الرس (١) لما كذبوا رسلهم ، وأهلكنا أمماً كثيرة كانوا بين أمة نوح وبين عاد فأصابهم جزاء الظالمين .

٣٩ - ولقد أذرننا هؤلاء الأقوام كلهم ، وذكرنا لهم العظات والأمثال الصحيحة النافعة ، ولكنهم لم يتعظوا . فأخذناهم كلهم بالعذاب وأهلكناهم ودمرنا ديارهم تدميراً .

٤٠ - وهؤلاء قريش يبرون في أسفارهم الى الشام على قرية قوم لوط التي أمطرتنا عليها شر مطر وأسوأه ، حجارة من سجيل ، أفلم يروا هذه القرية فيتعظوا بما حل لأهلها ؟ .. انهم يرونها ولكن لا بأعين الانتعاش والاعتبار ، اذ كانوا لا يؤمنون بمعاد ولا بعث ، ولا يتوقعون يوماً ينشرون فيه الى الحساب .

٤١ - واذا أبصرك هؤلاء لا يتخذونك الا موضع هزؤ وسخرية ، ويقول بعضهم لبعض : أهذا هو الذي بعثه الله رسولاً إلينا نتبعه ونسير وراءه ؟ !

(١) الرس : كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني : هو واد ، وقد استشهد بقول الشاعر : (وهن الوادي الرس كاليد للفسم) وأصحاب الرس كما جاء في الآية الكريمة : قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فبعث الله شعيباً لهم ، فهم ممن أرسل فيهم شعيب عليه السلام ، وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن قوم شعيب مرة بأصحاب الأيكة - وهو المكان الذي يكثر فيه شجر امتاز بالنعومة - ومرة بأصحاب الرس - وهو واد فيه خير عظيم - للإشارة إلى ما كانوا فيه من نعم أنعم الله به عليهم ، فكفروا بأنعمه ، وعبدوا الأوثان .

ءَاهِتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ

٤٢ - لقد أوتى هذا الرجل من حسن البيان وقوة الحججة ما يجذب السامعين ، ولقد نال من عقائدها حتى لقد كاد يزحزحنا عن آلهتنا ويميلنا الى الله ولكننا ثبتنا على آلهتنا وديننا ، سنين لهم جليلة الأمر حين يرون العذاب يوم القيامة ويعلمون من هو أثبت في الضلال والغواية .

٤٣ - أرايت أيها الرسول ضلال من اتبع هواه وشهواته حتى أنه ليعبد حجارة لا تضر ولا تنفع ؟ وأنت قد بعثت نذيراً وبشيراً ولست موكلاً بإيمانهم وهدايتهم .

٤٤ - وهل تظن أن أكثرهم يسمعون سماع الفهم أو يهتدون بعقولهم ؟ ! لقد نبذوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصاروا كالبهائم لا هم لهم الا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا ، ولا تفكير لهم فيما وراء ذلك ، بل هم شر مكاناً من البهائم ، فالبهائم تنقاد لأصحابها الى ما فيه خيرها ، وتناهى عما يضرها وهؤلاء يلقون بأنفسهم فيما يهلكهم .

٤٥ - لقد نصبنا من الدلائل على التوحيد ما يهدى ذوى الألباب ، انظر الى الظل فقد بسطه الله وجعله ساكناً أول النهار ، ثم سلطنا الشمس تزيل منه بما يحمل محله من أشعتها ، فكانت الشمس دالة عليه ولولاها ما عرف الظل ، ولو شاء الله لجعل الظل ساكناً مطبقاً على الناس فتفوت مصالحهم ومرافقهم^(١) .

٤٦ - ولقد كان نسخنا للظل بالشمس تدريجياً بمقدار ولم يكن دفعة واحدة ، وفي ذلك منافع للناس .

٤٧ - ومن آيات التوحيد أن جعل الليل سترًا بظلامه ، يدخل فيه الخلق فيحيطهم احاطة التوب بلاسه ، وهياً الناس للنوم فكان راحة لهم يستجمون به من التعب ، بضياته ناشراً للناس باحثين عن معاشهم طالبين لرزقهم .

٤٨ - وهو الذى سخر الرياح فتسوق السحب وتبشر الناس بالمطر الذى هو رحمة منه لهم ، ولقد أنزلنا من السماء ماء طاهراً مطهراً مزيلاً للنجاس والأوساخ^(٢) .

(١) « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » : هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته . فد الظل يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها ولو أن الأرض سكنت بحيث أنها ظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدام دورانها حول محورها لسكن الظل وظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض بينما يظل النصف الآخر ليلاً مما يحدث اختلاف التوازن الحرارى ويؤدى إلى انعدام الحياة على الأرض وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض فإن الظل يظل ساكناً . وهذا أيضاً يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هي نفسها فترة دورانها من حول الشمس ، أى أن اليوم يصبح سنة كاملة ولكن لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله ، هذا فضلاً عن أن الظل ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشياء كلها شفاقة لما وجد الظل ولا انعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التى تحتاج إليه .

(٢) « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » : فى هذه الآية الكريمة بين الله على البشر بإنزال الماء طاهراً إليهم من السماء ، وتتضمن الآية الإشارة إلى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون فى أعلى درجات النقاء . وعلى الرغم من أن حمله بعد ذلك ما فى الجو من أجسام وذرات فإنه يكون فى أعلى درجات الطهارة .

بِمَا خَلَقْنَا أَعْنَمَا وَأَنَاسِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ
 شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ
 الْمَاءِ بَشَرًا لِّجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ
 الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مَا مَنَ شَاءَ
 أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

٤٩ - أنزلنا المطر لينبت به الزرع ، فتحيا به الأرض الجدبة بعد موتها ، وينتفع به السقيا مما خلق انعاما وأناسي كثيرا .

٥٠ - وهذا القرآن قد بينا آياته وصرفناها ، ليتذكر الناس ربهم وليتعضوا ويعملوا بوجبه ، ولكن أكثر الناس أبوا الا الكفر والعناد .

٥١ - ولو شئنا لبعثنا في كل بلدة نذيرا ، فاجتهد في دعوتك ، ودع كلام الكافرين ، وانبذ ما يأتون به . .

٥٢ - واستمر في دعابتك الى الحق وتبليغ رسالة ربك ، وان قاوموا دعوتك واعتدوا على المؤمنين فحاربهم وجاهد في ذلك جهادا عظيما .

٥٣ - والله هو الذي أجرى البحرين : البحر العذب والبحر الملح ، وجعل المجرى لكل واحد يجاور المجرى الآخر ، ومع ذلك لا يختلطان ، نعمة ورحمة بالناس (١) .

٥٤ - والله هو الذي خلق من النطفة هؤلاء الناس ، وجعلهم ذكورا واناثا ذوى قرابات بالنسب أو المصاهرة ، وكان الله قديرا على ما يريد اذ خلق من النطفة الواحدة نوعين متميزين . .

٥٥ - وبعد هذه الآيات الدالة على استحقاق الله وحده العبادة ، وأن لا اله سواه ، يعبد فريق من الناس ما لا ينفع ولا يضر من الأوثان ، وهؤلاء يعلمهم هذا يعاونون الشيطان وهو يضلهم ، فهم متظاهرون على الحق الذي دعاهم اليه الله .

٥٦ - وليس عليك أيها النبي الا تبليغ ما أرسلت به ، وتبشير المؤمنين بالجنة ، وتخويف الكافرين ما سيلقونه ، وليس عليك بعد ذلك شيء تطالب به .

٥٧ - وقل لهم : اني لا أبتغي على دعوتكم الى الاسلام اجرا وجزاء ، الا ان يهتدى أحدكم ويسلك سبيل الحق ويرجع الى ربه .

(١) « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » : قد تشير هذه الآية إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء الملح المتسرب من البحار في الصخور القريبة من الشاطئ بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطا تاما بل انها يلتقيان مجرد تلاق . يطفو العذب منها فوق الملح كأن بينهما برزخا يمنع أحدهما على الآخر ، وحجرا محجورا ، أي حاجزا خفيا مستورا لا تراه .

وليس هذا فقط بل ان هناك قانونا ثابتا يحكم هذه العلاقة ويتحكم فيها لمصلحة البشر ممن يسكنون في تلك المناطق وتتوقف حياتهم على توفر الماء العذب ، فقد ثبت أن طبقة الماء العذب العليا يزداد سمكها مع زيادة الارتفاع عن منسوب البحر بعلاقة منتظمة حتى أنه يمكن حساب العمق الأقصى للماء العذب الذي يمكن الوصول إليه . فهو يساوي قدر الفرق بين منسوب الأرض ومنسوب البحر أربعين مرة .

خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

٥٨ - وتوكل في أمورك على الله الحى الذى لا يمكن أن يموت، ونزهه وقدسسه حامداً أنعمه، ودع من خرج عن الجادة، فالله خير بهم مكافئ لهم على ذنوبهم.

٥٩ - والله هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، وقد استولى على العرش الملكوت وعم سلطانه كل شيء، وهو الرحمن، وإن ابتغيت أن تعرف شيئاً من صفاته فاسأل الخير عنه يجيبك وهو الله العليم الحكيم^(١).

٦٠ - وإذا قيل هؤلاء الكفار: اخضعوا للرحمن وابعده. كان جوابهم بالانكار وتجاهل الرحمن وقالوا: من هو الرحمن؟! نحن لا نعلمه حتى نسجد له، فهل نخضع لأمرك وحسب؟، وازدادوا عن الايمان بعداً ونفوراً...

٦١ - تعالى الرحمن وتزايد فضله، انشأ الكواكب فى السموات وجعل لها منازل تسير فيها، وجعل من الكواكب الشمس سراجاً مضيئاً والقمر منيراً^(٢).

٦٢ - والرحمن هو الذى جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر، وقد دبرنا هذا ليتذكر من شاء هذا التدبير، فيعرف حكمة الله وقدرته، أو يشكره على هذه النعمة الجليلة.

٦٣ - فعباد الرحمن هم الذين يتواضعون فى الدنيا، اذا مشوا على الأرض مشوا فى سكينه ووقار، وكذلك فى سائر أعماهم، واذا سابه السفهاء من المشركين تركوهم وشأنهم وقالوا لهم: لا شأن لنا بكم بل أمرنا سلام عليكم.

(١) «الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش، الرحمن فاسأل به خيراً»: النسبة أيام تعبير من جانب الله - عز وجل - عن الزمن، وهو تعالى أعلم بمقدار اليوم، ومن الوجهة العلمية تتطلب عملية خلق الكون المرور بمراحل وأدوار مختلفة «السموات والأرض وما بينهما» تشير إلى سائر أجرام السماء من نجوم وشموس وكواكب وأقار وأتربة كونية، وغازات وطاقات يتألف الكون منها «ثم استوى على العرش» يثبت أن للكون بداية من حيث الزمن وأن نشوء الكون لازمه نظم كونية أو إلهية منظمة له، وبتنظيم الكون على الوجه التفصيل الكامل الذى شمل كل شيء اتضح استيلاء الله - سبحانه - على الكون إجمالاً وتفصيلاً.

«فاسأل به خيراً» فى هذه الجملة من الآية الكريمة توجيه علمى من الله إلى ضرورة البحث والتتقيب فيما يمكن بحته من مظاهر الكون ونظمه المختلفة للوقوف على أسرار قدرة الله فى ابداع الكون

(٢) «تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيراً»: تشير الآية الكريمة إلى المعانى العلمية المتضمنة فى نظام الكون الذى خلقه الله - سبحانه وتعالى - وتزايد فضله. وأتينا لشاهد نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بصورها على مر الأجيال والبروج هى تلك المجموعات من النجوم التى قر أمامها الشمس أثناء دوراتها الظاهري من حول الأرض، فالبروج كأنها منازل الشمس فى دوراتها أثناء السنة. وكل ثلاثة منها تؤلف فصلاً من فصول السنة وهى كمفردات مبتدئين بفصل الربيع: الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السنبلة - الميزان - العقرب - القوس - الجدى - الدلو - الحوت. والشمس هى إحدى النجوم المتوسطة القدر وهى كسائر النجوم مضيئة بذاتها نظراً للتفاعلات الذرية فى داخلها، فالإشعاع الشمسى المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والأرض والأقار وسائر أجرام السماء غير المضيئة بذاتها، فينيرها أى أن الشمس هى سراج وهاج. أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد من سطحه وأن فى وصف الشمس بأنها سراج ووصف القمر بأنه منير إشارة إلى أن الشمس مصدر الطاقة الحرارية.

وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ جُجْدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ
 لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُ
 أُنَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
 مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَجْرُوا
 عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

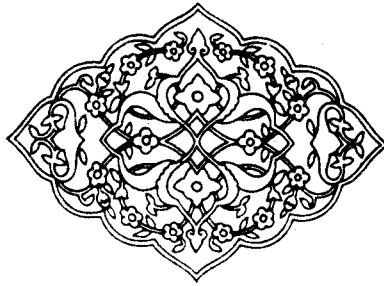
- ٦٤ - والذين يبتغون على التبعيد والصلاة ويزكرون الله كثيراً .
 ٦٥ - والذين يغلبون الخوف على الرجاء - شأن الاتقياء - فيخافون عذاب الآخرة ، يكون دأبهم أن يدعوا
 الله أن ينجيهم من عذاب جهنم ، فإن عذابها إذا نزل بمجرم يلزمه ولا يفارقه .
 ٦٦ - وأن جهنم شر مستقر لمن يستقر فيها وشر مقام لمن يقيم .
 ٦٧ - ومن سمات عباد الرحمن الاعتدال في انفاقهم المال على أنفسهم وأسرهم ، فهم لا يبذرون ولا يضيعون
 في النفقة ، بل نفقتهم وسط بين الأمرين .
 ٦٨ - ومن شأنهم أنهم أخلصوا التوحيد ونبذوا كل أثر للشرك في عبادة ربهم ، وتزهوا عن القتل للنفوس
 التي نهى الله عن قتلها لكن ان اعتدت قتل بالحق . . وقد تجنبوا الزنا ، وقصروا أنفسهم على الحلال من أوجه
 المتاع ، لينجوا من عقاب هذه المهلكات ، فإن من يفعل هذه الأمور يلقى منها شراً وعذاباً .
 ٦٩ - فانه سيقى يوم القيامة عذاباً مضاعفاً ، ويخلد فيه ذليلاً مهاناً .
 ٧٠ - ولكن من تاب من هذه الذنوب وصدق في إيمانه واتبع ذلك بالطاعات والأعمال الصالحة ، فهو
 يغفر لهم رحمة منه ويجعل لهم مكان السيئات السالفة حسنات يشيهم عليها أجزل الثواب ، وإن الله من شأنه الرحمة
 والفران .
 ٧١ - وهكذا مضى أمرنا أن من تاب من آثمه وظهر أثر ذلك في إقباله على الطاعة واجتنابه المعصية ، فهو
 الذي يقبل الله توبته . وبها يرجع الى ربه بعد نفاره .
 ٧٢ - ومن أخلاق عباد الرحمن أنهم ، يتزهون عن شهادة الزور ، وانهم اذا صادفوا من انسان ما لا يحمد
 من قول أو فعل لم يشتركو فيه ورفعوا أنفسهم عن مقارنته .
 ٧٣ - ومن صفاتهم أنهم اذا وعظهم واعظ وتلا عليهم آيات الله ألقوا بمسامعهم اليها ، فوعتها قلوبهم ،
 وتفتحت لها بصائرهم ، ولم يكونوا كأولئك الذين يضطربون عند سماعها معرضين عنها ، لا تحرق أذانهم وتسد
 عنها أبصارهم .
 ٧٤ - وهم يسألون ربهم أن يجعل نسائهم وأولادهم موضع أنس أنفسهم بما يعملون من خير ، وأن يجعلهم
 أمّة في الخير يقتدى بهم الصالحون .

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾
 قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

٧٥ - هؤلاء الموصوفون بما وصفناهم عباد الله حقاً، وجزاؤهم غرف الجنة العالية كفاء صبرهم على الطاعات، وسيلقون في الجنة التحية والتسليم ..

٧٦ - ونعيمهم في الجنة خالد لا انقطاع له، فنعمة الجنة مستقراً ومقاماً ..

٧٧ - قل أيها الرسول للناس: ان الله لا يعنيه منكم الا ان تعبدوه وتدعوه في شئونكم ولا تدعوا غيره، ولذلك خلقكم، ولكن الكافرين منكم كذبوا ما جاء به الرسل فسيكون عذابهم لازماً لهم لا منجى لهم منه.



(٦٦) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سَبِّحْ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَلِغٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا

اشتملت السورة في بدايتها على التنويه بشأن القرآن ، وانتقلت بعده الى ذكر تهديد الكافرين بقدره الله على انزال العذاب بهم ، وتسليية النبي - ﷺ - عن تكذيب قومه بما لقيه فريق من رسل الله ، من تكذيب أمهم ، فحدثت عن لقاء موسى وهارون لفرعون ، وتكذيبه لهما ، ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم أبي الأنبياء ، ونبأ نوح مع قومه ، وشأن هود مع عاد ، وصالح مع ثمود ، ثم شرحت السورة دعوة لوط ، وقصة شعيب مع أصحاب الأيكة .

ويرى المتأمل في قصص هؤلاء النبيين السبعة أن أصول دعوتهم واحدة ، وأسلوب الكافرين في رد رسالتهم واحد ، ثم ختمت السورة بالتنويه بشأن القرآن ، كما افتتحت به ، وانتهت الحديث بإبطال ان يكون الرسول من الشعراء وأن يكون القرآن شعراً .

١ - هذه الحروف لبيان ان القرآن المعجز للبشر ركبت كلماته منها ومن أخواتها ، وهي في طوقهم ، فن ارتاب في أنه من عند الله فليات بمنله ، ولن يستطيع .

٢ - هذا الكلام الذي أوحيت به إليك آيات الكتاب الموضح لما اشتمل عليه من أحكام .

٣ - أشفق على نفسك - أي النبي - أن تقتلها حزناً على عناد قومك ، وعدم ايمانهم .

٤ - ان في قدرتنا أن نأتيهم بمعجزة تلجئهم الى الايمان ، فيخضعون لأمره ، ويتم ما ترجوه ، ولم نأتيهم بذلك لأن سنتنا تكليف الناس بالايمان دون الجفاء ، كي لا تفوت الحكمة في الابتلاء ، وما وراه من ثواب وعقاب .

٥ - وما يجدد الله لقومك بوحيه ما يذكرهم بالدين الحق ، رحمة بهم ، الا جددوا اعراضاً عنه ، وكفراً به ، حيث أغلقت أمامهم طرق الهداية .

٦ - فقد كذب هؤلاء بالحق الذي جئتهم به ، وسخروا منه ، فاصبر عليهم ، فسيرون عاقبة استهزائهم القاصمة .

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
 وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ لِي الْهَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
 قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِعَايَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ

- ٧ - أفعلوا ما فعلوا من الكفر والتكذيب ، ولم ينظروا الى بعض خلق الله في الأرض ؟ ولو نظروا متأملين لاهتدوا ، فهذه الكثرة من أصناف النباتات النافعة أخرجناها من الأرض ، ولا يستطيع ذلك غير اله واحد قدير .
- ٨ - ان في اخراج النبات من الأرض لدلالة عظيمة على وجود الخالق القدير ، وما كان أكثر القوم مؤمنين .
- ٩ - وان مالك أمرك وحافظك هو المنتقم من المكذبين ، المتفضل بالرحمة على المؤمنين ..
- ١٠ - واذكر - يا محمد - لقومك قصة موسى حين ناداه ربك : يا موسى . اذهب رسولا الى القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وبني اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد .
- ١١ - اتت قوم فرعون ، فانهم ماضون في ظلمهم . عجبا لهم ! أما يخافون عاقبة ذلك ، ويحذرونها ؟
- ١٢ - قال موسى : يارب انني أخشى ألا يقبلوا رسالتي ، كبرا وعنادا .
- ١٣ - ويحيط بي الغم اذا كذبتوني ، ولا ينطلق لساني حينئذ في محاجتهم كما أحب ، فأرسل جبريل الى أخى هارون ليؤازرنى في أمرى .
- ١٤ - وهؤلاء ذنب على ، فقد قتلت منهم رجلا ، فأخاف أن يقتلوني قصاصا قبل أداء مهمتى ، ويزيدنى ذلك خوفا .
- ١٥ - قال الله له : لن يقتلوك ، وقد أجبت سؤالك في هارون ، فاذهبا مزودين بمعجزاتنا ، انى معكم بالحفظ ، أسمع ما يجرى بينكما وبين فرعون ، فلكما النصر والتأييد ..
- ١٦ - فتوجها الى فرعون فقولا له : انا مرسلان اليك من رب العالمين .
- ١٧ - يقول لك رب العالمين : اطلق سراح بنى اسرائيل ، ليذهبوا معنا .
- ١٨ - قال فرعون لموسى ممتنا - وقد عرفه حينما دخلا عليه وأديا الرسالة ، حيث تربى في قصره - : ألم نربك فينا وليدا ، ومكثت في رعايتنا سنين من عمرك ؟

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكَ لَمَّا خَفْتُكَ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

١٩ - وجنيت جنابتك النكراء ، بقتلك رجلاً من قومي ، وجحدت نعمتي التي سلفت منا عليك ، فلم تحفظ رعيتي ، واعتديت على ألوهيتنا بادعاء انك رسول رب العالمين .

٢٠ - قال موسى : لقد فعلت ما ذكرت جهلاً بما يفضي اليه العقل من القتل ، فلا تثرىب على .

٢١ - ففرت منكم لما خفت أن تقتلوني بهذه الجنابة التي لم تكن عن عمد ، فوهب لي ربي فيها علماً ، تفضلاً وانعاماً ، وجعلني من المرسلين .

٢٢ - أشار موسى الى خصلة ذميمة من خصال فرعون ، وبين أنها تعبيد بني اسرائيل وذبح أبنائهم ، وأبي أن تسمى تربيته في بيته نعمة ، فسببها اتصافه بما تقدم ، فألقى في اليم لينجو من قتله ، فأل الى بيته ، ولولا ذلك لرباه أبواه .

٢٣ - قال فرعون : وما صفة رب العالمين الذي تذكره كثيراً ، وتدعى انك رسوله : حيث لا نعلم عنه شيئاً ؟ .

٢٤ - قال موسى هو مالك السموات والأرض وما بينها ، ان كنتم موقنين بصدق هذا الجواب لاتنفعتم ، واهتديتم ، وعرفتم أن ملك فرعون المدعى لا يذكر في جانب ملكه ، فهو لا يعدو إقليماً واحداً في الأرض .

٢٥ - قال فرعون - يعجب لمن حوله من جواب موسى ، اذ ذكر رباً غيره لا يذكر في جانب ملكه ملك فرعون - : كيف تسمعون كلام موسى ؟ .

٢٦ - قال موسى ماضياً في أمره غير مبال بغيظ فرعون وسوء مقالته : رب العالمين خالقكم وخالق آباءكم السابقين ، ومنهم من كان يدعى الألوهية كما تدعى ، وقد لحقهم الفناء ، وستفتي مثلهم فيبطل ما تدعيه ، اذ الاله الحق لا يموت .

٢٧ - قال فرعون مخاطباً قومه بما يثير غضبهم ، اذ أضاف رسالة موسى اليهم دونه ، مع وصفه بالجنون ، حيث يسأل عن الشيء فيجيب عن غيره ، وينعت الرب بصفات عجيبة ، وفرعون بهذا يحرضهم على تكذيبه .

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ أَوْلَوْجِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ - إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
 مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ - إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّ

٢٨ - قال موسى : ان كنتم تعقلون فآمنوا برسالتى ، لأن شروق الشمس وغروبها بتقدير محكم دليل ظاهر على الخالق ، اذن فأنتم الأحقاء بصفة الجنون .

٢٩ - قال فرعون لموسى : لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك واحدا ممن عرفت سوء حالهم فى سجوني . وقد لجأ إلى تهديده بهذا بعد أن يش من رفع آثار صنع الخالق .

٣٠ - قال موسى متلطفاً طمعا فى ايمانه : أتجعلنى من المسجونين ولو جئتك ببرهان عظيم بصدقنى فيما أقول !

٣١ - قال فرعون : فأت بالذى يشهد بنبوتك ان كنت صادقا فى دعواك ، قال ذلك طمعا فى أن يجد موطن ضعف فى حجته .

٣٢ - فألقى موسى عصاه فى الأرض أمامهم ، فانقلبت ثعبانا حقيقيا ، لا شيئا مزورا بالسحر يشبه الثعبان .

٣٣ - وأخرج موسى يده من جيبه آية ثانية ، فإذا هى بيضاء ، اشتد بياضها من غير سوء ، حتى بهر الناظرين .

٣٤ - قال فرعون لقومه : ان موسى لساحر فائق فى سحره . قال ذلك خشية أن يخضعوا للحق الذى رآوه من موسى .

٣٥ - وقال فرعون أيضا : يريد هذا الساحر أن يقهرنى فيخرجكم من أرضكم ، وذلك تحريض على موسى ، إذ من أشق الأشياء مفارقة الوطن ، لا سيما إذا كانت قهرا ، وطلب الرأى ممن يعبدونه ناسيا للوहितه ، لقوة آيات موسى .

٣٦ - قال له قومه : أجل الفصل فى أمرها ، وأرسل الجند فى المدائن يجمعون لك السحرة من رعيتك ، فالسحر يعارض بالسحر .

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلَيْهِ ﴿٣٧﴾ جُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَنْبِغُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيْنَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِ كُنَّا إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ

٣٧ - يأتوك بالعدد الكثير، وكلهم قد أجاد فن السحر، ويفوق موسى عملا به ومرانا عليه. وقصدوا بهذا التخفيف من قلق فرعون.

٣٨ - فجمع السحرة من كل أرجاء البلاد، وحدد لهم وقت الضحى من يوم الزينة للاجتماع بموسى.

٣٩ - وقال الناس - يحث بعضهم بعضا على الاجتماع في اليوم المعلوم، لحضور الحفل المشهود -: «هل أنتم مجتمعون» أى اجتمعوا.

٤٠ - وأعلنوا توقعهم انتصار السحرة، فيثبتون على دينهم، حملا على الاهتمام والجد في مغالبة موسى.

٤١ - فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: أياكون لنا قبلك أجر عظيم ان كنا نحن الغالين؟.

٤٢ - قال فرعون: نعم لكم ما ذكرتم، ومع هذا الأجر العظيم تكونون من المقربين لدى، ومن أصحاب الجاه والسلطان.

٤٣ - قال موسى للسحرة - حينما جاء الوقت المحدد في اليوم الموعد - ألقوا ما تريدون القاه من السحر.

٤٤ - فألقوا حبالهم وعصيهم، وخيل للناس أنها حيات تسعى، وأقسموا بعزة فرعون وقوته أنهم الغالبون.

٤٥ - فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة تتلع ما كانوا يزورونه بالسحر من حبالهم وعصيهم، متوهمين أنها حيات تسعى..

٤٦ - فبادر السحرة بالسجود لله، حينما أيقنوا أن أمر موسى ليس بالسحر.

٤٧ - قالوا مؤكدين فعل السجود بالقول: «آمنا برب العالمين».

٤٨ - وبينوا أن رب العالمين الذى آمنوا به «رب موسى وهارون».

لَكَبِيرُكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصْلَابَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾
 قَالُوا لَا ضَرِيرٌ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
 * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

٤٩ - قال فرعون - منكرا على السحرة إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم ، مهددا إياهم على ذلك بأنه
 أستاذهم الذى عليه تلقوا فنون السحر ، وسيعلمون ما سينزل بهم من العقاب - : لأقطعن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف . أقطع اليمنى مع اليسرى أو العكس . ولأصلبكم أجمعين ..

٥٠ - قال السحرة : لا ضرر علينا مما يلحقنا من عذابك الذى توعدتنا به ، لأننا راجعون إلى ثواب ربنا ،
 وهو خير ثواب وخير عاقبة .

٥١ - انا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا التى أسلفناها ، إذ كنا أول المؤمنين فى قومك .

٥٢ - وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير ليلا بالمؤمنين من بنى اسرائيل ، حينما لم تجد مصابرة موسى ،
 وقد نظم أمر الفريقين على أن يتقدم موسى بقومه ، ويتبعهم فرعون بقومه ، حتى يدخلوا مدخلهم من طريق البحر ،
 فيهلكهم الله .

٥٣ - فأرسل فرعون جنده فى مدائن مملكته ، يجمعون الأشداء من قومه ، حينما علم بسير موسى بينى
 اسرائيل ، ليحول بينهم وبين ما يقصدون .

٥٤ - قال فرعون : ان بنى اسرائيل الذين فروا مع موسى طائفة خسيصة فى شأنها ، قليل عددها ، يثير بذلك
 الحمية فى نفوس جنده .

٥٥ - وأنهم مع هذا فاعلون ما يثير غيظنا ، بمخالفة أمرنا والخروج بغير اذننا .

٥٦ - وانا لجمع ، من عادتتنا الحذر واليقظة ، والحزم فى الأمور .

٥٧ - فأخرجنا فرعون وجنوده من أرضهم الشبيهة بمجناات تجرى من تحتها الأنهار ، فأهلكوا بصرفهم عن
 الحق ، واثارتهم إلى الخروج وراء موسى ، بما جاء فى الآيات الثلاث السابقة .

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا

٥٨ - وأخرجناهم كذلك من كنوز الذهب والفضة والأماكن التي كانوا يقيمون فيها ، منعين بجبالها وحسن مرافقها .

٥٩ - مثل هذا الاخراج العجيب الذي وصفناه لك أخرجناهم ، وجعلنا هذا الملك وما فيه من ألوان النعيم لبني اسرائيل ، بعد أن كانوا معدمين .

٦٠ - جد فرعون وقومه في السير ليلحقوا ببني اسرائيل ، فلحقوا بهم وقت شروق الشمس .

٦١ - فلما رأى كل من الجمعين الآخر قال أصحاب موسى : ان فرعون وقومه سيدركوننا ، فينزل بنا الهلاك .

٦٢ - قال موسى : ان معي عناية الله تلاحقني بالحفظ ، وسيرشدني إلى طريق النجاة ، ليطمئنا على سلامتهم ، ولتبتعد عن أذهانهم فكرة الادراك المفزعة .

٦٣ - فأوحينا إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني اسرائيل ، وكان كل طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت .

٦٤ - وقربنا فرعون وقومه ، حتى دخلوا هذه الطرق وراء موسى وقومه .

٦٥ - وأنجينا موسى ومن معه بحفظ البحر متاسكا ، حتى تم عبورهم .

٦٦ - ثم أغرقنا فرعون ومن معه باطباق الماء عليهم عندما تبعوهم .

٦٧ - ان في ذلك التصرف الالهي العجيب لعبرة لمن أراد أن ينتفع ، وما كان أكثر القوم مصدقين .

٦٨ - وان خالقك ومربيك هو القوى في الانتقام من المكذبين ، المنعم بالرحمات على المؤمنين .

٦٩ - وآتى على الكافرين - أيها الرسول - قصة ابراهيم عليه السلام .

٧٠ - إذ قال لأبيه وقومه : أى شيء هذا الذي تعبدونه مما لا يستحق العبادة ؟ يقصد تقبيح عبادة الأصنام .

عَدِكْفِينِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي

- ٧١ - قالوا مجيبين بطريق المباهاة : نعيد أصناما فنقيم على عبادتها دائما ، تعظيما لها وتمجيدها .
- ٧٢ - قال ابراهيم : هل يسمعون دعاءكم ، أو يستجيبون لكم إذ تدعونهم ؟ يقصد بذلك التنبيه على فساد مسلكهم .
- ٧٣ - أو يقدمون لكم نفعا إذا أطعتموهم ، أو يسيئونكم بضر إذا عصيتموهم ؟
- ٧٤ - قالوا : لا يفعلون شيئا من ذلك ، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونها مثل عبادتنا ، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون .
- ٧٥ - قال ابراهيم - تبيكتنا لهم - : أفكرتم فعلتم أي شيء تستمرون على عبادته ؟
- ٧٦ - أنتم وأباؤكم الأقدمون . أهو أهل لأن يعبد أم لا ؟ . لو تأملتم لعلمتم أنكم في الضلال المبين .
- ٧٧ - فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي ولكم ، فلا أعبدهم ، لكن خالق العالمين ومالك أمرهم وحافظهم هو الذي أعبده ، وأتقرب إليه .
- ٧٨ - الذي أوجدني من العدم في أحسن تقويم ، وهبني الهداية لما يوصلني إلى سعادتي في الدنيا والآخرة .
- ٧٩ - وهو الذي أنعم علي بالطعام والشراب ، وأقدرني على تناولها والانتفاع بها ، حفظا لحياتي .
- ٨٠ - وإذا نزل بي مرض فهو الذي يشفيني بتيسير أسباب الشفاء ، وتفويض الأمر إليه .
- ٨١ - والذي يميتني إذا حل أجلي ، والذي يمحي مرة أخرى للحساب والمجزاء .
- ٨٢ - والذي أطمع في غفرانه وتجاوزه عما فرط مني من الهفوات في الدنيا ، إذا جاء وقت الحساب .

بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ
 كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾
 مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِئُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

٨٣ - قال ابراهيم عليه السلام داعيا: رب امنحنى كمالا في العلم والعمل، حتى أكون أهلا لحمل رسالتك والحكم بين عبادك، ووفقني لأنظّم في عداد الصالحين.

٨٤ - واجعل لي ثناء حسنا، وذكرًا جميلا في الأمم التي تجيء بعدي، يبق أثره بين الناس إلى يوم القيامة.

٨٥ - واجعلني من عبادك الذين منحتهم نعيم الجنة، ثوابا على ايمانهم بك وعبادتهم لك.

٨٦ - واجعل أبي أهلا للمغفرة بتوفيقه للاسلام، وكان قد وعده بالاسلام يوم فارقه، لأنه كان من المنحرفين عن طريق الهدى والرشاد.

٨٧ - ولا تلحق بي هوانا أو خجلا بين الناس، يوم يخرجون من القبور للحساب والجزاء.

٨٨ - يوم لا ينفع أحدا مال يبذل، ولا بنون ينصرون.

٨٩ - إلا من كان مؤمنا، وأقبل على الله بقلب بريء من مرض الكفر والنفاق والرياء.

٩٠ - وأدريت الجنة، وقربت من مكان السعداء، فيسير إليها الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأقبلوا على الإيمان والطاعة في الدنيا..

٩١ - وأظهرت الجحيم للمنصرفين عن دين الحق، حتى يكاد يأخذهم لها فيتحسرون..

٩٢ - وقيل لهم توبيخا: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله؟!

٩٣ - من دون الله وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم، أو ينفعون أنفسهم بانتصارهم؟ لا شيء من ذلك، لأنهم وآلهتهم وقود النار.

٩٤ - فألقوا في الجحيم على وجوههم، ينقلبون مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قاعها هم والذين أضلّوهم وأوقعوهم في الغي والضلال.

٩٥ - ومعهم أعوان إبليس الذين كانوا يزينون للناس الشرور والآثام، أو الذين اتبعوه من عصاة الانس والجن.

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لِنَاقِلُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
 الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٩﴾ * قَالُوا أَنْتُمْ
 نُونُ

٩٦ - قالوا معترفين بخطئهم - وهم يتخاصمون مع من أضلوه من معبوداتهم .

٩٧ - والله أن كنا في دنيانا لقي نخبط واضح ، وجهل مطبق ، وزيف عن الحق الذي لا خفاء فيه .

٩٨ - إذ نسويكم أيها المعبودون من دون الله برب العالمين في استحقاق العبادة ، مع عجزكم وقدرته .

٩٩ - وما أوقفنا في هذا الهلاك إلا المجرمون الذين أضلونا عن سواء السبيل .

١٠٠ - فلا يوجد لنا شافعون يخلصوننا من العذاب كما توهنا من قبل .

١٠١ - ولا صديق يتوجع لحالمهم ، وإن لم يخلصهم .

١٠٢ - فيتمنون لأنفسهم حينئذ رجعة إلى الدنيا ، ليكونوا من المؤمنين حتى ينجوا ..

١٠٣ - إن فيما ذكر الله من نبأ إبراهيم لظة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ، وما كان أكثر قومك الذين تتلو عليهم هذا النبأ مذعنين لدعوتك .

١٠٤ - وإن ربك هو القادر على الانتقام من المكذبين ، المتفضل بالإنعام على المحسنين .

١٠٥ - وذكر الله نبأ نوح في قوله : كذبت قوم نوح رسالته ، وردوها عليه ، وبهذا كانوا مكذبين لجميع رسل الله ، لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها .

١٠٦ - كذبوا هذه الرسالة حين قال لهم أخوهم نوح - نسبا لا دينا - محذرا : ألا تتقون الله فتركوا عبادة

غيره .

١٠٧ - إني رسول الله اليكم لأهديكم إلى طريق الرشاد ، أمين على تبليغ هذه الرسالة .

١٠٨ - فخافوا الله ، وامتثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه من توحيد الله وطاعته .

١٠٩ - وما أطلب منكم أى أجر على ما أبذله لكم من النصح والدعاء ، ما جزائى إلا على خالق العالمين

ومالك أمرهم .

١١٠ - فاحذروا عقاب الله ، وامتثلوا ما أمركم به .

لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَسْعُرُونَ ﴿١١٣﴾
 وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
 فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

١١١ - قال قوم نوح - يردون دعوته - : لن يكون منا ايمان لك في حال اتباع سفلة الناس وأقلهم جاهها ومالا لك .

١١٢ - قال نوح : أى شىء أعلمنى ما هم عليه من قلة الجاه والمال ؟ ! انما أطلب منهم الايمان دون تعرض لمعرفة صناعاتهم وأعمالهم .

١١٣ - ما جزاؤهم على أعمالهم إلا على ربى ، فهو المطلع على بواطنهم ، لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك .

١١٤ - وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوى مهما كان حالهم من فقر أو غنى ، تلبية لرغبتكم كى تؤمنوا بى .

١١٥ - ما أنا إلا رسول من الله ، لإبذار المكلفين انذارا واضحا بالبرهان الذى يتميز به الحق من الباطل ، لا فرق بين شريف وضعيف ، فكيف يليق بى طرد المؤمنين لفرهم ؟ !

١١٦ - قالوا : لئن لم ترجع يا نوح عن دعوتك ، لترجمك بالحجارة ، يقصدون بهذا القول تهديده بالقتل .

١١٧ - قال نوح مظهرا استمرار قومه على التكذيب بندائه : « رب ان قومى كذبون » ليبرر دعاءه عليهم .

١١٨ - فاحكم بينى وبينهم حكما تهلك به من جحد توحيدك ، وكذب رسولك ، ونجنى ومن معى من المؤمنين من عذاب بغيهم .

١١٩ - فأنجيناه ومن آمن معه فى السفينة المملوءة بهم ، وبما يحتاجون إليه ، استجابة لدعوته .

١٢٠ - ثم أغرق الله بعد انجاء نوح ومن آمن الباقين الذين لم يؤمنوا من قومه .

١٢١ - ان فيما ذكره القرآن من نبأ نوح ، لحجة على صدق الرسل وقدرة الله ، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم هذا القصص مؤمنين .

وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ
 بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾

- ١٢٢ - وان ربك هو القوي في الانتقام من كل جبار عنيد، المنعم بأنواع الفضل على المتقين.
- ١٢٣ - كذبت قبيلة عاد رسولهم هودا عليه السلام، وبهذا كانوا مكذبين لجميع الرسل، لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها.
- ١٢٤ - إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة؟!.
- ١٢٥ - اني مرسل من الله هدايتكم إلى الرشاد، حفيظ على رسالة الله، أبلغها اليكم كما أمرني ربي.
- ١٢٦ - فامتثلوا أمر الله، وخافوا عقوبته، وأطيعوا ما أمركم به من عند الله.
- ١٢٧ - وما أطلب منكم على نصحي وارشادي أى نوع من أنواع الأجر، ما جزائي إلا على خالق العالمين.
- ١٢٨ - أتشيّدون بكل مكان مرتفع من الأرض بناء شامخا تتفاخرون به، وتجتمعون فيه لتعيثوا وتفسدوا.
- يزيد سبحانه تنبيههم إلى ما ينفعهم، وتوبيخهم على ترك الايمان وعمل الصالحات.
- ١٢٩ - وتتخذون قصورا مشيدة، منيعة، وحياضا للهاء، مؤلمين الخلود في هذه الدنيا كأنكم لا تموتون.
- ١٣٠ - وإذا أخذتم أخذ العقوبة أسرفتم في البغي جبارين، تقتلون وتضربون غاضبين بلا رأفة.
- ١٣١ - فخافوا الله في البطش، وامتثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه، فإنه أنفع لكم وأبقى.
- ١٣٢ - واحذروا غضب الله الذى بسط اليكم يد انعامه، بالذى تعلمونه بين أيديكم من ألوان عطائه.
- ١٣٣ - عدد ما أمدهم به من ابل وبقر وغنم، وبنين أقوياء، ليحفظوا لهم الأنعام، ويعينوهم على تكاليف الحياة.

وَجَنَّتْ وَعْيُونٌ ﴿١٣٥﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَطْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
 الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
 أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ



١٣٤ - وبساتين مشمرات، وعيون تجرى بالماء الذي يحتاجون إليه .

١٣٥ - إني أخاف أن ينزل الله بكم عذاباً شديداً في الدنيا، ويدخلكم في الآخرة نار جهنم، بسبب طغيانكم وانعام الله عليكم .

١٣٦ - قالوا استخفافاً به : سواء لدينا بالغت في وعظنا وانذارنا أم لم تكن من الواعظين .

١٣٧ - ما هذا الذي جئنا به الا كذب الأولين وأباطيلهم ، اعتادوا تلفيق مثله ، فلا نرجع عما نحن فيه .

١٣٨ - وما نحن بمعذبين على ما يصدر منا من عمل .

١٣٩ - فاستمروا على تكذيبه ، فعاجلهم الله بالهلاك ، ان في ذلك الذي أنزله الله بعاد جزاء تكذيبهم لحجة تدل على كمال قدرة الله ، وما كان أكثر الذين تنلو عليهم نبأ عاد مؤمنين .

١٤٠ - وان ربك هو القاهر للجبارين ، الرحيم بالمؤمنين .

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود صالحاً في رسالته ودعوته لهم إلى توحيد الله ، وبهذا كذبوا جميع المرسلين ، لاتحاد رسالاتهم في أصولها .

١٤٢ - اذكر لقومك - أي الرسول - وقت أن قال لثمود أخوهم صالح في النسب والوطن : ألا تخشون الله فتفردوه بالعبادة؟! .

١٤٣ - اني مرسل من الله اليكم بما فيه خيركم وسعادتكم ، حفيظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله .

١٤٤ - فاحذروا عقوبة الله ، وامتلوا ما أدعوكم إليه من أوامره .

إِنَّ أُجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُنَّ آمَنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
 طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
 الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بِعَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ

١٤٥ - وما أطلب منكم أى أجر على نصحى لكم وارشادى ، ما أجرى الا على مالك العالمين ..

١٤٦ - أنكر عليهم اعتقادهم البقاء فيهم فيه من النعيم ، آمنين من العذاب والزوال والموت .

١٤٧ - فى حدائق مشمرات ، وعيون تجرى بالماء الفرات .

١٤٨ - وزروع بانعات ، ونخل ثمرها الذى يظهر منها لبن نضيج .

١٤٩ - وتتخذون من الجبال بيوتا عاليات ، حاذقين نشطين فيما تصنعون .

١٥٠ - فخافوا عقوبة الله ، لعدم شكركم له على نعمه ، واقبلوا نصحى واعملوا به .

١٥١ - ولا تطيعوا أمر الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك واتباع الهوى والشهوات .

١٥٢ - الذين يعيثون فى أرض الله فسادا ، ولا يقومون فيها بإصلاح به تسعد البلاد .

١٥٣ - قالوا ما أنت إلا من الذين سحروا سحرا شديدا حتى غلب على عقولهم ، وفى هذا الرد عنف

وسفاهة .

١٥٤ - ما أنت الا فرد مماثل لنا فى البشرية فكيف تتميز علينا بالنبوة والرسالة؟! فإن كنت صادقا فى

دعواك فأت بمعجزة تدل على ثبوت رسالتك .

١٥٥ - قال لهم صالح - حينما أعطاه الله الناقة معجزة له - : هذه ناقة الله أخرجها لكم آية ، لها نصيب من

الماء فى يوم فلا تشربوا فيه ، ولكم نصيب منه فى يوم آخر فلا تشرب فيه .

١٥٦ - ولا تلحقوا بها أذى ، فيهلككم عذاب عظيم .

١٥٧ - فذبحوا الناقة مخالفين ما اتفقوا عليه مع صالح ، فحق عليهم العذاب ، فأصبحوا على ما فعلوا

نادمين .

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَدَّ نَتْنَهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ

١٥٨ - فأهلكهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح . ولم يدفع الندم عنهم عقاب جرمهم ، ان في ذكر قصتهم دلالة على قدرة الله على اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ، وما كان أكثر قومك مؤمنين .

١٥٩ - وان خالقك هو القادر على اهلاك الجاحدين المتفضل بانجاء المتقين .

١٦٠ - كذبت قوم لوط - حين دعاهم إلى توحيد الله وترك الشرك - جميع المرسلين .

١٦١ - اذكر لقومك أيها الرسول إذ قال لوط لقومه - وهو أخوهم وصهرهم - : ألا تخافون عذاب الله ؟ !

١٦٢ - اني مرسل لكم من الله بالدين الحق ، أمين على تبليغ هذا الدين .

١٦٣ - فاحذروا عذاب الله ، وامتلوا أمرى في ما أدعوكم إليه .

١٦٤ - وما أطلب منكم أجرا على ما أدعوكم إليه من الهدى والرشاد ، ما جزائي الا على مالك العالمين

ومريهم .

١٦٥ - قال لوط : أنستمعون بوطء الذكور دون الاناث ؟ يريد بذلك أن ينكر ما دأبوا عليه من ارتكاب هذه الفاحشة النكراء (١) .

١٦٦ - وتكون ما خلقه الله لمناعمكم من أزواجكم الحلال ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد في الظلم بارتكاب جميع المعاصي .

١٦٧ - قالوا غاضبين لانكاره وتشنيعه عليهم بسبب تلك الرذيلة : لئن لم تترك توبيخنا لتكونن من المنفيين من بلادنا على أسوأ حال .

١٦٨ - قال لوط : اني لعملكم هذا من المبغضين ، فلا أترك انكاره والتشنيع عليه .

(١) « أتأتون الذكران من العالمين » . اللواط : أصلا هو جريمة فسق بشعة تتفرز منها الأصماع وتنفس منها الطباع وتنزل بالأدمية إلى الحضيض ، وتؤدى - لو شاعت - إلى تعطيل سنة الزواج وهي سنة طبيعية يتوقف عليها التناسل والتكاثر وعمارة الأرض . وينتقل باللواط ما ينتقل بالزنا من الأمراض كالزهري والسلان والقرحة الرخوة وأمراض الجلد كالجرب في الجلد ، ويحدث بالشرج علامات منها ضعف العضلة العاصرة حتى أنها قد تفقد السيطرة على عملية التبرز ، فيحدث عن غير إرادة ومنها تمزق بالشرج وزوال =

نَجِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجِّنْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِبَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

- ١٦٩ - ونادى ربه : أن ينقذه وأهله مما يعمل هؤلاء الجاهلون ، حينئذ يس من استجابته له .
- ١٧٠ - فاستجاب الله دعاءه ، ونجاه ومن اتبع دعوته ، بإخراجهم جميعا من بيوتهم وقت نزول العذاب بالمكذبين .
- ١٧١ - إلا امرأته العجوز بقيت ولم تخرج معه ، فهلكت ، لكفرها وخيانتها ، بمولاتها للفاسقين .
- ١٧٢ - ثم أهلك الله الكفرة الفجرة أشد اهلاكا وأفظمه .
- ١٧٣ - وأنزل الله على شذاذ القوم حجارة من السماء ، فأهلكهم ، وكان مطرا هائلا في كثرته ونوعه ، فساء مطر المنذرين مطرهم ، إذ نزل بأشد أنواع الهلاك .
- ١٧٤ - ان في ذلك العقاب الذى نزل بالقوم ، لحجة تدل على تمام قدرة الله ، وما كان أكثر قومك مصدقين بدعوتك .
- ١٧٥ - وان ربك هو الغالب على كل شيء المتصف بالرحمة الكاملة فيعاقب المذنبين ، ويثيب المؤمنين .
- ١٧٦ - هذه قصة شعيب مع أصحاب الأيكة ، وهى غيضة تنبت ناعم الشجر بقرب مدين ، نزل بها جماعة من الناس وأقاموا بها ، فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث إلى مدين ، فكذبوه في دعوته ، وبهذا كانوا منكبين لجميع الرسالات .
- ١٧٧ - اذكر - يا محمد - لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة : ألا تخافوا الله فتؤمنوا به ؟ ! فبادروا بتكذيبه .
- ١٧٨ - انى هدايتكم وارشادكم مرسل من رب العالمين ، أمين على توصيل رسالته اليكم .
- ١٧٩ - فاحذروا عقوبة الله ، وأطيعوا باتباع أوامر الله وتخليص أنفسكم من الآثام .
- ١٨٠ - وما أطلب منكم على ارشادى وتعليمى أى أجر . ما جزائى الكامل فى مقابلة عملى إلا على رب العالمين .

= الأنسجة حوله ، فيفور ويشبه القمع شكلا . والشرح ملء بالميكروبات الأخرى التى قد تنتقل إلى عضو الجفاني فتحدث فيه التهابات فى مجرى البول ، وقد يصبح المبنى عليه مخنثا إذا لازمته هذه العادة من صفه ، وقد يظهر على العكس أكثر رجولة ليقطى النقص عنده . وقد نهى الله - سبحانه - عن هذه الجريمة فى كثير من الآيات وبين فى بعضها حكمة من حكم هذا التحريم ، فقال : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » .

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَنْتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِمَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةًٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ

١٨١ - أمرهم شعيب بإعطاء الكيل وافية، حيث كان يشيع بينهم بحس الكيل والميزان، ونقص حقوق الناس بالتطيف والخسران.

١٨٢ - وزنوا بين الناس بالميزان السوى، حتى يأخذوا حقهم بالعدل المستقيم.

١٨٣ - ولا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات واطاعة الهوى.

١٨٤ - واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم، وخلق الأمم القوية العاتية المتقدمة.

١٨٥ - قالوا: ما أنت إلا واحد من الذين أصابهم السحر اصابة شديدة، فذهب بعقولهم.

١٨٦ - وما أنت إلا واحد منا مساو لنا في البشرية، فكيف تتميز علينا بالرسالة؟! ونحن نعتقد أنك من الراسخين في الكذب.

١٨٧ - فأسقط علينا قطع عذاب من السماء ان كنت من الصادقين في الرسالة.. وهذا اقتراح تحته كل ألوان الإنكار.

١٨٨ - قال شعيب: ربي بالغ العلم بما تعملونه من المعاصي، وبما تستحقونه من العذاب، ينزله عليكم في وقته المقدر له، وهذا منه منتهى التفويض لله وغايته التهديد لهم..

١٨٩ - فاستمروا على تكذيبه، فسلط الله عليهم الحر الشديد، فكانوا يفرون منه إلى غير حمى، إلى أن أظلمت سحابة من الشمس فاجتمعوا تحتها، فاسقطها الله عليهم نارا فأهلكهم جميعا في يوم شديد الهول.

١٩٠ - ان فيما نزل بأصحاب الأيكة من العقوبة - جزاء تمردهم - لدليل على كمال قدرة الله، وما كان أكثر قومك مصدقين.

١٩١ - وان ربك هو المتفرد بالقوة والغلبة. المنعم بالرحمات على المؤمنين.

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ
 مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّهُ لَنبِيُّ ذُرِّ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٠١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
 عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٤﴾
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٧﴾

١٩٢ - وان هذا القرآن الذي ذكرت فيه هذه القصص الصادقة منزل من خالق العالمين ومالك أمرهم ومربيهم، فخره صادق، وحكمه نافذ إلى يوم القيامة.

١٩٣ - نزل به الروح الأمين، جبريل عليه السلام.

١٩٤ - على قلبك متمكنا من حفظه وفهمه، مستقرا في قلبك استقرار ما لا ينسى، لتذرههم بما تضمنه من العقوبات للمخالفين.

١٩٥ - نزل به جبريل عليك بلغة عربية؛ واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة فيما يحتاجون إليه في اصلاح شئون دينهم وديارهم.

١٩٦ - وان ذكر القرآن والأخبار عنه بأنه من عند الله نزل على محمد - ﷺ - لثابت في كتب الأنبياء السابقين.

١٩٧ - أكفر هؤلاء المعاندون بالقرآن، وعندهم حجة تدل على صدق محمد - ﷺ - وهي علم علماء بني اسرائيل بالقرآن كما جاء في كتبهم؟!.

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض من الأعجميين، يقدر على التكلم بالعربية ولا يفصح بها، فلا يتوهم اتهامه باختراعه.

١٩٩ - فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة لكفروا به، وانتحلوا لجهودهم عذرا.

٢٠٠ - أدخلنا التكذيب في قلوب المجرمين، وقررنا فيها، مثل تقريره في قلوب من هم على صفتهم.

٢٠١ - فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وعدوا به.

٢٠٢ - فينزل بهم العذاب فجأة من غير توقع، وهم لا يشعرون بقدومه.

٢٠٣ - فيقولون عند نزول العذاب: «هل نحن منظرين» تحسرا على ما فاتهم الايمان وطلبها للامهال، ولكن

لا يجابون.

أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي

٢٠٤ - قال تعالى أغر كفار مكة امهالي ، فيستعجلون نزول العذاب ؟! يريد سبحانه تسفيه عقوبهم بسبب استعجالهم العذاب أثر تكرار انذارهم وتخويفهم .

٢٠٥ - أفكرت فعلمت أن متعناهم بالحياة سنين طويلة مع طيب العيش ؟

٢٠٦ - ثم نزل بهم العذاب الموعود .

٢٠٧ - ما يدفع عنهم تمتعهم بطول العمر وطيب العيش من عذاب الله شيئاً ، فعذاب الله واقع عاجلاً أو أجلاً ولا خير في نعيم يعقبه عذاب .

٢٠٨ - وستنتنا في الأمم جميعاً أننا لم ننزل هلاكاً بأمة إلا بعد أن نرسل إليها رسلاً ينذرونها إلزاماً للحجة .

٢٠٩ - تذكرة وعبرة ، وما كان شأننا الظلم فتعذب أمة قبل أن نبعث إليها رسولا

٢١٠ - نفي القرآن ما قاله كفار مكة من أن لمحمد تابعا من الجن ، يلقى القرآن إليه فقال : وما نزلت الشياطين بهذا القرآن .

٢١١ - وما يجوز لهم أن ينزلوا به ، وما يستطيعون ذلك .

٢١٢ - انهم عن سماع القرآن الذي ينزل به الوحي على محمد - ﷺ - لهجويون .

٢١٣ - فتوجه إلى الله مستمرا على اخلاصك له في العبادة ولا تهتم بفساد زعم المشركين وسوء مسلكهم . ودعوة الرسول إلى هذا اللون من الاخلاص دعوة لأفراد أمته جميعاً .

٢١٤ - وخوف بالعذاب على الشرك والمعاصي الأقرب فالأقرب من عشيرتك .

٢١٥ - وألن جانبك لمن أجاب دعوتك بالايان .

٢١٦ - فإن عصوك ولم يتبعوك فتراهم ومن أعياهم ، من الشرك وسائر المعاصي .

٢١٧ - وفوض أمرك إلى القوى القادر على قهر أعدائك بعزته ، وعلى نصرتك ونصرة كل مخلص في عمله برحمته .

يُرْسَلُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ بِنِ ۖ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ
 الشَّيَاطِينَ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
 الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢١٨ - الذى يراك حين تقوم إلى التهجد وأعمال الخير .

٢١٩ - ويرى تصرفك فيما بين المصلين ، بالقيام والقعود والركوع والسجود ، حين تؤمهم فى الصلاة .

٢٢٠ - انه سبحانه هو السميع لدعائك وذكرك ، العليم بنيتك وعملك . وكأنه سبحانه يقول له : هون على نفسك مشاق العبادة ، فأنت تعمل بمرأى ومسمع منا .

٢٢١ - قال المشركون : ان الشياطين تلقى السمع على محمد ، فرد القرآن عليهم : هل أخبركم على أى الأفراد تنزل الشياطين ، وتلقى الوسواس !؟

٢٢٢ - تنزل على كل مرتكب لأقبح أنواع الكذب وأشنع الآثام ، وهم الكهنة الفجرة الذين بين طباعهم وطباع الشياطين تجانس ووفاق .

٢٢٣ - يلقون أسماعهم إلى الشياطين ، فيتلقون منهم ظنوننا ، وأكثرهم كاذبون ، حيث يزيدون فى القول على ما تلقىه الشياطين .

٢٢٤ - قال الكفار : ان القرآن شعر ، ومحمد شاعر ، فأبطل الله هذا باثبات أن القرآن ملء بالحكم والأحكام ، فأسلوبه يناق أسلوب الشعر الذى يقوم على الباطل والكذب ، وبين أن حال محمد - ﷺ - يناق حال الشعراء ، فهو ينطق بالحكمة ، وهم ينطقون بالزور ، وهذا حال أغلب الشعراء .

٢٢٥ - ألم تر أنهم فى كل واد من أودية القول يهيمون على وجوههم ، فلا يهتمون إلى الحق ؟

٢٢٦ - وأنهم يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمون فى عملهم .

٢٢٧ - لكن الذين اهتموا بهدى الله وعملوا الصالحات حتى تمكنت فيهم ملكات فاضلة ، وذكروا الله كثيرا حتى تمكنت خشيته من قلوبهم . هؤلاء يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء ، وينتصرون لدينهم واقامة الحق إذا جور على الحق ، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول أى مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

سورة الفل مكية ، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية .

وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ، تنبيها لمنزلة القرآن الذي يجانس كلام العرب ، ومع ذلك أعجزهم ، وهي فوق ذلك تنبيه لمن يتغافل عن الاستماع . وجاءت بعد ذلك بقصة موسى ، وذكر بعض معجزاته عليه السلام ، وقصة داود عليه السلام ووراثته لوالده سليمان الملك . وحشر الجن والانس والطيير له ، وفهمه عليه السلام لكلام الحيوان ، وشكره هذه النعمة ، ثم غيبة الهدد ، وبجيمه بقصة بلقيس ، وعبادتها وقومها للشمس ، وارسال سليمان عليه السلام إليها كتابا ، وردها عليه بهدية بعد استشارتها قومها ، واحضار عرشها عن طريق من عنده علم من الكتاب ، ودخولها قصر سليمان الذي أدهشها ، فأعلنت طاعتها وإيمانها به .

وقد ذكرت قصة صالح مع قومه ، وقصة لوط عليه السلام وقومه ، ونجاته وأهله واهلاك الفاسقين . ونهت السورة الكريمة إلى ما في خلق السموات والأرض من دلائل على قدرته ووحدانيته .

وأشارت إلى مقام القرآن الكريم في الدعوة ، واعراض المشركين عنه مع كمال اعجازه وذكرت ما سيكون من خروج دابة تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون . ثم وجهت الأنظار إلى الكون ، وكيف يفزع كل من فيه عند النفخ للبعث والنشور ، ونهت إلى حال الأرض وأن جبالها تمرر السحاب ، ورسمت ما يتبعه الرسول في دعوته ، ووجوب أن يحمد الله سبحانه .

١ - طس - حرفان صوتيان ابتدأ بها السورة الكريمة تنبيها إلى سر الاعجاز في القرآن مع الإشارة إلى أنه من جنس ما يتكلمون ولتنبيه الأذهان للاستماع إليه .

تلك آيات المنزل مقروءا وتلونه ، وهو كتاب مبين لما جاء به .

٢ - وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الخير والفوز في الدنيا والآخرة ، ومبشر لهم بحسن المآل .

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
 عَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاعَتِكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِثْلَ بَعْسِ لَعَلَّكُمْ
 تَصْطَلُونَ ﴿٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ يَمْوَسِي
 إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ وَاللَّيْلِ عَصَاكَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي
 لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَأَدْخِلْ

٣ - الذين يؤدون الصلاة في خشوع مستوفية الأركان، ويعطون الزكاة في أوقاتها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما يكون فيها من ثواب وعقاب.

٤ - ان الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، زيناهم أعمالهم بخلق الشهوة فيهم، فهم يتردون في ضلالهم.

٥ - أولئك الذين لهم العذاب السيئ، وهم في الآخرة أشد الناس خسرانا.

٦ - وانك أيها النبي لتلقى القرآن الذي ينزل عليك من لدن من لا يداني في حكمته، وقد أحاط بكل شيء علما.

٧ - اذكر حين قال موسى لزوجته ومن معه وهو عائد إلى مصر: اني أبصرت نارا، سأتيتكم منها بخير عن الطريق، أو آتيتكم بشعلة مضيئة نارا مقبوسة، لعلكم تستدفنون بها من البرد.

٨ - فلما وصل إليها نودي: أن بورك من في مكان النار ومن حولها. وهم الملائكة وموسى. ونزه الله رب العالمين عن كل ما لا يليق به.

٩ - يا موسى اني أنا الله المستحق للعبادة وحده، الغالب على كل شيء، الذي يضع كل أمر في موضعه.

١٠ - وفي سبيل أن تؤدي دعوتك ألق عصاك، فلما القاها ورأها تهتز كأنها حية خفيفة سريعة، أعرض عنها راجعا إلى الوراء، ولم يعد إليها بعد أن أدبر عنها، فطمأنه الله تعالى بقوله: لا تخف اني لا يخاف عندى المرسلون حين أخاطبهم (١).

١١ - لكن من عمل شيئا غير مآذون له فيه، ثم بدل حسنا بعد هفوة، فإنني كثير المغفرة عظيم الرحمة..

(١) ذكرت قصة موسى أكثر من مرة في القرآن، وفي بعضها يحذف ما سيذكر في غيره، ولكل جزء مناسبة، ففي هذا الجزء إزالة استغراب أن يوحى إلى النبي ﷺ.

بَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِيمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
 مِمَّنْ عَبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
 إِنَّا هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
 حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ تَمَلَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

١٢ - وأدخل يدك في فتحة نوبك تخرج بيضاء من غير برص، في جملة تسع معجزات (١)، مرسلًا إلى فرعون وقومه، انهم كانوا قوما خارجين عن أمر الله كافرين.

١٣ - فلما جاءت هذه المعجزات واضحة ظاهرة قالوا: هذا سحر واضح بين.

١٤ - وكذبوا بها منكرين لدالاتها على صدق الرسالة، وقد وقع اليقين في قلوبهم، ولكنهم لم يذعنوا لاستعلانهم بالباطل وطفيتهم، فانظر أيها النبي كيف كانت عاقبة الذين دأبوا على الفساد، فكفروا بالمعجزات وهي واضحة؟

١٥ - هذا طغيان فرعون بسبب ملكه، فانظر إلى السلطان العادل، سلطان الحكم وسلطان النبوة في داود وابنه سليمان عليها السلام، لقد آتيناها علما كثيرا بالشريعة ودراية الأحكام، فأقاما العدل وحمد الله الذي منحها فضلا على كثير من عباده الصادقين المذعنين للحق.

١٦ - وقد آل الملك والحكم من داود إلى سليمان ابنه، وقال: أيها الناس علمنا لغة الطير، وأوتينا كثيرا مما محتاج إليه في سلطانتنا: أن هذه النعم هي الفضل الواضح الذي خصنا الله به (٢).

١٧ - وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في صعيد واحد، فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يكونوا جيشا منظما خاضعا.

١٨ - حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت تملة: أيها النمل ادخلوا مخابنكم، لكيلا تفتكم جنود سليمان وهم لا يحسبون بوجودكم (٣).

(١) تلك التسع هي: فلق البحر والظوفان - والجراد - والقمل - والضفادع - والدم - والمجدب - والعصا - وإخراج اليد بيضاء من غير سوء.

(٢) «ورث سليمان داود وقال أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، إن هذا هو الفضل المبين»: سليمان عليه السلام هو ابن داود، وهو نبي وملك مثله، عاش من حوال سنة ٩٧٤ إلى ٩٣٧ ق. م. أخصه الله تعالى بمعرفة لغة الطير. وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفرادها منها اللبس، ومنها الصوت، ومنها الإشارة.

(٣) «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت تملة أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون»: يتضح من هذه الآية الشريفة أن النمل يعيش في جماعات: أي أن له مجتمعا وأن من خصائصه اليقظة والحذر. وقد عرف مجتمع النمل منذ القدم خصائص عدة تشهد بأن له مجتمعا منظما له نظام دقيق في الحكم وأنه على قدر كبير من الذكاء والدهاء وقوة الذاكرة وحس العمل والمتابعة، والجهد الذي لا يعرف الكلل ولا اليأس، كما عرف عنها سعة الحيلة فيما تقوم به من أعمال. وأية ذلك أن مجتمع النمل هو الوحيد بين المخلوقات الحية بعد الإنسان الذي يقوم بدفن موته، وتحرص جماعاته المختلفة على الالتقاء في =

صَلِحًا تَرْضُهُ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِضِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عَذِيبَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ - أَوْلِيَا تَبْنِي بِسُلْطَنِ مَبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ - وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَلٍ بَنِيًا يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا

١٩ - فتبسم سليمان ضاحكا من قول هذه الخلة الحريصة على مصالحها، وأحس بنعمة الله تعالى عليه وقال: يا خالتي الهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، ووفقني لأن أعمل الأعمال الصالحة التي ترضاه، وأدخلني برحمتك السابغة في عبادك الذين ترضى أعمالهم.

٢٠ - وتعرف جنوده من الطير فلم يجد الهدهد، فتعجب وقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أهو بيننا ولم يقع عليه نظري، أم هو غائب عنا ليس بيننا؟؟!

٢١ - والله لأنزلن به عذابا شديدا يردعه، أو لأذبحنه ان كان الذنب عظيما، الا أن يأتيني بحجة بينة تبرر غيابه عني.

٢٢ - وكان الهدهد قد مكث في مكان غير بعيد زمانا غير مديد، ثم جاء إلى سليمان يقول له: قد أحطت علما بما لم يكن عندك علم به، وجئتك من سبأ بغير ذي شأن عظيم وهو مستيقن به (١).

٢٣ - اني وجدت في أهل سبأ امرأة تحكمهم، وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير كبير يدل على عظمة ملكها وقوة سلطانها.

٢٤ - وجدتها هي وقومها يعبدون الشمس ولا يعبدون الله، وحسن لهم الشيطان أعمالهم فظنوها حسنة وهي السوء، فصرفهم بذلك عن سبيل الحق، فهم لا يهتدون.

صعيد واحد من حين إلى آخر، ولهذا خصص أياما معينة لإقامة سوق تجتمع فيه جماعته لتبادل السلع وللتصريف، وهذه الجماعات حين تلتق تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ ويسال بعضها البعض أسئلة تتصل بشئونها... ومن مظاهر مجتمعها الزرابط قيامها بمشروعات جماعية مثل إقامة الطرق الطويلة، في إبانة ومثابرة تنيران الدهشة، ولا تكفي هذه الجماعات بالعمل نهارا بل تواصله ليلا في الليالي القمرية ولكنها تلتزم مستعمراتها في الليالي المظلمة، ولأعضاء هذا المجتمع في جمع المواد الغذائية وحملها وتخزينها والمحافظة عليها طرق فريدة في نوعها، فإذا لم تستطع الخلة حمل ما جمعت في قفاها كعادتها لكبر حجمه حركته بأرجلها الخلفية ورفعتة بذراعها، ومن عاداتها أن تقضم الجذور وتغلق بعض الحبوب قبل تخزينها حتى لا تصود إلى الإنبات مرة أخرى، وتجزيء البذور الكبيرة لكي يسهل عليها إدخالها في مستودعاتها، وإذا ما أبليت بفعل المطر أخرجتها إلى الهواء والشمس لتجف.

(١) « فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنيا يقين. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »: هذه هي الآيات الخاصة بملكة سبأ، وسبأ هي إحدى ممالك بلاد العرب الجنوبية المسماة باليمن المعروفة في العالم القديم « بالعربية السعيدة » وتشير هذه التسمية الأخيرة إلى تقدم اليمن وثرائها، فلقد كان لها حضارة راقية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، قامت على الزراعة. وذلك لحصص أراضيها، وملاءمة مناخها، وكذلك على التجارة لتوسطها بين الهند والحيشة والصومال والشام وال عراق، والحق إن السدود المنشأة لحزن المياه وتصريفها وأشهرها سد مارب « انظر سبل العرم، الآية ١٦ من سورة سبأ » والمدن المحصنة والقصور والهياكل القائمة حين ذاك في أمثالها تشهد إلى اليوم بما كانت تتمتع به هذه البلاد من تقدم اجتماعي وثراء.

وأن النقوش التي خلفها حكمهم ومن بين تلك النقوش مجموعة من القوانين التي نظمت شئون الملكية العقارية وغيرها عندهم لتدل كل الدلالة على مبلغ ما وصلوا إليه من حضارة زاهرة. وملكة سبأ التي كانت في أوج ازدهارها على أيام سليمان - عليه السلام - « حوالي القرن العاشر قبل الميلاد » كان الحكم فيها - شأنها شأن مملكة معين قبلها - ملكا وراثيا يرثه الأبناء عن الآباء. ومن هنا كانت تحكمها على أيام سليمان - عليه السلام - ملكة اختلف المؤرخون في اسمها، ويطلق عليها العرب بلفيس... يعاوتها شيوخ المملكة الأشراف كمجلس شورى لها « انظر الآيات من ٢٨ - ٣٣ » من سورة الفل، ولم يثبت التاريخ أن ملكة سبأ كانت دولة فتح بل ملكة تجارة وقوافل. ولا تجيد للحرب أو للفتح ذكرا في آثارها إلا قليلا، ولهذا فإن مهمة جيوشها كانت لحفظ القلاع وحمايتها وحراسة القوافل في الغالب... وكان السبئيون وتبني يعبدون الشمس على نحو ما ورد في الآية الشريفة رقم ٢٤ من هذه السورة... والقمر وهما أهم آلهتهم، وكانوا يقدمون لها القرابين ويحرقون البخور في هياكلها.

تَعْلُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾
 أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي
 إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِرِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مِنْ حَيْثُ
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولَا بَأْسٍ
 شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلْبَيْتِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا
 آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
 أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تُكْسَبُونَ ﴿٣٥﴾ أَرَجِعْ إِلَيْهِمْ فْلَمَّا تَمَّتْ لَهُمْ بِحُجُودِ

٢٥ - الا يسجدوا لله تعالى، وهو الذى يخرج الغيوب فى السموات والأرض، ويعلم ما تسرون وما تظهرون؟! وما تسرون؟

٢٦ - الله لا معبود بحق سواه، صاحب السلطان المطلق العظيم على كل ما فى الوجود.

٢٧ - قال سليمان مخاطبا المهدهد: سنتحرى خبرك هذا، أصدقت فيه أم كنت من الكاذبين؟

٢٨ - اذهب بكتابتى هذا فأوصله إليها وإلى قومها، ثم تنح عنهم متواريا فى مكان قريب، لتنظر فيما يرجع به بعضهم إلى بعض ويرددونه من قول.

٢٩ - وصل الكتاب إليها فجمعت أشراف قومها، وذوى شوراها، وقالت: يا أيها الملأ انى قد وصل إلى كتاب عظيم الشأن.

٣٠ - ثم تلت الكتاب عليهم، أنه مفتتح باسم الله ذى الجلال والانعام، الذى يفيض برحمته دائما على خلقه.

٣١ - لا تتكبروا على، وأتوني منقادين خاضعين.

٣٢ - قالت لمجلس شوراها: بينوا لى الصواب فى هذا الأمر الخطير الذى عرض لى، فإنى لا أبت فى أمر حتى يكون بحضوركم.

٣٣ - قالوا مطمئنين لها: نحن أصحاب قوة بدنية وأهل نجدة وشجاعة، لا نخاف الحرب، فانظري فى الأمر الذى تأمريننا به، فانا مطيعون.

٣٤ - قالت مقربة مسالة: ان الملوك إذا دخلوا مدينة عظيمة بجيوشهم أفسدوها، فاذهبوا عمرانها، وأبادوا الحرث والنسل، وأفعالهم كذلك دائما.

٣٥ - وانى ايثارا للسلم والعافية مرسله إلى سليمان وقومه هدية، ومنتظرة ما يرجع به الرسل، بقبول الهدية أم بردها.

٣٦ - وصل الرسل إلى سيدنا سليمان بالهدية، فقال لهم شاعرا بأنعم الله تعالى عليه، مخاطبا لها ولقومها فى مواجهة رسلها: أتعطوننى مالا؟! فأعطانى الله من النبوة والملك والنعمة أعظم مما آتاكم. بل أنتم بهديتكم وكثرة أموالكم تفرحون لا مثل، لأنكم لا تعلمون الا ما يتعلق بالدنيا.

لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَا تُبْنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ

٣٧ - وقال يخاطب المتكلم باسمهم : ارجع أيها الرسول اليهم ، فوالله لنأتيهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها ، ولنخرجهم من سبأ فاقدى العز ، وهم مستعبدون .

٣٨ - اتجه سليمان إلى الاستعانة بمن سخرهم الله له من الانس والجن ، ليفاجئها بأمر غريب ، فقال : أيكم يأتيني بعرشها العظيم قبل أن يأتوني خاضعين منقادين ؟

٣٩ - قال مارد من الجن : أنا آتيك به . وأنت في مجلسك هذا قبل أن تقوم منه ، واني لقادر ، أمين في قولي وفعلي .

٤٠ - قال الذي آتاه الله قوة روحية وعلما من الكتاب : أنا آتيك بهذا العرش قبل أن تحرك أجنانك ، وقد نفذ ما قال . فلما رأى سليمان العرش ثابتا عنده غير مضطرب قال : هذا من فضل الله الذي خلقني وأمدني بحجيره ليختبرني أشكر هذه النعمة أم لا أؤدى حقها ، ومن شكر الله فانما يحط عن نفسه عبء الواجب ، ومن يترك الشكر على النعمة فإن ربي غني عن الشكر ، كريم بالانعام .

٤١ - قال سليمان لحاشيته : أخفوا عنها العرش ببعض التغيير في مظهره ، لئلا ، أتعرفه مهتديا إليه أم لا تعرفه فلا تهتدي إليه ؟

٤٢ - فلما أقبلت ، وجهت نظرها إلى عرشها ، فقيل لها : أهذا مثل عرشك ؟ فقالت لكالم التشابه : كأنه هو . وقال سليمان ومن معه : أوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحته ما جاء من عنده مثل علمها وكنا قوما منقادين لله مخلصين العبادة له .

٤٣ - وصرفها عن عبادة الله ما كانت تعبده من آلهة غير الله تعالى من شمس ونحوها ، انها كانت من قوم كافرين .

قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ

٤٤ - قيل لها من بعد ذلك : ادخلى قصر سليمان ، وكان صحنه من زجاج تحته ماء يسبح فيه السمك ، فكشفت عن ساقها ، تحسب ما ترم فيه ماء فنبهها سليمان إلى أن الصحن أملس مكون من زجاج ، فراعها ذلك المنظر المادى ، وعلمت أن ملكها لا يساوى شيئاً بجوار ملك سليمان النبى ، فقالت : رب انى ظلمت نفسى باغترارى بملكى وكفرى . وأذعنت فى صحبة سليمان مؤمنة بالله تعالى خالق العالمين ومربيهم والقائم عليهم .

٤٥ - ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، بأن وحدوا الله ، فسارعوا إلى الاختصاص والاختلاف ، وصاروا فريقين ، أحدهما مؤمن والآخر كافر .

٤٦ - قال صالح ناصحاً لهم : يا قوم لم تستعجلون بالعذاب الذى توعدون قبل التوبة ، هلا تطلبون المغفرة من ربكم وتؤمنون به رجاء أن ترحموا ؟!

٤٧ - وقالوا : تشاء منا بك أنت ومن معك وأصابنا القحط ، قال : أسباب الخير والشر الذى نزل بكم إنما كان من عند الله . بل أنتم قوم تختبرون بالسراء والضراء ، لعلكم تؤمنون .

٤٨ - وكان زعماء الشرفيهم تسعة ، يفسدون بأرائهم ودعايتهم فى الأرض ، وليس من شأنهم عمل الصالح .

٤٩ - قال أولئك المشركون بعضهم لبعض : تبادلوا القسم بالله لنغيرن عليه هو وأهله ونقلهم ، ثم نقول لولى دمه : ما شهدنا هلاكه ولا هلاك أهله ، وانا لصادقون فيما ذكرنا .

٥٠ - دبروا الفتك بصالح وأهله ، والله من ورائهم قد دبر النجاة لنبىه وأهله والهلاك لهم وهم لا يشعرون بتدبير الله .

٥١ - فانظر أيها النبى إلى عاقبة تدبيرهم وتدبيرنا لنبينا ، أنا أهلكتناهم وقومهم أجمعين .

لَا يَأْتِيَهُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأُنْحَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَ الْفَاحِشَةَ ءَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْسُرُ لَنَا تَأْوِنَ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ءِإِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأُنْحَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَا ءَمْرَأَتَهُ ۗ قَدَرْنَاهَا مِّنَ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءً مَطْرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ءَاللَّهُ خَيْرٌ ءَأَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ءَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا

٥٢ - فانظر إلى آثارهم تجد بيوتهم ساقطة متهدمة ، بسبب ظلمهم وكفرهم وارادتهم الشر لنبيهم ، ان فيما فعل بشمود لآية لقوم يعلمون قدرتنا فيتعظون .

٥٣ - وأنحينا الفريق المؤمن بصالح من هذا الهلاك وكانوا يتقون ترك أوامره .

٥٤ - واذكر أيها النبي لوطا وخبره مع قومه الفاسقين الشاذين ، إذ قال لهم : أتأتون هذا الذنب البالغ أقصى درجات الفحش والشذوذ ، وأنتم تبصرون وتنتظرون الشر الذي استمرأتموه ؟

٥٥ - أيسوغ في نظر العقل والفضيلة أن تأتوا الرجال بشهواتكم وتركوا النساء ؟ ! بل أنتم قوم قد أصابكم الحمق والجهل المطبق حتى صرتم لا تميزون بين الخبيث والطيب .

٥٦ - فما كان رد قومه عليه حين نهاهم إلا قولهم : أخرجوا لوطا وأتباعه من هذه القرية ، لأنهم يتزهون عن مشاركتنا فيما نفعل .

٥٧ - فخلصناه هو وأهله من العذاب الذي سيقع بالقوم إلا امرأته ، قدر الله أن تكون من الباقيات حتى تهلك بالعذاب مع الكافرين .

٥٨ - وأمطرنا على هؤلاء المفسدين مطر عذاب ونقمة ، فكان مطرا سيئا مهلكا لمن أنذروا بالعذاب الأليم ولم يدعوا .

٥٩ - قل - أيها الرسول - : إني أحمد الله وأنتى عليه وحده ، واسأل الله سلاما وتحية لعباده الذين اختارهم لأداء رسالته ، وقل - أيها الرسول - للمشركين : هل توحيد الله خير لمن آمن أم عبادة الأصنام التي أشركتم بها وهي لا تملك ضرا ولا نفعا ؟ !

بِهِ حَدَاقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
 الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوِيسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكَ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
 مَا تَدَّكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ
 تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ بَيَدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

٦٠ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن خلق السموات والأرض وما فيها ، وأنزل لأجلكم من السماء غيثا نافعا ، فأنتبت به بساتين ذات حسن وبهاء . ما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها المختلف الأنواع والألوان والثمار !! هذا التناقض في الخلق يثبت أن ليس مع الله إله ، ولكن الكفار قوم يعدلون عن الحق والايان ويميلون للباطل والشرك .

٦١ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن مهد الأرض للاقامة فيها والاستقرار عليها ، وخلق وسطها أنهارا ، وخلق عليها جبالا تمنعها من الميل ، وجعل بين الماء العذب والماء المالح فاصلا يمنع امتزاج أحدهما بالآخر !! ليس هناك إله مع الله فهو الخالق وحده ، لكن أكثر الناس لا ينتفعون بالعلم الحق على وجهه وكأنهم لا يعلمون .

٦٢ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن يجيب المضطر - في دعائه - إذا أحوجته الشدة فلجأ إلى الله في ضراعة وخشوع ، ويدفع عن الانسان ما يعتره من مكروه ، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض !! ليس هناك إله مع الله المانع لهذه النعم ، ولكنكم أيها الكافرون قلما تتعظون .

٦٣ - بل اسألهم أيها الرسول - عن يرشدهم إلى السير في ظلام الليل برا وبحرا ، وعن يبعث الرياح مبشرة بظفر هو رحمة من الله !! أهناك اله مع الله تعالى يصنع ذلك ؟ ! تنزه الله سبحانه عن أن يكون له شريك .

٦٤ - بل اسألهم أيها الرسول عن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يوجد بعد فئاته كما كان ، ومن الذي ينزل لكم الرزق من السماء ويخرجه من الأرض ، ليس هناك اله مع الله يفعل ذلك . قل أيها الرسول موبخا لهم ومنكرا عليهم : ان كان لكم اله سوى الله فأقيموا لنا حجة على ذلك ان كنتم تزعمون أنكم صادقون ، ولن يتأق لكم ذلك .

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ مِّمَّنْ فِي شَكِّ مَنِّهَا بَلٌ مِّمَّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءِآبَاءُنَا إِنَّا لِلْمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءِآبَاءُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
 فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفٌ
 لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآيَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ

٦٥ - قل أيها الرسول: ان من تفرد بفعل هذا كله قد تفرد سبحانه بعلم ما في السموات والأرض من أمور الغيب، وهو الله وحده، وما يعلم الناس أى وقت يبعثون فيه من قبورهم للحساب والجزاء.

٦٦ - تلاحق عليهم في الآخرة من جهل بها إلى شك فيها، وهم في عمية عن ادراك الحق في أى شيء من أمرها لأن الغواية أفسدت ادراكهم.

٦٧ - وقال الكافرون منكرين للبعث: أنذا صرنا ترابا وبليت أجسامنا وأجسام آباءنا السابقين هل نعاد ونخرج إلى الحياة من جديد؟!

٦٨ - لقد وعدنا محمد بهذا البعث كما وعد الرسل السابقون آباءنا، ولو كان حقا لحصل، وليس هذا إلا من أكاذيب السابقين.

٦٩ - قل لهم أيها الرسول: تجولوا في الدنيا وانظروا آثار ما حل بالمكذبين من عذاب الله لعلكم تعتبرون بهذا، وتحشون ما وراءه من عذاب الآخرة.

٧٠ - لا تحزن - أيها الرسول - على الكافرين الذين لم يتبعوك، فانما عليك البلاغ، ولا يكن في صدرك حرج من مكربهم وكيدهم، فإن الله ناصرك عليهم.

٧١ - ويبالغ الكافرون في التكذيب، فيستعجلون العذاب قائلين: متى يحين موعد العذاب الذى هددقونا به، ان كنتم صادقين في أن العذاب نازل بالمكذبين؟!

٧٢ - قل - أيها الرسول - : لعله أن يكون قد لحق بكم وقرب منكم بعض ما تستعجلونه من العذاب.

٧٣ - وان الله ربك - أيها الرسول - لصاحب انعام واحسان على الناس كافة، ومن رحمته تأخير العقوبة على المكذبين، ولكن أكثر الناس لا يدركون فضل الله ولا يشكرونه.

٧٤ - وان الله ربك - أيها الرسول - لعليم بكل ما يسرون وما يعلنون من الأقوال والأفعال المنكرة، وبمجازمهم عليها.

مبين ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأُدْعَاءَ إِذَا أُولُوا مَدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَىٰ الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُم دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

٧٥ - وما من خافية غائبة مها صغرت وضوت في السموات أو في الأرض إلا علمها الله وأحصاها في كتاب حق عنده .

٧٦ - ان هذا الكتاب الذي أنزل على محمد بين لبني اسرائيل حقيقة ما جاء في التوراة من عقائد وأحكام وقصص ، ويردهم إلى الصواب فيما اختلفوا فيه .

٧٧ - وان هذا الكتاب هداية من الضلال ورحمة من العذاب لجميع من آمن به .

٧٨ - ان ربك - أيها الرسول - يفصل بين الناس جميعا يوم القيامة بعدله . وهو الغالب فلا يرد قضاؤه ، العليم فلا يلتبس لديه حق بباطل .

٧٩ - ففوض أمرك - أيها الرسول - إلى الله ، وثابر بدعوتك واثقا بنصره ، لأنك على الحق الواضح . ولا يضرك اعراض الكافرين عنك .

٨٠ - انك - أيها الرسول - لا تستطيع هدايتهم ، فانهم كالموتى في عدم الوعي ، وكالصم في فقدان أداة السمع ، فليسوا مستعدين لسماح دعوتك لتهديهم في الاعراض عنك .

٨١ - ولست بمستطيع أن تهدي إلى الحق من عميت أبصارهم وبصائرهم ، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يقبل على الايمان بآياتنا ، فهم مطيعون مستجيبون .

٨٢ - وإذا قرب أن يتحقق وعد الله بقيام الساعة ، وأن يقع العذاب على الكافرين ، أخرج الله للناس دابة من الأرض تقول لهم من جملة ما تقول : أن الكفار كانوا بمعجزاتنا كلها وباليوم الآخر لا يؤمنون ، وقد تحقق الآن ما كانوا به يكذبون . . وهاهو ذا هول الساعة وما وراءها (١) .

(١) هذا تفسير الآية بظاهر ألفاظها . وهناك تفسيران آخران تحتلها الآية : « أولها أن المراد من الدابة كل ما يدب من الأناسي آر غيرها ، وتحمل هنا على الأناسي ، وبجيتها قبل القيامة . والمعنى أنه إذا وقع القول عليهم وحق العذاب جامتهم جموع عظمى من المؤمنين تدب إليهم . وتلأ السهل والرهى وتزلزل أركان الكفر . وتهدم بنيانه . « ثانيها » أن تكون كلمة الدابة يراد بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب ، كما قال الأصمغاني في مقرراته ، والمعنى أنه عندما يقرب يوم القيامة يكثر الشر والفساد ، وتكون القيامة التي كذب بها الكافرون ، ويكون هذا هو القول ، وهو بلسان الحال لا بالمقال ، كالرأى الذي سبق .

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ مُحِطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
 الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَانِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ
 اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
 ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

٨٣ - واذكر - أيها الرسول - يوم نجح من كل أمة طائفة من المكذبين بآياتنا ، وهم الزعماء المتبعون . فهم يساقون في مقدمة أمهم إلى الحساب والجزاء .

٨٤ - وحينما يقفون بين يدي الله للحساب يقول - سبحانه - لهم تبكيتا وتعنيفا : قد كذبتكم بكل آياتي وأنكرتموها دون تدبر ولا فهم ، بل ماذا كنتم تعملون وأنتم لم تخلقوا عبثا ؟

٨٥ - وحل بهم العذاب بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر ، فهم عاجزون عن الدفاع والاعتذار .

٨٦ - لقد شاهدوا أن الله جعل الليل ليسترهم فيه ، وجعل النهار مضيقا ، ليتصرفوا فيه ويسعوا على معاشهم ، ان في ذلك لدلالات واضحة على الوهية الله ووحديته لقوم يتدبرونها فيؤمنون .

٨٧ - واذكر - أيها الرسول - يوم ينفخ اسرافيل في البوق بإذن الله ، فيرتعب من في السموات ومن في الأرض من هول النفخة ، إلا من طمأنه الله وأعفاه من الفزع ، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين .

٨٨ - وترى - أيها الرسول - الجبال تظنها ثابتة لا تتحرك ، ولكنها في واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب ، وهذا من صنع الله الذي خلق كل شيء وأبدعه . انه سبحانه كامل العلم بما يفعل الناس من طاعة ومعصية ، ومجازمهم عليه^(١) .

٨٩ - كل من أتى بالحسنة في الدنيا وهي الايمان والاخلاص في الطاعة فله في الآخرة الثواب الأعظم من أجل ما تقدم . وأصحاب هذه الحسنات آمنون من الخوف والفزع يوم القيامة .

٩٠ - وكل من أتى في الدنيا بالسئة - وهي الشرك والمعصية - ومات على ذلك فجزاء هذا الفريق أن يكهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة ويقال لهم حينئذ - توبيخا - . انكم لا تجزون اليوم الا بسبب شرككم ومعصيتكم .

(١) « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، إنه خير بما تفعلون » : تفسر هذه الآية الكريمة أن جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوي ... إلخ تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر في نهار الحارجي والأجرام السماوية ، لكن هذه الدورة لا تدرك فهي مثل حركة السحب في الجو يراها الناظرون بعينهم ولكن لا يسمعون صوتها أو =

إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
 وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ أَيَّتَهُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٩١ - قل - أيها الرسول - للناس : ما أمرت أن أعبد أحدا الا الله رب مكة الذي كرمها ، فجعلها حرما
 آمنا ، لا يسفك فيها دم ، ولا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها .. وله سبحانه كل ما في الكون خلقا وملكا وأمرت أن
 أكون من الخاضعين لله .

٩٢ - وأمرت أن أواظب على تلاوة القرآن عبادة وتدبرا ودعوة إلى ما فيه ، فن اهتدى وأمن به واتبعك
 فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه لا لك ، ومن ضل عن الحق ولم يتبعك فقل : إنما أنا رسول ، أنذر وأبلغ .

٩٣ - وقل - أيها الرسول - : الحمد لله على نعمة النبوة والهداية : سيكشف الله لكم في الدنيا عن آثار
 قدرته ، وفي الآخرة عن صدق ما أخبركم به فتعرفوها معرفة حق ، وليس الله بعاجز عن حسابكم ولا بغافل عن
 أعمالكم

= يلمسونها وتبين هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل : خلق الكون والقوانين التي تنظمه وهو قادر على أن يجعل الأرض ساكنة لا تدور حول
 محورها أو يجعل فترة دورانها حول محورها تساوي فترة دورانها حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس لمدة ستة
 أشهر والنصف الآخر في نهار ساطع الضوء مما يؤدي إلى اختلال التوازن الحراري على الأرض كلها ، وفي هذا فناء الأحياء التي عليها ،
 والله - سبحانه وتعالى - هو الذي وضع هذا النظام المحكم رحمة ورافة بعباده .

وبالرغم من أن « اريستاخورس » الفلكي السكندري ٣١٠ - ٢٣٠ ق . م « كتب في موضوع دوران الأرض حول نفسها ، فإن هذه
 الكتابات العلمية القديمة لم تصل إلى العرب وقت محمد ﷺ أو قبله . بل أن أول من أشار إلى هذه المعلومات منهم هو البيروني عام ألف
 للميلاد ، بعد حركة الترجمة في الدولة العباسية ، فإن إيراد هذه الحقائق العلمية على لسان النبي - التي لم تكن قد وصلت إلى علمه - دليل
 على أنها موحى بها من عند الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ② نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③
 إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
 مِنَ الْمُفْسِدِينَ ④ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ⑤

سورة القصص الثامنة والعشرون في ترتيب السور بالمصحف ، وهي من السور المكية ، وعدد الآيات فيها ثمان ومائتان .

وقد اشتملت على تفصيل لما ذكر قبلها اجمالاً ، من شأن موسى عليه السلام ، منذ ولد في عهد فرعون ، وكان فرعون يقتل الأبناء من بني اسرائيل خوف ظهور نبي يقضى على سلطانه .

ثم ما كان من تربية موسى في بيت فرعون ، إلى أن خرج من مصر فاراً بنفسه إلى مدين بالشام ، وعاد بزوجه بنت شعيب عليه السلام .

ثم ما كان من مناجاة الله لموسى أثناء عودته ، واختياره للرسالة ، وما حدث من شأن فرعون وسحرته مع موسى ، إلى أن أغرق الله فرعون وجنده ، ونجى موسى ومن معه من بني اسرائيل ، ثم ما كان من بني اسرائيل مع موسى وأخيه هارون ، وما يتصل بهذا من أنباء المكذبين كقارون ومن سبقه من الكافرين . ولهذا البيان الشامل سميت السورة بسورة القصص .

١ - طسم حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف التي يتألف منها حديثكم ، ولتنبيه السامعين .

٢ - هذه الآيات التي نوحها إليك - أيها الرسول - آيات القرآن المبين الواضح ، المظهر للحق من الباطل ، وللحلال من الحرام ، والوعد بالثواب ، والوعيد بالعقاب .

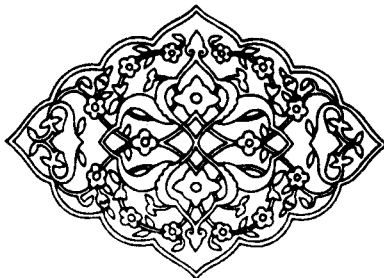
٣ - نقص عليك بعض أخبار موسى وفرعون بالصدق ، ليعتبر بما فيه المؤمنون .

٤ - ان فرعون تعاطف في نفسه ، وجاوز الحد في ظلمه ، واستكبر في أرض مصر ، وصير أهلها فرقا ، يسطق بعضها ويسخر بعضها ، ويستضعف منهم بني اسرائيل ، فيذبح الذكور من أولادهم ويستحي الاناث ، انه كان من السرفين في الطغيان والافساد .

٥ - وأراد الله أن يتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض ، وأن يجعلهم هداة إلى الخير ، ويورثهم ملك الأرض والسلطان .

وَمَكَرَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهَ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأَخْتَيْهِ قُصِّيهُ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ

- ٦ - ونبتهم في الأرض ويتخذون فيها مكانا، ونبت لفرعون ووزيره هامان وجندهما ما كانوا يخشونه، من ذهاب ملكهم على يد مولود من بني اسرائيل.
- ٧ - وأهم الله أم موسى - حينما خشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني اسرائيل - أن ترضعه مطمئنة عليه من قتل فرعون، فإذا خشيت أن يعرف أمره وضعته في صندوق وألقته في النيل غير خائفة ولا محزونة، فقد تكفل الله لها بحفظه ورده إليها، وأن يرسله إلى بني اسرائيل.
- ٨ - فأخذ آل فرعون، ليتحقق ما قدره الله بأن يكون موسى رسولا معاديا لهم ومثيرا لحزנם بنقد دينهم والظعن على ظلمهم، ان فرعون وهامان وأعوانها كانوا أئمن مسرفين في الطغيان والفساد.
- ٩ - وقالت امرأة فرعون حين رآته لزوجها: هذا الطفل مبعث السرور لي ولك. نستبقه ولا نقتله رجاء أن ننتفع به في تدبير شأننا أو نبتناه، وهم لا يشعرون بما قدر الله في شأنه.
- ١٠ - وصار فؤادها خاليا من العقل لمادهمها من الجزع لوقوع ولدها في يد فرعون، انها كادت تظهر أمره بأنه ولدها، لولا أن ثبت الله قلبها بالصبر لأعلنت أنه ولدها شفقة عليه، ولتكون في ضمن المؤمنين المطمنين.
- ١١ - وقالت أمه لأخته: تتبعي أثره لتعرفي خبره، فرأته عن بعد وهي تتجنب ظهور أمرها وفرعون وآله لا يدرون أنها أخته.



عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِاحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

١٢ - ومنع الله الطفل موسى أن يرضع ثديا لمرضع قبل أن يرشدوا إلى أمه ، فاغتم آل فرعون ، وأهمهم ذلك . فقالت لهم أخته : ألا أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاع والتربية ، وهم له حافظون ؟

١٣ - فقبلوا ارشادها ، وردده الله إلى أمه كي تطيب نفسها ، وتفرح بعودته إليها ، ولا تحزن بفراقه . ولتزداد علما بأن وعد الله برده لها حاصل لا يتخلف ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عودة موسى إلى أمه لحفائه عليهم .

١٤ - ولما بلغ موسى رشده واكتمل نضجه أعطاه الله الحكمة والعلم . ومثل ذلك الاحسان الذي أحسنا به إلى موسى وأمّه نكافيء المحسنين على احسانهم .

١٥ - ودخل موسى مصر في وقت غفل فيه أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : أحدهما من بني اسرائيل ، والآخر من قوم فرعون ، فاستعان به الاسرائيلي على خصمه فأعانه موسى ، وضرب الخصم بقبضة يده فقتله من غير قصد . ثم أسف موسى ، وقال : ان إقدامي على هذا من عمل الشيطان ، ان الشيطان لعدو ظاهر العداوة واضح الضلال .

١٦ - قال موسى متضرعا إلى الله في ندم : يارب إني أسأت إلى نفسي بما فعلت ، فاغفر لي فعلتي ، فأجاب الله دعوته وغفر له ، ان الله هو العظيم المغفرة الواسع الرحمة .

١٧ - قال موسى متضرعا : يارب بحق انعامك على بالحكمة والعلم وفقني للخير والصواب ، فإذا وفقني فلن أكون عونًا للكافرين .



بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ
 أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَاتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
 الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
 إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ
 مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۗ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ ۗ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

١٨ - فأصبح موسى في المدينة - مصر - فرعا ، يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصري ، فوجد الاسرائيلي الذي طلب منه النصرة بالأمس يستغيث به مرة ثانية على مصرى آخر ، فنهزه موسى قاتل له : انك لشديد الغواية ظاهر الضلال ، حيث عدت لمثل ما فعلت بالأمس ودعوتنى مرة ثانية لنصرتك .

١٩ - فلما هم موسى بالبطش بالمصرى الذى هو عدو لها ، بسبب هذه العداوة . قال - وقد ظن ان موسى سيقتله - : أتريد أن تقتلني كما قتلت شخصا آخر بالأمس ، ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض ، وما تريد أن تكون من دعاة الاصلاح والخير .

٢٠ - وجاء رجل مؤمن من آل فرعون من أقصى المدينة حينما انتشر نبأ قتل موسى للمصرى ، يخبر موسى أن القوم يتشاورون لقتلك ويقول له : اخرج من المدينة فرارا من القتل ، انى لك من الناصحين .

٢١ - فخرج موسى من المدينة خائفا يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى ، ضارعا إلى الله أن ينجيه من ظلم الكافرين .

٢٢ - ولما توجه ناحية مدين قرية شعيب - لما فيها من الأمن - تضرع إلى الله أن يهديه طريق الخير والنجاة .

٢٣ - ولما وصل ماء آل مدين الذى يسقون منه وجد على جانب البئر جماعة كثيرة من أناس مختلفين يسقون مواشيهم ، ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تدفعان غنمهما بعيدا عن الماء ، فقال لها موسى : لم تتعدان عن الماء . فأجابتا : لا نستطيع الزحام ، ولا نسقى حتى يسقى الرعاة ، وأبونا شيخ طاعن لا يستطيع الرعى ولا السقى .

فَسَقَى لُهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَعِجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمْلِكُنِي حِجْحَجًّا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سِتْجَدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلْعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَلْمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

٢٤ - فتطوع موسى وسقى لهما ، ثم ركن إلى ظل شجرة يستريح من الجهد . وهو يقول في ضراعة : يارب إنى فقير لما تسوقه إلى من خير ورزق .

٢٥ - فجاءت احدى الفتاتين - مرسله من قبل أبيها بعد أن علم بأمر موسى معها - تسير إلى موسى في حياء ، قالت : ان أبى يدعوك ليجزيك أجر سقيك لنا ، فلما ذهب إليه وقص عليه قصة خروجه من مصر قال والد الفتاتين : لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين ، إذ لا سلطان لفرعون علينا .

٢٦ - قالت احدى الفتاتين : يا أبت اتخذه أجيرا لرعى الغنم والقيام على شأنها ، انه خير من تستأجره لقوته وأمانته .

٢٧ - قال له شعيب عليه السلام : انى أريد أن أزوجه واحدة من ابنتي هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندنا ثمانى سنوات ، فإن أتملت عشرا فن عندك تطوعا ، وما أريد أن الزمك بأطول الأجلين ، وستجدنى أن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الموفين بالعهد .

٢٨ - قال موسى : ذلك الذى عاهدتنى عليه قائم بينى وبينك ، أى مدة من المدينين أقضيتها فى العمل أكون وفيتك عهدك فلا أطالب بزيادة عليها ، والله شاهد على ما نقول .

٢٩ - فلما أتم موسى المدة المشروطة ، وأصبح زوجا لبنت الذى آواه ، وعاد بها إلى مصر أبصر فى طريقه من ناحية جبل الطور نارا ، فقال لمن معه : امكثوا هنا ، انى رأيت نارا استأنست بها فى هذه الظلمة ، سأذهب إليها لأتيكم من عندها بخبر عن الطريق أو بجذوة منها لعلكم تستدفئون بها .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ يَلْمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَحْفَظُ
 إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّنَّا نَتَمَنَّاهُ وَمِنْ أَتْبَعْنَا
 الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

٣٠ - فلما جاء موسى إلى النار التي أبصرها سمع من ناحية الجانب الأيمن له من الشجرة النابتة في البقعة المباركة بجانب الجبل نداء علويا يقول له : يا موسى ، انى أنا الله الذى لا يستحق العبادة سواه ، خالق العالمين وحاميهم وحافظهم ومربيهم .

٣١ - ونودى : أن ألقى عصاك ، فألقاها فقلبها الله ثعبانا ، فلما أبصرها موسى تتحرك كأنها حية في سعيها خاف وفر فرعا ولم يرجع . فقيل له : يا موسى أقبل على النداء وعد إلى مكانك ولا تحف ، انك فى عداد الآمنين من كل مكروه .

٣٢ - وأدخل يدك فى طوق ثوبك تخرج شديدة البياض من غير عيب ولا مرض . واضمم يدك إلى جانبك فى ثبات من الخوف ، ولا تفرع من رؤية العصا حية ومن رؤية اليد بيضاء ، فهاتان المعجزتان من الله ، تواجه بها فرعون وقومه حينما يقابلون رسالتك بالتكذيب خارجون عن طاعة الله .

٣٣ - قال موسى - متخوفا وطالبا العون - : يارب ، انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلوني به قصاصا .

٣٤ - وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى عونى فى التبليغ ، لأنى أخاف أن يكذبون .

٣٥ - قال الله - استجابة لدعائه - : سنقويك بهارون ، ونجعل لك سلطانا وتأييدا بالمعجزات فلا يستطيعون الاعتداء عليكما ، وانكما ومن اتبعكما واهتدى بكما الغالبون المنتصرون على هؤلاء الكافرين .



الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا بَنِيَّ كَافُورًا فَاصْطَبِقْ
 صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ

٣٦ - فلما واجههم موسى بدعوته مؤيدة بالمعجزات الواضحة أنكروا ما شاهدوا ، وقالوا : ما هذا إلا سحر
 تفتريه على الله ، ولم نسمع بهذا الذي تدعيه فيمن سبقنا من آبائنا الأولين .

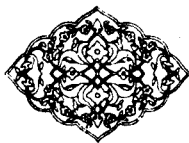
٣٧ - وقال موسى - ردا على فرعون وقومه - : ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات الدالة على الحق والهدى من
 عنده ، فهو شاهد لى على ذلك ان كذبتومنى ، ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق ، انه لا يفوز بالخير
 الكافرون .

٣٨ - وقال فرعون - عندما عجز عن محاجة موسى ، تماديا في طغيانه - : يا أيها الملأ ، ليس لى علم بوجود إله
 لكم غيرى ، وأمر وزيره هامان أن يصنع له الأجر ويشيد له صرحا شامخا عاليا ليصعد عليه ، وينظر إلى الإله
 الذى يدعو إليه موسى ، ويؤكد فرعون مع ذلك أن موسى من الكاذبين فى ظنه .

٣٩ - وظل فرعون وجنوده مستكبرين فى أرض مصر بالباطل ، وظنوا أنهم لن يبعثوا فى الآخرة للحساب
 والجزاء .

٤٠ - فانتزعنا فرعون من سلطانه ، واستدرجناه هو وجنوده إلى اليم ، وأغرقناهم فيه نابذين لهم سبب
 ظلمهم . فتدبر يا محمد ، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين فى دنياهم ؟ وانك لمنصور عليهم .

٤١ - قال تعالى : وجعلناهم دعاة يدعون إلى الكفر الذى يودى إلى النار ، ويوم القيامة لا يجدون من ينصرهم
 ويخرجهم من هذا العذاب .



وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا آتَانِي مِثْلَ

٤٢ - وجعلناهم في هذه الدنيا مطرودين من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المهلكين. وما حكى في الآيتين
بشأنهم دليل غضب الله.

٤٣ - ولقد أنزل الله التوراة على موسى بعد أن أهلك المكذبين من الأمم السابقة لتكون نورا للقلوب، لأنها
كانت مظلمة لا تعرف حقا وارشادا، لأنهم كانوا يتخبطون في الضلال، وطريقا لنيل الرحمة لمن عمل بها، ليتعظوا
بما فيها فيسارعوا إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

٤٤ - وما كنت يا محمد حاضرا مع موسى في المكان الغربي من الجبل، حين عهد الله إليه بأمر الرسالة، ولم
تكن معاصرا لموسى ولا شاهدا تبليغه للرسالة، فكيف يكذب قومك برسالتك وأنت تتلو عليهم أنباء السابقين؟!

٤٥ - ولكننا خلقنا أمما كثيرة في أجيال طال عليها الزمن فسوا ما أخذهم عليهم من العهود، ولم تكن - أيها
الرسول - مقيا في مدين حتى تخبر أهل مكة بأنبيائهم، ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها من طريق الوحي.

٤٦ - وما كنت - أيها الرسول - حاضرا في جانب الطور حين نادى الله موسى واصطفاه لرسالته، ولكن الله
أعلمك بهذا من طريق الوحي رحمة بك وبأمتك، لتبلغه قوما لم يأتهم رسول من قبلك لعلهم يتذكرون.

٤٧ - ولولا أن الكفار حين تصيبهم عقوبة بسبب كفرهم يعتذرون ويحتجون قائلين: ربنا لم ترسل إلينا رسولا
نؤمن به ونذعن لمجزاته ونكون من المؤمنين، ما كانت رسالات الرسل.

مَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰٓ أَوْلَادَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ لَّهِ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۖ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۚ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

٤٨ - فلما جاء رسول الله محمد بالقرآن من عند الله قال الكفار: لئنه أعطى مثل ما أعطى موسى من معجزات حسية وكتاب نزل جملة واحدة كالنوراة، وقد كفروا من قبل بموسى وآياته كما كفروا اليوم بمحمد وكتابه.. وقالوا: نحن بكل منها كافرين، فالجحود هو الذى أدى إلى الكفر بالمعجزات.

٤٩ - قل لهم: - أيها الرسول - إذا لم تؤمنوا بالقرآن فهااتوا كتابا من عند الله أحسن منها هداية أو مثلها أتبعه معكم، ان كنتم صادقين فى زعمكم أن ما جئنا به سحر.

٥٠ - فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم يبق لهم حجة، وأنهم بذلك يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه فى الدين بغير هدى من الله، ان الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقا.

٥١ - ولقد أنزل الله القرآن عليهم متواصلا، بعضه اثر بعض حسباً تقتضيه الحكمة، ومتتابعاً وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا، ليتدبروا ويؤمنوا بما فيه.

٥٢ - الذين أنزلنا لهم التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن، وآمنوا بها، وصدقوا بما فيها عن محمد وكتابه، هم بمحمد وكتابه يؤمنون.

٥٣ - وإذا يقرأ القرآن على هؤلاء قالوا - مسارعين إلى اعلان الايمان - : آمنا به لأنه الحق من ربنا ونحن عرفنا محمدا وكتابه قبل نزوله، فاسلامنا سابق على تلاوته.

٥٤ - أولئك الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل من قبله يعطون ثوابهم مضاعفا، بصبرهم على ما لحقهم من الأذى فى سبيل الايمان، ويؤثرون العمل الصالح، ويقابلون السيئة بالعمو والاحسان، وينفقون فى سبيل الخير مما منحهم الله من مال.

وَقَالُوا لَنَأَعْمَلُنَا وَلَكُنَّا أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَرْتُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ تُحْرَمُ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ

٥٥ - وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنه تفرغوا وترفعوا ، وقالوا : لنا أعمالنا الحق لا نحيد عنها ، ولكم أعمالكم الباطلة ووزرها عليكم ، ونحن نترككم وشأنكم لأننا لا نريد صحبة الجاهلين .

٥٦ - انك - أيها الرسول - شديد الحرص على هداية قومك ، ولكنك لا تستطيع أن تدخل في الاسلام كل من تحب ، ولكن الله يهدي للايمان من علم فيهم قبول الهداية واختيارها ، وهو الذي يعلم علما ليس فوقه علم من سيدخل في صفوف المهتدين .

٥٧ - وقال مشركو مكة للرسول - ﷺ - معذرين عن بقائهم على دينهم : ان اتبعناك على دينك أخرجنا العرب من بلدنا وغلبننا على سلطاننا . وهم كاذبون فيما يعتذرون به ، فقد ثبت الله أقدامهم ببلدهم ، وجعله حرما يأمنون فيه - وهم كفرة - من الاغارة والقتل ، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقا يسوقه الله اليهم من كل جهة ، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الايمان بمحمد ؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق ، ولو علموا لما خافوا التخطف .

٥٨ - لم يعتبر هؤلاء بمصاير الأمم السابقة ، فقد أهلك قرى الذين اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها وبالله ، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم إلا فترات عابرة للهارين بها ، ولم يبق لها مالك بعدهم إلا الله ذو الجلال والاكرام .

٥٩ - وما كان من حكمة الله تعالى - وهو ربك الذي خلقك واصطفاك - أن يهلك المدن العظيمة الا بعد أن يرسل إلى أهلها رسولا بالمعجزات الباهرة يتلو عليهم الكتاب المنزل ، ويبين لهم شرائعهم ثم لم يؤمنوا ، وما كنا مهلكي المدن العظيمة إلا وأهلها مستمرون على الظلم والاعتداء .

مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْوَنٌ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا
فَهُوَ لَنَقِيبِهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَةً مَّتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ

٦٠ - وكل شيء رزقتموه من أعراض الدنيا وزينتها فهو متاع محدود إلى أمد قريب ، فلا يصرفنكم عن الإيمان والعمل الصالح ، فإن ما عند الله في الآخرة من الثواب والنعيم الخالد أنفع وأدوم من ذلك كله ، فلماذا لا تعملون عقولكم بدل أهوائكم !؟

٦١ - لا يستوى من آمن وعمل صالحا فاستحق وعد الله ، الوعد الحسن بالثواب والجنة . فهو مدركه كما وعده الله ، ومن كفر وعمل سيئا وفتته متاع الحياة وزخرفها ، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب ، الهالكين في العذاب .

٦٢ - واذكر - أيها الرسول - يوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب ، فيناديهم سبحانه نداء توبيخ : أين الآلهة الذين زعمتموهم شركاء ، ليدافعوا عنكم أوليشفوا فيكم !؟

٦٣ - قال قادة الكفر من الذين حق عليهم غضب الله ووعيده : يا ربنا ، هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزينا لهم الضلال أغويناهم ، لأنهم اختاروا الكفر وتقبلوه كما اخترناه نحن وتقبلناه : تبرأنا إليك منهم اليوم وبما اختاروه في الدنيا من الكفر ، لم يعبدونا نحن ، بل عبدوا أهواءهم وأطاعوا شهواتهم .

٦٤ - وأمر المشركون من جانب الله أمر توبيخ ، بدعوة الآلهة التي أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا ، فخضعوا في ذلة ودعوهم في حيرة ، فلم يظفروا منهم ببجواب ، وشاهدوا العذاب المعد لهم حاضرا ، وتمنوا لو أنهم كانوا في دنياهم مؤمنين مهتدين لما حاق بهم ذلك العذاب .

٦٥ - واذكر - أيها الرسول - كذلك يوم ينادي المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : بأي شيء أجبت رسل الذين أرسلتهم لدعوتكم إلى الإيمان ببلغوكم الرسالة ؟

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

٦٦ - فصارت الأخبار غائبة عنهم لا يهتدون إليها ، كأنهم في عمى ، ولم يرجع بعضهم إلى بعض في ذلك لتساويهم في العجز عن الاجابة .

٦٧ - هذا شأن المشركين ، فأما من تاب من الشرك ، وآمن ايمانا صادقا وعمل الصالحات ، فهو يرجو أن يكون عند الله من الفائزين برضوان الله وبالنعيم الدائم المستمر .

٦٨ - وربك يخلق ما يشاء بقدرته ، ويختار بحكمته من يشاء للرسالة والطاعة على مقتضى علمه باستعدادهم لذلك ، ولم يكن في مقدور الخلق ولا من حقهم أن يختاروا على الله ما يشاءون من أديان باطلة وآلهة زائفة ، تنزه الله - تعالى شأنه - عن الشركاء .

٦٩ - وربك - أيها الرسول - محيط علمه بما تخفيه صدور المشركين من عداوتهم لك ، وما يعلنون بألسنتهم من المطاعن فيك والاعتراض على اختيارك للرسالة .

٧٠ - وربك - أيها الرسول - هو الله الحق المختص بالألوهية ، المستحق - وحده - للحمد من عباده في الدنيا على انعامه وهدايته ، وفي الآخرة على عدله ومثوبته . وهو وحده صاحب الحكم والفصل بين عباده ، وإليه المرجع والمصير .

٧١ - قل - أيها الرسول - : أخبروني أيها الناس ، ان جعل الله عليكم الليل متتابعاً دون نهار إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتاكم بنهار مضى تقومون فيه بمعاشكم وشئون دنياكم ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تسمعون سماع تدبر واعتبار ؟

٧٢ - قل - أيها الرسول - للناس : ان جعل الله عليكم النهار متتابعاً دون الليل إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتاكم بليل تستريحون فيه من عمل النهار ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تبصرون آيات الله فتؤمنوا وتهدتوا ؟

٧٣ - ومن رحمة الله بخلقه أن خلق لهم الليل والنهار وجعلها متعاقبين ، ليستريحوا في الليل ، وليسعوا على رزقهم ومنافعهم في النهار ، وليدركوا فضل الله عليهم فيشكروه^(١) .

(١) قل رأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون . قل رأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، لا شك في أن خلق الأرض على صورتها الحالية ومركزها بالنسبة إلى الشمس ودورانها حول نفسها كل يوم مرة وحول الشمس في كل سنة شمسية مرة ، لا شك في أن هذا مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته ووحدانيته . والآية الكريمة تنبه الناس إلى حقيقة يجب أن يعوها وهي أنه - تعالى - لو خلق الأرض بحيث يكون ليلاً دائماً ، أو بحيث يكون نهارها دائماً ، فليس هناك إله غيره يستطيع أن ينعم عليهم بالنهار والليل المتعاقبين .

وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون ﴿٧٤﴾ وتزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فاعلموا
 أن الحق لله وصل عنهم ما كانوا يفترون ﴿٧٥﴾ * إن قرون كان من قوم موسى فبغى عليهم وءاتيناه
 من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوا بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴿٧٦﴾
 وأبغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
 الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴿٧٧﴾ قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد
 أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴿٧٨﴾ فخرج على

٧٤ - واذكر كذلك - أيها الرسول - يوم ينادى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ، فيقال لهم: أين الشركاء الذين زعمتموهم آلهة ينصرونكم أو شفعاء يشفعون لكم؟!

٧٥ - وأخرجنا يوم القيامة من كل أمة شهيدا هو نبيها. يشهد عليها بما كان منها في الدنيا فنقول حينئذ للمخالفين منهم: ما هي حججكم فيما كنتم عليه من الشرك والمعصية؟ فيعجزون عن الجواب، ويعلمون حينئذ أن الحق لله بداية ونهاية، وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون على الله.

٧٦ - ذكرت السورة قصة قارون، وأنه كان من قوم موسى، فتكبر عليهم غرورا بنفسه وماله، وقد أعطاه الله كنوزا زاخرة بالأموال، بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث يتقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال، وحين أغتر بنعمة الله عليه وكفر بها نصحه قومه قائلين له: لا تغتر بمالك، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله، إن الله لا يرضى عن المغرورين المفتونين، والعبرة في هذه القصة أن الكافرين بمحمد - ﷺ - قد اغتروا بأموالهم، فين القرآن أن أموالهم بجانب مال قارون ليس شيئا مذكورا.

٧٧ - واجعل نصيبا مما أعطى لك الله من الغنى والخير في سبيل الله والعمل للدار الآخرة، ولا تمتع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال في الدنيا، وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته، ولا تفسد في الأرض متجاوزا حدود الله، إن الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم!

٧٨ - فلم يستجب قارون لنصح قومه، ونسى فضل الله عليه، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استناره، والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بغير حساب وإنما يسألون سؤال توبيخ.

== وذلك أن الأرض لو كانت تدور حول محورها وحول الشمس في فترة واحدة مقدارها ٣٦٥ يوما تقريبا، لحدثت تغيرات جوهرية منها استمرار الظلام في نصفها واستمرار الضياء في نصفها الآخر تقريبا، وبهذا ترتفع الحرارة في النصف المضاء ارتفاعا لا يطاق، ويتجمد النصف المظلم، ويصير النصفان غير صالحين للحياة، أما نظام الأرض الحالي فإنه يكفل تعاقب الليل والنهار فينشأ السكون في الليل والسمى في النهار، ويتبأ الجو الصالح لحياة الإنسان والحيوان والنبات، وهذا فضل من الله على عباده يستدعى الإقرار بقدرته ودوام شكره.

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ^ط قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
 وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
 تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
 لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
 السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

٧٩ - لم يعبأ قارون بنصح قومه، وخرج عليهم في زينته، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والحظ العظيم في الحياة.

٨٠ - أما الذين رزقهم الله العلم النافع فلم يفتنهم ذلك، وتوجهوا بالنصح للمفتونين قائلين لهم: لا تمنوا هذا ولا تنصرفوا عن الدين، فإن ما عند الله من ثواب ونعيم أزكى لمن آمن به وعمل صالحا، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة.

٨١ - فخسف الله به الأرض فابتلعتة هو وداره بما فيها من أموال وزينة، فلم يكن له أنصار يمنعونه من عذاب الله، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه!

٨٢ - وصار الذين تمنوا منذ وقت قريب منزلته من الدنيا يرددون عبارات التحسر والندم بعد أن فكروا فيما أصابه! ويقولون: ان الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده المؤمنين وغير المؤمنين، ويضيق على من يشاء منهم، ويقولون شاكرين: لولا أن الله أحسن لنا بالهداية إلى الايمان والعصمة من الزلل لامتنحنا باجابة ماتميناها، ولفعل بنا مثل ما فعل بقارون، ان الكافرين بنعمة الله لا يفلحون بالنجاة من عذابه!

٨٣ - تلك الدار التي سمعت خبرها - أيها الرسول - وبلغك وصفها - وهي الجنة - نخص بها المؤمنين الطائعين الذين لا يطلبون الغلبة والتسلط في الدنيا، ولا ينصرفون إلى الفساد بالمعاصي، والعاقبة الحميدة إنما هي للذين تمتلئ قلوبهم خشية من الله فيعملون ما يرضيه!

٨٤ - الذي يأتي بالحسنة - وهي الايمان والعمل الصالح - له ثواب مضاعف بسببها. والذي يأتي بالسئنة - وهي الكفر والمعصية - فلا يجزى الا بمثل ما عمل من سوء.

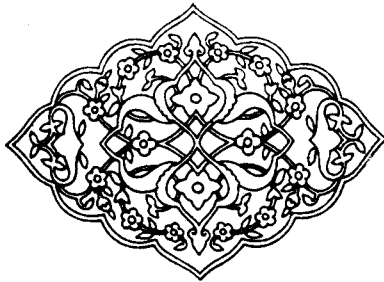
بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلَاقِيَكَ إِلَٰهَكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
 ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٨٥ - ان الله الذى أنزل القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسك به لرادك إلى موعده - لا محالة منه - وهو يوم
 القيامة ليفصل بينك وبين مكذبيك، قل - أيها الرسول - للكافرين: ربي هو الذى يعلم علما ليس فوقه علم بمن
 منحه الهداية والرشاد، ومن هو واقع فى الضلال الذى يدركه كل عاقل سليم الإدراك!

٨٦ - وما كنت - أيها الرسول - تأمل وتنتظر أن ينزل عليك القرآن، ولكن الله أنزله عليك من عنده رحمة
 بك وبأمتك، فاذكر هذه النعمة، وثابر على تبليغها، ولا تكن أنت ولا من اتبعك عوناً للكافرين على ما يريدون.

٨٧ - ولا يصرفك الكافرون عن تبليغ آيات الله والعمل بها، بعد أن نزل بها الوحي عليك من الله
 وأصبحت رسالتك، وثابر على الدعوة إلى دين الله، ولا تكن أنت ولا من اتبعك من أنصار المشركين باعانتهم
 على ما يريدون.

٨٨ - ولا تعبد من دون الله الها سواه، إذ ليس هناك إله يعبد بحق غيره، كل ما عدا الله هالك وفان،
 والمخالد إنما هو الله الذى له القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة، وإليه لا محالة مصير الخلق أجمعين!



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا نَهَا نَسْعًا وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَأَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

هذه السورة مكية ، وعدد آياتها ٦٩ ، والآيات من ١ إلى ١١ مدنية . وقد ابتدأت السورة ببيان أنه لا بد من أن يختبر إيمان المؤمنين بالشدائد ، والجهاد لصيانة دولة الحق والإيمان ، وقد أوصى الانسان بأبويه مع الأمر بالجهاد ، حتى يجمع بين الاحسان والجهاد ، وبين أصناف الناس بالنسبة للإيمان ، وأن منهم من يقول آمنا بلسانه ولم يذعن قلبه ، ثم أشار إلى نوح وجهاده في قومه ، وكذلك أشار إلى قصة ابراهيم في دعوته ، وبين وجه العبرة للنبي ﷺ ، ثم بين جواب قوم ابراهيم ، وأشار إلى لوط وقصة قومه ، وانزال رسل الله من الملائكة لاهلاكهم ، ونجاة أهله إلا امرأته ، ثم أشار سبحانه إلى قصة شعيب مع مدين ، وإلى هود وعاد ، وإلى صالح وثمود ، وإلى غرور قارون وفرعون وهامان وعاقبة أموره ، وبين سبحانه أن عبادة المشركين للأوثان تقوم على حجة هي أضعف من بيت العنكبوت قوة ، وأن هذه الأمثال لا يدركها الا الذين يعملون عقولهم ، وأمر الله نبيه بعد ذلك بالآي جادل أهل الكتاب الا بالحسنى وأشار سبحانه إلى أمية النبي ﷺ وأنها تدل على رسالته . وقد أشار سبحانه إلى تعنت المشركين في طلبهم معجزات حسية سيكفرون بها ، كما كفر بها قوم موسى وغيرهم ، وأشار إلى استعجالهم العذاب ، وقد بين لهم ما يستقبلهم منه ، وذكر سبحانه جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة . ووجه الأنظار بعد ذلك إلى الكون ونعم الله تعالى فيه ، ثم ذكر قيمة الحياة الدنيا بجوار الآخرة . وحال المشركين في ضعفهم ولجوتهم إلى الله حين يخافون ، وفي قوتهم واثراكلهم به حين يأمنون ، ثم بين نعمته عليهم في البيت الحرام وكفرهم بها ، ثم بين فضل المجاهدين .

١ - الم : حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز مؤلف من هذه الحروف التي يحسنون نطقها ، ولتنبيه السامعين ولفت أنظارهم إلى الحق .

٢ - أظن الناس أنهم يتركون وشأنهم لنطقهم بالشهادتين دون أن يختبروا بما يتبين به حقيقة إيمانهم من المحسن والتكاليف ؟ لا . بل لا بد من امتحانهم بذلك .

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ

٣ - ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن . ليظهر ما سبق في علمه القديم ، ويتميز الصادقون في إيمانهم من الكاذبين .

٤ - أظن الذين يشركون بالله ويعصونه أن يسبقونا في فرارهم من عذاب الله وعقابه ؟ ! بس حاكمهم هذا .

٥ - من كان يؤمن بالبعث ويرجو ثواب الله ويخاف عقابه فإيمانه حق . وليبادر إلى العمل الصالح ، فإن اليوم الموعود أت لا محالة ، والله سميع لأقوال العباد عليم بأفعالهم ، وسيجزى كلا بما يستحق .

٦ - ومن جاهد في سبيل اعلاء كلمة الله ، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعة ، فإن ثواب جهاده لنفسه ، وأن الله سبحانه لغني عن طاعة العالمين .

٧ - والذين اتصفوا بالايمان وعملوا الصالحات لنذهب عنهم سيئاتهم ، ونففر لهم ، ونجزهم أوفى جزاء على أعمالهم الصالحة .

٨ - وأمر الله الانسان أن يبالغ في الاحسان إلى والديه وطاعتها . وان حلاك على الشرك بالله - وهو ما لا يقره علم ولا عقل - فلا تطعها ، وإلى الله مرجع الخلق كافة فينبئهم بما عملوا في الدنيا ويجزهم به .

٩ - والذين صدقوا بالله ورسالاته وعملوا الصالحات ليدخلنهم الله في الصالحين ، ينالون جزاءهم ويأنسون

جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولَ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

١٠ - ومن الناس من يقول بلسانه : أمنا ، فإذا أصابه أذى في سبيل الله جزع وفتن عن دينه ، ولم يفكر في عذاب الله يوم القيامة ، فكأنه جعل إيذاء الناس كعذاب الله في الآخرة . . إذا نصر الله المؤمنين على عدوهم فغنموا منهم جاء هؤلاء المتظاهرون بالايان ، وقالوا للمسلمين : انا كنا معكم في الايمان ، فاعطونا نصيبا من الغنيمة لا ينبغي أن يظن هؤلاء أن أمرهم خاف على الله فالله أعلم بما في صدور الناس من نفاق وايان .

١١ - وليظهن الله للناس سابق علمه ، فيميز بين المؤمنين والمنافقين ، ويجازى كلا بما عمل .

١٢ - وكان زعماء الشرك يقولون للذين دخلوا في الاسلام مخلصين : كونوا كما كنتم على ديننا ، واتبعوا ما نحن عليه ، وإذا كان هناك بعث وحساب تخشونه فنحن نحمل عنكم أثامكم . لن تحمل نفس وزر نفس أخرى ، ان الكافرين لكاذبون في وعدهم .

١٣ - وسوف يحمل الكفار أوزار أنفسهم الثقيلة ، ويحملون معها مثل أوزار من أضلوههم وصرفوههم عن الحق ، وسيحاسبون حتما يوم القيامة على ما كانوا يختلقون في الدنيا من الأكاذيب ، ويعذبون بها .

١٤ - ولقد بعث الله نوحا إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد ، فكث يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وهم لا يستجيبون له ، فأغرقهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر .

١٥ - وحقق الله وعده لنوح ، فأنجاه والمؤمنين الذين ركبوا معه السفينة ، وجعل قصتهم عبرة لمن بعدهم .



ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمٌّ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۗ

١٦ - واذكر - أيها الرسول - قصة إبراهيم حين دعا قومه الى توحيد الله وطاعته ، ونبههم الى أن الايمان خير لهم من الكفر ان كانوا من ذوى العلم والعقل .

١٧ - وقال لهم : أنتم لا تعبدون من دون الله الا تماثيل وأصناما تصنعونها بأيديكم ، وتختلقون الكذب فتسمونها آلهة . وأن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع لكم رزقا ، فاتمسوا الرزق من الله وحده ، وخصوه بالعبادة والشكر له على أنعمه ، فإليه مصيركم أجمعين فيجازيكم على أعمالكم .

١٨ - وان تستمروا على تكذبي فلن تضروني ، فقد أبلغتكم أن الرسل قبل كذبتهم أهمهم وما ضرهم ، وانما ضرروا أنفسهم اذ أهلكهم الله بسبب تكذبيهم ، فليس على الرسول إلا أن يبلغ في وضوح رسالته الى قومه .

١٩ - قد رأوا وعلموا أن الله يبدئ الخلق ثم يعيده ، فكيف ينكرون البعث في اليوم الآخر للحساب والجزاء ؟! إن الاعادة على الله أسهل .

٢٠ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين : امشوا في الأرض ، وتأملوا فيها أنشأ الله فيها من مختلف الكائنات ، وانظروا إلى آثار من كان فيها قبلكم بعد أن ماتوا وخلت منهم ديارهم ، واعلموا أن الله بقدرته سيعيد كل ذلك في الآخرة بالبعث وهو الانشاء الآخر ، وكذلك شأنكم ان الله سبحانه تام القدرة على كل شيء (١) .

٢١ - يعذب الله من يشاء بعد النشأة الآخرة وهم المنكرون لها ، ويرحم من يشاء وهم المؤمنون المقرون بها ، واليه وحده مرجع الخلق جميعا للحساب والجزاء .

٢٢ - ولستم - أيها المكذبون - بغالين لقدرة الله ، سواء أكنتم في الأرض أم في السماء ، بل هي محيطة بكم ، وليس لكم ولي يمنعكم من الله ولا نصير يدفع عنكم عذابه .

(١) « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير » : تحت هذه الآية الكريمة الباحثين على السير في الأرض ليكشفوا عن كيفية بدء خلق الأنبياء من حيوان ونبات وجماد ، فإن آثار الخليقة الأولى منطبقة بين طبقات الأرض وعلى ظهرها وهي لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدنها حتى الآن .

أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

٢٣ - والذين كفروا بدلائل الله على وحدانيته ، وكذبوا برسله وكتبه ، وأنكروا البعث والحساب . هؤلاء ليس لهم مطمع في رحمة الله وهؤلاء لهم عذاب شديد مؤلم .

٢٤ - لم يكن جواب قوم ابراهيم له - حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان - إلا الامعان في الكفر ، وقول بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه ، فألقوه في النار ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه ، وأنجاه منها ، ان في احباط كيدهم وانجائه منها وعدم تأثيرها فيه لدلائل واضحة لقوم يصدقون بتوحيد الله وقدرته .

٢٥ - وقال ابراهيم لقومه : لم تعبدوا إلا آلهة باطلة عبادتها ، ولم ينكر بعضكم على بعض ابقاء لمودة أئمة ارتضيتموها في حياتكم الدنيا ، ثم يتبدل الحال يوم القيامة ، فيتبرأ القادة من الأتباع ، ويلعن الأتباع القادة ، ومصيركم جميعا النار ، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها .

٢٦ - وكان أول من أجاب دعوة ابراهيم الى الحق لوط فصدق وكان موحدا من قبل ، وقال ابراهيم مطيعا لأمر الله : إني مهاجر الى الجهة التي أمرني ربي بالهجرة اليها والقيام بالدعوة الى الله فيها . وهو العزيز الذي يمتنع من أعدائي ، الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو خير .

٢٧ - ومن الله على ابراهيم باسحاق ولده ويعقوب حفيده ، وكرمه بأن جعل النبوات في ذريته ، وأنزل عليهم الكتب الساهوية ، وجزاه الله أحسن الجزاء في الدنيا ، وهو في الآخرة من خيار الصالحين .

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَا تُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَنَا تُونَ الرِّجَالِ
وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى
قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُرَاكَتُ مِنَ الْغَيْبِ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْمِزْ إِنَّنا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تُرَاكَتُ مِنَ الْغَيْبِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - اذ أرسلنا لوطا الى قومه ، فدعاهم الى توحيد الله وطاعته ، وأنكر عليهم العمل
الفاحش الذى كانوا يفعلونه ولم يسبقهم الى فعله أحد من خلق الله .

٢٩ - ان ما تفعلونه منكر مهلك . فانكم تفعلون الفاحشة بالرجال ، وتقطعون سبيل النسل ، فيكون المآل
الفناء . وترتكبون في مجتمعاتكم المنكرات دون خوف من الله ولا حياة فيما بينكم . فلم يستمع له قومه ، ولم يكن لهم
جواب غير السخرية به ، وطلبوا منه أن يعجل بعذاب الله الذى يهددهم به إن كان صادقا فيما يقول .

٣٠ - فاستعان لوط عليهم باالله ، وطلب أن ينصره على قومه المفسدين فى الأرض .

٣١ - وحين جاءت ملائكة الله الى ابراهيم عليه السلام مبشرين ، قالوا : ان أمرهم باهلاك أهل هذه القرية ،
بسبب افسادهم وظلمهم أنفسهم بالشرك وارتكاب الفاحشة .

٣٢ - قال ابراهيم عليه السلام للملائكة : ان فى القرية لوطا ، وكيف تهلكونهم وهو فيهم ، فأجابته الملائكة :
بأنهم يعلمون من فيها ، وأنهم ينجون لوطا وأهله من العذاب ، إلا أمراته فانها فى الهالكين لكفرها وإساءتها .

٣٣ - ولما ذهب الملائكة المرسلون الى لوط ورآهم حزين لحوفه عليهم من عدوان قومه ، وعجزت حيلته فيما
يتعلق بمجايبتهم ، فطمأنوه وقالوا له : لا تخشين عدوان قومك علينا ، ولا تحزن من أجلنا ، فقد أتينا لاهلاك أهل هذه
القرية ، وسننجيك واهلك ، ولكم امرأتك لكفرها ستكون مع الهالكين .

رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِن مَّدِينٍ أُخَاهُمْ
شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُرِمُ عَبْدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْمَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعُونَ وَهَلْمَنْ ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَالِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّمْنَا بَدْنِيَّةً ^ط فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن
أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ^ع وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ

٣٤ - وقالت الملائكة : اننا مرسلون لتنفيذ أمر الله بانزال العذاب من السماء على سكان هذه القرية . بسبب فسقهم وكفرهم .

٣٥ - ولقد أهلك الله هذه القرية ، وترك منها آثارا ظاهرة ، لتكون دليلا على ما فعله الله بهم وعبرة لمن يتدبر .

٣٦ - وأرسل الله الى اهل مدين رسولا منهم وهو شعيب ، دعاهم الى توحيد الله وعبادته والخوف من اليوم الآخر وفعل ما يرجون به ثواب الله فيه . ونهاهم عن السعي في الأرض بالفساد .

٣٧ - فكذبوه وعصوه ، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمر عليهم مساكنهم ، فغدوا فيها صرعى ميتين .

٣٨ - واذكر - أيها الرسول - مصارع عاد وثمود إذ أهلكناهم ، وقد بقيت من مساكنهم آثار ظاهرة ترونها ، وكان هذا الهلاك بسبب ما زين لهم الشيطان من أعمالهم الباطلة فاتبعوه ، فصرفهم عن طريق الحق الذي كانوا يعرفون بواسطة الرسل .

٣٩ - واذكر - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بأموالهم وسلطانهم مصرع قارون وفرعون وهامان وما جرى عليهم من سنة الله باهلاك المكذبين ، وقد بعث الله اليهم موسى بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقه ، فكذبوه وأبوا أن يستجيبوا له استكبارا ، وما كانوا غاليين لقدرة الله بالافلات من عذابه .

يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

٤٠ - فكل أمة من هذه الأمم المكذبة برسلها أهلكتها الله بسبب كفرها وما ارتكبت من المعصية ، فبعض هذه الأمم أهلكتها الله بالريح العاصفة التي حصبتهم بالحجارة ، وبعضهم هلك بالصيحة المدوية المهلكتة ، وبعضهم خسف الله به الأرض ، وبعضهم أغرقه الله في اليم . ولم يكن هذا العذاب ظلما من الله لهم ، بل كان بسبب كفرهم وارتكابهم الذنوب .

٤١ - شأن المبطلين الموالين لغير الله في الضعف والوهن والاعتدال على غير معتمد كشأن العنكبوت في اتخاذها بيتا تحتوى به ، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتواء ، ولو كان هؤلاء المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك (١) . .

٤٢ - ان الله سبحانه محيط علما ببطلان عبادة الآلهة ، وهو سبحانه الغالب على كل شيء الحكيم في تديبه وتشريعه .

٤٣ - وهذه العبر والأمثال يذكرها الله للناس للعظمة والاعتبار ، وما يعتبر بها الا العقلاء الذين يتدبرون .

٤٤ - وبجانب ما ذكر الله من القصص والأمثال والآيات آية أوضح ، هي خلق السموات والأرض بالقدره والحكمة ، والتدبير الكامل لصالح الناس ، وفي هذا دلائل صادقة لمن يؤمنون بالحق .

٤٥ - اقرأ أيها النبي كتاب الله ، ولا تلتفت إليهم ، وأد الصلاة على وجهها ، لأن الصلاة مع الاخلاص من شأنها أن تصرف من يقيمها عن الذنوب الكبيرة وكل ما ينكره الشرع . ولتقوى الله ومراقبته في الصلاة وغيرها أكبر أثرا وأعظم ثوابا . والله يعلم ما تفعلون من الخير والشر فيجازيكم عليه .

(١) « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون » : بيوت العنكبوت التي تبنيها لسكنائها . وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا مما يجعل نسجها أضعف بيت يتخذ أي حيوان مأوى له .

ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٦٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٣﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

٥٢ - قل : حسبى وحسبكم أن يكون الله شاهدا على أنى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فهو مطلع على أمرى وامركم ، لا يخفى عليه شئ فى السموات والأرض . والذين عبدوا غير الله وكفروا بالله فلم يخصصوه بالعبادة . أولئك هم الذين اشتروا الكفر بالايان فأصابهم الخسران المبين .

٥٣ - ويتحدك الكافرون أن تعجل لهم العذاب الذى حذرتم منه ، ولولا أجل معلوم قضت به حكمتنا لعجلنا لهم العذاب الذى استعجلوه ، وأقسم ليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون .

٥٤ - يطلبون اليك تعجيل العذاب وهو واقع بهم لا محالة . وان جهنم لتحيط - يقينا - بالكافرين .

٥٥ - يوم يعمرهم العذاب من أعلاهم دون أسفلهم ، ويقول الملك الموكل بعذابهم : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات .

٥٦ - يا عبادى الذين صدقوا بى وبرسولى : إن أرضى واسعة لمن أراد أن يفر عن مواطن الشرك . ففروا الى مخلصين لى العبادة .

٥٧ - كل نفس ستذوق طعم الموت - لا محالة - ثم الينا تعودون فتجزون بما قدمتم من خير وشر

٥٨ ، ٥٩ - والذين صدقوا بالله وكتبه ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، نقسم : لننزلنهم من دار النعيم غرفات تجرى من تحتها الأنهار ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، نعم هذا الجزاء أجراً للعاملين الصابرين على كل ما يصيبهم فى سبيل الله من فراق الأوطان والأهل والأموال . المعتمدين على الله - وحده - فى جميع أحوالهم .

٦٠ - وكثير من الدواب التى تعيش معكم فى الأرض لا تستطيع - لضعفها - أن تحمل رزقها وتنقله ، لتأكله أو تدخره . الله يهيب لها أسباب رزقها وحياتها ، وهيب لكم أسباب رزقكم وحياتكم . وهو المحيط بكل ما خلق سمعا وعلما .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَنَحَرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۗ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْتَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۗ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيُحْتَفَلُ النَّاسُ

٦١ - وأقسم ان سألت المشركين : من أوجد السموات والأرض ، وذلك الشمس والقمر وأخضعها لمنافع الناس ؟ ليقولن : خلقهن الله ، ولا يذكرن أحدا سواه ، فكيف اذن يصرفون عن توحيد الله - تعالى - مع اقرارهم بهذا كله ؟!

٦٢ - الله يوسع على من يشاء في الرزق ويضيق على من يشاء حسبما يقتضيه علمه بالمصالح فإن الله قد أحاط بكل شيء علما .

٦٣ - وأقسم ان سألتهم : من نزل من السماء ماء ، فجعل منه حياة الأرض بالنبات بعد جديها ؟ ليقولن : الله . قل الحمد لله على اعترافهم بالحق ، بل أكثرهم لا يفهمون مايقعون فيه من تناقض .

٦٤ - وليست هذه الحياة الدنيا الا متاعا محدود الوقت ، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتا ما ثم ينفضون . وإن الدار الآخرة هي دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة ، وهذه حقائق ثابتة يدركها هؤلاء لو كان من شأنهم الادراك الصحيح .

٦٥ - هم على ما وصفوا به من الشرك ، فإذا ركبوا السفن في البحر وادركهم شيء من أهواله توجهوا الى الله مخلصين له الدعاء أن يكشف عنهم الضر ، فلما نجاهم الى البر سارعوا بالعودة الى الإشرار .

٦٦ - لينكروا ما أعطيناهم من النعم ، ولينتفعوا بما يرضى هواهم في هذه الحياة ، فسوف يعلمون عاقبة الكفر حين يشاهدون العذاب الأليم .

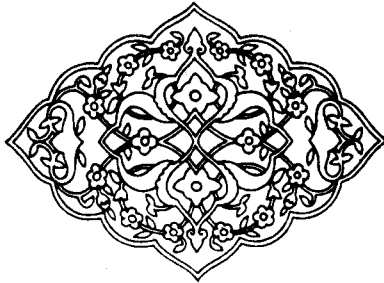


مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْئِلٌ يُبْطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

٦٧ - أعمى كفار مكة عن نعم الله التي أسبغها عليهم ، ولم يروا أننا جعلنا بلدهم مصوناً لا ينهب ولا يسلب ، مقدساً لا يسبى أهله ولا يقع فيه قتل ، ويسلب الناس ويسبون من حولهم ؟! أعموا عن هذه النعم فما لا أصل له يصدقون ، وبمحمد وبكل ما جاء به يكذبون ؟!

٦٨ - وليس هناك أحد أشد ظلماً ممن نسب إلى الله ما لم يشرعه ، أو كذب بالدين الحق حين بلغه ، إن في جهنم لماوى لهؤلاء الظالمين الكافرين .

٦٩ - والذين بذلوا جهدهم ، واحتملوا المشقة في سبيل نصره ديننا ، لنزيدنهم هداية إلى الخير والحق . وإن الله لمع الذين يحسنون أعمالهم ، يعينهم وينصرهم . والله أعلم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ اللَّهُ الْأَمْرُ

بدأت السورة بذكر هزيمة الروم ، ووعد الله للمؤمنين أن ينصرهم على الفرس ، ودعت إلى التفكير في خلق الله ، والسير في الأرض ، ليعرفوا عاقبة الكافرين الذين عمروا الأرض أكثر مما عمرها قريش ، وعرضت لحال الناس يوم القيامة ، ونهت بتسبيح المؤمنين الله وعبادتهم إياه في الغداة والعشي والظهيرة والأصيل ، ونهت الى دلائل وحدانية الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف الألسنة ومظاهر الكون في السموات والأرض ، وضربت الأمثال التي تدل على بطلان الشرك ، وذكرت الناس بخلق الله لهم ونعمه عليهم ، وقوت دعائم الأسرة وأواصر المجتمع ، وعנית بالتشريع ، فحرمت الربا ، وشرعت الزكاة ، وحثت على البر بالأقربين .

ثم امتن الله - سبحانه - على عباده - ودعاهم الى التدين والطاعة ، ووجه أنظارهم الى ما في الكون من عجائب تدل على مبلغ القوة والقدرة ، وبين أطوار الانسان الى أن يبلغ أزدل العمر .

وأشارت الآيات الأخيرة الى يوم القيامة وكفر المشركين به ، وختمت السورة بالنصح للرسول - ﷺ - أن يثبت في الحق ، ويصبر على ما يلقى ، فإن وعد الله آت لا محالة .

١ - بدأت السورة بهذه الآية لبيان أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي ينطق بها العرب في سهولة ووضوح ، ولكن المنكرين له عجزوا عن الاتيان بمثله ، وهي - كذلك - تنبه الناس الى الاستماع والانصات . وتحملهم على التصديق برسالة محمد ﷺ .

٢ ، ٣ - غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب ، وهي أطراف الشام ، وهم بعد انهزامهم سيغلبون فارس .

تطبيق الخبراء على الآيات من « ١ - ٤ » :

في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين : كان أولها قد وقع بالفعل ، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد ، وهو اخبار عن الغيب ، (وحدد لوقوعه بضع سنين فيما بين الثلاث والسبع) .

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو ابرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى ، وهيراكليس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل ، ففي عام ٦١٤ استولى الفرس =

مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِبَصَرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ

٤ ، ٥ - قبل أن تمضي تسع سنوات - وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس ، وقالوا للمسلمين : سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب - قد حقق الله وعده ، فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سماه ، فكان ذلك آية بينة على صدق محمد - ﷺ - في دعواه وصحة ما جاء به ، لله الأمر والقضاء من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الذي يؤيد من يشاء ، وهو الغالب على أعدائه ، الرحيم بأوليائه .

٦ - وعد الله المؤمنين وعدا صادقا ، لا يخلف الله وعده ، ولكن المجاحدين ليس من شأنهم العلم بالأمور على وجهها .

٧ - يعلمون شئون ووسائل عمرانها والتمتع بزخارفها ، وهم عن التزود للآخرة مسرفون في الجهل والغفلة .

٨ - أطمس على أعينهم وقلوبهم ولم يتفكروا في أمر أنفسهم ليعرفوا مصيرهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينها من كواكب وغيرها الا مقرونة بالجد ، مصحوبة ومحدودة بوقت تنتهي عنده ، وإن كثيرا من الناس بلبقاء الله وقيام الساعة لجاحدون .

على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية . ثم على دمشق ، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم واحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم ، وقد دمر الحريق كنيسة القيامة واستولى المفيرون على الصليب ونقلوه إلى عاصمتهم ، وقد جزعت نفوس المسيحيين لهذه الكارثة المروعة ولما كانت هذه الهزيمة مبعث سرور للمشركين من أهل مكة وسبب ثماتهم بالمسلمين لأن الروم أهل كتاب كأصحاب محمد - ﷺ - والفرس ليسوا أصحاب كتاب للمشركين ، أنزل الله جل جلاله على محمد هذه الآيات البيّنات ليشرهم بنصرة أهل الكتاب وفرحتهم ، وهزيمة المشركين وسوء عاقبتهم في فترة من الزمن حدها بيضع سنين .
وتفصيل الحدث الثاني أن هرقل قيصر الروم الذي من جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار هزيمته ، حتى إذا كان العام ٦٢٢ الميلادي « أي العام الهجري الأول » أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم ، وهذا النصر فاتحة انتصارات الروم على الفرس . . وهكذا انتصر أهل الكتاب على المشركين فتحقت بشرى القرآن . .
وقفة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كانت مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة ١٧ رمضان من العام الثاني الهجري أي سنة ٦٢٤ ميلادية .

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَعَاؤُا السُّوْءَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَأَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي

٩ - أزموا وطنهم ولم يسيروا في أرجاء الأرض ليشاهدوا كيف كانت نهاية الذين كفروا من قبلهم؟ كانوا أشد من هؤلاء الكافرين الحاضرين قوة، وقلبوا وجه الأرض، ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسل الله بالمعجزات الواضحات فكفروا، فأخذهم الله، لأنه ما كان ليجزيهم، من غير ذنب ولا لياخذهم قبل تذكيرهم وامهالهم، ولكن كان هؤلاء لا يظلمون الا أنفسهم.

١٠ - ثم كانت نهاية الذين ارتكبوا أشد الوان الاساءة أن جحدوا آيات الله، وكانوا يحقرون من شأنها.

١١ - الله - سبحانه وتعالى - ينشئ خلق الناس ابتداء، ثم يعيد خلقهم بعد موتهم، ثم اليه - وحده - يعودون للحساب والمجزاء.

١٢ - ويوم تأتي القيامة يبأس الكافرون من الدفاع عن أنفسهم.

١٣ - ولم يوجد لهم من الذين عبدوهم مع الله شفعا، وكانوا في الدنيا بسببهم كافرين.

١٤ - ويوم تقوم الساعة - يوم اذ تقوم - يذهب كل فريق الى مصيره الأبدى.

١٥ - فأما الذين آمنوا، وقرنوا ايمانهم بالأعمال الصالحة، فهم في جنة ذات أشجار وأزهار، يسرون وينعمون.

١٦ - وأما الذين كفروا، وأنكروا آياتنا ولقاء البعث والحساب . . فأولئك في العذاب مقيمون لا يغيبون عنه.

١٧ - فزهوا الله عما لا يليق بجلاله وكهاله، واعبدوه حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح.

١٨ - والله وحده هو الحقيق بالحمد والثناء والشكر من أهل السموات والأرض فاحمدوه واعبدوه في العشي، وحين تدخلون في الظهيرة.

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۚ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِشَرِّ نَشْرُوتُمْ ۚ
 وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ لِّعَالَمِينَ ۚ
 وَمِنَ آيَاتِهِ ه خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْوَانُ وَاللَّوْنُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۚ
 وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ
 وَمِنَ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۗ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۚ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ

١٩ - يخرج الكائن الحسى من شىء لا حياة فيه ، ويخرج النشء الذى لا حياة فيه من الكائن الحسى ، ويحيى الأرض بالنبات بعد يبسها ، ومثل هذا الاخراج يخرجكم الله من قبوركم .

٢٠ - ومن الدلائل على كمال قدرته أن خلق أصلكم من تراب لا حياة فيه ، ثم أنتم بشر تفرقون فى الأرض ، للسعى فى تحصيل ما به بقاؤكم .

٢١ - ومن دلائل رحمته ان خلق لكم - أيها الرجال - زوجات من جنسكم لتألفوهن ، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحما . ان فى ذلك لدلائل لقوم يفكرون فى صنع الله تعالى .

٢٢ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع ، واختلاف ألوانكم فى اللغات واللهجات ، وتباين ألوانكم فى السواد والبياض وغيرها . ان فى ذلك لدلائل ينتفع بها أهل العلم والفهم .

٢٣ - ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيا لكم أسباب الراحة بمنامكم ، ويسر لكم طلب الرزق ليلا ونهارا من فضله الواسع . ان فى ذلك لدلائل لقوم ينتفعون بما يسمعون .

٢٤ - ومن آياته انه يريكم البرق من خلال السحب ، لتشعروا بالخوف من الصواعق وتطمعوا فى المطر أن ينزل من السماء ، لتحميا به الأرض بعد أن يبست . ان فى ذلك لدلالات لقوم يتدبرون الأمور فيفهمونها على وجهها .

٢٥ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته وسعة رحمته أن تقوم السماء والأرض بأمر الله على ما ترون من احكام صنع ودقة تدبير ، ثم إذا دعاكم للبعث تخرجون من القبور مسرعين مستجيبين لدعائه .

٢٦ - لله - سبحانه - كل من فى السموات والأرض خلقا وملكا وخضوعا ، كلهم لله متقادون .

ثُمَّ يَعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
 أَنْفُسِكُمْ ۗ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ مِّنْ خِيفَتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ ۗ
 كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
 وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَتَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ
 دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ

٢٧ - والله - سبحانه - الذى يبدأ الخلق على غير مثال ، ثم يعيده بعد الموت ، واعادته أهون عليه من ابتدائه
 بالنظر الى مقاييسكم واعتقادكم أن إعادة الشئ أسهل من ابتدائه . والله الوصف السابق العجيب الشأن فى القدرة
 الكاملة والحكمة التامة فى السموات والأرض ، وهو الغالب فى ملكه ، الحكيم فى فعله وتقديره .

٢٨ - بين الله لكم مثلاً منتزعا من أنفسكم - وقد ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه - هل لكم
 من عبيدكم شركاء فيما ملكناكم من الأموال وغيرها ؟ فأنتم وهم مستون فيها ، تخافون هؤلاء العبيد ، فلا تتصرفون
 فى شئ مما تملكون دون اذنهم ، كما يخاف الأحرار بعضهم بعضا ، فإذا كنتم لا تعقلون هذا ولا تفعلونه ، فكيف
 تجعلون بعض مملوكات الله شركاء له ؟! مثل هذا التفصيل نبين الآيات لقوم يتدبرون فى ضرب الأمثال .

٢٩ - بل اتبع الذين كفروا أهواءهم دون علم بعاقبة كفرهم ، فلا أحد يهدى من أضل الله ، وليس من يشفع
 لهم ويدفع عنهم عذابه .

٣٠ - فسدد وجهك ، واتجه الى الدين بعيدا عن ضلاتهم ، والزم خلقه الله الذى خلق الناس عليها ، وهى انهم
 قابلون للتوحيد ، غير منكرين له ، وما ينبغى أن تغير هذه الخلقة ، ذلك الخلق على التوحيد هو الدين المستقيم ،
 ولكن المشركين لا يعلمون حقيقة ذلك .

٣١ - كونوا راجعين اليه ! وافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، وحافظوا على الصلاة ، ولا تكونوا
 من الذين عبدوا مع الله غيره .

٣٢ - من الذين فرقوا دينهم فاختلفوا فيه ، وصاروا فرقا . . كل فرقة تشايح من تبعه ، كل فريق منهم
 بما عندهم مسرورون ، يظنون أنهم على الحق .

٣٣ - وإذا أصاب الناس ضر - من مرض أو شدة - التجأوا الى الله ، ودعوه راجعين اليه ، طالبين كشف
 الشدة عنهم ، ثم إذا أذاهم الله خلاصا من الشدة ومنحهم من فضله ، سارع فريق منهم برهم يشركون .

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا فَهَوَّيْتُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَكَاتِذَا الْقُرْبٰنِ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ ؕ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوَلِّتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوٓا۟ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرَبُّوٓا۟ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكٰوةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوَلِّتْكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ؕ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

٣٤ - لتكون عاقبة أمرهم أن يكفروا بما آتاهم الله من النعم ، فتمتعوا - أيها الجاحدون - كما تشاءون ، فسوف تعرفون عاقبتكم .

٣٥ - أتركناهم في ضلالهم ولم نسهه أحلامهم ، بل أنزلنا عليهم برهانا ، فهو يشهد بالذي كانوا يشركونه مع الله .

٣٦ - وإذا أذقنا الناس نعمة فرحوا بها فرحا يبطرهم ، وان تصيبهم شدة بسبب ما اقترفوا من ذنوب يسارع اليهم اليأس من الرحمن .

٣٧ - أجهلوا ما يوصل الى الايمان ، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيق على من يشاء ، بحسب ما تقتضيه حكمته ؟ إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم يصدقون بالحق .

٣٨ - وإذا كان الله - تعالى - هو الذي يسط الرزق ويقدره ، فأعط القريب حقه من البر والصلة ، والمحتاج والمنقطع به الطريق حقهها من الزكاة والصدقة ، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون ثوابه ، وأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم .

٣٩ - وما أعطيتم أكلة الربا من مال ليزيد لكم في أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ، وما أعطيتم من صدقة تبتغون بها وجه الله - بدون رياء ولا طمع في مكافأة - فأولئك هم أصحاب الأضعاف من الحسنات .

٤٠ - الله - سبحانه - الذي أوجدكم ، ثم أعطاكم ما تعيشون به ، ثم يميتكم ، ثم يعينكم من قبوركم ، هل هناك من الشركاء الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله من يفعل من الخلق والرزق والامانة والاحياء شيئا من تلك الأفعال ، تنزه الله تعالى عما يشركون به .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا
 فَلَا نَفْسٍ بِهِ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾
 وَمِن ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ لِجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمَا

٤١ - ظهر الحرق والتحط والآفات وكساد التجارة والفرق ، بسبب ما فعله الناس من جرائم وأثام ، ليعاقب الله الناس في الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المعاصي .

٤٢ - قل - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ - للمشركين : سيروا في نواحي الأرض ، فانظروا كيف كانت نهاية الذين مضوا قبلكم ، فسيترون أن الله أهلكتهم وخرّب ديارهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين مثلكم .

٤٣ - فسدد وجهك للدين الكامل الاستقامة ، من قبل أن يأتي يوم لا يستطيع احد أن يردّه من الله ، يومئذ يتفرق الناس ويختلف حالهم .

٤٤ - من كفر بالله فعليه وبال كفره ، ومن آمن وعمل صالحاً فلأنفسهم - وحدها - يسوون طريق النعيم المقيم .

٤٥ - لأن الله يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدموا ، ويزيد جزاءهم تفضلاً منه ، لأنه يحبهم ، ويبغض الذين كفروا به وأنكروا نعمه .

٤٦ - ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مبشرات بالمطر الذي يكون لكم رياً وسقياً ، وليهبكم من فيض احسانه المنافع التي نشأت من المطر ، ولتجرى السفن في الماء بأمر الله وقدرته ، ولتطلبوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما في البر والبحر ، ولتشكروا الله نعمه بطاعتكم له وعبادتكم إياه .

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ رِكَسًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ ۗ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

٤٧ - ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم ، فجاء كل رسول قومه بالحجج الواضحة الدالة على صدقه ، فكذبهم قومه ، فأهلكنا الذين أذنبوا وعصوا . وقد أوجب الله على نفسه أن ينصر عباده المؤمنين .

٤٨ - الله - سبحانه وتعالى - الذي يرسل الرياح ، فتتحرك بقوة دفعها السحاب ، فيبسطة الله في السماء كيف يشاء هنا وهناك في قلة أو كثرة ، ويجعله قطعا ، فتري المطر يخرج من بين السحاب ، فإذا أنزل الله المطر على من يشاء من عباده يسارعون إلى البشر والفرح (١) .

٤٩ - وأنهم كانوا قبل أن ينزل بهم المطر لقي بأس وحيرة .

٥٠ - فانظر نظر تفكر وتدبر إلى آثار المطر ، كيف يحيى الله الأرض بالنبات بعد أن كانت هامدة كالميت ، ان الذي قدر على احياء الأرض بعد موتها لقادر على احياء الموتي من الناس ، وهو تام القدرة لا يعجزه شيء .

٥١ - وأقسم : لئن أرسلنا ريحا مضرة بالنبات ، فرأوه مصفرا بسببها ، لصاروا من بعد اصفراره ييحدون النعمة ويكفرون بالله .

٥٢ - فلا تحزن من عنادهم وعدم استجابتهم لك ، فأنت لا تستطيع أن تسمع الموتي دعاءك ، ولا أن تسمع الصم نداءك ، إذا زادوا على صممهم ، بأن فروا عنك معرضين .

٥٣ - وهؤلاء كالعشى ، لاغلاقهم قلوبهم عن الاستجابة للهدى ، وأنت لا تستطيع أن تهدي هؤلاء العمى ، وتصدهم عن كفرهم ، وإنما تسمع سماع فهم وقبول من تهبأت قلوبهم لتلقى الإيمان . فهؤلاء ينقادون للحق متى ظهر .

(١) راجع التعليق العلمي على الآية ٤٣ من سورة النور .

ضَعْفِ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْبَةً^{٥٤} يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ^{٥٥} وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ^{٥٦} وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
 الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ^{٥٧} كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ^{٥٨} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ^{٥٩} فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^{٦٠} فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ
 وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ^{٦١} وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ^{٦٢} وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَلُونَ^{٦٣} كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^{٦٤} فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا^{٦٥}
 وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ^{٦٦}

٥٤ - الله الذي خلقكم من نطفة ، فنشأتم ضعافا ، ثم جعل لكم من بعد هذا الضعف قوة ، بنموكم وبلوغكم حد الرشد ، ثم جعل لكم من بعد هذه القوة ضعف الشيخوخة والشيب ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم بتدبير خلقه ، التقدير على ايجاد ما يشاء .

٥٥ - ويوم تقوم الساعة يحلف الكافرون أنهم ما لبثوا في الدنيا أو في قبورهم غير ساعة ، ومثل ذلك الصرف كانت تصرفهم الشياطين في الدنيا عن الحق إلى الباطل .

٥٦ - وقال الذين آتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين : لقد لبثتم في حكم الله وقضائه إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه ، ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون أنه حق ، لجهالتكم واعراضكم .

٥٧ - فيومئذ يبعث الناس ، لا ينفع الذين كفروا اعتذارهم عن انكارهم وتكذيبهم لرسولهم ، ولا يطلب منهم أحد أن يفعلوا ما يرضى الله ، هوأثم عنده وطردهم من رحمته .

٥٨ - ولقد بينا لهداية الناس في هذا القرآن كل مثل يرشدهم إلى طريق الهدى ، ولئن أتيتهم بأية معجزة ليقولن الذين كفروا - من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم - : ما أنت وأتباعك الا مبطلون في دعواكم .

٥٩ - ومثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين .

٦٠ - فاصبر - أيها النبي - على أذاهم ، ان وعد الله بنصرك على أعدائك واطهار الإسلام على كل دين حق لا يتخلف أبدا ، ولا يحملك على القلق وعدم الصبر الذين لا يؤمنون بالله ورسوله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن الكتاب وما فيه من هدى ورحمة، ووصفت المحسنين بالطاعة لله والإيمان بالآخرة والحصول على الفلاح، وعقبت ذلك بذكر المضلين المستكبرين، وبشرت المؤمنين بحسن جزائهم في دار النعيم، ولفتت الأنظار إلى الآيات الكونية التي تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وتحدثت الكفار بأن الله الذي أشركوا به خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه. وانتقلت إلى وصايا لقمان لابنه، وما اندمج فيها من وصية الإنسان بوالديه، وعرضت لما سخره الله للإنسان، وما أسبغه عليه من النعم الظاهرة والباطنة.

وتحدثت عن مجادلون في الله بغير علم، ويعتذرون عن ضلالهم باتباع ما كان عليه آبائهم، ونوهت بشأن من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، ونصحت للرسول بالأب لا يحزنه كفر من كفر، فرجعه إلى الله وفصلت كثيراً من مظاهر القدرة والعظمة والرحمة.

وذكرت أن المشركين إذا سئلوا عنها يعترفون بخلق الله لها، وهم يستمدون من فضل الله، ويلجأون إليه في أزماتهم، ويعدون بالشكر ثم يخلفون.

وأمرت السورة بتقوى الله والحشية من الحساب والجزاء، وحذرت من الفرور وطاعة الشيطان، وختمت بما استأثر الله بعلمه. وأهم ما تناولته السورة ثلاثة أغراض:

الأول: تبشير المحسنين بنعيمهم، وانذار الكافرين بعذابهم.

الثاني: عرض الآيات الكونية وما فيها من المظاهر التي تشهد بقدرة الله ووحدانيته ومبلغ عظمته ورحمته.

الثالث: الرصايا العظيمة التي عنيت بسلامة العقيدة، والمحافظة على الطاعة وحسن الخلق.

١ - هذه حروف ابتدأ الله بها بعض السور، ليشير بها إلى اعجاز القرآن المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، ولينبه إلى الاستماع والإنصات، وكان المشركون قد اتفقوا على أن يلغوا فيه ولا يسمعوا.

٢ - هذه الآيات العظيمة آيات القرآن المشتمل على الحكمة والصواب.

٣ - هذه الآيات هداية كاملة ورحمة شاملة لمن يحسنون العمل.

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

٤ - هم الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون الزكاة لمستحقها، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان.

٥ - أولئك المؤمنون المحسنون في أعمالهم متمكنون من الهدى الذي جاءهم من ربهم، وأولئك هم - دون غيرهم - الفائزون حقا.

٦ - ومن الناس من يشتري باطل الحديث ويقصه على الناس، ليصددهم عن الإسلام والقرآن جهلا منه بما عليه من اثم، ويتخذ دين الله ووجهه سخرية.. الذين يفعلون ذلك لهم عذاب بينهم وبينهم.

٧ - وإذا تلى على هذا الضال آيات الله البيّنات أعرض عنها متكبّرا، وحاله في ذلك حال من لم يسمع، كأن في أذنيه صمما، فأنذره بأن الله أعد له عذابا شديدا للإيلام.

٨ - ان الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة لهم جنات النعيم.

٩ - يبقون فيها على وجه الخلود، وعدمهم الله وعدا لا يتخلف، والله الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

١٠ - خلق الله السموات من غير عمد مرئية لكم، وجعل في الأرض جبالا ثوابت، لتلا تضطرب بكم، ونشر فيها من كل الحيوانات التي تدب وتتحرك، وأنزلنا من السماء ماء، فأنبتنا به في الأرض من كل صنف حسن كثير المنافع^(١).

١١ - هذا مخلوق الله أمامكم، فأروني ماذا خلق الذين تجعلونهم آلهة من دونه، حتى يكونوا شركاء له؟ بل الظالمون - بإشراكهم - في ضلال واضح.

(١) راجع التعليق العلمي على الآية ٢ من سورة الرعد.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
 وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
 حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
 بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكَ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ

١٢ - ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر الله على ما أعطاك من النعم. ومن يشكر فإنما يبتغي الخير لنفسه، ومن كفر النعم ولم يشكرها فإن الله غير محتاج إلى شكره، وهو مستحق للحمد وإن لم يحمده أحد.

١٣ - واذكر إذ قال لابنه وهو يعظه: يا بني، لا تشرك بالله أحدا، إن الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين المستحق وغير المستحق (١).

١٤ - وأمرنا الإنسان أن يبر والديه، ويجعل أمه أوفر نصيبا، حملته يتزايد ضعفها، ويعظم شيئا فشيئا، وفظامه في عامين، ووصيناها أن اشكر لله ولوالديك، إليه المرجع للحساب والجزاء.

١٥ - وإن حملك والداك - بجهد - على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق العبادة فلا تطعها، وصاحبها في الدنيا بالبر والصلة والإحسان. واتبع طريق من رجع إلى بالتوحيد والإخلاص، ثم إلى مرجعكم جميعا، فأخبركم بما كنتم تعملون من خير وشر، لاجازيكم عليه.

(١) عرف العرب بهذا الاسم شخصين أحدهما: لقمان بن عاد وكانوا يعظمون قدره في النباهة والرياسة والعلم والفصاحة والدهاء وكثيرا ما ذكروا و ضربوا به الأمثال كما تبين من المراجع العربية الكثيرة.

أما الآخر: فهو لقمان الحكيم الذي اشتهر بحكمه وأمثاله وسُميت سورة في القرآن الكريم باسمه، وقد كانت حكمة شائعة بين العرب. فقد ذكر ابن هشام أن سويد بن الصامت قدم مكة وكان شريفا في قومه، فدعاه رسول الله - ﷺ - إلى الإسلام. فقال سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له الرسول: وما الذي معك؟ قال مجلة لقمان. فقال الرسول: اعرضها علي. فعرضها عليه، فقال: إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله على هو هدى ونور، وتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام. وكذلك ذكر الإمام مالك في الموطأ كثيرا من حكم لقمان. وذكرت بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم. ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك في كتاب اسمه أمثال لقمان، ولكن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية وعدم ورود كتاب بهذا الاسم في كتب العرب القديمة يؤكد أنه موضوع في عصر متأخر.

والآراء مضطربة في حقيقة لقمان الحكيم: فهو نوبي من أهل أيلة أو حبشي أو أسود من السودان مصر، أو عبري وجمهور الذين ذكروه مجمعون على أنه لم يكن نبيا، وقليل منهم ذهبوا إلى أنه كان نبيا، والذي نستطيع استنباطه مما ذكره أنه لم يكن عربيا، لأنهم متفقون على هذا، وأنه كان رجلا حكيما ولم يكن نبيا. وأنه أدخل على العرب حكمة جديدة تداولوها فيما بعد كما تبين من كثير من المراجع.

أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحْرَمَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ

١٦ - يا بني : ان الحسنه أو السيئه للإنسان ان تكن - مثلاً - في الصغر كحبة الخردل ، فتكن في أخفى مكان ، كقلب صخرة أو في السموات أو في الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها ، ان الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء ، خبير يعلم حقائق الأشياء كلها .

١٧ - يا بني : حافظ على الصلاة ، وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح ، واحتمل ما أصابك من الشدائد ، ان ما أوصى الله به هو من الأمور التي ينبغي الحرص عليها والتمسك بها .

١٨ - ولا تمل خدك للناس تكبراً ، ولا تمش في الأرض معجبا بنفسك ، ان الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه .

١٩ - وتوسط في مشيك بين السرعة والبطء ، واخفض من صوتك ، لأن أقيح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير ، أوله زفير مما يكره ، وآخره شهيق مما يستقبح .

٢٠ - قد رأيتم أن الله ذلل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ، وما في الأرض من الأنهار والثمار والدواب ، واتم عليكم نعمه ظاهرة لكم ومستورة عنكم ، ومن الناس من يجادل في ذات الله وصفاته بلا دليل ولا رشاد مأثور عن نبي ولا وحى يضىء طريق الحق .

٢١ - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله من الحق والهدى قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى ضلال يدخلهم عذاب السعير .

إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ
 إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ مُتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
 غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾
 لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
 يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
 وَاحِدَةً إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ

٢٢ - ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه، ويفوض إليه جميع أمره، وهو محسن في عمله فقد تعلق بأقوى الأسباب التي توصله إلى رضا الله، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها.

٢٣ - ومن لم يجعل ذاته ونفسه خالصة لله فلا يحزنك جحوده واعراضه، إلينا وحدنا - مرجع هؤلاء يوم القيامة، فنعرض عليهم أعمالهم، لأننا نحيط علما بدخائل النفوس فكيف بظواهر الأعمال.

٢٤ - تمتعهم زمنا قليلا في دنياهم، ثم نلجئهم إلى عذاب شديد لا يحتمل.

٢٥ - وأقسم لك - أيها النبي - ان سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن: هو الله، قل: الحمد لله الذي أوجد من دلائل وحدانيته ما يهدم ما هم عليه من إشراك غيره معه في العبادة. ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا الحججة على أنفسهم بفساد عقيدتهم.

٢٦ - لله ما في السموات والأرض خلقا واقتدارا وتديرا، فكيف يتركون عبادته؟ وان الله - سبحانه - هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم له، الم محمود بذاته، المدير بالثناء عليه من عباده.

٢٧ - ولو تحولت كل أشجار الأرض أقلاما، وصارت مياه البحر الكثيرة مدادا تكتب به كلمات الله لفنيت الأقلام، ونفذ المداد قبل أن تنفذ كلمات الله، لأن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء، فلا تنفذ كلماته وحكمته.

٢٨ - ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم بعد الموت أمام قدرة الله الا كخلق نفس واحدة أو بعثها. ان الله سميع لقول المشركين: لا بعث. بصير بأعمالهم فيجازهم عليها.

يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَهُمُ
مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَأَنفُسَهُمْ وَالَّذِي يَخْتَارُ لَكُمْ أَمْثَلَكُمْ ۗ وَإِلَىٰ إِلَهِكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْبَرَكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾

٢٩ - ألم تنظر - أيها المكلف - نظر اعتبار أن الله ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار، وينقص من زمن النهار بقدر ما يزيد في زمن الليل، وذلك الشمس والقمر لمصالحكم وأخضعهما لنظام بديع، فيجري كل منهما في فلك معين لا يجحد عنه، ويستمر كذلك إلى يوم القيامة، وأنه - سبحانه - خير بكل ما تعملون ومجازيكم عليه.

٣٠ - ذلك المذكور من عجائب صنع الله وقدرته، بسبب أن صانعه هو الاله الثابت الالوهية، الجدير - وحده - بالعبادة، وأن الآلهة التي تعبدونها من دونه باطلة الالوهية، وأن الله - وحده - هو العلي الشان، الكبير السلطان.

٣١ - ألم تنظر - أيها الإنسان - إلى الفلك تجرى في البحر برحمة الله حاملة على ظهرها ما ينفعكم، ليظهر لكم بذلك بعض عجائب صنعه، ودلائل قدرته، ان في ذلك آيات لكل صبار على بلائه، شكور لنعائه.

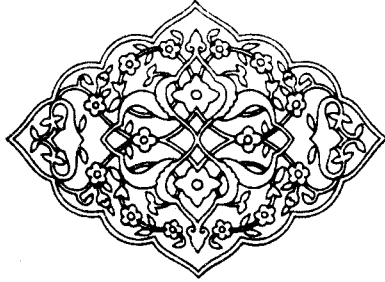
٣٢ - هؤلاء المجاهدون بالله إذا ركبوا في السفن، واضطرب بهم البحر، وارتفعت أمواجه حتى بدت كأنها تظلمهم، وظنوا أنهم غارقون - لا محالة - ولجأوا إلى الله، يدعونه في اخلاص وخضوع أن ينجيهم، فلما نجاهم إلى البر كان منهم قليل تذكروا عهده، واعتدل في عمله، ومنهم، كثير نسي فضل ربه، وظل على جحوده به، ولا ينكر فضل ربه عليه واحسانه إليه الاكل انسان شديد الغدر، مسرف في الكفر بربه.

٣٣ - يا أيها الناس: افعلوا ما أمركم ربكم به، واتركوا ما نهاكم عنه، واحذروا عذابه يوم القيامة، يوم لا يغني والد فيه عن ولده شيئاً، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً، ان هذا اليوم وعد الله به، ووعدته حق لا يتخلف، فلا تلهينكم زخارف الدنيا وزينتها عن الاستعداد له، ولا تتخذتكم وساوس الشيطان، فتصرفكم عن الله وطاعته.

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

٣٤ - ان الله يثبت عنده علم الساعة ، فلا يعلمها أحد سواه ، وينزل المطر في موعده الذي ضربه له ، ويعلم ما في الأرحام من ذكورة وأنوثة وقام ونقصان . وما تعلم نفس بارة أو فاجرة ما تكسبه في غدها من خير أو شر ، وما تعلم نفس ببقعة الأرض التي فيها ينتقض أجلها ، لأن الله تام العلم والخبرة لكل شيء ، ولا يظهر على غيبه أحدا .



(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِنُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴿٣﴾ أَفَلَا تُتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ

نزلت بعد سورة المؤمنون، وتضمنت الحديث عن تنزيل الكتاب ومهمة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وخلق السموات والأرض، وشأنه - تعالى - في التدبير، وأطوار خلق الإنسان، ومقالة منكري البعث والرد عليهم، وحال الجرمين يوم الحساب، وموقف المؤمنين عند التذكير بالآيات، وبيان الجزاء للمؤمنين والفساقين، وانزال التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - ومعاملة الله - تعالى - لبني إسرائيل، وتوجيه كفار مكة إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم، ولفت أنظارهم، ليؤمنوا بالبعث، وسخريتهم من يوم الفتح، والرد عليهم.

وأهم أهداف هذه السورة: لفت الأنظار إلى الآيات الكونية، والحديث عن البعث، والرد على منكريه، وتوجيه الكفار إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم.

١ - ألم: حروف صيغ منها القرآن، كما صيغ منها كلامكم، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كان عجزكم دليلاً على أنه من عند الله، ولم يقله بشر.

٢ - تنزيل القرآن من الله رب العالمين ومدبر أمورهم، لاشك في كونه منزلاً منه.

٣ - بل يقولون: اختلقه محمد، ونسبه لله، ما كان لهم أن يقولوا هذا، بل هو الحق المنزل عليك من ربك، لتخوف به قوماً لم يأتهم من رسول من قبلك، ترجو بذلك الإنذار هدايتهم واذعانتهم للحق.

٤ - الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش استواء يليق به، ما لكم من دون الله ناصر ينصركم، ولا شفيع يشفع لكم، أتجادون في الكفر والعناد فلا تتعظون بمواعظ الله؟

إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
 مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
 وَقَالُوا أَوْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ
 الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
 فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

٥ - يدبر شئون الخلق من السماء إلى الأرض ، ثم يصعد إليه أمرها في يوم مقدر بألف سنة من سنى الدنيا التي تعدونها .

٦ - ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه ، الغالب أمره ، الواسع الرحمة .

٧ - الذى أتقن كل شيء خلقه ، بحسب ما تقتضيه حكته ، وبدأ خلق الإنسان الأول من طين .

٨ - ثم جعل ذريته - بعد ذلك - متخلقة من ماء قليل ضعيف لا يؤبه له فى العادة (١) .

٩ - ثم قومه ووضع فيه من سره الذى اختص به ، وجعل لكم السمع والأبصار والعقول لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ، ما تشكرون الا شكرا قليلا .

١٠ - وقال المنكرون للبعث ، انذا صرنا ترابا مختلطا بتراب الأرض لا يتميز عنه . اننا لنعود فى خلق جديد ، انهم لا ينكرون البعث - وحده - بل هم بجميع ما يكون فى الآخرة مكذبون .

١١ - قل : يتوفاكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم ، ثم إلى الله - وحده - تعودون .

١٢ - ولو أتيت لك أن ترى الجرمين فى موقف الحساب لرأيت عجبا ، اذ الجرمون المستكبرون منكسو الرؤوس خزيا من ربهم . يقولون فى ذلة : ربنا أبصرنا ما كنا نتعاصى عنه ، وسمعنا ما كنا نتصامم عنه ، فأرجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمله ، انا موقنون - الآن بالحق الذى جاء به رسلك .

(١) فى هذه الآية الكريمة « من ماء مهين » المهين من الرجال : الضعيف . والمهين : القليل . وقوله تعالى : من ماء مهين . أى من ماء قليل ضعيف . ومثله قوله تعالى : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » . ومهين الإبل يهينها مهينا مهنة حلبها . فلا مانع من أن تفسر كلمة مهين فى الآية بأنه ماء منسب أو دافق أو مقنوف أو قليل .

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سَجْدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰئِ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

١٣ - ولو شئنا لأعطينا كل نفس هداها، ولكن سبق القول مني : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، لعلنا أن أكثرهم سيختارون الضلالة دون الهدى .

١٤ - فذوقوا العذاب بما غفتم عن لقاء يومكم هذا ، انا تركناكم في العذاب كالمسيين ، وذوقوا العذاب الدائم الذي لا انقطاع له ، بسبب كفركم ومعاصيكم .

١٥ - انما يصدق آياتنا الذين إذا وعظوا بها وقعوا لله ساجدين ، ونزهوا ربهم عن كل نقص ، مثنين عليه بكل كمال ، وهم لا يستكبرون عن الانقياد لهذه الآيات .

١٦ - تتنحى جنوبيهم عن مضاجعها ، يدعون ربهم خوفا من سخطه ، طمعا في رحمته ومن المال الذي رزقناهم به ينفقون في وجوه الخير .

١٧ - فلا تعلم نفس مقدار ما أعده الله وأخفاه هؤلاء من النعيم العظيم ، الذي تقر به عيونهم ، جزاء بما كانوا يكسبون من الطاعة والأعمال .

١٨ - أيستوى الناس في جزائهم وقد اختلفوا في أعمالهم ؟ فن كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به ، عاصيا له ؟ لا يستوون ؟ .

١٩ - أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التي فيها مساكنهم ، كرامة لهم بما كانوا يعملون .

٢٠ - وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فقامهم الذي أعد لهم النار ، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم في الدنيا تصرون على التكذيب به .

٢١ - ونقسم : لنذيقنهم في الدنيا عذاب الخذلان قبل أن يصلوا إلى العذاب الأكبر ، وهو الخلود في النار ، لعل المعذنين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِلَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرَّ أَهْلِكًا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

٢٢ - ولا أحد أشد ظلماً للحق ولنفسه من انسان ذكر آيات الله وحججه البينات ثم انصرف عن الايمان بهامع وضوحها ، اننا من كل مجرم سننتقم .

٢٣ - ولقد آتينا موسى التوراة ، فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب ، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديا لبني اسرائيل .

٢٤ - وجعلنا من بنى اسرائيل أمة في الدين ، يقومون بهداية الناس ، استجابة لأمرنا حين صبروا على العمل بما في التوراة ، وكانوا بآياتنا يصدقون أقوى التصديق .

٢٥ - ان ربك هو - وحده - يقضى بين الأنبياء وأممهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

٢٦ - أترك الله المكذبين لرسولهم ، ولم يبين لهم أنه أهلك كثيرا من الأمم التي سبقتهم ، وهم يبرون بديارهم ، ويمشون في مساكنهم ؟ ان في ذلك لعظات تبصرهم بالحق ، أصموا فلا يسمعون هذه العظات .

٢٧ - أعموا ولم يروا أنا نجري المطر والأنهار إلى الأرض التي قطع نباتها ، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم ، ويأكلون حبه وثمره ؟ أعموا فلا يبصرون دلائل قدرة الله على احياء الموتى .

٢٨ - ويقول المشركون لك وللمؤمنين : في أى وقت يفتح الله عليكم بالنصر ؟ أخبرونا بوعده ان كنتم صادقين .

٢٩ - قل لهم : يوم القضاء والفصل إذا حل بكم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولا هم يهلون لحسنة عن العذاب الذى يستحقونه .

٣٠ - وإذا كان هذا الاستهزاء دأبهم فأعرض عنهم ، وانتظر صدق ما وعدك ربك فبهم انهم ينتظرون الغلبة عليكم .

سُورَةُ الْاِحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتِيَ اللَّهُ وَلَا تُطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ

بدأت ببناء رسول الله - ﷺ - أن يتق الله ويتوكل عليه ، وانتقلت إلى الحديث عن الأدعياء ، ونفت أنهم أبناء لمن تبناهم ، وذكرت ما أوجبه الله لرسوله من المحبة والطاعة ، وأوجبه لأمهات المؤمنين من الاحترام والتوقير ، وعرضت لما أخذ الله على النبيين من العهد في تبليغ الرسالات ، وفصلت غزوة الاحزاب وما كان فيها من خوف واضطراب ، وما تم للمؤمنين من نصر تحقق به وعد الله ، وعنت بذكر الآداب التي ينبغي للنساء النبي - ﷺ - أن يسلكنها ويأخذن أنفسهن بها ، وعادت إلى الحديث عن المتبينين ، وهدمت ما كان معروفًا في الجاهلية من حرمة التزوج بحليلة الدعي على من تبناه ، ونوهت بشأن الرسول - ﷺ - وأنتت عليه بما هو أهله ، وأوصت بالمتعة والسراح الجميل لمن طلقت قبل الدخول ، وخصت الرسول - ﷺ - بأنها أباحت له أن يدخل بين وهبت نفسها له ، وصرحت بأنه لا يحل له النساء بعد التسع ، ثم بينت السورة الكريمة ما يجب على المؤمنين مراعاته في دخولهم بيوت النبي للطعام ، وفي انصرافهم عقبه ، وفي سؤا لهم أزواجه من وراء حجاب ، وطالبت أمهات المؤمنين بأن يدين عليهن من جلايبهن ، وتحدثت عن الساعة وأحوال القيامة ، ونصحت بالتقوى والقول السديد ، وختمت بالحديث عن فرائض الله التي حملها الإنسان ولم تطق حملها السموات والأرض والجبال .

ومن ثم يتبين أن أهم أهدافها : الحديث عن الأدعياء ، وهدم العادة التي سادت من تحريم حلالهم على من تبنوه ، وامتنان الله - تعالى - على المؤمنين بتحقيق ما وعدهم من النصر والغلبة على المشركين ، وتفصيل ما شرعه الله للمؤمنين في دخول بيوت النبي وتحريم أزواجه عليهم ، وتحديد الآداب الخاصة بأمهات المؤمنين .

١ - يأتيها النبي : استمر على ما أنت عليه من تقوى الله ، ولا تقبل رأيا من الكافرين والمنافقين ، ان الله محيط علما بكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله .

٢ - واتبع الوحي الذي ينزل عليك من ربك ، ان الله الذي يوحي إليك خير بدقائق ما تعمل أنت ويعمل الكافرون والمنافقون .

٣ - وفوض جميع أمورك إلى الله ، وكفى بالله حافظا موكولا إليه كل أمر .

فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَمَا تُحِبُّونَ خَيْرٌ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ مِّنَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ كَتَبَ اللَّهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَا خَشِيَ إِلَهُ كَتَبْتُ فِيكُمْ ذِكْرًا ۗ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّا أَنزَلْنَا بِهِ ۗ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ مِّنَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ كَتَبَ اللَّهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَا خَشِيَ إِلَهُ كَتَبْتُ فِيكُمْ ذِكْرًا ۗ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّا أَنزَلْنَا بِهِ ۗ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٨﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ سَأَلْتُ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَدْرِكُونَ عِلْمَ اللَّهِ أَنِ إِنْ إِيَّانَا فَارِسْنَا عَلَيْهِمْ لَئِنْ لَأُتِيَ بِنَايَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَدْرِكُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

٤ - ما جعل الله لرجل من قلوب في جوفه وما جعل زوجة أحدكم حين يقول لها : أنت على كظهر أمي أما له ، وما جعل الأولاد الذين تتبنوهم أبناء لكم يأخذون حكم الأبناء من النسب . ذلكم - أي جعلكم الادعياء أبناء - قول يصدر من أفواهكم لا حقيقة له . فلا حكم يترتب عليه ، والله يقول الأمر الثابت المحقق ، ويرشدكم إليه ، وهو - وحده سبحانه - يهدي الناس إلى طريق الصواب .

٥ - انسبوا هؤلاء الأولاد لأبائهم الحقيقيين ، هو أعدل عند الله ، فإن لم تعلموا آباهم المنتسبين بحق إليهم فهم اخوانكم في الدين ونصراؤكم ، ولا اثم عليكم حين نسبتهم إلى غير آبائهم خطأ ، ولكن الاثم فيما تقصده قلوبكم بعد أن تبين لكم الأمر . والله يغفر لكم خطاكم ، ويقبل توبة متعمدكم .

٦ - النبي محمد أحق ولاية بالمؤمنين ، وأرحم بهم من نفوسهم ، فعليهم أن يحبوه ويطيعوه ، وأزواجه أمهاتهم في التوقير وحرمة الزواج بهن بعده . وذوو القربات أولى من المؤمنين والمهاجرين بأن يتوارثوا فيما بينهم فرضا في القرآن . لكن يجوز أن تقدموا إلى من واليتم في الدين من غير الأقارب معروفا ، فتعطوه - برا وعطفا عليه - أو توصوا له بجزء من مالكم . كان ذلك التوارث بالأرحام في الكتاب مقرا لا يعتره تبديل .

٧ - واذكر حين أخذنا من النبيين السابقين ميثاقهم - بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم - ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم عهدا عظيم الشأن .

٨ - ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء عما قالوه لقومهم ، وأعد للكافرين بالرسول عذابا أليما .

٩ - يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله وفضلته عليكم ، حين جاءكم الأحزاب يوم الخندق فأرسلنا عليهم ريحا عاصفة باردة وملائكة لم تروها ، نشرت الرعب في قلوبهم ، وكان الله بصيرا بأعمالكم وصدق نياتكم ، فتولى الدفاع عنكم .

إِذْ جَاءَهُمْ وَكَرَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِأَلَلِّهِ
الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا اهْلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَاسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ
الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ

١٠ - حين جاءوكم من أعلى الوادى ومن أسفله ، وحين مالت الأبصار عن مستوى نظرها ، وارتفعت القلوب
إلى منتهى الحلقوم فزعوا واضطرابا ، وأنتم في ذلك الوقت العصيب تذهب بكم الظنون في وعد الله كل مذهب (١) .

١١ - في ذلك الوقت امتحن المؤمنون بالصبر على الإيمان ، واضطربوا بالخوف اضطرابا شديدا .

١٢ - واذكر ما حدث من المنافقين ومرضى القلوب بالريب ، حين يقولون : ما وعدنا الله ورسوله الا وعدا
باطلا قصد به التفرير بنا .

١٣ - واذكر حين قالت طائفة من المنافقين وضعاف العزائم : يا أهل المدينة ، لا وجه لبقائكم هنا في معركة
خاسرة ، فارجعوا إلى منازلكم ، ويستأذن فريق منهم الرسول في الرجوع إلى المدينة ، ويقولون : ان بيوتنا غير
محصنة ، ولا بد لنا من الرجوع لحراستها ، وما كانت بيوتهم معرضة كما يقولون ، وما يريدون الا الفرار من المعركة
بهذا العذر الكاذب .

١٤ - ولو دخلت الأحزاب عليهم المدينة من كل جوانبها ، ثم طلب منهم أن يعلنوا رجوعهم عن الإسلام
ويقاتلوا المسلمين لاستجابوا لما طلب منهم ، وما انتظروا في ذلك الا وقتا قصيرا

١٥ - ولقد كان هؤلاء الفارون من ميدان القتال عاهدوا الله من قبل هذه الغزوة أن يثبتوا في القتال مع
الرسول ولا يفروا . وكان عهد الله مسئولا عن صاحبه ، يجب عليه الوفاء به .

١٦ - قل لهم : لن ينفعكم الهرب ان هربتم من الموت أو القتل ، وقد حضر أجلكم ، وإذا لم يحضر وبقيتم لا
تمتعون في الدنيا الا مدة أعماركم ، وهي قليلة .

(١) ليس المراد بهذا التعبير أن الأعداء جاموا من كل مكان ، وإذا رجعنا إلى تفصيلات الواقعة تبين أن المراد بالذين جاموا من
فوق المسلمين غطفان ومن تابعوها من سكان نجد ، لأنهم جاموا من أعلى الجزيرة شرقا ، وتبين لنا أن الذين جاموا من أسفل المؤمنين
قريش لأنهم قدموا من أسفل الجزيرة غربا .

دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

١٧ - قل لهؤلاء المترددين : من ذا الذي يجيركم من الله ان اراد بكم شرا ، او يمنع الخير عنكم ان اراد بكم رحمة ؟ ولا يجيدون لهم من دون الله مجيرا ولا مغيثا .

١٨ - ان الله يعلم المتبطين منكم والذين يقولون لايخوانهم : انضموا الينا ، ولا ياتون شدة الحرب الا اتيانا قليلا .

١٩ - حرصاء عليكم في الظاهر حيث لا خوف ، فاذا جاء الخوف من قبل العدو او من قبل الرسول - ﷺ - رأيتهم ينظرون اليك ، تدور أعينهم حائرة ، كحال المغشى عليه من سكرات الموت ، فاذا ذهب الخوف بالغوا في نعمكم وشتمكم بالسنة قاطعة ، بخلاء بكل خير . أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم وان اعلنوا اسلامهم فأبطل الله اعمالهم بإضارهم الكفر ، وكان ذلك الاحباط أمرا هينا على الله (١) .

٢٠ - يظن هؤلاء المنافقون أن جيوش الكفار المتحزبة لا تزال مكانها محاصرة المدينة ، وان يأت الاحزاب كرة أخرى يتمن الجبناء ان لو كانوا يعيشون مع الاعراب في البوادي يتسقطون اخباركم ، ولو ظل هؤلاء في معسكرهم ولم يفروا والتحم الجيشان ماقاتلوا معكم الا قليلا للرياء والسمعة .

٢١ - لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة ، لمن كان يرجو رحمة الله ونعيم اليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا في الخوف والرجاء والشدة والرخاء .

٢٢ - ولما رأى المؤمنون الأحزاب المشركين قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من قبل ، فقد وعدنا بالشدائد ثم النصر ، وصدق الله ورسوله ، وما زادتهم هذه الشدائد الا قوة ايمان بالله وحسن تسليم لقضائه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية لم يكن سبيلها معلوما عند نزول القرآن الكريم ، وهي دوران مقلة العين عند اقتراب الموت وعند الخوف . ومن أسباب ذلك أن شدة الخوف تذهب الوعي فيبطل الإدراك فتختل المراكز العصبية اللاواعية في منطقة مهاد المخ فيصير الحائث شبيها بمجاله الذي يغشى عليه من الموت ، إذ تدور مقلة وتوسع حدقته وتثبت على اتساعها حتى يموت .

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۗ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرِحْكِنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أُجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَلْبَسَاءُ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۗ وَكَانَ

٢٣ - من هؤلاء المؤمنين رجال عاهدوا الله على الثبات في القتال مع الرسول ، فوفوا بما عاهدوا ، فتم من نال شرف الاستشهاد ، ومنهم من بق حيا ينتظر أن ينال هذا الشرف ، وما بدلوا عهد الله الذي قطعوه على أنفسهم ، ولا غيروا شيئا منه .

٢٤ - ليجزي الله المؤمنين الصادقين بصدقهم في ايمانهم ووفائهم بعهدهم ، ويعذب المنافقين - ان شاء - أو يوفى المستعد منهم الى التوبة ، ان الله كان غفورا بقبول التوبة ، رحما بالعبء عن المعصية .

٢٥ - ورد الله الكفار المتحزبين على الرسول ممتلئة قلوبهم بالغضب ، لم ينالوا خيرا من نصر أو غنيمة ، وكفى الله المؤمنين مشقة قتالهم بما سلطه عليهم من الريح والملائكة ، وكان الله قويا على تنفيذ ما يريد ، عزيزا لا يقبله غالب .

٢٦ - وأنزل الله الذين عاونوا الأحزاب من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى قريظة - من قلاعهم التي يتحصنون بها ، وألقى في قلوبهم الرعب ، فريقتا تقتلون - وهم الرجال - وتأسرون فريقتا آخر وهو النساء والذراري .

٢٧ - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأها أقدامكم من قبل ، وكان الله - سبحانه - قديرا على تنفيذ كل شيء يريد .

٢٨ - يا أيها النبي : قل لأزواجك - ناصحا لهن - : ان كنتم تردن الحياة الدنيا ومتعتها ، فأقبلن أذعن اليكن ما يخفف وحشة الطلاق ، فيكون متعة لكن ، وأطلقكن طلاقا لا اساءة معه .

٢٩ - وان كنتم تؤثرون حب الله ورسوله ونعيم الدار الآخرة ، وترضين بما أنتم فيه من خشونة عيش ، فان الله أعد لأمتالكن من المحسنات في أعمالهن أجرا لا يقدر قدره .

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتِنَّ فَلَا تُخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِئَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَلِشَعِينَ وَالْخَلِشَعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَلَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْخَلَفِظَاتِ

٣٠- يانساء النبي: من يفعل منكم خطيئة ظاهرة في قبها يضم الى عذابها عذابان، حتى تكون ثلاثة بالقياس الى عذاب غيرها، وكان ذلك التضعيف على الله هينا.

٣١- ومن يدم منكم على الخضوع لله ورسوله، وتعمل صالحا يعطها الله أجرها مرتين، وأعدنا لها في الآخرة رزقا جليل القدر.

٣٢- يانساء النبي: لستن في الفضل والشرف كأحد من النساء، ان أردتن التقوى فلا تتحدثن بكلام فيه طراوة وتكسر، فيطمع فيكن من في قلبه فساد، وليكن قولكن قولا متعارفا غير متكلف.

٣٣- والزمن بيوتكن، لا تخرجن الا للحاجة شرع الله الخروج لقضاها، ولا تظهرن محاسنكن وزينتكن للرجال اذا خرجتن، كما كانت تفعل أهل الجهالة الأولى، وأدين الصلاة كاملة، وأعطين الزكاة، وامثلن أمر الله ورسوله، انما يريد الله بكل ما يأمركن به وينهاكن عنه الشرف والكرامة، لينهب عنكم الاثم والمعصية - يا أهل بيت النبي - يطهركم تطهيرا لا يخالطه شبهة.

٣٤- واحفظن ما يقرأ في بيوتكن من آيات القرآن التي أنزلها الله، وما ينطق به رسول الله من الحكم السديد. ان الله كان عالما بغوامض الاشياء وحفاتها، فاحذرن مخالفتها ومعصية رسوله.



وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۗ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًّا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

٣٥ - ان المتفادين من الرجال والنساء ، والمصدقين بالله ورسوله والمصدقات . والقائمین بالطاعة والقائمات ، والصادقين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم والصادقات ، والصابرين على تحمل المشاق في سبيل الله والصابرات والمتواضعين لله والمتواضعات ، والمتصدقين من ما لهم على المحتاجين والمتصدقات ، والصائمين الفرض والنفل والصالئات ، والحافظين فروجهن عما لا يحل والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات ، أعد الله لهم عفرانا لذنوبهم ونوابا عظيما على أعمالهم .

٣٦ - وما ساغ لمؤمن ولا لمؤمنة إذا حكم الله ورسوله في أمر من الأمور أن يكون له خيار فيه بعد أن حكم الله ورسوله ، ومن يخالف ما حكم به الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعدا ظاهرا .

٣٧ - واذكر اذ تقول لزید بن حارثة الذي أنعم الله عليه بهدایة الاسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعق ، أمسك عليك زوجك - زينب بنت جحش - واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفي في نفسك ما الله مظهره من انه سيطلقها وانك ستزوجها ، وتخاف ان يعيرك الناس . والله هو الجدير بان تخافه ولو كان في ذلك مشقة عليك . فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها تخلصا من ضيق الحياة معها زوجناكها ، لتكون قدوة في ابطال هذه العادة المرذولة ، ولا يتخرج المسلمون بعد ذلك من التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن . وكان أمر الله الذي يريد واقعا لا محالة .

٣٨ - ما كان على النبي من اثم في عمل أمره الله به ، سن الله سنته مع الانبياء من قبل الا يحظر عليهم ما أباح لهم ووسع عليهم ، وكان أمر الله قضاء مقضيا وحكما مثبتا .

وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
 وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
 تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ
 وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ

٣٩ - الذين يلبفون الى الناس رسالات الله كما أنزلها، ويخافونه ولا يخافون أحدا سواه، وكفى أن يكون الله هو الرقيب المحاسب.

٤٠ - ماكان محمد ابا أحد من رجالكم حتى يحرم عليه التزوج من مطلقة، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، عليه ان يودى رسالته كما أمره ربه من غير خشية أحد، وكان الله بكل شيء محيطا علمه.

٤١، ٤٢ - يا أيها الذين آمنوا: اثنوا على الله بضروب الثناء واكثروا من ذلك، ونزهوه عن كل مالا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣ - وهو الذي يتعهدكم برحمته ولطفه، وملائكته تطلب المغفرة والهداية لكم، ليخرجكم الله بذلك من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة، وكان الله بالمؤمنين عظيم الرحمة.

٤٤ - تحيتهم من الله يوم يلقونه أمن وسلام لهم، وهيا لهم على اعمالهم أجرا سخيا يشعرهم بفضله.

٤٥ - يا أيها النبي: انا بعثناك الى الناس برسالة الاسلام، تشهد بالحق، وتبشر المؤمنين بما يكون لهم من خير وثواب، وتنذر الكافرين بسوء المصير.

٤٦ - وداعيا الخلق الى الله بأمره، وسراجا يهدى بنوره الحاضرين في ظلمات الشك.

٤٧ - وبشر المؤمنين بأن لهم مزيدا كبيرا من الخير في الدنيا والآخرة.

٤٨ - ولا تطعم الكافرين والمنافقين، ولا تعبأ بأذاهم، واجعل الله وكيلك يدفع عنك ضرهم وشرهم وحسبك الله وكيلا يكفيك ويغنيك.

ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾
يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجَى مِنَ نِسَاءِ مَنْهِنَّ وَتُعَوِّى
إِلَيْكَ مِنَ نِسَاءٍ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ
بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ لَوْ وَاعَبَجَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

٤٩ - يأياها الذين آمنوا اذا عقدتم على المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تدخلوا بهن ، فليس لكم عليهن
عدة تستوفون عددها ، فأعطوهن شيئا من المال جبرا لحظاظرهن ، واخرجوهن من بيوتكم من غير اضرار بهن .
٥٠ - يا أيها النبي : انا أبجنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن ، وأبجنا لك ما ملكت يمينك من الاماء
بما أنعم الله به عليك ، وأحللنا لك التزوج من بنات عمك وبنات عاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك ، وأحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك بلا مهر ، وأنت تريد نكاحها وترغب فيها ، خلصت لك
هذه الهبة من دون المؤمنين فلا تحل لهم ، قد علمنا ما فرضناه على المؤمنين في أزواجهم وامائهم من أحكام .
وما رخصنا لك فيه دونهم ، لئلا يكون عليك ضيق فيما شرعناه لك . وكان الله غفورا لذنوب عباده ، رحما بالتوسعة
عليهم .

٥١ - تؤخر من نساء منهن في القسم ، وتدنى اليك من نساء ، ومن طلب ممن أخرت قسمها فلا مؤاخنة
عليك ، ذلك التفويض الى مشيئتكم أقرب الى سرورهن وبعد الحزن عنهن ، ويرضين كلهن بما آتيتهن ، والله يعلم
ما في قلوبكم من السخط أو الرضا بما شرع ، وكان الله عليا بما في الصدور ، حلما لا يعاجل بالعقوبة .

٥٢ - لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تطلقهن لتستبدل بهن من النساء من نساء ، ولو أعجبك حسنهن ،
ولكن الله أحل لك ما ملكه يدك من الاماء ، وكان الله مطلقا على كل شيء ، حافظا له .

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِلَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَى الَّذِينَ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٥٣ - بأيا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا في حال اذنه لكم لتناول الطعام ، غير منتظرين وقت ادراكه ، ولكن اذا دعاكم الرسول فادخلوا ، فاذا طعمتم فانصرفوا ، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضكم بعضا ، لان الدخول بدون اذنه واطالة المكث بعد الطعام كان يؤذى النبي فيستحيى أن يطلب اليكم الخروج ، ولكن الله - تعالى - لا يمنعه من الجهر بالحق ما يمنع المخلوقين . واذا سألتهم احدى زوجات النبي - ﷺ - حاجة فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلك أعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان ، وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تزوجوا نساءه من بعده أبدا ، احتراماً له ولهن ، ان ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً (١) .

٥٤ - ان تظهروا شيئاً مما يؤذيه أو تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليماً .

٥٥ - لا اثم على نساء النبي الا يحتجبن من آبائهن ولا أبنائهن ولا اخواتهن ولا أبناء اخواتهن ولا اخواتهن ولا النساء المؤمنات ولا العبيد المملوكين لهن ، لشدة الحاجة اليهم في الخدمة ، واتقين الله فيما أمركن به ، فلا تتجاوزن حدوده ، لانه كان بكل شيء عالماً لا تخفى عليه خافية .

٥٦ - ان الله يرحم نبيه ويرضى عنه ، والملائكة يدعون له . بأيا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

(١) تراجع التعليق العلمي على الآيتين ٥٨ ، ٥٩ من سورة النور في شأن آداب الزيارة وحرمة المساجد .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا
فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أُذُنٌ أَن يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ
السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا

٥٧ - ان الذين يؤذون الله ورسوله بتحديدها والتحرير على الكفر بها طردهم الله في الدنيا والآخرة من رحمته، واعد لهم عذابا يذل كبرياءهم.

٥٨ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب فعلوه، فقد تحملوا وزر كذبهم عليهم، وأتوا ذنبا ظاهر القبح.

٥٩ - يا أيها النبي قل لآزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يسدن على أجسامهن من جلبيبهن، وذلك اللباس على هذا الحال أولى وأحق بأن يعرفن فلا يتعرض لهن بأذى، وكان الله غفورا رحما لمن أقلع عن ذنوبه.

٦٠ - أقسم: ان لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمشيعون للاخبار الكاذبة في المدينة لنسألك عنهم، ثم لا يكون لهم بقاء بجوارك فيها الا زمنا قليلا.

٦١ - مستحقين للعنة والطرده، أينا وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا.

٦٢ - سن الله - تعالى - من قبل فيمن نافقوا الانبياء والمرسلين، وتمردوا، أن يقتلوا أيما وجدوا، ولن نجد لسنة الله تغييرا.

٦٣ - يسألك الناس عن وقت قيام الساعة، قل لهؤلاء: ان علم وقتها عند الله - وحده - وما يدريك لعل وقت قيامها يكون قريبا.

٦٤ - ان الله طرد الكافرين من رحمته، وأعد لهم نارا شديدة الانتقاد.

٦٥ - لا يخرجون منها أبدا، لا يجدون لهم من يتكفل بمحبتهم، ولا من يدفعها عنهم.

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

- ٦٦ - يوم تتقلب وجوههم في النار من حال الى حال ، يقولون - نادمين - : ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول .
٦٧ - وقالوا : ربنا انا اتبعنا رؤساءنا وكبراءنا في الكفر بك وبرسولك ، فأبعدونا عن الطريق المستقيم .
٦٨ - ربنا اجعل عذابهم مضاعفا ، واطردهم من رحمتك طردا كبيرا بمقدار اثمهم وجرمهم .
٦٩ - يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا النبي بأى نوع من الاذى ، كالذين آذوا موسى . من قومه ، فبراه الله
مما نسبوه اليه ، وكان موسى عند الله سيدا ذا جاه .
٧٠ - يا أيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله اذا عصيتموه ، وقولوا قولا مستقيما لا اعوجاج فيه .
٧١ - يوقفكم للعمل الصالح ويمح ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد نال الفوز العظيم ، بالنجاة من العقاب
والحصول على الثواب .
٧٢ - انا عرضنا التكاليف على السموات والارض والجبال فأبين حملها ، وخفن منها ، وحملها الانسان ، انه
كان شديد الظلم لنفسه ، جهولا بما يطيق حمله .
٧٣ - ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويقبل الله توبة المؤمنين والمؤمنات ، والله كثير
المغفرة واسع الرحمة ..



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ

افتتحت هذه السورة باستحقاق الله - وحده - الثناء والمدح على ما أنعم به على عباده فكل ما في السموات والارض له - سبحانه - خلقا وملكا. وتحكى السورة قالة الكافرين في الساعة، واستبعادهم للبعث، ورميهم الرسول بالكذب وبالجنون، ويردهم - سبحانه - الى دلائل قدرته، ويخوفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأشباههم، فيخسف بهم الارض، أو يسقط عليهم قطعا من السماء، ويذكرهم بفعله مع أوليائه، فقد ألان الحديد لداود، ومكن سليمان وسخر له الجن، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وداود وسليمان قد شكرا النعمة، وقليل من عباد الله الشكور، واتبع ذلك بما أنعم الله على سبأ من نعم لم يشكروها، فكان لهم جنتان عن يمين وشمال، فكانت قراهم متقاربة، يسيرون اليها آمنين، فأبطرتهم النعمة، وطلبوا بعد الاسفار، فجازاهم الله بما يجازى به الجاحدين لنعمه، وهم قد حققوا ظن ابليس واتبعوه، وما كان له عليهم من سلطان، وانما هو فتنة تميز المؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها. ثم أخذت السورة تصف من جعلوهم آلهة بالعجز، وتذكر أن كل نفس مسئولة عن جرمها، وتثبت عموم رسالة الرسول، وتنقل استبطاء المشركين ليوم الوعيد، وله وقت معلوم.

وتحكى السورة قول الكافرين في القرآن ومحاوراة المستكبرين والضعفاء، وتضع حدا للفتاخر بالاموال والاولاد، وانها لا تقرب الى الله الا بقدر ماتوجه اليه من نفع عام، فهي ملكه، وهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وتعرض صورا للمشركين، فقد قالوا في رسولهم: انه يريد ان يصدهم عما يعبد آباؤهم، وقالوا فيما نزل عليه من آيات: افك مفترى وسحر مبين. وما أوتوا كتبنا من قبل، وما أرسل اليهم قبلك من رسول، وقد أرسلنا الى من قبلهم ممن علموا قوتهم وعزتهم وأخبارهم، فلما لم يستجيبوا أخذناهم بالعذاب. ويؤمر الرسول - ﷺ - أن يوضح مهمته معهم، وانها التذكير دون الالغاء، ويؤمرون بالنظر في صاحبهم، فابنه جنون، ولا هو طالب لمال، ودعوته للناس الى الحق يوحى من الله - تعالى - ليتحقق لهم الامن، فاذا جاءت الساعة وفزعوا ولا مهرب أخذوا من مكان قريب، وقالوا عند ذلك: آمنا. واني لهم الايمان وقد كفروا من قبل، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأمتهم، انهم جميعا كانوا في شك من أمر الدين موقع في الريبة.

١ - الثناء كله حق لله - وحده - الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتديرا، وله - وحده - الثناء في الآخرة للملكه الشامل، وهو الحكيم الذي لا يخطيء، الخبير الذي لا يغيب عنه سر.

مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّبِّكَ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٌ إِنَّكُمْ لَنِ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

٢ - يعلم كل ما يدخل في أجزاء الأرض كالماء والكتوز والدقائق وأجزاء الموقى ، وكل ما يخرج منها كالحيوان والنبات والمعادن ومياه الآبار والعيون ، ويعلم ما ينزل من السماء كالملائكة والكتب التي يتلقاها الانبياء والمطر والصواعق وما يصعد فيها ويرقى إليها كالملائكة وأعمال العباد والارواح ، وهو الكثير الرحمة العظيم المغفرة .

٣ - وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة الموعودة للبعث والنشور . قل لهم - أيها الرسول - : ستأتيتكم ، وربى لتأتينكم ، عالم الغيب لا يغيب عن علمه قدر ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها الا مسطور في كتاب تام البيان^(١) .

٤ - ليثبت الله الذين آمنوا وعملوا الخير لانفسهم وللناس ، أولئك المؤمنون العاملون لهم من الله مغفرة تحو ذنوبهم ورزق واسع لامن فيه .

٥ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن ، مغالين أمر الله في نصر رسوله ، أولئك لهم عذاب من أسوأ العذاب المؤلم .

٦ - ويعلم الذين من الله عليهم بالعلم أن القرآن الذي أنزل اليك من ربك - بما فيه من عقائد وهداية - هو الحق الذي لا مرية فيه وهو الذى يهدى الى طريق الله الغالب على كل شيء ، المستحق لكل ثناء .

٧ - وقال الكفار بعضهم لبعض - استهزاء بخبر البعث - : هل ندلكم على رجل يحذثكم أنكم اذا متم وفرقت أجسامكم كل فريق أنكم لتبعثون في خلق جديد !؟

(١) الذرة في اللغة العربية : شيء صغير جدا كصغار القمل أو دقيقة الغبار . ومثقال الذرة ، معناه : وزن الذرة وتفيد الآية وجود ما هو أصغر من الذرة ، وجليد بالذکر أن العلم الحديث أثبت انقسام الذرة إلى أصغر منها وهي مكوناتها المعروفة بالنواة والكهارب . وهذا لم يتحقق علميا إلا في القرن العشرين الميلادي .

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ أُورِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَاسْلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرًا وَرَوَّاحِها شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمُ عَن أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَمِثْقَلِ ذَرَّةٍ وَجِفَانٍ كَالْحَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

- ٨ - اختلق هذا الرجل على الله كذبا فيما نسبته اليه من احياء الموتى ، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري ؟
ليس الامر كما زعموا بل الحقيقة ان الذين لا يؤمنون بالآخرة واقعون في العذاب والضلال البعيد عن الحق .
- ٩ - أعموا فلم ينظروا الى ما بين أيديهم وما وراءهم من السماء والارض ، ليعلموا قدرتنا على فعل ما نشاء ؟
ان نشأ نخسف بهم الارض خسفناها بهم ، أو ان نشأ نسقط عليهم قطعا من السماء نسحقهم بها أسقطنها ، ان فيما ذكرنا لدليلا لكل عبد راجع الى ربه في كل أمره .
- ١٠ - والله : لقد أعطينا داود منا فضلا باعطائه الحكمة والكتاب ، وقلنا : يا جبال رددى معه التسبيح اذا سبح ، وسخرنا له الطير ترجع تقديس الله ، وصيرنا له الحديد لينا يشكله كما يشاء (١) .
- ١١ - أوحينا اليه أن اعمل دروعا واسعة تحمى من بأس الاعداء ، وأحكم نسجها بتداخل حلقاتها ، وقلنا له ولآله : اعملوا ما يعود عليكم وعلى غيركم بالخير والصلاح ، افي بكل ما تعملون بصير لا يغيب عنى شيء منه .
- ١٢ - وسخرنا لسليمان الريح ، جريها في أول النهار يعدل السير العادي شهرا ، وجريها في آخر النهار يعدل السير شهرا . واسلنا له معدن النحاس يجرى غزيرا مستعرا ، وسخرنا له من الجن من يعمل امامه بتسخير ربه ، ومن ينحرف من الجن عن أمرنا لهم بطاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة .
- ١٣ - يعملون له ما يريد من مساجد للعبادة وصور مجسمة وقصاع كبيرة كالاخوض واوان للطبخ ثابتات على قواعدها لعظمتها ، وقلنا لآل داود : اعملوا عملا تشكرون به الله شكرا ، وقليل من عبادى من يذكر نعمى فيكثر شكرى .

(١) داود عليه السلام - أحد أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم ، عاش في الفترة التي بين سنة ١٠١٠ و ٩٧٠ ق.م .

مَوْتَهُ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاهُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ

- ١٤ - فلما حكمتنا على سليمان بالموث ما دل الجن على موته الادابة الارض تأكل عساه وهو متكىء عليها ، فلما سقط علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما مكتوا في العذاب الشاق المهين لهم .
- ١٥ - اقسام : قد كان لأهل سبأ في مسكنهم باليمن آية دالة على قدرتنا . حديقتان يحفان ببلدهم عن يمين وشمال ، قيل لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا نعمه بصرفها في وجوهها . بلدتكم بلدة طيبة ذات ظل وثمار ، وربكم كثير المغفرة لمن شكره .
- ١٦ - فأعرضوا عن شكر النعمة وبتروا معيشتهم ، فأطلقنا عليهم السيل الجارف الذي اعقب تصدع السدود ، فأهلكت البساتين ، وبدلناهم بجنتيهم المثمرتين ذواتي ثمر مر ، وشجر لا يشمر ، وشيء من نبق قليل لا اغناء فيه (١) .
- ١٧ - ذلك الجزاء جزيناهم بكفرهم النعمة وعدم شكرها ، وهل نعاقب هذا العقاب الا شديد الكفر بالله وبأفضاله ؟!
- ١٨ - وجعلنا بين مسكنهم باليمن وبين القرى المباركة قرى متقاربة يظهر بعضها لبعض ، وجعلنا نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين من السير لا مشقة معه . وقلنا لهم : سيروا فيها ليلالي وأياما متمتعين بالامن .
- ١٩ - فقالوا - بطرا بنعمة الراحة والامن - ربنا : باعد بين أسفارنا ، فلا تصادف قرى عامرة في طريقنا الى مقاصدنا ، فباعد الله بين أسفارهم ، وظلموا أنفسهم بطغيانهم ، فصيرناهم أحاديث للناس ، وفرقناهم كل فريق ان فيما وقع لهم لعظات لكل صبار على البلاء . شكور على العطاء .
- ٢٠ - ولقد حقق إبليس ظنه عليهم ، فاتبعوه الا فريقا قليلا من المؤمنين .

(١) سيل العرم أو سد مأرب . هو أعظم سدود اليمن ، وقد استطاع هذا أن يحول مساحة قدرها ثلثائة ميل مربع كانت جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه غياضا وبساتين . وآية ذلك هاتان الجنتان ، وقد اختلفت اقوال المؤرخين فيمن بناه ، كذلك تعددت الأقوال في أسباب تدمره .

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۖ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصِمُ بِهِمْ شُرَكَاءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

٢١ - وما كان لابليس عليهم من قوة يخضعهم بها ، ولكن الله امتحنهم ل يظهر من يصدق بالآخرة من هو منها في شك . وربك - أيها النبي - على كل شيء رقيب قائم على كل أمر .

٢٢ - قل - أيها النبي - للمشركين : ادعوا الذين ادعيتهم باطلا انهم شركاء من دون الله ليجلبوا لكم نفعا أو يدفعوا عنكم ضرا ، هم لا يبيحونكم ، لانهم لا يملكون مقدار ذرة في السموات ولا في الارض ، وليس لهم فيها شركة مع الله في خلق أو ملك ، وليس لله من هؤلاء الشركاء المزعومين من يعينه على تدبير شئون خلقه .

٢٣ - ولاتنفع الشفاعة عند الله الا للمستأهلين لمقام الشفاعة ، حتى اذا كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن لهم في الشفاعة ، قال بعضهم لبعض - مستبشرين - : ماذا قال ربكم ؟ ! فيجابون بأنه قال القول الحق باذنه في الشفاعة لمن ارتضى ، وهو - وحده - صاحب العلو والكبرياء ، وبأذن ويمنع من يشاء كما يشاء .

٢٤ - قل - أيها النبي - للمشركين : من يأتيكم برزقكم من السموات والأرض ؟ ! قل لهم - حين لا يبيحون عنادا - : الله وحده هو الذي يرزقكم منها ، واننا معشر المؤمنين أو اياكم معشر المشركين لعل أحد الامرين من الهدى أو الضلال الواضح .

٢٥ - قل لهم - أيها النبي - : لاتسألون عما أذنبنا ولا نسأل عن أعمالكم .

٢٦ - قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بيننا بالحق ، وهو - سبحانه - المحاكم في كل أمر ، العليم بحقيقة ما كان منا ومنكم .

٢٧ - قل لهم : أروني الذين الحقمتم بالله في استحقاق العبادة ، تزعمون شركتهم له ، ليس له شريك ، بل هو الله الغالب على كل شيء ، الحكيم في تدبيره وتصريفه .

إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨ - وما أرسلناك - يا محمد - الا للناس جميعا ، بشيرا للمؤمنين بالخير ، ونذيرا للكافرين بالشر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون صدقك وعموم رسالتك .

٢٩ - ويقول الكافرون - استبعادا لليوم الموعود للجزاء - متى هذا الوعد فندخل النار وتدخولن الجنة ان كنتم صادقين في وعدكم به ؟!

٣٠ - قل لهم أيها النبي : لكم ميعاد يوم عظيم ، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون .

٣١ - وقال الذين كفروا : لن نصدق بهذا القرآن ولا بالكذب التي تقدمت عليه فيما تأمر به وتدعو اليه . ولو ترى - يا من تمكك الرؤية - وقت وقف الظالمين عند خالقهم ومالك أمرهم لرأيت العجيب في موقفهم ، حين يرد بعضهم الى بعض القول ، يقول المستضعفون للمستعبلين عليهم : لولا أنتم - بتسلطكم علينا - لكننا مؤمنين .

٣٢ - قال المستكبرون للمستضعفين - منكرين قولهم - : نحن صددناكم عن الهدى بعد مجيئه لكم ؟! نصدكم عنه ، بل كنتم مؤثرين الضلالة على الهدى .

٣٣ - وقال المستضعفون للمستكبرين : بل تدبيركم ووسوستكم لنا في الليل والنهار أوقعنا في التهلكة ، حين كنتم تطلبون منا أن نكفر بالله ، ونجعل له شركاء ، وأسر الفريقان الحسرة لما رأوا العذاب واقعا بهم ، فعلموا أن لا فائدة من اظهار هذه الحسرة ، وجعلنا الاغلال في أعناق الذين لم يؤمنوا ، هل يستحق هؤلاء الا جزاء ماكانوا يعملون ؟!

٣٤ - وما أرسلنا في قرية من رسول يدعوهم الى الحق الا قال المترفون من أهلها : انا بما جئتم به مكذبون .

٣٥ - وقالوا - متباهين - : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين في الآخرة .

قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُوفِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْهِنَّا أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ

٣٦ - قل لهم - أيها النبي - : ان خالق يوسع الرزق لمن يشاء من العاصين والمطيعين ويضيق على من يشاء ، وليس ذلك دليل رضا أو سخطه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣٧ - وليست أموالكم وأولادكم بالمزية التي تقربكم عندنا قربة ، لكن من ثبت له الايمان وعمل صالحا فأولئك لهم الثواب المضاعف بما عملوا ، وهم في أعلى الجنات آمنون .

٣٨ - والذين يسعون في معارضة آياتنا - محاولين ابطاها وتعجيز أنبيائنا عن تبليغها - أولئك في العذاب محضرون لا يفلتون .

٣٩ - قل - أيها النبي - : ان ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق عليه ، وما انفقتم من شيء فهو يعوضه ، وهو - سبحانه - خير الرازقين .

٤٠ - واذكر - أيها النبي - يوم يحشرهم الله جميعا ، ثم يقول - سبحانه - للملائكة أمام من كانوا يعبدونهم : أهؤلاء خصوكم بالعبادة دوني؟! !

٤١ - قالت الملائكة : نزهك - نزهها - عن أن يكون لك شريك - أنت الذي نواله من دونهم ، وهم واهمون في زعمهم أنهم كانوا يعبدوننا ، بل كانوا خاضعين لتأثير الشياطين الذين زينوا لهم الشرك . أكثرهم بهم مصدقون .

٤٢ - فيوم الحشر لا يملك بعضكم لبعض نفع ولا دفع ضرر ، ونقول للظالمين أنفسهم : ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون .

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرٍ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ خَوْفًا وَبُخًا ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَافًا غَيُوبًا ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِي
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

٤٣ - وإذا تتلى على الكفار آياتنا واضحات الدلالة على الحق قال الكافرون : ما هذا الا رجل يريد أن يمنعكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا القرآن الا كذب مخلق ، وقال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم : ما هذا الا سحر واضح .

٤٤ - وما أنزل الله على العرب من كتب سماوية يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يخوفهم عاقبة جحودهم .

٤٥ - وكذب الذين سبقوا من الأمم أنبياءهم ، وما بلغ مشركو قومك عشر ما آتينا هؤلاء السابقين من قوة وتمكين ، فكذبوا رسلنا ، فكيف كان انكارى عليهم بعنابي لهم ؟!

٤٦ - قل لهم : انما أمركم بمخلة واحدة هي : أن تقوموا - مخلصين لله بعيدين عن التقليد - في البحث بإخلاص لله ، ومتفرقين اثنين اثنين يتعاونان في التأمل ، وواحدا واحدا ينظر بعقل وانصاف ، ثم تتفكروا في أمر صاحبكم - محمد - الذي عاشرقوه وعرفتم سلامة عقله . ما به من جنون حين تصدى لهذا الأمر ، ان هو الا نذير لكم بعذاب شديد مقبل أمامكم .

٤٧ - قل للكفار : أي شيء من أجر طلبته منكم على تبليغ الرسالة فهو لكم ، ما أجرى الذي أنتظره الا على الله ، وهو على كل شيء رقيب مطلع .

٤٨ - قل لهم : ان ربى يرمى بالحق في وجه الباطل فيمحقه ، وهو علام الغيوب لا يخفى عليه سر .

٤٩ - قل لهم : ظهر الإسلام ، وما يستحق الباطل وسيلة تدفع الحق . وما يعيد وسائله السابقة .

قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ءَ وَإِنَّا لَهُمْ
 التَّنَافُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ءَ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

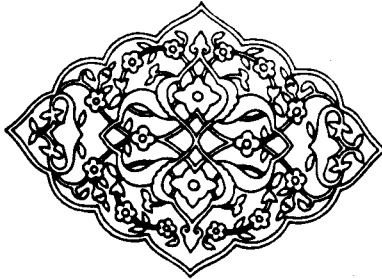
٥٠ - قل لهم : ان انحرفت عن الحق فإنما ضرر ذلك عائد على نفسى ، وان اهتديت فبارشاد ربى ، انه سميع
 لقولى وقولكم ، قريب منى ومنكم .

٥١ - ولو ترى - أيها المبصر - حين فزع الكفار عند ظهور الحق فلا مهرب لهم ، وأخذوا إلى النار من مكان
 قريب .

٥٢ - وقالوا - عندما شاهدوا العذاب - : آمنا بالحق ، وكيف يكون لهم تناول الإيمان بسهولة من مكان بعيد
 عن الدنيا التى انقضت وقتها ؟!

٥٣ - وقد كفروا بالحق من قبل هذا اليوم ، ويرجمون بالظن الباطل من مكان بعيد عن الصواب .

٥٤ - وحيل بينهم وبين ما يشتهون من ايمان ينفعهم ، كما فعل بأشياءهم من قبل عندما آمنوا بعد فوات
 الوقت ، لأنهم - جميعا - كانوا فى شك من الحق موقع فى التهمة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

افتتحت هذه السورة بالثناء على الله خالق السموات والأرض على غير مثال ، جاعل الملائكة رسلا إلى عباده ذوى أجنحة عديدة ، ما يرسله للناس من فضل لا أحد يمنعه ، وما يسكه لا أحد يرسله ، يدعو الناس إلى ذكر النعمة ، اذلا خالق معه يمدهم بالرزق ولا اله معه يصرفون إليه . وكذب القوم دعوتك ، فلك فيمن سبق من الرسل عبرة ، ولك فيما وعدنا من رجعة إينا ما يسليك وواجب على الناس ألا تفهم الدنيا بزخارفها ، ولا يفهم الشيطان وأمره مقصور على دعوة متابعيه إلى التهلكة ، ومن تابعه قاده إلى النار ، ولا يستوى من زين له الشيطان سوء عمله ومن تركه ، وإذا كان شأن الناس ذلك فلا تأسف على عدم إيمانهم ، فن أرسل السحاب وأحيا به الموات ، يحيى الأموات للحساب والجزاء ، ومن أراد المنعة اعتر بالله ، ومن اعتر بغيره أذله ، وأعمال العباد تصعد إليه ، فيقبل عمل المؤمنين ويحبط عمل الكافرين . ودليل قدرته على البعث والنشور أنه خلق الناس من تراب ثم من نطفة ثم جعلهم أزواجا ، وما تحمل من أنثى ولا تضع ألا بعلمه ، خلق العذب والملح ، ومن كل تحصل الارزاق ، وأدخل الليل في النهار وأدخل النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى إلى أجل مسمى ، هذا القادر هو الاله الحق . والذين يدعون من دونه لا يملكون ، وإذا دعوا لا يسمعون ، وإذا سمعوا لا يستجيبون ، ويوم القيامة يكفرون بشرك من أشركوهم مع الله ، وهو عادل يحمل كل نفس عملها ، ويوجه الرسل أن يقصدوا بدعواتهم من يخشون الله ، ووظيفة الرسول انذار قومه ، وما من أمة الا خلا فيها نذير .

وتعود السورة إلى دلائل القدرة ، فالماء تخرج به الثمرات المختلفة ، والجبال طرائق بيض وحمر وسود ، والناس والدواب مختلف ألوانهم ، كل ذلك يحمل على الخشية منه ، ومن يتل كتاب الله الذى أورثه من اصطفاه يدخل الجنة يتمتع بما فيها ، ومن كفر يدخل النار لا يقضى عليه فيها ولا يخفف عنه من عذابها ، يطلب الرجعة إلى الدنيا ليصلح من عمله ، وقد أمهل وقتا يتذكر فيه من تذكر ، وجاءهم النذير . وهو - سبحانه - جعلكم خلائف الأرض ، ويمسك السموات والأرض أن تزولا . وقد أقسم المعاندون : لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى ممن سبقوهم ، فلما جاءهم استكبروا ، فحاق بهم مكرهم ، وما قدروا الله حق قدره ، ولو يؤاخذ الله أهل الأرض بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل ، فإذا جاء فإن الله كان بعباده بصيرا .

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَاِنِّي تُؤْفِكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۗ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

١ - الثناء الجميل حق لله - وحده - موجد السموات والأرض على غير مثال سبق ، جاعل الملائكة رسلا إلى خلقه ذوى أجنحة مختلفة العدد ، اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا . يزيد في الخلق ما يشاء أن يزيد ، لا يعجزه شيء ، ان الله على كل شيء عظيم القدرة .

٢ - ما يرسل الله للناس رحمة - أى رحمة كانت مطرا أو نعمة أو أمنا أو حكمة - فلا أحد يجسبها عنهم ، وما يجبس من ذلك فلا أحد يستطيع أن يطلقه من بعده ، وهو الغالب الذى لا يغلب ، الحكيم الذى لا يخطئ .

٣ - يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بشكرها وتأدية حقها ، وأقروا بما يقع في نفوسكم أنه لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ترسله والأرض بما تخرجه مما به حياتكم . لا اله الا هو يرزق عباده ، فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك في عبادته ؟!

٤ - وان يكذبك كفار قومك فيما جئتهم به من الهدى فاصبر عليهم ، فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا حتى انتصروا ، وإلى الله - وحده - ترجع الأمور كلها .

٥ - بأيها الناس : ان وعد الله - بالبعث والجزاء والنصر - حق ، فلا تخدعنكم الدنيا عن الآخرة ، ولا يخدعنكم الشيطان عن اتباع الرسل ، فيمنينكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية .

٦ - ان الشيطان لكم عدو قديم فلا تتخذوا ، بوعوده ، فاتخذوه عدوا ، انما يدعو متابعيه ليكونوا من أصحاب النار المشتعلة لا يدعوهم لغيرها .

٧ - الذين كفروا بالله ورسله لهم عذاب شديد ، والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم عند الله مغفرة لذنوبهم وأجر كبير على أعمالهم .

٨ - أفقدوا التمييز ، فن زين له الشيطان عمله السيء فرآه حسنا كمن اهتدى بهدى الله فرأى الحسن حسنا والسيء سيئا ! فإن الله يضل من يشاء ممن ارتضوا سبيل الضلال سبيلا ، ويهدى من يشاء ممن اختاروا سبيل الهداية سبيلا . فلا تهلك نفسك حزنا على الضالين وحسرة عليهم ، ان الله يحيط علمه بما يصنعون من شر ، فيجزهم

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّيَ سَحَابًا فُسِقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ
 لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٩ - والله - وحده - هو الذي أرسل الرياح فتتحرك سحباً تراكم من أبخرة الماء ، فسقنا السحاب إلى بلد
 مجذب ، فأحيينا به أرضه بالنبات بعد موتها ، مثل اخراجنا النبات من الأرض نخرج الموتى من القبور يوم
 القيامة^(١) .

١٠ - من كان يريد الشرف والقوة فليطلبها بطاعة الله ، فإن له القوة كلها ، إليه يعلو الكلم الطيب ، ويرفع
 الله العمل الصالح فيقبله ، والذين يدبرون للمؤمنين المكيدات التي تسوءهم لهم عذاب شديد ، وتدبيرهم فاسد ،
 لا يحقق غرضاً ولا ينتج شيئاً .

١١ - والله أوجدكم من تراب ، إذ خلق أباكم آدم منه ، ثم خلقكم من نطفة هي الماء الذي يصب في الأرحام ،
 وهي أيضاً من أغذية تخرج من التراب ، ثم جعلكم ذكراً وإناثاً ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلمه
 تعالى ، وما يمد في عمر أحد ولا ينقص من عمره إلا ما سجل في كتاب ، إن ذلك على الله سهل هين .

١٢ - وما يستوى البحرين في علمنا وتقديرنا وإن اشتركا في بعض منافعها ، هذا ماؤه عذب يقطع العطش
 لشدة عذوبته وحلاوته وسهولة تناوله ، وهذا ملح شديد الملوحة . ومن كل منها تأكلون لها طرياً مما تصيدون من
 الأسماك ، وتستخرجون من الماء المالح ما تتخذونه زينة كاللؤلؤ والمرجان . وترى - أيها المشاهد - السفن تجرى فيه
 شاقة الماء بسرعتها ، لتطلبوا شيئاً من فضل الله بالتجارة ، ولعلكم تشكرون لربكم هذه النعم^(٢) .

(١) يرجع إلى التعليق العلمي على الآية ٥٧ من سورة الأعراف .

(٢) ومن آيات الله التي دعا الناس إلى تعقلها ومن عليهم بها جريان الفلك ومحورها في البحر حسب سنته التي سنّها في الطبيعة وهو
 ما بينه قانون الأجسام الطافية ، وبديهي أن بعض الحلى تستخرج من البحر المالح وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدراً
 للحل أيضاً ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك أما اللؤلؤ فإنه كما يستخرج من أنواع معينة من البحر يستخرج أيضاً من أنواع معينة
 أخرى صدفيات الأنهار . فتوجد الألىء في المياه العذبة في إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان .. إلخ بالإضافة إلى مصائد
 اللؤلؤ البحرية المشهورة . ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلابة كالماس الذي يستخرج من رواسب الأنهار
 الجافة المعروفة بالبرقة . ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باندالاس في بورما العليا ، أما في سيام وفي
 سيلان فيوجد الياقوت غالباً في الرواسب النهرية . ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز .
 ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ومنتشرة في البرازيل وفي روسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسيليكات الألمنيوم ويغلب
 أن يكون أصفر أو بنيا .

الزيركون CIRCUM حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية .

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبَدِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لِأَنْ يَحْمِلَهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ

١٣ - يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل ، بطول ساعات أحدهما وقصرها في الآخر . حسب
أوضاع محكمة مدى الأعوام والدهور ، وسخر الشمس والقمر لمنفعتكم ، كل منها يجرى إلى أجل معين ينتهي إليه .
ذلك العظيم الشأن هو الله مدبر أموركم ، له الملك وحده ، والذين تدعون من غيره آلهة تعبدونها ما يملكون من لفافة
نواة ، فكيف يستأهلون العبادة؟! (١) .

١٤ - ان تدعوا الذين تعبدونهم من دون الله لا يسمعون دعاءكم ، ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوا شيئاً
مما تطلبون ، ويوم القيامة ينكرون اشراككم لهم مع الله ، ولا يخبركم بهذا الخبر من أحوال الآخرة مثل علم به علماً
دقيقاً .

١٥ - يا أيها الناس : أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء ، والله هو الغني - وحده - عن كل خلقه ، المستحق
للحمد على كل حال .

١٦ - ان يشأ الله أهلكم أهلككم تمام قدرته ، ويأت بخلق جديد ترضاه حكته .

١٧ - وما هلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله .

١٨ - ولا تحمل نفس مذنبية اثم نفس أخرى ، وان تدع نفس مثقلة بالذنوب شخصاً ليحمل عنها ، لا يحمل
هذا الشخص من ذنوبها شيئاً ، ولو كان ذا قرابة بها ، لاشتغال كل بنفسه ، ولا يحزنك - أيها النبي - عناد قومك ،
إنما ينفع تحذيرك الذين يخافون ربهم في خلواتهم ، وأقاموا الصلاة على وجهها ، ومن تطهر من دنس الذنوب
فإنما يتطهر لنفسه ، وإلى الله المرجع في النهاية ، فيعامل كل بما يستحق (٢) .

(١) تشير الآية الكريمة إلى أن للشمس أجلاً تنتهي بعده وقد تكون هذه هي النهاية على ما قال به علماء الفلك من أن الشمس تحرق
وقودها الذرى وهو مادة الهيدروجين فتتحول إلى هيليوم وقد يكون أجل الشمس بكارثة كونية .

(٢) يراجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة الزمر: ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
 إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
 تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ
 أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانِهَا كَذَلِكَ إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ - وما يستوى الذى لا يهتدى الى الحق لجهله ، والذى يسلك طريق الهداية لعلمه ، ولا الباطل
 ولا الحق ، ولا الظل ولا الريح الحارة .

٢٢ - ولا يستوى الأحياء بقبول الإيمان ولا الأموات الذين عطلت حواسهم وأغلقت قلوبهم عن سماع الحق ،
 ان الله يهدى من يشاء إلى سماع الحجّة سماع قبول ، وما أنت - أيها النبي - بسماع أموات القلوب بالعناد والكفر ،
 كما أنك لا تسمع الموتى في القبور .

٢٣ - ما عليك الا أن تبلغ وتنذر .

٢٤ - انا أرسلناك - أيها النبي - للناس جميعا بالدين الحق ، مبشرا من آمن به بالجنة ، ومنذرا من كفر به
 بعذاب النار ، وما من أمة من الأمم الماضية الا جاءها من قبل الله من يحدوها عقابه .

٢٥ - وان يكذبك قومك في ذلك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحات
 وبالصحف الربانية وبالكتاب المنير لطريق النجاة في الدنيا والآخرة .

٢٦ - ثم أخذت الذين كفروا أخذًا شديدا ، فانظر كيف كان انكارى لعملمهم وغضبى عليهم ؟!

٢٧ - ألم تر - أيها العاقل - أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر والأصفر
 والحلوه والمر والطيب والخبيث ، ومن الجبال جبال ذوو طرائق وخطوط بيض وحمرة مختلفة بالشدة والضعف وجبال
 لذنوب من يرجع اليه^(١) .

(١) ليس الإعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة هو التوبه فقط بما للجبال من ألوان مختلفه ترجع إلى اختلاف المواد التى تتألف منها
 صخورها من حديد يجعل اللون السائد أحمر أو منجنيز أو فحم يجعله أسود أو نحاس يجعله أخضر وغير ذلك . ولكن الإعجاز هو الربط بين
 إخراج ثمرات مختلفات الألوان يروى شجرها ماء واحد وخلق جبال حمرة وبيضاء ونود ويرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة
 التركيب أصل معينا من باطن الأرض . ويسمى علماء الجيولوجيا بالصهارة والمagma ، وهذه الصهارة الواحدة عندما تنبت فى أماكن
 مختلفه من الأرض وعلى أعماق مختلفه من السطح يعترى تركيبها الاختلاف فتتصلب آخر الأمر فى كتل أو جبال مختلفات المادة والألوان .
 وهكذا فسنة الله واحدة لأن الأصل واحد والفروع مختلفه متباينة وفى هذا مناع وقائدة لبني الإنسان .

مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمْتُؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذُنَّ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِّن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي

٢٨ - ومن الناس والدواب والابل والبقر والغنم مختلف ألوانه كذلك ، في الشكل والحجم واللون . وما يتدبر هذا الصنع العجيب ويحسنى صناعه الا العلماء الذين يدركون أسرار صنعه ، ان الله غالب يخشاه المؤمنون ، غفور كثير المحو لذنوب من يرجع اليه^(١) .

٢٩ - ان الذين يتلون كتاب الله ، متدبرين فيه عاملين به ، وأقاموا الصلاة على وجهها الصحيح ، وأنفقوا بعض ما رزقهم الله سرا وجهرا ، يرجون بذلك تجارة مع الله لن تكسد .

٣٠ - ليوفيههم رهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، بما يربى من حسناتهم ويمحو من سيئاتهم ، انه غفور كثير المحو للهفات ، شكور كثير الشكر للطاعات .

٣١ - والذي أوحينا اليك من القرآن هو الحق الذي لا تحسبه فيه ، أنزلناه مصدقا لما تقدم من الكتب المنزلة على الرسل قبلك ، لاتفاق أصولها ، ان الله بعباده واسع الخبرة والبصر .

٣٢ - ثم جعلنا هذا الكتاب ميراثا للذين اخترناهم من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه بغلبة سيئاته على حسناته ، ومنهم مقتصد لم يسرف في السيئات ولم يكثر من الحسنات ، ومنهم سابق غيره بفعل الخيرات بتيسير الله ، ذلك السبق بالخيرات هو الفوز الكبير من الله .

٣٣ - جزاؤهم في الآخرة جنات اقامة يدخلونها ، يتزنون فيها بأساور من ذهب ولؤلؤا ، وثيابهم في الجنة حرير .

٣٤ - وقالوا وقد دخلوها : الثناء الجميل لله الذي أذهب عنا ما يحزننا ، ان ربنا لكثير المغفرة كثير الشكر .

(١) بعد استعراض تباين الثمرات والجيال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين في تلك الأحوال جميعها وحدة في الأصل : فالثمرات من ماء واحد ، والجيال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها ، ولو فحصت بالمجاهر القوية فإنها في مظاهرها لا تشير إلى شيء مما تكنه من أوجه الاختلاف وإنما هي دقائق وأسرار تحتويها في داخلها (حيناتها أو موزياتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى أن الخصائص الوراثية الكافية في جراثيم النبات والحيوان والإنسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

واحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَبَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۗ أُولَٰئِكَ نُعَذِّبُهُمْ مَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ تَذَكُّرٍ وَجَاءَ كُرَّ النَّذِيرِ ۗ فَذُوقُوا ۗ فَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا ۗ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۗ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا ۗ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُرَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ ۗ بَلْ إِنْ يَعْذُubُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

٣٥- الذى أنزلنا دار النعيم المقيم من فضله لا يصيبنا فيها تعب، ولا يمسننا فيها اعياء.

٣٦- والذين كفروا جزاؤهم المعد لهم نار جهنم يدخلونها، لا يقضى عليهم الله بالموت فيموتوا، ولا يخفف عنهم شيء من عذابها فيستريحوا. كذلك نجزي به كل مهتاد في الكفر مصر عليه.

٣٧- وهم يستغيثون فيها قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غير العمل الذى كنا نعمله فى الدنيا، فيقول لهم، ألم نمنكنكم من العمل ونظلم أعماركم زمنا يتمكن فيه من التدبر من يتدبر، وجاءكم الرسول يحذركم من هذا العذاب؟ فذوقوا فى جهنم جزاء ظلمكم، فليس للظالمين من ناصر ومعين.

٣٨- ان الله مطلع على كل غائب فى السموات والأرض، لا يغيب عن علمه شيء، ولو أجابكم وأعادكم الى الدنيا لعدتم إلى ما نهاكم عنه، انه - تعالى - عليم بخفايا الصدور من النزعات والميول.

٣٩- الله هو الذى جعل بعضكم يخلف بعضا فى تعمير الأرض وتسميرها، وهو حقيق بالشكر لا بالكفر، فمن كفر بالله فعليه وزر كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا بغضا وغبضا، ولا يزيد الكافرين الا خسارانا.

٤٠- قل - أيها النبي للمشركين: أخبروني: أبصرتم حال شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله؟! أخبروني: أى جزء خلقوا من الأرض؟! بل ألم شركت مع الله فى خلق السموات؟! لم نعظم كتابا بالشركة فهم على حجة منه، بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضا بشفاعة الآلهة التى يشركونها مع الله الا باطلا وزخرفا لا يخدع الإضعاف العقول.

مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٤١ - ان الله هو الذي يمنع اختلال نظام السموات والأرض ، ويحفظها بقدرته من الزوال ولئن قدر لها الزوال ما استطاع أحد أن يحفظها بعد الله ، انه كان حلما لا يعجل بعقوبة المخالفين غفور ذنوب الراجعين إليه (١) .

٤٢ - وأقسم الكافرون بالله غاية اجتهادهم في تأكيد يمينهم : لئن جاءهم رسول ينذرهم ليكون أكثر هداية من احدى الأمم التي كذبت رسلها ، فلما جاءهم رسول منهم ينذرهم ما زادهم بإنذاره ونصحه الا نفورا عن الحق .

٤٣ - نفروا استكبارا في الأرض وأنفة من الخضوع للرسول والدين الذي جاء به ، ومكروا مكر السوء - وهو الشيطان الذي قادهم إلى الانصراف عن الدين ومحاربة الرسول - ولا يحيط ضرر المكر السوء الا بمن دبروه ، فهل ينتظرون الا ما جرت به سنة الله في الذين سبقوهم ؟ فلن تجد لطريقة الله في معاملة الأمم تغييرا يطمع هؤلاء الماكرين في وضع لم يكن لمن سبقوهم ، ولن تجد لسنة الله تحويلا عن اتجاهها .

٤٤ - أقعدوا وأنكروا وعيد الله للمشركين ، ولم يسيروا في الأرض فينظروا بأعينهم آثار الهلاك الذي أنزل على من قبلهم عقابا لتكذيبهم الرسل؟! وكان من قبلهم من الأمم أشد منهم قوة ، فلم تمنعهم قوتهم من عذاب الله ، وما كان ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، انه واسع العلم عظيم القدر .

٤٥ - ولو يعاقب الله الناس في الدنيا لعن العقاب ، وما ترك على ظهر الأرض دابة ، لصدور الذنوب منهم جميعا ، ولكن يؤخر عقابهم إلى زمن معين هو يوم القيامة ، فإذا جاء أجلهم المضروب لهم فسيجازهم بكل دقة ، لأنه كان بأعمال عباده بصيرا ، لا يخفى عليه شيء منها . والله أعلم .

(١) تقرر هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وحده خالق السموات والأرض ، يسكنها من الزوال ، فالأجرام السماوية القريبة والبعيدة منا تظهر على القبة السماوية متساكنة وطبقا لنظام بديع خلقه الله سبحانه وتعالى وهو ما أودعه إياها من جاذبية فلا تحيد عنه على مر الزمن والأجيال ويحفظها من الاختلال في التوازن ، والله سبحانه وتعالى هذه القدرة وليست لأحد سواه .

(٣٦) سُورَةُ يَسِّ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ

افتتحت هذه السورة بمحرفين من الحروف التي تتكون منها الكلمات العربية ، وأتبعته بالقسم بالقرآن على أن محمداً - ﷺ - لمن المرسلين ، وأنه على طريق معتدل رسمه القرآن المنزل عليه من العزيز الرحيم ، لينذر به قوما ما أنذر آبائهم من قبل . وأخذت السورة تصور الجاحدين الذين لا ينتفعون بالإنذار ، وتبين أن الإنذار إنما يفيد من اتجه لقبول الذكر وخشى الرحمن ، وأن الله يبعث الموتى ويحصى أعمال العباد . وتسوق السورة مثلاً لكفار مكة يكشف عن الصراع بين الداعين إلى الله وبين المكذبين ، مبينة عاقبة الفريقين . ثم أخذت تعرض من أدلة القدرة الموجبة للإيمان والخوف من وعيد الله الذي سيفاجئهم يوم تجزى كل نفس ما عملت . فأصحاب الجنة يتمتعون ، ولهم ما يشتهون ، وأصحاب النار يطردون ، وهم في قبضة القدرة ، تحتم أفواههم ، وتنطق جوارحهم ، ولو شاء الله لغير صورهم ، فهو الذي يبذل من طال عمره في الدنيا بالقوة ضعفاً وبالعقل خرفاً . وهو الذي عصم نبيه من الخيال والخيال ، فاعلمه الشعر ، وما تنبغى له تلك الصناعة التي يهيم أصحابها في كل واد . ما جاء الا بالذكر الواضح وليد المنطق لا وليد الخيال . وتمضى السورة تذكر فضل الله على عباده ، وأنه سخر لهم الأنعام يملكونها ويركبوها ، ومع هذه النعم المسخرة لمصالحهم يتخذون الأنداد العاجزة ، وتحمم السورة بلفت الإنسان إلى خلقه من نطفة ، فإذا هو خصيم بين الخصومة ، ومن له النشأة الأولى ، ومن يخرج من الشجر الاخضر ناراً ، ومن خلق السموات والأرض قادر على أن يحيى العظام وهى رميم . وأمره يقول للشيء : كن فيكون ، تنزه مالك كل شيء وإليه ترجعون .

١ - يس : حرفان بدئت بهما السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة .

٢ - أقسم بالقرآن المشتغل على الحكمة والعلم النافع .

٣ - انك يا محمد لمن الذين بعثهم الله إلى الناس بالهدى ودين الحق .

٤ - على طريق معتدل ، هو دين الإسلام .

الرَّحِيمِ ⑤ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ⑥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑦ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ⑨ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑩ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ⑪ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ⑫ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ⑬ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ⑭ قَالُوا مَا أَنْتُمْ

٥ - تنزيل القوى الغالب على كل شيء ، الذي لا يستطيع أحد أن يمنعه عما يريد ، الرحيم بعباده ، إذ أرسل إليهم من يرشدهم إلى طريق النجاة .

٦ - لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم الاقربون من قبل ، فهم ساهون عما يجب عليهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو الناس .

٧ - لقد سبق في علمنا أن أكثرهم لا يختارون الإيمان ، فطابق واقعهم ما علمناه عنهم ، فلن يكون منهم الإيمان .

٨ - انا جعلنا المصرين على الكفر كمن وضعت في أعناقهم السلاسل ، فهي تصل إلى أذقانتهم ، وتشد أيديهم برؤسهم وترفعها مع غض أبصارهم ، فلا يستطيعون أن يحركوا الرؤوس ليروا .

٩ - وجعلنا من حرموا النظر في الآيات والدلائل كمن حبسوا بين سدين فغطيت أعينهم فهم لا يرون ما أمامهم وما خلفهم .

١٠ - وسواء عليهم تحذيرك لهم وعدم تحذيرك ، فهم لا يؤمنون .

١١ - انما يفيد تحذيرك من يتبع القرآن ويخاف الرحمن ، وان كان لا يراه ، فبشر هؤلاء بعفو من الله عن سيئاتهم ، وجزاء حسن على أعمالهم .

١٢ - انا نحن نحى الموتى ، ونسجل ما قدموا في الدنيا من أعمال وما أبقوا فيها من آثار بعد موتهم ، وكل شيء أثبتناه في كتاب واضح .

١٣ - واذكر - أيها النبي - لقومك : قصة أهل القرية^(١) فإنها كقصتهم ، إذ ذهب إليهم المرسلون لهدايتهم .

١٤ - أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فقويتاها بثالث ، فقال هؤلاء الثلاثة : انا إليكم مرسلون .

(١) ذكر المفسرون أنها أنطاكية .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
 وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
 قَالُوا طَئِثُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾
 إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي

١٥ - قال أهل القرية - ردا عليهم - : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أوحى الرحمن إلى بشر من شيء ، ما أنتم الا قوم تقولون غير الواقع !

١٦ - قال المرسلون : ربنا الذى بعثنا إليكم يعلم انا إليكم مرسلون .

١٧ - وليس علينا الا أن نبلغ رسالة الله بلاغا واضحا .

١٨ - قال أهل القرية : اننا تشاء منا بكم . ونقسم : ان لم تكفوا عن دعوتكم لزمينكم بالحجارة ، وليصيبنكم منا عذاب شديد الالم .

١٩ - قال المرسلون : شؤمكم معكم بكفركم ، أنن وعظمت بما فيه سعادتكم تشاءوا منا وتهددونا بالعذاب الاليم ؟! لكن أنتم قوم متجاوزون الحق والعدل .

٢٠ - وأقبل من أبعد مكان بالمدينة رجل يسرع نحو أهل المدينة : قال : يا قوم ، اتبعوا المرسلين من الله اليكم .

٢١ - اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجرا على نصحتكم وارشادكم ، وهم مهتدون تنتفعون بهديهم فى سلوك طريق الخير والفلاح .

٢٢ - وأى شيء يعنى أن أعبد الذى خلقنى وإليه - لا إلى غيره - ترجعون ؟!

٢٣ - أأتخذ من دون الله آلهة لا تفيدنى شفاعتهم شيئا ان أرادنى الله بسوء ، ولا يخلصونى منه ان نزل بى ؟!

٢٤ - انى - اذ أتخذ من دونه آلهة - لى ضلال مبين .

٢٥ - انى صدقت بربكم الذى خلقكم وتولى أمركم ، فاسمعوا لى وأطيعون .

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلرَّيْرُوا كَرَّ أَهْلَكَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا
جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَهُ بِأَكْلُونِ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّةً مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِن أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ

٢٦ ، ٢٧ - قيل له - جزاء على إيمانه ودعوته إلى الله - : ادخل الجنة قال - وهو في ظل النعيم والكرامة - :
بأبلى قومي يعلمون بغفران ربي واکرامه لي ، ليؤمنوا كما آمنت .

٢٨ - وما أهلكتناهم بجنود أنزلناها من السماء ، وما كان من سنتنا في اهلاك الأمم أن نزل جنودا .

٢٩ - ما كان هلاكهم الا بصيحة واحدة أرسلناها عليهم ، فإذا هم ميتون كالنار الحامدة !

٣٠ - يا خسارتهم التي تستحق التحسر عليهم ، ما نبعث إليهم برسول الا كانوا منه يسخرون .

٣١ - ألم يعتبروا بالأمم الكثيرة الخالية التي أهلكتها ، انهم لا يعودون كرة أخرى إلى حياتهم الدنيا !

٣٢ - وما كل من الأمم السابقة واللاحقة الا مجموعون لدينا ، مقهورون على الحضور إلينا .

٣٣ - ودليل لهم على قدرتنا على البعث والنشور الأرض المجدبة أحييناها بالماء ، وأخرجنا منها حبا ، فنه
بأكلون .

٣٤ ، ٣٥ - وأنشأنا فيها حدائق وبساتين من نخيل وأعناب ، وشققنا فيها من عيون الماء ما يروى شجرها
ويخرج ثمرها ، ليأكلوا منه ، وما هو من صنع أيديهم ، أفلا يؤدون حق الله عليهم في ذلك بالإيمان والثناء عليه ؟ !

٣٦ - تنزيها لله الذي خلق الأشياء كلها على سنة الذكورة والأنوثة ، من النبات ومن الأنفس ومما لا يعلم
الناس (١) .

(١) الحرف « من » في هذه الآية للبيان ، أى أن الله تعالى جعل الذكور والإناث في مخلوقاته كلها ، سواء في ذلك النباتات
والحيوانات والبشر وما لا يعلمه الناس من الأحياء غير المنظورة .

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ
مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

٣٧- وآية لهم على وجود الله وقدرته الليل نزع عنه النهار الساتر له ، فإذا الناس داخلون في الظلام المشتعل عليهم من كل جانب .

٣٨- والشمس تسير لمستقر لها ، قدره الله زمانا ومكانا ، ذلك تدبير الغالب بقدرته ، المحيط علما بكل شيء .

٣٩- والقمر جعلناه بتدبير منا منازل ، اذ يبدو أول الشهر ضئيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة ، إلى أن يكتمل بدرا ، ثم يأخذ في النقصان كذلك ، حتى يعود في مرآه كأصل العنقود من الرطب إذا قدم فدىق وانحنى واصفر .

٤٠- لا الشمس يتأق لها أن تخرج على نواميسها فتلتحق القمر وتدخل في مداره ، ولا الليل يتأق له أن يغلب النهار ويحول دون مجيئه ، بل هما متعاقبان . وكل من الشمس والقمر وغيرها يسبح في فلك لا يخرج عنه (١) .

٤١- وآية أخرى لهم أنا حملنا بني الإنسان في السفن المملوءة بهم وبأمتعتهم وأرزاقهم .

٤٢- وخلقنا لهم من مثل الفلك ما يركبونه كذلك .

٤٣- وان نرد اغراقهم بما كسبوا نغرقهم ، فليس لهم مغيث ، ولا هم ينجون من الهلاك .

٤٤- لكننا لا نغرقهم رحمة منا بهم ، ولتنتعمهم إلى أجل مقدر .

(١) ان هذه الآيات الكريمة تبين معاني وحقائق علمية لم يتعرف عليها العلماء إلا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي . والشمس هي إحدى نجوم السماء ، وهي كسائر النجوم ولها حركتها الذاتية ، ولكنها تتميز عن النجوم الأخرى لقربها من الأرض وبأن لها مجموعة من الكواكب والأقمار المذنبات والكويكبات تنبعا دائما وتخضع لقوة جاذبيتها حيث تجعلها من حولها في مدارات متتابعة بوضاوية الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية . والخلاصة أن الشمس والأرض والقمر وسائر الكواكب والأجرام تجرى في الفضاء بسرعة محدودة وفي اتجاه محدود ويلاحظ أن الشمس وبمجموعتها والنجوم القريبة منها تقع في داخل سديم عظيم تمتد في السماء يسمى بسديم الجرة ، وقد تبين من الدراسات الحديثة أن سائر أجزاء السديم تدور حول المركز بسرعة تتناسب وعكس بعدها على المركز . كما اتضح أيضا أن الشمس والأرض وكواكبها والنجوم القريبة منها تدور بسرعة ، وفي اتجاه محدود ، تبلغ هذه السرعة حوالي ٧٠٠ كيلومتر في الثانية ، وتم دورتها حول المركز في مدى حوالي ٢٠٠ مليون سنة ضوئية .

وصفوة القول أن الآية الكريمة التي تنص على أن الشمس تجرى لمستقر لها لم يتعرف على معانيها العلماء إلا في أوائل هذا القرن ولا يمكن أن تدرك الشمس القمر ، لأن كلا منهما يجرى في أفلاك متوازية فيستحيل أن تتقابلا كما يستحيل أن يسبق الليل النهار حيث يتطلب ذلك أن تدور الأرض حول محورها من الشرق إلى الغرب بدلا من اتجاهها الحالي مع الغرب نحو الشرق . والقمر خلال دورته حول الأرض ودورة الأرض حول الشمس يمر بمجموعات من النجوم تسمى بمنازل القمر . وفي الربع الأول والأخير من الشهر يظهر القمر شكله كالعرجون القديم . أي يصير كالسبابة إذا قدمت ويبست وأعوجت .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَسَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا لَوْلَيْلَانَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

٤٥ - وإذا قيل لهم : خافوا مثل ما جرى للامم الماضية بتكذيبهم ، وخافوا عذاب الآخرة الذي تتعرضون له بإصراركم على الكفر - رجاء أن يرحمكم ربكم إذا اتقيتموه - أعرضوا .

٤٦ - وما تجيبهم من حجة من حجج ربهم ، دالة على وحدانية الله وقدرته الا كانوا عنها منصرفين .

٤٧ - وإذا قيل لهم أنفقوا على الفقراء مما رزقكم الله ، قال الكافرون للمؤمنين : أنطعم من لو أراد الله اطعامه ، فعاند بهذا مشيئة الله ، ما أنتم - أيها الداعون إلى الإنفاق - الا في عمى واضح عن الحق .

٤٨ - ويقولون للمؤمنين - استهزاء بهم - : متى يقع هذا الذي وعدتمونا به ، ان كنتم صادقين فيما وعدتم ؟ !

٤٩ - ما ينتظرون الا صوتا واحدا يقضى عليهم بقتة ، وهم يتنازعون في شئون الدنيا ، غافلين عن الآخرة .

٥٠ - فلا يستطيعون - لسرعة ما نزل بهم - أن يوصوا بشيء ، ولا أن يرجعوا إلى أهلهم .

٥١ - ونفخ في الصور نفخة البعث ، فإذا بالأموات يخرجون من قبورهم مسرعين للقاء الله . والصور والنفخ فيه مما استأثر الله بعلمه .

٥٢ - قال المبعوثون من القبور : يا هول ما ننتظرنا ، من أيقظنا من نومنا ؟ ! ويحضرهم جواب سؤالهم : هذا يوم البعث الذي وعد الرحمن به عباده ، وصدق المرسلون فيما أخبروا عنه .

٥٣ - ما كانت دعوتهم إلى الخروج الانداء واحدا ، فإذا هم مجتمعون لدينا ، محضرون لحسابنا .

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
فَكَهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَّا أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا

٥٤ - في هذا اليوم لا تنقص نفس أجر شيء مما عملته ، ولا تلقون الا الجزاء ما كنتم تعملون من خير أو شر .

٥٥ - ان أصحاب الجنة في هذا اليوم مشغولون بما هم فيه من نعيم ، معجبون به فرحون .

٥٦ - هم وأزواجهم في ظلال سابعة ، على السرر المزينة متكفون .

٥٧ - لهم في الجنة فاكهة من كل أنواعها ، وهم فيها كل ما يطلبون .

٥٨ - يقال لهم : سلام قولا صادرا من رب رحيم .

٥٩ - ويقال للمجرمين في هذا اليوم : اعتزلوا عن المؤمنين .

٦٠ - ألم أوصكم - يا بني آدم - ألا تطيعوا الشيطان طاعة المعبود ، انه لكم عدو بين العداوة ؟ !

٦١ - وأن أفردوني بالعبادة ، فافرادى بها طريق عظيم في استقامته .

٦٢ - ولقد أغوى الشيطان منكم خلقا كثيرا . أغفلتم عن ذلك ، فلم تكونوا تعقلون حين أطمعتموه ؟ !

٦٣ - يقال لهم : هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا ، جزاء كفركم .

٦٤ - ادخلوها ، وقاسوا حرها في هذا اليوم بكفركم .

٦٥ - اليوم نغطي على افواههم فلا تنطق ، وتكلمنا أيديهم ، وتنطق أرجلهم شاهدة عليهم بما كانوا يعملون .

٦٦ - ولو نشاء عاهم في الدنيا لأعميناهم فتسابقوا الى الطريق السلوك لهم فاستطاعوا رؤيته ، فكيف

يبصرونه وقد أعميناهم !

أَسْتَطْعَمُوا مِضْيَاً وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعِمْرَهُ نُنَكِّسُهُ فِي أَخْلَاقِي أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ

٦٧ - ولو نشاء تغيير صورهم لغيرناهم الى صور قبيحة ، على ما لهم من قوة ومزلة ، فيما استطاعوا مضيا الى الأمم ، ولا هم يرجعون الى الوراء ، لأننا أبطالنا قواهم .

٦٨ - ومن نطل عمره نرده من القوة الى الضعف ، أفلا يعقلون قدرتنا على ذلك ليعلموا أن الدنيا دار فناء وأن الآخرة هي دار البقاء ؟ (١) .

٦٩ - وما علمنا رسولنا الشعر ، وما يصح - لمكانته ومزله - أن يكون شاعرا . ما القرآن المنزل عليه الا عظة وكتاب سماوى واضح ، فلا مناسبة بينه وبين الشعر .

٧٠ - ليخوف من كان حى القلب مستنير العقل ، وتجب كلمة العذاب على الجاحدين به ، المنكرين لهديه .

٧١ - أعمى الكافرون ولم يروا أننا خلقنا لهم مما صنعت قدرتنا انعاما (٢) فهم مالكون لها ، يتصرفون فيها كما يشاءون ؟ !

٧٢ - وأخضعناها لهم ، فنها مايركبون ، ومنها ما يأكلون .

٧٣ - ولهم فيها ما ينتفعون به من أصوافها واوبراها وأشعارها وجلودها وعظامها ، ومشارب من ألبانها ، أينسون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها ؟ !

٧٤ - واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ، رجاء أن تنصرهم .

٧٥ - لا يستطيع الآلهة نصرهم ان أراد الله بهم سوءا ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، وهم لآلهتهم العاجزة جند معدون لخدمتهم ودفع السوء عنهم .

(١) ومن نطل عمره نرده الى عكس ما كان عليه من القوة فيصبح ضعيفا ، وذلك لأن حياة الإنسان تأخذ ثلاث مراحل ، نمو ونضج وضهور النسيج المشوى فى الكلى والكبد والعدة الدرقية والبنكرياس ، وهذا له أثر فى إضعاف الجسم كله . وتبدأ كذلك الشرايين فى التصلب والضمور وبذلك يقل الدم الداخلى الى جميع أعضاء الجسم فيزيد ضعفا على ضعف ومن أسباب الشيخوخة زيادة قوى الهدم على قوى البناء فى الجسم Metabolism وذلك أن خلايا الجسم كلها فى تغير مستمر وكذلك خلايا الدم ما عدا خلايا المخ والنخاع فإنها لا تتغير مدى الحياة ، فإذا كانت نسبة تجديد الخلايا كنسبة هلاكها لا تظهر الأعراض ، أما إذا زادت نسبة هلاك الخلايا على تجديدها فى أى عضو ظهر ضمور هذا العضو . وعلى ذلك فكلمة تقدم السن تضاهلت نسبة التجدد وزادت نسبة الانحلال المحلوى وظهر الضمور العام . وتختلف نسبة التجدد والضمور باختلاف نوع الأنسجة . فالظاهر منها كالبشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد تضر بنسبة أكبر كلما تقدمت السن بالإنسان ، وهذا هو السبب المباشر لأعراض الشيخوخة .

(٢) الإبل والغنم والبقر .

وَمَا يُعَلِّمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَىٰ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٦- فلا يحزنك قولهم في الله بالالحاد وفيك بالتكذيب ، انا نعلم ما يخفون وما يعلنون ، فنجازهم عليه .

٧٧- أجدد الانسان وجود الله وقدرته . ولم ير أنا خلقناه - بعد العدم - من نطفه مهينة ؟ ! فإذا هو شديد
المخصومة مبین لها ، ملعن عنها .

٧٨- وساق لنا هذا الخصيم المبین مثلا ينكر به قدرتنا على احياء العظام بعد أن تبلى ، ونسى خلقنا اياه بعد
أن لم يكن ، قال منكرنا مستبعدا قدرتنا على ذلك : من يحيى العظام وهى رميم ؟ !

٧٩- قل - يا محمد - : يحيىا الذى أنشأها أول مرة ، فى استطاعة من بدأ أن يعيد ، وهو عظيم العلم بكل
ما خلق ، فلا يعجزه جمع الأجزاء بعد تفرقها .

٨٠- الذى خلق لكم من الشجر الأخضر - بعد جفافه - وييسه - ناراً (١) .

٨١- أفقدوا عقولهم ولم يعلموا أن الذى خلق السموات والأرض - مع عظم حجمها - قادر على إعادة خلق
الناس مع صغرهم وضعف شأنهم ؟ ! بلى - أى هو القادر - وهو الكثير الخلق ، المحيط علمه بكل شئ .

٨٢- إنما شأنه فى الخلق اذا أراد ايجاد شئ أن يقول له : كن . فيكون ويوجد فى الحال .

٨٣- فتزئها للذى بقدرته ملك كل شئ - خلقا وتدييرا وتصرفا - عما لا يليق بذاته - تعالى - واليه وحده
تعودون ، فيحاسبكم على أعمالكم .

(١) ان طاقة الشمس تنتقل إلى جسم النبات بعملية التمثيل الضوئى ، إذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة الخضراء فى النبات
« الكلوروفيل » ثانى أكسيد الكربون من الجو ، وتتفاعل هذا الغاز مع الماء الذى يمتصه النبات تنتج المواد « الكربوهيدراتية » بتأثير الطاقة
المستمدة من ضوء الشمس ومن ثم يتكون الخشب الذى يتركب أساسيا من مركبات كيميائية محتوية على الكربون و« الهيدروجين »
والأكسجين ، ومن هذا الخشب يتكون الفحم النباقي المستعمل فى الوقود ، إذ بإحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه وينتفع بها فى
الطهى والتدفئة والإنارة وتسخين الماء وفى كثير من الأغراض . وما الفحم الحجري الخشبي إلا نباتات وأشجار نشأت وتمت على النحو
السابق وكبرت بفعل عملية التمثيل الضوئى أو الكلوروفيل ثم دفنت بطريقة ما وتحولت بالتحلل الجزئى بعد مضي ملايين السنين إلى الفحم
المذكور تحت تأثير فعل العوامل الجيولوجية كالحرارة أو الضغط وغيرها . ويجب أن يلاحظ أن لفظ الإخضرار فى الآية ووصف الشجر
بهذا اللون لم يكن عفوا ، إنما هو إشارة إلى مادة الكلوروفيل الأخضر اللازمة لتمثيل غاز ثانى أكسيد الكربون .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ

بدأت هذه السورة بالقسم بطوائف من خلق الله لها صفة الصف والزجر والتلاوة على ان الله واحد ، والآيات شاهدة بذلك ، فهو رب السموات والأرض وما بينها ورب المشارق ، الذي زين السماء الدنيا بالكواكب ، وجعلها محفوظة من مارد خارج عن طاعة الله . وبعد تقرير عقيدة التوحيد أتبع ذلك بتقرير عقيدة البعث ، وهددت المرتابين فيه بأنه سيفاجنهم وهم ينظرون ، وسأقت أدلة امكانية وسهولة وقوعه ، وهم يوم يرونه يقولون : هذا يوم الدين ، ويقال لهم : هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون . ويحشر الظالمون وما كانوا يعبدون ، ويسألون ويتحاجون ، ويحمل بعضهم بعضا اثم ما أصابه ، وهم جميعا في العذاب مشتركون ، فقد استكبروا عن توحيد الله ، ورموا رسولهم بالحبال والجنون ، مع أنه جاءهم بالحق ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به عن الله . والمؤمنون المخلصون يتمتعون بأنواع النعيم ، ويتذكرون نعم الله ، ويطلعون على قرناء السوء فيرونهم في سواء المحميين ، فيحمدون الله نعمة عصمتهم ونجاتهم من دعوتهم . وبعد ذلك أخذت السورة تصف منازل الظالمين ومنازل المؤمنين . واتبع ذلك بسرد أخبار المرسلين تسليية لرسول الله وعظة لقومه الجاحدين . وبعد قصص تعددت وقائمه واختلفت أزماته وأشخاصه - بين فيه منزلة الرسالة والمرسلين - نقضت السورة مزاعم المشركين من أن الله البنات ولهم البنين ، وانه جعل الملائكة اناثا ، وأن بينه وبين الجنة نسيبا . تنزه الله عما يصفون ، وعباده هم المنصورون ، وجنده هم الغالبون ، وعذابه يسيء صباح المنذرين ، وختمت السورة بتزويه رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

١ - أقسم بطوائف من خلق ، تصطف بنفسها صفا محكما في مقام العبودية والانقياد .

٢ - فالمنعمات للمتجاوز حدوده منعا شديدا ، يبق النظام ويحفظ الأكوان .

٣ - فالتاليات للآيات ، يذكرون الله ذكرا بالتسبيح والتمجيد .

٤ - ان الهكم المستوجب للعبادة لواحد ، لا شريك له في ذات أو فعل أو صفة .

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنْ أَرَادْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
 مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ
 خَطِفَ الْخَطِفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنْ أَرَادْنَا خَلْقَهُمْ مِنْ طِينٍ

٥- هو - وحده - خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبر الأمر، ومالك المشارق لكل ماله مشرق (١).

٦- إنا حسنا السماء القريبة من أهل الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المختلفة الأحجام والأوضاع في محيط الكون في رأى العين.

٧- وحفظناها حفظا محكما من كل شيطان عات متمرد.

٨- لا يمكن عتاة الشياطين من التسمع الى ما يجري في عالم الملائكة، ويرمون من كل بما يدفعهم.

٩- يطردون طردا عنيفا عن الوصول الى تسمع أخبار السماء، ولهم عذاب شديد دائم في الآخرة.

١٠- الا من اختلس الكلمة من أخبار السماء، فإننا نتبعه بشعلة من النار تثقب الجو بضوئها فتحرقه.

(١) الله خالق السموات السبع وما بينها من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها.. وهو القيم المهيمن كذلك على مواضع شروق الشمس وشروق سائر النجوم، فهو الذى يظهرها كل يوم في موضع في الأفق الشرقى يختلف عن الموضع الذى أظهرها منه في اليوم السابق، وذلك بما سنه في النظام الشمسى من قوانين حين تدور الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق كل يوم مرة وتجرى في فلكها الاهليجى حول الشمس في الوقت نفسه.

وتبدو الشمس والنجوم لسكان الأرض كل يوم بدوران الأرض حول محورها مشرقة في مواضع مختلفة، وكلما غيرت الأرض موضعها في رحلتها على القبة السماوية بدت مشرقة من مواضع مختلفة، فإذا رصدت الشمس بانتظام ابتداء من أواخر مارس أى في الاعتدال الربيعى «ومن نصف الكرة الشمالى» فإنها ترى وهي تشرق في نقطة في الشرق على الأفق، وكلما مر يوم رآها الراصد تشرق في نقطة أقرب إلى الشمال. وفي أواخر يونيو ترى مشرقة في مكان هو نهاية اقترابها من الشمال ثم تبدو الشمس بعد ذلك وهي تقفل راجعة متبعة نفس التغيرات حتى أواخر سبتمبر (عند الاعتدال الخريفي) حيث ترى مشرقة من المكان الذى أشرقت منه عند الاعتدال الربيعى، ثم تبدو بعد ذلك مستمرة في الحركة نحو الجنوب حيث ترى مشرقة في أقرب نقطة إلى الجنوب في أواخر ديسمبر، ثم تأخذ في الرجوع ظاهريا نحو الشمال حيث تكمل دورتها في الاعتدال الربيعى التالى، ويستغرق ذلك كله ٣٦٥ يوما وربع يوم، ويلاحظ أن النجوم ترى كذلك مشرقة في مواضع مختلفة في الأفق الشرقى أثناء رحلة الأرض إلى القبة السماوية خاصة نجوم الأبراج الاثني عشر التى تنتقل الشمس فيها على مدار السنة.

لَأَرْبِ ١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ١٤) وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٥) أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ١٦) أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧) قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ ذَاخِرُونَ ١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ١٩) وَقَالُوا يَلْوِيْلُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ٢٠) هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢١) * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢) مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ

١١ - فاستخبر - أيها النبي - المنكرين للبعث والمستبعدين لحصوله : أهم أصعب خلقنا أم من خلقنا من
 السموات والأرض والكواكب وغير ذلك !؟

إنا خلقناهم من طين لاصق بعضه ببعض ، فلم يستبعدون اعادةهم !؟

١٢ - بل عجبت - أيها النبي - من انكارهم للبعث مع قيام الأدلة على قدرة الله - وهم يسخرون من تعجبك
 وتقريرك له .

١٣ - واذا وجهوا بأدلة قدرة الله على البعث لا يلتفتون ولا ينتفعون بدالاتها .

١٤ - واذا رأوا برهانا على قدرة الله دعا بعضهم بعضا الى المبالغة في الاستهزاء به .

١٥ - وقال الكافرون في الآيات الدالة على القدرة : ما هذا الذي نراه إلا سحر واضح .

١٦ - ائذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أننا لخرجون من قبورنا أحياء !؟

١٧ - أنحيا ويبعث أبائنا الأولون الذين ماتوا قبلنا فبادوا وهلكوا !؟

١٨ - قل - أيها النبي - لهم : نعم ستبعثون جميعا وانتم أذلاء صاغرون .

١٩ - فانما البعثة صيحة واحدة فإذا هم أحياء ينظرون ما كانوا يوعدون .

٢٠ - وقال المشركون - ياهلاكنا ... هذا يوم الحساب والجزاء على الأعمال .

٢١ - فيجابون : هذا يوم القضاء والفصل في الأعمال الذي كنتم به في الدنيا تكذبون .

٢٢ ، ٢٣ - اجمعوا - ياملانكى - الظالمين أنفسهم بالكفر وازواجهم الكافرات وأهتهم التي كانوا يعبدونها من

دون الله من الأوثان والأنداد ، فعرفوهم طريق النار ليسلكوها .

٢٤ - واحبسوهم في هذا الموقف ، انهم مسئولون عن عقائدهم وأعمالهم .

٢٥ - مالكم - أيها المشركون - لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تتناصرون في الدنيا !؟

مُسْتَسْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمَّا
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَٰئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَنخَرِينَاكَ إِنَّا كُنَّا غُلُوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوَاءِ الْهِنَا لِشَاعِرٍ
مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ

٢٦ - لا يتناصرون في هذا اليوم، بل هم متقادون مستسلمون لأمر الله .

٢٧ - وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون، ويسأل بعضهم بعضا عن مصيرهم السيئ .

٢٨ - قال الضعفاء للذين استكبروا: انكم كنتم تأتوننا عن الناحية التي نظن فيها الخير واليمن، لتصرفونا عن

الحق الى الضلال .

٢٩ - قال المستكبرون: لم نصرفكم، بل أنتم أبيتم الايمان وأعرضتم عنه باختياركم .

٣٠ - وما كان لنا من تسلط عليكم، نسلبكم به اختياركم، بل كنتم قوما خارجين على الحق .

٣١ - فحق علينا كلمة ربنا: انا لذائقون العذاب يوم القيامة .

٣٢ - فدعوناكم الى الغي والضلال فاستجبتم لدعوتنا، إن شأننا التحايل لدعوة الناس الى ما نحن عليه من

الضلال، فلا لوم علينا .

٣٣ - فإن الأتباع والمتبعين يوم القيامة في العذاب مشتركون .

٣٤ - إن مثل ذلك العذاب نعمل بالذين أجرموا في حق الله بالشرك وفعل المعاصي .

٣٥ - إن هؤلاء كانوا إذا قيل لهم: لا اله الا الله يأبون الاقرار بذلك تكبرا واستعظاما .

٣٦ - ويقولون: نحن نترك عبادة الهتنا لقول شاعر متخيل مستور العقل؟ !

٣٧ - بل جاءهم رسوهم بالتوحيد الذي دعا اليه جميع الرسل، وصدق بذلك دعوة المرسلين .

٣٨ - انكم - أيها المشركون - لذائقون العذاب الشديد في الآخرة .

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أءِذَا مِتْنَا

٣٩- وما تلقون من جزاء في الآخرة إلا جزاء عملكم في الدنيا.

٤٠- إلا عباد الله المخلصين، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل إيمان وطاعة.

٤١- هؤلاء المخلصون لهم في الآخرة رزق معلوم عند الله.

٤٢- فواكه متنوعة، وهم مرفهون معظمون.

٤٣- في جنات النعيم.

٤٤- يجلسون فيها على سرر يقابل بعضهم بعضاً.

٤٥- يطوف عليهم ولدان بآباء فيه شراب من منابع جارية لا تنقطع.

٤٦- بيضاء عند مزجها، شهية للشاربين.

٤٧- ليس فيها غائلة الصداع تأخذهم على غرة، ولا هم بشرها يذهب وعيهم شيئاً فشيئاً.

٤٨- وعند هؤلاء المخلصين في الجنة حوريات طبعن على العفاف، قد قصرن أبصارهن على أزواجهن، فلا يتطلعن لشهوة ضالة، نجل العيون حسانها.

٤٩- كأن قاصرات الطرف بيض النعام، المصون بأجنحة، فلم تمسه الأيدي، ولم يصبه القبار.

٥٠- فأقبل بعض هؤلاء المخلصين على بعض يتساءلون عن أحوالهم. وكيف كانوا في الدنيا؟

٥١- قال قائل منهم عند ذلك: انى كان لى صاحب من المشركين، يجادلنى فى الدين وما جاء به القرآن الكريم.

٥٢- يقول: أئنك لمن الذين يصدقون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء؟!

وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
 تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْتُمْ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ تَأْتُونَ الْقَالَ أَلَا مَوْتَنَا
 الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٩﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَذَلِكَ
 خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوِمِ ﴿٦١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾
 طَلَعَهَا كَأَنَّهَا رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٤﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَاكُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ إِنْ هُمْ عَلَيْهَا لَشُوبًا مِمَّنْ

٥٣ - أبعاد أن نفى ونصير تراباً وعظاماً نجما مرة أخرى ، لنحاسب ونجازى على ما قدمنا من عمل ؟!

٥٤ - قال المؤمن لجلسائه : هل أنتم يا أهل الجنة مطلعون على أهل النار ، فأرى قريبي ؟ .

٥٥ - ودار يبصره نحو النار ، فرأى صاحبه القديم في وسطها ، يعذب بنارها .

٥٦ - قال حينما رآه : تالله ان كدت في الدنيا لتهلكني لو أظعتك في كفرتك وعصيانك .

٥٧ - ولولا نعمة ربي يهدايته وتوفيقه لي إلى الايمان بالله والبعث لكنت مثلك من المحضرين في العذاب .

٥٨ ، ٥٩ - نحن مخلدون منعمون في الجنة ، فلا نموت أبداً غير موتتنا الأولى في الدنيا ، وما نحن بمعذبين بعد

دخولنا الجنة ؟ ..

٦٠ - ان هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة هو الفوز العظيم ، والنجاة الكبرى مما كنا نحذر في

الدنيا من عقاب الله .

٦١ - لنيل مثل ما حظى به المؤمنون من الكرامة في الآخرة ، فليعمل في الدنيا العاملون ، ليدركوا

ما أدركوا .

٦٢ - أذلك الرزق المعلوم المد لاهل الجنة خير أم شجرة الزقوم المعدة لأهل النار؟ .

٦٣ - انا جعلنا هذه الشجرة محنة وعذاباً في الآخرة للمشركين .

٦٤ - انها شجرة في وسط الجحيم ، غذيت من النار ومنها خلقت .

٦٥ - ثمرها قبيح المنظر ، كرهه الصورة ، تنفر منه العيون كأنه رهوس الشياطين التي لم يرها الناس ، ولكن

وقع في وهمهم شفاعتها وقبح منظرها .

٦٦ - فانهم لا يكونون من هذه الشجرة فالتون من طلوعها بطونهم ، إذا لا يجدون غيرها ما يأكلون .

حَمِيمٍ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِإِلَىٰ الْجَحِيمِ ﴿٧٨﴾ إِنَّهُمْ الْفَوَءَاءُ آبَاءُهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨١﴾

٦٧ - ثم ان هؤلاء المشركين على ما يأكلون من الزقوم لخلطا ومزاجا من ماء حار يشوى وجوههم ، وتقطع منه أمعاؤهم .

٦٨ - ثم ان مصيرهم إلى النار ، فهم في عذاب دائم ، إذ يوقى بهم من النار إلى شجرة الزقوم ، فيأكلون ثم يسقون ، ثم يرجع بهم إلى محلهم من الجحيم .

٦٩ ، ٧٠ - انهم وجدوا آباءهم ضالين ، فهم يسرعون الخطى على آثارهم ، ويستعجلون السير في طريقهم ، مقلدين لا متبصرين ، كأنهم يزعجون ويخنون على الاسراع إلى متابعة الآباء من غير تدبر ولا تعقل .

٧١ - ولقد ضل عن قصد السبيل وطريق الايمان قبل مشركى مكة أكثر الامم الخالية من قبلهم .

٧٢ - ولقد أرسلنا في هذه الامم الخالية رسلاً ينذروهم ويخوفونهم عذاب الله فكذبوهم .

٧٣ - فانظر - يامن يتأتى منك النظر - كيف كان مآل الذين أنذرتهم رسلكم ؟! لقد أهلكوا ، فصاروا عبرة للناس .

٧٤ - لكن هناك مؤمنون استخلصهم الله لعبادته ، لينالوا فضل كرامته ، ففازوا بثوابه ، ونجوا من عذابه .

٧٥ - ولقد نادانا نوح حين يش من قومه فلنعم المجيبون ، كنا له إذ استجبنا دعاءه ، فأهلكنا قومه بالطوفان .

٧٦ - ونجينا نوحا ومن آمن معه من الفرق والطوفان .

٧٧ - وجعلنا ذرية نوح هم الباقين في الأرض بعد هلاك قومه .

٧٨ - وتركنا ذكرا جميلا على نوح في الآخريين من الأمم الى يوم القيامة .

٧٩ - تحية سلام وأمن لنوح في الملائكة والتقلين جميعا .

٨٠ - إنا مثل هذا الجزاء نجزي من أحسن ، فجاهد لاعلاء كلمتنا ، وتحمل الأذى في سبيلنا .

٨١ - انه من عبادنا الذين آمنوا بنا ، ووفوا بعهدنا ، وأدوا رسالتنا .

٨٢ - ثم أغرقنا الآخريين من كفار قومه .

* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
 أَيِفْكَاءِ هَـؤُلَاءِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ مَا ظَنَنْتُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي
 سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
 عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

٨٣- وان ممن على طريقته وسنته في الدعوة الى التوحيد والايان بالله لابراهيم .

٨٤- إذ أقبل على ربه بقلب نقي من الشرك ، مخلصا له العبادة .

٨٥- إذ انكر على أبيه وقومه ما هم عليه من عبادة الأصنام بقوله : ما هذه الأوثان التي تعبدونها ؟ .

٨٦- أترتكبون كذبا فاضحا بما تصنعون ، إذ تعبدون غير الله ، وتريدون هذا الافك بلا مسوغ الا اختياركم

له .

٨٧- ما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه خالقا للعالمين ، إذا لاقيتموه وقد أشركتم معه في العبادة غيره ؟ .

٨٨- فنظر نظرة في النجوم ، ليستدل بها على خالق الكون ، فوجدها متغيرة متحولة .

٨٩- فقرر أنه يخشى على نفسه الضلال وسقم الاعتقاد .

٩٠- فانصرف عنه قومه ، معرضين عن قوله .

٩١- قال الى اصنامهم مسرعا متخفيا ، وعرض عليها من الطعام الذي وضعه أمامها . ليصيبوا من بركتها في

زعمهم ، فقال في سخرية واستهزاء : ألا تأكلون ؟ .

٩٢- ما لكم عجزتم عن الكلام بالايجاب أو السلب ؟ .

٩٣- قال عليهم ضربا باليد اليمنى - لأنها أقوى الباطشتين - فحطمها .

٩٤- فأسرعوا الى ابراهيم - وبعد أن تبين لهم أن ماحدث لآلهتهم من التكسير كان بفعله - يساقبونه على

ما ارتكب في شأن آلهتهم .

٩٥- قال ابراهيم موجها لهم : أتعبدون ما سويتم بأيديكم من احجار؟ . فأين ذهبت عقولكم ؟ .

٩٦- والله خلقكم وخلق ما تصنعون بأيديكم من الأوثان ، فهو المستحق - وحده - للعبادة .

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي وَإِنِّي أُرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَابَتِ أَعْيُنُ النَّاسِ عَلَىٰكَ وَتَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَسَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَقْتَ أَرَأَيْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾

٩٧ - قال عباد الأصنام لبعض - لما قرعتمهم الحجمة ، ولجأوا الى القوة ، فعزموا على احراقه - : ابنا له بنيانا ، واملأوه نارا متأججة ، وألقوه في وسطها .

٩٨ - فأرادوا بهذا أن ينزلوا به الأذى ، فأنجاه الله من النار بعد أن ألقى فيها ، وعلا شأنه بما كان له من كرامة ، وجعلهم الله هم الأسفلين .

٩٩ - وقال ابراهيم - لما يش من ايمانهم - : انى مهاجر الى المكان الذى أمرنى ربى بالمسير اليه ، سيدينى ربى الى المقر الأمين والبلد الطيب .

١٠٠ - رب هب لى ذرية من الصالحين ، تقوم على الدعوة اليك من بعدى .

١٠١ - فبشرته الملائكة بابن يتحلى بالعقل والحلم .

١٠٢ - وولد وشب ، فلما بلغ معه مبلغ السعى فى مطالب الحياة اختبر ابراهيم فيه برؤية رآها . قال ابراهيم : يا بنى انى أرى فى المنام وحيا من الله يطلب منى ذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال الابن الصالح : يا أبت أنجز أمر ربك ، ستجدنى من الصابرين ان شاء الله .

١٠٣ - فلما استسلم الوالد والمولود لقضاء الله ، ودفعه ابراهيم على الرمل المجتمع ، وأسقطه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض ، وتبها لذبحه .

١٠٤ ، ١٠٥ - وعلم الله صدق ابراهيم وابنه فى الاختبار ، وناداه الله - نداء الخليل - : يا ابراهيم ، قد استجبت مطمئنا لوحى الرؤيا ، ولم تتردد فى الامتثال ، فحسبك هذا ، انا نخفف عنك اختبارنا جزاء احسانك ، كما تجزى المحسنين على احسانهم .

١٠٦ - إن هذا الابتلاء الذى ابتلينا به ابراهيم وابنه هو الابتلاء الذى ابان جوهر ايمانها ويقينها فى رب العالمين .

١٠٧ - وفديناها بمذبح عظيم القدر ، لكونه بأمر الله تعالى .

١٠٨ - وتركنا له الثناء على ألسنة من جاء بعده .

سَلَّمَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَاتًا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَبَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمَنْ أَلْمَسْنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

١٠٩ - تحية أمن وسلام على ابراهيم .

١١٠ - مثل ذلك الجزاء الدافع للبلاء نجزي المحسنين في امتثال أوامر الله .

١١١ - إن ابراهيم من عبادنا المذعنين للحق .

١١٢ - وبشرته الملائكة - بأمرنا - بأنه سيرزق ابنه اسحق على بأس وعقم من امرأته ، وأنه سيكون نبيا من الصالحين .

١١٣ - ومنحناه وابنه البركة والخير في الدنيا والآخرة ، ومن ذريتها محسن لنفسه بالايان والطاعة ، وظالم لها بين الضلال بكفره ومعصيته .

١١٤ - ولقد أنعمنا على موسى وهارون بالنبوة والنعم الجسام .

١١٥ - ونجيبناهما وقومهما من الكرب الشديد الذي كان ينزله بهم فرعون وقومه .

١١٦ - ونصرناهم على اعدائهم ، فكانوا هم الغالبين .

١١٧ - وآتيناهم موسى وهارون الكتاب الواضح المبين لاحكام الدين ، وهي التوراة .

١١٨ - وأرشدناهما الى الطريق المعتدل .

١١٩ - وأبقينا ثناء حسنا عليهما في الآخرين الذين جاءوا من بعدهم .

١٢٠ - تحية أمن وسلام على موسى وهارون .

١٢١ - إن مثل الجزاء الذي جازينا به موسى وهارون نجزي كل المحسنين .

١٢٢ - انها من عبادنا المذعنين للحق .

١٢٣ - وإن إلياس لمن الذين أرسلناهم هداية أقوامهم .

١٢٤ - إذ قال إلياس لقومه - وكانوا يعبدون صنما لهم - : أتستمرون على غيكم ، فلا تحافون الله باتقائه

عذابه ؟

١٢٥ - أتعبدون الصنم المسمى بعلا ، وتركون عبادة الله الذي خلق العالم فأحسن خلقه ؟ .

ءَابَايُكُرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾
 سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ
 لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَلَبِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾
 وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِيَلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُؤْنَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
 الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

١٢٦ - الله خلقكم وحفظكم أنتم وأباؤكم الأولون، فهو الحقيق بالعبادة.

١٢٧ - فكذبوه، فجزاؤهم أن يحضروا الى النار يوم القيامة.

١٢٨ - الا عباد الله الذين أخلصوا في إيمانهم، فهؤلاء هم الفائزون.

١٢٩ - وجعلنا له ذكرا حسنا على السنة من جاءوا من بعده.

١٣٠ - سلام على آل ياسين، أو عليه وعلى آله بتغليبهم عليهم.

١٣١ - إن مثل الجزاء الذي جازينا به آل ياسين نجزي كل محسن على احسانه.

١٣٢ - إن الياس من عبادنا المؤمنين.

١٣٣ - وإن لوطا لمن المرسلين الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٣٤ - لقد نجيناها وأهله جميعا، مما حل بقومه من العذاب.

١٣٥ - إلا امرأته العجوز، فقد هلكت مع الهالكين.

١٣٦ - ثم أهلكتنا من سوى لوط ومن آمن به.

١٣٧، ١٣٨ - وانكم يا أهل مكة تمرن على ديار قوم لوط في سفركم الى الشام صباحا ومساء، أفقدتم

عقولكم فلا تعقلون ما حل بهم جزاء تكذيبهم؟

١٣٩ - وإن يونس لمن الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٤٠، ١٤١ - إذ هجر قومه من غير أمر ربه، وذهب الى سفينة مملوءة فركب فيها، فتمرضت السفينة لأمر

يطلب الاقتراع لخراج أحد ركاها عن حمولتها، فخرجت القرعة على يونس، فكان من المغلوبين بالقرعة، فألقى

في البحر على حسب عرفهم في ذلك الحين.

١٤٢ - فابتلعه حوت وهو مستحق للعلامة، جزاء هروبه من الدعوة الى الحق والصبر على المخالفين.

الْمُسَيِّحِينَ ۝ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
 مِّنْ يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتِهِمَ الرَّبُّ
 الْبَنَاتُ لَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ
 وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ
 سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَآتُوا بِكُنُوزِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيسًا ۝ لَقَدْ عَلِمْتِ الْجَنَّةَ إِنَّهُمْ

١٤٣ ، ١٤٤ - فلولا أن يونس كان من المزهين لله ، المواظين على ذكره ، لمات في بطن الحوت ، وما خرج منه الى يوم البعث .

١٤٥ - فطرحناه في الفضاء الواسع من الأرض ، لا يواريه شيء من شجر أو بناء ، وهو عليل مما كان فيه (١) .

١٤٦ - وأنبتنا عليه شجرة لا تقوم على ساق ففطنته ووقته غوائل الجو .

١٤٧ - حتى إذا صبح مما أصابه ، أرسلناه الى عدد كبير يقول من رآه : انهم مائة الف أو يزيدون .

١٤٨ - فاستجابوا لدعوته ، فبسطنا عليهم نعمتنا الى وقت معلوم .

١٤٩ - فاستفت قومك - أيها النبي - : الخالقك البنات دونهم ، ولم البنون دونه ؟ .

١٥٠ - بل أخلقنا الملائكة انا و هم معاينون خلقهم ، فتعلقوا بما شاهدوه ؟ .

١٥١ - ١٥٢ - تنبه - أيها السامع - لحديثهم ، انهم من كذبهم ليقولون : ولد الله ، وهو المنزه عن الوالدية ، والوالدية ، وانهم لكاذبون في هذا القول بشهادة الأدلة على وحدانية .

١٥٣ - أختار لنفسه البنات المكروهة في زعمكم على البنين المحبوبين منكم ، وهو الخالق للبنات والبنين ؟ .

١٥٤ - ماذا أصابكم حين حكتم بلا دليل ، كيف تحكمون بذلك مع وضوح بطلانه ؟ .

١٥٥ - أنسيتم دلائل القدرة والتنزيه فلا تتذكرون حتى وقعتم في الضلال ؟ .

١٥٦ - بل ألكم قوة دليل بين تستدلون به على ما تدعون ؟ .

١٥٧ - فأتوا بمجنتكم - إن كان لكم حجة في كتاب سماوى - إن كنتم صادقين فيما تقولون وتحكمون .

(١) ما حدث لسيدنا يونس عليه السلام معجزة وليس في طبيعة الأشياء ما يمنع حدوث ابتلاع حوت رجلا وبقائه حيا في جوفه بعض الوقت ، وهناك احتمالان : أحدهما . أن يكون الحوت من غير ذوات الأسنان من المراكولات الضخام مثل المراكول العادى الذى يرتاد البحر الأبيض المتوسط وقد يبلغ طوله نحو عشرين مترا فبقى يونس في فمه الهائل بين صفائح البالين المتدلية من سقفه إلى أن لفظه في العراء لأن حلوق هذه الحيتان تضيق كثيرا عن ابتلاع رجل .
الثانى : أن يكون الحوت من ذوات الأسنان مثل حوت العنبر الذى يبلغ طوله نحو عشرين مترا أيضا . وأن هذا الحوت شوهد مرارا في البحر الأبيض المتوسط . ويمكنه أن يتبلغ في العادة حيوانات ضخاما قد يتجاوز طولها ثلاثة أمتار .

لْمُحْضَرُونَ ١٥٨ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ١٦٠ فَإِن كُرَّ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ١٦٣ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ١٦٦ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُوا بِهِ ١٧٠ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧١ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧٢ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٣ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ١٧٤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٥ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٦

١٥٨ - تمادوا في اعتقادهم وجعلوا بين الله وبين الجنة المستورين عنهم قرابة ، ولقد علمت الجنة إن الكفار محضرون الى الله ، لينالوا جزاءهم المحتوم .

١٥٩ - تنزيها لله - تعالى - عما يذكره المفترين من صفات العجز والنقص .

١٦٠ - لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفه الكافرون .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ - فانكم - أيها الكفار - وما تعبدون من دون الله ، ما أنتم على ما تعبدون من دونه بمضلين أحدا باغوائكم ، إلا من سبق في عمله - تعالى - أنه من أهل الجحيم وسيصلى نارها .

١٦٤ - وقالت الملائكة - متحيزين لموقف العبودية : ما أحد منا إلا له مقام في المعرفة والعبادة معلوم لا يتعداه .

١٦٥ - وإنا نحن الصافون أنفسنا في مواقف العبودية دائما .

١٦٦ - وإنا نحن المزهون لله - تعالى - عما لا يليق به في كل حال .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ - وإن كان كفار مكة قبل بعثة الرسول ليقولون : لو أن عندنا كتابا من جنس كتب الأولين ، كالتوراة والانجيل - لكنا عباد الله المخلصين له العبادة .

١٧٠ - وجاءهم الكتاب فكفروا به ، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم .

١٧١ ، ١٧٢ - أقسم : لقد سبق قضاؤنا لعبادنا المرسلين ، أن النصر والعاقبة لهم على الكافرين .

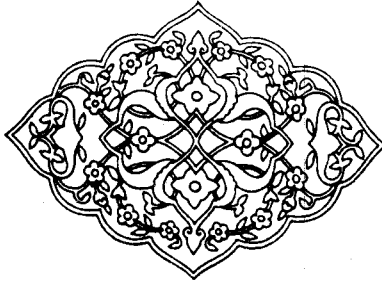
١٧٣ - وأن أتباعنا وأنصارنا لهم الغلبة - وجدهم - على المخالفين .

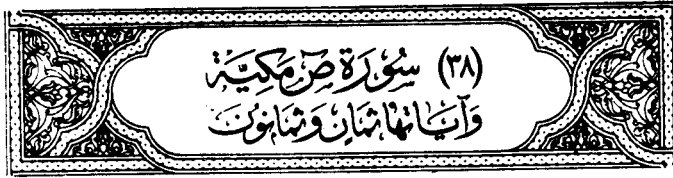
١٧٤ - فأعرض عنهم وانتظر إلى وقت مؤجل ، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر .

١٧٥ - وانظروهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنعكس بمخالفتك وتكذيبك ، فسوف يعاينون الهزيمة بصفتهم ، ويرون نصر الله للمؤمنين .

أَفِيعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ١٧٦ - أسلبوا عقولهم فبعذابنا يستعجلون؟ ..
- ١٧٧ - فإذا نزل العذاب بفنائهم الواسع فسَاء صباح المنذرين بالعذاب .
- ١٧٨ - وأعرض عنهم إلى حين ينتهي إليه أمرهم .
- ١٧٩ - وأبصر ما يستقبلهم ويستقبلك ، فسوف يرون ما به يستعجلون .
- ١٨٠ - تنزهها لله خالقك وخالق القوة والغلبة عما ينعتونه به من المفتريات .
- ١٨١ - وسلام على الأصفياء المرسلين .
- ١٨٢ - والثناء لله - وحده - خالق العالمين ، والقائم على الخلق أجمعين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّاهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴿٤﴾ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٥﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ

هذه السورة هي الثامنة والثلاثون من سور القرآن الكريم، وهي مكية وآياتها ثمان ومائون آية.

وقد صورت لنا لونا من عناد المشركين لدعوة النبي - ﷺ - وحسدهم على ما كرمه الله به من شرف الرسالة ونزول القرآن، فردت عليهم ما تعلقوا به من أوهام باطلة، وبينت أن الذي حملهم على محاربة الدعوة ما هم فيه من أنفة كاذبة وحب للمخالفة والشقاق، وأنه لو نزل بهم عذاب الله لما كان موقفهم من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الموقف. ثم ضرب الله الأمثال بالأمم السابقة، ليكون ذلك زجرا لهم عن العناد واللجاج، وتثبيتا لرسوله - ﷺ - على ابلاغ الدعوة مهما يلاق في سبيلها من عنت المشركين ومكرهم، وليشكر الله على ما بقى عليه من نعم، كما فعل اخوانه من الأنبياء والمرسلين. وعقب هذا بذكر ما أعد الله للمتقين من حسن المآب، وما أعد للطاغين من شر المآل. ثم ذكرهم بما كان بين أبيهم آدم - عليه السلام - وعدوه ابليس، ليعلموا أن ما يدعوهم إليه من التكبر عن اتباع الحق خلق من أخلاقه، وأن هذا الاستكبار كان سببا لطرده من رحمة الله.

وختمت السورة بتحديد مهمة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وهو ابلاغ الدعوة وأنه لا يسألهم عليها من أجر، وليس هو المتكلف لها من تلقاء نفسه، وما القرآن إلا ذكر للعالمين، وليعلمن صدق أنبائه بعد حين.

١ - ص: حرف بدئت به السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة، أقسم بالقرآن ذي الشرف والشأن العظيم أنه لحق لاريب فيه.

٢ - بل الذين كفروا في استكبار عن اتباع الحق ومعاندة لأهله.

٣ - كثيرا ما أهلكتنا قبلهم من أمة مكذبة، فاستفتاوا حين جاءهم العذاب، وليس الوقت وقت خلاص منه.

٤ - وعجب هؤلاء أن جاءهم رسول بشر مثلهم، وقال الجاحدون لرسالته: هذا عمه شديد الكذب.

إِلَيْهَا وَحِدًا إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ أَمَلًا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ الْهَيْكَلُ إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ
 يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخِيرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِطَقُ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكِّ
 مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
 قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ
 إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ لِحَقِّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوَاقِ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَمَلْنَا
 قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا نَحْنَرْنَا الْجِبَالَ

٥ - أجعل الآلهة المتعددة لها واحدا؟! ان هذا الأمر بالغ نهاية العجب .

٦ - واندفع الكبراء منهم يوصى بعضهم بعضا : ان سيروا على طريقتكم ، واثبتوا على عبادة آلهتكم ، ان هذا لأمر جسيم يراد بنا .

٧ - ما سمعنا بهذا التوحيد في دين آبائنا الذين أدركناهم . ما هذا إلا كذب مصنوع .

٨ - أخص محمد من بيننا بشرف نزول القرآن عليه؟! ليس الحق في شيء مما زعموا بل هم من القرآن في حيرة وتحبط بل انهم لم يتحيروا ويتخبطوا إلا لأنهم لم يذوقوا عذابي بعد وانهم لذائقوه .

٩ - بل نسأل هؤلاء الحاسدين لك : عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، حتى يتخيروا للنبوة من تهوى أنفسهم؟! .

١٠ - بل نسألهم : ألهم ملك السموات والأرض وما بينها؟! اذن فليتدرجوا في المراق إلى المنزلة التي يتحكمون فيها بما يشاءون ، ان استطاعوا .

١١ - جند حقير هنالك مهزوم - لا محالة - كما هزم أمثالهم من المتحزبين على الأنبياء؟

١٢ ، ١٣ - كذبت قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأنبياء العظيمة الراسخة كالجبال ، وثمود . وقوم لوط وقوم شعيب - أصحاب الشجر الكثير الملتف - أولئك الذين تحزبوا على رسلهم كما تحزب قومك .

١٤ - ما أحد من كل هؤلاء إلا كذب رسوله ، فحل بهم عقابي .

١٥ - وما ينتظر هؤلاء المتحزبون على الرسل الا صبيحة واحدة لا تحتاج إلى تكرار .

١٦ - وقال الكافرون مستهزئين : ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الجزاء .

١٧ - اصبر - يا محمد - على ما يقوله فيك المشركون ، واذكر عبدنا داود ذا القوة في الدين والدنيا ، انه كان رجاعا إلى الله في جميع أحواله .

مَعَهُ يُسَبِّحَنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخَطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَتْكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
 قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾
 إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
 بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْنِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
 وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَلِدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

١٨ - انا ذللتنا الجبال معه ، يستغل ما فيها من منافع ، وهن يزهمن الله - تعالى - عن كل نقص في آخر النهار وأوله .

١٩ - وذللتنا له الطير مجموعة من كل صنف وكل مكان ، كل من الجبال والطيور رجاعة لمشيئة داود ، يصرفها كيف شاء للخير العام .

٢٠ - وقويتنا ملكه ، وأتيناها النبوة ، وتمييز الحق من الباطل .

٢١ - وهل جاءك - يا محمد - خبر الخصوم الذين جاءوا داود من سور المحراب وهو محل العبادة ، لا من باب .

٢٢ - إذ دخلوا على داود فخاف منهم واضطرب . قالوا : لا تخف ، نحن متخاصمان ، ظلم بعضنا بعضا ، فاحكم بيننا بالعدل ولا تتجاوزة ، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى .

٢٣ - قال أحد الخصمين : ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال : اجعلنى كافلها كما أكل ما تحت يدي : وغلبني في المخاطبة .

٢٤ - قال داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر : لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه ، وان كثيرا من المتخالطين ليجور بعضهم على بعض ، إلا من استقر الايمان في قلوبهم ، وكان عمل الصالحات من دأبهم ، وهم قلة نادرة ، وعرف داود أن الأمر ما هو إلا امتحان منا له ، فطلب من الله المغفرة ، وانحنى راکعاً لله ، ورجع إليه خاشعاً .

٢٥ - ففقرنا له تعجله في الحكم ، وان له عندنا لقربى وحسن مرجع .

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِينَةُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى

٢٦ - وأوحى الله إليه : يا داود انا صيرناك خليفة عنا في الأرض ، فاحكم بين الناس بما شرعت لك ، ولا تسر في الحكم وراء الهوى ، فيحيد بك عن سبيل الله ، ان الذين يخذون عن سبيل الله باتباع أهوائهم لهم عذاب شديد بغفلتهم عن يوم الجزاء .

٢٧ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينها عبثا ، ذلك ما يظنه الكافرون ، فأجروا الأحكام على أهوائهم ، فعذاب شديد للذين كفروا من النار .

٢٨ - أيليق بمحمتنا وعدلنا أن نسوى بين المؤمنين الصالحين وبين المفسدين في الأرض ، أم يليق أن نسوى بين من خاف عذابنا واتق عقابنا وبين المتعدين على أحكامنا ؟!

٢٩ - هذا المنزل عليك - يا محمد - كتاب أنزلناه كثير النفع ، ليتعمقوا في فهم آياته ، وليتعض به أصحاب العقول الصحيحة والبصائر النيرة .

٣٠ - وهبنا لداود سليمان المستحق للثناء ، الخلق أن يقال فيه : نعم العبد ، لأنه رجاع إلى الله في كل أحواله .

٣١ - واذكر من أخبار سليمان أنه عرض عليه بعد الظهر الخيل الأصيلة التي تسكن حين وقوفها وتسرع حين سيرها .

٣٢ - فقال سليمان : انى أشربت حب الخيل - لأنها عدة الخير وهو الجهاد في سبيل الله - حبا ناشئا عن ذكر لرى ، ومازال مشغولا بعرضها حتى غابت عن ناظره .

٣٣ - أمر بردها عليه ليتعرف أحوالها ، فأخذ يسمح سوقها وأعناقها ترفقا بها وحبا لها .

كُرْسِيَّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ
 فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَاقٍ ﴿٤٠﴾
 وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ
 بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
 ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدِ ۗ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ سَخَّرْنَا

٣٤ - ولقد امتحنا سليمان حتى لا يفتر بأبهة الملك، فألقيناه جسدا على كرسيه لا يستطيع تدبير الأمور، فتنبه إلى هذا الامتحان فرجع إلى الله - تعالى - وأناب.

٣٥ - دعا سليمان ربه - منيبا إليه - رب اغفر لي ما بدر مني، وهب لي ملكا لا يليق لأحد من بعدى، انك أنت الوهاب الكثير العطاء.

٣٦ - فذللنا له الريح، تجرى حسب مشيئته رحية هينة، حيث قصد وأراد.

٣٧ - وذللنا له كل بناء وغواص في أعماق البحار من الشياطين المتمردين.

٣٨ - وآخرين من هؤلاء الشياطين قرن بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل، ليكف فسادهم عن الآخرين.

٣٩ - وأوحى إليه أن هذا الذي أنعمنا به عليك عطاؤنا، فاعط من شئت واحرم من شئت، فلا حساب عليك في الاعطاء أو المنع.

٤٠ - ان لسليمان عندنا لقربة عظيمة وحسن مرجع ومآل.

٤١ - واذكر - يا محمد - عبدنا أيوب إذ دعا ربه أني أصابني الشيطان بالتعب والألم.

٤٢ - فاستجبنا له وناديناه: أن اضرب برجليك الأرض، فثمت ماء بارد تغتسل منه وتشرب، فيزول ما بك من نصب وعذاب.

٤٣ - وجمعنا شمله بأهله الذين تفرقوا عنه أيام محنته، وزدنا عليهم مثلهم، وفعلنا ذلك رحمة منا له وعظة لأولي العقول، ليعرفوا أن عاقبة الصبر الفرج.

٤٤ - كان أيوب قد حلف أن يضرب أحدا من أهله عددا من العصي، فحلل الله بينه بأن يأخذ حزمة فيها العسد الذي حلف أن يضربه به، فيضرب بالحزمة من حلف على ضربه، فيبر بينه بأقل ألم، وقد من الله عليه بهذه النعم، لأن الله وجده صابرا على بلائه، فاستحق بذلك الثناء، فنعم الموصوف بالعبادة هو لأنه رجاع إلى الله في كل الأمور.

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
 الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
 مَعَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٍ لَهُمْ الأبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِعِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
 * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ
 نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَعَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنَسَّ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
 وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكَ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾

٤٥ - واذكر عبدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى القوة في الدين والدنيا والبصائر النيرة .

٤٦ - انا خصصناهم بصفة هي ذكركم الدار الآخرة وذكرونها ويزكرون بها .

٤٧ - وإنيهم عندنا لمن المختارين الأخيار .

٤٨ - واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلهم من الأخيار .

٤٩ - هذا الذى قصصناه عليك نبأ بعض المرسلين تذكير لك ولقومك ، وان للمتقين المتحرزين من عصيان

الله - تعالى - حسن مرجع ومآل .

٥٠ - أعد لهم جنات عدن مفتحة لهم أبوابها ، لا يصددهم عنها صاد .

٥١ - يجلسون فيها متكئين على الأرائك والسرر بشأن المترفين ، ويتمتعون فيها بطلب فاكهة كثيرة وشراب

كثير .

٥٢ - وعندهم في الجنة من نسوة قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم ، وهن مستويات

السن معهم ، ليكون ذلك أدعى إلى الوفاق .

٥٣ - هذا النعيم هو الذى توعدونه ليوم القيامة .

٥٤ - ان هذا لعطاؤنا ما له من نهاية .

٥٥ - هذا النعيم جزاء المتقين . وان للطاغين المتمردين على أنبيائهم لشر مآل ومنقلب .

٥٦ - وهو جهنم ، يدخلونها ويقاسون حرها ، وبس الفراش هي .

٥٧ - هذا ماء بلغ الغاية في الحرارة وصيد أهل جهنم ، يؤمرون أن يذوقوه .

٥٨ - وعذاب آخر مثل هذا العذاب أنواع مزدوجة .

٥٩ - ويقال للطاغين - وهم رؤساء المشركين - : هذا جمع كثير داخلون النار معكم في زحمة وشدة ، وهم

اتباعكم ، فيقول هؤلاء الرؤساء : لا مرحبا بهم ، إنهم داخلون النار مقاسون حرها .

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
 ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
 الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ
 لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ
 إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ

٦٠ - قال الأتباع: بل أنتم أحق بهذا الدعاء الذي دعوتكم به علينا، لأنكم الذين قدمتم لنا هذا العذاب باغرائكم لنا ودعوتنا إلى الكفر، فكفرنا بسبيكم، فبس الدار والمستقر جهنم.

٦١ - قال الأتباع: ربنا، من تسبب لنا في هذا العذاب فزده عذابا مضاعفا في النار.

٦٢ - وقال أهل النار: ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار الأراذل الذين لا خير فيهم؟! وهم فقراء المسلمين.

٦٣ - كيف اتخذناهم في الدنيا هزوا ولم يدخلوا النار معنا، أم انهم دخلوها وزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم؟!.

٦٤ - ان ذلك الذي ذكرناه من حديث أهل النار حق لا بد أن يقع، وهو تخاصم ونزاع أهل النار بعضهم مع بعض.

٦٥ - قل للمشركين - يا محمد -: إنما أنا مخوف من عذاب الله، وما من معبود بحق إلا الله الواحد الذي لا شريك له، القهار الذي يغلب كل ذي سلطان.

٦٦ - رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الذي لا يغلب، الغفار المتجاوز عن ذنوب من آمن به.

٦٧، ٦٨ - قل لهم - يا محمد -: هذا الذي أنذرتكم به خبر عظيم أنتم عنه معرضون لا تفكرون فيه.

٦٩ - ما كان لي من علم بأخبار الملأ الأعلى وقت اختصاصهم في شأن آدم، لأنني لم أسلك للعلم الطريق المتعارف بين الناس من قراءة الكتب أو التلق عن المعلمين، وطريق علمي هو الوحي.

٧٠ - ما يوحى إلى الا لأنني رسول أبلغكم رسالة ربي بأبين عبارة.

٧١ - اذكر لهم حين قال ربك للملائكة: اني خالق بشرا - وهو آدم عليه السلام - من طين.

٧٢ - فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه سر الحياة - وهو الروح - فخرروا له ساجدين سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة.

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٩﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدِ حِينٍ ﴿٨٨﴾

٧٣، ٧٤ - فامتثل الملائكة كلهم أجمعون، وخرروا له ساجدين، إلا ابليس لم يسجد، وتعاضم وتكبر، وكان بهذا التكبر من الكافرين.

٧٥ - قال الله تعالى: يا ابليس، ما منعك من السجود لما خلقتك بنفسى بلا واسطة! أتكبرت مع أنك غير كبير، أم أنت في حقيقة نفسك من المتفوقين!

٧٦ - قال ابليس: أنا خير من آدم، لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، فكيف أسجد له!

٧٧ - قال الله تعالى لابليس - جزاء له على تكبره عن أمر ربه -: فأخرج من جماعة الملائكة الأعلى، فإنك مطرود من رحمتي.

٧٨ - وأن عليك ابعادى لك عن كل خير إلى يوم الجزاء، فتجزى على كفرك بى وتكبرك على.

٧٩ - قال ابليس: رب أمهلنى ولا تمتنى إلى يوم البعث.

٨٠، ٨١ - قال الله تعالى: فإنك من الموجلين المهلين إلى يوم الوقت المعلوم لنا، وهو نهاية الدنيا.

٨٢، ٨٣ - قال ابليس: فبعظمتك وجلالك لأغوين البشر أجمعين، إلا عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك، فلا سلطان لى عليهم.

٨٤، ٨٥ - قال الله تعالى: الحق يمينى وقسمى، ولا أقول إلا الحق، لأملأن جهنم من جنسك من الشياطين وممن تبعك من ذرية آدم أجمعين، لا فرق عندى بين تابع ومتبوع.

٨٦ - قل لأمتك - يا محمد - ما أسألكم على ما أمرت بتبليغه إليكم من القرآن والوحى أجرا، وما أنا من الذين يتحلون بباليس فيهم حتى ادعى النبوة.

٨٧ - ما القرآن الا تذكير وعظة للعالمين جميعا.

٨٨ - ولتعلمن - أيها المكذبون به - صدق ما اشتمل عليه من وعد ووعد وأخبار عن أمور مستقبلة وآيات كونية بعد وقت قريب.

سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ (٣٩) وَأَيُّهَا الْخَيْرُ وَسَبْعُونَ

هذه السورة مكية، قيل إن ثلاث آيات منها هي الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، وآياتها ٧٥ آية. افتتحت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم بالدعوة إلى إخلاص العبادة لله - وحده - والرد على من قال: إن الله ولدا، ثم عرضت الآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان، وأن الناس إن يكفروا به فهو غنى عنهم، وإن يشكروا يرضه لهم ولا يرضى لهم الكفر، كما عرضت لخلق من أخلاق الإنسان في موضعين: أنه إذا مسه الضر دعا ربه وأناب إليه، وإذا أنعم عليه نسي ما كان يدعو إليه من قبل.

ثم عقدت مقارنة بين من يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبين المتمردين عليه، وما أعد هؤلاء وأولئك من الجزاء يوم القيامة، ثم ذكروهم بنعمة الله عليهم بانزاله الماء، وأنه يحيى به الأرض بعد موتها، وينبت به النبات الذي يأخذ أطوارا متعددة، وفي ذلك ذكرى لأولى الألباب.

وتعود السورة للحديث عن القرآن وتأثيره على الذين يخشون ربه، وأن الله قد ضرب فيه الأمثلة لعلهم يتذكرون، قرأنا غير ذى عوج لعلهم يتقون، ثم قارنت السورة بين العبد المشرك والعبد المخلص لله، وأنها لا يستويان، وأن الموت هو مال الجميع، ثم عند ربه يختصمون.

ثم بينت مآل من كذب على الله وكذب بالصدق، ومآل الصادقين في أقوالهم، المصدقين ما أنزل إليهم، وأن هؤلاء المشركين لو سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله. ولكنهم - مع ذلك - يعبدون من لا يدفون عنهم ضرا إن أرادهم الله بضر، ولا يسكون رحمة إن أراد الله بهم رحمة، ثم تقرر هذه السورة أن هذا الكتاب أنزل بالحق، فن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإثم على نفسه، وأن الرسول - ﷺ - ليس عليهم بوكيل.

ثم تعود إلى تذكيرهم بالموت والبعث، وأن الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لا يملكون لهم شيئا، حتى الشفاعة، فإن الله الشفاعة جميعا.

ولما كثر الكلام عما أعد للعصاة والمسرفين من العذاب الأليم - وربما كان هذا مما يبعث في قلوبهم اليأس من رحمة الله - فتح لهم باب الأمل في رحمته «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا، انه هو الغفور الرحيم» ودعاهم إلى الانابة إليه قبل أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون: «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة». والذين اتقوا لا يسهم السوء ولا هم يحزنون. وختمت السورة بالحديث عن اليوم الآخر من مبدئه يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. إلى أن يأخذ كل ذى حق حقه، فيساق أهل النار إليها، كما يساق أهل الجنة إليها، ويقولون فيها: الحمد لله الذى صدقنا وعده وقضى بين الجميع بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾
 أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
 فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
 مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
 وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ أَنْزَلَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا

١ - تنزيل القرآن من الله الذي لا يغلبه أحد على مراده، الحكيم في فعله وتشريعه.

٢ - انا أنزلنا إليك - يا محمد - القرآن أمرا بالحق، فاعبد الله مخلصا له - وحده - العبادة.

٣ - الا لله - وحده - الدين البرىء من كل شائبة، والمشركون الذين اتخذوا من دونه نصراء يقولون: ما نعبد هؤلاء لأنهم خالقون، إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله - تقريبا - بشفاعتهم لنا عنده، ان الله يحكم بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين الموحدون فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الشرك والتوحيد، ان الله لا يوفق لادراك الحق من شأنه الكذب والامعان فيه.

٤ - لو أراد الله أن يتخذ ولدا - كما قالت النصارى في المسيح والمشركون في الملائكة - لاختار الولد من خلقه كما يشاء هو، لا كما تشاءون أنتم، تنزه الله عن أن يكون له ولد، هو الله الذي لا مثيل له، القهار الذي بلغ الغاية في القهر.

٥ - خلق السموات والأرض متلبسا بالحق والصواب على ناموس ثابت، يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل على صورة الكرة، وذلل الشمس والقمر لارادته ومصلحة عباده، كل منها يسير في فلكه إلى وقت محدد عنده... وهو يوم القيامة، الا هو - دون غيره - الغالب على كل شيء، فلا يخرج شيء عن ارادته، الذي بلغ الغاية في الصفح عن المذنبين من عباده^(١).

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الأرض كروية تدور حول نفسها لأن مادة التكرير معناها لف الشيء على الشيء على سبيل التتابع، ولو كانت الأرض غير كروية «مسطحة مثلا» لحيم الليل أوطلع النهار على جميع أجزائها دفعة واحدة.

مَنْ بَعْدَ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا
رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَنِ سَبِيلِهِ ۗ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِنَّآءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

٦ - خلقكم - أي الناس - من نفس واحدة هو آدم أبو البشر، وخلق من هذه النفس زوجه حواء، وأنزل
لصالحكم ثمانية أنواع من الأنعام ذكرا وأنثى: وهى الابل والبقر والضأن والماعز، يخلقكم فى بطون أمهاتكم طورا
من بعد طور فى ظلمات ثلاث: هى ظلمة البطن والرحم والمشيمة، ذلكم المنعم بهذه النعم الله مربيكم ومالك
أمركم، له - لا لغيره - الملك الخالص، لا معبود بحق إلا هو، فكيف يعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره؟! (١).

٧ - ان تكفروا بنعمه - أيها الناس - فإن الله غنى عن إيمانكم وشكركم، ولا يجب لعباده الكفر، لما فيه من
ضرهم، وان تشكروه على نعمه يرض هذا الشكر لكم، ولا تحمل نفس أئمة اثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مآلكم
فيخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا، إنه عليم بما تكنه قلوبكم التى فى الصدور (٢).

٨ - وإذا أصاب الإنسان مكروه - من مكاره الدنيا - دعا ربه راجعا إليه بعد أن كان معرضا عنه، ثم إذا
أعطاه ربه نعمة عظيمة نسى الضر الذى كان يدعو ربه إلى ازالته وكشفه من قبل أن يمن عليه بهذه النعمة،
وجعل لله شركاء متساوين معه فى العبادة، فعل هذا الإنسان ذلك ليضل نفسه وغيره عن طريق الله . قل -
يا محمد - لمن هذه صفته متوعدا: تمتع بكفرك بنعم الله عليك زمنا قليلا، انك من أهل النار.

(١) تنشأ البويضة فى أحد مبيضى المرأة، حتى إذا اكتمل نضجها انطلقت منه فيتلقفها أحد بوق فالوب، ثم تمضى فى قناة فالوب فى
طريقها إلى الرحم فلا تصله الا بعد بضعة أيام قد يقدر لها فى أثنائها أن يخصبها الحيوان المنوى من الرجل فتبدأ نوا مراحل تطورها
المبكرة، وفى الرحم يمضى الجنين بقية مدة الحمل حيث يكون لنفسه فيها غلافين « السلى » Charlon ويسهم جزء منه فى تكوين المشيمة
والرهل Awion الذى يحيط بالجنين احاطة مباشرة.

وقد اختلفت الآراء فى تحديد الظلمات الثلاث فى الآية الكريمة فن ذلك أنها:

١ - البطن، الرحم، والمشيمة (ويقصد بها ما يغلف الجنين بصفة عامة).

٢ - الرحم والسلى والرهل.

٣ - البطن والظهر والرحم.

٤ - المبيض وقناة فالوب والرحم.

والظاهر أن الرأى الأخير هو الأرجح لأنها ثلاث متفرقات فى أماكن مختلفة، أما الآراء الأخرى فإنها تشير فى الواقع إلى ظلمة واحدة
فى مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولعل الخالق العظيم قد أوامأ فى كتابه إلى هذه الحقيقة العلمية فى زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا
فيه بويضة الثدييات ومسلكها ذاك فى أجسام الاناث بعيدا عن العيون.

(٢) هذا من القرآن الكريم صريح فى مبدأ شخصية العقوبة مثل ما ورد فى سورة يوسف من قوله تعالى: « قال معاذ الله أن نأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده، انا إذن لظالمون » وهذا من القرآن الكريم تأصيل للمبدأ المذكور وهو المبدأ الذى لم يستقر فى فقه القانون
إلا فى العصور الحديثة.

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَاعِبَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ ۗ قُلْ إِنْ أَنْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۗ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا

٩ - أمن هو خاشع لله أثناء الليل يقضيه ساجدا وقائما، يخشى الآخرة ويرجو رحمة ربه، كمن يدعو ربه في الضراء وينسأه في السراء؟! قل لهم - يا محمد - : هل يستوى الذين يعلمون حقوق الله فيوحدونه، والذين لا يعلمون، لاهلهم النظر في الأدلة؟! إنما يتعظ أصحاب العقول السليمة.

١٠ - قل - أيها النبي - مبلغا عن ربك يا عبادي الذين آمنوا بي، اتخذوا وقاية من غضب ربكم، فإن لمن أحسن العمل عاقبة حسنة، في الدنيا بالتأييد، وفي الآخرة بالجنة. ولا تقيموا في ذل، فأرض الله واسعة، واصبروا على مفارقة الأوطان والأحباب، إنما يوفى الله الصابرين أجرهم مضاعفا، لا يدخل تحت حساب الحاسبين.

١١ - قل : انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له عبادتى من كل شرك ورياء .

١٢ - وأمرت منه تعالى - أمرا مؤكدا - أن أكون أول المنقادين لأوامره .

١٣ - قل : انى أخشى ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم الهول .

١٤ ، ١٥ - قل لهم يا محمد - : الله وحده - أعبد ، مبرثا عبادتى من الشرك والرياء ، فإذا عرفتم طريقى ولم تطيعون فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل لهم : ان الخاسرين - كل الخسران - هم الذين أضاعوا أنفسهم بضلالهم ، وأهليلهم بضلالهم يوم القيامة . ألا ذلك الضياع هو الخسران الكامل الواضح .

١٦ - هؤلاء الخاسرين من فوقهم طبقات متراكمة من النار ومن تحتهم مثلها ، ذلك التصوير للعذاب يخوف الله به عباده ، يا عباد : فآخشوا بأسى .

الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
 الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
 يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
 فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

- ١٧ ، ١٨ - والذين اجتنبوا الأصنام والشياطين أن يتقربوا إليها ، ورجعوا إلى الله في كل أمورهم ، لهم
 البشارة العظيمة في جميع المواطن ، فبشر - يا محمد - عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون الأحسن والأهدى إلى
 الحق ، أولئك - دون غيرهم - الذين يوفقههم الله إلى الهدى ، وأولئك هم - دون غيرهم - أصحاب العقول النيرة .
 ١٩ - أتملك التصرف في ملكي ، فن وجبت عليه كلمة العذاب تستطيع أن تمنعه ؟ ! ألك هذه القوة ، فأنت
 تنقذ من في النار بعد أن وجبت لهم ؟ !
 ٢٠ - لكن الذين خافوا ربهم لهم أعلى الجنة وقصورها ، مبنية بعضها فوق بعض ، تجري من تحتها الأنهار ،
 وعدا من الله ، والله لا يخلف وعده .
 ٢١ - ألم تر - أيها المخاطب - أن الله أنزل من السماء ماء ، فأجراه في ينابيع وعيون في الأرض ، ثم يخرج به
 زرعا مختلفا أشكاله ، ثم يبس بعد نضارته فتراه مصفرا ، ثم يجعله فتاتا متكسرا ، ان في ذلك التنقل من حال إلى
 حال لتذكير لأولى العقول المنيرة (١) .
 ٢٢ - أكل الناس سواء ، فن شرح الله صدره للإسلام بقبول تعاليمه ، فهو على بصيرة من ربه ، كمن أعرض
 عن النظر في آياته ؟ ! . فعذاب شديد للذين قست قلوبهم عن ذكر الله ، أولئك القاسية قلوبهم في انحراف عن
 الحق واضح .

(١) دورة المياه في الطبيعة من السماء إلى الأرض حيث تسلك فيها عيوننا لم نعرف قبل أواسط القرن الثامن ، حيث أن الفكرة التي
 كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول : ان ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض أتيا إليه من حفر وآبار في قيعان البحار .

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَنْ يَتَّبِعِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاْتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْتُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَبًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٣ - الله نزل أحسن الحديث كتابا تشابهت معانيه وألفاظه في بلوغ الغاية في الاعجاز والاحكام، تتردد فيه المواعظ والأحكام، كما يكرر في التلاوة، تنقبض عند تلاوته وسماع وعيده جلود الذين يخافون ربه، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك الكتاب الذي اشتمل على هذه الصفات نور الله يهدي به من يشاء، فيوفقه إلى الايمان به، ومن يضلله الله - لعلمه أنه سيعرض عن الحق - فليس له من مرشد ينقذه من الضلال.

٢٤ - أكل الناس متساوون، فن يتقى بوجهه العذاب السوء الشديد يوم القيامة بعد أن تغل يده، كمن يأتي أمنا يوم القيامة؟ وقيل للظالمين: ذوقوا وبال عملكم.

٢٥ - كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون.

٢٦ - فأذاقهم الله الصغار في الحياة الدنيا، أقسم: لعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا، لو كانوا من أهل العلم والنظر.

٢٧ - ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل يذكرهم بالحق، رجاء أن يتذكروا ويتعظوا.

٢٨ - أنزلنا قرآنا عربيا بلسانهم، لا اختلال فيه، رجاء أن يتقوا ويخشوا ربه.

٢٩ - ضرب الله مثلا للمشرك رجلا مملوكا لشركاء متنازعين فيه، وضرب مثلا للموحد رجلا خالص الملكية لواحد، هل يستويان مثلا؟ لا يستويان. الحمد لله على اقامة الحججة على الناس، لكن أكثر الناس لا يعلمون الحق.

٣٠، ٣١ - انك - يا محمد، وإنهم جميعا ميتون. ثم انكم بعد الموت والبعث عند الله يخاصم بعضكم بعضا.

* فَنَ أظلم مَن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه^٤ أليس في جهنم مثوى للكافرين^{٣٢} والذي جاء بالصدق وصدق به^٥ أولئك هم المتقون^{٣٣} لهم ما يشاءون عند ربهم^٤ ذلك جزاء المحسنين^{٣٤} ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجز بهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون^{٣٥} أليس الله بكاف عبده^{٣٦} ويخوفونك بالذين من دونه^٤ ومن يضلل الله فإله من هاد^{٣٦} ومن يهد الله فإله من مضل^{٣٦} أليس الله بعزير ذي انتقام^{٣٧} ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره^٤ أو أرادني برحمة هل هن ممسكت رحمة^٤ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون^{٣٨} قل يقول أعملوا على مكانتكم إني عمل فسوف تعلمون^{٣٩} من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم^{٤٠} إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى

٣٢ - فليس أحد أشد ظلماً ممن نسب إلى الله ما ليس له ، وأنكر الحق حين جاءه على لسان الرسل من غير تفكير ولا تدبر ، أليس في جهنم مستقر للكافرين المغترين حتى يجتروا على الله ؟ !

٣٣ - والذي جاء بالحق وصدق به إذ جاءه ، أولئك هم المتقون لا غيرهم .

٣٤ - هؤلاء المتقين عند ربهم ما يحبون ، ذلك الفضل جزاء كل محسن في عقيدته وعمله .

٣٥ - أكرم الله المتقين بما أكرمهم به ، ليغفر لهم أسوأ عملهم ، ويوفهم أجرهم بأحسن ما عملوا في الدنيا .

٣٦ - الله - وحده - كاف عباده كل ما يهيمهم ، ويخوفك - يا محمد - كفار قريش بأهتهم التي يدعونها من دون الله ، وذلك من ضلالهم ، ومن يضل الله - لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى - فاله من مرشد يرشده .

٣٧ - ومن يرشده الله إلى الحق ويوقفه إليه - لعلمه أنه يختار الهدى على الضلالة - فاله من مضل ينحرف به عن سبيل الرشاد ، أليس الله بمنع الجناب ، ذي انتقام شديد ، فيحفظ أوليائه من أعدائه ؟ !

٣٨ - وأقسم : لئن سألت - يا محمد هؤلاء المشركين - من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله هو الذي خلقهن . قل لهم - يا محمد - : أعقلتم فرأيتم الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ، ان شاء الله ضرى هل هن مزيلات عنى ضره ، أو شاء لى رحمة هل هن مانعات عنى رحمة ؟ ! قل لهم - يا محمد - : الذى يكفينى فى كل شىء وحده ، عليه - لا على غيره - يعتمد المتوكلون المفوضون كل شىء إليه .

٣٩ ، ٤٠ - قل لهم - متوعداً - : يا قوم اثبتوا على طريقتكم من الكفر والتكذيب انى ثابت على عمل

فَلِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّاهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

ما أمرني به ربى ، فسوف تدركون من منا الذى يأتيه عذاب يذله ، ويزل عليه عذاب دائم لا ينكشف عنه ؟ !
٤١ - انا أنزلنا عليك - أيها النبي - القرآن الكريم لجميع الناس مشتتلا على الحق الثابت . فن استرشد به فنتفع ذلك لنفسه ، ومن ضل عن طريقه فانما يرجع وبال ضلاله على نفسه وما أنت - يا محمد - بموكل بهدائيتهم ، فاعليك الا البلاغ ، وقد بلغت .

٤٢ - الله يقبض الأرواح حين موتها ، ويقبض الأرواح التي لم تمت حين نومها ، فيمسك التي قضى عليها الموت لا يردّها إلى بدنها ، ويرسل الأخرى التي لم يمن أجلها عند اليقظة إلى أجل محدد عنده . ان في ذلك لأدلة واضحة لقوم يتدبرون .

٤٣ - بل اتخذ المشركون من دون الله شفعاء يتقربون بهم إليه . قل لهم - يا محمد - : أفعلمت هذا ولو كان هؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟

٤٤ - قل لهم - يا محمد - لله وحده الشفاعة كلها ، فلا ينالها أحد إلا برضاه ، له - وحده - ملك السموات والأرض ، ثم إليه - وحده - ترجعون فيحاسبكم على أعمالكم .

٤٥ - وإذا ذكر الله - وحده - دون أن تذكر ألهتهم انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالحياة الآخرة ، وإذا ذكرت ألهتهم التي يعبدونها من دون الله سارعوا إلى الفرح والاستبشار .

٤٦ - قل يا محمد - متوجها إلى مولاك : يا الله يا خالق السموات والأرض على غير مثال ، يا عالم السر والعلن ، أنت - وحدك - تفصل بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدنيا والآخرة ، فاحكم بيني وبين هؤلاء المشركين .

٤٧ - ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك كل ما في الأرض جميعا وضعفه معه لقدموه افتداء لأنفسهم من سوء العذاب الذى أعد لهم يوم القيامة ، وظهر لهم من الله ما لم يحظر على بالهم من العذاب .

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيَّصِبُوهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ

٤٨ - وظهر لهم في هذا اليوم سوء عملهم، وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به في الدنيا.

٤٩ - فإذا أصاب الإنسان ضر نادانا متضرعا، ثم إذا أعطيناه - تفضلا منا - نعمة قال هذا الإنسان:

ما أوتيت هذه النعم الا لعلم مني بوجوه كسبه، وفات هذا الإنسان أن الأمر ليس كما قال، بل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه اختبار له ليبين له الطائع من العاصي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها اختبار وفتنة.

٥٠ - قد قال هذه المقالة الذين من قبل هؤلاء المشركين، فادفع عنهم العذاب ما اكتسبوه من مال ومتاع.

٥١ - فأصاب الكفار السابقين جزاء سيئات عملهم، والظالمون من هؤلاء المخاطبين سيصيبهم جزاء سيئات

عملهم، وما هؤلاء بفلتين من عقاب.

٥٢ - أيقول هؤلاء ما قالوا ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويعطيه بقدر لمن يشاء على

مقتضى حكته: ان في هذا لعبرا لقوم يؤمنون.

٥٣ - قل - يا محمد - مبلغا عن ربك: يا عبادي الذين أكثروا على أنفسهم من المعاصي، لا تياسوا من رحمة

الله، ان الله يتجاوز عن الذنوب جميعا، انه هو - وحده - العظيم في مغفرته ورحمته.

٥٤ - وارجعوا - أيها المسرفون على أنفسهم - إلى مالك أمركم ومربيكم، وانقادوا له من قبل أن يجيئكم

العذاب ثم لا ينصركم أحد من الله ويدفع عنكم عذابه.

٥٥ - واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم - وهو القرآن الكريم - من قبل أن يجيئكم العذاب فجأة وعلى

غير استعداد، وأنتم لا تعلمون بمجيئه.

نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
 مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي
 فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
 أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

٥٦ - ارجعوا إلى ربكم ، وأسلموا له ، واتبعوا تعاليمه ، لئلا تقول نفس مذنبه حيناً ترى العذاب : يا أسقى على ما فرطت في جنب طاعة الله وحقه ، وانى كنت في الدنيا لمن المستهزئين بدينه .

٥٧ - أوتقول تلك النفس المذنبه - متحملة للعذر - : لو أن الله وفقني للهدى لكنت في الدنيا من الذين وقوا أنفسهم من عذاب الله بالإيمان والعمل الصالح .

٥٨ - أوتقول تلك النفس المذنبه - حين تشاهد العذاب - : ليت لى رجعة إلى الدنيا ، فأكون فيها ممن يحسنون العقيدة والعمل .

٥٩ - بلى - أيها النادم - قد جاءتك تعاليمى على لسان الرسل ، فكذبت بها وتعاليت عن اتباعها ، وكنت في دنياك من الثابتين على الكفر .

٦٠ - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله - فنسبوا إليه ما ليس له - وجوههم مسودة من الحزن والكآبة ، ان في جهنم مقراً للمتكبرين المتعالمين عن الحق .

٦١ - وينجى الله الذين جعلوا لهم وقاية من عذاب الله ، بما سبق في علمه من فوزهم ، لاختيارهم الهدى على الضلال ، لا يصيبهم في هذا اليوم السوء ، ولا هم يحزنون على فوت نعيم كانوا يؤملونه .

٦٢ - الله خالق كل شيء - وهو وحده - على كل شيء وكيل ، يتولى أمره بمقتضى حكمته .

٦٣ - لله وحده تصاريف أمور السموات والأرض ، فلا يتصرف فيهن سواه والكافرون بحجج الله وبراهينه هم - وحدهم - الخاسرون أتم خسران .

٦٤ - قل - يا محمد - : أفبعد وضوح الآيات على وجوب توحيد الله بالعبادة تأمرونى أن أخص غيره بالعبادة أيها الجاهلون ؟!

لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا

٦٥ - وأقسم: لقد أوحى إليك - يا محمد - وإلى الرسل من قبلك: لئن أشركت بالله شيئا - ما - ليظلمن الله عملك، وتكونن من القوم الخاسرين أتم خسران.

٦٦ - لا تجهم - أيها الرسول - إلى ما طلبوه منك، بل اعبد الله - وحده - وكن من القوم الشاكرين له على نعمه.

٦٧ - وما عظم المشركون الله حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته إذ أشركوا معه غيره، ودعوا الرسول - ﷺ - إلى الشرك به، والأرض جميعها مملوكة له يوم القيامة، والسماوات قد طويت - كما تطوى الثياب - بيمينه، نزه الله عن كل نقص، وتعالى علوا كبيرا عما يشركونه من دونه.

٦٨ - وسينفخ - حتما - في الصور^(١)، فيموت من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله أن يؤخرهم إلى وقت آخر، ثم نفخ فيه أخرى فإذا الجميع قائمون من قبورهم، ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩ - وأضاءت الأرض - يومئذ - بنور خالقها ومالكها، وأعد الكتاب الذي سجلت فيه أعمالهم، وأحضر الأنبياء والعدول ليشهدوا على الخلق، وفصل بين الخلق بالعدل، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

٧٠ - وأعطيت كل نفس جزاء عملها، والله أعلم بفعلهم.

٧١ - وحث الكافرون على السير - بعنف - إلى جهنم جماعات. جماعات، حتى إذا بلغوها فتحت أبوابها، وقال لهم حراسها - موبخين -: ألم يأتكم سفراء عن الله من نوعكم، يقرأون عليكم آيات ربكم، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا؟! قال الكافرون مقرين: بلى جاءتنا الرسل، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، لا اختيارهم الكفر على الإيمان.

(١) الصور لفة: البوق، والصور الذي حدثنا عنه القرآن من عالم الغيب، لا ندري كنهه وحقيقته.

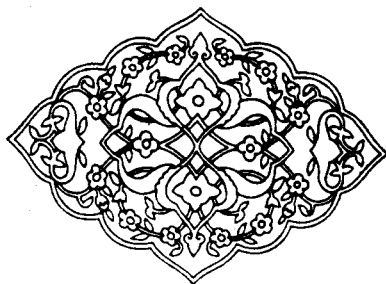
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُفَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

٧٢ - قيل لهم : ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها الخلود فبئس ما قبست جهنم مستقرا للمتعالين عن قبول الحق .

٧٣ - وحث المتقون على السير - مكرمين إلى الجنة جماعات جماعات ، حتى إذا بلغوها ، وقد فتحت أبوابها ، وقال لهم حفظتها : أمان عظيم عليكم ، طبتم في الدنيا من دنس المعاصي ، وطبتم في الآخرة - نفسا - بما نلتهم من النعيم ، فادخلوها مقدرًا لكم الخلود ، فإن لكم من النعيم مالا يحظر على بال .

٧٤ - وقال المتقون : الثناء لله - وحده - الذي حقق لنا ما وعدنا به على لسان رسله وملكنا أرض الجنة ننزل منها حيث نشاء ، فنعلم أجر العاملين المحسنين الجنة .

٧٥ - وترى - أيها الرائي - الملائكة محيطين بالعرش ، يزهون الله عن كل نقص ، تنزيها مقترنا بحمد خالقهم ومربيهم ، وفصل بين جميع الخلائق بالعدل ، ونطق الكون كله قائلًا : الحمد لله رب الخلائق كلها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝

افتتحت هذه السورة - كما افتتحت سور كثيرة - بحرفين من حروف الهجاء ، وابتدئت بالتنويه بشأن القرآن المنزل من العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول . ثم دعت إلى التوحيد وعدم الاغترار بما قد يكون عليه الكافرون من سلطان ، ودعتهم إلى أن يذكروا مآل الأمم قبلهم .

وتحدثت السورة - بعد ذلك - عن حملة العرش وتسيبهم ودعائهم ، وصورت حال الكافرين وما هم فيه من غضب الله . وتحدثت السورة - في أكثر من موضع - عن آيات الله وقدرته في أنفسهم وما يحيط بهم من السموات والأرض ، وما أفاض عليهم من نعمه ، كما دعاهم الله - في أكثر من آية - إلى توحيد بالعبادة « فادعوا الله مخلصين له الدين » « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو » . كما اشتملت السورة - في بعض آياتها - على التذكير باليوم الآخر « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » وتحدثت السورة عن شيء من قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه . ولاسيما مؤمن آل فرعون ، وختمت السورة بدعوة الناس إلى أن يسيروا في الأرض لينظروا ما حل بالأمم قبلهم ، وكيف كان عاقبة غرورهم بما عندهم من العلم ، فلما حل بهم عذاب الله قالوا : أمانا بالله - وحده - وكفرنا بما أشركنا به ، ولكنهم آمنوا بعد فوات الاوان « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » وتلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وعند نزول العذاب خسر هنالك الكافرون .

١ - ح ، م : حرفان من حروف الهجاء بدت بها السورة - على طريقة القرآن في بعض السور - للإشارة إلى أن القرآن من جنس كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله .

٢ ، ٣ - تنزيل القرآن من الله القوى الغالب ، المحيط علمه بكل شيء ، وقابل التوبة من التائبين ، شديد العذاب ، صاحب الإنعام ، لا معبود بحق إلا هو ، إليه - وحده - المرجع والمآل .

٤ - ما يبارى في آيات الله الدالة عليه الا الذين كفروا ، فلا يخذلك تنقلهم في البلاد بتيسير الله شؤونهم مع كفرهم .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا

٥ - كذبت قبل هؤلاء المشركين قوم نوح والمجتمعون على معادة الرسل من بعد قومه ، وحرصت على ايقاع الشر برسولهم لياخذوه بالبطش ، وقاروا في الباطل الذي لا حقيقة له ، ليزيلوا بمجدلهم الحق الثابت ، فأخذتهم بالعذاب المستأصل ، فانظر كيف كان عقابي لهم !!

٦ - وكما حقت كلمة العذاب على الأمم التي كذبت أنبياءها ، حقت كلمة ربك على الكافرين بك - يا محمد - لأنهم أصحاب النار ، لاختيارهم الكفر على الإيمان .

٧ - الذين يحملون العرش من الملائكة ، والمحيطون به ، يزهون مالك أمرهم ومربيهم عن كل نقص تنزهها مقترنا بالثناء عليه ، ويؤمنون به ويطلبون المغفرة للمؤمنين قائلين : ربنا وسعت رحمتك كل شيء ، وأحاط علمك بكل شيء ، فاصفح عن سيئات الذين رجعوا إليك واتبعوا طريقك ، وجنبهم عذاب الجحيم .

٨ - ويقول هؤلاء الملائكة : ربنا وأدخل المؤمنين جنات الإقامة التي وعدهم بها على لسان رسلك ، وأدخل معهم الصالحين من الآباء والأزواج والذرية ، انك أنت - وحدك - الغالب الذي لا يقبل ، الحكيم الذي لا يخطئ .

٩ - ويقولون في دعائهم : جنب المؤمنين جزاء سيئاتهم ، ومن جنبته جزاء سيئاته يوم الجزاء فقد رحمته بفضلك ، والوقاية من جزاء السيئات هو الظفر البالغ العظم .

١٠ - ان الذين كفروا ينادون : لكرهه الله وبغضه لكم أكبر من كراهتكم أنفسكم التي أوردتكم موارد العذاب ، حين كنتم تدعون إلى الإيمان مرة بعد مرة فتسارعون إلى الكفر .

أَنْتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَنْتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

١١ - قال الكافرون: ربنا أمتنا موتين: مorte من حياتنا الدنيا، ومorte من حياتنا في البرزخ (١)، وأحييتنا
مرتين: مرة هي حياتنا الدنيا، ومرة أخرى بالبعث من القبور، فهل إلى خروجنا من العذاب من طريق.

١٢ - ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، لأن شأنكم في الدنيا إذا دعى الله - وحده - كفرتم وان يشرك به غيره
تؤمنوا، وإذا كان هذا شأنكم فقد استحققتهم جزاء شرككم، فالحكم لله العلي الكبير الذي يجازى من كفر بما
يستحقه.

١٣ - الله الذي يريكم دلائل قدرته، فينزل لمصالحكم من السماء ماء يكون سبب رزقكم وما يتعظ بهذا
الام يرجع إلى التفكير في آيات الله.

١٤ - فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، ولو أبغض الكافرون عبادتكم واخلاصكم.

١٥، ١٦ - الله على المقامات، صاحب العرش، ينزل الوحي من قضائه وأمره على من اصطفاه من عباده،
ليخوف الناس عاقبة مخالفة المرسلين يوم التقاء الخلق أجمعين: يوم الحساب الذي يظهر فيه الناس واضحين،
لا يخفى على الله من أمرهم شيء، يتسامعون نداء رهيباً: لمن الملك اليوم؟ وجواباً حاسماً: لله الواحد المتفرد بالحكم
بين عباده، البالغ القهر لهم.

١٧ - اليوم تجزى كل نفس بما فعلت، لا ظلم اليوم بنقص أجر أو زيادة عقاب، ان الله سريع حسابه
فلا يتأخر عن وقته.

١٨ - وخوفهم - يا محمد - يوم القيامة القريبة، حين تكون القلوب عند الحناجر من شدة الخوف، ممتلئين
غيظاً لا يستطيعون التعبير عنه، ليس للظالمين أنفسهم بالكفر قريب ولا شفيع يطاع في أمرهم.

١٩ - وهو - سبحانه - يعلم النظرة الخائنة للعين، وما تخفيه الصدور من المكتونات.

(١) وقد يدل على حياة البرزخ - التي هي حياة خاصة لا نعلم كنهها - ما ذكره الله تعالى في قوله عن آل فرعون « النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقوله تعالى: « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل
أحياء عند ربهم يرزقون ».

دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَدْرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

٢٠ - والله يحكم بالعدل ، والشركاء الذين يدعونهم من دون الله لا يحكون بشيء لعجزهم ، ان الله - وحده -

هو المحيط بكل ما يسمع وببصر .

٢١ - أقعد المشركون ولم يسيروا في الأرض ، فبروا كيف كان حال الأمم الذين كانوا من قبلهم ؟ ! كانوا

هم - أشد منهم قدرة وأنارا في الأرض ، فاستأصلهم الله بذنوبهم وليس لهم من الله حافظ يحفظهم من عذابه .

٢٢ - ذلك العذاب الذي نزل بهم ، لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الواضحات فجدوها ، فعجل الله

عذابهم المستأصل ، انه ذو قوة عظيمة ، بالغ الشدة في العذاب .

٢٣ ، ٢٤ - أقسم : لقد أرسلنا موسى بمعجزاتنا وبرهان ذي سلطان واضح إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا :

هو ساحر بما جاء من المعجزات ، مبالغ في الكذب لدعواه أنه رسول من ربه .

٢٥ - فلما أتاهم موسى بالحق من عندنا قال فرعون ومن معه لاتباعهم : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واتركوا

نساءهم أحياء ، وليس مكر الكافرين الا ذاهبا في متاهة وضياح .

٢٦ - وقال فرعون : دعوني أقتل موسى وليدع ربه لينقذه مني ، اني أخشى أن يغير دينكم - يا قوم - أو أن

يشيع في الأرض الفتن .

٢٧ - وقال موسى لفرعون وقومه : اني تحصنت بمالك أمري الذي رباني ، ومالك أمركم ومريكم بنعمه

واحسانه ، من كل متفطر متعال لا يؤمن بيوم الحساب .

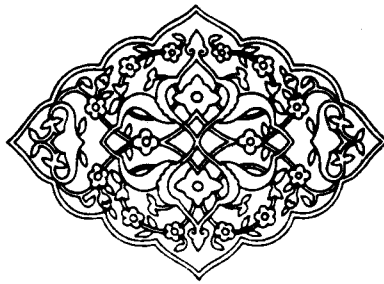
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَنْقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَنْقَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ط وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَ كُرْيُوسُ

٢٨ - وقال رجل مؤمن من أهل فرعون يخفى إيمانه - مخاطبا قومه - : أنتقصدون رجلا بالقتل لأنه يقول : معبودى الله ، وقد جاءكم بالأدلة الواضحات من مالك أمركم ومربيكم ، وإن يكن كاذبا في دعواه فعليه - وحده - وبال كذبه ، وإن يكن صادقا ينزل بكم بعض الذى يخوفكم به من العذاب ، إن الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز الحد مبالغ فى الكذب .

٢٩ - يا قومى : لكم الملك اليوم عالين فى أرض مصر دون غيركم . فمن ينقذنا من عذاب الله إن جاءنا ؟ ! قال فرعون : ما أظهر لكم من الرأى إلا الذى أعتقده ، وما أرشدكم بهذا الرأى إلا طريق الهداية .

٣٠ ، ٣١ - وقال الرجل الذى آمن من آل فرعون : يا قوم انى أخشى عليكم يوما مثل يوم الاقوام المتحزبين على رسلهم ، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود والاقوام الذين من بعدهم ، وما الله يشاء ظلما لعباده .

٣٢ ، ٣٣ - ويا قوم : انى أخاف عليكم يوم تصايح الخلق بعضهم على بعض ، يوم تفرون مدبرين ، ليس لكم من الله من مانع ، ومن يضلله الله - لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى - فاله من مرشد يهديه .



مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قَلْمٌ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ
 يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
 الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا ۖ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ
 وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ آرْشَادٍ ﴿٣٨﴾
 يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ
 صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُوْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقَوْمِ مَا لِي
 أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ۚ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
 إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ

٣٤ - أقسم : لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، فازلتم في شك مما أتاكم به ، حتى إذا
 مات قلم : لن يرسل الله من بعد يوسف رسولا ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو مجاوز الحد ، كثير
 الشك والارتباب .

٣٥ - الذين يجادلون في آيات الله بغير برهان جاءهم ، كبر كرها وسخطا عند الله وعند المؤمنين ما انطبعوا
 عليه من الجدل ، مثل هذا الحتم يختم الله على كل قلب متعال على الخلق ، متسلط على الناس .

٣٦ ، ٣٧ - وقال فرعون : يا هامان ابن لي بناء عاليا رجاء أن أبلغ المسالك .. مسالك السموات فأرى إله
 موسى ، واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة ، ومثل هذا التزين الباطل زين لفرعون سوء عمله حتى رآه حسنا ،
 ومنع عن سبيل الحق لاختياره سبيل الضلالة ، وليس مكر فرعون الا في خسر عظيم .

٣٨ - وقال الذي آمن من قوم فرعون : يا قوم اقتدوا بي أرشدكم طريق الصلاح .

٣٩ - يا قوم : ما هذه الحياة الدنيا الا كمتاع الراكب يفنى بسرعة ، وان الدار الآخرة هي - وحدها - دار
 الاستقرار .

٤٠ - من عمل سيئة في الدنيا فلا يجازى عليها في الآخرة الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى
 وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقا غير مقدر بحساب الحاسين .

٤١ ، ٤٢ - ويا قوم : أى شيء لي ، أدعوكم إلى أسباب النجاة وتدعونني إلى النار ؟ . تدعونني إلى الكفر بالله
 واشراك من لا علم لي به ، وأنا أدعوكم إلى القوى الذي لا يغلب ، الكثير المغفرة للذنوب .

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفِيضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوْقَهُ اللَّهُ سَبْعَ مَآكِرٍ وَأَحَاقُ بِهَا فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَخَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَانُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدَّ حَكَرَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَ لَرَّتْكَ
تَأْتِيكَ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعْتُمُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

٤٣ - لا محالة أن الاله الذي تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة يستجيبها في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مرجعنا إلى الله، وأن المجاوزين الحدود هم أهل النار لا المؤمنين المعتدلين.

٤٤ - فستعلمون صدق ما قلته لكم، وأكل أمرى إلى الله، إن الله محيط بصره بالعباد فيجازهم على أعمالهم.

٤٥، ٤٦ - فوق الله مؤمن آل فرعون شدائد مكرهم وأحاط بأل فرعون العذاب السوء، النار يدخلونها صباحا ومساء، هذا في الدنيا وهم في الدنيا وهم في عالم البرزخ، ويوم القيامة يقول الله تعالى: ادخلوا قوم فرعون أشد أنواع العذاب.

٤٧ - واذكر لهم - يا محمد - حين يتخاصم أهل النار فيها، فيقول الضعفاء - وهم الاتباع - للمستكبرين - وهم الرؤساء -: انا كنا لكم في الدنيا تبعًا، فهل أنتم حاملون عنا جزءًا من عذاب النار؟

٤٨ - قال المستكبرون: انا كلنا فيها نحن وأنتم، ان الله فصل بالحق بين العباد، فلكل منا ما قضاه عليه من العذاب.

٤٩ - وقال الذين في النار من الضعفاء والكبراء لحفظة جهنم - متوسلين إليهم - ادعوا أهلكم يخفف عنا يوما من العذاب نستروح فيه.

٥٠ - قال خزنة جهنم لهم - موبخين -: ألم تنبهوا إلى ما نزل بكم وكانت تبيحكم الرسل بالبراهين الواضحات؟ قال أهل جهنم:

بلى جاءتنا الرسل فكذبناها. قال الخزنة: فإذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم، وما دعاء الجاحدين إلا في ضياع.

٥١ - انا لننصر رسلنا والمؤمنين في الحياة الدنيا بالانتقام من أعدائهم واقامة الحجة عليهم، وفي يوم القيامة يوم يقوم الشهود يشهدون للرسل بالتبليغ، ويشهدون على الكفرة بالتكذيب.

سُوءِ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَىٰ

٥٢ - يوم لا ينفع الظالمين اعتذارهم عما فرط منهم في الدنيا، ولهم الطرد من الرحمة، ولهم سوء الدار.

٥٣، ٥٤ - أقسم لقد آتينا موسى ما يهتدى به إلى الحق، وأورثنا بني اسرائيل التوراة هادية ومذكرة لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ - إذا عرفت ما قصصناه عليك فاصبر - يا محمد - على ما ينالك من أذى، إن وعد الله بنصرك ونصر المؤمنين حق لا يتخلف، واطلب المغفرة من ربك لما قد يعد ذنبا بالنسبة إليك، ونزه ربك عن النقائص تنزهًا مقترنا بالثناء عليه أواخر النهار وأوائله.

٥٦ - ان الذين يمارون في دلائل الله بغير حجة جاءتهم منه - تعالى - ليس في صدورهم إلا تعال عن اتباع الحق، وليس تعاليم بموصلهم إلى غايتهم. فاطلب الحفظ من الله، انه هو المحيط سمعه وبصره وكل شيء.

٥٧ - أقسم: لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، لكن أكثر الناس سلبوا العلم، فلم يؤمنوا بالبعث مع اقرارهم بأنه خالق السموات والأرض.

٥٨ - وما يستوى الأعمى عن الحق والبصير العارف به، ولا يستوى المحسنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات والسيء في عقيدته وعمله، قليلا - أي قليل - تتذكرون أيها الناس.

٥٩ - إن القيامة لآتية لا شك فيها، ولكن أكثر الناس لا يصدقون.

٦٠ - وقال خالقكم ومالك أمركم: اسألوني أعطكم، إن الذين يتعاطمون عن دعائي سيدخلون جهنم أذلاء.

صاغرين.

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ لِكُرْهِ اللَّهِ رَبِّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
 كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ
 فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
 ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُمَجِّجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا

٦١ - الله - وحده - الذي جعل لكم الليل لتهدأوا فيه وتستريحوا من العمل ، والنهار مضياً لتعملوا فيه ، ان
 الله لصاحب فضل عظيم على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على نعمه .

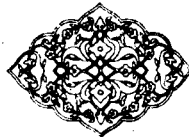
٦٢ - ذلكم المنعم بهذه النعم الجليلة الله مالك أمركم ، خالق كل شيء ، لا معبود بحق إلا هو فإلى أى جهة
 تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ !

٦٣ - مثل هذا الانصراف عن الحق إلى الباطل انصرف الذين كانوا من قبلكم ينكرون آيات الله
 ويحسدونها .

٦٤ - الله - وحده - الذي جعل لكم الأرض مستقرة صالحة لحياتكم عليها ، والسماء بناء محكم الترابط ،
 وقدر خلقكم فأبدع صوركم ، وجعلكم فى أحسن تقويم ، ورزقكم من المباحات ما يلذ لكم ، ذلك المنعم بهذه النعم
 الله ربكم ، فتعالى الله مالك العوالم كلها ومربيهم .

٦٥ - هو المنفرد بالحياة الدائمة ، لا معبود بحق إلا هو ، فتوجهوا بالدعاء إليه مخلصين له العبادة ، الثناء كله
 حق ثابت لله رب الخلائق جميعا .

٦٦ - قل - أيها الرسول - : إني نهيت عن عبادة الآلهة التي تعبدونها من دون الله . حين جاءني الحجج من
 ربى ، وأمرت أن أنقاد فى كل أمورى لله رب العوالم كلها .



أَجْلَامُ مَسْمِيٍّ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْطَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّا نَكُن نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْعًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعِصَّةِ الَّذِي نَعُدُّهُمْ

٦٧ - الله - وحده - الذي خلقكم - يا بني آدم - من تراب ، ثم حول من هذا التراب نطفة ، ثم حول هذه النطفة إلى قطعة دم جامدة ، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا ، ثم يد في آجالكم لتبلغوا سن الكمال في القوة والعقل ، ثم يطيل أعماركم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى قبل سن الشباب أو الشيخوخة ، وخلقكم الله على هذا النمط لتبلغوا وقتا مسمى عنده وهو يوم البعث ، ولكي تعقلوا ما في هذا التنقل في الأطوار من حكم وعبر^(١) .

٦٨ - الله الذي يحيى ويميت ، فإذا أراد إبراز أمر إلى الوجود فإنما يقول له : كن ، فيكون دون تخلف .

٦٩ - ألم تنظر إلى الذين يجادلون في آيات الله الواضحة ، كيف يصرفون عن النظر فيها ويصرون على ما هم فيه من ضلال .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ - الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا - جميعا - من الوحي ، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم حين تكون الأغلال والسلاسل في أعناقهم ، يجرون بها في الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة ، ثم بعد ذلك يلقون في النار يصطلون حرها ، ثم يقال لهم - توبيخا وتبكيتا - : أين معبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ ! قال الكافرون : غابوا عنا ، بل الحق أننا لم نكن نعبد من قبل في الدنيا شيئا يعتد به ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله الكافرين عن سبيل الحق لعلهم أنهم يؤثرون الضلالة على الهدى .

٧٥ ، ٧٦ - يقال للكافرين : ذلكم العذاب بسبب ما كنتم في الدنيا تفرحون في الأرض بغير ما يستحق الفرح ، وبسبب توسعكم في الفرح بما يصيب أنبياء الله وأوليائه من أذى ، ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها الخلود ، فبئس مستقرا المتكبرين جهنم .

(١) « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة .. الخ » ..

التعليق على النطفة والعلقة والمضفة الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ السجدة ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ المؤمنون ، ٦٧ غافر و ٥ الحج .

النطفة في اللغة : تطلق على معان منها منى الرجل .

وبالرجوع إلى الآية الكريمة (ألم يك نطفة من منى يعني) تبين أن المقصود بالنطفة جزءه خاص من هذا المنى . وقد كشف العلم عن

المقصود بهذا الجزء وهو الحيوان المنوى الذي يحمله السائل المنوى وهذا الحيوان هو الذي يلقح بويضة الأنثى .

أَوْ تَتُوفِينَا فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآءُ أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ

٧٧ - فاصبر - يا محمد - ان وعد الله لك - بعداذ أعدائك - حق لا ريب فيه ، وسيأتيهم هذا العذاب اما في حياتك أو حين يرجعون إلينا ، فإن ترك بعض ما خوفناهم من العذاب في حياتك فذاك ، وان تمتك قبل ذلك فالينا يرجعون ، فنحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

٧٨ - وأقسم : لقد أرسلنا رسلا كثيرين من قبلك ، منهم من أوردنا أخبارهم عليك ومنهم من لم نرد عليك أخبارهم ، وما كان لرسول منهم أن يأتي بمعجزة الا بمشيئة الله وإرادته ، لا من تلقاء نفسه ولا باقتراح قومه ، فاذا جاء أمر الله بالعذاب في الدنيا أو الآخرة قضى بينهم بالعدل ، وخسر في ذلك الوقت أهل الباطل .

٧٩ - الله الذى ذلل لكم الإبل ، لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها .

٨٠ - ولكم فيها منافع كثيرة غير الركوب والأكل ، ولتبلغوا عليها حاجة تهتمون بها في أنفسكم ، كجسر الانتقال وحملها ونحو ذلك . وعلى الإبل التى هى نوع من الأنعام ، وعلى الفلك تحملون أتم وأمتعتكم .

٨١ - ويريكم الله دلائل قدرته فأخبروني أى دليل منها تنكرون ، وهى من الوضوح بحيث لا ينكرها من له أدنى عقل !؟

٨٢ - أقعدوا فلم يسيروا فى الأرض فبروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الهلاك والتدمير!؟ كان من قبلهم أكثر منهم عددا وأشد منهم قوة وأثارا فى الأرض ، فادفع عنهم عذاب الله ما كسبوه من مال أو قوة أو سلطان .

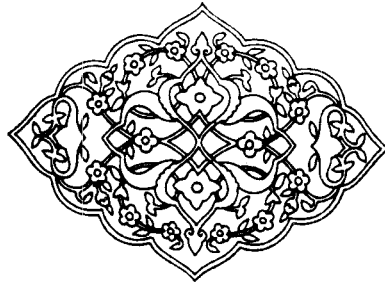
العلقة : من معانيها فى اللغة الدم الجامد أو السائل أو الذى اشتدت حرته . . والمراد بها علميا خلايا الجنين التى تعلق بجدار الرحم بعد طور تفتح الحيوان المنوى للبيضة وصورورها خلية واحدة تنقسم إلى عدة خلايا وتكاثر وتتحرك نحو جدار الرحم وتنشعب وتستنبط محده نزيفا من الدم محليا .

المضفة : هى الجنين فى طور من أطوار تكوينه ، يتلو العلقة بعد التصاقها بجدار الرحم واستدارتها بغير انتظام واحاطتها بأغشية ، حيث تبقى المضفة كذلك بضعة أسابيع حتى يبدأ تكوين العظام ، والمضفة تحتوى على خلايا مخلقة وهى التى يتكون منها الجنين ، وعلى خلايا غير مخلقة وهى التى تحيط بالجزء المخلق ووظيفتها وقاينه وامتداده بالغذاء .

العظام : أثبت علم الاجنة أخيرا أن مراكز تكوين العظام تظهر فى الطبقة المتوسطة من خلايا المضفة المختلفة فى مرحلة سابقة تميز الخلايا المضفية .

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَا لِكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

- ٨٣ - فحين جاءت هذه الأمم رسلهم بالشرائع والمعجزات الواضحات فرحت هذه الأمم بما عندهم من علوم الدنيا، واستهزءوا بعلم المرسلين، فزل بهم العذاب الذي أخبرهم به المرسلون وكانوا به يستهزئون.
- ٨٤ - فلما رأَت هذه الأمم شدة عذابنا قالوا: صدقنا بالله - وحده - وأنكرنا الآلهة التي كنا بسببها مشركين.
- ٨٥ - فلم يكن ينفعهم إيمانهم حين رأوا شدة عذابنا، سن الله سنة قد سبقت في عبادته ألا يقبل الإيمان حين نزول العذاب، وخسر وقت نزول العذاب الكافرون.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف المعجم على طريقة القرآن الكريم في كثير من السور، وقد نوهت هذه السورة في كثير من آياتها بشأن القرآن الكريم وما اشتمل عليه من بشارة وإنذار، وبينت موقف المشركين منه، من الإعراض عنه ومحاربة دعوته، وموقف الرسول منهم من الثبات على دعوته وقوله لهم: «انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه» وتأخذ السورة في تذكير المشركين بآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض ثم تحويفهم بما وقع لأقرب الأمم إلى ديارهم عاد وثمود، وتذكرهم باليوم الآخر يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وما يكون بينهم وبين أعضائهم من الجسالة يومئذ، وما يدعو به الاتباع ربه يوم القيامة: «ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين». وكما هي سنة الله في هذا الكتاب أنه إذا تحدث عن الكافرين تحدث عن المؤمنين، فقد تحدثت السورة عن الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وما أعد لهم من نعيم مقيم، وعقدت المقارنة بين الخير والشر: «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة».

ثم تنتقل السور فتلفت الأنظار إلى آيات قدرة الله - تعالى - الدالة على امكان البعث وحياء الموقى. ثم تعود - مرة أخرى - إلى تشديد التذكير على المحرفين لآيات الله وأنهم لا يخفون على الله، وأن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأن رسالة محمد ليست بدعا من الرسالات. وتقرر السورة خلقا من أخلاق الإنسان أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عن الحق، وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض.

وختمت السورة بتقرير أمرين هما أهم ما اشتملت عليه من الأغراض، أولهما: التنويه بالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من الحق الذي لا ريب فيه: «سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». وثانيهما: أن ما عليه الكافرون ما هو إلا شك في البعث حملهم على الكفر والضلال: «ألا إنهم في مرية من لقاء ربه، ألا إنه بكل شيء محيط».

١ - حرفان من حروف المعجم افتتحت بها السورة - كعادة القرآن في افتتاح كثير من السور - لإثارة الانتباه والتدليل على اعجاز القرآن.

٢ - هذا الكتاب تنزيل بديع من المنعم بجلائل النعم ودقائقها.

٣ - كتاب ميزت آياته لفظا ومقاطع، ومعنى بتمييزه بين الحق والباطل، والبشارة والإنذار، وتهذيب النفوس، وضرب الأمثال، وبيان الأحكام، وهو مقروء باللسان العربي مسيرا فهمه لقوم يعلمون.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٠﴾ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُكْفِرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۗ أَنْدَادًا ۗ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَا لِّلسَّالِينِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا

٤ - مبشرا المؤمنين العاملين بما أعد لهم من نعيم ، وخوفا المكذبين بما أعد لهم من عذاب أليم ، فانصرف عنه أكثرهم ، فلم ينتفعوا به ، كأنهم لم يسمعوا .

٥ - وقال الكافرون للرسول - ﷺ : قلوبنا في أغشية متكافئة مما تدعوننا إليه من توحيد الله ، وفي آذاننا صمم فلا نسمع ما تدعوننا إليه ، ومن بيننا وبينك حجاب منيع يمنعنا من قبول ما جئت به ، فاعمل ما شئت إننا عاملون ما شئنا .

٦ ، ٧ - قل لهم - أيها الرسول - : ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى من الله إنما معبودكم الحق إله واحد ، فاسلكوا إليه الطريق القويم ، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم ، وعذاب شديد للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة إلى مستحقها ، وهم بالحياة الآخرة - دون غيرهم - جاحدون .

٨ - إن المؤمنين الذين عملوا الصالحات لهم جزاء حسن غير مقطوع .

٩ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : عجباً لكم ، تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء متساوين معه ، ذلك الخالق للأرض مالك العوالم كلها ومربيهم ^(١) .

١٠ - وجعل في الأرض جبلاً ثابتة من فوقها لثلاثين يوماً ، وأكثر فيها الخير وقدر فيها أرزاق أهلها ، حسباً تقتضيه حكمته ، في أربعة أيام ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء ، وقدر كل شيء لا نقص فيه ولا زيادة ، هذا التفصيل في خلق الأرض وما عليها بيان للسائلين .

(١) ذكر اليوم والأيام في سورة أخرى ، فق سورة الحج الآية (٤٧) قال تعالى : « وإن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون » وفي سورة السجدة الآية (٥) قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » وفي سورة الماعراج الآية (٤) قال تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

التعليق العلمي : وحدات الزمن التي يستخدمها الناس مرتبطة بالأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس . فإذا ما غادر أحد الأرض إلى جرم سماوي اختلفت هذه الوحدات طويلاً أو قصراً . والآيات الكريمة تشير إلى هذه الحقيقة العلمية وإلى أن الزمن نسبي . ولا شك في أن هناك سنوات فلكية نسبية يمكن التفرقة بينها ، فالسنة الشمسية على الأرض تحسب بمقدار الزمن الذي تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس في نحو ٣٦٥ يوماً شمسية على حين أن السيارات القريبة من الشمس مثل عطارد يقطع دورته حول الشمس في ٨٨ يوماً ، وعلى حين أن بلوتو وهو أبعد الكواكب السيارة في الشمس وأبطؤها يتم دورته حولها في ٢٥٠ سنة من سنواتنا .

أَوْ كَرِهًا ^ط قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْسُوتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ
وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ

١١ - ثم تعلقت قدرته بخلق السماء وهي على هيئة دخان فوجدت، وخلقته للسموات والأرض - على وفق ارادته - هين عليه بمنزلة ما يقال للشئ: احضر - راضيا أو كارها - فيطيع.

١٢ - وأتم خلق السموات سبعا في يومين آخرين، وأوجد في كل سماء ما أعدت له واقتضته حكمته، وزين السماء القريبة من الأرض بالنجوم المنيرة بالمصابيح، للهداية من استماع الشياطين لأخبار الملائكة الأعلى، ذلك الخلق المتقن تدبير العزيز الذي لا يغلب، المحيط علمه بكل شئ.

١٣ - فإن أعرض المشركون عن الإيمان بعد وضوح دلائله فقل لهم - أيها الرسول - : خوفتكم عذابا شديدا الوقع كالصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

١٤ - أتت عادا وثمود الصاعقة حين أتتهم رسلهم من جميع الجهات، فلم يدعوا طريقا لإرشادهم إلا سلكوه، وقالوا لهم: لا تعبدوا إلا الله. قالوا: لو أراد الله إرسال رسول لأنزل إلينا ملائكة، فإننا بما أرسلتم به من التوحيد وغيره جاحدون.

١٥ - فأما عاد ففعالوا في الأرض بغير حق لهم في هذا التعالي، وقالوا - مغترين بأنفسهم - : من أشد منا قوة؟! عجباً لهم. أيقولون ذلك ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟! وكانوا بآياتنا ينكرون.

١٦ - فأرسلنا عليهم ريحا ذات صوت شديد في أيام مشغومات لنذيقهم عذاب الهوان في الحياة الدنيا، وأقسم: لعذاب الآخرة أشد خزيا، وهم لا ينصرهم ناصر يومئذ.

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اَعْدَاءُ اللّٰهِ اِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتّٰى اِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَاَبْصَرُهُمْ وَاَجْلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا اَنْطَقْنَا اللّٰهُ الَّذِى اَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ اَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا اَبْصَرُكُمْ وَلَا اَجْلُودُكُمْ وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ اَنْ اللّٰهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيْرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ اَرَدْتُمْ فَاَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٢٣﴾ فَاِنْ يَصْبِرُوْا فَالنَّارُ مَثْوٰى لَّهُمْ وَاِنْ يَسْتَغِيْبُوْا فَاَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِيْنَ ﴿٢٤﴾ * وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْاٰنًا فَزَيَّنُوْا لَهُمْ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِىْ اُمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِيْنِ وَالْاِنْسِ اِنَّهُمْ كَانُوْا خٰسِرِيْنَ ﴿٢٥﴾

١٧ - وأما ثمود فبيننا لهم طريق الخير وطريق الشر، فاختاروا الضلالة على الهدى فأصابتهم صاعقة أحرقتهم في مذلة وهوان، بسبب ما كسبوا من ذنوب.

١٨ - ونجينا من هذا العذاب الذين آمنوا وكانوا يتقون الله ويخشون عذابه.

١٩ - واذكر لهم - أيها النبي - يوم يحشر أعداء الله إلى النار، فيجىء أولهم على آخرهم، ليطم الزام الحجة عليهم بين جميعهم.

٢٠ - حتى إذا ما جاءوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام في الدنيا، فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا.

٢١ - وقال أعداء الله لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة من العدم، وإليه - وحده - ترجعون بعد البعث فيحاسبكم على ما قدمتم من عمل.

٢٢ - وما كان باستطاعتكم أن تخفوا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم مخافة أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، ولكن كنتم تظنون أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالكم، بسبب اتيانها في الخفاء.

٢٣ - وذلك الظن الفاسد الذى ظننتموه بربكم أهلككم، فأصبحتم - يوم القيامة - من الخاسرين أتم خسران.

٢٤ - فإن يكظموا ألامهم فالنار مصيرهم ومستقرهم الدائم، وإن يطلبوا رضاء الله عليهم فاهم بجباين إلى طلبهم.

٢٥ - وهيانا لهم قرناء فاسدين - في الدنيا - فحسنوا لهم ما بين أيديهم من أمور الآخرة - فأغروهم بأنه لا بعث ولا حساب - وما خلفهم من أمور الدنيا ليستمتعوا بها، وثبتت عليهم كلمة العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ممن كانوا على شاكلتهم، لاختيارهم الضلالة على الهدى، ان هؤلاء - جميعا - كانوا من الخاسرين أتم خسران.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَجَعَلْنَاهُمْ نَحْتِ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا

٢٦ - وقال الكفار بعضهم لبعض : لا تصفوا لهذا القرآن ، وأتوا باللغو الباطل عند تلاوته فلا يستمع لتلاوته أحد ولا ينتفع به ، رجاء أن تغلبوا محمداً بذلك .

٢٧ - فنقسم : لنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً على فعلهم - ولاسيما محاربتهم القرآن - ولنجزينهم أسوأ جزاء على أعمالهم .

٢٨ - ذلك الذي ذكر من العذاب جزاء حق لأعداء الله ، النار معد لهم فيها دار الخلود ، جزاء جحودهم المستمر بآيات الله وحججه .

٢٩ - وقال الكافرون - وهم في النار - : ربنا أرنا الفريقين اللذين أوقعنا في الضلال من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ، ليكونا من الأسفلين مكانة ومكانا .

٣٠ - إن الذين قالوا : ربنا الله اقراراً بوحدانيتيه ، ثم استقاموا على شريعته ، تنزل عليهم الملائكة مرة بعد مرة ، قائلين : ألا تخافوا من شر ينزل لكم ، ولا تحزنوا على خير يفوتكم ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها على لسان الأنبياء والمرسلين .

٣١ ، ٣٢ - وتقول لهم الملائكة : نحن نصرأؤكم في الحياة الدنيا بالتأييد وفي الآخرة بالشفاعة والتكريم ، ولكم في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ والطيبات ولكم فيها ما تتمنون اكراماً وتحمية من رب واسع المغفرة والرحمة .

٣٣ - لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته ، وعمل - مع ذلك - عملاً صالحاً ، وقال - اعترافاً بعقيدته - : إني من المتقادين لأوامر الله .

٣٤ - ولا تستوى الخصلة الحسنة ولا الخصلة القبيحة ، ادفع الإساءة - إن جاءتك من عدو - بالخصلة التي هي أحسن منها ، فتكون العاقبة العاجلة إن الذي بينك وبينه عداوة كأنه ناصر مخلص

ذُو حَظِّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ إِنَّ الَّذِي أُحْيَاهَا لَمُحْيٍ
الْمَوْتَى ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا ۚ أَفَنُيَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي بآيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ

٣٥ - وما يرزق هذه الخصلة - وهي دفع السيئة بالحسنة - إلا الذين عندهم خلق الصبر ، وما يرزقها إلا ذو نصيب عظيم من خصال الخير وكمال النفس .

٣٦ - وإن يوسوس لك الشيطان ليصرفك عما أمرت به - أيها المخاطب - فتحصن بالله منه ، إن الله هو المحيط سمعه وعلمه بكل شيء فعيذك منه .

٣٧ - ومن دلائل قدرته - تعالى - الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، لأنها من آياته ، واسجدوا لله - وحده - الذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار إن كنتم حقا تعبدونه وحده .

٣٨ - فإن تعاطم المشركون عن امتثال أمرك فلا تأسف ، فالذين عند ربك في حضرة قدسه - وهم الملائكة - يزهونه عن كل نقص في كل وقت بالليل والنهار ، مخلصين له ، وهم لا يملون من تسبيحه .

٣٩ - ومن دلائل قدرته - تعالى أنك ترى - يا من يستطيع أن يرى - الأرض يابسة فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وانتفخت وزادت ، إن الذي أحيا الأرض بعد موتها الخلق أن يحيى الموتى من الحيوان ، إنه على كل شيء تام القدرة (١) .

٤٠ - إن الذين يميلون عن الصراط السوي في شأن آياتنا ، ويزيفون عنها تكذيبا لها ، لا يغيب عنا أمرهم وما يقصدون ، وسنجازهم بما يستحقون ، أفن يرمى في النار خير أم من يأتي مطمئنا يوم القيامة إلى نجاته من كل سوء ؟ قل لهم متوعدا : اعملوا ما أردتم ، إن الله محيط بصره بكل شيء ، فيجازي كلا بعمله .

٤١ ، ٤٢ - إن الذين جحدوا بالقرآن ذى الشأن حين جاءهم - من غير تدبر - سيكون لهم من العذاب ما لا يدخل تحت تصور أحد ، جحدوه وإنه لكتاب عز نظيره ، يغلب كل من عارضه ، لا يأتيه الباطل الذي لا أصل له من أية ناحية من نواحيه ، نزل متتابعا من اله منزله عن العيب ، محمود كثير الحمد بما أسدى من نعم .

(١) تبين الآية أن عناصر التربة ومركباتها الميتة عندما يزل عليها ماء المطر تذوب فيه ، فيسهل وصولها إلى بذور النباتات وجذورها ، حيث تتحول إلى خلايا وأنسجة وأعضاء حية ، وبذلك تبدو حية ، ويزيد حجمها بما يتخللها ويملؤها من نبات .

لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَاجِحٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوَسُ

٤٣ - لا يقال لك - يا محمد - من أعدائك إلا كما قيل للرسول من قبلك من أعدائهم من شتم وتكذيب ، إن خالقك ومريك لذو مغفرة عظيمة وذو عقاب بالغ الألم ، فيغفر لمن تاب منهم وينتقم لك ممن أصر على عناده .

٤٤ - ولو جعلنا القرآن أعجميا - كما اقترح بعض المعتننين - لقالوا منكرين : هلا بينت آياته بلسان نفقهه . كتاب أعجمي ومخاطب به عربي ؟ ! قل لهم - أيها الرسول - هو كما نزل للمؤمنين - دون غيرهم - هدى وشفاء للمؤمنين ، ينقدهم من الحيرة ، ويشفيهم من الشكوك . والذين لا يؤمنون به كأن في آذانهم - من الاعراض - صما ، وهو عليهم عمى ، لأنهم لا يرون منه إلا ما يبتغون به الفتنة ، أولئك الكافرون كمن يدعون إلى الإيمان به من مكان بعيد ، لا يسمعون فيه دعاء .

٤٥ - أقسم : لقد آتينا موسى التوراة فاختلف فيها قومه ، ولولا قضاء سبق من ربك - يا محمد - أن يؤخر عذاب المكذبين بك إلى أجل محدد عنده لفصل بينك وبينهم باستئصال المكذبين ، وإن كفار قومك لفي شك من القرآن موجب للقلق والاضطراب .

٤٦ - من عمل عملا صالحا فأجره لنفسه ، ومن أساء في عمله فإثمه على نفسه ، وليس ربك بظلام لعبيده ، فيعاقب أحدا بذنب غيره .

٤٧ - إلى الله - وحده - يرجع علم قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا كان هذا مقترنا بعلمه ، واذكر يوم ينادي الله المشركين - توبيخا لهم - : أين شركائي الذين كنتم تدعونهم من دوني ؟ ! قالوا معتدلين : نعلمك - يا الله - ليس منا من يشهد أن لك شريكا ..

٤٨ - وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه من قبل من الشركاء ، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم .

فَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَقَّ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ
عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بِالْحَقِّ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤٩ - لا يعل الإنسان من دعاء ربه بالخير الدينوى ، فإذا أصابه الشر فهو ذو بأس شديد من الخير ، ذو
قنوط بالغ من أن يستجيب الله دعاءه .

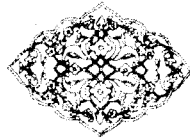
٥٠ - ونقسم : إن أذقنا الإنسان نعمة - تفضلا منا - من بعد ضر شديد أصابه ليقولن : هذا الذى نلته من
النعم حق ثابت لى ، وما أظن القيامة آتية ، وأقسم : إن فرض ورجعت إلى ربى أن لى عنده للعاقبة البالغة الحسن ،
ونقسم نحن . لنجزين الذين كفروا - يوم القيامة - بعملهم ، ولنذيقنهم من عذاب شديد متراكما بعضه فوق بعض .

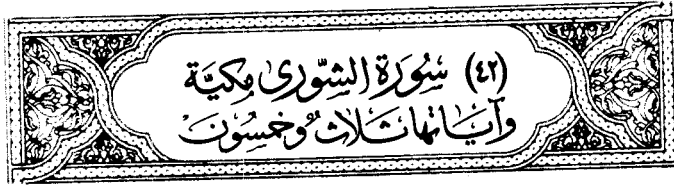
٥١ - وإذا أنعمنا على الإنسان تولى عن شكرنا ، وبعد بجانبه عن ديننا ، وإذا مسه الشر فهو ذو دعاء كثير .

٥٢ - قل لهم - يا محمد- : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم به ، فن أبعده عن الصواب
من هو فى خلاف بعيد عن الحق ؟ !

٥٣ - قريبا نرى هؤلاء المنكرين دلائنا على صدقك فى أقطار السموات والأرض وفى أنفسهم حتى يظهر لهم
أن ما جئت به هو الحق دون غيره ، أنكروا اظهارنا لهم الآيات أولم يكف بربك أنه مطلع على كل شيء ؟ !

٥٤ - ألا إن هؤلاء الكفار فى شك عظيم من لقاء ربهم لاستبعادهم البعث ، ألا إن الله بكل شيء محيط بعلمه
وقدرته .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

هذه السورة مكية ، وعدد آياتها ثلاث وخمسون ، وسميت الشورى لإرشادها المؤمنين إلى السير في تصريف أمور مجتمعهم على أساس الشورى ، احقاقا للحق ، وتقريراً للعدل ، وقد اشتملت على كثير من مسائل الدين وأدلة العقائد .

وقد افتتحت بالتنبؤ بشأن القرآن بأنه وحى من عند الله ، وردت طعن الكافرين ، وحرصت على تسليية الرسول - ﷺ - وانتقلت بعد ذلك إلى تقرير قدرة الله الذى أنزله وعظم سلطانه ، وكفر بعض الناس مع وضوح الأدلة على أنه من عند الله ، ببيان اختلافهم فى أدراك الحق ، وبعده أكدت قدرته - تعالى - على كل شيء ، ثم أثبتت وحدة الشرائع ، وأشارت إلى من كفر به مع ذلك ، كما أشارت إلى إرشاد الكتب السماوية إلى الحق ، وقد نددت السورة بشرك المشركين واختلافهم فى الحق ظلماً ، واستعجال المكذبين بالقيامة استهزاء ، وأرشدت إلى ما يجب أتباعه فى دعوة الناس إلى الدين ، كما بينت عظم لطف الله بعباده ، وحذرت السورة من الانهالك فى طلب الدنيا فحسب ، وبينت سوء حال الجاحدين وحسن حال المؤمنين فى الآخرة ، ونددت بادعاء المكذبين على رسول الله - ﷺ - افتراء - القرآن ، مع عجزهم عن الإتيان بأقصر سورة من مثله ، ثم أبانت قبول الله توبة المؤمنين ، والحكمة فى توزيع الرزق بين الناس بتقدير محكم ، فلم يكونوا - جميعاً - أغنياء خشية بغيهم ، ولم يكونوا فقراء خشية هلاكهم ، بل وسع لبعض وضيق على آخرين .

وأوضحت عظم بركات الغيث ، ودلائل قدرة الله فى هذا الوجود ، وأن مصائب الدنيا بسبب المعاصى ، ثم كرر - سبحانه - بأسلوب آخر حال المؤمنين والمكذبين فى الآخرة ، وما يكون عليه المكذبون من ذل ، ودعت إلى المبادرة بإجابة دعوة الله من قبل أن تنتهى الحياة فرصة العمل ، كما عنيت السورة بتسليية رسول الله - ﷺ - وبيان قدرته - سبحانه - على هبة الإنان لمن يشاء ، والذكور لفريق آخر ، والجمع بينها لثالث ، وحرمان فريق رابع منها ، ثم ذكرت طرق خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ، وختمت ببيان الطريق الحق المستقيم الذى يجب أتباعه .

١ ، ٢ - حم عسق : افتتحت هذه السورة بهذه الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح كثير من السور يمثل هذه الحروف .

٣ - مثل ما فى هذه السورة من المعانى يوحى إليك وإلى المرسلين من قبلك الله الغالب بقهره ، الذى يضع كل شيء موضعه ، على وفق الحكمة فى أفعاله وتدبيره .

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَاقِبٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ
الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ

٤ - الله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتدبيرا ، وهو المتفرد بعلو الشأن وعظم
السلطان .

٥ - تكاد السموات - مع عظمهن وتماسكهن أن يتشققن من فوقهن ، خشية من الله ، وتأثرا بعظمته وجلاله ،
والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به ، مثنين عليه بما هو أهله ، ويسألون الله المغفرة لأهل الأرض ، وبنه - سبحانه -
إلى أن الله هو - وحده - صاحب المغفرة الشاملة والرحمة الواسعة .

٦ - والذين اتخذوا من دون الله نصراء ، الله رقيب عليهم فيما يفعلون ، وما أنت بمفوض إليك أمر الرقابة
عليهم .

٧ - ومثل ذلك الإيحاء البين أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه ، لتنذر أهل مكة ومن حولها من العرب ،
وتنذر الناس عذاب يوم يجمع الله فيه الخلائق للحساب ، لا ريب في مجيئه ، الناس فيه فريقان : فريق في الجنة ،
وفريق في السعير .

٨ - ولو شاء الله أن يجمع الناس في الدنيا على طريقة واحدة لجمعهم ، ولكن يدخل من يشاء في رحمته ،
لعلمه أنهم سيختارون الهدى على الضلالة ، والظالمون أنفسهم بالكفر ليس لهم من دون الله ولي يتكفل بمجآتهم ،
ولا نصير ينقذهم من عذاب الله .

٩ - هؤلاء الظالمون لم يتخذوا الله وليا ، بل اتخذوا غيره أولياء ، وليس لهم ذلك ، فإله - وحده - الولي بحق
إن أرادوا وليا ، وهو يحيى الموتى للحساب ، وهو المسيطر بقدرته على كل شيء .

١٠ - والذى اختلفتم فيه من الإيمان والكفر فالحكم الفصل فيه مفوض إلى الله ، وقد بينه . ذلكم الحاكم
فما اختلفتم فيه الله مالك أبرى ، عليه اعتمدت في أموري ، وإليه - وحده - أرجع مسترشدا .

أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَحَابُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَحِجَّتْهُمْ دَابِحَةٌ

١١ - مبدع السموات والأرض ، خلق لكم من جنسكم أزواجا ذكورا وإناثا ، وخلق من الأنعام من جنسها
أزواجا كذلك ، يكثركم بهذا التدبير المحكم ، ليس كذاته شيء ، فليس له شيء يزوجه ، وهو المدرك - ادراكا
كاملا - لجميع المسموعات والمرئيات بلا تأثر حاسة .
١٢ - له مقاليد السموات والأرض حفظا وتديرا ، يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، إنه -
تعالى - محيط علمه بكل شيء .

١٣ - شرع لكم من العقائد ما عهد به إلى نوح ، والذي أوحيناه إليك ، وما عهدنا به إلى ابراهيم وموسى
وعيسى ، أن ثبتوا دعائم الدين - بامثال ما جاء به - ولا تختلفوا في شأنه ، شق على المشركين ما تدعوهم إليه من
إقامة دعائم الدين ، الله يصطفى لرسالته من يشاء ، ويوفق للإيمان وإقامة الدين من يترك العناد ويقبل عليه .

١٤ - وما اختلف أتباع الرسل السابقين في الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته . عداوة وحسدا
فيا بينهم ، ولولا وعد سابق من الله بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة لأهلكوا ، وأن الذين ورثوا الكتاب من
أسلافهم وأدركوا عهدك لفي شك من كتابهم موقع في الريب ، حيث لم يستجيبوا لدعوتك .

١٥ - فلأجل وحدة الدين وعدم التفرق فيه فادعهم إلى إقامة الدين ، وتأبر على تلك الدعوة كما أمرك
الله ، ولا تسائر أهواء المشركين ، وقل : أمنت بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله ، وأمرني الله بإقامة العدل
بينكم ، وقل لهم : الله خالقنا وخالقكم ، لنا أعمالنا لا لكم ، ولكم أعمالكم لا لنا ، لا احتجاج بيننا وبينكم
لوضوح الحق . الله يجمع بيننا للفصل بالعدل ، وإليه - وحده - المرجع والمآل .

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِنِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ

١٦ - والذين يجادلون في دين الله من بعدما استجاب الناس لدعوته الواضحة ، حجة هؤلاء المرتابين باطلة عند ربهم ، وعليهم غضب شديد بكفرهم ، ولهم عذاب أليم ينتظرهم .

١٧ - الله الذي أنزل كتاب محمد وما قبله من كتب المرسلين مشتملة على الحق والعدل ، وما يعلمك لعل وقت الساعة قريب وأنت لا تدري .

١٨ - يستعجل بمجيء الساعة - استهزاء - الذين لا يصدقون بها ، والذين صدقوا بها خائفون من وقوعها فلا يستعجلونها ، ويعلمون أنها الحق الثابت الذي لا ريب فيه ، وينبه - سبحانه - إلى أن الذين يجادلون في وقوعها لنى ضلال بعيد عن الحق .

١٩ - الله عظيم البر بجميع عباده ، يرزق من يشاء كما يشاء ، وهو الغالب على كل شيء ، المنيع الذي لا يغلب .

٢٠ - من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له أجره ، ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا - فحسب - نعطه ما قسم له فيها ، وليس له في الآخرة نصيب من الثواب .

٢١ - بل أهم آهة شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله ؟ ! لم يكن ذلك ، ولولا عدة سابقة بتأخر الفصل إلى يوم القيامة لقضى بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا ، وإن الظالمين أنفسهم بالكفر لهم عذاب شديد الإيلام .

٢٢ - ترى في القيامة - أيها المخاطب - الذين ظلموا أنفسهم بالشرك خائفين عقاب شركهم وهو نازل بهم - لا محالة - وترى الذين آمنوا وعملوا الصالحات تمتعين في أطيب بقاع الجنة ، لهم ما يتمنون من النعيم عند ربهم ، ذلك الجزاء العظيم هو الفضل الكبير الذي تتعلق به الآمال .

يَقْتَرِفُ حَسَنَةً تَزِدُّهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ
 يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
 الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
 لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ
 بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
 مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

٢٣ - ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الطائعين، قل - أها الرسول -؛ لا أطلب
 منكم على تبليغ الرسالة أجرا إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه - سبحانه - بعمل الصالحات، ومن يكتسب
 طاعة يضاعف الله له جزاءها، إن الله واسع المغفرة للمذنبين، شكور لعباده طيبات أعالهم.

٢٤ - بل أيقول الكفار: اختلق محمد الكذب على الله؟! فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم،
 واتهامك بالإفتراء على الله، ويزيل الله الشرك ويخذه، ويشبث الإسلام ويظهره بالوحي الذي أنزله على رسوله -
 ﷺ - إنه - سبحانه - محيط بخفايا قلوبكم جميعا..

٢٥ - والله - وحده - الذي يقبل التوبة من أهل طاعته بالتجاوز عما تابوا منه، ويصفح - تفضلا ورحمة -
 عن السيئات دون الشرك، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر.

٢٦ - ويحبب الله المؤمنين إلى ما طلبوا، ويزيدهم خيرا على مطلوبهم، والكافرون لهم عذاب بالغ غاية
 الشدة والابلام.

٢٧ - ولو وسع الله الرزق لجميع عباده - كما يبتغون - لطفوا في الأرض وظلموا، ولكن الله يوسع الرزق
 لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، حسبما اقتضته حكمته، إن الله محيط علما بما خفي وظهر من أمور عباده، فيقدر
 بحكمته لكل ما يصلح شأنه.

٢٨ - والله - وحده - هو الذي ينزل المطر الذي يفينهم من الجذب من بعد اليأس واشتداد القحط، رحمة
 بعباده، وينشر بركات المطر في النبات والثمار والحيوان والسهل والجبل، وهو - وحده - الذي يتولى تدبير أمور
 عباده، الحمد على انعامه وجميع أفعاله.

٢٩ - ومن دلائل قدرة الله على خلق ما يشاء خلق السموات والأرض على هذا النظام المحكم، وخلق
 ما فرق ونشر فيها من الدواب المرئية وغيرها، والله الذي ثبتت قدرته بإبداع ما تقدم قدير على جمع المكلفين في
 الوقت الذي يشاء بعثهم فيه للجزاء.

كثِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
 الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَسْأَلِ السَّيْفُ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رِوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ؎ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
 صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ
 مِنْ مَّحِصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

٣٠ - وأى مصيبة أصابتكم مما تكرهونه فبسبب معاصيكم ، وما عفا عنه في الدنيا أو أخذ عليه فيها فإله أكرم من أن يعاقب به في الآخرة ، وبهذا تنزه عن الظلم واتصف بالرحمة الواسعة .

٣١ - ولستم بقادرين على أن تعجزوا الله عن انزال المصائب في الدنيا عقابا على معاصيكم وإن هربتم في الأرض كل مهرب ، وليس لكم من دون الله من يتولاكم بالرحمة عند نزول البلاء ، ولا من ينصركم بدفعه عنكم .

٣٢ - ومن دلائل قدرة الله السفن الجارية في البحر ، كالجبال الشاهقة في عظمتها .

٣٣ - إن يسأله يسكن الريح فتظل السفن ثوابت على ظهر الماء لا تجرى بهم إلى مقاصدهم ، إن في سيرها ووقوفها بأمر الله لدلائل واضحة على قدرة الله ، يعتبر بها المؤمنون الصابرون في الضراء ، الشاكرون في السراء .

٣٤ - أو يهلكهن بذنوب ركبها بإرسال الرياح العاصفة ، وإن يسأ يعف عن كثير ، فلا يعاقبهم بإسكان الريح ، أو بإرسالها عاصفة مفرقة .

٣٥ - الله - سبحانه - فعل ذلك ليعتبر المؤمنون ، ويعلم الذين يردون آياته بالباطل أنهم في قبضته ، ما لهم مهرب من عذاب الله .

٣٦ - لا تغفروا بمتاع الدنيا ، فكل ما أعطيتموه - أيها الناس - من المال والبنين وسواها فهو متاع لكم في الحياة الدنيا ، وما أعد الله من نعم الجنة خير وأدوم للذين آمنوا ، وعلى خالقهم ومربيهم - وحده - يعتمدون .

٣٧ - والذين يبتعدون عن ارتكاب كباثر ما نهى الله عنه ، وكل ما زاد قبحه من الذنوب ، وإذا ما استفزوا بالإساءة إليهم في دنياهم ، هم - وحدهم - يبادرون بالصفح حتى كان ذلك علاجا نافعا .

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ آتَاكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وِلْيٍ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَدٌّ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَرْتَنُّهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا حَنَشِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَخْسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ

٣٨ - والذين أجابوا دعوة خالقهم ومربيهم ، فآمنوا به ، وحافظوا على صلواتهم ، وكان شأنهم التشاور في أمورهم لإقامة العدل في مجتمعهم ، دون أن يستبد بهم فرد أو قلة من الناس ، وما أنعم الله به عليهم ينفقون في وجوه الخير .

٣٩ - والذين إذا اعتدى عليهم ظالم هم ينتصرون لأنفسهم بمقاومة عدوانه .

٤٠ - وجزاء السيء إساءة مماثلة تقريراً للعدل ، فمن عفا عن أساءه عند القدرة ، وأصلح ما بينه وبين خصمه تقريراً للود ، فتوابه على الله الذي لا يعلم بقدره سواه ، إن الله لا يرحم المعتدين على حقوق الناس بمجاوزة شريعة الله .

٤١ - وإن الذين يعاقبون المعتدين بمثل ما اعتدوا به فلا مؤاخذة عليهم ولا لوم .

٤٢ - إنما اللوم والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس ويتكبرون في الأرض ويفسدون فيها بغير الحق ، أولئك لهم . عذاب شديد الإيلام .

٤٣ - أقسم : لمن صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه ، ولم ينتصر لنفسه حيناً لا يكون العفو تمكيناً للفساد في الأرض ، إن ذلك لمن الأمور التي ينبغي أن يوجيها العاقل على نفسه .

٤٤ - ومن ضل طريق الهدى - لسوء اختياره - فليس له ناصر سوى الله يهديه أو يمنعه من العذاب ، وترى في القيامة - أيها المخاطب - الظالمين حين يشاهدون عذاب الآخرة يسألون ربهم أي وسيلة يرجعون بها إلى الدنيا ، كي يعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملون .

٤٥ - وترى الظالمين - كذلك - يعرضون على النار متضائلين بسبب الذل لما لحقهم من الهول ، يسارتون النظر إلى النار خوفاً من مكارهاها ، ويقول المؤمنون - حينئذ - : إن الخاسرين حقاً هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وخسروا أزواجهم وأولادهم وأقاربهم بما حيل بينهم ، وبينه الله إلى أن الظالمين في عذاب دائم .

مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن

٤٦ - وما كان لهم نصراء مما عبدوهم من دون الله ومن أطاعوا في معصيته ينتقدونهم من عذاب الله ، ومن
ضل طريق الحق - لسوء اختياره - فليس له أى طريق ينجيه من سوء المصير .

٤٧ - سارعوا - أيها الناس - إلى إجابة ما دعاكم إليه رسول خالقكم ومربيكم من الإيمان والطاعة ، من
قبل أن تنتهى الحياة فرصة للعمل ، ويأتى يوم الحساب الذى لا يرده الله بعد أن قضى به ، ليس لكم - يومئذ - أى
ملاذ يحميكم من العذاب ولا تجدون أى منكر لما حل بكم .

٤٨ - فإن أعرض المشركون عن إجابتك - أيها الرسول - فلا تحزن ، فلست رقيباً عليهم فيما يفعلون ،
إنما كلفت البلاغ ، وقد بينت ، وإن شأن الناس إذا منحناهم من لدنا سعة بطروا لأجلها ، وإن تصيبهم مصيبة
بسبب معاصيهم فإنهم ينسون النعمة ، ويجزعون لنزول البلاء كفرةً وجحوداً .

٤٩ - الله - وحده - ملك السموات والأرض خلقاً وتديراً وتصرفاً ، يخلق ما يشاء خلقه ، يهب لمن يشاء
الإناث من الذرية ، ويمنح من يشاء الذكور دون الإناث .

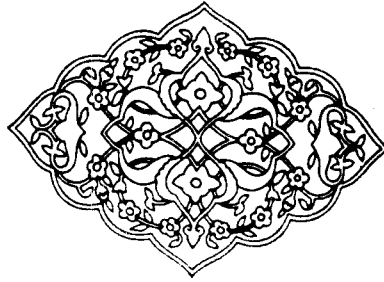
٥٠ - ويتفضل - سبحانه - على من يشاء بالجمع بين الذكور والإناث ، ويجعل من يشاء لا ولد له ، إن الله
محيط علمه بكل شيء ، قدير على فعل كل ما يريد .

٥١ - وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا وحيًا باللقاء في القلب الهاماً أو مناماً أو باسماح الكلام
الإلهي دون أن يرى السامع من يكلمه ، أو بإرسال ملك يرى صورته ، ويسمع صوته ، ليوحى بإذن الله ما يشاء ،
إن الله قاهر فلا يمانع ، بالغ الحكمة في تصرفاته وتدييره .

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٥٢ - ومثل ما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك - أيها الرسول - هذا القرآن حياة للقلوب بأمرنا ، ما كنت تعرف قبل الإيحاء إليك ما هو القرآن ، ولا تعرف ما شرائع الإيمان ، ولكن جعلنا القرآن نوراً عظيماً يرشد به من اختار الهدى ، وإنك لتدعو بهذا القرآن إلى طريق مستقيم .

٥٣ - طريق دين الله الذي له - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتديراً أو تصرفاً ، وينبهه - سبحانه - إلى أنه - وحده - ترجع إليه جميع الأمور .



﴿٥٣﴾ سُورَةُ الزَّخْرَفِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا اسْتَبَعِ وَمِمَّا بَوَّنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكَ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

افتتحت بحرفين من حروف الهجاء، واتبع ذلك بذكر القرآن وبيان منزلته عند الله، ثم أخذت السورة تبين موقف المستهزئين بالرسالات من رسلهم، وسافت أدلة كثيرة موجبة للإيمان بالله - وحده - ومع تلك الحجج نسبوا إليه الأنداد، وجعلوا له البنات ولم البنين، وحيثما فقدوا الحججة تمسكوا بتقليد آبائهم.

ثم تحدثت عن قصة إبراهيم وأعبتها باستعظام كفار مكة نزول القرآن على محمد دون عظيم من عظماء القريتين، كأنهم يقسمون فضل الله، والله قد قسم بينهم معيشتهم في الدنيا لعجزهم عن ذلك. ثم قررت السورة أنه لولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً لأعطى الكافر كل ما في الدنيا من متاع وزخرف وزينة. كما بينت أن من يعرض عن الحق يسلط الله عليه شيطاناً يقوده إلى الهلاك. ثم تعرض السورة قصة موسى وفرعون، وغرور فرعون بملكه، وما نزل بفرعون وقومه من انتقام الله، واتبعت ذلك بذكر ابن مريم، وإنه عبد منعم عليه من الله، دعا إلى الصراط المستقيم. وبعد تخويف من عذاب يوم القيامة، للظالمين، وبشارة للمؤمنين بالجنة التي لهم فيها ما تقر به أعينهم، تختم السورة بعموم ملك الله، وعجز من أشركوهم معه، فأعرض عنهم - يا محمد - وقل: سلام، فسوف يعلمون.

١ - حم: افتتحت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف.

٢ - أقسم - سبحانه بالقرآن الموضح لما اشتمل عليه من العقائد والأحكام.

٣ - إنا حصرنا الكتاب قرأناً عربياً، لكي تستطيعوا ادراك إعجازه وتدبر معانيه.

٤ - وإن هذا القرآن الثابت في اللوح المحفوظ عندنا، لرفيع القدر، ومحكم النظم، في أعلى طبقات البلاغة.

٥ - انهملكم فنمنع إنزال القرآن إليكم اعراضاً عنكم، لاسرافكم على أنفسكم في الكفر، لا يكون ذلك لاقتضاء الحكم الزامكم الحججة.

٦ - وأرسلنا كثيراً من الأنبياء في الأمم السابقة، فليس عجيباً إرسال رسول إليكم.

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَسَدًّا مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَيْسَتُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِذْ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ آتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ

٧ - وما يجيئهم من رسول يذكرهم بالحق الا استمروا على استهزائهم به .

٨ - فأهلكنا المكذبين السابقين ، وقد كانوا أشد من كفار مكة قوة ومنعة ، فلا يفتر هؤلاء بسطوتهم ، وسلف في القرآن من قصص الأولين العجيب ما جعلهم عبرة لغيرهم ، فاعتبروا أيها المكذبون .

٩ - وأقسم إن سألت الكافرين - أيها الرسول - عن خلق السموات والأرض ؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف في واقع الأمر بالعزة والعلم المحيط .

١٠ - الذي جعل لكم الأرض مكاناً مهداً ، لتستطيعوا الإقامة فيها واستغلالها ، وجعل لأجلكم فيها طرقاً تسلكونها في أسفاركم كي تصلوا إلى غاياتكم .

١١ - والذي نزل من السماء ماء بقدر الحاجة ، فأحيينا به بلدة مجدبة لا نبات فيها ، مثل ذلك الإحياء تبعثون من قبوركم للجزء ، فكيف تنكرونه ؟ !

١٢ - والذي خلق أصناف المخلوقات كلها ، وسخر لكم من السفن والابل ما تركيبونه في أسفاركم لقضاء حوائجكم .

١٣ - كي تستقروا فوق ظهورها ، ثم تذكروا نعمة خالقكم ومربيكم في تسخيرها لكم عند الاستقرار عليها ، ولتقولوا - استعظماً لتذليلها العجيب ، واعترافاً بالعجز عن ضبطها والتسلط عليها - : سبحان الذي ذلل لنا هذا ، وما كنا لتذليلها مطيقين .

١٤ - وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ، ليحاسب كل على ما قدمت يداه .

١٥ - وجعل المشركون لله - سبحانه - بعض خلقه ولداً ظنوه جزءاً منه ، ان الإنسان بعمله هذا المبالغ في كفره ، واضح في جحوده .

وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَبِيمٍ ﴿١٧﴾
 أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْخَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا
 خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
 إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ * قُلْ أُولُو جُنَّتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ

- ١٦ - بل أتزعمون أنه اتخذ لنفسه من خلقه البنات وأتركم بالذكور؟! إن هذا لأمر عجيب حقاً.
- ١٧ - نسبوا إليه ذلك، والحال أنه إذا بشر أحدهم بولادة انثى له صار وجهه مسوداً غيظاً، وهو مملوء كآبة وحزناً لسوء ما بشر به.
- ١٨ - أيجترئون ويجعلون ولداً لله من شأنه النشأة في الزينة، وهو في الجدال وإقامة الحجة عاجز لقصور بيانه! إن هذا لعجيب.
- ١٩ - وسبوا الملائكة المخلوقين للرحمن إنثاءً، أروا خلقهم رؤية مشاهدة حتى يحكموا بذلك! لم يروه، سنسجل عليهم هذا الافتراء، ويحاسبون عليه يوم القيامة.
- ٢٠ - وقال المشركون: لو شاء الرحمن عدم عبادتنا لهؤلاء الشركاء ما عبدناهم، زاعمين أنه راض عن عبادتهم لهؤلاء الشركاء، ليس لديهم بما قالوا أى علم يستندون إليه، وما هم إلا واهمون، يقولون قولاً غير مستند إلى دليل.
- ٢١ - بل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد افتراءهم، فهم به متعلقون أشد التعلق؟! لم نزل عليهم ذلك، فلاحجة لهم من النقل.
- ٢٢ - بل قال المشركون - حين فقدوا كل حجة - : إنا وجدنا آباءنا على دين، وإنا على آثارهم سائرون.
- ٢٣ - ومثل الحال الذى عليه هؤلاء حال الأمم السابقة، ما أرسلنا من قبلك في قرية رسولاً إلا قال المتنعمون فيها - وهم الذين أبطرتهم النعمة - : إنا وجدنا آباءنا على دين، وإنا على آثارهم سائرون، فالتقليد ضلال قديم.

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَهُنَا وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا

٢٤ - قال النذير: اتبعون آباءكم ولو جنتكم بما هو أدخل في الهداية مما وجدتم عليه آباءكم؟! قالوا - مجيبين لرسولهم يكذبونهم بالدين - : إننا بما أرسلتم به جاحدون .

٢٥ - فعاقبنا المكذبين لرسولهم عقاباً شديداً في الدنيا ، فانظر - أيها التأمل - كيف صار مآل المكذبين لكم مثلاً عجبياً وعظة بالغة؟! .

٢٦ - واذكر - يا محمد - للمكذبين قصة إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه : انني برىء من عبادة ألهتكم الباطلة .

٢٧ - لكنني أعبد الله الذي خلقتني ، لأنه الذي سيرشدني الى طريق الحق .

٢٨ - وصيرها - بإعلانها لهم - كلمة باقية في ذريته - هي كلمة التوحيد - لعلهم يرجعون إليها ، فيؤمنون بها .

٢٩ - لم يحقق المشركون رجاء إبراهيم ، ولم أعجل لهم العقوبة ، بل تمتعوا بالحاضر - لك - يا محمد - وامتعت آباءهم من قبل بأنواع النعم ، حتى نزل القرآن داعياً إلى الحق وجاءهم رسول مبين يدعوهم إليه .

٣٠ - وحين نزل القرآن يرشدهم إلى التوحيد ضموا إلى شركهم تسميته سحراً وقوساً - استهزاء به - وأصروا على كفرهم .

٣١ - وقال المشركون ، استخفافاً بمحمد ، واستعظماً أن ينزل عليه القرآن : هلا نزل القرآن الذي يزعم أنه وحى الله على رجل عظيم من مكة أو الطائف!

٣٢ - ليس بأيدي المشركين مفاتيح الرسالة ، حتى يجعلوها في أصحاب الجاه ، نحن تولينا تدبير معيشتهم لعجزهم عن ذلك ، وفضلنا بعضهم على بعض في الرزق والجاه ، ليتخذ بعضهم من بعض أعواناً يسخروهم في قضاء حوائجهم ، حتى يتساندوا في طلب العيش وتنظيم الحياة ، والنبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير من أكبر مقامات الدنيا .

لَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا
يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ عِثْرًا
ذِكْرَ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ
أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا
نَذَهَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُزِينَاكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي

٣٣ - ولولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً إذا رأوا الكفار في سعة من الرزق لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن
سقفاً ومصاعد يرتقون عليها من الفضة، لهوان الدنيا علينا.

٣٤ ، ٣٥ - وجعلنا لبيوتهم أبواباً وسروراً من فضة ينعمون بها ويتكئون عليها، وجعلنا لهم زينة من كل شيء،
وما كل ذلك المتاع الذي وصفناه لك الا متاعاً فانياً مقصوراً على الحياة الدنيا، وثواب الآخرة عند خالقك
ومربيك معد للذين اتقوا الشرك، واجتنبوا الموبقات.

٣٦ - ومن يتعامى عن القرآن الذي أنزله الرحمن ذكرى للعالمين، نتح له شيطاناً يتسلط عليه، فهو معه -
دائماً - يضلّه ويغويه.

٣٧ - وإن شياطين المتعالمين عن القرآن لينعونهم عن الطريق الذي يدعو إليه الرحمن، وبحسب المتعاملون
أنهم - باتباع قرنائهم - على الهدى.

٣٨ - حتى إذا جاء من تعامى عن القرآن إلى الله يوم القيامة، ورأى عاقبة تعاميه، قال لقرينه - نادماً :
يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرق عن المغرب، فبئس الصاحب كنت لي، حتى أوقعتني في الهاوية.

٣٩ - ويقال لهم حينئذ - توبيخاً - : لن يخفف العذاب عنكم اليوم - إذا ظلمتم أنفسكم بالكفر - اشتراك
شياطينكم معكم فيه، لأن كلا يعانى من العذاب ما يشغله.

٤٠ - أتقدر على هداية من بالغوا في الضلال، أفأنت تسمع الصم عن الحق، والعمى عن الاعتبار، ومن
كان في علم الله أنه يموت على الضلال؟! لا تستطيع ذلك، لأنهم استقروا في الكفر، فلم ينتفعوا بما يسمعون
ويروونه.

٤١ - فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم، ونشقي بذلك صدرك وصدور قوم مؤمنين فانا سننتقم منهم -
لا محالة - في الدنيا والآخرة.

٤٢ - أو أردت أن نريك العذاب الذى وعدناهم قبل وفاتك أريناك، لأننا مسيطرون عليهم بقدرتنا وقهرنا.

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَدِكَّرٌ لِّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلَّ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءِإِلَهَةً يُعْبُدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ ۖ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا

٤٣ - إذا كان أحد هذين الأمرين واقعاً - لا محالة - فكن مستمسكاً بالقرآن الذي أوحينا إليك، واثبت على العمل به، لأنك على طريق الحق القويم.

٤٤ - وإن هذا القرآن لشرف عظيم لك - يا محمد - ولأمتك، لنزوله عليك بلغة العرب، وسوف تسألون يوم القيامة عن القيام بحقه وشكر نعمته.

٤٥ - وانظر في شرائع من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أجات فيها دعوة الناس إلى عبادة غير الله! لم يجيء ذلك، فالعابدون لغير الله متوغلون في الضلال بعبادتهم.

٤٦ - ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه، فقال: إني رسول خالق العالمين ومريهم إليكم، فطالبوه بالمعجزات.

٤٧ - فلما جاءهم بالمعجزات المؤيدة لرسالته قابله فور مجيئها بالضحك منها - سخرية واستهزاء - دون تأمل فيها.

٤٨ - وكل معجزة من المعجزات التي تواتت عليهم - لوضوح دلالتها على صدق الرسول، واستقلالها بإفادة هذا المراد على أمم الوجوه، وكهاها في نفسها - إذا نظر إليها قيل: هي أكبر من قرينتها وصاحبها. وحينئذ أصروا على الطفيان أصبناهم بأنواع البلايا، ليرجعوا عن غيرهم.

٤٩ - وقالوا - مستغيثين بموسى حينئذ عمهم البلاء - : يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ - وهو العالم - ادع لنا ربك متوسلاً بعهدك عندك أن يكشف عنا العذاب، إنا - إذا كشف - لمهتدون.

٥٠ - فلما كشف الله عنهم المصائب بدعاء موسى فاجأوه بنقض عهدهم بالإيمان.

٥١ - ونادى فرعون في قومه - معلناً قوته وتسلطه - : أَلَيْسَ لِي - لا لغيري - ملك مصر، وهذه الأنهار التي تتشاهدونها تجري من تحت قصرى؟! أعميتم عن مشاهدة ذلك، فلا تعقلون ما تملية المشاهدة من قوتي وضعف موسى؟! وأراد بنداؤه تثبيتهم على طاعته.

الَّذِي هُوَ مِهِنٌ وَلَا يُكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
ءَأَلْهَتْنَا خَيْرًا مِّمَّا هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خِصْمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

٥٢ - قال فرعون - مبالغة في الطغيان : بل أنا خير من هذا الذي هو ضعيف ذليل ، ولا يكاد يبين دعواه بلسان فصيح .

٥٣ - وقال أيضاً - محرضاً على تكذيب موسى - : فهلا ألقى عليه ربه أسورة من ذهب ليلقى اليه بمقاليد الأمور ، أو إعانة بملائكة يؤيدونه إن كان صادقاً في دعواه الرسالة ؟ .

٥٤ - فاستغفر فرعون قومه بالقول ، وأثر فيهم هذا التوبيخ ، فأطاعوه في ضلاله ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن دين الله القويم .

٥٥ - فلما أغضبونا أشد الغضب - بإفراطهم في الفساد - انتقمنا منهم بإغراقهم أجمعين .

٥٦ - فجعلنا فرعون وقومه قدوة للكافرين بعدهم في استحقاق مثل عقابهم ، وحديثاً عجيب الشأن يعتبر به جميع الناس .

٥٧ - ولما ضرب الله عيسى ابن مريم مثلاً ، في كونه كآدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، فهو عبد مخلوق ، منعم عليه بالنبوة ، لا تصح عبادته من دون الله . إذا قومك من وصفه المضروب يعرضون ولا يعون .

٥٨ - وقال الكافرون : آلهتنا خير أم عيسى ؟ ! فإذا كان هو في النار فلنكن نحن وآلهتنا معه . ما ضرب الكفار هذا المثل لك إلا للجدل والغلبة في القول لا لطلب الحق ، بل هم قوم شداد في الخصومة ممنون فيها .

٥٩ - ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل - لخلقهم بدون أب - لبني إسرائيل ، يستدلون به على كمال قدرتنا .

٦٠ - ولو نشاء لحولنا بكم - أي الرجال - ملائكة يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم ، لتعرفوا أن الملائكة خاضعون لتصرف قدرة الله ، فن أين لهم استحقاق الألوهية ؟ !

بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَلْعَابِدِ لِأَخْوَفٍ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا

٦١ - وأن عيسى يحدوثة بدون أب، وإبرائه الأكمه والأبرص لدليل على قيام الساعة، فلا تشكن فيها، واتبعوا هداى ورسولى. هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٦٢ - ولا ينعكم الشيطان عن اتباع طريق المستقيم، انه لكم عدو ظاهر العداوة.

٦٣ - وحينما أرسل عيسى الى بنى اسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات قال لهم. قد جئتكم بشريعة حكيمة تدعوكم الى التوحيد، وجئتكم لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أمر الدين لتجتمعوا على الحق، فآخسوا عذاب الله وأطيعوا فيما أدعوكم اليه.

٦٤ - ان الله - وحده - هو خالق وخالقكم، فاعبدوه دون سواه، وحافظوا على شريعته، هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٦٥ - فاختلف الأحزاب من بين النصارى بعد عيسى فرقاً في أمره، فهلاك للذين ظلموا بما قالوه في عيسى مما كفروا به من عذاب شديد الإيلام يوم القيامة.

٦٦ - ما ينتظر الكافرون شيئاً بعد اعراضهم عن الايمان الا اتيان الساعة بغتة، وهم غافلون عنها.

٦٧ - الأصدقاء الذين جمعهم الباطل في الدنيا يكون بعضهم لبعض عدوا يوم اتيان الساعة بغتة، وتنقطع كل محبة إلا محبة الذين خافوا - وهم في الدنيا - عذاب الله، واجتمعوا فيها على طاعته.

٦٨ - ينادى الله المتقين - تكريماً لهم - يا عبادى، لا تخافوا اليوم عذاباً، ولا أنتم تحزنون، فقد أمنت العذاب، وضمن الله لكم الثواب.

٦٩ - الذين صدقوا بآيات الله وأطاعوه، وكانوا له منقادين.

٧٠ - يقال لهم يوم القيامة تشرifa: ادخلوا الجنة أنتم مع أزواجكم، تسرون فيها سروراً عظيماً، يظهر أثره على وجوهكم.

مَا تَشْتَبِهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُلْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحٰنَ

٧١ - وبعد دخولهم الجنة يطاف عليهم بأوان من ذهب وأكواب كذلك، وفيها ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة، وهم في الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتقربه الأعين، ويقال لهم - اكبالاً للسرور - : انتم في هذا النعيم مخلدون .

٧٢ - ويقال - اتماماً للنعمة - : تلك هي الجنة التي ظفرتم بها بسبب ما قدمتم في الدنيا من عمل الصالحات .

٧٣ - لكم فيها فاكهة كثيرة الأنواع والمقادير، تتمتعون بالأكل منها .

٧٤ - ان الذين أوجروا بالكفر في عذاب جهنم خالدون دائمون .

٧٥ - لا يخفف العذاب عن هؤلاء المجرمين ولا يسكن، وهم فيه يائسون من النجاة .

٧٦ - وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بهذا العذاب، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باختيارهم الضلالة على

الهدى .

٧٧ - ونادى المجرمون - حين يشوا من تخفيف العذاب الشديد - مالكاً خازن النار قائلين له : سل ربك أن يمتتنا لنستريح من أهوال جهنم . قال لهم مالك : انكم مقيمون في العذاب دائماً .

٧٨ - قال تعالى - رداً عليهم - : لقد جاءكم رسولنا - يا أهل مكة - بالدين الحق، فأمن به قليل، وأعرض عنه أكثركم . وهم لهذا الحق كارهون .

٧٩ - بل أحكم مشركو مكة أمرهم على تكذيب الرسول والتأمر على قتله، فانا محكمون امرا في مجازاتهم واطهارك عليهم .

٨٠ - بل أحيسب هؤلاء المشركون اننا لا نسمع حديث أنفسهم بتدبير الكيد، وما يتكلمون به فيما بينهم من تكذيب الحق؟! بل نسمعها، والحفظة من الملائكة عندهم يكتبون ذلك .

٨١ - قل للمشركين : ان صح بالبرهان أن للرحمن ولداً فانا أول العابدين لهذا الولد، لكنه لم يصح بالحجة أن ولداً للرحمن، لما يقرب عليه من عجز القوى وفقر الفنى، وهو - سبحانه - المنزه عن النقص المتصف بالكمال .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٨٢ - تنزيهاً لمخالق السموات والأرض خالق العرش العظيم عما يصفه به المشركون، مما لا يليق بألوهيته.

٨٣ - فدعهم ينغمسوا في أباطيلهم ويلعبوا في دنياهم - بترك الجادة - غير ملتفت اليهم، حتى يجيء يوم القيامة الذي وعدوا به، لتجزى كل نفس بما كسبت.

٨٤ - وهو الذي يعبد في السماء بحق، ويعبد في الأرض بحق، وهو - وحده - ذو الاحكام البالغ في أفعاله وتدبيره، المحيط علمه بما كان وما يكون.

٨٥ - وتعالى وتعظم الذي له - وحده - كمال التصرف في السموات والأرض وفيما بينها من مخلوقات الجبر المشاهدة وغيرها، وله تدبير الأمر في ذلك وعنده - وحده - علم وقت القيامة، واليه - وحده - ترجعون في الآخرة للحساب.

٨٦ - ولا يملك ألهتهم الذين يعبدونهم من غير الله الشفاعة لمن عبدوهم، لكن من شهد بالتوحيد - وهم يعتقدون أن الله ربهم حقاً - هم الذين يشفعون فيمن يشاء الله من المؤمنين.

٨٧ - ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين عن خلقهم، فيقولن: خلقهن الله، فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اقرارهم بأنه خالقهم؟! ان هذا لعجيب.

٨٨ - أقسم بقول محمد ﷺ - مستغنياً داعياً: «يارب» ان هؤلاء المعاندين قوم لا ينتظر منهم ايمان.

٨٩ - فأعرض - أيها الرسول - عنهم - لشدة عنادهم - ودعهم، وقل لهم: شأنى متاركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم، فسوف يعلمون أن عاقبة عنادهم الحسران المبين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ

ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن، وأنه أنزل من عند الله في ليلة القدر المباركة للانذار والتوحيد، وأنه الحق. كما تحدثت عن البعث، وأنه لا ريب فيه، وناقشت حجج المنكرين له، وردت على المشركين، وقارنت بين مشركي مكة واسلافهم قوم فرعون، وتعرضت لما حل بهم من انتقام الله، ثم أكدت أن يوم القيامة هو موعد فرق الكفر والضلال جميعاً، وتحدثت عن جزاء الضالين في هذا اليوم وجزاء المهتدين، وانهت بالحديث عن القرآن، كما بدت به، وبتهديد المكذابين بأمره - ﷻ - بانتظار ما يحل بهم من البلاء والمصائب.

١ - حم: ابتدأت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف.

٢ - أقسم الله بالقرآن الكاشف عن الدين الحق، الموضح للناس ما يصلح دنياهم وآخرتهم، اعلماً برفعة قدره.

٣ - اننا ابتدأنا انزال القرآن في ليلة وفيرة الخير، كثيرة البركات، لأن من شأننا الانذار بارسال الرسل وانزال الكتب.

٤ - في هذه الليلة المباركة يفصل ويبين كل أمر محكم، والقرآن رأس الحكمة، والفصل بين الحق والباطل، ولذا كان انزاله فيها.

٥ - أعنى بهذا الأمر أمراً عظيماً صادراً من عندنا كما اقتضاه تديرتنا، لأن من شأننا ارسال الرسل بالكتب لتبليغ العباد.

٦ - لأجل رحمة ربك بعباده أرسل رسله للناس يبلغونهم هديه، لأنه - وحده - السميع لكل مسموع، المحيط علماً بكل معلوم.

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَاذْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَلَيْسَ لَهْمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
 عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۖ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
 مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ

٧ - هو خالق السموات والأرض وما بينها ان كنتم موقنين بالحق ، مدعين له ، مؤمنين بأنه المنزل للقرآن رحمة وهداية .

٨ - لا اله يستحق العبادة سواه ، هو - وحده - يحيى ويميت ، وهو - وحده - خالقكم وخالق آبائكم الأولين .

٩ - بل الكفار في شك من هذا الحق ، يتبعون أهواءهم ، وذلك شأن اللاهين اللاعبين ، لا شأن أهل العلم واليقين .

١٠ - فانتظر - أيها الرسول - حينما ينزل بهم القحط - فيصابون بالهزال وضعف البصر ، فيرى الرجل بين السماء والأرض دخاناً واضحاً ! بحيث يسمع اطاء ولا يراه !

١١ - يحيط هذا الدخان بالمكذبين الذين أصابهم الجذب ! فيقولون لشدة الهول : هذا عذاب شديد الإيلام .

١٢ - كما يقولون استغاثته بالله : اننا سنؤمن ان تكشف عنا عذاب الجوع والحرمان .

١٣ - كيف يتعظ هؤلاء ، ويوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب ، وقد جاءهم رسول واضح الرسالة بالمعجزات الدالة على صدقه ، وذلك اعظم موجبات الاعتاظ ؟ !

١٤ - ثم اعرضوا عن التصديق بالرسول المؤيد بالمعجزات الواضحة ! وقالوا - كذبا وافتراء - : تارة يعلمه البشر ، وقالوا تارة أخرى : اختلط عقله .

١٥ - فرد الله عليهم : انا سترفع عنكم العذاب زمن الدنيا ، وهو قليل ، وانكم عائدون - لا محالة - الى ما كنتم عليه .

١٦ - اذكر - أيها الرسول - يوم نأخذهم الأخذة الكبرى بعنف وقوة ، اننا - بهذا الأخذ - منتقمون منهم .

١٧ - ولقد امتحنا قبل كفسار مكة قوم فرعون بالدعوة الى الايمان ، وجاءهم موسى رسول كريم على الله ، فكفروا به عناداً ! وكذلك شأن هؤلاء المشركين .

أَمِينٌ ۝ ١٨ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۚ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۝ ١٩ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۝ ٢٠
 وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ ۝ ٢١ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُوْلَاءَ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ ۝ ٢٢ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۝ ٢٣
 وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۝ ٢٤ كَرَّ تَرْكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۝ ٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ ٢٦
 وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنكِهِنَّ ۝ ٢٧ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ ٢٨ فَسَبَّكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ ٢٩ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرٰءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ ٣٠ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ

١٨ - قال لهم الرسول الكريم : أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من قبول دعوتي ، لأني لكم رسول مخلص بكم ، أمين على رسالتي .

١٩ - ولا تتكبروا على الله بتكذيب رسوله ، لأني آتيكم بمعجزة واضحة تبين صدق نبوتي ورسالتي .

٢٠ - واني اعتصمت بخالقي من أن تتمكنوا من قتلي رجماً .

٢١ - وإن لم تصدقوا بي فكونوا بمعزل مني ، ولا تؤذوني .

٢٢ - فدعا موسى ربه - شاكياً قومه حين يشس من إيمانهم - بأن هؤلاء قوم تناهى أمرهم في الكفر ، فافعل بهم ما يستحقون .

٢٣ - فسر بالمؤمنين ليلاً في خفية ، حتى لا يدركونكم ، لأن فرعون وجنوده سيبعثونكم إذا علموا ، للايقاع بكم .

٢٤ - واترك البحر ساكناً على هيئته بعد ضربه بالعصا ، ليدخله المنكرون ، فانهم مغروقون لا محالة .

٢٥ - تركوا بعد اغراقهم كثيراً من الجنات الناضرة والعيون الجارية .

٢٦ - والزروع المتنوعة ، والمنازل الحسنة .

٢٧ - وعيشة مرفهة نضرة كانوا فيها متنعين .

٢٨ - مثل ذلك العقاب يعاقب الله من خالف أمره ، وخرج على طاعته ، ويحول ما كان فيها من النعم الى قوم آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين .

٢٩ - فاحزنت عليهم السماء والأرض عندما أخذهم العذاب . هوان شأنهم ، ولم ينظروا لتوبة ، ولم يمهلوا لتدارك تقصيرهم احتقاراً لهم .

٣٠ - ولقد نجى الله بني اسرائيل من العذاب المذل لهم .

الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَيْرٌ لَّهُمْ قَوْمٌ يَّبِيعُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُونِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

٣١ - نجاهم من فرعون ، ان فرعون كان مستعلياً على قومه ، مسرفاً في الشر والظفیان .

٣٢ - أقسم : لقد اخترنا بني اسرائيل على علم منا بأحقيتهم بالاختيار على عالمي زمانهم ، فبعثنا فيهم أنبياء كثيرين مع علمنا بجهلهم .

٣٣ - وآتاهم الله على يد موسى من الدلائل ما فيه اختبار ظاهر لهم .

٣٤ ، ٣٥ - ان هؤلاء المكذبين بالبعث ليقولون : ما الموت الا موتتنا الأولى في الدنيا وما نحن بعدها ببعوثين .

٣٦ - ويقولون لرسول الله والمؤمنين : ان كنتم صادقين في دعواكم أن ربكم يحيى الموتى للحساب في الآخرة فمجلوا لنا أحياء من مات من آباءنا ، بسؤالكم ربكم ذلك .

٣٧ - أكفار مكة خير في القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا أم قوم تبع ومن سبقهم ؟ ! ليس مشركو قومك - يا محمد - أقوى منهم ، وقد أهلكتناهم في الدنيا بكفرهم واجرامهم ، فليتعبروا بهم .

٣٨ - وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما دون حكمة .

٣٩ - ما خلقناهما الا خلقاً منوطاً بالحكمة ، على نظام ثابت يدل على وجود الله ووحديته وقدرته ، ولكن أكثر هؤلاء في غفلة عمياء ، لا يعلمون هذه الدلالة .

٤٠ - ان يوم الحكم بين الحق والمبطل وقت مواعدهم أجمعين .

٤١ - يوم لا يدفع أى قريب عن أى قريب ، ولا أى حليف عن أى حليف شيئاً قليلاً من العذاب ، ولا هم ينصرون عند الله بأنفسهم .

٤٢ - لكن الذين رحمهم الله من المؤمنين يعفو الله عنهم ، ويأذن لهم بالشفاعة ، انه الغالب على كل شيء ، الرحيم بعباده المؤمنين .

٤٣ ، ٤٤ - ان شجرة الزقوم المعروفة بقبح منظرها وخبث طعمها وريحها طعام الفاجر كثير الآثام .

٤٥ ، ٤٦ - طعامها كسائل المعدن الذى صهرته الحرارة ، يغلى في البطن كغلي الماء الذى بلغ النهاية في غليانه .

سَوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَمِّينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ لَللِّسَانِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

٤٧ - خذوا يا زبانية جهنم - هذا الفاجر الأنيم ، فقوده بعنف وغلظة إلى وسط جهنم .

٤٨ - ثم صبوا فوق رأسه الماء الشديد الحرارة ، زيادة في تعذيبه وإيلامه .

٤٩ - يقال له - استهزاء وتهكما به - ذق العذاب الشديد ، انك أنت العزيز في قومك ، الكريم في حسابك .

٥٠ - ان هذا العذاب الذي لمستموه حقيقة واقعة هو ما كنتم تخاصمون بشأنه في الدنيا ، وتشكون في وقوعه .

٥١ - ان الذين وقوا أنفسهم من المعاصي بالتزام طاعة الله في مكان عظيم ، يأمنون فيه على أنفسهم .

٥٢ - في جنات ينعمون فيها ، وعيون من الماء تجري من تحتها ، اكراما لهم باعظام نعيمهم .

٥٣ - يلبسون مارق وما غلظ من الحرير زيادة في زينتهم ، متقابلين في مجالسهم ، ليتم لهم الأيس .

٥٤ - ومع هذا الجزاء زوجناهم في الجنة بحور عين ، يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن وجمالهن وسعة عيونهن .

٥٥ - يطلبون في الجنة كل فاكهة يشتهونها ، آمين من الغصص والزوال والحرمان .

٥٦ - لا يذوقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا عند انقضاء آجالهم ، وحفظهم ربهم

من عذاب النار .

٥٧ - حفظوا من العذاب فضلا واحسانا من خالقك ، ذلك الحفظ من العذاب ودخول الجنة هو غاية الفوز

العظيم .

٥٨ - فإنما سهلنا عليك تلاوة القرآن وتبليغه منزلا بلغتك ولغتهم كي يتعظوا ، فيؤمنوا به ويعملوا بما فيه .

٥٩ - فانتظر ما يحل بهم ، انهم منتظرون ما يحل بك وبدعوتك من الدوائر .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَزَلَّ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف الهجاء ، وأتبع ذلك ببيان أن تنزيل القرآن ، من الله العزيز الحكيم ، ثم عرضت أدلة كونية وعقلية لاثبات عقيدة الايمان والدعوة إلى اعتناقه كما تضمنت الدعاء على المكذبين للآيات ، ثم أخذت تعدد نعم الله وفضله على عباده ، وطلبت من المؤمنين أن يغفروا للمنكرين ، فالله - وحده - هو الذي يجزي كل نفس بما كسبت ، وبعد ذلك تحدثت السورة عما تفضل الله به على بنى اسرائيل من نعم كثيرة وما وقع بينهم من اختلاف سيقضى الله فيه يوم القيامة . ثم أخذت تفرق بين من اتبعوا الحق ومن اتبعوا الهوى فأنكروا البعث وردوا آيات القدرة بطلبهم أحياء آبائهم ، والله هو المحيي والمميت ، له ملك كل شيء ، ويوم يحشر المبتلون تدعى كل نفس إلى كتابها ، ويفوز المؤمنون ويؤنب المستكبرون ، وتعود السورة إلى الحديث عن انكارهم الساعة وتكذيبهم بالآيات الدالة عليها ، وعن نسيان الله إياهم كما نسوا هذا اليوم ، وبيان أن مأواهم النار باستهزائهم بآيات الله وغرورهم بالدنيا ، وختمت السورة بالثناء على خالق السموات والأرض ، صاحب الكبرياء فيها ، العزيز الحكيم .

١ - حم : حرفان من الحروف الصوتية ابتدأت بها هذه السورة على طريقة القرآن في افتتاح بعض سورته بمثل هذه الحروف للإشارة إلى عجز المشركين عن الاتيان بمثله مع أنه مؤلف من الحروف التي يستعملونها في كلامهم .

٢ - تنزيل القرآن من الله القوى المنيع ، الحكيم في تدبيره وصنعه .

٣ - إن في خلق السموات والأرض من بديع صنع الله لدلالات قوية على ألوهيته ووحدانته ، يؤمن بها المصدقون بالله بفطرتهم السليمة .

٤ - وفي خلق الله لكم - أيها الناس - على ما أنتم عليه من حسن الصورة وبديع الصنع ، وما يفرق وينشر من الدواب على اختلاف الصور والمنافع لدلالات قوية واضحة لقوم يستيقنون بأمرهم بالتدبر والتفكر .

رَزَقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مَن رَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۗ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

- ٥ - وفي اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلام مع تعاقبها على نظام ثابت ، وفيما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بالانبات بعد موتها بالجذب ، وتصريف الرياح إلى جهات متعددة مع اختلافها ببرودة وحرارة وقوة وضعفا علامات واضحة على كمال قدرة الله لقوم فكروا بعقولهم فخلص يقينهم .
- ٦ - تلك آيات الله الكونية التي أقامها الله للناس ، نقرؤها عليك في القرآن على لسان جبريل مشتملة على الحق ، فإذا لم يؤمنوا بها فبأى حديث بعد حديث الله - وهو القرآن - وآياته يصدقون .
- ٧ - هلاك شديد لكل من افترى على الله أقبح الأكاذيب ولمن كثرت آثامه بذلك .
- ٨ - يسمع هذا المفترى آيات الله تتلى عليه ناطقة بالحق ، ثم يصر على الكفر متكبرا عن الإيمان ، شأنه شأن من لم يسمع الآيات ، فبشره أيها النبي - تهكما - بعذاب أليم لاصراره على عمل ما يوصل إليه .
- ٩ - وإذا علم هذا العنيد أى شيء من آيات الله جعل آيات الله كلها مادة لسخريته واستهزائه ، أولئك الأفاكون الآثمون لهم عذاب مذل لكبريائهم .
- ١٠ - من ورأهم جهنم تنتظرهم ، ولا يدفع عنهم ما كسبوا في الدنيا شيئا من عذابها ، ولا الآلهة التي اتخذوها من دون الله نصراء تدفع شيئا من عذابها ، ولهم عذاب عظيم في هوله وشدته .
- ١١ - هذا القرآن دليل كامل على الحق من عند الله ، والذين جحدوا ما اشتمل عليه من حجج خالقهم ومربيهم لهم عذاب من أشد أنواع العذاب .
- ١٢ - الله - وحده هو الذى ذلل لكم البحر لتسير السفن فيه بإذنه وقدرته حاملة لكم ولحاجاتكم ، ولتطلبوا من فضل الله من خيرات البحر باستفادة علم وتجارة وجهاد وهداية وصيد واستخراج آنية ، ولعلكم تشكرون نعمه بإخلاص الدين لله .

لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا
يَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

١٣ - ودلل لكم جميع ما في السموات من نجوم مضيئة وكواكب ، وكل ما في الأرض من زرع وضرع
وخصب وماء ونار وهواء وصحراء جميعا منه - تعالى - ليوفر لكم منافع الحياة . ان فيما ذكر من نعم آيات دالة على
قدرته لقوم يتدبرون الآيات .

١٤ - قل - أيها الرسول - للذين صدقوا بالله واتبعوك : يصفحوا عن الايذاء الذي يصيبهم من الذين
لا يتوقعون أيام الله التي يجزي فيها أقواما بالخير وأقواما بالشر حسبا كانوا .

١٥ - من عمل صالحا فلنفسه الأجر والثواب ، ومن أساء عمله فعلى نفسه وزر عمله ، ثم إلى خالقكم
ترجعون للجزاء .

١٦ - أقسم : لقد أعطينا بنى اسرائيل التوراة والحكم بما فيها والنبوة الملهمة من قبل الله ، ورزقناهم من
الخيرات المتنوعة وفضلناهم بكثير من النعم على الخلق أجمعين .

١٧ - وأعطيناهم دلائل واضحة من أمر دينهم فاقع بينهم اختلاف الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الدين
وأحكامه عداوة وحسدا فيما بينهم ، ان ربك يفصل بين المختلفين يوم القيامة في الأمر الذي كانوا فيه يختلفون .

١٨ - ثم جعلناك - يا محمد - بعد اختلاف أهل الكتاب مبعوثا على منهاج واضح من أمر الدين الذي
شرعناه لك ولن قبلك من رسلنا فاتبع شريعتك الحقمة ، الثابتة بالحجج والدلائل ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون
طريق الحق .

١٩ - ان المظلمين الطامعين في اتباعك لهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعتم ، وان المتجاوزين
لحدود الله بعضهم أنصار بعض على الباطل ، والله ناصر الذين يخشونه فلا ينالهم ظلم الظالمين .

٢٠ - هذا القرآن المنزل عليك دلائل للناس تبصرهم بالدين الحق ، وهدى يرشدهم إلى مسالك الخير ، ونعمة
لقوم يستيقنون بثواب الله وعقابه .

أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَجِئَهُمْ وَمَاتَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
 وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ
 إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
 إِلَّا يَظُنُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُوتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾
 قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ

٢١ - بل حسب الذين اكتسبوا مايسوء من الكفر والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من الأعمال ، فنسوى بين الفريقين في الحياة ونسوى بين الفريقين في المات ، بس ما يقضون إذا أحسوا أنهم كالؤمنين .

٢٢ - وخلق الله السموات والأرض متلبسا بالحكمة والنظام ، لتظهر دلائل ألوهيته وقدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ، وهم لا ينقصون شيئا من جزائهم .

٢٣ - أنظرت فرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه معبودا له فخضع له وأطاعه ، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل ، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يعتقد حقا ، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبرة . فن يهديه من بعد اعراض الله عنه ، أتتركون النظر فلا تذكرون ؟ .

٢٤ - وقال المنكرون للبعث : ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ، نحيا ونموت ، وليس وراء ذلك حياة بعد الموت ، وما يهلكنا الا مرور الزمان . وما يقولون ذلك عن علم ويقين ، ولكن عن ظن وتخمين .

٢٥ - وإذا قرئت عليهم آيات الله واضحات الدلالة على قدرته على البعث ما كان حجتهم إلا مقاتلهم - فرارا من الحق - : أحيوا آباءنا إن كنتم صادقين في دعوى وقوع البعث .

٢٦ - قل لهم - يا محمد - الله يحييكم في الدنيا من العدم ثم يميتكم فيها عند انقضاء آجالكم ، ثم يجمعكم في يوم القيامة ، لا شك في هذا الجمع ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث ، لاعراضهم عن التأمل في الدلائل ، والقادر على ذلك قادر على الاتيان بآبائكم .

٢٧ - والله - وحده - ملك السموات والأرض خلقا وملكا وتديرا ، وحين تقوم الساعة - يوم قيامها - يحسر الذين اتبعوا الباطل .

إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَأَرِيبٌ
فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمَا نَسْفِكَ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُمۡ أَتَّخَذْتُمۡ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنۡهَا وَلَا لَهُمْ

٢٨ - وترى يوم تقوم الساعة - أيها المخاطب - أهل كل دين جالسين على الركب من هول الموقف متحضرين لاجابة النداء ، كل أمة تدعى إلى سجل أعمالها ويقال لهم : اليوم تستوفون جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .
٢٩ - ويقال لهم : هذا كتابنا الذي سجلنا فيه أعمالكم وأخذتموه بأيديكم ينطق عليكم بما عملتم شهادة صدق ، انا كنا نستكتب الملائكة لنحاسبكم على ما فرط منكم .
٣٠ - فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحة فيدخلهم ربهم في جنته ، ذلك الجزاء هو الفوز البين الواضح .

٣١ - وأما الذين كفروا بالله ورسله فيقال لهم - توبيخا - : ألم تأتكم رسلى ، ألم تكن آياتى تتلى عليكم ، فتعاليتم عن قبول الحق ، وكنتم قوما كافرين ؟ .

٣٢ - وإذا قال لكم رسول الله - أيها المنكرون للبعث - : ان وعد الله بالجزاء حق ثابت ، والساعة لا شك في مجيئها ، قلتم : مانعلم ، أى شيء الساعة وما حقيقتها ؟ ما نحن إلا نظن مجيء الساعة ظنا ، وما نحن بموقنين أنها آتية .

٣٣ - وظهر لهؤلاء الكفار قبائح أعمالهم ، ونزل بهم جزاء استهزائهم بآيات الله .

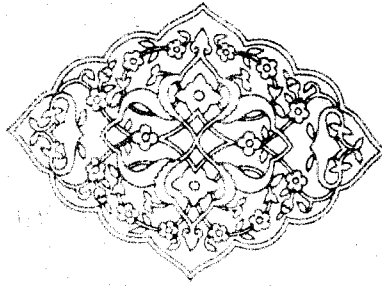
٣٤ - وقيل لهؤلاء المشركين - توبيخا - : اليوم نترككم في العذاب كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم في هذا اليوم بالطاعة والعمل الصالح ، ومقرم النار ، وليس لكم من ناصرين ينقذونكم من عذابها .

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٥ - ذلكم العذاب الذي نزل بكم بسبب كفركم واستهزائكم بآيات الله ، وخذعتكم الحياة الدنيا بزخرفها ،
 فالיום لا يستطيع أحد اخراج هؤلاء من النار ، ولا هم يطلب منهم أن يرضوا بهم بالاعتذار .

٣٦ - فله - وحده - الثناء ، خالق السموات والأرض وخالق جميع الخلق ، فإن هذه الربوبية العامة توجب
 الحمد على كل نعمة .

٣٧ - وله - وحده سبحانه - العظمة والسلطان في السموات والأرض ، وهو العزيز الذي لا يغلب ، ذو الحكمة
 الذي لا يخطيء في أحكامه .
 والله أعلم .



(٤٦) سُورَةُ الْاِحْقَافِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسِينَ وَتِسْعُ اَلْوَاوِثِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ

تحدثت هذه السورة الكريمة عن انزال القرآن من عند الله ، ووجوب الايمان به وبمحمد ﷺ ، والتصديق بالقيامة ، وعنتب بالتنبيه إلى الاعتبار بما أصاب السابقين الذين عصوا الله ورسله ، ودعت إلى العناية ببر الوالدين ورعاية حقوقها ، وعرضت لقصة نفر من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم وتواصوا بالانصات له ، فوجدوه مصدقا لما جاء به الرسل قبل محمد ﷺ ، يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأمنوا به ، ودعوا قومهم إلى ذلك ، وأنهت الحديث بدعوة النبي - ﷺ - إلى الصبر على تكذيب قومه والتأسي في ذلك بما احتمله أولو العزم من الرسل قبله .

- ١ - افتتحت هذه السورة ببعض الحروف على طريقة القرآن الكريم في افتتاح طائفة من سوره بالحروف .
- ٢ - تنزيل القرآن من عند الله الغالب على كل شيء ، ذى الحكمة في كل ما يفعل .
- ٣ - ما خلقنا السموات والأرض وما بينها إلا على نواميس ثابتة ، لغايات تقتضيها الحكمة ، وإلى أمد معين تنفى بعده ، والذين جحدوا بهذه الحقيقة معرضون عما أُنذروا به من خلق جديد يوم يبعث الناس للجزاء .
- ٤ - قل للذين يدعون غير الله : أخبروني عن حال ما تدعون من دون الله ؟ أعلمنى : أى شيء خلقوا من الأرض أم لهم مشاركة في السموات ؟ ! ايتونى بكتاب من عند الله أو أثر من علم الأولين تستندون إليه في دعواكم ان كنتم صادقين .
- ٥ - ومن أكثر ضللا ممن يدعو من دون الله معبودات لا تستجيب له ما بقيت الدنيا ؟ ! وهم مع ذلك غافلون عن دعائهم ، غير شاعرين به .

النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۖ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَبِقُولُونَ هَذَا ءِيفَكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ

٦ - وإذا جمع الناس للحساب يوم القيامة كان هؤلاء المعبودون أعداء لمن عبدوهم ، يتبرءون منهم ، ويكذبونهم فيما زعموا من استحقاقهم لعبادتهم .

٧ - وإذا تتلى على المشركين آياتنا واضحات لكفرهم وعنادهم - عن تلك الآيات - دون تأمل : هذا سحر ظاهر .

٨ - بل أيقول هؤلاء الكافرون : اختلق محمد القرآن وأضافه إلى الله ؟ قل ردا عليهم . ان افتريته عاجلني الله بعقوبته ، فلا تستطيعون أن تدفعوا عني من عذابه شيئا . هو - وحده - أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في آياته ، كفى به شهيدا لي بالصدق وشهيدا عليكم بالتكذيب ، وهو - وحده - واسع المغفرة لمن تاب ، عظيم الرحمة ، يمهل العصاة ليتداركوا .

٩ - قل لهم : ما كنت أول رسول من عند الله فتكروا رسالتي ، ولست أعلم ما يفعل الله بي ولا بكم ، ما أتبع فيما أقول أو أفعل الا الذي يوحى الله إلي ، وما أنا الا منذر بين الانذار .

١٠ - قل : أخبروني ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بنى اسرائيل على نزول مثله من عند الله ، فأمن به واستكبرتم ، ألا تكونون حينئذ أضل الناس وأظلمهم لأنفسهم ؟ ! ان الله لا يوفق إلى الهدى من ظلم نفسه واستكبر عن الحق .

١١ - وقال الذين كفروا في شأن الذين آمنوا استهزاء بهم واستعلاء عليهم : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إلى الايمان به ، فإننا نحن أصحاب السيادة والعقول الراجحة ! ! وحين لم يهتدوا به يطعنون فيه فيقولون : هذا كذب قديم من أساطير الأولين .

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَّقِبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ
الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ إِفْ لَكُمْمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِثَانِ اللَّهَ وَيَلِكُ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ

١٢ - ومن قبل القرآن أنزل الله التوراة قدوة ورحمة للعاملين بها ، وهذا القرآن الذي يكذبونه مصدق لما قبله من الكتب ، أنزله الله بلسان عربي ليكون انذارا متجددا للذين ظلموا ، وبشرى للذين استقاموا على الطريقة .
١٣ - ان الذين قالوا : ربنا الله وحده ، ثم أحسنوا العمل ، فلا خوف عليهم من نزول مكروه ولا هم يحزنون لغوات مطلوب .

١٤ - أولئك الموصوفون بالتوحيد والاستقامة هم المختصون بدخول الجنة خالدين فيها ، أعطاهم الله ذلك جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات .

١٥ - ووصينا الانسان بالديه أن يحسن اليها احسانا عظيما ، حملته أمه حملا ذا مشقة ، ووضعتة وضعا ذا مشقة ، ومدة حملة وفضاله ثلاثون شهرا قاست فيها صنوف الآلام ، حتى إذا بلغ كمال قوته وعقله ، وبلغ أربعين سنة ، قال : رب أهمني شكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي ، وأهمني أن أعمل عملا صالحا ترضاه ، واجعل الصلاح ساريا في ذريتي ، اني تبت إليك من كل ذنب ، وإني من الذين أسلموا أنفسهم اليك (١) .

١٦ - أولئك الموصوفون بتلك الحماد هم الذين تتقبل عنهم أعمالهم الحسنة ، ونعفو عن سيئاتهم في عداد أصحاب الجنة ، محققين لهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

١٧ - والذي قال لوالديه حين دعواه إلى الايمان بالبعث ، متضررا منها ومنكرا عليها : أف لكما . أتعداني بالخروج من القبر وقد مضت الأمم من قبلي ولم يبعث من القبور أحد ؟ ! وأبواه يستفثان الله استعظاما جرمه ، ويقولان له حثا على الايمان : هلكت ان لم تؤمن ، ان وعد الله بالبعث حق ، فيقول امعانا في التكذيب : ما هذا الذي تقولانه الا خرافات سطرها الأولون .

١٨ - أولئك القائلون ذلك هم الذين حق عليهم وقوع العذاب . في عداد أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس ، لأنهم كانوا خاسرين .

(١) أقل مدة الحمل ستة أشهر لقوله تعالى : « وحمله وفضاله ثلاثون شهرا » وقوله تعالى : « وفضاله في عامين » وقوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » فبإسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبق للحمل ستة أشهر . وهذا يتفق مع ما ثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لسته أشهر فإنه قابل للحياة .

مَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَتْ طَبِيبَتِكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ
 خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَ عَنِ الْهِنْتَانَا فَآتِنَا
 بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا
 تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

١٩ - ولكل من المسلمين والكفار منازل ملائمة لما عملوا، ليظهر عدل الله فيهم، وليوفيهم جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون، لاستحقاقهم ما يجزون به.

٢٠ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم: أذهبتم نصيبكم من الطيبات في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بها. فالיום تجزون عذاب الهوان بما كنتم عليه في الدنيا من الاستكبار في الأرض بغير الحق، والخروج عن طاعة الله.

٢١ - واذكر هودا أخا عاد إذ حذر قومه المقيمين بالأحقاف - وقد مضت الرسل قبله وبعده بمثل إنذاره - قائلاً لهم: لا تعبدوا إلا الله، اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الهول^(١).

٢٢ - قال قوم هود انكارا عليه: أجئنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في هذا الوعيد.

٢٣ - قال هود: انما العلم بوقت عذابكم عند الله وحده، وأنا أبلغكم الذي أرسلت به، ولكني أراكم قوما تجهلون ما تبعث به الرسل.

٢٤، ٢٥ - فأتاهم العذاب في صورة سحاب، فلما رأوه ممتدا في الأفق، متوجها نحو أوديتهم، قالوا فرحين: هذا سحاب يأتينا بالمطر والخير. فقيل لهم: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب شديد الألم، تهلك كل شيء بأمر خالقها، دمرتهم فأصبحوا لا يرى من آثارها إلا مساكنهم. كذلك الجزاء نجزي كل من ارتكب مثل جرمهم.

(١) وكانت منازل هذه القبيلة بالأحقاف، وموقع الأحقاف مختلف فيه: وبعض المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر: أي في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب. وبعض المنقبين في الزمن القريب يرون أنه شرق العقبة معتمدين على كتابات نبطية عثروا عليها في خرائب معبد كنفوا عنه في جبل ارم، ووجدوا في جوانب الجبل آثارا جاهلية قديمة، فرجحوا أن هذا المكان هو موضع ارم التي ذكرها القرآن الكريم، ثم خرجت قبل الاسلام ولم يبق منها حينئذ ظهر إلا عين ماء كان التجار وأصحاب القوافل ينزلون عليها في طريقهم إلى الشام.

وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْعَادَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعَادَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلَّ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْعَذَابِ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

٢٦ - ولقد مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من السعة والقوة يا أهل مكة ، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، لو شاءوا الانتفاع بها ، فما نفعهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم شيئا قليلا ، لأنهم كانوا يكذبون بآيات الله ، فحال ذلك بينهم وبين انتفاعهم بما أوتوا ، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون .

٢٧ - ولقد أهلكنا القرى التي كانت حولكم يا أهل مكة ، وبيننا لهم الدلائل بأساليب متنوعة ، لعلمهم يرجعون عن الكفر ، فلم يرجعوا .

٢٨ - فهلا منهم من الهلك الذين اتخذوهم من دون الله آلهة متقربين بهم إليه تعالى !! بل غابت هذه الآلهة عنهم وهم أحوج ما كانوا إلى النصره ، وذلك الذي حل بهم من خذلان آلهتهم لهم وضلالم عنهم هو عاقبة كذبهم وافترانهم .

٢٩ - واذكر يا محمد - إذ وجهنا إليك جماعة من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروا تلاوته قال بعضهم لبعض : انصتوا ، فلما تمت تلاوته رجعوا مسرعين إلى قومهم ، محذرين من الكفر ، داعين إلى الإيمان .

٣٠ - قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتابا عظيم الشأن ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما تقدمه من الكتب الآلهية ، يرشد إلى الحق في الاعتقاد ، وإلى شريعة قوية في العمل .

٣١ - يا قومنا : أجيبوا داعي الله الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وصدقوا بالله ، يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ويمنعكم من عذاب شديد الألم .

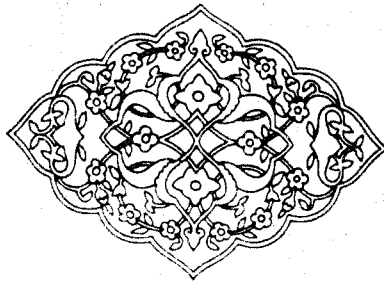
لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوْلَىٰ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ
النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ
الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يَهْلِكُ
إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢ - ومن لا يجب داعى الله فليس بمستطيع أن يعجز الله عن أخذه وان هرب في الأرض كل مهرب ، وليس له من دون الله نصراء يمنونه من عذابه . أولئك الذين يعرضون عن اجابة الداعى إلى الله في حيرة وبعد واضح عن الحق .

٣٣ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعجز عن خلقهن قادر على احياء الموتى؟! بلى هو قادر على ذلك ، لأنه - تعالى - على كل شيء تام القدرة .

٣٤ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم تقريرا: أليس هذا العذاب بالأمر الحق المطابق لما أنذرناكم في الدنيا؟! قالوا: بلى وربنا ، هو الحق ، قال: فذوقوا ألوان العذاب الشديد باصراركم على الكفر والتكذيب .

٣٥ - فاصبر - يا محمد - على الكافرين كما صبر أصحاب القوة والثبات من الرسل في الشدائد ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فهو واقع بهم - لا محالة - وان طال الأمد . كأنهم يوم يشاهدون هولاه يحسبون مدة لبتهم قبله ساعة من نهار . هذا الذى وعظمت به كاف في الموعظة ، فلن يهلك بعذاب الله الا الخارجون عن طاعته .



(٤٧) سُورَةُ مَجْمَلٍ مَلِيحَةٍ
وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْمَثْتُهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

بينت هذه السورة في بدايتها أن الله أبطل أعمال الكافرين باتباعهم الباطل ، وكفر عن المؤمنين سيئاتهم باتباعهم الحق . كما بينت باطناب وجوب الدفاع عن الحق ، وأن جزاء ذلك في الآخرة دخول الجنة ، وحرضت المؤمنين على نصر دين الله والقتال في سبيله . وأوضحت أن المبطلين إذا تولوا عن الإيمان أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم ، وحذرت من المنافقين أن يكونوا بين المؤمنين حتى لا يستمعوا لتبليطهم . وهددت المنافقين بهتك أستارهم لظهار رسول الله على أحقادهم . ونهت المؤمنين أن يضعفوا عن قتال الكافرين ، وهم الأعلون والله معهم ، ولن يترهم أعمالهم . ثم ختمت بالدعوة إلى الانفاق في سبيل الله ، وبيان أن من يبخل بذلك فإنما يبخل على نفسه ، وبأن الاعراض عن اتباع الحق يكون سببا في هلاك المعرضين والاتبان يقوم آخرين خير منهم .

- ١ - الذين كفروا بالله ورسوله ، وصدوا غيرهم عن الدخول في الاسلام ، أبطل الله كل ما عملوه .
- ٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات وصدقوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم ، محآ عنهم سيئاتهم . وأصلح حالهم في الدين والدنيا .
- ٣ - ذلك بأن الذين كفروا سلكوا طريق الباطل ، وأن الذين آمنوا اتبعوا طريق الحق من ربهم - مثل ذلك البيان الواضح بين الله للناس أحوالهم ليعتبروا .

بِسَاءِ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾
 سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا
 أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ * أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا

٤ ، ٥ ، ٦ - فإذا لقيتم الذين كفروا في الحرب فاضربوا رقابهم ، حتى إذا أضعفتهم بكثرة القتل فيهم فأحكوا قيد الأسارى ، فاما أن تمنا بعد انتهاء المعركة منا باطلاقهم دون عوض ، واما أن تفسدهم بالمال أو بالأسرى من المسلمين ، فتلقوهم بالعوض . وليكن هذا شأنكم مع الكافرين ، حتى تضع الحرب أوقالها وتنتهى ، حكم الله فيهم ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم بغير قتال ، ولكن ليختبر المؤمنين بالكافرين شرع الجهاد ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل أعمالهم^(١) ، سيديهم ويصلح قلوبهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .

٧ - يا أيها الذين آمنوا: ان تنصروا دين الله ينصركم على عدوكم ، ويوطد أمركم .

٨ - والذين كفروا فأشقاهم الله وأبطل أعمالهم .

٩ - أمرهم ذلك بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن والتكاليف ، فأبطل أعمالهم .

١٠ - أقعدوا عن طلب ما يعظهم ، فلم يسيروا في الأرض فينظروا في أى حال كان عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبلهم ، أوقع الله عليهم الهلاك في كل ما يختص بهم من نفس ومال وولد ، وللکافرين بالله وبرسوله أمثال هذه العاقبة .

١١ - ذلك الجزاء من نصر المؤمنين وقهر الكافرين بأن الله مولى الذين آمنوا وناصرهم ، وأن الكافرين لا مولى لهم ينصرهم ويمنع هلاكهم .

١٢ - ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عظيمة تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون في الدنيا قليلا ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، غافلين عن التفكير في العاقبة ، لا هم لهم سوى شهواتهم ، والنار في الآخرة مأوى لهم .

(١) عينت الرقاب في هذه الآية الكريمة لأن ضربها أمجح وسيلة للاجهاز السريع على المضروب بغير تعذيب له ولا تمثيل به ، إذ أنه من الثابت علميا أن الرقبة حلقة الاتصال بين الرأس وسائر الجسد ، فإذا قطع الجهاز العصبى شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية ، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس وفي جميع هذه الحالات تنتهى الحياة سريرا .

نَاصِرَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَن كَانَ عَلَى بَيْنِنَا مِن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن نَّخْرٍ لَّدَةٌ لِلشَّرَابِ وَأَنْهَارٌ
مِّن عَسَلٍ مُّصَنًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُم تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ

١٣ - وكثير من أهل القرى السابقين هم أشد قوة من أهل قريتك - مكة - التي أخرجك أهلها يا محمد .
أهلكتهم بأنواع العذاب ، فلا ناصر لهم يمنعهم منا .

١٤ - أيستوى الفريقان في الجزاء ؟! أفن كان منها على معرفة بينة بخالفه ومريبه فأطاعه ، كمن زين له سوء
عمله ، واتبعوا فيما يأتون ويذرون أهواءهم الباطلة .

١٥ - صفة الجنة التي وعد الله بها المتقين : فيها أنهار من ماء غير متغير ، وأنهار من لبن لم يفسد طعمه ، وأنهار
من نخل لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى مما يخالطه . وهم فيها أنواع من كل الثمرات ، ومغفرة عظيمة من
ربهم . أصفى جنة هؤلاء كصفة جزاء من هو خالد في النار ، وسقوا ماء مفرطاً في الحرارة ، فقطع أمعائهم (١) .

١٦ - ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك ولا منتفعين بقولك ، حتى إذا انصرفوا من
مجلسك قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم : أى قول قال محمد الآن ؟! أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر ،
فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم .

١٧ - والذين اهتدوا إلى طريق الحق زادهم الله هدى ، وأعطاهم تقواهم التي يتقون بها النار .

١٨ - لم يتعظ المكذبون بأحوال السابقين . فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم فجأة ؟! فقد ظهرت علاماتها
ولم يعتبروا بحجبتها ، فن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟!

(١) توجه الآية الكريمة الأنظار إلى أن الماء الأسن الراكد المتغير ماء ضار ، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظر
المكبرة - ميكروسكوب - بقرون عدة ، حيث تبين أن الماء الراكد المتغير مستودع للملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب
الناس والأنعام بأمراض شتى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا
لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿٢١﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصْمَتَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ أَنْ أُمَّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

١٩ - فانتبت على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله ، واستغفر الله لذنبك ولذنوب المؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم كل منصرف لكم وكل اقامة .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ - ويقول الذين آمنوا : هلا نزلت سورة تدعونا إلى القتال !! فإذا نزلت سورة لا تحتمل غير وجوبه ، وذكر فيها القتال مأمورا به ، رأيت الذين في قلوبهم نفاق ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت ، خوفا منه وكرهية له ، فأحق بهم طاعة الله وقول يقره الشرع ، فإذا جد الأمر ولزمهم القتال ، فلو صدقوا الله في الايمان والطاعة لكان خيرا لهم من النفاق ، فهل يتوقع منكم - أيها المنافقون - ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا صلاتكم بأقاربكم !؟

٢٣ - أولئك الذين أبعدهم الله عن رحمته ، فأصمهم عن سماع الحق ، وأعمى أبصارهم عن رؤية طريق الهدى .

٢٤ - أعموا فلا يتفهمون هدى القرآن ؟! بل على قلوبهم ما يحجبها عن تدبره .

٢٥ - ان الذين ارتدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال من بعد ما ظهر لهم طريق الهداية . الشيطان زين لهم ذلك ، ومد لهم في الآمال الكاذبة .

سُنطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِأَنْبَاءِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
أَعْمَلُهُمْ ﴿٣١﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٣﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

٢٦ ، ٢٧ - ذلك الارتداد بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، والله يعلم أسرار هؤلاء المنافقين . ذلك حالهم في حياتهم ، ففي أى حال يكونون إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم اذلالا لهم ؟!

٢٨ - ذلك التوفى الرهيب على تلك الحالة بأنهم اتبعوا الباطل الذى أغضب الله ، وكرهوا الحق الذى يرضاه ، فأبطل كل ما عملوه .

٢٩ - بل أظن هؤلاء الذين في قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم لرسوله وللمؤمنين ؟!

٣٠ - ولو نشاء للدلتناك عليهم ، فلعرفتهم بعلامات نسهم بها ، وأقسم : لتعرفنهم من أسلوب قولهم ، والله يعلم حقيقة أعمالكم جميعا .

٣١ - وأقسم : لتعاملكم معاملة المختبر ، حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين في البأساء والضراء ، ونبلو أخباركم من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره .

٣٢ - ان الذين كفروا وصدوا عن طريق الله ، وخالفوا الرسول في عناد واصرار ، من بعد ما ظهر لهم الهدى ، لن يضرؤا الله شيئا ، وسيبطل كل ما عملوه .

٣٣ - يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله فيما أمركم به ، وأطيعوا الرسول فيما دعاكم إليه ، ولا تضيعوا أعمالكم .

٣٤ - ان الذين كفروا وصدوا عن الدخول في الاسلام ، ثم ماتوا وهم كفار ، فلن يغفر الله لهم .

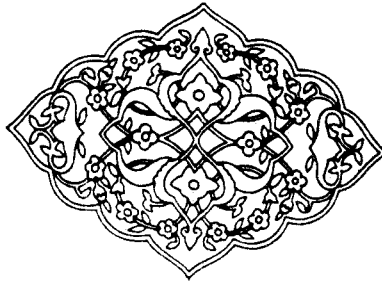
الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَيَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
 أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ سَأَلْتُمْ مَوَالِيكُمْ فَبِحِفْظِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أُضْغَنْتُمْ ﴿٣٧﴾ هَآتُمْ
 هَآتُمْ هَآتُمْ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ
 الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

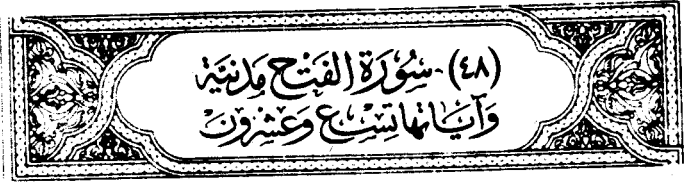
٣٥ - فلا تضعفوا لأعدائكم إذا لقبتموهم ، ولا تدعوهم إلى المسألة خوفا منهم ، وأنتم الأعلون الغالبون بقوة
 الايمان ، والله معكم بنصره ، ولن ينقصكم ثواب أعمالكم .

٣٦ ، ٣٧ - إنما الحياة الدنيا باطل وغرور ، وان تومنوا وتركوا المعاصي ، وتفعلوا الخير ، يعطكم الله ثواب
 ذلك ، ولا يسألكم أموالكم ، ان يسألكم اياها فيبالغ في طلبها تبخلوا بها ، ويظهر أحقادكم لحبكم لها .

٣٨ - هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الذي شرعه ، فنكم من يبخل بهذا الانفاق ومن يبخل فابضر
 إلا نفسه . والله - وحده - الغني ، وأنتم الفقراء المحتاجون إليه .

وان تعرضوا عن طاعة الله يستبدل مكانكم قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم في الاعراض عن طاعته .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ

تحدثت في افتتاحيتها عن الفتح المبين ، الذي يسره الله لرسوله ، وعن آثاره العظيمة في انتشار الاسلام ، واعزاز المسلمين . وعن تثبيت الله قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا ، وعن عذاب المنافقين والمشركين ، بتشككهم في نصر الله لرسوله ، وعن ارسال محمد - ﷺ - شاهدا ومبشرا ، ليتحقق الايمان بالله . وانتقلت بعد ذلك إلى حديث بيعة أهل الصدق والوفاء لرسوله ، وبينت كذب اعتذار المتخلفين عن الخروج مع الرسول ، وأنهم تخلفوا لظنهم أن الله لا ينصره ، وعرضت لطلبهم الخروج معه للفنائم .

ثم بينت أنهم سيدعون إلى قتال قوم ذوى بأس وقوة ، وأنه لا اثم في التخلف عن القتال لعذر صحيح ، كما أوضحت عظم الخير الذى وعد الله به من رضى عنهم في بيعة الرضوان ، وتكلمت عن فرار الكافرين وهزيمتهم إذا ما قاتلوا المؤمنين ، وشرحت حكمة الله في كف الكافرين عن المؤمنين ، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة ، وأنهت الحديث ببيان أن الله صدق رسوله رؤياه دخول المسجد الحرام ، وأن محمدا والذين آمنوا معه غلاظ على الكفار ، متراحون فيما بينهم ، وبيان ما يعرف به المؤمنون ، وصفتهم في التوراة وصفتهم في الانجيل ، ووعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة الواسعة والأجر العظيم .

١ ، ٢ ، ٣ - انا فتحننا لك - يا محمد - فتحا عظيما مبينا بانتصار الحق على الباطل . ليغفر لك الله ما تقدم مما بعد لمثل مقامك ذنبا ، وما تأخر منه ، ويكمل نعمته عليك بانتشار دعوتك . ويثبتك على طريق الله المستقيم ، وينصرك الله على أعداء رسالتك نصرا قويا غالبا .

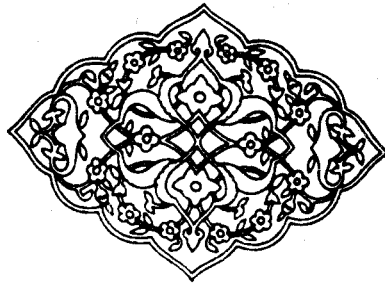
إِئْتَنِيهِمْ ۖ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ ۖ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

٤ - هو الذي أنزل الطمانينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم ، والله - وحده - جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها كما يشاء ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء ، ذا حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٥ ، ٦ - ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ، دائمين فيها ، يحو عنهم سيئاتهم وكان ذلك الجزاء عند الله فوزا بالغا غاية العظم . ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين مع الله غيره والمشركات ، الظالمين بالله ظنا فاسدا ، وهو أنه لا ينصر رسوله ، عليهم وحدهم دائرة السوء ، لا يفلتون منها ، وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته وهبأ لعذابهم جهنم وساءت نهاية لهم .

٧ - والله جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها بحكمته كما يشاء ، وكان الله غالبا على كل شيء ، ذا حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٨ - إنا أرسلناك - يا محمد - شاهدا على أمتك وعلى من قبلها من الأمم ، ومبشرا للتقين بحسن الثواب ، ونذيرا للعصاة بسوء العذاب .



وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَا يَسْتَوْثِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَالِيَسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِنَاخِذُهَا ذُرُوقًا تَنبَعَثُوا ۖ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ

٩ - لتؤمنوا - أيها المرسل إليكم - بالله ورسوله ، وتصبروا الله بنصر دينه ، وتعظموه مع الإجلال والإكبار ، وتزهوه عما لا يليق به غدوة وعشيا .

١٠ - إن الذين يعاهدونك - على بذل الطاقة لنصرتك - إنما يعاهدون الله ، قوة الله معك فوق قوتهم ، فمن نقض عهده بعد ميثاقه ، فلا يعود ضرر ذلك الا على نفسه ، ومن وفى بالعهد الذى عاهد عليه الله - باتمام بيعتك - فسيعطيه الله ثوابا بالغا غاية العظم .

١١ - سيقول لك من خلفهم النفاق من سكان البادية - إذا رجعت من سفرك - : شغلنا عن الخروج معك أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا . يقولون بالسنتهم غير ما في قلوبهم قل ردا عليهم : فمن يملك لكم من الله شيئا يدفع عنكم قضاءه ، إن أراد بكم ما يضركم ، أو أراد بكم ما ينفعكم ؟ ! بل كان الله بكل ما تعملون محيطا .

١٢ - بل ظننتم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون من غزوهم إلى أهليهم أبدا ، فتخلفتم ، وزين ذلك الظن في قلوبكم ، وظننتم الظن الفاسد في كل شئونكم ، وكنتم في علم الله قوما هالكين ، مستحقين لسخطه وعقابه .

١٣ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإننا هيأنا للكافرين نارا موقدة ذات لهب .

١٤ - والله - وحده - ملك السموات والأرض يديره تدبير قادر حكيم ، يغفر الذنوب لمن يشاء ، ويعذب بحكمته من يشاء ، وكان الله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ
لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤْتِ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغْنَمٍ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ

١٥ - سيقول هؤلاء الذين خلفهم النفاق عن الخروج معك من سكان البادية : إذا انطلقتم إلى مغنم ، وعدمكم الله بها لتأخذوها ، دعونا نتبعكم إليها يريدون بذلك تغيير وعد الله بتلك الغنائم لمن خرج مع الرسول إلى الهدبية ، قل لهم - يا محمد - : لن تتبعونا . مثل ذلك الحكم بعدم اتباعهم حكم الله من قبل ذلك بتلك الغنائم لمن خرج إلى الغزو مع رسوله ، فسيقولون : لم يأمركم الله بذلك ، بل تحسدوننا أن نشارككم ، بل كان هؤلاء - بما قالوا - لا يفهمون من تشريع الله إلا فها قليلا .

١٦ - قل للمتخلفين عن الخروج من أهل البادية : ستدعون إلى قتال قوم ذوى شدة قوية في الحرب ، فإن تستجيبوا لهذه الدعوة يعظم الله الغنيمة في الدنيا ، والثواب في الآخرة ، وإن تعرضوا عنها كما أعرضتم من قبل ، يعذبكم الله عذابا بالغ الألم .

١٧ - ليس على الأعشى اثم في التخلف عن قتال الكفار ، ولا على الأعرج اثم ، ولا على المريض اثم كذلك ، حيث لا يستطيعون ، ومن يطع الله ورسوله في كل أمر ونهى يدخله جنات فسيحات تجري من تحتها الأنهار ، ومن يعرض عن طاعة الله ورسوله يعذبه عذابا بالغ الألم .

١٨ ، ١٩ - لقد رضى الله عن المؤمنين حين يباهدونك مختارين تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص والوفاء لرسالتك ، فأنزل الطمأنينة عليهم وأعطاهم بصدقهم في البيعة واقام الصلح عزا عاجلا . ومغنم كثيرة وعدهم الله بها يأخذونها ، وكان الله غالبا على كل شيء ذا حكمة بالغة في كل ما قضاه .

مَغَامٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ ۚ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
 مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبُرُ لَمْ لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَهْدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ
 وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّزَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّعُوهُمْ فَتَصِيْبُكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ
 فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

٢٠ ، ٢١ - وعدكم الله مغامم كثيرة تأخذونها في الوقت المقدر لها ، فعجل لكم هذه ، وهو ما وعدكم به من الغنائم ، ومنع أذى الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين على صدق وعد الله لهم ، ويهديكم طريقا مستقيما ، بطاعته واتباع رسوله ، ومغامم أخرى لم تقدرُوا عليها قد حفظها الله لكم فأظفركم بها ، وكان الله على كل شيء تام القدرة .

٢٢ - ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ، ولم يعقدوا معكم صلحا ، لفرروا منهزمين رعبا منكم ، ثم لا يجدون أى ولى يلى أمرهم ، ولا أى نصير ينصرهم .

٢٣ - سن الله سنة قد مضت من قبل في خلقه ، أن تكون العاقبة لرسوله وللمؤمنين ، ولن تجد لسنة الله تغييرا .

٢٤ - وهو الله - وحده - الذى منع أيدى الكفار من ايديكم وأيديكم من قتلهم بوسط مكة ، من بعد أن أقدركم عليهم ، وكان الله بكل ما تعملون بصيرا .

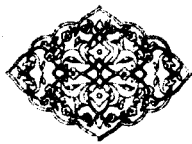
٢٥ ، ٢٦ - أهل مكة هم الذين كفروا ومنعوكم من دخول المسجد الحرام ومنعوا الهدى الذى سقتموه محبوسا معكم على التقرب به من بلوغ مكانه الذى ينحر فيه . ولولا كراهة أن تصيبوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات بين الكفار بمكة ، لم تعلموهم ، فتقتلوهم بغير علم بهم ، فيلحقكم من أجل قتلهم عار وخزى ، لسلطانكم عليهم . . كان الكف ليدخل الله في حفظه من كان بينهم من المؤمنين ، ومن أسلم من الكافرين . لوتميز المؤمنون لعاقبنا الذين أصروا على الكفر منهم عقابا بالغ الألم ، حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية فأنزل الله طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة الوقاية من الشرك والعذاب ، وكانوا أحق بها وأهلا لها ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء .

الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا لِيُجْعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا يَحْجَدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

٢٧ - لقد صدق الله ورسوله رؤياه دخول المسجد الحرام بتحققها . أقسم : لتدخلن المسجد الحرام - إن شاء الله - آمين عدوكم ، بين محلقي رأسه ومقصر ، وغير خائفين : فعلم سبحانه الخير الذي لم تعلموه في تأخير دخول المسجد الحرام ، فجعل من قبل دخولكم فتحا قريبا .

٢٨ - هو الله الذي أرسل رسوله بالإرشاد الواضح ودين الإسلام ليعليه على الأديان كلها ، وكفى بالله شهيدا على ذلك .

٢٩ - محمد رسول الله وأصحابه الذين معه أشداء أقوياء على الكفار . متراحون ، متعاطفون فيما بينهم تبصرهم راكمين ساجدين كثيرا ، يطلبون بذلك ثوابا عظيما من الله ورضوانا عظيما ، علامتهم خشوع ظاهر في وجوههم من أثر الصلاة كثيرا ، ذلك هو موصفهم العظيم في التوراة . وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج أول ما ينشق عنه ، فأزره ، فتحول من الدقة إلى الغلظ ، فاستقام على أصوله ، يعجب الزراع بقوته ، وكان المؤمنون كذلك ، ليفيظ الله بقوتهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة تمحو جميع ذنوبهم ، وثوابا بالغا غاية العظم .



(٤٩) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۗ بِالْقَوْلِ ۚ يَكْفُرُ بِعِضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۖ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۖ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ

افتتحت بنهى المؤمنين عن الحكم بشئ قبل أن يأمر به الله ورسوله ، وعن رفع أصواتهم فوق صوت النبي - ﷺ - وأنت على الذين يخفضون أصواتهم في حضرته ، ونددت بمن يتركون الأدب فينادونه - ﷺ - من وراء حجراته ، ثم أمرت المؤمنين ، بالثبوت من أخبار الفاسقين وضعاف الإيمان ، وأمرت الولاية بما يفعلونه عند تقائل فريقين من المؤمنين ، ونهت المؤمنين عن استهزاء بعضهم ببعض ، وتعييب بعضهم بعضا ، وعن ظن السوء بأهل الخير ، وعن تتبع بعضهم ، ونهت الأعراب عن ادعاء الإيمان قبل أن يستقر في قلوبهم ثم أبانت من هم المؤمنون الصادقون ، وختمت الحديث بالنهى عن المن على رسول الله بالإسلام ، وبينت أن المنة لله عليهم بهدياتهم إلى الإيمان ، إن كانوا صادقين في دعواهم .

١ - يأياها الذين آمنوا : لا تقدموا أى أمر في الدين والدنيا ، دون أن يأمر به الله ورسوله واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامثال شريعته إن الله تام السمع لكل ما تقولون ، محيط علمه بكل شئ .

٢ - يأياها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إذا تكلم وتكلمتم ، ولا تساورا أصواتكم بصوته ، كما يخاطب بعضهم بعضا ، كراهة أن تبطل أعمالكم وأنتم لا تشعرون ببطانها .

٣ - إن الذين يخفضون أصواتهم في مجلس رسول الله ، اجلالا له ، أولئك - وحدهم - هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، فليس لغيرها مكان فيها ، لهم مغفرة واسعة لذنوبهم وثواب بالغ غاية العظم .

٤ - إن الذين ينادونك من وراء حجراتك أكثرهم لا يعقلون ما ينبغى لمقامك من التوقير والاجلال .

تُخْرِجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِ فَمَا فَعَلْتُمْ نَالِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ءَايَمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَمِنَ اللَّهُ وَنِعْمَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَبْغِيَ إِلَىٰ آلِهِ أَمرًا لِلَّهِ فَإِن قَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

٥ - ولو أن هؤلاء صبروا - تأدبا معك - حتى تقصد الخروج إليهم ، لكان ذلك خيرا لهم في دينهم ، والله عظيم المغفرة ذورحة واسعة .

٦ - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم أي خارج عن حدود شريعة الله بأي خبر ، فتبينوا من صدقه ، كراهة أن تصيبوا أي قوم بأذى - جاهلين حالهم - فتصبروا على ما فعلتم معهم - بعد ظهور براءتهم - مغتمين دائما على وقوعه ، متمنين أنه لم يقع منكم .

٧ ، ٨ - واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ، فأقدروه حتى قدره ، وأصدقوه ، لو يطبع ضعاف الإيمان منكم ، في كثير من الأمور ، لوقعتم في المشقة والهلاك ، ولكن الله حبيب في الكاملين منكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ، فتصونوا عن تزوين مالا ينبغي ، وبغض اليكم جحود نعم الله ، والخروج عن حدود شريعته ، ومخالفة أوامره ، أولئك هم - وحدهم - الذين عرفوا طريق الهدى وثبتوا عليه ، تفضلا كريما ، وانعاما عظيما من الله عليهم ، والله محيط علمه بكل شيء ، ذو حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٩ - وإن طائفتان من المؤمنين تقاتلتا فأصلحوا أيها المؤمنون بينها ، فإن تعدت إحداها على الأخرى ، ورفضت الصلح معها ، فقاتلتا التي تعدى ، إلى أن ترجع إلى حكم الله ، فإن رجعت فأصلحوا بينها بالإنصاف ، واعدلوا بين الناس جميعا في كل الشئون ، إن الله يحب العادلين .

١٠ - إنما المؤمنون بالله ورسوله إخوة ، جمع الإيمان بين قلوبهم ، فأصلحوا بين أخويكم رعاية لإخوة الإيمان ، واجملوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامتنال أمره واجتناب نهيهِ ، راجين أن يرحمكم الله بتقواكم .

مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
 الْأَسْمُ الْمُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
 مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
 فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا
 وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَمَّنُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

١١ - يا أيها الذين آمنوا: لا يسخر رجال منكم من رجال آخرين، عسى أن يكونوا عند الله خيرا من
 الساخرين. ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى أن يكن عند الله خيرا من الساخرات. ولا يعيب
 بعضكم بعضا، ولا يدع الواحد أخاه بما يستكره من الألقاب، بس الذكر للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد
 انصافهم بالإيمان، ومن لم يرجع عما نهى عنه فأولئك هم - وحدهم - الظالمون أنفسهم وغيرهم.

١٢ - يا أيها الذين آمنوا: ابتعدوا عن كثير من ظن السوء بأهل الخير. إن بعض الظن اثم يستوجب العقوبة،
 ولا تتبعوا عورات المسلمين، ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، فقد
 كرهتموه؟! فاكروهوا الغيبة فإنها مماثلة له، وقوا أنفسكم عذاب الله بامتنال ما أمر، واجتناب ما نهى. إن الله
 عظيم في قبول توبة التائبين. ذو رحمة واسعة بالعالمين.

١٣ - يا أيها الناس: إنا خلقناكم متساوين من أصل واحد هو آدم وحواء، وصيرناكم بالتكاثر جموعا عظيمة
 وقبائل متعددة، ليتم التعارف والتعاون بينكم، إن أرفعكم منزلة عند الله في الدنيا والآخرة اتقاكم له، إن الله
 محيط علمه بكل شيء، خير لا تخفى عليه دقائق كل شأن.

١٤ - قالت الأعراب بالستهم: أمنا، قل لهم - يا محمد - : لم تؤمنوا، لأن قلوبكم لم تصدق ما نطقتم به،
 ولكن قولوا: انقدنا ظاهرا لرسالتك، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، وإن تطيعوا الله ورسوله صادقين
 لا ينقصكم من ثواب أعمالكم أى شيء، إن الله عظيم المغفرة للعباد، ذو رحمة واسعة بكل شيء.

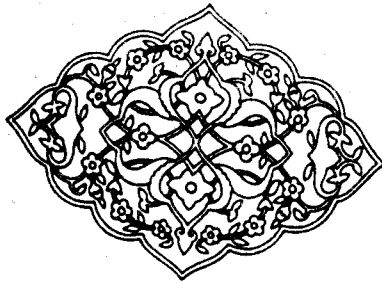
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلِيَّكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
 هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

١٥ - إنما المؤمنون - حقا - هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يقع في قلوبهم شك فيما آمنوا به ، وجاهدوا
 بأموالهم وأنفسهم في طريق طاعة الله ، أولئك هم - وحدهم - الذين صدقوا في إيمانهم .

١٦ - قل لهم - يا محمد - تكذبا لقولهم أننا : أتخبرون الله بتصديق قلوبكم ، والله وحده يعلم كل ما في
 السموات ، وكل ما في الأرض ، والله محيط علمه بكل شيء !؟

١٧ - يعدون إسلامهم يدا لهم عليك - يا محمد - تستوجب شكرك لهم ، قل : لا تمنوا على إسلامكم ، فخير
 لكم ، بل الله - وحده - يمين عليكم بهدائه إياكم إلى الإيمان ، إن كنتم صادقين في دعواكم .

١٨ - إن الله يعلم كل ما استتر في السموات والأرض ، والله محيط الرؤية بكل ما تعملون .



(٥) سُورَةُ قَاتِلِ الْمُكْفِرِينَ
وَأَنبِئَانَا أَحْسَنُ وَأَرْجَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا آيَاتِ كُفْرِهِمْ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَوْذَاءُ مِنَّا وَكَأَنَّ تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَصِيطٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

تحدثت في بدايتها عن اثبات رسالة محمد ﷺ - وعن انكار الكفار أن يجيء رسول منهم ، واستبعادهم البعث بعد أن بصيروا ترابا ، وعرضت للأدلة الكونية الدالة على أن الله لا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم وهو الذى خلقهم أولا ويعلم ما توسوس به نفوسهم ، وأحصى أعمالهم وأقوالهم في كتاب دقيق الحفظ ، وأبانت أن محاولة الكفار في يوم القيامة التنصل من الكفر الذى كان في الدنيا بالقاء التبعة على قرنائهم من الشياطين لا تجديهم نفعا . إذ يتهدى الجدال بينهم بالقائم جميعا في النار ، في حين يتفضل الله على المؤمنين بالنعيم الدائم في الجنة ، ثم نهدت السورة حديثها بأمره ﷺ - بالصبر على أذى الكافرين الذين لم يعتبروا بمصير المكذبين من الأمم قبلهم ، وتوجيهه ﷺ - إلى الثبات على عبادة الله ، وتأكيده أمر البعث ، وتسليته ﷺ - بأنه مذكر للمؤمنين ، وليس بمسيطر على الكافرين .

١ - ٢ - ق : حرف من حروف الهجاء افتتحت السورة به على طريقة القرآن الكريم في افتتاح بعض السور ببعض هذه الحروف للتحدى وتنبية الأذهان ، أقسم بالقرآن ذى الكرامة والمجد والشرف : إنا أرسلناك - يا محمد - لتنذر الناس به فلم يؤمن أهل مكة ، بل عجبوا أن جاءهم رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث ، فقال الكافرون : هذا شيء منكر عجيب .

٣ - أبعد أن نموت ونصير ترابا نرجع ؟ ذلك البعث بعد الموت رجوع بعيد الوقوع .

٤ - قد علمنا ما تأخذ الأرض من أجسامهم بعد الموت ، وعندنا كتاب دقيق الإحصاء والحفظ .

٥ - لم يتدبروا ما جاءهم به الرسول ، بل كذبوا به من فورهم دون تدبر وتفكر ، فهم في شأن مضطرب

لا يستقرون على حال .

فُرُوجٌ ① وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ② تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَيْدٍ مُنِيبٍ ③ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ④ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑤ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑥ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ آرَيْسَ وَثَمُودُ ⑦ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ⑧ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ⑨ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑩ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ ⑪ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ⑫ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑬

٦ - أغفلوا فلم ينظروا إلى السماء مرفوعة فوقهم بغير عمد ، كيف أحكنا بناهما وزيناها بالكواكب ، وليس فيها أى شقوق تعاب بها (١) .

٧ - والأرض بسطناها وأرسينا فيها جبالا ثوابت ضاربة في أعماقها ، وأنبتنا فيها من كل صنف يبتهج به من النبات ، يسر الناظرين (٢) .

٨ - جعلنا ذلك تبصيرا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه ، يفكر في دلائل قدرته .

٩ - ونزلنا من السماء ماء كثير الخير والبركات ، فأنبتنا به جنات ذات أشجار وأزهار وثمار ، وأخرجنا به حب الزرع الذى يحصد .

١٠ - والنخل ذاهبات إلى السماء طولا ، لها طلع مترامك بعضه فوق بعض ، لكثرة ما فيه من مادة الثمر .

١١ - انبتناها رزقا للعباد ، وأحيينا بالماء أرضا جف نباتها ، كذلك خروج الموتى من القبور حين يبعثون .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ - كذبت بالرسول قبل هؤلاء أمم كثيرة . قوم نوح ، والقوم المعروفون بأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون وقوم لوط والقوم المعروفون بأصحاب الأيكة ، وقوم تبع . كل من هؤلاء كذب رسوله ، فحق عليهم ما وعدتهم به من الهلاك .

١٥ - أعطت ارادتنا أو عوقت قدرتنا ، فعجزنا عن الخلق الأول ، فلا نستطيع اعادةهم ؟! لم نعجز

باعترافهم ، بل هم في ريب وشبهة من خلق جديد بعد الموت .

١٦ - أقسم : لقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما تحدثه به نفسه ، ونحن - بعلمنا بأحواله كلها - أقرب إليه من

عرق الوريد ، الذى هو أقرب شئ منه .

١٧ - إذ يتلقى الملائكة الحافظان ، أحدهما عن اليمين قعيد ، والآخر عن الشمال قعيد ، لتسجيل أعماله .

(١) السماء كل ما يعلونا وتسبح فيه أجرام مختلفة ، منها النجوم والكواكب ، وذلك بنظام دقيق ، وتناسق تام ، كما أنها تحتفظ بأوضاعها طبقا لقوانين المجاذبية فلا يصيبها خلل .

(٢) القشرة الأرضية مرتفعة في مواضع معينة هي الجبال ، ومنخفضة في مواضع أخرى هي قيعان الهضبات ، وتتوازن اتصال هذه الأجزاء بعضها مع بعض . ومن قدرة الله وحكمته أن أوجد هذا التوازن ، وجعله ثابتا عن طريق انسياب المواد الأرضية المكونة للقشرة الرقيقة تحت الطبقات السطحية ، وذلك من الأثقل إلى المكان الأقل ثقلا .

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
 وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
 هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ الْقِيَامِ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ
 كَفَّارٌ عَنِيذٍ ﴿٢٤﴾ مِّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾
 * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
 بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ

- ١٨ - ما يتكلم به من قول الا لديه ملك حافظ مهياً لكتابة قوله .
 ١٩ - وجاءت غشبية الموت بالحق، الذي لا مرية فيه، ذلك الأمر الحق ما كنت تهرب منه .
 ٢٠ - ونفخ في الصور نفخة البعث، ذلك النفخ يوم وقوع العذاب الذي توعدهم به .
 ٢١ - وجاءت كل نفس برة أو فاجرة معها من يسوقها إلى المشر، ومن يشهد بعملها .
 ٢٢ - ثم يقال - تقرعها للمكذب: لقد كنت في الدنيا في غفلة تامة من هذا الذي تقاسيه، فأزلنا عنك
 الحجاب الذي يغطي عنك أمور الآخرة، فبصرك اليوم نافذ قوى .
 ٢٣ - وقال شيطانه الذي كان مقبضاً له في الدنيا: هذا الكافر الذي عندي مهياً لجهنم باضلالى .
 ٢٤، ٢٥ - يقال للملكين: ألقيا في جهنم كل مبالغ في الكفر، مبالغ في العناد، وترك الانقياد للحق، مبالغ
 في المنع لكل خير، ظالم متجاوز للحق، شك في الله تعالى وفيما أنزله .
 ٢٦ - الذي اتخذ مع الله إلهاً آخر يعبد، فألقياه في العذاب البالغ غاية الشدة .
 ٢٧ - قال الشيطان رداً لقول الكافر: ربنا ما أطغيت، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق، فأعنته عليه
 باغوائى .
 ٢٨ - قال تعالى للكافرين وقرنائهم: لا تختصموا عندي في موقف الحساب والجزاء، وقد قدمت إليكم في
 الدنيا وعيدا على الكفر في رسالتى إليكم، فلم تؤمنوا .
 ٢٩ - ما يغير القول الذى عندى ووعيدى بإدخال الكافرين النار، ولست بظلام للعبيد فلا أعاقب عبداً بغير
 ذنب .

مِنْ مَزِيدٍ ۝ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ (٣١) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أُوَابٍ حَفِيظٍ ۝ (٣٢) مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۝ (٣٤) ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝ (٣٥) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ۝ (٣٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيسٍ ۝ (٣٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ (٣٨) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝ (٣٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝ (٤٠)

٣٠ - يوم نقول لجهنم تقريراً للكافرين : هل امتلأت ، وتقول جهنم غضباً عليهم : هل من زيادة استزيد بها من هؤلاء الظالمين ؟

٣١ - وأدريت الجنة مزينة للذين اتقوا ربهم - بامثال أمره واجتناب نهيهم - مكاناً غير بعيد منهم .

٣٢ - هذا الثواب الذي توعدون به لكل رجاع الى الله ، شديد الحفظ لشريعته .

٣٣ - من خاف عقاب من وسعت رحمته كل شيء ، وهو غائب عنه لم يره ، وجاء في الآخرة بقلب راجع اليه

تعالى .

٣٤ - يقال تكريماً لهم : ادخلوا الجنة آمنين ، ذلك اليوم الذي دخلتم فيه الجنة هو يوم البقاء الذي لا انتهاه

له .

٣٥ - هؤلاء المتقين كل ما يشاءون في الجنة ، وعندنا مزيد من النعيم مما لا يحظر على قلب بشر .

٣٦ - وكثيراً أهلكتنا من قبل هؤلاء المكذبين من أهل القرون الماضية ، هم أشد من هؤلاء قوة وتسليطاً ،

فطوفوا في البلاد وأمعنوا في البحث والطلب ، هل كان لهم مهرب من الهلاك ؟

٣٧ - إن فيما فعل بالأمم الماضية لعظة لمن كان له قلب يدرك الحقائق ، أو أصفى إلى الهداية وهو حاضر

بفطنته .

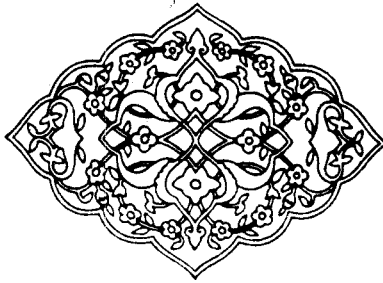
٣٨ - أقسم : لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من الخلائق في ستة أيام ، وما أصابنا أي إعياء (١) .

٣٩ ، ٤٠ - إذا تبين ذلك ، فاصبر أيها الرسول على ما يقول هؤلاء المكذبون من الزور والبهتان في شأن رسالتك ، ونزه خالقك ومربيك عن كل نقص ، حامداً له وقت الفجر ، ووقت العصر ، لعظم العبادة فيها ، ونزوه في بعض الليل وأعقاب الصلاة .

(١) يراجع في شأن معنى الأيام التعليق العلمي على الآيات من رقم ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ السُّجُودِ ﴿٤١﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ نَسْفِقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سَرْعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٦﴾

- ٤١ ، ٤٢ - واستمع لما أخبرك به من حديث القيامة لعظم شأنه ، يوم ينادى الملك المنادى من مكان قريب من يناديهم ، يوم يسمعون النفخة الثانية بالحق الذي هو البعث . ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور .
- ٤٣ - انا - نحن - وحدنا - نحى الخلائق ونميتهم في الدنيا ، وإلينا - وحدنا - الرجوع في الآخرة .
- ٤٤ - يوم تنشق الأرض عنهم فيخرجون منها مسرعين إلى المحشر . . . ذلك الأمر العظيم حشرهين ويسير علينا وحدنا .
- ٤٥ - نحن أعلم بكل ما يقولون من الأكاذيب في شأن رسالتك وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على ما تريد ، وإنما أنت منذر فذكر بالقرآن المؤمن الذى يخاف عقابي ، فتنفعه الذكرى .



(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ كِتَابًا
وآيَاتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّرِيَّتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَمِيمِ وَقَرَأَ ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَّتِ بُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُتَنَلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ
مَنْ أُفِّكَ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى

بدأت السورة بالقسم على صدق البعث ووقوع الجزاء ، ثم أردفت بقسم آخر على اضطراب المنكرين
فما يقولونه عن رسول الله وعن القرآن الكريم ، ثم انتقلت الى إنذار المنكرين بسوء ما لهم في الآخرة ، وإلى تصوير
ما أعد للمتقين فيها جزاء ما قدموا من أعمال صالحة في الدنيا . ثم نهبت إلى تأمل آيات الله في الكون وفي الأنفس ،
وما أودع فيها من عجائب الصنع ولطائف الخلق .

وتحدثت عن قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة ، ثم عرضت لأحوال بعض الأمم ، وما أصابهم من الهلاك
بتكذيبهم لأنبيائهم ، ثم أشارت باجمال إلى بعض الآيات الكونية ، وحثت على الرجوع إلى الله ، وافراده بالعبادة
التي هي الغاية من خلق الجن والانس ، وختمت بانذار من كذبوا رسول الله - ﷺ - بعذاب مثل العذاب الذي
أصاب الأمم قبلهم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - أقسم بالرياح المثيرات للسحاب ، تدفعها دفعاً ، فالحمالات منها ثقلاً عظيماً من الماء ،
فالجاريات به ميسراً بتسخير الله ، فالمقسومات رزقاً يسوقه الله الى من يشاء .

٥ ، ٦ - ان الذي توعدونه من البعث وغيره لمحقق الوقوع ، وان الجزاء على أعمالكم لحاصل لا محالة .

٧ ، ٨ - أقسم بالسما ذات الطرائق المحكمة : انكم إذ تقولون - ما تقولون لني قول مضطرب .

٩ - ينصرف عن الايمان بذلك الوعد الصادق والجزاء الواقع من صرف عنه ، لا يثاره هواه على عقله .

١٠ ، ١١ - هلك الكذابون القائلون في شأن القيامة بالظن والتخمين ، الذين هم مغمورون في الجهل ، غافلون

عن أدلة اليقين .

١٢ - يسألون مستهزئين ، مستبعدين : متى يوم الجزاء !؟

النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
 ءِاخِذِينَ مَاءً مَّائِهِمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 وَبِالْأَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾
 وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
 مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفٌ لِإِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
 سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِجَاءٍ يَعْجَلُ لِسَمِينِ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ

- ١٣ - يوم هم موقوفون على النار، يصهرون بها .
 ١٤ - يقال لهم : ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم في الدنيا تستعجلون وقوعه .
 ١٥ - ان الذين أطاعوا الله وخافوه ينعمون في جنات وعيون لا يحيط بها الوصف .
 ١٦ - متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم ، انهم كانوا قبل ذلك - في الدنيا - محسنين في أداء ما طلب منهم .
 ١٧ ، ١٨ - كانوا ينامون قليلاً من الليل ، ويستيقظون أكثر للعبادة ، وبأواخر الليل هم يستغفرون .
 ١٩ - وفي أموالهم نصيب ثابت للمحتاجين ، السائلين منهم والمهرومين المتعفين .
 ٢٠ - وفي الأرض دلائل واضحات موصلة إلى اليقين ، لمن سلك طريقه .
 ٢١ - وفي أنفسكم كذلك آيات واضحات ، أغفتم عنها فلا تبصرون دلالتها ؟ !
 ٢٢ - وفي السماء أمر رزقكم وتقدير ما توعدون .
 ٢٣ - فأقسم برب السماء والأرض : ان كل ما تنكرون من وقوع البعث والجزاء وتعذيب المكذبين واثابة المتقين ، لثابت مثل نطقكم الذي لا تشكون في وقوعه منكم .
 ٢٤ ، ٢٥ - هل علمت قصة الملائكة أضياف ابراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً ، قال : سلام ، قوم غير معروفين .
 ٢٦ ، ٢٧ - فذهب إلى أهله في خفية ، فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم ، فلم يأكلوا منه قال منكراً حالهم : ألا تأكلون ؟ !

مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَطُ وَبَشَرُوهُ يُغَلِّمُ عَلَيْهِ (٢٨) فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
 عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١)
 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤)
 فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ
 يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سِنِحْرُ
 أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١)

- ٢٨ - فأحس في نفسه خوفاً منهم، قالوا: لا تحفط، وبشروه بغلام له حظ وافر من العلم.
- ٢٩ - فأقبلت امرأته في صيحة حين سمعت البشارة، فضربت وجهها بيدها - استبعاداً وتعجباً - وقالت: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟!
- ٣٠ - قالوا: كذلك قضى ربك، انه هو الحكيم في كل ما يقضى، العليم الذي لا يخفى عليه شيء.
- ٣١ - قال إبراهيم: فاشأنكم - بعد هذه البشارة - أيها المرسلون؟!
- ٣٢، ٣٣، ٣٤ - قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مفرطين في العصيان، لتلقى عليهم حجارة من طين لا يعلم كنهه إلا الله، معلمة مخصصة عند ربك للمجاوزين الحد في الفجور.
- ٣٥، ٣٦ - ففضينا باخراج من كان في تلك القرية من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين.
- ٣٧ - وتركنا فيها علامة على هلاك أهلها، ليعتبر بها الذين يخافون العذاب الأليم.
- ٣٨ - وفي قصة موسى عظة، إذ أرسلناه إلى فرعون مؤيداً ببرهام بين.
- ٣٩ - فأعرض فرعون عن الايمان بموسى معتدلاً بقوته، وقال: هو ساحر أو مجنون.
- ٤٠ - فأخذناه ومن اعتر بهم، فرميناهم في البحر، وهو مقترف ما يلام عليه من الكفر والعناد.
- ٤١ - وفي قصة عاد عظة، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها.

مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي تَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ
أَمْرٍ رَيبٍ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ
مَنْ قَبْلَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمُهَيِّدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ

٤٢ - ما ترك من شيء مرت عليه الاجعلته كالعظم البالى .

٤٣ ، ٤٤ - وفي قصة تمود آية ، اذ قيل لهم : تمتعوا في داركم الى وقت معلوم ، فتجبروا وتعالوا عن الاستجابة
لأمر ربهم ، فأهلكهم الصاعقة وهم يعاينون وقوعها بهم .

٤٥ - فامتنعوا من نهوض ، وما كانوا قادرين على الانتصار بدفع العذاب .

٤٦ - وقوم نوح أهلكتهم من قبل هؤلاء ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله .

٤٧ ، ٤٨ - والسماة أحكناها بقوة ، وإنا لقادرون على أكثر من ذلك^(١) . والأرض بسطناها ، فنعم المهيتون
لها نحن كالمهاد .

٤٩ - ومن كل شيء خلقنا صنفين ، مزدوجين ، لعلكم تتذكرون فتؤمنوا بقدرتنا

٥٠ ، ٥١ - فسارعوا إلى طاعة الله ، ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر ، انى لكم من الله نذير مبين عاقبة الاشرار .

٥٢ - كذلك كان شأن الأمم مع رسلهم ، ما أتى الذين من قبل قومك من رسول الا قالوا : ساحر أو مجنون .

٥٣ - أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى تواردوا عليه ؟ بل هم قوم متجاوزون الحدود فتلاقوا في الطعن
على الرسل .

٥٤ - فأعرض عن هؤلاء المعاندين ، فانت بلوم على عدم استجابتهم .

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية كثيرة ، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة وهو على ما يشاء قدير ،
ومعنى السهام في الآية كل ما علا الجرم (النوء) وأظله ، فكل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية ومجرات (سماه) هذا
الجزء المرئي من الكون متسع اتساعاً لا يدركه العقل ولا يتسنى تحديده ، إذ المسافات فيه تقاس بملايين السنين الضوئية والسنة الضوئية ،
على ما أثبتته العلم الحديث في هذا القرن العشرين هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ٣٠٠.٠٠٠ ثلثائة ألف كيلو متر في الثانية ،
وعبارة الآية الكريمة (وانا لموسعون) تشير إلى ذلك : أى إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه .
كما أنها تشير أيضاً إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن ، وهو ما أثبتته العلم الحديث أيضاً ، وعرف بنظرية التمدد التي أصبحت حقيقة
علمية في أوائل هذا القرن ، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تتباعد عنا بسرعات متفاوتة بل ان الأجرام السحابية في المجرة
الواحدة تتباعد بعضها عن بعض .

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٥ - ودم على التذكير، فان الذكرى تزيد المؤمنين بصيرة وقوة يقين.

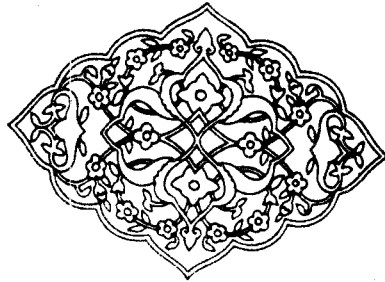
٥٦ - وما خلقت الجن والانس لشيء يعود على بالنفع، وانما خلقتهم ليعبدوني، والعبادة نفع لهم.

٥٧ - ما أريد منهم من رزق، لأني غني عن العالمين، وما أريد أن يطعموني لأني أطعم ولا أطمع.

٥٨ - ان الله - وحده - هو المتكفل برزق عباده، وهو ذو القوة، الشديد الذي لا يعجز.

٥٩ - فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم
الماضية، فلا يستعجلوني بإنزال العذاب قبل أوانه.

٦٠ - فهلاك للذين كفروا من يومهم الذي يوعده، لما فيه من الشدائد والأهوال.



(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾

بدأت السورة بالقسم بخمسة من أعظم المخلوقات على وقوع العذاب بالمكذبين ، ثم خلصت إلى الحديث عن نزوله بهم ، وألوانه معهم يوم البعث والجزاء ، وانتقلت إلى الحديث عن نعم المتقين وما يتفكحون به في جنات الخلد وما يتناولون من صنوف الاكرام ، ثم ما تقر به أعينهم من اتباع ذريتهم بهم ، ورفع درجاتهم اليهم . وأعقت ذلك أمر رسول الله - ﷺ - بالمداومة على التذكير دون مبالاة بما يتقول عليه الكافرون ، أو التفات لما يصفون به القرآن الكريم ، مظهرة عجزهم عن أن يأتوا بحديث مثله .

كما سفهت كثيراً من آرائهم الفاسدة اعلاناً لضلالهم ، وسوء تقديرهم ، ثم ختمت بتوجيه الخطاب الى النبي - ﷺ - أن يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وأمرته أن يصبر لحكم ربه بامهالهم فان ذلك لن يضيره لأنه في حفظ ربه ورعايته ، كما دعته الى تسييح الله وتنزيهه في جميع الأوقات في كل قيام يكون منه لأى غرض من الأغراض وفي الليل عند غروب النجوم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ - اقسام مجيل طور سيناء الذي كلم عليه موسى ، وبكتاب منزل من عند الله مكتوب في صحف ميسرة للقراءة ، وبالبيت المعمور بالطائفين والقائمين والركع السجود ، وبالسما المرفوعة بغير عمد ، وبالبحر الملوء .

٧ ، ٨ - ان عذاب ربك الذي توعد به الكافرين لنازل بهم لا محالة ، ليس له من دافع يدفعه عنهم .

٩ ، ١٠ - يوم تضطرب السماء اضطراباً شديداً ، وتنتقل الجبال من مقارها انتقالاً ظاهراً .

١١ ، ١٢ - فهلاك شديد في هذا اليوم للمكذبين بالحق ، الذين هم في باطل يلهون .

١٣ - يوم يدفعون الى نار جهنم دفعاً عنيفاً .

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ وَوَقْلَهُمْ رُبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴿٢٠﴾ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ ﴿٢٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٣﴾ يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ ﴿٢٤﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

١٤ - يقال لهم : هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا .

١٥ - ابقيتم على انكاركم ، فهذا الذي تشاهدونه من النار سحر ، أم أنتم لا تبصرون ؟

١٦ - ادخلوها وذوقوا حرها ، فاصبروا على شدائدها أو لاتصبروا ، فصبركم وعدمه سواء عليكم ،

وانما تلاقون اليوم جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .

١٧ - ان المتقين في جنات فسيحات ، لا يحاط بوصفها ، ونعيم عظيم كذلك .

١٨ - متنعمين بما أعطاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب النار .

١٩ - يقال لهم : كلوا طعاماً هنيئاً ، واشربوا شراباً سائغاً ، جزاء بما كنتم تعملون في الدنيا .

٢٠ - جالسين متكئين على أرائك مصفوفة ، وزوجانهم بنساء بيض واسعات العيون حسانها .

٢١ - والذين آمنوا واستحقوا درجات عالية ، واتبعهم ذريتهم بإيمان ، ولم ييلفوا درجات الآباء ، ألقنا بهم ذريتهم ، لتقر أعينهم بهم ، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم . ولا يحمل الآباء شيئاً من أخطاء ذرياتهم ، لأن كل انسان مرهون بعمله ، لا يؤخذ به غيره .

٢٢ - وزدناهم بفاكهة كثيرة ، ولحم مما يشتهون .

٢٣ - يتجاذبون في الجنة - متوادين - كأساً مليئة بالشراب ، لا يكون منهم بشرها كلام باطل ، ولا عمل

يستوجب الاثم .

٢٤ - ويطوف عليهم غلمان معدون لخدمتهم ، كأنهم في الصفاء والبياض لؤلؤ مصون .

عَلَى بَعْضِ بَنَسَاءِ لُونٍ ٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦) فَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧)
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨) فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩) أَمْ
 يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَهْلُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ
 كَانُوا صَادِقِينَ ٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ
 لَا يُوْقِنُونَ ٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ٣٧) أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ

٢٥ - وأقبل بعض أهل الجنة على بعض ، يسأل كل صاحبه عن عظم ما هم فيه وسببه .

٢٦ ، ٢٧ - قالوا : إنا كنا قبل هذا النعيم بين أهلينا خائفين من عذاب الله ، فن الله علينا برحمته ووقانا عذاب النار .

٢٨ - إنا كنا من قبل في الدنيا نعبده ، انه وحده هو المحسن الواسع الرحمة .

٢٩ - قدم على ما أنت عليه من التذكير ، فأنت بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن ، تخبر بالغيب دون علم ، ولا مجنون تقول ما لا تقصد .

٣٠ ، ٣١ - بل يقولون هو شاعر ، ننتظر به نزول الموت ، قل تهديداً لهم ، انتظروا فإنى معكم من المنتظرين عاقبة أمرى وأمركم .

٣٢ - بل تأمرهم عقولهم بهذا القول المتناقض ، فالكاهن والشاعر ذو فطنة وعقل ، والمجنون لا عقل له ، بل هم قوم مجاوزون الحد في العناد .

٣٣ - بل يقولون : اختلق محمد القرآن ؟ بل هم لمكابرتهم لا يؤمنون .

٣٤ - فليأتوا بمحدث مثل القرآن ، ان كانوا صادقين في قولهم ان محمداً اختلقه .

٣٥ - بل أخلقوا من غير خالق ، أم هم الذين خلقوا انفسهم ، فلا يعترفون بخالق يعبدونه ؟ .

٣٦ - بل أخلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع ؟ بل هم لا يوقنون بما يجب للخالق ، فلهذا يشركون به .

٣٧ - بل أعندهم خزائن ربك يتصرفون فيها ، بل أهم القاهرون المدبرون للأمور كما يشاءون ؟ .

مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
 عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
 تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

٣٨ - بل ألم مرقى يصعدون فيه الى السماء ، فيستمعون ما يقضى به الله ؟ فليأت مستمعهم بحجة واضحة تصدق دعواه .

٣٩ - بل الله البنات كما تزعمون ، ولكم البنون كما تحبون ؟

٤٠ - بل أتسألهم شيئاً من الأجر على تبليغ الرسالة ، فهم لما يلحقهم من الغرامة مثقلون متبرمون ؟

٤١ - بل أعندهم علم الغيب ، فهم يكتبون منه ما شاءوا ؟

٤٢ - بل أريدون مكرأ بك وابطالاً لرسالتك ؟ ، فالذين كفروا هم الذين يحق بهم مكرهم .

٤٣ - أم لهم معبود غير الله يمنعهم من عذاب الله ، تنزيهاً لله عما يشركون .

٤٤ - وان يشاهدوا جزءاً من السماء ساقطاً عليهم لعذابهم ، يقولوا عناداً : هو سحاب متجمع .

٤٥ - فدعهم غير مكترث بهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون .

٤٦ - يوم لا يدفع عنهم مكرهم شيئاً من العذاب ولا هم يجدون ناصرأ .

٤٧ - وان للذين ظلموا عذاباً غير العذاب الذي يهلكون به في الدنيا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

٤٨ - واصبر لحكم ربك بامهالهم ، وعلى ما يلحقك من أذاهم ، فانك في حفظنا ورعايتنا ، فلن يضرك

كيدهم ، وسبح بحمد ربك حين تقوم .

٤٩ - وتخير جزءاً من الليل فسبحه فيه ، وسبحه وقت ادبار النجوم .

(٥٣) سُورَةُ النُّجُومِ
وَأَيَّانَهَا ثِنْدَانٌ وَسُتُورٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

القسم في مستهل هذه السورة يجلي صدق الرسول - ﷺ - فيما يتحدث به من خبر الوحي ، وما يبلغه عنه ، ما ضل في شيء منه وما غوى ، وصدق الرسول - ﷺ - فيما تحدث به عن رحلته الى السماء ، في حادث المعراج ، ما زاع بصره وما طفى .

ثم تنتقل السورة الى الحديث عن تفاهة عقول الكافرين في عبادتهم لأصنام اصطنعوها بأيديهم ، سموها بأسماء من عندهم ، كما سمو الملائكة إنثاءً بعد أن جعلوا لله البنات ، واختصوا انفسهم بالذكر .

ثم تطلب إلى الرسول - ﷺ - الاعراض عنهم ، وترك أمرهم الى الله الذي له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً ، والذي سيجازى المسيء باسائه ، والمحسن باحسانه ، وهو أعلم بجميع أطوار خلقه وأحوالهم ، متبعة ذلك بالتنديد بمن أنكر حساب كل انسان على عمله ، كما جرت بذلك الشرائع السابقة ، وأخبرت صحف موسى وابراهيم . وقررت الآيات كل هذه المعاني بما عرضت من صور القدرة وآيات الله في الأمم السابقة .

ثم تختم بتوضيح ان القرآن نذير من النذر التي أُنذرت بها الأمم السابقة ، ليخشوا يوم القيامة الذي قرب وقته ، وتنعى على الكافرين بالقرآن غفلتهم عن ذلك ، واستبدالهم الضحك مكان بكائهم وانعاشهم به ، وقد طلبت الى المؤمنين أن يسجدوا لله الذي أنزله ويعبدونه .

١ ، ٢ - أقسم بالنجم اذا هوى للغروب : ما عدل محمد عن طريق الحق وما اعتقد باطلاً .

٣ - وما يصدر نطقه فيما يتكلم به من القرآن عن هوى نفسه .

٤ - ما القرآن الذي ينطق به إلا وحى من الله يوحيه إليه .

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑨ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ⑪ أَفَتُمَلِّقُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ⑰ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ⑱ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ⑲ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَى ⑳ الْكُرْ أَذْكَرٌ وَلَهُ الْأُنثَى ㉑ تِلْكَ إِذْ أَسْمَعُ ضِغِيثَ ㉒ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا

٥ - علمه هذا الوحي ملك شديد القوى .

٦ ، ٧ - ذو حصافة في عقله ورأيه ، فاستقام على صورته ، وهو بالجهة العليا من السماء المقابلة للنظر .

٨ ، ٩ - ثم قرب جبريل منه ، فزاد في القرب ، فكان دنوه قدر قوسين ، بل أدنى من ذلك .

١٠ - فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله ما أوحاه ، وأنه أمر عظيم الشأن بعيد الأثر .

١١ - ما أنكر فؤاد محمد ما رآه بصره .

١٢ - أنكذبون رسول الله ، فتجادلونه على ما يراه معاينة ؟!

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ - ولقد رأى محمد جبريل على صورته مرة أخرى ، في مكان لا يعلم علمه إلا الله ، سماه « سدرة المنتهى » ، وأنبأ أن عنده جنة المأوى ، إذ يغشاها ويغطيها من فضل الله ما لا يحيط به وصف ، ما مال بصر محمد عما رآه ، وما تجاوز ما أمر برويته .

١٨ - لقد رأى كثيراً من آيات الله وعجائبه العظمى .

١٩ ، ٢٠ - أعلمت ذلك ففكرتم في شأن اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، التي اتخذتموها آلهة

تعبدونها ؟!

٢١ - أقسمت الأمر فجعلتم لأنفسكم الذكور ، وجعلتم لله الاناث ؟!

٢٢ - تلك - اذن قسمة جائزة ، إذ تجعلون لله ما تكرهون .

أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْإِنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

٢٣ - ما الأصنام الا مجرد اسماء ليس فيها شيء من معنى الألوهية ، سميتوها أنتم وأبائكم بمقتضى أهوائكم الباطلة ، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها ، ما يتبعون الا الظن وما تهواه النفوس المنحرفة عن الفطرة السليمة ، ولقد جاءهم من ربهم ما فيه هدايتهم لو اتبعوه .

٢٤ ، ٢٥ - بل ليس للانسان ما تمناه ، من شفاعة هذه الأصنام أو غير ذلك مما تستهيه نفسه ، فله وحده - أمر الآخرة ، والدنيا جميعاً .

٢٦ - وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلهم لا تغني شفاعتهم شيئاً - ما - إلا بعد إذنه تعالى للشفيع ورضاه عن المشفوع له .

٢٧ - إن الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة ليصفون الملائكة بالأنثى ، فيقولون : الملائكة بنات الله !

٢٨ - وما لهم بهذا القول من علم ، ما يتبعون فيه الا ظنهم الباطل وان الظن لا يغني من الحق شيئاً .

٢٩ - فانصرف عن هؤلاء الكافرين الذين أعرضوا عن القرآن ولم يكن همهم الا الحياة الدنيا ، جاهدين فيما يصلحها .

٣٠ - ذلك الذي يتبعونه في عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا اليه من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال ، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء .



لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُؤا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
فَلَا تَرْكُؤا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَرَى وَاِزْرًا وَإِزْرًا أُخْرَى ﴿٣٨﴾
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ

٣١ - الله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتديراً . ليجزي الضالين المسيئين بعملهم ، ويجزي

المهتدين المحسنين بالثوبة الحسنی .

٣٢ - الذين يجتنبون ما يكبر عقابه من الذنوب وما يعظم قبحه منها ، لكن الصغائر من الذنوب يعفو الله

عنها ، ان ربك عظيم المغفرة ، هو أعلم بأحوالكم ، اذ خلقكم من الأرض ، واذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم في
أطواركم المختلفة ، فلا تصفوا أنفسكم بالتزكى تمداً وتفاخراً . هو أعلم بمن اتقى ، فزكت نفسه حقيقة بتقواه .

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ - اتأملت فرأيت الذى أعرض عن اتباع الحق ، واعطى شيئاً قليلاً من المال ، وقطع

العطاء؟! أعنده علم الغيب فهو منكشف له عما يدفعه الى التولى عن الحق والبخل بالمال؟! .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - بل ألم يخبر بما في صحف موسى وإبراهيم الذى بلغ الغاية في الوفاء بما عاهد الله عليه : أنه

لا تحمل نفس أثم نفس أخرى؟! .

٣٩ - وأنه ليس للإنسان الا جزاء عمله .

٤٠ - وان عمله سوف يعلن ، فيرى يوم القيامة تشریفاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء .

٤١ - ثم يجزي الإنسان عن عمله الجزاء الأوفر .



الْمُنْتَهَى ٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٤٥)
 مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ٤٩)
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٥٠) وَثَمُودًا قَوْمَ آبَائِ نُوْحٍ مِنَ قَبْلُ ٥١) إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى ٥٢)
 وَالْمُوتِفِكَةَ أَهْوَى ٥٣) فَغَشَّهَا مَاغَشَّى ٥٤) فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكَ تُتْمَارَى ٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ٥٦)

٤٢ - وأن إلى ربك - لا إلى غيره - المعاد .

٤٣ - وأنه هو - وحده - بسط أسارير الوجوه وقبضها ، وخلق أسباب البسط والقبض .

٤٤ - وأنه هو - وحده - سلب الحياة ووهبها .

٤٥ ، ٤٦ - وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى - من الإنسان والحيوان من نطفة دافقة^(١) .

٤٧ - وأن عليه الأحياء بعد الاماتة .

٤٨ - وأنه هو أعطى ما يكتن ، وأرضى بما يقتنى ويدخر .

٤٩ - وأنه هو رب هذا الكوكب العظيم المسمى بالشعري^(٢) .

٥٠ ، ٥١ - وأنه أهلك عاداً الأولى قوم هود ، وأهلك قوم صالح ، فأبقى عليهم .

٥٢ - وأهلك قوم نوح من قبل هلاك عاد وثمود ، انهم كانوا هم أكثر ظلماً وأشد طغياناً من عاد وثمود .

٥٣ - والقرى المنقلبة بقوم لوط هو الذى قلبها .

٥٤ ، ٥٥ - فأحاط بها من العذاب ما أحاط ، فبأى نعمة من نعم ربك ترتاب !

٥٦ - هذا القرآن نذير من جنس النذر الأولى التى أنذرت بها الأمم السابقة .

(١) المقصود بالآية الكريمة الدلالة على قدرة الله تعالى بأنه خلق الذكور والاناث جميعاً من الناس والحيوانات من نطفة يشترك في إفرازها الذكر والأنثى ، وهى على دقة محتوياتها وصغر حجمها ينبوع الحياة ومصدر الأحياء ، وأن الإعجاز القرآنى كما يتضح في الآية الكريمة إذ تذكر أن العالم لم يكن يعلم إلى عهد قريب أن في سائل الذكر حيوانات منوية وأن في سائل الأنثى بويضات ، فاذا التقى حيوان منوى وبويضة واتحدوا حدث الاخصاب والحمل ، وهذه حقيقة سبق القرآن الكريم إلى ذكرها قبل أن يكشف عنها العلم .

(٢) المراد هنا الشعري الجانية وهى المع نجم في كوكبة الكلب الأكبر وألعب ما يرى من نجوم السماء ، وتشاهد جنوبي الاستواء السواوى بمقدار ١٨ درجة ، وتسمى بالنجم الكلبى وكانت تعرف بهذا الاسم منذ نحو ثلاثة آلاف سنة . وأشار إليها بـكلب في الآثار الفرعونية ، وقد =

أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

٥٧ ، ٥٨ - قربت القيامة ، ليس لها من دون الله من يكشف عن وقت وقوعها .

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ - أتجحدون كل حق فن هذا القرآن تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزاء وسخرية ،
ولا تبكون كما يفعل الموقنون ، وأنتم لاهون متكبرون !

٦٢ - فاسجدوا لله الذى أنزل القرآن هدى للناس ، وأفردوه بالعبادة جل جلاله .

= اختصها الله بالذكر لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، وكان قداماء المصريين يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها من جهة الشرق حوالى منتصف
شهر يوليه قبل شروق الشمس يتفق مع زمن الفيضان فى مصر الوسطى أى مع أهم حادث فى العالم وهذا الحادث قد يكون أول تحديد
لطول السنة فى العالم كله لأن ظهور الشعرى قبيل شروق الشمس لا يحدث إلا مرة واحدة فى العام ، فهذا ابتداء عام جديد .

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجٌ ۝ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝

جاءت الآية الأولى من هذه السورة تنبه الأسماع إلى اقتراب القيامة ، وتحذر الناس أمرها ، ثم جاءت آيات بعدها توضح موقف الكفار من المعجزات ، واصرارهم على التكذيب ، وتطلب إلى رسول الله - ﷺ - الإعراض عنهم وإمهالهم ليوم يخرجون فيه الأجداث كأنهم جراد منتشر .

وتتابعت الآيات بعد ذلك ، تعرض أطرافا من أحوال الأمم السابقة مع رسلهم ، والعذاب الذي حاق بهم ، وبين كل قصة وأخرى تنبه الأذهان إلى أن القرآن الكريم ميسر لمن يطلب العظة والاعتبار .

متنبيه إلى بيان أن كفار مكة ليسوا أقوى ولا أشد من الأمم السابقة ، وأنه ليس لهم أمان من العذاب ، ثم ختمت السورة بتهديد المكذبين المعاندين بمصائبهم يوم يسحبون في النار على وجوههم ، ويقال لهم : ذوقوا مس جهنم التي كنتم بها تكذبون ، وتطمئن المتقين إلى منازلهم في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

١ - دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة .

٢ - وإن ير الكفار معجزة عظيمة يعرضوا عن الإيمان بها ، ويقولوا : هي سحر دائم متتابع !

٣ - وكذبوا الرسل واتبعوا ما تزينه لهم أهواؤهم ، وكل أمر منته إلى غاية يستقر عليها .

٤ - وأقسم لقد جاء الكفار من أخبار الأمم السابقة والحقائق الكونية ما فيه كفاية لجرهم .

٥ - هذا الذي جاءهم بحكمة عظيمة بالغة غايتها . فأى نفع تفيد النذر من انصرف عنها !؟



فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴿٦﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَجَرَرْنَا الْأَرْضَ
 عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
 كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ

٦ - فأعرض - يا محمد - عن هؤلاء الكفار، وانتظر يوم يدعو داعي الله إلى أمر شديد تنكره النفوس !!

٧ - خاضعة أبصارهم من شدة الهول، يخرجون من القبور كأنهم - في الكثرة والسرعة - جراد منتشر !!

٨ - مسرعين إلى الداع، ينظرون إليه في ذل وخضوع، لا يتحول بصرهم عنه، يقول الكافرون يوم القيامة:
 هذا يوم صعب شديد.

٩ - كذبت قبل كفار مكة قوم نوح، فكذبوا نوحا عبدا ورسولنا ورموه بالجنون، وحالوا بأنواع الأذى
 والتخويف بينه وبين تبليغ الرسالة.

١٠ - فدعا نوح ربه اني مغلوب من قومي، فانتقم لي منهم.

١١، ١٢ - ففتحتنا أبواب السماء بماء منسوب كثير متتابع، وشققنا الأرض عيوننا متفجرة بالماء. فالتقى ماء
 السماء وماء الأرض على اهلاكهم الذي قدره الله تعالى.

١٣، ١٤ - وحملنا نوحا على سفينة من خشب، وخبوط من ليف تشد ألواحها، تجرى على الماء بحفظنا،
 جزاء لنوح الذي استمر قومه على تكذيب دعوته.

١٥ - ولقد تركنا حادثة اغراق الكافرين وانجاء المؤمنين عظة، فهل من متعظ !!

١٦ - فعلى أي حال كان عذابي واندباري للمخالفين !!

١٧ - وأقسم لقد سهلنا القرآن للتذكر والاعتاظ، فهل من متعظ !؟

١٨ - كذبت عاد رسوهم هودا، فعلى أي حال كان عذابي واندباري للمخالفين !!

نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُجْحَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
 الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبْتَ تُمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا
 ضَلَّلْنَا وَسُعُرًا ﴿٢٤﴾ أَتَلْقَى الَّذِي كُرَّ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٦﴾
 إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ ﴿٢٨﴾
 فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

١٩ ، ٢٠ - انا سلطنا عليهم ريحا باردة مدوية في يوم شؤم دائم ، تفلع الناس من أماكنهم ، وترمى بهم على الأرض صرعى ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغارسه .

٢١ - فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين !!

٢٢ - ولقد سهلنا القرآن للفظة والاعتبار ، فهل من متعظ !!

٢٣ - كذبت تمود بانذارات نبيهم صالح .

٢٤ - فقالوا : أبشرا من عامتنا لا عصبية له نتبعه ؟ ، انا إذا اتبعناه لنى بعد عن الحق وجنون .

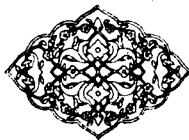
٢٥ - أنزل الوحى عليه من بيننا وفينا من هو أحق منه ؟! بل هو كثير الكذب ، منكر للنعمة .

٢٦ - سيعلمون قريبا يوم ينزل بهم العذاب ، من الكذاب المنكر للنعمة ، أهم أم صالح رسولهم ؟!

٢٧ - انا مرسلو الناقة آية لرسولنا صالح امتحانا لهم ، فانظروهم وتبصر ما هم فاعلون ، واصبر على أذاهم حتى يأتى أمر الله .

٢٨ - ونبيهم أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة ، كل نصيب يحضره صاحبه فى يومه .

٢٩ ، ٣٠ - فنادوا صاحبه ، فتبأ لعرق الناقة ، فعقرها . فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ؟!



الْمُحْتَضِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آءَالَ لوطٍ نَجَّيْنَهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
 بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۚ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ
 بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آءَالَ
 فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ

٣١ - انا سلطنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا بها كسجرا يابس يجمعه من يريد اتخاذ حظيره !!

٣٢ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ !

٣٣ - كذبت قوم لوط بانذارات رسوله .

٣٤ ، ٣٥ - انا أرسلنا عليهم ريحا شديدة ترميهم بالحصى ، الا آل لوط المؤمنين نجيناهم من هذا العذاب آخر الليل ، انعاما عليهم من عندنا ، كذلك الانعام العظيم نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة .

٣٦ - ولقد خوف لوط قومه أخذتنا الشديدة ، فشكوا في انذاراته تكذيبا له .

٣٧ - ولقد أرادوا منه تمكينهم من ضيفه ، فحونا أبصارهم جزاء ما أرادوا ، فقل لهم تهكما : تجرعوا عذابي وانذاراتي .

٣٨ ، ٣٩ - ولقد فاجأهم في الصباح الباكر عذاب ثابت دائم ، فقيل لهم : تجرعوا عذابي وانذاراتي .

٤٠ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ !؟

٤١ - ولقد جاء آل فرعون الانذارات المتتابعة .

٤٢ - كذبوا بآياتنا ومعجزاتنا التي جاءت على يد رسلنا ، فأهلكناهم اهلاك قوى لا يغلب ، عظيم القدرة .



بَرَاءَةٌ فِي الزُّبْرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
 وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا
 مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
 فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

٤٣ - أنتم - أيها الكفار - أقوى من أولئكم الأقسام السابقين الذين أهلكوا !! بل ألكم براءة من العذاب
 فيما نزل من الكتب السماوية !!

٤٤ - بل يقول هؤلاء الكفار: نحن جمع مؤنث ممتنع على أعدائه لا يقلب !!

٤٥ - سيقلب هذا الجمع، ويفرون مولين الأدبار.

٤٦ - بل القيامة موعد عذابهم، والقيامة أعظم داهية وأقسى مرارة.

٤٧ - ان المجرمين من هؤلاء وأولئك في هلاك وجحيم مستعرة.

٤٨ - يوم يجرون في النار على وجوههم يقال لهم: قاسوا آلام جهنم وحرارتها.

٤٩ - انا خلقنا كل شيء، خلقناه بتقدير على ما تقتضيه الحكمة.

٥٠ - وما أمرنا لشيء أردناه إلا كلمة واحدة هي أن نقول له: «كن» فيكون في سرعة الاستجابة كلمح
 البصر.

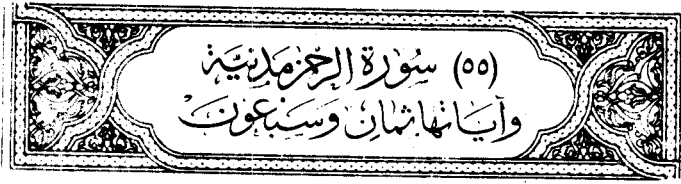
٥١ - ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر، فهل من متعظ !!

٥٢ - وكل شيء فعلوه في الدنيا مكتوب في الصحف، مقيد عليهم.

٥٣ - وكل صغير وكبير من الأعمال مكتوب، لا يغيب منه شيء.

٥٤ - ان المتقين في جنات عظيمة الشأن، وأنهار متعددة الأنواع.

٥٥ - في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأنيب، عند ملك عظيم القدرة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عِلْمَ الْقُرْآنِ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾

أخذت هذه السورة في تعداد آلاء الله ونعمه ، بادئته بعد ذكر الرحمن بذكر اشرف نعمة : وهي تعليم القرآن الكريم ، ثم سارت الآيات في عرض هذه الآلاء ، في صورة توضح عظمة خالقها جل شأنه ، وتبرز قدرته وسلطانه على الانس والجن في السموات والأرض .

وقد عرضت لعذاب المجرمين المكذبين في جهنم ، وأفاضت في نعم المتقين في الجنة .
وختمت السورة بتزيه الله تعالى والثناء عليه .

وقد ذكرت في السورة آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » إحدى وثلاثين مرة على طريقة التفسير الكريم في التكرير المستحسن الذي يقتضيه المقام . كل واحدة منها تفرع المكذبين على تكذيبهم نعم الله في الآية قبلها .

١ ، ٢ - الرحمن . علم الإنسان القرآن ويسره له .

٣ ، ٤ - أوجد الانسان ، علمه الابانة عما في نفسه تمييزا له عن غيره .

٥ - الشمس والقمر يجريان في بروجها بحساب وتقدير لا اخلال فيه^(١) .

٦ - والنبات الذي لا ساق له ، والشجر الذي يقوم على ساق ، يخضعان لله تعالى في كل ما يريد بها .

٧ ، ٨ - والسماء خلقها مرفوعة ، وشرع العدل لئلا تتجاوزوا الحد .

٩ - وأقيموا الوزن بالعدل في كل معاملاتكم ولا تنقصوا الميزان .

١٠ - والأرض بسطها ومهدا للخلائق ، ينتفعون بها .

١١ - في الأرض أنواع كثيرة من الفاكهة ، وفيها النخل ذات الأوعية التي فيها الثمر .

(١) تنص هذه الآية الكريمة على حركة الشمس والقمر تجرى طبقا لنظام دقيق منذ خلقها الله تعالى ولم تتصرف على دقائق هذا النظام الدقيق إلا حديثا حوالي ٣٠٠ سنة خلت ، حيث تبين أن حركة الشمس الظاهرية حول الأرض وحركة القمر حول الأرض تم في مدارات فلكية طبقا لقوانين الجاذبية وهي حسابات رياضية في غاية العمق والدقة وخصوصا في حالة القمر .

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾
 وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
 فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

١٢ - وفيها الحب ذو القشر، رزقا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

١٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان أيها الثقلان ١٤

١٥، ١٦ - خلق جنس الإنسان من طين يابس غير مطبوخ كالخزف، وخلق جنس الجان من لبيب خالص

من نار ١

١٦ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

١٧ - رب مشرق الشمس في الصيف والشتاء، ورب مغربها فيها^(١).

١٨ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

١٩، ٢٠ - أرسل الله البحرين العذب والملح يتجاوران ويتماس سطوحهما، بينها حاجز من قدرة الله،

لا يظفي أحدهما على الآخر فيمتزجان.

٢١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

٢٢ - يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، تتخذون منها حلية تلبسونها^(٢).

٢٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

(١) قد يكون المراد هناك مشرق الشمس والقمر ومغربها، ومن ثم تكون الإشارة إلى آية الليل وآية النهار « انظر أيضا التعليق العلمى على الآيات ٧١، ٧٢، ٧٣، من سورة القصص، التي تبدأ بقوله تعالى: « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة ».

ويصح أيضا أن تكون الإشارة هنا إلى الشمس وحدها وهي عباد الحياة في هذا الكوكب الأرضي فيكون المقصود هو مشرق الشتاء ومغربه ومشرق الصيف ومغربه كما ذهب كثير من المفسرين.

وترجع هذه الظاهرة إلى ميل محور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بمقدار ٥٢٣,٥ درجة، لذلك فإن النصف الشمالى من الكرة الأرضية، مثلا يميل نحو الشمس في الصيف فيطول النهار ويقصر الليل حتى يبلغ ذلك أقصى مداه فتظهر الشمس مشرقة أو غاربة على أقصى بعد شمالى من المشرق والمغرب الصادقين ثم تقفل راجعة يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين عند الاعتدال الخريفى ثم يأخذ هذا النصف في الميل عن الشمس، فيطول الليل ويقصر النهار وتستمر الشمس في تأخرها الظاهرى نحو الجنوب حتى تبلغ مدى بعدها إلى الجنوب في قة الشتاء ثم ترتد إلى الشمال يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين في الاعتدال الربيعى، وهكذا. ويصدق عكس هذا جميعه في نصف الكرة الجنوبي، كما أن هذه الظواهر تبدو بصورة متطرفة كلما اقتربنا من أقصى الشمال أو أقصى الجنوب. ولاشك في أن هذا التدبير الحكيم صالحا لأحوال الأحياء على الأرض، إذ منه تحدث الفصول المناخية وما يترتب عليها من مواسم الزرع والحصاد وكافة صور التباين الموسمي في نشاط الإنسان والحيوان والنبات.

(٢) ينظر التعليق العلمى على آية ١٢ من سورة فاطر.

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكَ أَيْهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا
بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ

٢٤ - وله السفن المصنوعات بأيديكم الجاريات في البحر، العظيمة كالجبال الشاهقة.

٢٥ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان؟!؟

٢٦، ٢٧ - كل من على الأرض زائل ويبقى الله صاحب العظمة والإنعام.

٢٨ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان؟!؟

٢٩ - يسأل الله جميع من في السموات والأرض حاجاتهم، كل وقت هو في شأن، يعز ويذل، ويعطي ويمنع.

٣٠ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان؟!؟

٣١ - سنقصد لحسابكم يوم القيامة أيها الجن والإنس.

٣٢ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان؟!؟

٣٣ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين فاخرجوا،
لا تستطيعون الخروج إلا بقوة وقهر، ولن يكون لكم ذلك^(١).

٣٤ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان؟!؟

٣٥ - يصب عليكما هب من نار ونحاس مذاب، فلا تقدران على دفع هذا العذاب^(٢).

(١) ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفوذ من نطاق جاذبية الأرض، وحيث اقتضى النجاح الجزئي في زيارة الفضاء - لمدة محدودة جدا بالنسبة لعظم الكون بذل الكثير من المجهود العلمية الضخمة في شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية والجيولوجية فضلا عن التكاليف الخيالية المادية التي انفقت في ذلك ومازالت تنفق، وببدل ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار السموات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أوجن مستحيل.

(٢) النحاس هو فلز يعتبر من اول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمن، ويتميز بان درجة انصهاره مرتفعة جدا حوالى ١٠٨٣ درجة مئوية فاذا ماصب هذا السائل الملتهب على جسد، مثل ذلك صنفا من أقمى أنواع العذاب ألما وأشدّها أترا.

٣٨) الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٣٩) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٠) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤١) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٢) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٣) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٤) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٥) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٦) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٧) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٨) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٤٩) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ٥٠) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ

٣٦ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٣٧ - فإذا انشقت السماء فكانت حمراء كدرة كالزيت المحترق

٣٨ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٣٩ - فيوم إذ تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن .

٤٠ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٤١ - يعرف المجرمون من الانس والجن بعلامة يتميزون بها ، فيؤخذ بمقدم رؤوسهم وأقدامهم ، فيلقى بهم في

جهنم .

٤٢ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٤٣ ، ٤٤ - يقال تقريرا : هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون منكم ، يترددون بين نارها وبين ماء متناه في

الحرارة .

٤٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٤٦ - ولن خاف قدر ربه جنتان عظيمتان .

٤٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٤٨ - صاحبنا أغصان نضرة حسنة .

٤٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان !؟

٥٠ - في هاتين الجنتين عينان تجريان حيث شاءوا .

رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرُفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ
 إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ
 تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴿٦٢﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَاتَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٥﴾

- ٥١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٥٢ - فيها من كل فاكهة صنفان .
- ٥٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٥٤ - معتمدين مطمئين على فرش بطائنها من ديباج خالص ، وثمر الجنتين قريب للمتناول .
- ٥٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٥٦ - فى الجنان زوجات حابسات أبصارهن على أزواجهن ، أبقار لم يقرهن انس قبلهم ولا جان .
- ٥٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٥٨ - كأن هؤلاء الزوجات فى الحسن وصفاء اللون الياقوت والمرجان .
- ٥٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٦٠ - ما جزاء الاحسان فى العمل إلا الاحسان فى الثواب .
- ٦١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٦٢ - ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان .
- ٦٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٦٤ - خضراوان قد اشتدت خضرتها حتى مالت إلى السواد .
- ٦٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!
- ٦٦ - فيها عينان فوارتان بالماء لا تنقطعان .

فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٧٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّا بِإِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الرَّيبِكَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٩﴾

- ٦٧ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٦٨ - فِيهِمَا فَكِهَةٌ مِنْ صُنُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ (١).
 ٦٩ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٧٠ - فِيهِنَّ زُوجَاتٌ طَيِّبَاتُ الْأَخْلَاقِ ، مَشْرِقَاتُ الْوُجُوهِ .
 ٧١ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٧٢ - حَسَانُ الْعَيُونِ ، مَقْصُورَاتٌ فِي خِيَامِهِنَّ .
 ٧٣ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٧٤ - لَمْ يَقْرَبِينَ إِنْسٍ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ وَلَا جَانٍّ .
 ٧٥ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٧٦ - مُتَكِينِينَ عَلَى عَرْشِ ذَوَاتِ أَغْطِيَةٍ خَضِرٍ وَطَنَافِسٍ حَسَانٍ عَجِيبَةِ الصَّنْعِ .
 ٧٧ - فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَمَا تُجْحَدَانِ ؟
 ٧٨ - تَعَالَى وَتَنَزَّهَ اسْمُ رَبِّكَ صَاحِبِ الْعِظَمَةِ وَالْإِنْعَامِ .

(١) قد يكون وجه تخصيص النخل والرمان هو فضل ثمارها على غيرها من الثمار لما أودع الله فيها من مزايا أثبت العلم وجودها فيها .

فيتحليل التمر كياويا وجد أنه يحتوي على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٥٪ تقريبا) ف معظمها من سكر القصب، وكذلك السكر المحول (سكر الفاكهة وسكر العنب - الفركتوز والجلوكوز) وهو سهل الاحتراق ويستفيد الجسم منه في إنتاج طاقة عالية وسعر حراري كبير. ولعل ذلك ربما كان وجه الحكمة في أمر الله للسيدة مريم بتناول الرطب كي يعوضها عما بذلته وفقدته أثناء الهضاض. هذا فضلا عن أن التمر يحوي أيضا نسبة عالية من الكالسيوم والحديد والفوسفور التي يحتاج إليها الجسم ومقدارا مناسبيا من حمض النيكوتينيك (فيتامين الواقي من مرض البلاجرا (وفيتاميني أ، ب) ويحتوي أيضا على نسبة من البروتينات والدهنيات وكل هذه المكونات تجعل من البلح غذاء كاملا. أما الرمان فيحتوي له أو عصيره على نسبة مرتفعة (إذا قيس بغيره من الفواكه) من حمض الليمونيك الذي يساعد عند احتراقه على تقليل أثر الحموضة في البول والدم مما يكون سببا في تجنب النقرس وتكوين بعض حصي الكلى هذا فضلا عن احتواء عصير الرمان على نسبة لا بأس بها من السكريات (حوالي ١١٪) السهلة الاحتراق، والمولدة للطاقة. كما أن قشر الرمان به مادة عفصية قابضة (تنينية) تقى الأمعاء مما يصيبها من إسهال كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشريطية.

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّنًا ⑥ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑧

بدئت السورة بالحديث عن وقوع القيامة، والأحداث التي تصحب وقوعها، ثم أخبرت أن الخلق في ذلك اليوم ثلاثة أصناف، معقبة ذلك بتفصيل واف عما أعد لكل صنف من نعيم يلائم منزلته، أو عذاب يناسب كفره وعصيانه.

ثم أوضحت الآيات بعد ذلك مظاهر نعم الله تعالى، وآثار قدرته في الخلق والزرع والماء والنار، وما تقتضيه هذه الآثار الواضحة من تسييح الله العظيم وتقديسه، وأقسمت الآيات على مكانة القرآن الكريم وما يستحقه من تقديس ناعية على الكافرين سوء صنيعهم، من وضعهم التكذيب مكان الشكر. وعقبت ذلك باجمال لما فصلته عن الأصناف الثلاثة وما ينتظر كل صنف من نعيم أو جحيم.

وختمت السورة بتأكيد أن كل ما جاء فيها هو اليقين الصادق والحق الثابت، ورتبت على ذلك الأمر بتنزيه الله تعالى وتقديسه.

١ ، ٢ ، ٣ - إذا وقعت القيامة، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها، هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء.

٤ ، ٥ ، ٦ - إذا زلزلت الأرض واهتزت اهتزازا شديدا، وفتتت الجبال تفتيتا دقيقا، فصارت غبارا

متطيرا^(١).

٧ - وصرتم جميعا في هذا اليوم بأعمالكم أصنافا ثلاثة.

(١) تقرر هذه الآيات الكريمة مدى الأحوال التي تحمل بالعالم عند قيام القيامة، ومن هذه الأحوال تلك الكوارث الكونية التي تؤثر على الأرض وطبقاتها. فالأرض التي نعيش على سطحها ليست مستقرة ومتوازنة تماما فهي تتكون من طبقات صخرية متداخلة غير منتظمة قد أنزلت بعضها بالنسبة لما يجاورها وكونت ما يسمى الفالق الجيولوجي في مناطق عديدة. هذه الفوالق كانت ولا تزال المراكز العميقة للزلازل الكبرى لأنها تحت تأثير قوى الشد والجذب التي صاحبت الطبقة الأرضية عند انكسارها فإذا ما اختل توازن هذه القوى نتيجة لعوامل التأثير الإضافية الخارجية فقد يؤدي ذلك إلى انطلاق طاقة حركة كبرى تنبعث منها هزات أو زلازل أرضية قد تهدم كل شيء على سطح الأرض القريب من مركز الزلزال فيحدث خراب كبير.

والتفسير العلمي المذكور لا يؤثر بل ولا يبعد عن الوجهة الدينية، فإن الله تعالى قد يجعل الأسباب الكونية المعتادة يجمع بعضها إلى بعض على غير ما عهدنا ليكون تفاعلها رهيب سببا مباشرا لتخريب الدنيا، ويكون التفسير العلمي متجاوبا مع الآيات المنذرة بالأحوال الجسام وكل ذلك من عند الله، ويحصل عندما يأذن الله بتنفيذ قضائه في دنيانا.

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۗ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ۗ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۗ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۗ مُتَكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۗ
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۗ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۗ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ۗ
وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۗ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۗ وَحُورٌ عِينٌ ۗ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۗ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمَا ۗ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۗ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ

٨ ، ٩ - فأصحاب اليمين أهل المنزلة السنية ما أعظم مكاتبتهم ، وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنية ما أسوأ حالهم .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة ، أولئك هم المقربون عند الله ، يدخلهم ربهم في جنات النعيم .

١٣ ، ١٤ - هؤلاء المقربون جماعة كثيرة من الأمم السابقة وأنبيائهم ، وقليل من أمة محمد بالنسبة إليهم .

١٥ ، ١٦ - على سرر منسوجة بالجواهر النفيسة ، مضجعين عليها في راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة في المحبة .

١٧ ، ١٨ - يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبدا على هذا الوصف ، بأقداح وأباريق مملوءة من شراب الجنة ، وبكأس مملوءة خمرا من عيون جارية .

١٩ - لا يصيبهم بشرها صداع يصرفهم عنها ، ولا تذهب عقولهم .

٢٠ ، ٢١ - وفاكهة من أى نوع يختارونه وبيرونه ، ولحم طير مما ترغب فيه نفوسهم .

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ونساء ذوات عيون واسعة ، كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفة صفاء ورونقا ، يعطون هذا الجزاء بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا .

٢٥ ، ٢٦ - لا يسمعون في الجنة كلاما لا ينفع ، ولا حديثا ياثم سامعه ، الا قول بعضهم لبعض : نسلم سلاما .

مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلِيلٍ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
 وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ
 أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ
 الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُورٍ وَجَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ وَظَلِيلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا

٢٧ - وأصحاب اليمين لا يعلم أحد ما جزاء أصحاب اليمين .

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - في شجر من النبق مقطوع شوكة ، وشجر من الموز متراكب ثم
 بعضه فوق بعض ، وظل منبسط لا يذهب وماء منصب في أنبتهم حيث شاءوه ، وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف
 لا مقطوعة في وقت من الأوقات ، ولا ممنوعة عن يريدها ، وفرش عالية ناعمة .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - انا ابتدأنا خلق الحور العين ابتداء ، فخلقناهن أبكارا . محبيات إلى أزواجهن ،
 متقاربات في السن ، مهيبات لنعيم أصحاب اليمين .

٣٩ ، ٤٠ - أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأمم السابقة ، وجماعة كثيرة من أمة محمد .

٤١ - وأصحاب الشمال لا يدري أحد ما فيه أصحاب الشمال من العذاب .

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ - في ريح حارة تنفذ في المسام وتحيط بهم ، وماء متناه في الحرارة يشربونه ويصب على
 رؤوسهم ، وفي ظل من دخان حار شديد السواد ، لا بارد يخفف حرارة الجو ، ولا كريم يعود عليهم بالنعف
 إذا استنشقوه .

٤٥ - انهم كانوا قبل هذا العذاب مسرفين في الاستمتاع بنعيم الدنيا ، لاهين عن طاعة الله تعالى .

٤٦ - وكانوا يصممون دائما على الذنب العظيم الجرم ، حيث أقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت .



أءَا لَمَّبِعُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ آبَاءُؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ
 مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكَ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَكَيْفُونَ مِنْهَا
 الْجُبُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُّهُم يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
 خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
 الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
 الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
 حُطًا مَّا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

٤٧ - وكانوا يقولون انكارا للاعادة : أنبعث إذا متنا ، وصار بعض أجسامنا ترابا وبعضها عظاما بالية ، أننا لعائدون إلى الحياة ثانية ؟ .

٤٨ - أنبعث نحن وآبائنا الأقدمون الذين صاروا ترابا متفرقا ضالا في الأرض .

٤٩ ، ٥٠ - قل لهم ردا لانكارهم ، ان الأولين من الأمم والآخريين الذين أنتم من جملتهم لجمعون إلى وقت يوم معين لا يتجاوزونه .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ - ثم انكم أيها الجاحدون عن سبيل الهدى ، المكذبون بالبعث ، لا تكون في جهنم من شجر هو الزقوم ، فالتون من هذا الشجر يطونكم من شدة الجوع .

٥٤ ، ٥٥ - فشاربون على ما تأكلون من هذا الشجر ماء متناهيا في الحرارة لا يروى ظمأ ، فشاربون بكثرة كشراب الابل العطاش التي لا تروى بشرب الماء .

٥٦ - هذا الذي ذكر من ألوان العذاب ما أعد قرى لهم يوم الجزاء .

٥٧ - نحن ابتدأنا خلقكم من عدم ، فهلا تفرون بقدرتنا على اعادتكم حين بعثكم ؟ .

٥٨ ، ٥٩ - أفرايتم ما تقدفونه في الأرحام من النطف ، أنتم تقدرونه وتتعهدونه في أطواره حتى يصير بشرا ، أم نحن المقدرين له ؟

٦٠ ، ٦١ - نحن قضينا بينكم بالموت ، وجعلنا لموتكم وقتا معيننا ، وما نحن بمفسولين على أن نبدل صوركم بغيرها ، وننشئكم في خلق وصور لا تمهدونها .

٦٢ - ولقد أيقنتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ، فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر .

٦٣ ، ٦٤ - أفرايتم ما تبذرونه من الحب في الأرض ؟ أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له وحدنا ؟

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ - لو نشاء لصيرنا هذا النبات هشيا متكسرا قبل أن يبلغ نضجه ، فلا تزالون تتعجبون من سوء

ما أصابه قائلين : انا للزومون الغرم بعد جهدنا فيه ، بل نحن سيئو الحظ ، محرومون من الرزق .

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْعَمْرِنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَحْمَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعِلُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَهَذَا الْحَدِيثُ أُنْتُمُ

٦٨ ، ٦٩ - أفرايتم الماء العذب الذى تشربون منه ، أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون له رحمة بكم ؟ (١) .

٧٠ - لو نشاء صيرناه مالها لا يساغ ، فهلا تشكرون الله أن جعله عذبا سائغا ؟ .

٧١ ، ٧٢ - أفرايتم النار التى توقدون ، أأنتم أنبتم شجرتها وأودعتم فيها النار ، أم نحن المنشئون لها كذلك ؟ .

٧٣ - نحن جعلنا هذه النار تذكيرا لنار جهنم عند رؤيتها ، ومنفعة للنازلين بالفقر ، ينتفعون بها فى طهر طعامهم وتدفتهم .

٧٤ - قدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تزيها وشكرا له على هذه النعم الجليلة .

٧٥ ، ٧٦ - فأقسم حقا بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجد والاستغفار وانه لقسم - لو تفكرون فى مدلوله - عظيم الخطر بعيد الأثر (١) .

٧٧ ، ٧٨ - انه لقرآن كثير المنافع ، فى اللوح المحفوظ مصون لا يطلع عليه غير المقربين من الملائكة .

٧٩ ، ٨٠ - لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون من الأدناس والأحداث ، منزل من عند الله رب الخلق

أجمعين .

(١) المزن هى السحب المطرة ، وعملية الأمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الانسان أو يوفرها صناعيا مثل هبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أو حالات عدم الاستقرار فى الجو .

وقد حاول الانسان استمطار السحب العابرة صناعيا إلا أن هذه المحاولات لاتزال مجرد تجارب على أن الثابت علميا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جدا مع وجود توفر بعض الظروف الملائمة طبيعيا .

(٢) تبين هاتان الآيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم ، فان النجوم أجرام مضيئة بذاتها وأقرب النجوم إلينا وهى الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا بينما النجم الذى يليها فى القرب يبعد عنا بمقدار ٤ سنوات ضوئية تقريبا . فالطاقة التى نستستخدمها من الشمس هى المقومات الأساسية للحياة ، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآن فان الحياة تصبح قاسية متعذرة

كما أن أحجام النجوم تختلف بعضها عن بعض فهنا النجوم العالقة وهم من الاتساع بحيث تشمل الأرض والشمس على بعدها . هناك مجموعات من النجوم تسمى بالمناقيد ساجحة فى الفضاء تخترق المجرة اللبينة من حين لآخر ، فإذا صادفت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدمت بها فان فى ذلك الهلاك والفناء المحقق حتى إذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فان ذلك يؤدى أيضا إلى اختلال

فى التوازن وإلى الهلاك والفناء .

لذلك فان آيات العبرة والقدرة تظهر فى هذا الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ونظمه .

مَدَّهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكَ أَنْكَرًا تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾
 وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
 الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَبِيمٍ ﴿٩٣﴾
 وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

٨١ - أترضون فهذا القرآن العظيم وبقدرة أتم متهاونون ؟

٨٢ - وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبونه .

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ - فهلا إذا بلغت روح أحدكم عند الموت مجرى النفس ، وأنتم حين بلوغ الروح الحلقوم حول
 المحضرت تنظرون إليه ، ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم ، ولكن لا تدركون ذلك ولا تحسونه .

٨٦ ، ٨٧ - فهلا ان كنتم غير خاضعين لربوبيتنا ، تردون روح المحتضر إليه ان كنتم صادقين في أنكم ذو قوة
 لا تقهر .

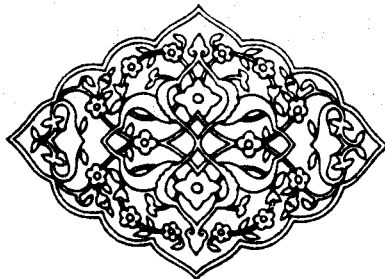
٨٨ ، ٨٩ - فأما ان كان المحتضر من السابقين المقربين فأله راحة ورحمة ورزق طيب وجنة ذات نعيم .

٩٠ ، ٩١ - وأما ان كان من أصحاب اليمين فيقال له تحية وتكريما : سلام لك من أخوانك أصحاب اليمين .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وأما ان كان من أصحاب الشمال المكذبين الضالين فله نزل وقرى أعد له من ماء حار
 تنهت حرارته ، واحراق بنار شديدة الانتقاد .

٩٥ - ان هذا الذي ذكر في هذه السورة الكريمة هو عين اليقين الثابت الذي لا يداخله شك .

٩٦ - قدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها له وشكرا على آلائه .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له ونزهه عما لا يليق به كل ما في السموات والأرض متبعة ذلك بمقتضيات هذا التسييح من ملك السموات والأرض، والاحاطة بها، والتصرف فيها، ثم أمرت بالايان بالله والانفاق في سبيله، وبينت اختلاف درجات الانفاق باختلاف دواعيه ومقتضياته، ثم عرضت صورة المؤمنين يوم القيامة، يسعى نورهم أمامهم ومن حولهم، وصورة المنافقين يلتمسون الانتظار من المؤمنين، ليقبسوا من نورهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

وانتقلت بعد ذلك تستحث المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق، وتبصرهم بمنازل المصدقين والمصدقات عند ربه، ومآل الكافرين المكذبين في الجحيم، وتضرب الأمثال لهوان الدنيا وما حوته من متاع، وعظم الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، وتطلب السبق إلى مغفرة الله، وتطمئن النفوس إلى أن ما يصيب كل نفس من خير أو شر هو في كتاب عند الله، لتذعن بالتسليم لقضاء الله، ثم تحدثت عن إرسال الرسل وتابعهم مؤيدين بالأدلة والكتب وأسباب القوة والعمل، ليقوم الناس بالقسط، ثم ختمت الآية بدعوة المؤمنين إلى التقوى، ووعدهم بمضاعفة الرحمة، والحظوة بالفضل الذي لا يقدر أحد على شيء منه إلا الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

١ - نزه الله تعالى ما في السموات والأرض من الإنسان والحيوان والجهاد، وهو الغالب الذي يصرف الأمور بما تقتضيه الحكمة.

٢ - لله ملك السموات والأرض لا لغيره، يتصرف في كل ما فيها، يفعل الاحياء والاماتة، وهو على كل شيء تام القدرة.

٣ - هو الموجود قبل كل شيء، والباقي بعد فناء كل شيء، والظاهر في كل شيء، فكل شيء له آية، والباطن فلا تدركه الأبصار، وهو بكل شيء ظاهر أو باطن تام العلم.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا فَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا

٤ - هو الذي خلق السموات والأرض وما بينها في ستة أيام ثم استولى على العرش بتدبير ملكه ، يعلم كل ما يغيب في الأرض وما يخرج منها ، وكل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها ، وهو عليم بكم . يحيط بشئونكم في أى مكان كنتم ، والله بما تعملون بصير ، مطلع لا يخفى عليه شيء من ذلك .

٥ - لله وحده ملك السموات والأرض ، وإليه تعالى ترجع أمور خلقه ، وتنتهى مصائرهم .

٦ - يدخل من ساعات الليل في النهار ، ويدخل من ساعات النهار في الليل ، فتختلف أطوالها ، وهو العليم بمكنونات الصدور وما تضره القلوب .

٧ - صدقوا بالله ورسوله ، وأنفقوا في سبيل الله من المال الذي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيه ، فالذين آمنوا منكم بالله ورسوله ، وأنفقوا مما استخلفهم فيه ، لهم بذلك عند الله ثواب كبير .

٨ - وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم للإيمان بربكم ويحثكم عليه ، وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل ، إن كنتم تريدون الإيمان فقد تحقق دليله .

٩ - هو الذي ينزل على رسوله آيات واضحات من القرآن ، ليخرجكم بها من الضلال إلى الهدى ، وإن الله بكم لكثير الرأفة ، واسع الرحمة .



فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ ۗ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ
 دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي
 يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
 يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم الرُّنُكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
 بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

١٠ - وأي شيء حصل لكم في ألا تنفقوا في سبيل الله من أموالكم ، والله ميراث السموات والأرض ؟ يرث كل ما فيها ، ولا يبقى أحد مالكا لشيء منها ، لا يستوى في الدرجة والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل ، والإسلام في حاجة إلى من يسنده ويقويه ، أولئك المنافقون المقاتلون قبل الفتح أعلى درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، وكلا من الفريقين وعد الله الثوبة الحسنی مع تفاوت درجاتهم ، والله بما تعملون خبير ، فيجازي كلا بما يستحق .

١١ - من المؤمن الذي ينفق في سبيل الله مخلصا ، فيضاعف الله له ثوابه ، وله فوق المضاعفة ثواب كريم يوم القيامة .

١٢ - يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسبق نور إيمانهم وأعمالهم الطيبة أمامهم وعن أيانهم تقول لهم الملائكة : بشراكم في هذا اليوم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، لا تخرجون منها أبدا ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم لقاء أعمالكم .

١٣ - يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات : انتظرونا نصيب بعض نوركم ، قيل - توبيخا لهم - : ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه ، فضرب بين المؤمنين والمنافقين مجاز له باب ، باطن الحاجز الذي يلي الجنة فيه الرحمة والنعيم ، وظاهر الحاجز الذي يلي النار من جهته النعمة والعذاب .

١٤ - ينادى المنافقون المؤمنين : ألم تكن في الدنيا معكم وفي رفقتمكم ؟ قال المؤمنون : بلى كنتم معنا كما تقولون ، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالنفاق ، وانتظرتهم للمؤمنين الحوادث المهلكة ، وشككتهم في أمور الدين ، وخذعتكم الآمال ، وأنكم على خير ، حتى جاء الموت وخذعكم بعفو الله ومغفرته الشيطان .

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوتِيَتْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلرَّيَانِ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ
 وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
 وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ
 وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

١٥ - فالיום لا يقبل منكم ما تفتدون به أنفسكم من العذاب مها أغليتم في ذلك . ولا يقبل من الكافرين
 المعلنين كفرهم فدية كذلك ، مرجعكم جميعا النار ، هي منزلكم الأولى بكم ، وبئس المصير النار .

١٦ - ألم يحسن الوقت للذين آمنوا أن ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن الكريم ، ولا يكونوا كالذين أوتوا
 الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، عملوا به مدة فطال عليهم الزمن ، فجمدت قلوبهم وكثير منهم خارجون
 عن حدود دينهم .

١٧ - اعلما أيها المؤمنون أن الله يصلح الأرض ويبهتها للنبات بزول المطر بعد يسها ، قد وضحنا لكم
 الآيات ، وضرينا لكم الأمثال لعلكم تعقلون ما فيها ، فتخشع قلوبكم لذكر الله .

١٨ - ان المتصدقين والمتصدقات وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم ، يضاعف الله لهم ثواب
 ذلك ، ولهم فوق المضاعفة أجر كريم يوم القيامة .

١٩ - والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك هم الصديقون والشهداء منزلة وعلو مرتبة ،
 لهم ثواب ونور يوم القيامة ، مثل ثواب الصديقين والشهداء ونورهم ، والذين كفروا وكذبوا بآيات الله أولئك هم
 أصحاب النار لا يفارقونها أبدا .



حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا

٢٠ - اعلّموا أيها المغرورون بالدنيا انما الحياة الدنيا لعب لا ثمرة له ، وهو يشغل الإنسان عما ينفعه ، وزينة لا تحصل شرفا ذاتيا . وتفخر بينكم بأنساب زائلة وعظام بالية ، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد ، مثلها في ذلك مثل مطر أعجب الزراع نباته ، ثم يكمل نضجه ويبلغ تمامه ، فتراه عقب ذلك مصفرا أخذا في الجفاف ، ثم يصير بعد فترة هشيئا جامدا متكسرا ، لا يبقى منه ما ينفع ، وفي الآخرة عذاب شديد لمن أثر الدنيا وأخذها بغير حقها ، ومغفرة من الله لمن أثر آخرته على دنياه . وليست الحياة الدنيا إلا متاع هو غرور لا حقيقة له لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة .

٢١ - سارعوا في السبق إلى مغفرة من ربكم ، وإلى جنة فسيحة الأرجاء ، عرضها مثل عرض السموات والأرض ، هيئت للذين صدقوا بالله ورسوله ، ذلك الجزاء العظيم فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله وحده صاحب الفضل الذي جل أن تحيط بوصفه العقول .

٢٢ - ما نزل من مصيبة في الأرض من قحط أو نقص في الثمرات أو غير ذلك ، ولا في أنفسكم من مرض أو فقر أو موت أو غير ذلك الا مكتوبة في اللوح ، مثبتة في علم الله من قبل أن نوجدتها في الأرض أو في الأنفس ، إن ذلك الاثبات للمصيبة والعلم بها على الله سهل ، لاحاطة علمه بكل شيء .

٢٣ - أعلّمناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما لم تحصلوا عليه حزنا مفرطا يجركم إلى السخط ، ولا تفرحوا فرحا مبظرا بما أعطاكم . والله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما عنده .

٢٤ - الذين يظنون بأموالهم عن الانفاق في سبيل الله ، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم ، ومن يعرض عن طاعة الله فإن الله وحده الغني عنه ، المستحق بذاته للحمد والثناء .

الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْمٌ مِثْمَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾
 ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
 وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَةَ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
 مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ

٢٥ - لقد أرسلنا رسلنا الذين اصطفيناهم بالمعجزات القاطمة، وأنزلنا معهم الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين والميزان الذي يحقق الانصاف في التعامل، ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل، وخلقنا الحديد فيه عذاب شديد في الحرب، ومنافع للناس في السلم، يستغلونه في التصنيع، لينتفعوا به في مصالحهم ومعاشهم، وليعلم الله من ينصر دينه، وينصر رسله غائباً عنهم أن الله قادر بذاته، لا يفتقر إلى عون أحد^(١).

٢٦ - ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب الهادية، فبعض هذه الذرية سالكون طريق الهداية، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧ - ثم تابعنا على آثار نوح وإبراهيم ومن سبقهما أو عاصرهما من الرسل برسولنا، رسولا بعد رسول، واتبعنا بإرسال عيسى بن مريم، وأوحينا إليه الإنجيل وأودعنا في قلوب المتبعين له شفقة شديدة ورقة وعطفاً، وابتدعوا زيادة في العبادة وغلوا في التدين رهبانية ما فرضناها عليهم ابتداءً، لكن التزامها ابتغاء رضوان الله تعالى، فحافظوا عليها حق المحافظة، فأعطينا الذين آمنوا بمحمد نصيبهم من الأجر والثواب، وكثير منهم مكذبون بمحمد خارجون عن الطاعة والطريق المستقيم.

(١) الحديد أحد سبعة عناصر عرفها القدماء وهي الذهب والفضة والزئبق والنحاس والرصاص والحديد والقصدير وهو أكثر الفلزات انتشاراً في الطبيعة، فيوجد أساساً في الحالة المركبة هل هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسليكات وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص في الشهب والنيازك الحديدية.

أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكها المتنوعة بمخوص متعددة ومتفاوتة الدرجات في مقاومة الحرارة والشد والصدأ والبلل، وفي مرونة تقبل المغناطيسية وغيرها، ولذلك كان أنسب الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وأدواتها وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة ودعامة للحضارات.

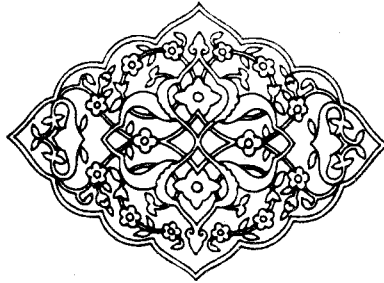
وللحديد منافع جمة للكائنات الحية إذ تدخل مركبات الحديد في عملية تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئي التي ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتوبلازم الحي، وعن طريقه يدخل الحديد جسم الإنسان والحيوان.

ويدخل الحديد في تركيب بروتينات النواة (المادة الكروماتينية) في الخلية الحية كما أنه يوجد في سوائل الجسم مع غيره من العناصر، وهي أحد مكونات الهيموجلوبين (المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء) ويقوم بدورها في عملية الاحتراق الداخلي للأنسجة والتمثيل الحيوي بها. والحديد يوجد كذلك في الكبد والطحال والكلب والعضلات والنخاع الأحمر ويحتاج الجسم إلى كمية من الحديد يجب أن يزود بها من مصادره المختلفة فاذا نقصت تعرض الإنسان لعدة أمراض أهمها فقر الدم.

رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَافُوا عِقَابَ اللَّهِ ، وَاتَّبِعُوا عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ بِرَسُولِهِ يُعْطِيكُمْ نَصِيبًا مِّنْ رَّحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا فَرِطَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ وَاسِعٌ الْمُغْفِرُ وَأَقْرَبُ الرَّحْمَةِ .

٢٩ - يَنْحِكُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ كُلَّ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ أَنْعَامِ اللَّهِ ، يَكْسِبُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ أَوْ يُنْحَوْنَهُ لِغَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَاللَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .



(٥٨) سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ الْمَكِّيَّةِ
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَن نَّسَأُ بِهِمْ مَا لَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

افتتحت بالحديث عن المرأة التي ظاهر منها زوجها، واتبع ذلك ببيان حكم الظهار، ونعى الله في هذه السورة في أكثر من آية على المعادين لدينه، وحذرهم من التناجى بالإثم والعدوان، وأرشد المؤمنين إلى أدب المناجاة بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين الرسول ﷺ، كما نعى على المنافقين موالاتهم للكافرين، ووصفهم بأنهم حزب الشيطان الخاسرون.

وختمت السورة بوصف جامع لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من إيثار رضا الله ورسوله على من عداها، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، ووصفهم بأنهم حزب الله المفلحون.

١ - قد سمع الله قول المرأة التي تراجمك في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وتضرع إلى الله، والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام. إن الله محيط سمعه بكل ما يسمع، محيط بصره بكل ما يبصر^(١).

٢ - الذين يظاهرون منكم أيها المؤمنون من نسائهم بتشبيهن في التحريم بأمهاتهم مخبطون، ما الزوجات أمهاتهم، ما أمهاتهم - حقا - إلا اللاتي ولدنهم، وأن المظاهرين ليقولون منكرا من القول تنفر منه الأذواق السليمة، وكذبا منحرفا عن الحق، وإن الله لعظيم العفو والمغفرة عما سلف منكم.

٣ - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يرجعون لقلوبهم، فيظهر لهم خطوهم، ويودون بقاء الزوجية، فعليه عتق رقبة قبل أن يتامسا، ذلكم الذي أوجبه الله - من عتق الرقبة - عظة لكم توعظون به كيلا تعودوا والله بما تعملون خبير.

(١) روى أن أوس بن الصامت غضب من زوجته خولة بنت ثعلبة فقال لها: أنت على كظهر أمي، وكان هذا تحريما في الجاهلية فأخبرت النبي ﷺ فقال لها: « ما أمرت في شأنك بشيء، وما أراك إلا قد حرمت عليه ». وجادلت النبي ﷺ وراجعته، وجعلت تشتكي إلى الله تعالى مما تخاف من فرقة الزوج وضياع الولد، فابليت أن نزلت هذه الآية والآيات الثلاث التي بعدها.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَمْ يَكُنُوا كَمَا كُنْتُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَحْجِبْكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّجْتُمْ

٤ - فن لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتاسا ، فن لم يستطع ذلك الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا ، شرعنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتعملوا بمقتضى هذا الإيمان ، وتلك حدود الله فلا تتجاوزوها ، وللكافرين عذاب شديد الأليم .

٥ - إن الذين يعادون الله ورسوله خذلوا كما خذل الذين من قبلهم ، وقد أنزلنا دلائل واضحات على الحق ، وللجاحدين بها عذاب شديد الإهانة .

٦ - يوم يحيبهم الله جميعا بعد موتهم ، فيخبرهم بما عملوا ، أحصاه الله عليهم ونسوه ، والله على كل شيء شاهد مطلع .

٧ - ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من مسارة بين ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه ما يتسارون به . ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ، يعلم ما يتناجون به - أيضا كانوا - ثم يخبرهم يوم القيامة بكل ما عملوا ، إن الله بكل شيء تام العلم .

٨ - ألم تر أيها الرسول إلى الذين نهوا عن المسارة فيما بينهم بما يثير الشك في نفوس المؤمنين ، ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه ، ويتسارون فيما بينهم بالذنب يقترفونه ، والعدوان يعترمونهم ، ومعصيتهم لرسول الله ، وإذا جاءوك حيوك بقول محرف لم يحجبك به الله ، ويقولون في أنفسهم : هلا يعذبنا الله بما نقول إن كان رسولا حقا ؟ ، حسبهم جهنم بدخلونها ويحترقون بنارها ، فبئس المال ما لهم (١) .

(١) كان بين المسلمين واليهود بالمدينة مهادة وكانوا إذا مر الرجل من المسلمين بهم يتسارون فيما بينهم حتى يظن أنهم يتآمرون على قتله ، أو على ما يكره فيعدل عن المرور بهم ، فنهاهم النبي - ﷺ - عن ذلك فلم ينتهوا ، وعادوا إلى ما نهوا ، وكانوا إذا جاءوا النبي ﷺ حيوه بالدعاء عليه في صورة التحية له ، فنزلت هذه الآية .

فَلَا تَتَسَنَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
 إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
 أُشْرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ ۗ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنِ اللَّهُ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ ۗ فإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * الرَّاى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُم وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۗ إِنَّهُمْ سَاءَ

٩ - يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالذنب والاعتداء ومخالفة الرسول ، وتناجوا متواصين بالخير والتحرز عن الآثام ، وخافوا الله الذى إليه - لا إلى غيره - تساقون بعد بعثكم .

١٠ - إنما التناجى المثير للشك من تزيين الشيطان ، ليدخل الحزن على قلوب المؤمنين ، وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بمشيئة الله ، وعلى الله وحده - فليعتمد المؤمنون .

١١ - يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم فى المجالس لبعض فأوسعوا ، يوسع الله لكم ، وإذا طلب منكم أن تهضوا من مجالسكم فانهضوا ، يعل الله مكانة المؤمنين المخلصين ، والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير .

١٢ - يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا أردتم مناجاة رسول الله فقدموا قبل مناجاتكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر لقلوبكم ، فإن لم تجدوا ما تنصدقون به فإن الله واسع المغفرة شامل الرحمة .

١٣ - أخشيتم أن تلتزموا تقديم صدقات أمام مناجاتكم رسول الله ؟ فإذا لم تقدموا وعفا الله عنكم ، فحافظوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، والله خير بعلمكم فيجازيكم عليه .

١٤ - ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين والوا قوما غضب الله عليهم ، ما هؤلاء الموالون منكم ولا ممن والوهم ، ويحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ
 أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
 فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
 فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
 أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

- ١٥ - أعد الله لهؤلاء المنافقين عذابا بالغ الشدة ، انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب .
- ١٦ - اتخذوا أيمانهم وقاية لأنفسهم من القتل ، ولأولادهم من السبي ، ولأموالهم من الغنيمة ، فصدوا بذلك عن سبيل الله ، فلهم عذاب شديد الإهانة .
- ١٧ - لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا ، أولئك أهل النار هم فيها مخلدون .
- ١٨ - يوم يبعثهم الله جميعا فيقسمون له انهم كانوا مؤمنين كما يقسمون لكم الآن ، ويطنون انهم يقسمهم هذا على شيء من الدهاء ينفعهم ، إلا انهم هم البالغون الغاية في الكذب .
- ١٩ - استولى عليهم الشيطان فأنساهم تذكر الله واستحضار عظمته ، أولئك حزب الشيطان إلا ان حزب الشيطان هم الذين بلغوا الغاية في الخسران .
- ٢٠ - إن الذين يعاندون الله ورسوله أولئك في عداد الذين بلغوا الغاية في الذلة .
- ٢١ - قضى الله لأنتصرن أنا ورسلي ، إن الله تام القوة لا يغلبه غالب .
- ٢٢ - لا تجد قوما يصدقون بالله واليوم الآخر يتبادلون المودة مع من عادى الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم ، أولئك الذين لا يوالون من حاد الله ، ثبت الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بقوة منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، أحبهم الله وأحبه ، أولئك حزب الله ، إلا ان حزب الله هم الفائزون .

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّجِّ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

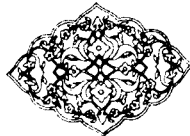
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۚ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له ونزعه عما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض ، وأنه العزيز الذي لا يغلب ، الحكيم في تصرفاته وتشريع ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدثت عنه السورة من عاقبة بنى النضير - وهم من يهود المدينة - وكانوا قد صالحوا النبي ﷺ بعد الهجرة على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما كانت هزيمة المسلمين في يوم أحد نكثوا عهدهم ، وحالفوا قريشا عليه ﷺ ، فحاصروهم في حصونهم التي ظنوا أنها تمنعهم ، فلم تمنعهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، ثم بينت حكم النية : وهو ما كان من الغنائم بلا حرب ولا اسراع بركوب الخيل ونحوها ، فذكرت أنه لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم . ثم تحدثت عن الأنصار وفضلهم ، وإيثارهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة إلى ما آتروهم به ، ولفتت النظر إلى ما كان من وعود المنافقين لبني النضير ، في قولهم لهم : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولئن قوتلتم لننصرنكم ، وفضحت كذبهم وتغيرهم في ذلك .

ثم خلصت السورة إلى تذكير المؤمنين بما ينبغي أن يكونوا عليه من تقوى الله والتزود للمستقبل القريب والبعيد ، ولا يكونوا كالذين أعرضوا عن الله فأنساهم أنفسهم .

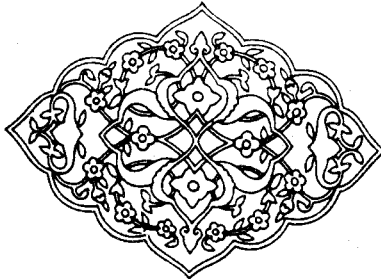
وختمت ببيان شأن القرآن وعظيم تأثيره ، ذلك لأن الذي أنزله هو الله الذي لا إله الا هو له الأسماء الحسنی .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو الغالب الذي لا يعجزه شيء ، الحكيم في تدبيره وأفعاله .



حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١٧﴾
 وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَهمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
 اللَّهِ وَلِبُخْرِي الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۗ وَمَا تَشْكُرُ الرَّسُولُ

- ٢ - هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم يهود بني النضير - من ديارهم عند أول إخراج لهم من جزيرة العرب . ما ظننتم - أيها المسلمون - أن يخرجوا من ديارهم لقوتهم ، وظنوا - هم - أنهم مانعتهم حصونهم من بأس الله ، فأخذهم الله من حيث لم يظنوا أن يؤخذوا من جهته ، وألقى في قلوبهم الفزع الشديد ، يخربون بيوتهم بأيديهم ليتركوها خاوية ، وأيدي المؤمنين ليقضوا على تحصنهم ، فاتعظوا بما نزل بهم يا أصحاب العقول .
- ٣ - ولولا أن كتب الله عليهم الإخراج من ديارهم على هذه الصورة الكريمة لعذبهم في الدنيا بما هو أشد من الإخراج ، ولهم في الآخرة - مع هذا الإخراج - عذاب النار .
- ٤ - ذلك الذي أصابهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة لأنهم عادوا الله ورسوله أشد العداة ومن يعاد الله فلن يفلت من عقابه ، فإن الله شديد العقاب .
- ٥ - ما قطعتم - أيها المسلمون - من نخلة أو تركتموها باقية على ما كانت عليه فبأمر الله ، لا حرج عليكم فيه ، ليعز المؤمنين ، وليبين الفاسقين المنحرفين عن شرائعه .
- ٦ - وما أفاء الله ورده على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعتم في السير إليه بخيل ولا إبل ، ولكن الله يسלט رسله على من يشاء من عباده بلا قتال ، والله على كل شيء تام القدرة .



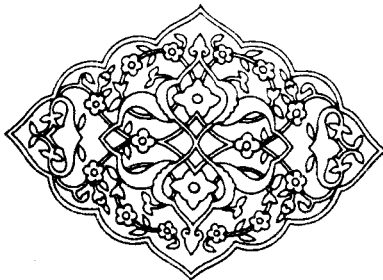
فَخَذُوهُ وَمَا نَهَكَرْ عَنْهُ فَأَتَتْهُوَ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْمَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

٧ - ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى بغير إيجاب خيل أو ركاب فهو لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. كيلا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء منكم خاصة، وما جاءكم به الرسول من الأحكام فتمسكوا به، وما نهاكم عنه فاتركوه، واجعلوا لكم وقاية من غضب الله، إن الله شديد العقاب.

٨ - وكذلك يعطى ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يرجون زيادة من الله في أرزاقهم ورضوانا، وينصرون الله ورسوله بنفوسهم وأموالهم، أولئك هم المؤمنون.

٩ - والأنصار الذين نزلوا المدينة وأقاموا بها، وأخلصوا الإيمان من قبل نزول المهاجرين بها، يحبون من هاجر إليهم من المسلمين، ولا يحسون في نفوسهم شيئا مما أوقى المهاجرون من النوى، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة، ومن يحفظ - بتوفيق الله - من يخجل نفسه الشديد فأولئك هم الفائزون بكل ما يحبون.

١٠ - والمؤمنون الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حكما للذين آمنوا، ربنا إنك بالغ الرأفة والرحمة.



لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِكْرَ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبِرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

١١ - ألم تنظر - متعجباً - إلى المنافقين ، يتكرر منهم القول لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم بنو النضير - : والله إن اجبرتم على الخروج من المدينة لنخرجن معكم ، ولا نطيع في شأنكم أحداً منها طال الزمان ، وإن قاتلكم المسلمون لنصركم ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به :

١٢ - لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليفرون مدبرين ثم لا ينصرون .

١٣ - لأنتم - أيها المسلمون - أشد مهابة في صدور المنافقين واليهود من الله ، ذلك لأنهم قوم لا يعلمون حقيقة الايمان .

١٤ - لا يقاتلكم اليهود مجتمعين إلا في قرى محصنة أو من وراء جدران يستترون بها ، بأسهم بينهم شديد ، تظنهم مجتمعين . متحدين مع أن قلوبهم متفرقة ، اتصافهم بهذه الصفات لانهم قوم لا يعقلون عواقب الأمور .

١٥ - مثل بني النضير كمثل الذين كفروا من قبلهم قريباً ، ذاقوا في الدنيا عاقبة كفرهم ونقضهم العهد ، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

١٦ - مثل المنافقين في اغرائهم بنى النضير - بالتردد على رسول الله - كمثل الشيطان حين أغرى الانسان بترك الايمان ، فقال له : اكفر ، فلما كفر قال : انى برىء منك ، انى أخاف الله رب العالمين .

١٧ - فكان مآل الشيطان ومن اغواه انها في النار خالدين فيها ، وذلك الخلود جزاء المعتدين المتجاوزين سبيل الحق .

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰزِحُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خٰلِشًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ سُبْحٰنَ اللَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

- ١٨ - بأيا الذين آمنوا اجعلوا لكم وقاية من عذاب الله بالتزام طاعته ، ولتدبر كل نفس أى شئ قدمته من العمل لغد ، والتزموا تقوى الله ، ان الله خير بما تعملون ، فيجازيكم عليه .
- ١٩ - ولا تكونوا - أي المؤمنون - كالذين نسوا حقوق الله ، فأنساهم أنفسهم - بما ابتلاهم من البلياء - فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها ، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله .
- ٢٠ - لا يستوى أصحاب النار المعذبون وأصحاب الجنة النعمون ، أصحاب الجنة هم - دون غيرهم - الفازون بكل ما يحبون .
- ٢١ - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل شديد لرأيت هذا الجبل - على قوته - خاضعاً متشققاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نعرضها للناس لعلمهم يتدبرون عواقب أمورهم .
- ٢٢ - هو الله الذى لا معبود بحق إلا هو وحده ، عالم ما غاب وما حضر ، هو الرحمن الرحيم .
- ٢٣ - هو الله الذى لا إله إلا هو ، المالك لكل شئ على الحقيقة ، المطهر عن كل نقص ، المبرأ عما لا يليق ، ذو السلامة من النقائص ، المصدق رسله بما أيدهم به من معجزات ، الرقيب على كل شئ ، الغالب فلا يعجزه شئ ، العظيم الشأن فى القوة والسلطان ، والمتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله ، تنزه الله وتعالى عما يشركون . .
- ٢٤ - هو الله المبدع للأشياء من غير مثال سابق ، الموجد لها بريئة من التفاوت ، المصور لها على هيئاتها كما أراد ، له الأسماء الحسنى ، يزهه عما لا يليق كل ما فى السموات والأرض ، وهو الغالب الذى لا يعجزه شئ ، الحكيم فى تدبيره وتشريعه .

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ هَلَنْبِيَا
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَخَّرْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْقُوقُكُمْ يَكُونُوا

بدأت السورة بنهي المؤمنين عن موالاته المشركين أعداء الله واعدائهم ، لاصرارهم على الكفر ، واخراجهم رسول الله والمؤمنين من ديارهم بمكة ، وأشارت إلى أن عداوة هؤلاء كامنة للمؤمنين ، لا تلبث أن تستعلن حين يلاقونهم ويتمكنون منهم .

ثم انتقلت الى بيان الاسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه في تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله ، معلنين عداوتهم لهم ، حتى يؤمنوا بالله وحده ، موضحة ان ذلك شأن الذين يرجون لقاء الله ويخشون عقابه . ثم بينت من تجوز صلتهم من غير المسلمين ومن لا تجوز ، فأما الذين لا يقاتلوننا في الدين ولا يعينون علينا فإن لنا أن نبرهم ونقسط إليهم ، وأما الذين قاتلونا في الدين ، وظاهروا على اخراجنا من ديارنا ، فأولئك الذين نهى الله عن برهم والصلة بهم .

ثم بينت السورة ، حكم المؤمنات اللاتي هاجرن إلى دار الإسلام ، وتركن أزواجهن مشركين ، وحكم المشركات اللاتي هاجر أزواجهن مسلمين وقد تركوهن بدار الشرك .

واتبعت ذلك ببيان بيعة النساء ، وما بايعن عليه الرسول ﷺ ، ثم ختمت بما بدأت به من النهى عن موالاته الأعداء الذين غضب الله عليهم ، تقريراً للحكم الذي بينته في مفتتحها ، وأكدته في ثناياها .

١ - يأيا الذين صدقوا بالله ورسوله : لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أنصاراً تفضون إليهم بالهبة الخالصة ، مع أنهم جعدوا بما جاءكم من الايمان بالله ورسوله وكتابه ، يخرجون الرسول ويخرجونكم من دياركم ، لإيمانكم بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد في سبيلي وطلب رضائي فلا تتولوا أعدائي ، تلقون إليهم بالمودة سراً ، وأنا أعلم بما أسرتم وما أعلنتم ، ومن يتخذ عدو الله ولياً له فقد أخطأ الطريق المستقيم .

لَكَرُّ أَعْدَاءٍ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكَ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ لَنْ تَنْفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا
أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨﴾ قَدْ كَانَتْ لَكَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١١﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيْنَ اللَّهِ قَدِيرٌ ۗ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكَ أَنْ تَبْرَهُمْ وَتُقْسَطُوا

٢ - إن يلقوكم ويمكنوا منكم تظهر لكم عداوتهم ، ويمدوا اليكم ايديهم وألسنتهم بما يسوءكم ، وتمنوا كفركم مثلهم .

٣ - لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم الذين تتخذونهم أولياء وهم عدو الله ولكم ، يوم القيامة يفصل الله بينكم ، فيجعل أعداءه في النار وأوليائه في الجنة ، والله بكل ما تعملون بصير .

٤ - قد كانت لكم قدوة حسنة تقتدون بها في ابراهيم والذين آمنوا معه ، حين قالوا لقومهم : انا بريئون منكم ومن الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، جحدنا بكم ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ، لا تزول أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، لكن قول ابراهيم لأبيه : لأطلبن لك المغفرة ، وما أملك من الله من شيء ، ليس مما يقتدى به ، لأن ذلك كان قبل أن يعلم أنه مصمم على عداوته لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . قولوا أيها المؤمنون : ربنا عليك اعتمدنا ، واليك رجعنا ، واليك المصير في الآخرة .

٥ - ربنا لا تجعلنا مجال نكون بها فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ذنوبنا يا ربنا ، انك انت العزيز الذي لا يقلب ، ذو الحكمة في تصرفاته .

٦ - لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة في معاداتهم أعداء الله ، هذه القدوة لمن كان يرجو لقاء الله واليوم الآخر ومن يعرض عن هذا الاقتداء فقد ظلم نفسه ، فإن الله هو الغني عما سواه ، المستحق للحمد من كل ما عده .

٧ - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من الكافرين مودة بتوفيقهم للإيمان ، والله تام القدرة ، والله واسع المغفرة لمن تاب ، رحيم بعباده .

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
 وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
 الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَاْتَمَحْنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ
 لَأَهِنَّ حِلٌّ لهنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
 وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا
 وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْعًا

٨ - لا ينهاكم الله عن الكافرين الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم وتمنحوهم صلتم ،
 ان الله يحب أهل البر والتواصل .

٩ - إنما ينهاكم الله عن الذين حاربوكم في الدين ليصدوكم عنه ، وأجبروكم على الخروج من دياركم ،
 وعاونوا على إخراجكم منها أن تتخذوهم أنصاراً ومن يتخذ هؤلاء أنصاراً فأولئك هم الظالمون لأنفسهم .

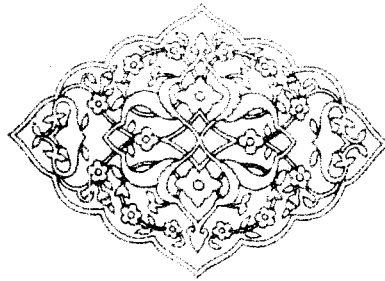
١٠ - يأتيها الذين آمنوا : اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الشرك فاخبروهن لتعلموا صدق ايمانهم ،
 الله أعلم بحقيقة ايمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترودهن إلى أزواجهن الكفار . لا المؤمنات حلال للكافرين ،
 ولا الكافرين حلال للمؤمنات ، وآتوا الأزواج الكافرين ما أنفقوا من الصداق على زوجاتهم المهاجرات اليكم
 ولا حرج عليكم أن تزوجوا هؤلاء المهاجرات اذا آتيتوهن صداقهن ، ولا تمسكوا بعقد زوجية الكافرات
 الباقيات في دار الشرك أو اللاحقات بها . واطلبوا من الكفار ما أنفقتم من صداق على اللاحقات بدار الشرك
 وليطلبوا - هم - ما أنفقوا على زوجاتهم المهاجرات ، ذلكم التشريع حكم الله ، يفصل به بينكم ، والله عليم بمصالح
 عباده ، حكيم في تشريعه .

١١ - وان أفلت منكم بعض زوجاتكم إلى الكفار ، ثم حاربتموهن ، فاتوا الذين ذهب زوجاتهم مثل
 ما أنفقوا عليهن من صداق ، وأتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون .

وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْنَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْئِسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

١٢ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يِعَاهِدُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا يَسْرِقْنَ، وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وَلَا يَلْحَقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ بِهْتَانًا وَكُذْبًا يَخْتَلِقْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ، وَلَا يَخَالِفْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ تَدْعُوهُنَّ إِلَيْهِ، فِعَاهِدْنَ عَلَى ذَلِكَ، وَاطْلُبْ لهنَّ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

١٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ ثَوَابٍ وَحِسَابٍ كَمَا يَبْئِسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْيَاءِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.



(١١) سُورَةُ الصَّفِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَنْبِئْهَا أَنْ جِئْتَ بِعَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بُنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا أَنْ يَضَعُوا أَسْمَاءَهُمْ فَمَا تَزْعُمُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا أَنْ يَضَعُوا أَسْمَاءَهُمْ فَمَا تَزْعُمُونَ ﴿٧﴾

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأنه سبح لله ما في السموات وما في الأرض ، وأنه لا يليق بالمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، وان الله يحب أن يكونوا بدأ واحدة ، ثم وصفت بني اسرائيل بالعناد والكفر على لسان وسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وبأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، وفيها وعد الله - ووعده الحق - أن يظهر هذا الدين على ما سواه ولو كره المشركون . وختمت بالحث على الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وبوعد المجاهدين بالمغفرة والجنة ، وأخرى يجهها المؤمنون : نصر من الله وفتح قريب ، ويحث المؤمنين أن يكونوا انصار الله كما كان الحواريون مع عيسى ابن مريم ، وبأن الله يؤيد المؤمنين بنصره وهو الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

٢ - يا أيها الذين آمنوا : لأى غرض تقولون بألسنتكم ما لا تصدقه أفعالكم ؟ .

٣ - كره الله كرها شديداً أن تقولوا ما لا تفعلون .

٤ - ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيل اعلاء كلمته متأسكين ، كأنهم بنيان محكم .

٥ - واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه : يا قومي ، لم تؤذوننى وأنتم تعلمون أنى رسول الله اليكم ؟ . فلما أصروا على الانحراف عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبول الهداية ، والله لا يهدى القوم الخارجين عن طاعته .

إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِعُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَىٰ بَحْرٍ مَجْرُبٍ تُغْتَابُ مِنْهُ خِيفَةٌ لَكُمْ أَنْ تَبِيعُوا بَأْسَ اللَّهِ وَأَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ

٦ - واذكر حين قال عيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم، مصدقاً لما تقدمني من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم الرسول المبشر به بالآيات الواضحات قالوا: هذا الذي جئنا به سحر بين.

٧ - ومن أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام دين الحق والخير، والله لا يهدى القوم المصيرين على الظلم.

٨ - يفتري بنو إسرائيل الكذب على الله، لكي يطفئوا نور دينه بأفواههم، كمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخة من فيه، والله مكمل نوره باتمام دينه ولو كره الجاحدون.

٩ - الله الذي أرسل رسوله محمداً بالقرآن هدى للناس وبالإسلام دين الحق، ليعليه على كل الأديان ولو كره المشركون.

١٠ - يأيها الذين آمنوا: هل أرشدكم الى تجارة عظيمة تنجيكم من عذاب شديد الألم؟

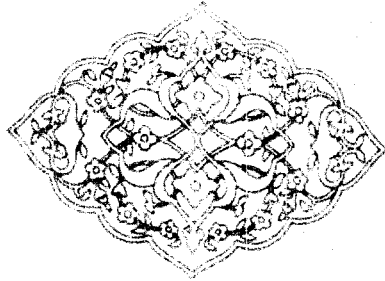
١١ - هذه التجارة هي أن تثبتوا على الايمان بالله ورسوله، وتجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم. ذلك الذي أرشدكم اليه خير لكم ان كنتم تعلمون.

١٢ - ان تؤمنوا وتجاهدوا في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري تحتها الأنهار، ومسكن طيبة في جنات عدن، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم.

وَفَتَحَ قَرِيبٌ وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
 أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

١٣ - ونعمة أخرى لكم أيها المؤمنون الجاهدون تحبونها ، هي نصر من الله وفتح قريب تغنمون خيره ، وبشر
 المؤمنين - يا محمد - بهذا الجزاء .

١٤ - يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله إذا دعاكم رسول الله أن تكونوا أنصاره ، كما كان أصفياء عيسى
 أنصاراً لله حين قال : من أنصاري إلى الله ؟ فأمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة ، فقوينا الذين
 آمنوا به على عدوهم الذين كفروا ، فأصبحوا بتقويتنا منتصرين غالبين .



(٦٦) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَانِيَّةٌ
وَأَيُّهَا اخذوا عَشِكَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبِغُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

افتتحت هذه السورة باخباره تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، وقد امتن - جل شأنه - على العرب الأميين أنه بعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وان هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد نعى الله تعالى على اليهود تركهم العمل بالتوراة مع علمهم بما فيها ، وأنكر عليهم دعواهم انهم أولياء الله من دون الناس ، وتحذاهم أن يتمنوا الموت ان كانوا صادقين . وختمت السورة بأمر المؤمنين أن يبادروا الى صلاة الجمعة إذا سمعوا النداء ، وأن يذروا البيع ، وإذا قضيت الصلاة ينتشرون في الأرض ويبتغون من فضل الله ، وأنكر عليهم أن يشغلهم عن سماع خطبتها شاغل من تجارة أو هو ، وتكفل لهم بالرزق ، والله خير الرازقين .

١ - يسبح لله وينزهه عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، المالك لكل شيء المتصرف فيه بلا منازع ، المزهة تنزيهاً كاملاً عن كل نقص ، الغالب على كل شيء ، ذى الحكمة البالغة .

٢ - الله هو الذى أرسل في العرب الذين لا يعرفون الكتابة رسولا منهم ، يقرأ عليهم آياته ويطهرهم من خبائث العقائد والأخلاق ، ويعلمهم القرآن والتفقه في الدين ، وإنهم كانوا قبل بعثته لفي انحراف عن الحق شديد الوضوح .

٣ - وبعثه في آخرين منهم ، لم يجيئوا بعد وسيجيئون ، وهو - وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة في كل افعاله .

٤ - ذلك البعث فضل من الله يكرم به من يختار من عباده ، والله - وحده - صاحب الفضل العظيم .

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴿١١﴾ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

٥ - مثل اليهود الذين علموا التوراة، وكلفوا العمل بها، ثم لم يعملوا، كمثل الحمار يحمل كنباً لا يعرف ما فيها، ساء مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق الى الهدى القوم الذين شأنهم الظلم.

٦ - قل - يا محمد - : يا أيها الذين صاروا يهوداً، ان ادعيتم باطلاً انكم اُحباء الله من دون الناس جميعاً، فتمنوا من الله الموت، ان كنتم صادقين في دعوى حب الله لكم.

٧ - قال الله : ولا يتمنى الموت يهودى أبداً بسبب ما قدموه من الكفر وسوء الفعال، والله محيط علمه بالظالمين.

٨ - قل : ان الموت الذي تهربون منه لا مهرب منه، فانه ملائكم، ثم تردون الى عالم السر والعلانية، فيخبركم بما كنتم تعملون.

٩ - يا أيها الذين آمنوا اذا اذن للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله، حريصين عليه، واتركوا البيع، ذلكم الذي أمرتم به أنفع لكم ان كنتم تعلمون.

١٠ - فإذا أدبتم الصلاة فتنفروا في الأرض لمصالحكم، واطلبوا من فضل الله، واذكروا الله بقلوبكم والسنتكم كثيراً، لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

١١ - وإذا ابصروا متاعاً للتجارة أو لهواً تفرقوا اليها وتركوك قائماً تخطب، قل لهم : ما عند الله من الفضل والثواب انفع لكم من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين، فاطلبوا رزقه بطاعته.

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا اخذوا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَسْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا

اشتملت هذه السورة على طائفة من أوصاف المنافقين ، فذكرت انهم يعلنون ايمانهم بالستهم غير صادقين ،
وبينت أنهم يجعلون أيمانهم الكاذبة ، وقاية لهم من وصف الكفر الذي هم عليه ومجازاتهم به ، كما بينت أنهم ذوو
اجسام حسنة تعجب من رآها ، وأصحاب فصاحة يستمع اليها ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الايمان كأنهم خشب
مسندة لا حياة فيهم .

وعرضت لهم حين يدعون ليستغفر لهم رسول الله مبينة أنهم يستكبرون ، ويظهرون اعراضهم عن الاستجابة
متعالين .

ثم انتقلت إلى ما زعمه المنافقون من أنهم أعزة وأن المؤمنين أذلة ، وما تواعدوا به المؤمنين من إخراجهم بعد
رجوعهم إلى المدينة ، مبينة أى الفريقين هو الأعز .

ووجهت في ختامها الخطاب للمؤمنين لينفقوا في سبيل الله ، مبادرين إلى ذلك قبل أن يأتي أحدهم الموت ،
فيندم ويتمنى أن لو تأخر أجله ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها .

١ - اذا جاءك المنافقون - يا محمد - قالوا بالستهم : تشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون في دعواهم الايمان بك لعدم تصديقهم بقلوبهم .

٢ - جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من المواجهة ، فنوعوا أنفسهم عن طريق الله المستقيم ، انهم قبح ما كانوا
يعملون من النفاق والأيمان الكاذبة .

٣ - ذلك الذى دأبوا عليه من الظهور بغير حقيقته والهلث بالأيمان الكاذبة ، بسبب أنهم آمنوا بالستهم ، ثم
كفروا بقلوبهم ، فحتم على قلوبهم بهذا الكفر ، فهم لا يفهمون ما ينجيهم من عذاب الله .

تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ
 يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُونَ ۖ وَهُمْ
 مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۗ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ
 وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهَكُوا مَالَكُمُ
 وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

٤ - وإذا أبصرتهم تعجبك أجسامهم لوجاهتهم ، وإن يتحدثوا تسمع لقولهم لحلاوته ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الإيمان كأنهم خشب مسندة لا حياة فيهم ، يحسبون كل نازلة عليهم لشعورهم بحقيقة حالهم ، هم العدو فاحذروهم ، طردهم الله من رحمته ، كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من النفاق !

٥ - وإذا قيل لهم : اقبلوا يستغفر لكم رسول الله ، حركوا رءوسهم استهزاء ، ورأيتهم يعضون وهم مستكبرون عن الامتثال !

٦ - سواء على هؤلاء المنافقين استغفاركم لهم أو عدم استغفاركم ، لأنهم لن يرجعوا عن نفاقهم ، فلن يغفر الله لهم ، لن الله لا يهدي إلى الحق الخارجين على أمره والإيمان به .

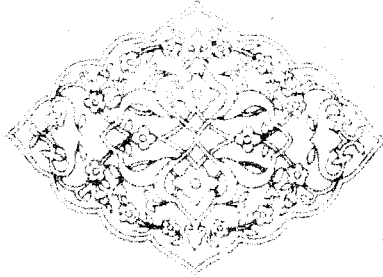
٧ - هم الذين يقولون لأهل المدينة : لا تنفقوا على من عند رسول الله من المؤمنين حتى يتفرقوا عنه ، والله خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق ، يعطيها من يشاء ، ولكن المنافقين لا يفهمون ذلك .

٨ - يقول المنافقون متوعدين : والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنا فريقنا الأعز منها فريق المؤمنين الأذل ، والله العزة ولسوله وللمؤمنين لا لهؤلاء المتوعدين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

٩ - يأبى الذين صدقوا بالله ورسوله ، لا تشغلكم العناية بأموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وأداء ما فرضه عليكم ، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك فأولئك هم الخاسرون يوم القيامة .

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَنْزَلْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

- ١٠ - وانفقوا - أيها المؤمنون - من الأموال التي رزقناكم ، مبادرين بذلك من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول نادماً : رب هلا أمهلتني إلى وقت قصير ، فأصدق وأكن من الصالحين في عمل الصالحات .
- ١١ - ولن يهمل الله نفساً إذا حان وقت موتها ، والله تام العلم بما تعملون ، فيجازيكم عليه .



سورة التغابن مائة وستة وآياتها ثمانون وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَكَرَ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأن كل ما في السموات وما في الأرض ينزه الله عما لا يليق بجلاله ، وبأن له الملك وله الحمد ، وأنه على كل شيء قدير ، ثم اتبع ذلك بذكر بعض الدلائل على تمام قدرته وعلمه ، ثم لفت الأنظار الى الذين كفروا من قبل هؤلاء ، وعصوا رسلهم ، وأنهم ذاقوا وبال أمرهم ، وذلك لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فكفروا بهم وأعرضوا عنهم ، وانتقلت السورة بعد ذلك الى ابطال زعم الكافرين أنهم لن يبعثوا ، وطلبت من الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل عليه ، وحذرتهم يوم الجمع يوم يظهر غيب الناس ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الفوز العظيم ، والذين كفروا هم أصحاب النار وبئس المصير ، وان المصائب باذن الله ، وأن من يؤمن بالله يهد قلبه .

وطلبت من الناس أن يطيعوا الله ورسوله فان عرضوا فان الرسول ليس عليه الا البلاغ واخبرت المؤمنين ان أموالهم وأولادهم فتنة ، فلا تصرفهم العناية بهم عما أمروا به ثم أمرتهم أن يتقوا الله ما استطاعوا . وختمت السورة بحضيم على الانفاق في سبيل الخير ، وأن الله شكور حلیم عالم الغيب والشهادة فيجازيهم على أموالهم ، وأنه عزيز لا يقلب ، حكيم لا يبعث .

١ - ينزه الله عما لا يليق بجلاله كل ما في السموات وما في الأرض ، له الملك التام وحده وله الثناء الجميل ، وهو على كل شيء تام القدرة .

٢ - هو الذي تفرد بخلقكم من عدم ، فنكم منكر لألوهيته ، ومنكم مصدق بها ، والله بما تعملون بصير فيجازيكم على أعمالكم .

٣ - خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة ، وصوركم فأحسن صوركم ، حيث جعلكم في أحسن تقويم واليه المرجع يوم القيامة .

عَلِمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ① أَلَّا يَتَكَّرُ نَبِيُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ②
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلُ مَا بَشَرْنَا فَنَكْفُرُوا أَتَى اللَّهُ عَهْدَ اللَّهِ غَنِيٌّ
 حَمِيدٌ ③ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ
 يَسِيرٌ ④ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑤ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
 ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

٤ - يعلم كل ما في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلنون من أقوال وأفعال، والله تام العلم بمضرات الصدور.

٥ - قد أتاكم خبر الذين كفروا من قبلكم، فتجرعوا سوء عاقبة أمرهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم.

٦ - ذلك الذي أصابهم ويصيبهم من العذاب لأنه بسبب أنهم اتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة، فقالوا منكبين: أبشر مثلنا يرشدوننا، فأنكروا بعتهم، وانصرفوا عن الحق، وأظهر الله غناه عن إيمانهم باهلاكهم، والله تام الفنى عن خلقه، مستحق للثناء والحمد على جميل نعمه.

٧ - ادعى الذين كفروا - باطلاً - أنهم لن يبعثوا بعد الموت، قل لهم - يا محمد - ليس الأمر كما زعمتم. أقسم بربي لتبعثن بعد الموت ولتخبرن بما عملتم في الدنيا ثم تجازون عليه، وذلك البعث والحساب والجزاء على الله سهل يسير.

٨ - فصدقوا بالله ورسوله، واهتدوا بالنور الذي أنزلناه اذ وضح لكم أن البعث آت لا ريب فيه، والله بما يصدر منكم من عمل تام العلم.

٩ - يوم يجمعكم في يوم الجمع للاولين والآخرين، يجازيكم على أعمالكم، ذلك يوم التغابن الذي يظهر فيه غيب الكافرين لانصرافهم عن الإيمان، وغيب المؤمنين المقصرين لتهاونهم في تحصيل الطاعات، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يذهب عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم.

النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

١٠ - والذين جحدوا بالايان وكذبوا بمعجزاتنا التي ابدنا بها رسلنا ، اولئك اصحاب النار ماكنين فيها ، وساء المصير الذي صاروا اليه .

١١ - ما اصاب العبد من بلاء الا بتقدير الله ، ومن يصدق بالله يهد قلبه الى الرضا بما كان ، والله بكل شيء تام العلم .

١٢ - اطيعوا الله فيما كلفكم به ، واطيعوا الرسول فيما بلغ عن ربه ، فإن اعرضتم عن هذه الطاعة فلن يضره اعراضكم ، فإنما على رسولنا ابلاغكم الرسالة بلاغا بينا .

١٣ - الله لا معبود بحق إلا هو وعلى الله - وحده - فليعتمد المؤمنون في كل أمورهم .

١٤ - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بما يصفونكم عن طاعة الله لتحقيق رغباتهم ، فكونوا منهم على حذر ، وان تتجاوزوا عن سيئاتهم التي تقبل العفو وتعرضوا عنها وتستروها عليهم يغفر الله لكم ، فإن الله واسع المغفرة والرحمة .

١٥ - إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء وامتحان ، والله عنده أجر عظيم لمن يؤثر طاعة الله .

١٦ - فابدلوا في تقوى الله جهدكم وطاقتكم ، واسمعوا مواعظه واطيعوا أوامره ، وأنفقوا بما رزقكم فيما أمر بالانفاق فيه ، وافعلوا خيرا لأنفسكم ، ومن يكفه الله بحل نفسه وحرصها على المال فأولئك هم الفاسقون بكل خير .

١٧ - ان تنفقوا في وجوه البر انفاقا مخلصين فيه يضاعف الله ثواب ما أنفقتم ، ويغفر لكم ما فرط من ذنوبكم ، والله عظيم الشكر والمكافأة للمحسنين ، حلیم فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه .

١٨ - هو عالم كل ما غاب وما حضر ، القوى القاهر ، الحكيم في تدبير خلقه الذي يضع كل شيء موضعه .

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَقْدَرًا ﴿١﴾ وَاللَّيْئِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ آرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
 وَاللَّيْئِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٢﴾
 ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ ۚ وَالْيَكْرُ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٣﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
 سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمُتْرَعٌ لَهُ ۚ آخَرَىٰ ﴿٤﴾ لِيُنْفِقَ
 ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنْتَاهَا سَيَجْعَلُ
 اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۚ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُكْرًا ﴿٦﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٧﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

٣ - ويبيء له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله ، ومن يفوض إلى الله كل أمره فهو كافيه ، إن الله بالغ مراده ، منفذ مشيئته ، قد جعل الله لكل شيء وقتا لا يعدوه ، وتقديرا لا يجاوزه .

٤ - والمعتدات من المطلقات اللاتي يسسن من الحيض لكبرهن ، إن لم تعلموا كيف يعتدن ، فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللاتي لم يحضن عدتهن كذلك وصواحب الحمل عدتهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله فينفذ أحكامه يسر الله له أموره .

٥ - ذلك التشريع أمر الله - لا غير - أنزله إليكم ، ومن يتق الله بالمحافظة على أحكامه يمح عنه خطاياها ، ويعظم له جزاء .

٦ - أسكنوا المعتدات بعض أماكن سكناكم ، على قدر طاقتكم ، ولا تلحقوا بهن ضرا ، لتضيقوا عليهن في السكنى ، وإن كن ذوات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعت المطلقات لكم أولادكم ، فوفوهن أجورهن ، وليأمر بعضكم بعضا بما تعرف عليه من سماحة وعدم تعنت ، وإن أوقع بعضكم بعضا في العسر بالشح والتعنت ، فسيرضع للأب مرضعة أخرى ، غير الأم المطلقة .

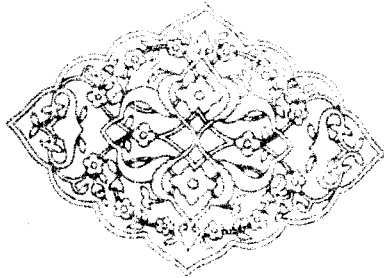
٧ - لينفق صاحب بسطة في الرزق مما بسطه الله له ، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاه ، سيجعل الله بعد ضيق فرجا .

٨ ، ٩ - وكثير من القرى التي تجبر أهلها وأعرضوا عن أمر ربه ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا ، بتقصي كل ما فعلوه ومناقشتهم ، وعذبناها عذابا منكرًا فظيما ، ففجرعوا سوء مآل أمرهم ، وكان عاقبة أمرهم خسارنا شديدا .

الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ
 مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

١٠ ، ١١ - هيا الله لأهل القرى المتجبرين عذابا بالغ الشدة ، فاحذروا غضب الله يا أصحاب العقول
 الراجعة ، الذين اتصفوا بالإيمان ، قد أنزل الله إليكم ذا شرف ومكانة رسولا يقرأ عليكم آيات الله مبيّنات لكم
 الحق من الباطل ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية ، ومن يصدق بالله
 ويعمل عملا صالحا يدخله جنات تجري من خلالها الأنهار ، مخلدين فيها أبدا ، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقا
 طيبا .

١٢ - الله - وحده - الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يجرى أمره بينهن ، لتعلموا أن الله على كل
 شيء تام القدرة ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما .



(٣) سُورَةُ الْغُحُورِ وَآيَاتُهَا وَأَنْبِيَآئُهَا أَشْنَاءُ عَشْرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ
مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَحُ

أشارت السورة إلى أمر أغضب النبي ﷺ من بعض زوجاته . فامتنع عن بعض ما ترغب فيه النفوس بما أحله الله له ، وحذرت زوجاته مغبة ما أقدمن عليه ، ثم انتقلت السورة إلى أمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهلهم ناراً وقودها الناس والحجارة ، وبينت أنه لا يقبل من الكافرين اعتذار يوم القيامة . ودعت المؤمنين إلى التوبة النصوح ، والرسول ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، وختمت بضرب الأمثلة لبيان : أن صلاح الأزواج لا يرد عذاب الله عن زوجاتهم إن كن منحرفات وإن فساد الأزواج لا يضر الزوجات إن كن صالحات مستقيبات ، فكل نفس بما كسبت رهينة .

- ١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟! تريد ارضاء زوجاتك . والله بالغ المغفرة واسع الرحمة .
- ٢ - قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم بالتكفير عنها ، والله سيديكم ومتولى أموركم ، وهو التام العلم فيشرع لكم ما فيه خيركم ، الحكيم فيما يشرعه لكم .
- ٣ - واذكر حين أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ، فلما أخبرته به ، وأطلع الله نبيه على إفشائه ، أعلم بها بعضاً ، وأعرض - تكرم - عن بعض ، فلما أعلمها به ، قالت : من أعلمك هذا ؟ قال : أنبأني العليم بكل شيء الذي لا تخفى عليه خافية .

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ - إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ - أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسَلَتْ
 مُؤْمِنَاتٍ قَلْبًا تَلْبَسْنَ عِدَاتٍ سَخِيحَاتٍ ثَبِيبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
 نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ فِي سُبُلِ الْبَاطِلِ مِنَ الْأُمُورِ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾

٤ - ان ترجعا إلى الله نادمتين فقد فعلتا ما يوجب التوبة ، لأنه قد مالت قلوبكما عما يحبه رسول الله من حفظ سره ، وإن تتعاوننا عليه بما يسوءه فإن الله هو ناصره وجبريل والمتصفون بالصلاح من المؤمنين والملائكة بعد نصرة الله مظاهرون له ومعينون .

٥ - عسى ربه ان طلقن - أيتها الزوجات - أن يزوجه بدلا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة ، مصدقات بقلوبهن ، خاشعات لله ، رجاعات إلى الله ، متعبدات متذللات له ، ذاهبات في طاعة الله كل مذهب ، ثيبات وأبكارا .

٦ - يا أيها الذين آمنوا : احفظوا أنفسكم وأهليكم من نار وقودها الناس والحجارة ، يقوم على أمرها وتعذيب أهلها ملائكة قساة في معاملتهم أقوياء ، يتقبلون أوامر الله ، وينفذون ما يؤمرون به ، غير متوانين .

٧ - يقال للكافرين يوم القيامة : لا تلتمسوا المعاذير اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا .

٨ - يا أيها الذين آمنوا : ارجعوا إلى الله من ذنوبكم رجعة بالغة في الإخلاص ، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، يوم يرفع الله شأن النبي والذين آمنوا معه ، نور هؤلاء يسير أمامهم وهو بأيمانهم ، يقولون - تقربا إلى الله - : يا سيدنا ومالك أمرنا ، أقم لنا نورنا ، حتى نهتدي إلى الجنة ، وتجاوز عن ذنوبنا إنك على كل شيء تام القدرة .

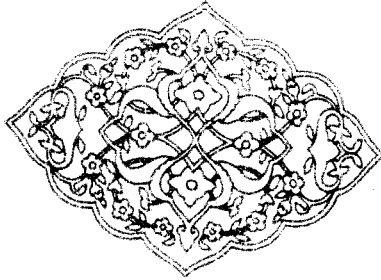
٩ - يا أيها النبي : جاهد الكفار الذين أعلنوا كفرهم والمنافقين الذين أبطنوه بما تملكه من قوة وحجة . واشتد على الفريقين في جهادك ، ومستقرهم جهنم ، وبئس المآل ما لهم .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَأَاتِ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرُ اللَّهِ عَالِمًا ﴿١٢﴾

١٠ - ذكر الله حالة عجيبة تعرف بها أحوال مماثلة للذين كفروا ، هي امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عصمة عبيد من خالص عبادنا صالحين ، فخانتاهما بالتآمر عليهما وافشساء سرهما إلى قومهما ، فلم يدفع هذان العبدان الصالحان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا ، وقيل للزوجتين عند هلاكهما : ادخلا النار مع الداخلين .

١١ - وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك قريبا من رحمتك بيتا في الجنة ، وأنقذني من سلطان فرعون وعمله ، المسرف في الظلم ، وأنقذني من القوم المعتدين .

١٢ - وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران ، التي حفظت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، فحملت بيسى ، وصدقت بكلمات الله ، وهي أوامره ونواهيه وكتبه الميزة على رسله ، وكانت من عداد المواطنين على طاعة الله .



(٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

السورة مساة بسورة الملك أخذاً من كلمة الملك التي وقعت في أول آية منها ، وأهم مقاصد هذه السورة الكريمة ، أنها توجه الافكار وتلفت الأنظار إلى آثار قدرة الله الباهرة في الأنفس والآفاق ، علوها وسفلها ، ليكون ذلك سبيلا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبيان حال الكافرين الذين يلقون في جهنم ، فيسمعون شهيقها ، ويصلون نارها ، ويعترفون بذنبيهم ، ويتحسرون على مصيرهم ، حين تبتكهم الملائكة بعدم استجابتهم للرسول فيما دعاهم إليه وأنذرهم به .

وأما من خافوا ربه ، وأمنوا به ، فلهم مغفرة وعفو عما فرطوا ، وأجر كبير بما قدموا وبذلوا .

- ١ - تعالى وازدادت بركات من يملك وحده التصرف في جميع المخلوقات ، وهو على كل شيء تام القدرة .
- ٢ - الذي خلق الموت والحياة لغاية أرادها ، هي أن يختبركم أيكم أصح عملا وأخلص نية ، وهو الغالب الذي لا يعجزه شيء ، العفو عن المقصرين .
- ٣ - الذي أبدع سبع سموات متوافقة على سنة واحدة من الإتقان ، ما ترى في صنع الله - الذي عمت رحمته خلقه - أي تفاوت . فأعد بصرك ، هل تجد أي خلل؟! .
- ٤ - ثم أعد البصر مرة بعد مرة يرجع إليك البصر مردودا عن إصابة ما التمس من عيب ، وهو متعب كليل .

الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ^٥ وَأَعَدَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ^٦ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ^٨ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ مَنْزِلَهَا الرَّبَّ يَتَكْرَنَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ

٥ - ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بكواكب مضيئة ، وجعلناها مصادر شهب يرجم بها الشياطين ، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة (١).

٦ - وللذين لم يؤمنوا برهم عذاب جهنم ، وساءت عاقبة لهم هذه العاقبة .

٧ ، ٨ - إذا طرحوا فيها سمعوا لها صوتا منكرا ، وهي تغل غليانا شديدا ، تكاد تنقطع وتتفرق من شدة الغضب عليهم ، كلما ألقى فيها جماعة منهم سألهم الموكلون بها موبخين لهم : ألم يأتيكم رسول يحذركم لقاء يومكم هذا ؟ !

٩ - قالوا مجيبين : قد جاءنا نذير فكذبناه ، وقلنا : ما نزل الله من شيء عليك ولا على غيرك من الرسل ما أنتم - أي المدعون للرسالة - إلا في انحراف بعيد عن الحق .

١٠ - وقالوا : لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق أو نفكر فيما ندعى إليه ، ما كنا في عداد أصحاب السعير .

١١ - فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم ، فبعدا لأصحاب السعير عن رحمة الله .

١٢ - إن الذين يخافون ربهم ، وهم لا يرونه ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وثواب عظيم على حسناتهم .

(١) السماء كل ما علانا فأظننا ، وقال ابن سيده ، هي خضم الفضاء بما فيه من الأجرام والشهب . والصورة التي يراها سكان الأرض في الليالي الصافية هي القبة الزرقاء تزينها النجوم والكواكب وكأنها مصابيح كما ترى الشهب تهوى محترقة في أعالي جو الأرض . وما القبة الزرقاء إلا نتيجة لتلاق ضوء الشمس والنجوم مع دقائق الغبار العالقة في الهواء وجزيئات الهواء نفسه وتشتته بها . هذا فضلا عن الظواهر الضوئية الخاصة التي تزين السماء الدنيا مثل الشفق والفجر والأضواء البروجية وأضواء الشهب أو الفجر القطبي وكلها ظواهر متباينة ترجع إلى تفاعل الضوء مع غلاف الأرض الجوي وبجائها المنعطف .

أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَحْسِفَ بِكُمُ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۗ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا

- ١٣ - وأخفوا قولكم أو أعلنوه، فهذا عند الله سواء، لأنه عظيم الإحاطة، عليم بخفايا الصدور.
- ١٤ - أليس يعلم الخالق لجميع الأشياء خلقه، وهو العالم بدقائق الأشياء وحقاتها؟!
- ١٥ - هو الذي جعل لكم الأرض طيبة مسيرة، فامشوا في جوانبها، وكلوا من رزقه الذي يخرجكم منها، وإليه وحده البعث للجزاء.
- ١٦ - أأمنتم من في السماء سلطانه، أن يقطع بكم الأرض، فيفاجتكم أنها تضرب اضطرابا شديدا؟!
- ١٧ - بل أأمنتم من في السماء سلطانه، أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحصباء؟! فستعلمون حينئذ هول وعيدي لكم.
- ١٨ - ولقد كذب الذين من قبل قومك رسلهم، فعلى أي حال من الشدة كان إنكارى عليهم يهلكهم وأخذهم؟!
- ١٩ - أعموا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، بأسطاط أجنحتهن، ويقبضن حيننا بعد حين ما يسكنهن أن يقعن إلا الرحمن؟! إنه بكل شيء عليم خبير، يعطيه ما يصلح عليه أمره (١).

(١) الصف هو أن يبسط الطائر جناحيه دون أن يحركها. وفي طيران الطيور آيات معجزات لم تفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة (الليناميكا) الهوائية، ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يمضي الطائر في الجو بجناحين ساكنين حتى يغيب عن الأبصار. وقد كشف العلم أن الطيور الصافرة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ إما من اصطدام الهواء بعائق ما أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن، فإذا ما كانت الريح هبّة ظلت الأعمدة قائمة وصفت الطيور في أشكال حلزونية، أما إذا اشتدت انقلبت الأعمدة أفقيا فتصنف الطيور في خطوط مستقيمة بعيدة المدى.

وتحلى الطيور عامة بمجسات منها خفة الوزن ومثانة البناء وعلو كفاءة القلب ودورة الدم وجهاز التنفس ودقة اتزانها وانسياب أجسامها وهي خصائص أودعها فيها العليم البصير لتحفظها في الهواء حين تبسط جناحيها أو تقبضها، إلا أن الطيور الصالفة تتميز على سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدرها مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها حتى تستطيع بسطها فترات طوال من جهد كبير.

أما الطيور صغار الأحجام، التي تعتمد في طيرانها على الدفيع، فإنها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرفع اللازمين لطيرانها ثم تقبض أجنحتها ولكنها تظل طائرة بقوة اندفاعها المكثبة.

وهكذا يتضافر البناء التشريحي والتكوين الهندسي للطيور بكافة أنواعها على طيرانها وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها في أثناء الطيران.

فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُنُو وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَنْ يَمِشِي مُجْبَأً عَلَى وَجْهِهِ
 أَهْدَى أَمَّنْ يَمِشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
 قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مَنْ
 عَذَابُ الْإِلِيمِ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

- ٢٠ - بل من هذا الذي هو قوة لكم يدفع عنكم العذاب سوى الرحمن؟! ما الكافرون إلا في غرور بما يتوهمون.
- ٢١ - بل من هذا الذي يرزقكم - بما تكون به حياتكم وسعادتكم - إن حبس الله رزقه عنكم؟! بل تهادى الكافرون في استكبارهم وشرودهم عن الحق.
- ٢٢ - أتعكس الحال، فمن يمشى متعثرًا ساقطًا على وجهه أهدى في سيره وقصده، أم من يمشى مستوي القامة على طريق لا اعوجاج فيه؟!
- ٢٣ - قل: هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة التي هي أسباب عملكم وسعادتكم، قليلا ما تؤدون شكر هذه النعم لواهبها.
- ٢٤ - قل: هو الذي بنىكم في الأرض، وإليه وحده تجمعون لحسابكم وجزائتكم.
- ٢٥ - ويقول المنكرون للبعث: متى يتحقق هذا الوعد بالنشور؟! نبئونا بزمانه إن كنتم صادقين؟!
- ٢٦ - قل يا محمد: هذا علم اختص الله به، وإنما أنا نذير بين الإنذار.
- ٢٧ - فلما عاينوا الموعود به قريبا منهم، علت وجوه الكافرين الكآبة والذلة، وقيل توبيخا وإيلاما لهم: هذا الذي كنتم تطالبون تعجيله.
- ٢٨ - قل: أخبروني إن أمانتي الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمنا فأخر آجالنا وعافانا من عذابه، فقد أنجانا في الحالين، فمن يمنع الكافرين من عذاب أليم استحقوه بكفرهم وغرورهم بأهتهم؟!
- ٢٩ - هو الرحمن صدقنا به ولم تصدقوا وعليه - وحده - اعتمدنا، واعتمدتم على غيره، فستعلمون إذا نزل العذاب أي الفريقين هو في انحراف بعيد عن الحق.
- ٣٠ - قل: أخبروني إن أصبح ماؤكم ذاهبا في الأرض لا تصلون إليه بأى سبب، فن غير الله بآتيكم بماء طاهر متدفق يصل إليه كل من أراده؟!

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ الْكَبِيرِ وَأَيُّهَا تَهَاتُ نَنَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ وَبُصِّرْهُ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ

تضمنت هذه السورة الكريمة الدفاع عن رسول الله ﷺ ، وبعث همته وتقوية عزيمته ، ليبقى مستمسكا بالحق من غير ملأينة فيه لأحد ، وتشبيه ما وقع لأهل مكة من العذاب ، بما وقع لأصحاب الجنة الذين جاءت قصتهم فيها ، وتبشير المؤمنين بما لهم عند ربهم ، وعدم التسوية بينهم وبين الكافرين ، والإنكار على المكذبين فيما يدعونه لأنفسهم بغير حق ، وتخويفهم بوصف حالهم في الآخرة ، وتهديدهم ، والنصح لرسول الله - ﷺ ، بالصبر والاحتمال ، وقد ختمت السورة بتمجيد القرآن الكريم .

- ١ - ن : حرف من حروف المعجم التي بدئت بعض السور بها ، تحديا للمكذبين وتنبها للمصدقين .
- ٢ - أقسم بالقلم الذي يكتب به الملائكة وغيرهم ، وبما يكتبونه من الخير والمنافع ، ما أنت - وقد أنعم الله عليك بالنبوة - بضعيف العقل ، ولا سفيه الرأي .
- ٣ - وإن لك على ما تلقاه في تبليغ الرسالة لثوابا عظيما غير مقطوع .
- ٤ - وإنك لمستمسك بمحاسن الصفات ومحاسن الأفعال التي فطرك الله عليها .
- ٥ ، ٦ - فعن قريب تبصر يا محمد ، ويبصر الكافرون بأيكم الجنون .
- ٧ - إن ربك هو أعلم بمن حاد عن سبيله ، وهو أعلم بالعقلاء المهتدين إليه .
- ٨ ، ٩ - فلا تترك ما أنت عليه من مخالفة للمكذبين ، تمنوا لو تدين لهم بعض الشيء ، فهم يلينون لك طمعا في تجاوبك معهم .

مَهِينٌ ١٠ هَمَزٌ مَشَاءٌ بِمَبِيٍّ ١١ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٌ أُثِيمٌ ١٢ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ١٣ أَنْ كَانَ
 ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَابِدُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ ١٦ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا
 بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
 وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَٰرِمِينَ ٢٢ فَأَنْظِلُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ
 قَدِيرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦ بَلْ لَمَحْنَا مَحْرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ - ولا تترك ما أنت عليه من مخالفتك كل كثير الحلف ، حقير ، عياب ، مغتاب ، نقال
 للحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، شديد الصد عن الخير ، معتد ، كثير الآنام ، غليظ القلب جاف
 الطبع ، لئيم معروف بالشر ، فوق ماله من تلك الصفات الذميمة .
 ١٤ ، ١٥ - لأنه كان صاحب مال وبنين ، كذب بآياتنا وأعرض عنها ، إذا يتلى عليه القرآن قال : هذا
 قصص الأولين وخرافاتهم .

١٦ - سنجعل على أنفه علامة لازمة ، ليكون مفتضحاً بها أمام الناس .

١٧ ، ١٨ - إنا اخترنا أهل مكة بالإنعام عليهم فكفروا ، كما اخترنا أصحاب الجنة حين حلفوا ليقطعن ثمار
 جنتهم مبكرين ، ولم يذكروا الله فيعلقوا الأمر بمشيئته .

١٩ ، ٢٠ - فزل بها بلاء شديد من ربك ليلا وهم نائمون ، فأصبحت كالليل المظلم مما أصابها .

٢١ ، ٢٢ - فنادى بعضهم بعضاً عند الصباح ، أن بكروا مقبلين على حرثكم إن كنتم مصرين على قطع

الثمار .

٢٣ ، ٢٤ - فاندفعوا وهم يتهامون متواصين ، ألا يمكن أحد منكم اليوم مسكيناً من دخولها عليكم .

٢٥ - وساروا أول النهار إلى جنتهم ، على قصدهم السوء ، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم .

٢٦ ، ٢٧ - فلما رأوها سواداً محترقة قالوا مضطربين : إنا لضالون فاهذه بجنتنا . بل هي جنتنا ، ونحن

محرومون .

نُسِحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا
 إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَٰعَابُ الْآخِرَةِ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمُنُ
 عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
 بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً

٢٨ - قال أعدلهم وأخبرهم لانما لهم: ألم أقل لكم حين تواصيتم بجرمان المساكين: هلا تذكرون الله فتعدلوا عن نيتكم!!

٢٩ - قالوا بعد أن تابوا الى رشدهم نزه الله أن يكون قد ظلمنا بما أصابنا، إنا كنا ظالمين لسوء قصدنا.

٣٠، ٣١ - فأقبل بعضهم على بعض يلوم كل منهم الآخر، قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا مسرفين في ظلمنا.

٣٢ - عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من جنتنا، إنا إلى ربنا وحده راغبون في عفوه وتعويضه.

٣٣ - مثل ذلك الذي أصاب الجنة، يكون عذابي الذي أنزله في الدنيا بمن يستحقه، ولعذاب الآخرة أكبر لو كان الناس يعلمون ذلك

٣٤ - إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم الخالص.

٣٥، ٣٦ - أنظلم في حكنا فنجعل المسلمين الكافرين؟! ماذا أصابكم؟! كيف تحكمون مثل هذا الحكم الجائر؟!

٣٧، ٣٨ - بل ألكم كتاب من الله فيه تقرأون! ان لكم فيه للذي تتخيرونه!

٣٩ - بل ألكم عهد علينا مؤكدة بالايان باقية إلى يوم القيامة، ان لكم للذي تحكمون به؟!!

٤٠ - سل المشركين يا محمد: أيهم بذلك الحكم كفيّل؟!

٤١ - بل ألكم من يشاركونهم ويذهب مذهبهم في هذا القول؟! فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في

دعواهم.

أَبْصَرُهُمْ تَرَهَّقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ
 سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
 مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ
 نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتَهُ مِنَ الْبَعْرَاءِ وَهُوَ مُذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ
 فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
 لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

- ٤٢ ، ٤٣ - يوم يشتد الأمر ويصعب ، ويدعى الكفار إلى السجود - تعجيزا وتوبيخا - فلا يستطيعون ،
 منكسرة أبصارهم ، تفشاهم ذلة مرهقة ، وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود وهم قادرين فلا يسجدون .
 ٤٤ - فدعنى - يا محمد - ومن يكذب بهذا القرآن ، سندنيهم من العذاب درجة درجة من الجهة التي لا يعلمون
 أن العذاب يأتي منها .
 ٤٥ - وأمهلهم بتأخير العذاب ، إن تدبيري قوى لا يفلت منه أحد .
 ٤٦ - بل أنسألم أجرا على تبليغ الرسالة ، فهم من غرامة كلفتهم إياها مثقلون ؟ !
 ٤٧ - بل أعندهم علم الغيب فهم يكتبون عنه ما يحكون به !!
 ٤٨ - فاصبر لإمهالهم وتأخير نصرك عليهم ، ولا تكن كيونس صاحب الحوت في العجلة والغضب على قومه ،
 حين نادى ربه وهو مملوء غيظا وغضبا ، طالبا تعجيل عذابهم .
 ٤٩ - لولا أن تداركته نعمة ربه بقبول توبته ، لطرحت من بطن الحوت بالفضاء ، وهو معاقب بزلاته .
 ٥٠ - فاصطفاه ربه بقبول توبته ، فجعله من الصالحين .
 ٥١ - وإن يكاد الكافرون ليزيلونك عن مكانك ، بنظرهم إليك عداوة وبغضا حين سمعوا القرآن ، ويقولون :
 إنك لجنون .
 ٥٢ - وما القرآن إلا عظة وحكمة وتذكير للعالمين .

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ الْمَكِّيَّةِ
وَأَيُّهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَجْمَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ

عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة ، وذكرت بما أصاب الأمم السابقة من الهلاك والأخذ الشديد حين كذبوا ، وتحدثت عن النفخ في الصور ، وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغير والزوال ، وما يكون بعد ذلك من العرض للحساب ، وبشرت أصحاب اليمين بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم ، وأنذرت أصحاب الشمال والعذاب الأليم ، وختمت بالحديث عن صدق رسول الله - ﷺ - فيما بلغه ، وعن صدق القرآن الذي هو حق اليقين .

- ١ ، ٢ - القيامة الواقعة حقا ، ما القيامة الواقعة حقا ؟ !
- ٣ - وأي شيء أدراك حقيقتها ، وصور لك هولها وشدتها ؟ !
- ٤ - كذبت ثمود وعاد بالقيامة التي تفرع العالمين بأهوالها وشدائدها .
- ٥ - فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة .
- ٦ - وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة متمردة .
- ٧ - سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة لا تنقطع ، فترى في مهاب الريح موتى كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها .
- ٨ - فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك ؟ !

بِالْحَاطِطَةِ ① فَعَصَّوْا رُسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ② إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرًّا فِي الْجَارِيَةِ ③
لِنَجْعَلَهَا لُكْرًا تَذَكُّرًا وَتَعْيِبًا أُذُنٌ وَعَيْبٌ ④ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ⑤ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
فُدُكًا دَكَّةً وَاحِدَةً ⑥ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ⑦ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ⑧ وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا ⑨ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ⑩ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ⑪ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ⑫ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ⑬ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑭
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑮ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ⑯ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ⑰ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

٩ - وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كفرت ، والجماعة المنصرفة عن الحق والفترة السليمة بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش .

١٠ - فصت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم ، فأخذهم بعقابه أخذة زائدة في الشدة .

١١ - أنا لما جاوز الماء حده ، وعلا فوق الجبال في حادث الطوفان ، حملناكم - بحمل أصولكم - في السفينة

الجارية .

١٢ - لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين واغراق الكافرين عبرة لكم وعظة ، وتحفظها كل أذن حافظة

لما تسمع .

١٣ ، ١٤ - فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، ورفعت الأرض والجبال عن موضعها ، فدكتا مرة واحدة .

١٥ ، ١٦ - فيومئذ نزلت النازلة ، وانشقت السماء بزوال أحكامها ، فهي يومئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة

قوية .

١٧ - والملائكة على جوانبها ، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية .

١٨ - يومئذ تعرضون للحساب ، لا يخفى منكم أي سر كنتم تكتمونه .

١٩ - فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول معلنا سروره لمن حوله : خذوا اقراءوا كتابي .

٢٠ - اني أيقنت في الدنيا أني ملاق حسابي ، فأعددت نفسي لهذا اللقاء .

٢١ - فهو في عيشة يعمها الرضى .

٢٢ - في جنة رفيعة المكان والدرجات .

٢٣ - ثمارها قريبة التناول .

٢٤ - كلوا واشربوا أكلا وشربا لا مكروه فيها ، ولا أذى منها ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا

الماضية .

كَتَبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِيتُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةِ ٢٥ وَلَا أَدْرِي مَا حَسَابِيَةِ ٢٦ يَلْبِيتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ٢٧
 مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةِ ٢٩ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوَهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
 ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣٤
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ٣٧ فَلَا أَقْسِمُ
 بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ٤١
 وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ٤٢ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ٤٤
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَلِيزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ

- ٢٥ ، ٢٦ - وأما من أعطى كتابه بشماله فيقول ندما وحسرة : يا لبيتى لم أعط كتابى ، ولم أعلم ما حسابى .
 ٢٧ - ياليت الموتة التى متها كانت الفاصلة فى أمرى ، فلم أبعث بعدها .
 ٢٨ ، ٢٩ - ما نفعنى شئ ملكته فى الدنيا ، ذهب عنى صحقى ، وزالت قوتى .
 ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - يقال لخرقة جهنم : خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار الجحيم ، ثم فى سلسلة بالغة الطول فاسلكوه .
 ٣٣ ، ٣٤ - انه كان لا يصدق بالله العظيم ، ولا يبحث أحدا على اطعام المسكين .
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - فليس لهذا الكافر اليوم فى الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار التى هى دم وقیح وصديد ، لا يأكله الا المذنبون المتعمدون المصرون .
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - فلا أقسم بما تبصرون من المرثيات وما لا تبصرون من عالم الغيب . ان القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة .
 ٤١ - وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلا ما يكون منكم إيمان بأن القرآن من عند الله .
 ٤٢ - وما القرآن بسجع كسجع الكهان الذى تعهدون ، قليلا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينها .
 ٤٣ - هو تنزيل ممن تمهد العالمين بالخلق والتربية .
 ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ - ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لأخذنا منه كما يأخذ الآخذ يمين من يجهز عليه للحال ، ثم لقطعنا منه نياط قلبه ، فيموت لساعته .
 ٤٧ - فليس منكم أحد - مهما بلغت قوته - يحجز عقابنا عنه .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْبَاقِينَ ﴿٥١﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

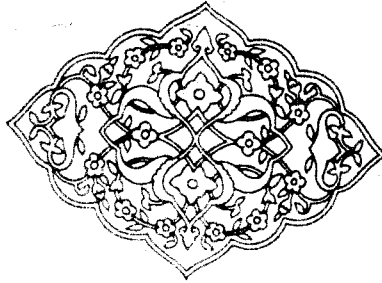
٤٨ - وأن القرآن لعظة للذين يمثلون أوامر الله ، ويحتملون نواهيه .

٤٩ - وأنا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن .

٥٠ - وأنه لسبب في ندامة شديدة على الجاحدين به ، حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين .

٥١ - وان القرآن لحق ثابت لا ريب فيه .

٥٢ - فزه ربك العظيم ، ودم على ذكر اسمه .



(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِينَةٌ
وَأَيَّاتُهَا زَانِعَةٌ وَأَنْعَامٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَاهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

في هذه السورة الكريمة تهديد بيوم القيامة، وتخويف بطوله وما فيه من أهوال جسام وعذاب لا تقبل فيه فدية
بأبناء ولا صاحبة ولا أخ ولا فصيلة، بل لا يقبل فيه فدية بأهل الأرض جميعا.
وفيها نعى على الانسان ضعفه في حال الضراء والسراء، إلا من عصمهم الله بالتقوى والعمل الصالح،
فإنهم يسلمون من هذا الضعف.

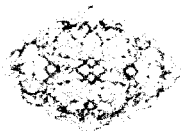
وفيها كذلك انكار على الكافرين في أطعاهم الفاسدة. وختامها وصية لرسول الله - ﷺ - بتركهم في
سفهم، ولعبيهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

١، ٢، ٣ - دعا داع - استعجالا على سبيل الاستهزاء - بعذاب واقع من الله للكافرين لا محالة، ليس
لذلك العذاب راد بصرفه عنهم، فوقوعه من الله صاحب السموات التي هي مصدر القهر القائم والحكم النافذ.

٤ - تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره في يوم كان طوله خمسين ألف سنة من سنى الدنيا.

٥، ٦، ٧ - فاصبر - يا محمد - على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبورا لا جزع فيه ولا شكوى منه. ان
الكفار يرون يوم القيامة مستحيلا لا يقع، ونراه هينا في قدرتنا غير متعذر علينا.

٨، ٩، ١٠ - يوم تكون السماء كالفضة المذابة، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش، ولا يسأل قريب
قريبه كيف حاله، لأن كل واحد منها مشغول بنفسه.



يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ ۖ وَصَلْبَتِهِ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي
تَقْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَىٰ ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ۖ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۖ
وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ
إِلَّا الْمَصْلِينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۖ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ

١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ - يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضا يقينا ، وهو مع ذلك لا يسأله ، يود الكافر لو

يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بينه وزوجته وأخيه وعشيرته التي تضمه وينتمى إليها ، ومن في الأرض جميعا ،
ثم ينجي هذا الفداء .

١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ارتدع أيها المجرم عما تتمناه من الافتناء ، ان النار لهب خالص ، شديدة النزاع ليديك

ورجليك وسائر أطرافك ، تنادى بالاسم من أعرض عن الحق ، وترك الطاعة ، وجمع المال فوضعه في خزائنه ، ولم
يؤد حق الله فيه .

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ - ان الانسان طبع على الهلع ، شديد الجزع والسخط إذا مسه المكروه والعسر ،

شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر ، إلا المصلين الذين هم دائمون على صلاتهم فلا يتركونها في وقت من
الأوقات ، فإن الله يعصمهم ويوقفهم إلى الخير .

٢٤ ، ٢٥ - والذين في أموالهم حق معين مشروع لمن يسأل المعونة منهم ، ولمن يتعفف عن سؤالها .

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - والذين يصدقون بيوم الجزاء فيتزدون له ، والذين هم من عذاب ربهم خائفون فيتقونه

ولا يقعون في أسبابه ، ان عذاب ربهم غير مأمون لأحد أن يقع فيه .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم شهواتها ، لكن على أزواجهم وامانهم

لا يحفظونها ، لأنهم غير ملومين في تركها على طبيعتها ، فن طلب متاعا وراء الزوجات والاماء فأولئك هم
المتجاوزون الحلال إلى الحرام .

قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْتَبِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ غَرِيزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - والذين هم لأمانات الشرع وأمانات العباد وما التزموه لله وللناس حافظون غير خائنين ولا ناقضين ، والذين هم بشهاداتهم قائمون بالحق غير كاذبين لما يعلمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله .

٣٥ - أصحاب هذه الصفات المحمودة في جنات مكرمون من الله تعالى .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - أى شيء ثبت للذين كفروا إلى جهنك مسرعين ملتفتين عن يمينك وشمالك جماعات ؟ ! أيطمع كل امرئ منهم وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة أن يدخل جنة نعيم ؟ !

٣٩ - فليرتدعوا عن طمعهم في دخولهم الجنة ، انا خلقناهم من ماء مهين .

٤٠ ، ٤١ - فلا أقسم برب المشارق والمغارب من الأيام والكواكب والهدايات ، انا لقادرون على أن نهلكهم ونأتى بمن هم أطوع منهم لله ، وما نحن بعاجزين عن هذا التبديل ^(١) .

٤٢ - فاتركهم يخوضوا في باطلهم ، ويلعبوا بديناهم ، حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون فيه العذاب .

٤٣ ، ٤٤ - يوم يخرجون من القبور سراعا إلى الداعي ، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبده في الدنيا من دون الله يسرعون ، ذليلة أبصارهم ، لا يستطيعون رفعها ، تغشاهم الحقارة والمهانة ذلك اليوم كانوا يوعدون به في الدنيا وهم يكذبون .

(١) قد يكون المراد بالمشارق والمغارب أقطار ملك الله على سمته التي لا تحد كما أنشئ في الآية ١٣٧ من سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها » ، للدلالة على أرجاء الأرض المشار إليها . وقد يكون المراد أيضا مشارق الشمس والقمر وكافة النجوم والكواكب ومغاربها جميعا للدلالة أيضا على ملك الله كله . وترجع ظاهرة شروق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة في قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرقى وغاربة من الأفق الغربى ، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبي - في نصف الكرة الشمالي مثلا - وإذا كان البعد القطبي للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب بل يرسم دائرة صغيرة وهمية حول القطب الشمالي ، وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل - راجع قوله تعالى : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض ، هي نعمة كبرى من نعم الله على أحياء هذا الكوكب . فلولا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة وحرم من الضوء تماما النصف الآخر ، وهذا ما لا تستقيم معه الحياة كما نعهدها .

وإذا اقتصرنا عند ذكر المشارق والمغارب على تدبير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب ، كانت هذه إشارة إلى التمدد اللانهائى لمشارق الأرض ومغاربها يوما بعد يوم في كل موضع على سطح الأرض ، أو حتى في لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية ، فالشمس في كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة في نقطة أخرى تقابلها . وهذا من محكم تدبير الله وإعجاز قدرته . (انظر أيضا التعليق العلمى على الآية ٥ من سورة الصافات والآية ١٧ من سورة الرحمن) .

سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانِيْنَ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْفَوِّمُ إِلَيَّ لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا لِي يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فصلت هذه السورة الكريمة قصة نوح عليه السلام مع قومه، فتحدثت عن دعوته لهم جهرا، ثم سرا وجهرا، وقصت شكواه إلى الله من اعراضهم عنه وعنادهم له، وسجلت اصرارهم على عبادة الأصنام حتى استحقوا عذاب الله. ولما يس نوح عليه السلام من قبولهم الدعوة دعا عليهم بالهلاك والانقراض، ودعا لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بالغفران.

١ - انا أرسلنا نوحا إلى قومه وقلنا له: أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب شديد الايلام.

٢، ٣، ٤ - قال نوح: يا قوم اني لكم نذير مبين رسالة ربكم بلغة تعرفونها، أن أطيعوا الله واخضعوا له في أداء الواجبات، وخافوه بترك المحظورات، وأطيعوني فيما أنصح لكم به، يغفر الله لكم ذنوبكم ويمد في أعماركم إلى أجل مسمى جعله غاية الطول في العمر، ان الموت إذا جاء لا يؤخر أبدا، لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتكم.

٥، ٦ - قال نوح: رب اني دعوت قومي إلى الايمان ليلا ونهارا بلا فتور، فلم يزدني دعائي لهم الا هروبا من

طاعتك.

أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ
 لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَيْدِي اللَّهِ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
 فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّا يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا

٧ - واني كلما دعوتهم إلى الايمان بك لتغفر لهم وضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا دعوتي ، وتغطوا
 بشياهم حتى لا يروا وجهي ، وأقاموا على كفرهم ، وتعظموا عن اجابتي تعظما بالفا .

٨ ، ٩ - ثم اني دعوتهم إليك بصوت مرفوع ، ثم اني جهرت بالدعوة في حال ، وأخفيتها اخفاء في حال
 أخرى ، حتى أجرب كل خطئة .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - فقلت لقومي : اطلبوا مغفرة الكفر والعصيان من ربكم ، انه لم يزل غفارا لذنوب من
 يرجع إليه ، يرسل السماء عليكم غزيرة الدر بالمطر ، ويمدكم بأموال وبنين هما زينة الحياة الدنيا ، ويجعل لكم
 بساين تنعمون بجبالها وثمارها ، ويجعل لكم أنهارا تسقون منها زرعكم ومواشيكم .

١٣ ، ١٤ - ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته حتى ترجو تكريمكم بانجائكم من العذاب وقد خلقكم كرات
 متدرجة ، نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحمًا؟! !

١٥ ، ١٦ - ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وجعل القمر في هذه السموات نورا
 ينبعث منها ، وجعل الشمس مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئه ما يحتاجون إلى رؤيته .

١٧ ، ١٨ - والله أنشأكم من الأرض ، فنبت نباتا عجيبا ، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت ، ويخرجكم منها
 اخراجا محققا لا محالة .

١٩ ، ٢٠ - والله جعل لكم الأرض مبسوطة لتذهبوا فيها طرقا واسعة .

٢١ ، ٢٢ - قال نوح : رب ان قومي عصوني فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار ، واتبع الضعفاء منهم من لم
 يزدده ماله وولده الا خسارانا في الآخرة ، ومكر أصحاب الأموال والأولاد بتابعيهم من الضعفاء مكرًا بالغ النهاية في
 العظم .

كُبَارًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ الهِتَكُمَّ وَلَا تَذَرُنَّ وِدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾ مِمَّا حَطَبْتُمْ أَنَا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

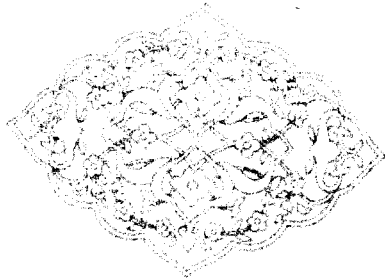
٢٣ ، ٢٤ - وقالوا لهم : لا تتركن عبادة الهتكم ، ولا تتركن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وكانت
أصناما منحوتة على صور مختلفة من الحيوان ، وقد أضل هؤلاء المتبعون كثيرا من الناس ، ولا تزد الظالمين
لأنفسهم بالكفر والعناد الا بعدا عن الحق .

٢٥ - بسبب ذنوبهم أغرقوا بالطوفان ، فأدخلوا عقب هلاكهم نارا عظيمة اللهب والاحراق فلم يجدوا لهم
من دون الله أنصارا يدفعون عنهم العذاب .

٢٦ - وقال نوح بعد بأسه من قومه : رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحدا يدور في الأرض
ويدب عليها .

٢٧ - انك - يارب - ان تركهم دون اهلك واستئصال يوقعوا عبادك في الضلال ولا يلدوا الا مائلا عن
الحق شديد الكفر بك والعصيان لك .

٢٨ - رب اعف عني وعن والدي اللذين كانا سببا في وجودي ، وعن دخل بيتي مؤمنا بك ، وعن المؤمنين
والمؤمنات جميعا ، ولا تزد الكافرين إلا هلاكا .



(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَاثَانِ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

أمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة الكريمة أن يبلغ الناس ما أوحى إليه من استماع الجن إلى قراءته ، واستجابتهم لدعوته ، واخبارهم بما كان من سفهاتهم وصالحهم ، وما كان من قعودهم لاستراق السمع ثم طردهم عنه الآن ، وعرضت آيات السورة للمستقيمين على طريقة الاسلام والمعرضين عنه ، وتحدثت عن خلوص المساجد والعبادة لله وحده ، وعن دعوة الرسول إلى الله ، والتفاف الجن حوله ، وحددت ما لا يملكه الرسول من الأمور وما يملكه ، وحذرت العاصين الله ورسوله من جهنم وخلودهم فيها .

وذكرت في ختامها أن الله مختص بعلم الغيب ، ويطلع عليه من يصطفيه من خلقه ليكون رسولا ويحفظ الوحي بحراس حتى يبلغه الناس تاما والله يعلمه كذلك .

١ ، ٢ - قل يا محمد لأمتك : أوحى الله إلى أن استمع إلى قراءتي جماعة من الجن ، فقالوا لقومهم : انا سمعنا قرآنا بديعا لم نسمع مثله من قبل ، يدعو إلى الهدى والصواب ، فأمننا بالقرآن الذي سمعناه ، ولن نشرك مع ربنا الذي خلقنا وربانا أحدا في عبادته .

٣ - وأنه تعالى قدر ربنا وعظمته ، ما اتخذ زوجة ولا ولدا .

٤ - وأنه كان يقول جاهلنا على الله قولا بعيدا عن الحق والصواب .

٥ - وأنا ظننا أن لن تنسب الانس والجن إلى الله ما لم يكن ويصفوه بما لا يليق به .

فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنْهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرًّا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىءَ آمَنَّا بِهِءَ فَمَنْ يُؤْمِنُ رَبِّهٖءَ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُغْضَبْنَ عَلَى الطَّرِيقِ لِأَسْقَيْنَهُنَّ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

٦ - وأنه كان رجال من الانس يستجيرون برجال من الجن ، فزاد رجال الانس الجن طفيانا وسفها وجرأة .

٧ - وأن الجن ظنوا كما ظننتم - معشر الانس - أن لن يبعث الله أحدا بعد الموت ، ولا رسولا من البشر اليهم .

٨ - وأنا طلبنا بلوغ السماء ، فوجدناها ملئت حرسا قويا من الملائكة وشهبا محرقة من جهتها .

٩ - وانا كنا قبل اليوم نقعد من السماء مقاعد لاستراق أخبار السماء ، فن برد الاستماع الآن يجد له شهابا مترصدا ينقض عليه فيهلكه .

١٠ - وأنا لا نعلم أعذاب أريد بمن في الأرض من حراسة السماء لمنع الاستماع ، أم أراد بهم ربهم خيرا وهدى ؟ .

١١ - وأنا منا الأبرار المتقون ومنا دون ذلك ، وهم قوم مقتصدون في الصلاح ، كنا ذوى مذاهب متفرقة .

١٢ - وأنا أيقنا أن لن نعجز الله أننا كنا في الأرض ولن نعجزه هارين من قضائه نحو السماء .

١٣ - وأنا لما سمعنا القرآن آمنا به فن يؤمن بربه فلا يخاف نقصا من حسنة ، ولا ظلما يلحقه بزيادة في سيئاته .

١٤ - وأنا منا المسلمون المقرون بالحق ومنا الحائدون عن طريق الهدى ، فن أسلم فأولئك قصدوا سبيل الحق مجتهدين في اختياره .

١٥ - وأما الجائرون عن طريق الاسلام فكانوا لجهنم وقودا .

١٦ - وأنه لو سار الانس والجن على طريقة الاسلام ولم يجيدوا عنها ، لأسقيناها ماء كثيرا يعم أوقات الحاجة .

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
 وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
 مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أُدرى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي

١٧ - لنختبرهم فيه كيف يشكرون لله نعمه عليهم ، ومن يعرض عن عبادة ربه يدخله عذابا شاقا لا يطيقه .

١٨ - وأوحى إلى أن المساجد لله وحده ، فلا تعبدوا مع الله أحدا .

١٩ - وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله محمد في صلاته يعبد الله كاد الجن يكونون عليه جماعات ملتفة ، تعجبا مما رأوه وسمعوه .

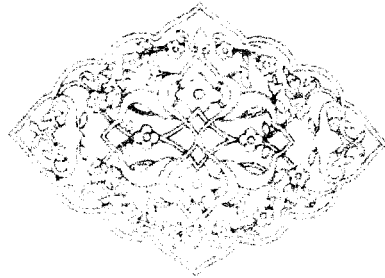
٢٠ - قل : إنما أعبد ربى وحده ، ولا أشرك به فى العبادة أحدا .

٢١ - قل : انى لا أملك لكم دفع ضر ولا تحصيل هداية ونفع .

٢٢ - قل : انى لن يدفع عنى عذاب الله احد أن عصيته ، ولن أجد من دونه ملجأ أفر إليه من عذابه .

٢٣ - لكن أملك تبليغا عن الله ورسالاته التى بعثنى بها ، ومن يعص الله ورسوله فأعرض عن دين الله فإن له نار جهنم باقيا فيها أبدا .

٢٤ - حتى إذا أبصروا ما يوعدونه من العذاب ، فسيعلمون عند حلوله بهم من أضعف ناصرا وأقل عددا ، أهم أم المؤمنون ؟ .

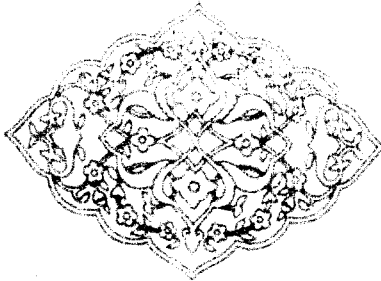


أَمَدًا ٢٥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنْ آرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٢٨

٢٥ - قل : ما أدرى - أيها الكافرون - أقرب ما توعدون من العذاب ، أم يجعل له ربي غاية بعيدة ؟ .

٢٦ ، ٢٧ - هو عالم الغيب ، فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه ، الا رسولا ارتضاه لعلم بعض الغيب ، فإنه يدخل من بين يدي الرسول ومن خلفه حفظة من الملائكة تحول بينه وبين الوسواس .

٢٨ - ليعلم الله ذلك واقعا موافقا لما قدره أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقد علم تفصيلا بما عندهم ، وعلم عدد الموجودات كلها ، لا يغيب عنه شيء منها .



سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الْمِزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

في هذه السورة أمر الله رسوله بقيام قدر كبير من الليل، للصلاة وقراءة القرآن مرتلاً فيها، فقام هو وطائفة من الذين معه، ثم خفف الله عنهم في آخرها، وأمرهم بالصلاة والزكاة والصدقة والاستغفار.

وفي أثنائها أمره بالصبر على ما يقول المكذبون، وتركهم لما أعده الله لهم من العذاب، وهدد الكافرين بمثل العذاب الذي وقع على فرعون ومن معه، حين عصوا رسول ربهم، وخوفهم ببعض أهوال القيامة.

١، ٢، ٣، ٤ - يأياها المتلف بشياها، قم الليل مصلياً إلا قليلاً، قم نصف الليل أو أنقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين وقرأ القرآن متمهلاً مبيناً الحروف والوقوف قراءة سالمة من أي نقصان.

٥ - انا سنلقى عليك أيها الرسول قرآناً مشتملاً على الأوامر والنواهي والتكاليف الشاقة.

٦ - ان العبادة التي تحدث بالليل، هي أشد رسوخاً في القلب، وأبين قولاً، وأصوب قراءة من عبادة النهار.

٧ - ان لك في النهار تقلباً في مصالحك، واشتغالا بأمور الرسالة، ففرغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

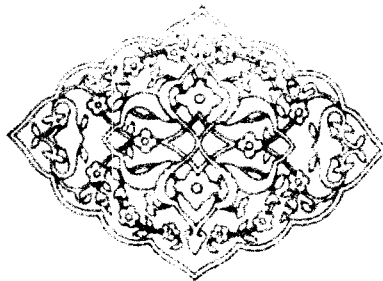
٨ - وأجر على لسانك ذكر اسم من تعهدك بالخلق والتربية، وانقطع لعبادته من كل شيء انقطاعاً تاماً.

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُومْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصْبَةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّيِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمُ رَسُولًا رَسُولًا مِّمَّا أَتَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيسًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ نُنْقِزُكَ إِن كُفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْفَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ ۖ وَثُلُثَهُ ۖ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ

- ٩ - هو مالك المشرق والمغرب ، لا معبود بحق إلا هو ، فاتخذة كافيا لأمرتك ، كفيلا بما وعدك .
- ١٠ - واصبر على ما يقولون من الأباطيل ، وجانبهم بقلبك ، وخالفهم في أفعالهم ، مع الاغضاء عنهم ، وترك الانتقام منهم .
- ١١ - واتركني والمكذبين ، أصحاب النعيم ، وأمهلهم امهالا قصير الأمد .
- ١٢ ، ١٣ - ان لدينا للمكذبين في الآخرة قيودا ثقالا ، ونارا محرقة ، وطعاما ينشب في الحلق لا يستساغ ، وعذابا شديد الايلام لا يطاق .
- ١٤ - يوم تتحرك الأرض والجبال حركة شديدة ، وصارت الجبال رملا مجتمعما متناثرا ، بعد أن كانت حجارة صلبة متأسكة .
- ١٥ ، ١٦ - انا أرسلنا اليكم يا أهل مكة محمدا ، رسولا يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع ، كما أرسلنا موسى إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا ثقيلا شديدا .
- ١٧ - فكيف تدفعون عنكم ان كفرتم ، عذاب يوم يجعل الشبان لهوله شيوخا ضعافا .
- ١٨ - السماء في قوتها وعظمتها ، شيء منشق في ذلك اليوم لشدته وهوله ، كان وعد الله واقعا لا محالة .
- ١٩ - ان هذه الآيات الناطقة بالوعد موعظة ، فمن شاء الانتفاع بها اتخذ إلى ربه سبيلا بالتقوى والخشية .

عَلِمَ الْآنَ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وءَاخِرُونَ يُقْلِتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ خَيْرٍ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٢٠- ان ربك يعلم أنك تقوم يا محمد، أقل من ثلثي الليل أحياناً، وتقوم نصفه وثلثه أخرى، ويقوم طائفة من أصحابك كما تقوم، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وضبط ساعاتها إلا الله، علم أنه لا يمكنكم احصاء كل جزء من أجزاء الليل والنهار، فخفف عليكم، فاقروا في الصلاة ما تيسر من القرآن، علم أنه سيكون منكم مرضى، يشق عليهم قيام الليل وآخرون ينتقلون في الأرض للتجارة والعمل، يطلبون رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل الله لاعلاء كلمته، فاقروا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، باعطاء الفقراء نافلة فوق ما وجب لهم، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله هو خيراً مما خلفتم وتركتم، وأجزل ثواباً، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير في الحسنات ان الله غفور لذنوب المؤمنين، رحيم بهم.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ ٦
تَسْتَكْثِرُ ٧ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٨ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ٩ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ١٠ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ١١ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١٢ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٣ وَبَنِينَ شُهُودًا ١٤ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٥

حثت هذه السورة الكريمة رسول الله ﷺ على انذار قومه وتعظيمه الله تعالى وترك مالا يصح ان يصدر منه وتحدثت عن نفع الصور وشدة العذاب على الكافرين وأمرته ﷺ أن يترك من جحد فضله عليه ثم يطمع في الزيادة بدون اعتراف ولا شكر وبينت كيف كان تفكير ذلك المجاهد وانكاره للقرآن وفصلت كيف يكون عذابه في سقر التي وصفت بما يزعم ويخيف وذكرت الأنفس بما تكسب من خير أو شر وأخبرت عن حال أصحاب اليمين وتبكيتهن للمجرمين بسؤالهم عما سلكهم في سقر وختمت بالحديث عن القرآن بأنه لمن شاء أن يتذكر وأن من تذكر به هم أهل التقوى وأهل المغفرة.

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - يا أيها المتلطف بشيابه قم من مضجعك فحذر الناس من عذاب الله ان لم يؤمنوا ، وخص ربك بالتعظيم ، وثيابك فطهرها بالماء عن النجاسة .

٥ ، ٦ ، ٧ - والعذاب فاترك ، أي دم على هجر ما يوصل الى العذاب ، ولا تعط أحداً مستكثراً لما تعطيه اياه ولرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي وكل ما فيه جهد ومشقة .

٨ ، ٩ ، ١٠ - فاذا نفخ في الصور فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين غير سهل ان يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب ، وغيرها من الأهوال .

١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - اتركني وحدي مع من خلقته ، فاني أكفيك أمره ، جعلت له مالا مبسوطة واسعا غير منقطع ، وبنين حضوراً معه وبسطت له الجاه والرياسة بسطة تامة ، ثم يطمع ان أزيد في ماله وبنيه وجاهه بدون شكر .

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأْرِهْقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَكَيْفَ قَاتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَاتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَبْظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنِّي هَذَا إِلَّا بَحْرٌ يَمُرُّ يُوْثِرُ ﴿٢٤﴾ إِنِّي هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكًا ﴿٣١﴾ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزدادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴿٣٤﴾ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٥﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ﴿٣٧﴾

١٦ ، ١٧ - ردعاً له عن طمعه انه كان للقرآن معانداً مكذباً سأغشيه عقبة شاقة ، لا يستطيع اقتحامها .

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ - انه فكر في نفسه وهياً ما يقوله من الطعن في القرآن فاستحق بذلك الهلاك ، كيف هيا هذا الطعن ، ثم استحق الهلاك كيف أعد في نفسه هذا الطعن .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ثم نظر في وجوه الناس ، ثم قطب وجهه وزاد في كلوحه ، ثم أعرض عن الحق وتعاطم أن يعترف به فقال : ما هذا الاسحر ينقل عن الأولين .

٢٥ - ما هذا الا قول الخلق تعلمه محمد وادعى أنه من عند الله .

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - سأدخله جهنم ليحترق بها ، وما أدراك ما جهنم ، لا تبقى لها ولا تترك عظماً الا احرقته ، مسودة لأعلى الجلد ، عليها تسعة عشر يلون أمرها وتعذيب أهلها .

٣١ - وما جعلنا خزنة النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم تسعة عشر الا اختباراً للذين كفروا ليحصل اليقين للذين أوتوا الكتاب بأن ما يقوله القرآن عن خزنة جهنم انما هو حق من الله تعالى ، حيث وافق ذلك كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا بمحمد إيماناً ، ولا يشك في ذلك الذين اعطوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون . ما الذي أراه الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ، بمثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين ، وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتهم إلا هو سبحانه وتعالى ، وما سقر إلا تذكرة للبشر وتخويف لهم .

وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ٣٢) إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى ٣٣) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٤) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٥) كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٦) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٣٧) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٣٨) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٣٩) مَسَلِكُكُمْ
فِي سَفَرٍ ٤٠) قَالُوا لَرَنْكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤١) وَلَرَنْكَ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ٤٢) وَكَمَا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ٤٣) وَكَمَا نَكْذِبُ
بِیَوْمِ الدِّينِ ٤٤) حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ٤٥) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ٤٦) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ٤٧) كَانَتْهُمْ حَرٌّ
مُسْتَنْفَرَةً ٤٨) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ٤٩) بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ٥٠) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ٥١)
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ٥٢) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ٥٣) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ٥٤)

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - ردعاً لمن ينذر بها ولم يخف ، أقسم بالقمر وبالليل اذا ذهب ، وبالصبح اذا
أضاء وانكشف أن سقر لأعظم الدواهي الكبرى انذاراً وتخويفاً .

٣٧ - انذار للبشر لمن يشاء منكم ان يتقدم الى الخير أو يتأخر عنه .

٣٨ ، ٣٩ - كل نفس بما عملت مأخوذة الا المسلمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة .

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ - هم في جنات لا يدرك وصفها ، يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين وقد سألوهم عن حالهم ،
ما أدخلكم في سقر .

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ - قالوا لم نك من المصلين كما كان يصلى المسلمون ، ولم نك نطعم المسكين
كما كان يطعم المسلمون ، وكنا نندفع وننغمس في الباطل والزور مع الخائضين فيه ، وكنا نكذب بيوم الحساب
والجزاء حتى أتانا الموت .

٤٨ - فأتيتهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبين والصالحين .

٤٩ - فما لهم عن العظة بالقرآن منصرفين .

٥٠ ، ٥١ - كأنهم حمر شديدة النفار فرت من مطاردتها .

٥٢ - بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً من السماء واضحة مكشوفة ثبت صدق الرسول ﷺ .

٥٣ - ردعاً لهم عما أرادوا بل هم لا يخافون الآخرة فأعرضوا عن التذكرة وتفننوا في طلب الآيات .

٥٤ ، ٥٥ - حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية ، فمن شاء أن يذكره ولا ينسأه فعل .

٥٦ - وما يذكرون الا بمشيئة الله هو أهل لأن يتق وأهل لأن يغفر لمن اتقاه .

(٧٥) سُورَةُ الْفِيَاضِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَدِيرِينَ ۝ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ

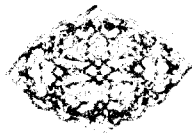
تحدثت هذه السورة الكريمة عن بعث الناس وحسابهم ، وعن القيامة وأهوالها ، ثم طمأنت الرسول ﷺ على جمع القرآن في صدره ، ووجهت الردع إلى من يحبون العاجلة ويذرون الآخرة ، ووازنت بين وجوه المؤمنين الناضرة ووجوه الكافرين الباسرة ، وتحدثت كذلك عن حال المحتضر ، وما كان من تقصيره في الواجبات ، حتى كأنه يظن أن لا حساب عليه ، وختمت بالأدلة التي توجب الإيمان بالبعث .

١ ، ٢ ، ٣ - أقسم وأؤكد القسم بيوم القيامة - وهو الحق الثابت - وأقسم وأؤكد القسم بالنفس التي تلوم صاحبها على الذنب والتقصير: لتبعثن بعد جمع ما تفرق من عظامكم أيحسب الإنسان - بعد أن خلقناه من عدم - أن لن نجتمع ما بلى وتفرق من عظامه .

٤ - بلى نجمعها قادرين على نسوي ما دق من عظام أصابعه ، : فكيف بما كبر من عظام جسمه .

٥ - بل أينكر الإنسان البعث ، يريد أن يبق على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره كلها؟! .

٦ - يسأل مستبعدا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟! .



٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ ١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ١٥) لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦) إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ١٩) كَلَّا بَلِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤) تَظُنُّ أَنْ

٧، ٨، ٩، ١٠ - فإذا تحير البصر فرعا ودهشا، وذهب ضوء القمر، وقرن بين الشمس والقمر في الطلوع من المغرب، يقول الإنسان يومئذ: أين الفرار من العذاب؟! .

١١، ١٢ - ردعا لك - أيها الإنسان - عن طلب المفر، لا ملجأ لك، إلا إلى ربي - وحده - مستقر العباد من جنة أو نار.

١٣ - يخبر الإنسان يومئذ بما قدمه من عمل وما أخره.

١٤، ١٥ - بل الإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك، ولو طرح معاذيره وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها.

١٦، ١٧ - لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحي لتعجل بقراءته وحفظه، ان علينا جمعه في صدرك، وانبات قراءته في لسانك.

١٨، ١٩ - فإذا قرأ عليك رسولنا فاتبع قراءته منصتا لها، ثم ان علينا بعد ذلك لك بيانه اذا أشكل عليك شيء منه.

٢٠، ٢١ - ردعا لكم عن انكار البعث وهو حق، بل انتم تحبون الدنيا ومتاعها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

٢٢، ٢٣ - وجوه يومئذ حسنة ناعمة، الى رها ناظرة بدون تحديد بصفة أو وجهة أو مسافة.

٢٤، ٢٥ - ووجوه يومئذ كالحة شديدة العبوس، تتوقع أن يفعل بها ما هو في شدته داهية تقسم فقرات الظهر.

يُفَعِّلُ بِهَا فَاقِرَّةً ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مَنِ الرَّاقِ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالتَّفَتِ
 السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
 سُدىً ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَاطِقًا مِنْ مَنَىٰ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُخَالَقًا فَسَوَىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلٌ مِنَ الزَّوْجَيْنِ
 الذَّكَرِ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُبْحِثَ أَلَمَوْنِ ﴿٤٠﴾

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - ردعاً لكم عن حب الدنيا التي تفارقونها اذا بلغت الروح عظام النحر ، وقال
 الحاضرون بعضهم لبعض : هل من راق يرقيه بما به ؟ وظن المحتضر ان الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ،
 وبلغت به الشدة أقصاها ، والتوت احدى الساقين على الأخرى عند نزع الروح ، الى ربك يومئذ مساق العباد ،
 اما الى الجنة واما الى النار .

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ - أنكرو الانسان البعث فلا صدق بالرسول والقرآن ، ولا أدى الله فرائض الصلوات ، ولكن
 كذب القرآن ، فأعرض عن الايمان ، ثم ذهب الى أهله يمد ظهره متبخراً .

٣٤ ، ٣٥ - هلاك لك أيها المكذب فهلاك . ثم هلاك دائم لك فهلاك .

٣٦ - أيحسب هذا الانسان المنكر للبعث أن يترك مهملاً يرتفع في حياته ، ثم يموت ولا يبعث فيحاسب على
 عمله !!

٣٧ ، ٣٨ - ألم يك الانسان نطفة من منى يقدر تكوينه في الرحم ، ثم صار قطعة دم جامد ، فخلقه الله ،
 فسواه في أحسن تقويم ؟!

٣٩ - فجعل منه الصنفين الذكر والأنثى .

٤٠ - أليس ذلك المبدع الفعال لهذه الأشياء بقادر على أن يبْحِثَ الموتى بعد جمع عظامهم ؟!

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَلَانِيذًا
وَأَيَّانَهَا أَحَدَى وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْعًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِاللَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِنًا

تضمنت هذه السورة الكلام على خلق الانسان وابتلائه ، واستعداده لشكر الله أو كفره ، وأجملت الحديث عن جزاء الكافرين ، وفصلت النعيم الذي تفضل الله به على المؤمنين ثم وجهت الخطاب الى رسول الله ﷺ ، وامتننت عليه بإنزال القرآن ، وأمرته بالصبر ودوام الطاعة ، وأندرت من يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، وتحدثت عن العظة بهذه الآيات . وعلقت الانتفاع بها بمشيئة الله تعالى ، وجعلت رحمة الله وعذابه خاضعين لحكمه ومشيئته .

١ - قد مضى على الانسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح ، لم يكن شيئاً يذكر باسمه ، ولا يعرف ما يراد منه .

٢ - انا خلقنا الانسان من نطفة ذات عناصر شتى ، مختبرين له بالتكاليف فيما بعد ، فجعلناه ذا سمع وذا بصر ، ليسمع الآيات ويرى الدلائل .

٣ - انا بينا له طريق الهدى : اما مؤمناً واما كافراً .

٤ - انا أعدنا للكافرين سلاسل لأرجلهم ، وأغلالاً لأيديهم وأعتاقهم ، ونارا موقدة .

٥ ، ٦ - ان الصادقين في إيمانهم يشربون من خمر كان ما تمزج به ماء كافور ، عيناً يشرب منها عباد الله ، يجرونها حيث شاءوا اجراء سهلاً .

٧ - يوفون بما أوجبوا على أنفسهم ، ويخافون يوماً عظيماً كان ضرره البالغ فاشياً منتشرأ كل الانتشار .

وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفِرُكُمْ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا
يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيراً ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا
جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا
وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِعَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ
فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾
* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا

٨ - ويطعمون الطعام مع حبيهم له وحاجاتهم اليه فقيراً عاجزاً عن الكسب ، وصغيراً فقد أباه ، ومأسوراً لا يملك شيئاً .

٩ - ويقولون في أنفسهم : إنما ننعمكم لطلب ثواب الله ، لا نريد منكم عوضاً أو هدية ، ولا نريد منكم ثناء .

١٠ - انا نخاف من ربنا يوماً اشتد عبوس من فيه ، وقطبوا وجوههم وجباههم .

١١ ، ١٢ - فصانهم الله من شدائد ذلك اليوم ، واعطاهم بدل عبوس الفجار حسناً في وجوههم ، وبهجة وفرحاً في قلوبهم ، وجزاهم بصبرهم جنة ملكها هنيء ، وملبسها حرير ناعم الملمس .

١٣ - متكئين في الجنة على السرر ، لا يجدون فيها حر شمس ، ولا شدة برد .

١٤ - وجنة وارفة عليهم ظلال أشجارها ، وسهل لهم أخذ ثمارها تسهيلاً .

١٥ ، ١٦ - ويطوف عليهم خدمهم بأوعية شراب من فضة ، وبأكواب كونت قواير شفافة ، قواير مصنوعة من فضة ، قدرها الساقون تقديراً على وفاق ما يشتهي الشاربون .

١٧ ، ١٨ - ويسقى الأبرار في الجنة خمراً كان ما تترج به ما يشبه الزنجبيل في الطعم ، عيناً في الجنة تسمى - لسلامة شرابها وسهولة مساغها وطيبه - سلسيلاً .

١٩ - ويطوف عليهم للبهجة والسرور غلمان دائمون على حالهم ، إذا أبصرتهم عند طوافهم بخفة

ونشاط - حسبتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم - لؤلؤاً منثوراً حولك مضيئاً .

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾
 إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ تَنْزِيلًا ﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
 طَوِيلًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا
 شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ وَمَا نَسَاءُ وَنَ إِلَّا
 أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾

٢٠ - وإذا أبصرت أى مكان فى الجنة رأيت فيه نعيماً عظيماً وملكاً واسعاً .

٢١ - يعلوهم ثياب من حرير رقيق خضر ، وثياب من حرير غليظ ، وجعلت حلبيهم التى فى أيديهم أساور من فضة ، وسقاهم رهم شراباً آخر طهوراً لا رجس فيه ولا دنس .

٢٢ - ان هذا النعيم أعد لكم جزاء لأعمالكم ، وكان سعيكم فى الدنيا محموداً عند الله مرضياً ومقبولاً .

٢٣ - انا - برحمتنا وحكمتنا - نزلنا عليك القرآن على وجه يسكن به فؤادك ، ويدوم به حفظك ، فلا تنساه أبداً .

٢٤ - فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرتك على أعدائك ، وابتلائك بأذاهم ، ولا تطع من المشركين من هوذا اثم أو مستغرقاً فى الكفر .

٢٥ ، ٢٦ - ودم على ذكر ربك ، فصل الفجر بكرة ، والظهر والعصر أصيلاً ، ومن الليل فصل له المغرب والعشاء ، وتهجد زمناً طويلاً من الليل .

٢٧ - ان هؤلاء الكفرة يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، ويتركون خلف ظهورهم يوماً ثقيلاً كربه ، شديداً هولاه ، فلم يعلموا ما ينجيهم من ذلك .

٢٨ - نحن خلقناهم وأحكنا خلقهم ، واذا شئنا أهلكتناهم وبدلنا أمثالهم ممن يطيع الله تبديلاً .

٢٩ - ان هذه السورة عظة للعالمين ، فمن شاء اتخذ بالإيمان والتقوى الى ربه طريقاً يوصله الى مغفرته وجمته .

٣٠ - وما تشاءون شيئاً من الأشياء الا وقت أن شاء الله ، ان الله كان عليماً بأحوالكم حكماً فيما يشاء ويختار .

٣١ - يدخل من يشاء فى جنته ، فدخولها بفضله ورحمته ، وأذل الظالمين هياً لهم عذاباً أليماً .

(٧٧) سُورَةُ الْمُنَافِقَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ③ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ④ فَالْمُلْقِيَتِ
ذِكْرًا ⑤ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ⑦ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ⑩ وَإِذَا الرَّسُلُ أُقْتَتِ ⑪ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ⑭ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑮ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ⑯ ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

أهم ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة الكلام عن البعث والقيامة واقامة الأدلة على وقوعها، وتهديد من يكذب بها، وتكرير ذلك التهديد بالويل عشر مرات، وتخويفه بما يذوق من الذلة والعذاب، وتبشير المتقين بما يلقونه من الرفاهة والنعم وختامها الويل للكافرين الذي لا يؤمنون بالقرآن.

١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ - أقسم بالآيات المرسله على لسان جبريل الى محمد للعرف والخير، فالآيات القاهرات سائر الأديان الباطلة تنسفها نسفاً، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية في قلوب العالمين نشرًا عظيمًا، فالفارقات بين الحق والباطل فرقا واضحا، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إذاراً لهم وانذاراً فلا تكون لهم حجة: ان الذي توعده من مجيء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه.

٨، ٩، ١٠، ١١ - فاذا النجوم محقت ذواتها، واذا السماء شقت، واذا الجبال فتتت ونسفتها الرياح نسفاً، واذا الرسل عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم.

١٢، ١٣، ١٤، ١٥ - لأي يوم أخرت هذه الأمور العظيمة؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخلائق، وما أعلمك ما شأن يوم الفصل؟ هلاك دائم يومئذ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل.

١٦، ١٧، ١٨ - ألم نهلك الأولين من الأمم المكذبة، ثم تنبع الأولين الآخرين في الهلاك مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وكفر بالله.

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ رَاكِلَيْهِمْ كَأَنَّهُ رِجْلٌ مِّنْ مَّوْجٍ ﴿٣٢﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٣﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٨﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤٠﴾ وَفَوَاكِهٍ مِّمَّا يَسْتَهْوُونَ ﴿٤١﴾ كُلُوا ﴿٤٢﴾

١٩ - هلاك يومئذ للمكذبين بما أوعدنا .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ألم نخلقكم من ماء حقيق وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء في مقر يتمكن فيه ، فيتم خلقه وتصويره مؤخرأ الى وقت قد علمه الله ، فقدرنا على خلقه وتصويره واخرجه ، فنعلم المقدرين الخالقون له نحن !؟ ويل يومئذ للمكذبين بنعمة الخلق والتقدير .

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - ألم نجعل الأرض ضامة على ظهرها أحياء لا يعدون ، وفي بطنها أمواتا لا يحصرون ، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات ، وأسقيناكم ماء عذبا سائغا ؟! هلاك يومئذ للمكذبين بهذه النعمة .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - يقال للكافرين يوم الفصل : سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون ، سيروا الى حرارة دخان من جهنم يتشعب لعظمه ثلاث شعب ، لا مظل من حر ذلك اليوم ، ولا يفي ذلك الظل من حر اللهب شيئا .

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - ان النار ترمي بما تطاير منها كالقصر في العظم ، كأن الشرر جمال سودتضرب الى الصفرة ، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - هذا الذي قص عليكم انه واقع يوم لا ينطقون بشيء ينفعهم ، ولا يكون لهم اذن في النطق ، ولا يصدر منهم اعتذار لأنه لا عذر لهم ، هلاك يومئذ للمكذبين بهذا اليوم .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - هذا يوم الفاصل بين الحق والمبطل بجزاء كل بما يستحقه ، جعلناكم .. يا مكذبي محمد - والأولين المكذبين مثلكم ، فان كان لكم حيلة في دفع هذا العذاب عنكم فاحتالوا ، فأحضروا وتخلصوا من عذابي ، هلاك يومئذ للمكذبين بوعيد الله .

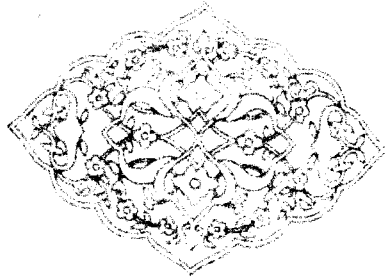
٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ - ان المتقين من عذاب الله في ظلال عظيمة ، وعيون جارية ، وفواكه مما يستلذون ويستطيبون ، مقولا لهم تحية وتكريما : كلوا واشربوا أكلا وشربا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات ، انا مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين ، هلاك يومئذ للمكذبين بالجنة .

وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾

٤٦ ، ٤٧ - ويقال للكافرين : كلوا وتمتعوا متاعاً ليس له بقاء ، انكم مجرمون باسراكم بالله . هلاك يومئذ للمكذبين بالنعم .

٤٨ ، ٤٩ - واذا قيل لهم : صلوا لله ، واخضعوا اليه ، لا يخضعون ولا يصلون ، بل يصررون على استكبارهم . هلاك يومئذ للمكذبين بأوامر الله ونواهيهِ .

٥٠ - فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ان لم يؤمنوا بالقرآن ، مع انه معجزة من السماء ؟!



(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ كِتَابًا
وَأَيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

قررت هذه السورة أمر البعث، وهددت المرتابين فيه، وأقامت الأدلة على امكانه بما عرضت من مظاهر القدرة، وأكدت حصوله، وذكرت بعض علاماته، ثم ذكرت مآل الطاغين ومآل المتقين، وختمت بالانذار والتخويف من هذا اليوم الرهيب.

- ١ - عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضاً؟
- ٢، ٣ - عن الخبر العظيم، خبر البعث الذى هم موغلون فى الاختلاف فيه بين منكر له وشاك فيه.
- ٤ - زجرأ لهم عن هذا التساؤل سيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً.
- ٥ - ثم زجرأ لهم، سيعلمون ذلك عندما يحل بهم النكال.
- ٦ - ألم يروا من آيات قدرتنا أنا جعلنا الأرض ممهدة للاستقرار عليها والتقلب فى أمثاتها!!
- ٧ - جعلنا الجبال أوتاداً للأرض تثبتها^(١).
- ٨ - وخلقناكم مزدوجين ذكوراً واناثاً.

(١) يبلغ سمك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلو متراً، وتكثر فيه التجاويف فيرتفع حيث الجبال وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات، وهو فى حالة من التوازن بسبب الضغوط الناتجة من الجبال ولا يختل هذا التوازن إلا بعوامل التعرية، فقشرة الأرض اليابسة ترسيبها الجبال كما ترسي الأوتاد الخيمة.
(يراجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة ق.)

سَبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً مُّجَاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَقْوَابًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُورِتِ

- ٩ - وجعلنا نومكم راحة لكم من عناء العمل (١).
- ١٠ - وجعلنا الليل ساتراً لكم بما يفطيمكم من ظلمته.
- ١١ - وجعلنا النهار وقت سعى لكم، لتحصيل ما به تعيشون.
- ١٢ - وأقنا فوقكم سبع سموات قويات محكمات.
- ١٣ - وأنشأنا شمساً مضيئة متوقدة (٢).
- ١٤ - وأنزلنا من السحب التي حان أمطارها ماء قوى الانصباب (٣).
- ١٥ - لنخرج بهذا الماء حباً ونباتاً غذاء للناس والحيوان.
- ١٦ - وبساتين ذات أشجار ملتفة متشابكة الأغصان.
- ١٧ - ان يوم الفصل بين الخلائق كان ميعاداً مقدراً للبعث.
- ١٨ - يوم ينفخ في الصور للبعث، فتأتون الى المحشر جماعات جماعات.
- ١٩ - وشققنا السماء من كل جانب فصارت أبواباً.

(١) النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك الواعي من المخ - أي قشرته أو هبوط ذلك النشاط هبوطاً كبيراً متفاوت الدرجات في نشاط كافة أعضاء الجسم وأنسجته مما يترتب عليه انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته - ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيباً من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أو كليهما، فتهدأ جميع وظائف الجسم الحيوية، ما عدا عمليات الهضم وإفراز البول من الكلتيين والعرق من الجلد فإن في وقف هذه العمليات الأخيرة ضرراً على حياة الفرد أما التنفس مثلاً فيبطئ ويصير أكثر عمقا ويفدو صدريا أكثر منه بطنياً، وتبطئ سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفقه من القلب من كل ضربة، ويضعف توتر العضلات ويصير من الصعب الحصول على الحركات العكسية وكل هذا بسبب الراحة للانسان أثناء نومه.

(٢) المراد بالسراج الوهاج: الشمس، وذلك كما ثبت علمياً من أن درجة حرارة سطحها المشع تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقاً، أما المركز فتزيد فيه درجة الحرارة على ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المواد فيه من الضغوط العالية، وتضع الشمس النسب الآتية من الطاقات ٩% أشعة فوق البنفسجية، ٤٦% أشعة ضوئية، ٤٥% أشعة حرارية، أو تحت الحمراء، ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذي يطلق للضوء والحرارة معا.

(٣) المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض. والأصل في المطر تكاثف أبخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار ونحوها على شكل سحب وتحولها إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أوهما معا، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجمها على هيئة مطر أو برد.

الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّغْيِينِ مَقَابًا ۚ لَلنَّاسِ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ۚ جَزَاءً وَفِاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۚ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۚ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۚ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۚ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۚ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۚ

٢٠ - وسيرت الجبال بعد قلعها من مقارها وتفتتها، فصارت تريك صورة الجبال وهي غبار متكاف، كالسراب يريك صورة الماء وليس بماء.

٢١ - ان جهنم كانت موضع رصد يترقب منه الخزنة أهلها.

٢٢ - للمعتدين حدود الله مرجعاً ونزلاً.

٢٣ - ماكين فيها دهوراً متتابعة.

٢٤ - لا يذوقون فيها نسيماً ينفس عنهم حرها، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها.

٢٥ - لكن يذوقون ماء بالغا الغاية في الحرارة، وصديداً يسيل من جلود أهلها.

٢٦ - جزاء موافقاً لأعمالهم السيئة.

٢٧ - انهم كانوا لا يتوقعون الحساب، فيعملوا للنجاة منه.

٢٨ - وكذبوا بآيات الله الدالة على البعث تكذيباً شديداً.

٢٩ - وكل شيء ضبطناه كتابة.

٣٠ - فذوقوا، فلن يكون لكم منا الا مزيد من عذاب شديد.

٣١ - ان للذين يتقون رهم نجاة من العذاب وظفراً بالجنة.

٣٢ - حدائق مثمرة وأعناباً طيبة.

٣٣ - وعذارى نواهد متائلات في السن.

٣٤ - وكأساً ممتلئة صافية.

٣٥ - لا يسمعون في الجنة لغواً من القول ولا كذباً.

٣٦ - جزاء عظيماً من ربك، تفضلاً منه واحساناً كافياً.

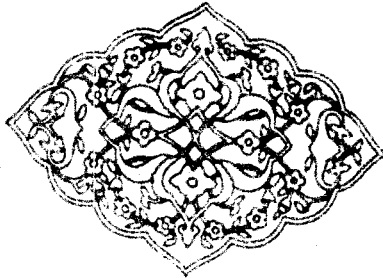
٣٧ - رب السموات والأرض وما بينها، الذي وسعت رحمته كل شيء، لا يملك أحد حق مخاطبته.

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقِّ
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
 يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

٣٨ - يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفين خاشعين ، لا يتكلم أحد منهم الا من اذن له الرحمن بالكلام .
 ونطق بالصواب .

٣٩ - ذلك اليوم الذي لا شك فيه ، فمن شاء اتخذ الى ربه مرجعاً كريماً بالايمان والعمل الصالح .

٤٠ - انا حذرناكم عذاباً قريباً وقوعه ، يوم ينظر المرء ما قدمت يده من عمل ، ويقول الكافر متمنياً
 الخلاص : يا ليتني بقيت تراباً بعد الموت ، فلم أبعث ولم أحاسب .



(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتُّ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخْرَجُ ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذْكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ

بدأت هذه السورة بالقسم على إمكان البعث ووقوعه، وعقب ذلك بالحديث عن موسى وفرعون تسليية لرسول الله ﷺ، وذكرت الانسان بسعيه، وأبرزت ما ينتظر الطغاه وما ينتظر الخائنين، وختمت السورة بتساؤل المشركين عن وقت الساعة، وبيان أن وظيفة الرسول انذار من يخشاها لا علم وقتها.

- ١- أقسم بكل ما أودعت فيه قوة نزع الأشياء من مقارها بشدة.
- ٢- وبكل ما أودعت فيه قوة اخراج الأشياء في خفة ولين.
- ٣- وبكل ما أودعت فيه السرعة في تأدية وظائفه بسهولة ويسر.
- ٤- فالسابقات التي تسبق في اداء ما وكل اليها سبقا عظيما.
- ٥، ٦، ٧- فالمدبرات التي تدبر الأمور وتصرفها بما أودع فيها من خصائص، لتقومن الساعة يوم تزلزل النفخة الأولى جميع الكائنات، وتتبعها النفخة الثانية التي يكون معها البعث.
- ٨- قلوب في ذلك اليوم فزعة خائفة.
- ٩- أبصار أصحابها حزينة ذليلة.
- ١٠- يقول هؤلاء في الدنيا منكرين للبعث: أترد بعد الموت الى الحلقة الأولى كما كنا؟!.
- ١١- أنذا صرنا عظاما بالية نرد ونبعث من جديد؟
- ١٢- قالوا- منكرين- مستهزئين- تلك الرجعة ان وقعت رجعة خاسرة، ولسنا أهل خسران.

وَاحِدَةً ١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦
 أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَفْنَى ١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى ١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ١٩
 فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَى ٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
 الْأَعْلَى ٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَيْحَةِ وَالْأُولَى ٢٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَحْشَى ٢٦ ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ حَلْقًا أَمْ
 السَّمَاءُ بَنَاهَا ٢٧ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ٢٨ وَأَغَطَّسَ لَيْلَهَا وَأَنجَحَ صُحَّهَا ٢٩ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ٣٠

- ١٣ ، ١٤ - لا تحسبوا الرجعة عسيرة، فإنما هي صيحة واحدة، فإذا الموق حضور بأرض المشر.
- ١٥ ، ١٦ - هل أتاك - يا محمد - حديث موسى، حين ناداه ربه بالوادي المطهر، المسمى «طوى».
- ١٧ - أذهب إلى فرعون، الذي جاوز الحد في الظلم.
- ١٨ - قل هل لك ميل إلى أن تتطهر؟
- ١٩ - وارشدك إلى معرفة ربك، فتخشاه.
- ٢٠ - فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى.
- ٢١ - فكذب فرعون موسى فيما جاء به، وعصاه فيما دعاه إليه.
- ٢٢ - ثم تولى عنه يجتهد في معارضته.
- ٢٣ ، ٢٤ - فجمع السحرة، ودعا الناس فقال: أنا ربكم الأعلى.
- ٢٥ - فعذبه الله عذاب المقالة الآخرة: وهي أنا ربكم الأعلى، وعذاب المقالة الأولى: وهي تكذيبه لموسى عليه السلام.
- ٢٦ - إن في ذلك الحديث لعظة لمن يخاف الله.
- ٢٧ ، ٢٨ - أخلقكم أيها المنكرون للبعث أم خلق الساء؟ أضم أجزاءها المتفرقة بعضها إلى بعض، رفع جرمها فوقنا، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا خلل.
- ٢٩ - وأظلم ليلها وأظهر نهارها.
- ٣٠ - والأرض بعد ذلك بسطها ومهدا لسكنى أهلها.

أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أُرْسِنَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُرِّي ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
 الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾
 وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
 مُنْتَهَلَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْسَبُهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾

٣١- أخرج منها ماءها بتفجير عيونها واجراء أنهارها ونباتها ليقنتا به الناس والدواب .

٣٢- والجبال نبتا .

٣٣- متاعا لكم ولانعامكم .

٣٤- فاذا جاءت القيامة التي تعم أرواها .

٣٥- يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير أو شر .

٣٦- وأظهرت الجحيم اظهارا بينا ، يراها كل ذى بصر وقع الجزاء .

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩- فأما من تجاوز الحد بعصيانه ، واختار لنفسه الحياة الفانية ، فإن النار المتأججة في مهواة
 المنزل لا غيرها .

٤٠ ، ٤١- وأما من خاف عظمة ربه وجلاله ، وكف نفسه عن الشهوات ، فإن دار النعيم هي المنزل
 لا غيرها .

٤٢- يسألونك - يا محمد - عن الساعة متى وقوعها ؟!

٤٣- ليس علمها اليك حتى تذكرها لهم .

٤٤- الى ربك منتهى علمها لا الى غيره .

٤٥- إنما واجبك انذار من يخاف لا الاعلام بوقتها .

٤٦- كأنهم يوم يشاهدونها لم يلبثوا في الدنيا الا مقدار عشية أو ضحاها .

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ بِمَكِينِنَا
وَأَيَّانَهَا شَذَنَانِ وَأَرْجُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ④ أَمَّا مَنْ
أَسْتَفْنَى ⑤ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ⑦ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخْشَى ⑨
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ⑩ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ⑫ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ⑬ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ⑭

بدأت هذه السورة بعتاب النبي - ﷺ - على ما كان من اعراضه عن ابن أم مكتوم، حين جاءه راغبا في العلم والهداية، وقد كان النبي ﷺ مشغولا بدعوة سادة قريش، رجاء أن يستجيبوا له، فيسلم باسلامهم خلق كثير. ثم ذكرت الانسان بنعم الله عليه منذ نشأته الى نشوره، وختمت بالحديث عن يوم القيامة، مبينة أن الناس فيه فرقان: مؤمنة مستبشرة، وكافرة فاجرة.

- ١ - تغير وجهه كارها وأعرض.
- ٢ - لأن جاءه الأعمى يسأل عن أمر دينه.
- ٣ - وما يدريك لعل هذا الأعمى يتطهر بما يتلقاه عنك.
- ٤ - أو يتعظ فتنفعه العظة.
- ٥، ٦ - أما من استغنى بثروته وقوته، فأنت تقبل عليه، وتهتم بتبليغه دعوتك.
- ٧ - وأى شئ عليك إذا لم يتطهر بالايمان؟!
- ٨، ٩، ١٠ - وأما من جاءك يسرع لطلب العلم والهداية، وهو يخاف الله فأنت عنه تتشاغل.
- ١١ - حقا ان هذه الآيات عظة.
- ١٢ - فمن شاء اتعظ بالقرآن.
- ١٣ - هو في صحف مكرمة عند الله.
- ١٤ - عالية القدر والمكانة، منزهة عن كل نقص.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑩ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ⑪ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ⑫ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ وَخَلَقَهُ ⑬ مِنْ نُطْفَةٍ
 خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ⑭ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ⑮ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ⑯ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ⑰ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
 مَا أَمَرَهُ ⑱ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ⑲ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ⑳ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ㉑
 فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ㉒ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ㉓ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ㉔ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ㉕ وَفَلَكِهِمْ وَأَبًّا ㉖

١٥ - بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله .

١٦ - أخيار محسنين .

١٧ - هلاكا للانسان ، ما أكفره مع احسان الله اليه !!

١٨ - أما يذكر من أى شئ خلقه ؟!

١٩ - من ماء مهين ، بدأ خلقه فقدره أطوارا .

٢٠ - ثم الطريق الى الايمان يسره له ، وأعلمه به .

٢١ - ثم أماته ، فكرمه بأن يقبر .

٢٢ - ثم إذا شاء أحياه بعد الموت .

٢٣ - حقا لما يقض الانسان - مع امتداد حياته في الدنيا - ما أمره الله به من الايمان والطاعة .

٢٤ - فليتأمل الانسان شأن طعامه ، كيف دبرناه ويسرناه !!

٢٥ - إنا انزلنا الغيث من السماء انزالا .

٢٦ - ثم شققنا الأرض بالنبات شقا .

٢٧ - فأنبتنا فيها حبا يقات به الناس ويدخرونه .

٢٨ - وعنبا ونباتا يؤكل رطبا .

٢٩ - وزيتونا طيبا ، ونخلا مشمرا .

٣٠ - وحدائق ملتفة الأغصان .

٣١ - وثمارا يتفكه بها ، وعشبا تأكله البهائم .

مَتَعَلَّكُمُ وَلَا نَعْمَكُمُ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلْبَتِهِ
 وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكٌ مُّسْتَبْشِرٌ ﴿٣٩﴾
 وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ غَمْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَتْرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾

٣٢ - أنبتنا ذلك متاعا لكم ولأنعامكم .

٣٣ - فإذا جاءت صيحة القيامة التي تصم الأذان .

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - يوم يهرب المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وبنيه .

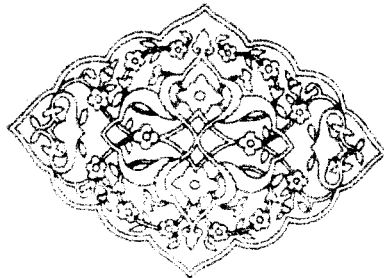
٣٧ - لكل امرئ من هؤلاء في هذا اليوم شأن يشغله .

٣٨ ، ٣٩ - وجوه في هذا اليوم مضيئة مشرقة مسرورة بنعيم الله .

٤٠ - وجوه في هذا اليوم عليها غبار وكدورة .

٤١ - تغشاها ظلمة وسواد .

٤٢ - أولئك أصحاب هذه الوجوه الكفرة الفجرة ، الذين لا يبالون ما ارتكبوا من المعاصي .



(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيْرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾

في هذه السورة تصوير لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعد قيامها ، وعرض لمظاهر القدرة ، وتأکید لشأن القرآن الكريم ، ودفع الفرية عنه ، وتنزيهه للرسول عن الجنون ، وتهديد للمتأدين في الضلال ، وتوجيه إلى ما في القرآن من عبر ينتفع بها أهل الاستقامة ، ورد أمر الناس لمشينة رب العالمين .

- ١ - إذا الشمس لفت وحي ضوءها .
- ٢ - وإذا النجوم انطمس نورها .
- ٣ - وإذا الجبال حركت من أماكنها .
- ٤ - وإذا من شأنه أن يحمل فقد خاصته .
- ٥ - وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأججارها ، ذاهلة من شدة الفزع .
- ٦ - وإذا البحار تأججت نارا .
- ٧ - وإذا الأرواح قرنت بأجسادها .
- ٨ ، ٩ - وإذا المدفونة حية سئلت - ترضية لها ، وسخطا على من وأدها - بأى جريمة قتلت ، ولا ذنب لها .
- ١٠ - وإذا الصحف التي كتبت فيها أعمال أصحابها بسطت عند الحساب .
- ١١ - وإذا السماء أزيلت من مكانها .
- ١٢ - وإذا النار أوقدت أيقادا شديدا .

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾
وَالْيَلِيلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

١٣ - وإذا الجنة أنزلت وقربت .

١٤ - وإذا حدثت تلك الظواهر علمت كل نفس ما قدمته من خير أو شر .

١٥ - فأقسم قسما مؤكدا بالنجوم التي تنقبض عند طلوعها ، فيكون ضوءها خافتا .

١٦ - الجارية التي تستتر وقت غروبها ، كما تستتر الطباء في مغاراتها .

١٧ - وبالليل اذا خف ظلامه عند إداره .

١٨ - وبالصبح اذا بدأ ضوءه وهب نسيمه .

١٩ - إن القرآن لقول رسول من الله كريم عليه .

٢٠ - صاحب قوة في اداء مهمته ، صاحب مكانة ومنزلة عند الله ذي العرش .

٢١ - مطاع أمين على الوحي هناك في الملاء الأعلى .

٢٢ - وما رسولكم الذي صاحبتموه وعرفتم رجاحة عقله بمجنون .

٢٣ - وأقسم : لقد رأى محمد - ﷺ - جبريل بالافق المظهر لما يرى فيه .

٢٤ - وما محمد على الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتعليمه .

٢٥ - وما الوحي المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله .

٢٦ - فأى طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون ؟؟ !

٢٧ - ما القرآن الا تذكير وموعظة للعالمين .

٢٨ - لمن أراد منكم الاستقامة لتحرى الحق والصواب .

٢٩ - وما تشاءون شيئا الا أن يشاء الله رب العالمين ذلك .

سورة الأنفطار مكية
وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

عرضت هذه السورة طائفة من أهوال الساعة بأسلوب مؤذن بتحقيق الوقوع في يوم تعلم فيه كل نفس ما قدمت وما أخرت ، وانتقلت الآيات الى تحذير الانسان المغرور بربه الذي خلقه فسواه فركبه في أبداع صورة وأحسن تقوم مقررة تكذيبه بيوم الدين ، مؤكدة وجود ملائكة عليه حافظين كراما كاتبين ، وعقبت ذلك بما يكون للابرار من نعيم ، وما يكون للفجار من جحيم . يصلونها يوم القيامة ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، ويكون الأمر كله لله .

- ١ - اذا السماء انتثرت .
- ٢ - وإذا الكواكب تساقطت متبعثرة .
- ٣ - وإذا البحار فتح بعضها في بعض بزوال الحواجز بينها .
- ٤ - وإذا القبور بعثرت فخرج من فيها من الموتى .
- ٥ - علمت نفس ما أسلفت من خير أو شر ، وما أخرت من ذلك .
- ٦ - يا أيها الانسان : أى شئ خدعك بربك الكريم حتى تجرات على معصيته ؟ !
- ٧ - الذى أوجدك من العدم ، فخلق لك أعضاء تنتفع بها ، يجعلك معتدلا تناسب المخلوق .
- ٨ - فى أى صورة من الصور شاءها ركبك وأوجدك عليها .
- ٩ - ردعا لكم ، بل تكذبون بالجزاء يوم القيامة .

كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
 يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
 الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وإن عليكم لملائكة حافظين . كراما لدنيا ، مسجلين عليكم أعمالكم يعلمون الذى تفعلونه من

خير وشر .

١٣ - إن الصادقين فى إيمانهم لى نعيم عظيم .

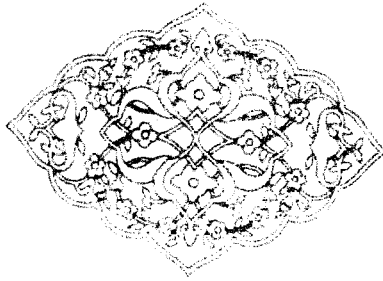
١٤ ، ١٥ - وإن الذين انشقوا عن أمر الله لى نيران محرقة يدخلونها يوم الجزاء .

١٦ - وما هم عن جهنم بمخرجين .

١٧ - وأى شىء أعلمك ما يوم الجزاء ، وأمره خارج عن درابتك وتصورك ؟!

١٨ - ثم أى شىء أعلمك ما يوم الجزاء فى الهول والشدة ؟!

١٩ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من النفع أو الضرر والأمر يومئذ لله وحده .



سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَيِّئَاتُ وَشَلَاوِكُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ

بدأت هذه السورة بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيًا . ويعطى غيره ناقصًا . وصورت ذلك بما قامت عليه معاملات الناس في استيفاء حقوقهم من الكيل والوزن ، وهددت هذا النوع بوقوع البعث والحساب ، وقررت أن أعمالهم مسجلة عليهم في كتاب مرقوم ، لا يكذب به الا كل معتد أنهم محجوب عن ربه ، مصيره الى جهنم . وانتقلت الآيات الى الأبرار فطمأنتهم على أعمالهم ، وذكرت نعيمهم وسماتهم ، مشيرة الى نوع من النعيم فيه يتنافس المتنافسون ، وصورت الآيات ما كان يفعله الكفار المجرمون مع المؤمنين حين يرونهم أو حين يربهم المؤمنون ، وختمت السورة بتطمين المؤمنين الى أن يوم القيامة سينصفهم ، فيكونون في النعيم ، من الكفار يضحكون ، على الأرائك ينظرون ، فيثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

١ ، ٢ ، ٣ - هلاك للمطففين الذين اذا أخذوا لأنفسهم الكيل من الناس يأخذونه وافيًا زائدًا ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم حقهم الواجب لهم اعتداء عليهم .

٤ ، ٥ - ألا يخظر ببال هؤلاء المطففين أنهم سيبعثون ليوم عظيم الهول .

٦ - يوم يقوم الناس لأمر رب العالمين وقضائه .

٧ - ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن البعث . إن ما كتب على الفجار من عملهم السيء لفي سجين .

٨ - وما أعلمك ما سجين ؟!

٩ - هو كتاب مسطور بين الكتابة .

١٠ - هلاك للمكذبين يوم إذ يكون البعث والجزاء .

يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
 لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ
 يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي
 ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

١١ - الذين يكذبون بيوم الجزاء .

١٢ - وما يكذب بيوم الجزاء الا كل متجاوز الحد كبير الذنب .

١٣ - إذا تلى عليه آيات الله الناطقة بمحصول الجزاء قال : باطيل السابقين .

١٤ - ارتدع - أي المعتدى - عن هذا القول الباطل ، بل غطى على قلوب المعتدين ما اكتسبوه من الكفر والمعاصي .

١٥ - حقا ان المكذبين عن رحمة ربهم يومئذ لمحجوبون بسبب ما اكتسبوه من المعاصي .

١٦ - ثم انهم لداخلون الجحيم .

١٧ - ثم يقال تبكيئا لهم : هذا العذاب النازل بكم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا .

١٨ - حقا إن ما يكتب من أعمال المحسنين لفي عليين .

١٩ - وما أعلمك ما عليون ؟ !

٢٠ ، ٢١ - هو كتاب مسطور بين الكتابة ، يحضره ويحفظه المقربون من الملائكة .

٢٢ ، ٢٣ - إن الأبرار لفي نعيم الجنة . على الأرائك ينظرون الى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة .

٢٤ - تعرف في وجوههم بهجة النعيم ونضارته .

٢٥ ، ٢٦ - يسقون من شراب خالص مصون لا تزيده الصيانة الا طيبا ، وفي نيل ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون .

٢٧ - ٢٨ - ومزاج الرحيق من ماء تسنيم في الجنة : عينا يشرب بها المقربون دون غيرهم من أهل الجنة .

أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾
 فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

٢٩- إن الذين ارتكبوا الجرم في حق الدين كانوا يضحكون استهزاء في الدنيا من الذين آمنوا.

٣٠- وإذا مر المؤمنون بهم يغمز بعضهم بعضا استهزاء.

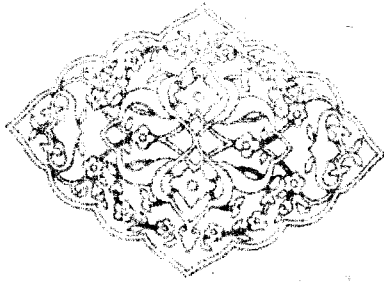
٣١- وإذا رجع الجرمون الى أهلهم رجعوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين.

٣٢، ٣٣- وإذا رأوا المؤمنين قالوا: ان هؤلاء لضالون لايمانهم بمحمد. وما أرسل هؤلاء الجرمون حاكمين عليهم بالرشد أو الضلال، حافظين لأعالمهم.

٣٤- فيوم الجزاء الذين آمنوا من الكفار يضحكون جزاء ما ضحكوا سخرية بهم في الدنيا.

٣٥- على الأسرة والنتكات ينظر المؤمنون ما أولاهم الله من النعيم.

٣٦- هل جوزى الكفار في الآخرة ما كانوا يفعلون في الدنيا!؟



(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلِقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

ذكرت هذه السورة بعض أشراف الساعة ، وخضوع الأرض والسماء لتصرفه تعالى ، وأفادت أن الانسان مسوق الى لقاء ربه ، وأن عمله مسجل عليه في كتاب سيلقاه ، فن أخذه باليمين كان حسابه يسيرا ، ومن أخذه بالشمال استجار من لقاء العذاب واصطلى النيران ، ثم أقسم - سبحانه - بظواهر من آياته تشهد بقدرته وتدعو الى الايمان بالبعث ، ومع ذلك فالذين كفروا لا يؤمنون ولا يتدبرون القرآن ولا يخضعون لأحكامه . ثم ختمت بتهديدهم بأن الله يعلم ما يضمرون ، وأنه أعد لهم العذاب الأليم ، كما أعد للمؤمنين الأجر الدائم الذي لا ينقطع .

- ١ - إذا السماء انصدعت يؤذن بزوالها .
- ٢ - وسمعت لربها وأطاعت ، وجدير بها أن تسمع وتطيع .
- ٣ - وإذا الأرض زادت سعة بدك جبالها وازالة أكامها .
- ٤ - ورمت ما بجوفها من الموقى والكنوز ، وتخلت عنه .
- ٥ - وانقادت لربها في زيادة سعتها والقاء ما في جوفها وتخليها عنه وحقيق بها ذلك . إذا حدث كل ما تقدم لى كل انسان جزاء عمله .
- ٦ - يأتيها الانسان : انك مجد في عملك جدا يوصلك الى غايتك ، فلاق ربك بعملك ، فيجازيك عليه .
- ٧ ، ٨ ، ٩ - فأما من أعطى كتاب عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ويرجع الى عشيرته من المؤمنين مبتهجا .

وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصَلَّى سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ
 لَنْ يَحُورَ ١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥ فَلَا أَقْسَمُ بِالسَّفْقِ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨
 لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبِقٍ ١٩ فَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢١ بَلِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وأما من أوتى كتابه بشأله من وراء ظهره تحقيرا لأمره ، فسوف يصبح متمنيا هلاك نفسه ، ويدخل جهنم يحترق بناورها .

١٣ - انه كان بين أهله في الدنيا مسرورا بما أوتيه لاهيا عن العمل لعاقبته .

١٤ - انه ظن أنه لن يرجع إلى الله فيحاسبه .

١٥ - بلى سيرجع ويحاسب ، وان ربه كان به وبأعماله بصيرا .

١٦ - فأقسم قسما مؤكدا بحجرة الأفق بعد الغروب .

١٧ - والليل وما جمع ولف في ظلمته من الناس والدواب وغيرها .

١٨ ، ١٩ - والقمر إذا تكامل وتم نوره ، لتلاقن حالا بعد حال بعضها أشد من بعض من الموت والبعث وأهوال القيامة .

٢٠ - فأى شيء لهؤلاء الجاحدين يمنعهم من الايمان بالله والبعث بعد وضوح الدلائل على وجوبه .

٢١ - وإذا سمعوا آيات القرآن لا يسجدون ولا يخضعون .

٢٢ - بل هؤلاء - لكفرهم - يكذبون عنادا وتعاليا عن الحق .

٢٣ - والله أعلم بما يضمرون في قلوبهم .

٢٤ - فبشرهم بعذاب أليم مستهزئا بهم .

٢٥ - لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم .

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ④
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

في هذه السورة تسلية وتذكير للمؤمنين ، وتهديد ووعيد للمعانددين ، بدأت بقسمه تعالى بظواهر قدرته على أن المتعرضين لا يذاه المؤمنين سيطرودون من ساحة الرحمة كما طرد من سلك سبيلهم ممن سبقوهم من الأمم . وأخذت السورة تقص فعل الطغاة بالمؤمنين ، وأتبع ذلك بوعيد المؤمنين وتخويف الطاغين . وأن الحق في كل المصور معرض لناواة المناوئين ، وإن القرآن الذي هو دعامة الحق - وإن كذب به القوم - فهو في منأى عن الشك ، لأنه في لوح محفوظ عند الله .

- ١ - أقسم بالسما ذات المنازل التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها (١) .
- ٢ - وباليوم الموعود للحساب والجزاء .
- ٣ - ومحاضر من الخلائق في هذا اليوم وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب .
- ٤ - لقد لعن الله أصحاب الشق المستطيل في الأرض .
- ٥ - أصحاب النار ذات الوقود التي أضرموها لعذاب المؤمنين .
- ٦ - إذ هم على حاققتها قعود يشهدون عذاب المؤمنين .
- ٧ - وهم على الذي يفعلون بالمؤمنين - من تعذيبهم - حضور .

(١) البروج هي هذه المجموعات من مواقع النجوم التي تظهر على أشكال مختلفة في السماء مقسمة إلى اثني عشر قسماً تمر خلالها الأرض والكواكب في أثناء دورتها حول الشمس . ولما كان مستوى مدار القمر خلال دورته حول الأرض وهي « التي تسمى بمنازل القمر » وهي أيضاً مجموعة من النجوم على أشكال مختلفة فقد جمع الشاعر القديم أسماء هذه البروج الاثني عشر في هذين البيتين :

ورعى الليث سنبل الميزان
ومن الدلو مشرب الحيتان

حمل الثور جوزة السرطان
ورمى عقرباً وقوساً بجدي

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
 إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
 لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا
 يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
 مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

٨ - وما أنكروا من المؤمنين إلا إيمانهم بالله القوى الذى يخشى عقابه، الحميد الذى يرجى ثوابه.

٩ - الذى له - وحده - ملك السموات والأرض، والله على كل شيء مما يفعله المؤمنون والكافرون شهيد يشهد ذلك ويجزى عليه.

١٠ - ان الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات في دينهم بالأذى والتعذيب بالنار، ثم لم يرجعوا عن ذلك، فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق باحراقهم المؤمنين.

١١ - ان الذين جمعوا إلى الايمان بالله العمل الصالح، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك النعيم الذى جوزوا به هو الفوز الكبير.

١٢ - ان أخذ ربك للجباية والظلمة بالغ الغاية في الشدة.

١٣ - انه وحده يبدأ الخلق ويعيدهم.

١٤ - وهو كثير المغفرة لمن تاب وأناب، كثير المحبة لمن أحبه وأطاعه.

١٥ - صاحب العرش ومالكة، العظيم فى ذاته وصفاته.

١٦ - فعال لما يريد لا يتخلف عن قدرته مراد.

١٧ - هل أتاك - يا محمد - حديث الجموع الطاغية من الأمم الخالية؟!

١٨ - قوم فرعون وثمود وما حل بهم من جزاء تماديهم فى الباطل.

١٩ - بل الكافرون من قومك أشد فى تكذيبهم لك من تكذيب هؤلاء لرسولهم.

٢٠ - والله متمكن منهم، عالم بهم.

٢١ - بل ما جئتهم به قرآن عظيم بين الدلالة على صدقك.

٢٢ - فى لوح محفوظ لا ترقى إليه قوة بتحريف أو تبديل.

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ

افتتحت هذه السورة بقسم يشير إلى دلائل القدرة، ويؤكد أن كل نفس عليها مهيمن ورقيب، وطلبت أن يفكر الانسان في نشأته، وأنه خلق من ماء دافق، ليستدل بذلك على أن الذي أنشأه هكذا قادر على اعادته بعد موته، ثم ننت بقسم آخر على أن القرآن قول فصل وما هو بالهزل، ومع كونه كذلك فقد جد الكفار في انكاره والكيد له، وقد رد الله كيدهم بكيد أشد من كيدهم، ثم ختمت السورة بطلب امهال الكافرين.

١ - أقسم بالسما والنجم الذي يظهر ليلا.

٢ ، ٣ - وأي شيء أعلمك ما حقيقة هذا النجم؟! هو الذي ينفذ ضوؤه في الظلام.

٤ - ما كل نفس الا عليها حافظ يرقبها ويحصى عليها أعمالها.

٥ - فليفكر الانسان من أي شيء خلق!؟

٦ - خلق الانسان من ماء متدفق.

٧ - يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظام الصدر من الرجل والمرأة^(١).

(١) الصلب هو منطقة العمود الفقري - والترائب هي عظام الصدر.

وقد بينت الدراسات الجينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسل والجهاز البولي في الجنين تظهر بين الخلايا الضرورية المكونة لعظام العمود الفقري وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر.

وتبقى الكلى في مكانها وتنزل الحصى إلى مكانها الطبيعي في الصفن عند الولادة. وعلى الرغم من المنحدر الحصى إلى أسفل فإن الشريان الذي يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بجذء الشريان الكلوي.

كما أن العصب الذي ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدري العاشر الذي يغادر النخاع الشوكي بين الضلعين العاشر والحادي عشر.

وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع في الجسم بين الصلب والترائب « العمود الفقري والقفص الصدري ».

لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَابُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
 الصَّدَعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلٍ
 الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

٨ - ان الله الذى خلقه هكذا ابتداء لقادر على اعادة خلقه بعد موته .

٩ - يوم تمتحن الضائتر ويميز بين ما طاب منها وما خبت .

١٠ - فا للانسان فى ذلك الوقت من قوة بنفسه يمتنع بها ، ولا ناصر ينتصر به .

١١ - أقسم بالسما ذات المطر الذى يعود ويتكرر .

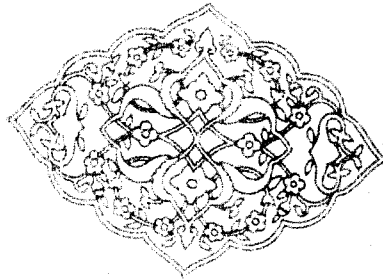
١٢ - وبالأرض ذات الانشقاق عن النبات الذى يخرج منها .

١٣ ، ١٤ - ان القرآن فاصل بين الحق والباطل ، وليس فيه شائبة اللعب والباطل .

١٥ - ان المكذبين بالقرآن يمكرون فى ابطال أمره مكرًا بالغ الغاية .

١٦ - وأجازهم وأقابل كيدهم بكيد متين لا يدفعونه .

١٧ - فانظر الكافرين ، أمهلهم أمهالا قريبا حتى أمرك فيهم بأمر حاسم .



(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى الْحَكِيمَا
وَأَيَّانَهَا سِتْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْتَى ⑦ وَيَنْسِرُكَ

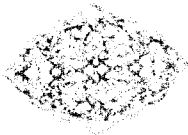
بدت هذه السورة بتنزيه من خلق الأشياء فجعلها سواء في الاتقان ، وقدر لكل شيء ما يصلحه ، فهداه إليه ، وأنت المرعى فجعله غثاء أحوى ثم أخبرت الآيات أن الله سيقريه رسوله القرآن ، فيحفظه ولا ينسى منه شيئاً إلا ما شاء الله ، ويسره لليسرى ، ثم أمرت الرسول أن يذكر بالقرآن ليذكر من يخشى ، ويتجنب الذكرى الأثقى الذى يصلى النار الكبرى . وأكدت الآيات أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصل . وختمت السورة ببيان أن ما جاء فيها ثابت في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

- ١ - نزه اسم ربك الأعظم عما لا يليق به .
- ٢ - الذى خلق كل شيء فجعله مستوى الخلق فى أحكام واتساق .
- ٣ - والذى قدر لكل شيء ما يصلحه فهداه إليه .
- ٤ - والذى أخرج من الأرض ما ترعاه الدواب من صنوف النباتات .
- ٥ - فصيره بعد الخضره يابساً مسوداً .
- ٦ - سنجعلك - يا محمد - قارئاً بالهام منا ، فلا تنسى ما تحفظ .
- ٧ - الا ما شاء الله أن تنساه ، انه تعالى يعلم ما يبهر به عباده وما يخفونه من الأقوال والأفعال .

لِّلْيُسْرَى ۝٨ فَذَكَرَ إِذْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩ سَبَدَّ كُرْمٌ مِنْ يَحْشَى ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصَلِّي
النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝١٩

وموسى ١٩

- ٨ - ونوفقك للطريقة البالغة اليسر في كل أحوالك .
- ٩ - فذكر الناس ان نفعت الذكرى ، فشأنها أن تنفع .
- ١٠ - سينتفع بتذكيرك من يخاف الله .
- ١١ - ويتجنب الذكرى الأشقى المصر على العناد والكفر .
- ١٢ - الذى يدخل النار الكبرى المعدة للجزاء .
- ١٣ - ثم لا يموت في النار فيستريح بالموت ، ولا يحيا حياة يهتأ بها .
- ١٤ - قد فاز من تطهر من الكفر والمعاصي .
- ١٥ - وذكر اسم خالقه بقلبه ولسانه فصلى خاشعا ممتلا .
- ١٦ - لم تفعلوا ما يودى إلى الفلاح ، بل تقدمون في اهتمامكم الحياة الدنيا على الآخرة .
- ١٧ - والآخرة خير من الدنيا بصفاء نعيمها ، وأبقى بدوامه .
- ١٨ ، ١٩ - ان هذا المذكور في هذه السورة لثابت في الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى فهو مما توافقت فيه الأديان وسجلته الكتب السماوية .



(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَإِنِّي أَنهَايْتُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

بدأت السورة بأسلوب يشوق إلى سماع الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه، مشيرة إلى أن الناس فيه قسبان: فمنهم من لا يرون فيه كرامة عند استقبالهم ويدخلون نارا حامية، ومنهم من يستقبلونه فرحين بمظاهر الرحمة والرضوان المعدة لهم، ثم ساق الأدلة الواضحة على قدرته تعالى على البعث مما يشاهدونه بأعينهم ويتفجعون به في حياتهم، وبعد ذكر هذه الأدلة انتقلت إلى أمر الرسول بالتذكير لأنه مهمته الأولى بالنسبة إليهم، مبينة أنه ليس مسلطا عليهم فيجبرهم على الايمان، وأن من تولى وكفر بعد هذا التذكير فسوف يأخذه الله بذنبيه ويعذبه العذاب الأكبر، حين يرجع إليه بعد الموت لأن رجوعهم جميعا إليه وحسابهم جميعا عليه.

- ١ - هل أتاك يا محمد حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها.
- ٢، ٣ - وجوه يوم القيامة ذليلة، دائبة العمل فيما يتعبها ويشقىها في النار.
- ٤ - تدخل نارا شديدة الحرارة.
- ٥ - تسقى من عين تناهى حرها.
- ٦ - ليس لهم طعام الا من نوع خبيث يعذب به أكله.
- ٧ - لا يؤثر سمن في الأجسام ولا يدفع شيئا من جوع.
- ٨، ٩، ١٠ - وجوه يوم القيامة ذات نضارة لجزاء عملها الذي عملته في الدنيا، راضية في جنة مرتفعة مكانا وقدرًا.
- ١١، ١٢ - لا تسمع فيها كلمة ذات لغو، فيها عين جارية بالماء لا تنقطع.
- ١٣ - فيها سرر مرتفعة مكانا وقدرًا زيادة لهم في النعيم.

وَأَكْرَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَائِبٌ مُبْتَوِّئَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ

١٤ - وأكواب حاضرة بين أيديهم .

١٥ - ووسائد صف بعضها إلى جانب بعض .

١٦ - وبسط كثيرة متفرقة فى المجالس .

١٧ - أيعلمون التدبر فى الآيات ، فلا ينظرون إلى الابل ، كيف خلقت خلقا بديعا يدل على قدرة الله ؟ (١) .

١٨ - وإلى السماء التى يشاهدونها دائما ، كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد ؟ !

١٩ - وإلى الجبال التى يتصعدون إلى قممها ، كيف أقيمت شاهقة ، تمسك الأرض فلا تميل ولا تميد ؟ (٢) .

٢٠ - وإلى الأرض التى يتقلبون عليها ، كيف بسطت ومهدت ؟ !

(١) فى خلق الابل آيات معجزات دالة على قدرة الله ليتدبر فى ذلك المتدبرون . فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصحراء بحق . فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلا عن طيقتين من الأهداب تقيانها الرمال والقذى ، وكذلك المنخران والأذنان يكتفها الشعر للغرض نفسه . فإذا ما هبت العواصف الرملية انقل المنخران ، وانثنت الأذن - على صغرهما وقلة بروزها - نحو الجسم - أما القوائم فطوال تساعد على سرعة الحركة ، مع ما يناسب ذلك من طول العنق ، وأما الأقدام فتنسبط فى صورة خفاف تمكن الابل من السير فوق الرمال الناعمة ، وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض المشتتة الساخنة ، كما أن على جانبيه ذيله الطويل شعرا يحمى الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذى . أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع ، فهو فى الشتاء لا يطلب الماء ، بل قد يعرض عنه شهرين متتالين إذا كان الغذاء غضا رطبا أو أسبوعين إن كان جافا . كما أنه قد يتحمل العطش الكامل فى قيظ الصيف أسبوعا أو أسبوعين ، يفقد فى أثنائها أكثر من ثلث وزن جسمه ، فإذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد فى دقائق معدودات . والجمل لا يخترن الماء فى كرشه كما كان يظن . بل أنه يحتفظ به فى أنسجة جسمه ويقتصد فى استهلاكه غاية الاقتصاد ، فمن ذلك أنه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده إلا أدنى العرق ، وذلك لأن حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض فى الصباح المبكر ، ثم تأخذ فى الارتفاع التدريجى أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلى تطيفها بالعرق والتبخير ، وعلى الرغم من كمية الماء الهائلة التى يفقدها الجسم بعد العطش الطويل فإن كثافة دمه لا تتأثر إلا فى الحدود ومن ثم لا يقضى العطش عليه . وقد ثبت أن دهن السنم مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع ، ولكنه لا يفيد كثيرا فى تدبير الماء اللازم لجسمه .

وما زال العلماء يجيدون فى الجمل كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالى لهم على النظر فى خلقه المعجز .

(٢) تردد فى القرآن الكريم وصف الأرض بأنها مسطحة وبأنها مبسوطة : والمراد بذلك أن الأرض وإن كانت كروية الشكل تبدو

لناظرين مسطحة مبسوطة ، وهذا لا يخالف ما قرره العلم فى شيء .

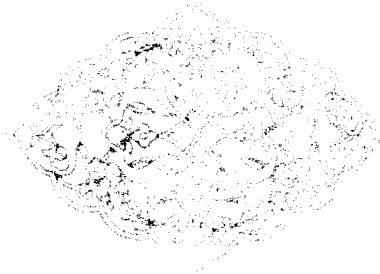
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

٢١ ، ٢٢ - فذكر بدعوتك ، انما مهمتك التبليغ ، لست عليهم بتسلط .

٢٣ ، ٢٤ - لكن من أعرض منهم وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر الذي لا عذاب فوقه .

٢٥ - ان الينا رجوعهم بالموت والبعث ، لا إلى غيرنا .

٢٦ - ثم ان علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم .



(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا لَللَّاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَالْأَيْلِ إِذَا بَسَرَ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ⑤
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫

بدأت هذه السورة بأقسام تناولت ظواهر متعددة ، توجه النظر إلى آثار القدرة على أن المنكرين لله والبعث معذبون ، كما عذب الذين كذبوا من قبل ، وأخذت السورة تقرّر سنن الله في ابتلاء عباده بالخير والشر ، وأن أعطاءه وامساكه ليس دليل رضا أو سخطه ، وتوجه الحديث للمخاطبين بأن أحوالهم تكشف عن شدة حرصهم وشحهم ، ثم تختم - بالإشارة إلى ما يكون من ندم المفرطين وتمنيهم أن لو قدموا من الصالحات ما ينجيهم ، مما يعاينونه من أهوال يوم القيامة ، وإلى ما يكون من ايناس النفس المطمئنة التي قدمت الصالحات ولم تفرط ، ودعوتها إلى الدخول مع المكرمين من عباد الله في جنة الله .

١ - أقسم بضوء الصبح عند مطارده الليل .

٢ - ولبال عشر مفضلة عند الله .

٣ - وبالزوج والفرد من كل شيء .

٤ - وبالليل إذا يتقضى بحركة الكون العجيبة .

٥ - هل فيما ذكر من الأشياء ما يراه العاقل قسما مقنعا ؟ !

٦ ، ٧ - ألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بعباد قوم هود ، أهل ارم ذات البناء الرفيع ؟ !

٨ - التي لم يخلق مثلها في البلاد متانة وضخامة بناء .

٩ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بشمود قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر من الجبال بينون به القصور

بالوادي ؟ !

١٠ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بفرعون ذى الجنود الذين يشدون ملكه كما تشد الأوتاد الحيام ؟

١١ - الذين تجاوزوا الحدود في البلاد .

١٢ - فأكثرُوا فيها الفساد بالكفر والظلم .

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ
فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾
كَأَلَّا بِلَآ تَكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونِ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِئَاءٌ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلْبِئْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

١٣ - فأنزل عليهم ربك ألوانا ملهبة من العذاب .

١٤ - ان ربك ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ، ويجازيهم به .

١٥ - فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه فأكرمه ، ونعمه بالمال والجاه والقوة ، فيقول مغترا بذلك : ربي فضلى لاستحقاقى لهذا .

١٦ - وأما الانسان إذا ما اختبره ربه بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة في ذلك : ربي أهاننى .

١٧ - ارتدعوا ، فليس الأمر كما تقولون ، بل أنتم لا تكرمون اليتيم .

١٨ - ولا يحث بعضكم بعضا على اطعام المساكين .

١٩ - وتأكلون المال الموروث أكلا لما ، لا تميزون فيه بين ما يحمى وما يذم .

٢٠ - وتحبون المال حبا كثيرا ، يدفعكم إلى الحرص على جمعه والبخل بانفاقه .

٢١ - ارتدعوا عن تلك الأفعال ، لما ينتظركم من الوعيد إذا سويت الأرض تسوية بعد تسوية .

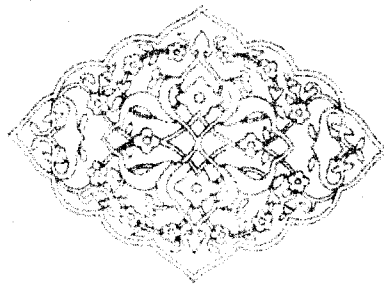
٢٢ - وجاء ربك مجيئا يليق به سبحانه ، وجاءت الملائكة صفا صفا .

٢٣ - وجيء يومئذ بجهنم دار العذاب ، يومئذ يحدث ذلك يتذكر الانسان ما فرط فيه ، ومن أين له الذكرى النافعة ، وقد فات أوانها ؟ !

٢٤ - يقول نادما : يا ليتنى قدمت في الدنيا أعمالا صالحة تنفنى لحياتى الآخرة .

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۝ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۝ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ۝ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ۝ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ۝

- ٢٥ ، ٢٦ - فيومئذ تكون هذه الأحوال ، لا يعذب أحد كعذاب الله ، ولا يقيد أحد كقيده .
 ٢٧ - يأتيها النفس المطمئنة بالحق .
 ٢٨ - ارجعي إلى رضوان ربك راضية بما أوتيت من النعم ، مرضية بما قدمت من عمل .
 ٢٩ - فادخلي في زمرة عبادي الصالحين .
 ٣٠ - وادخلي جنتي دار النعيم المقيم .



(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِينَةٌ وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ❶ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ❷ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ❸ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ❹
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ❺ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ❻ أَحْسَبُ أَنْ لَوْ رِئُهُ بِرَأْسِ أَحَدٍ ❼ أَلَّا نَجْعَلَ لَهُ
عَيْنَيْنِ ❽ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ❾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ❿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⓫ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⓬

أقسم الله بالبلد الحرام، مكة، موطن محمد ﷺ الذي نشأ فيه، وأحبه وبوالد وما ولد، لأن بها حفظ النوع وبقاء العمر، على أن الانسان خلق في مشقة ومكابدة متاعب، ثم بين أنه مغتر بحسب أن قدرته لا تغلب، وأنه ذومال كثير ينفقه ارضاء لشهواته وأهوائه، ثم عدد سبحانه ما أنعم به عليه مما ييسر له سبل الهداية واقتحام العقبة، ليكون من أهل الجنة أصحاب اليمين ويفر مما يجعله من أصحاب المشأمة الذين يرمى بهم في النار وتغلق عليهم أبوابها.

- ١ - أقسم قسما مؤكدا بمكة البلد الحرام.
- ٢ - وأنت مقيم بهذا البلد تزیده شرفا وقدرًا.
- ٣ - وبوالد وما ولد وبها حفظ النوع وبقاء العمران.
- ٤ - لقد خلقنا الانسان في مشقة وتمب منذ نشأته إلى منتهى أمره.
- ٥ - أظن الانسان الخلق في هذه المشقة أن لن يقدر على اخضاعه أحد.
- ٦ - يقول أنفقت في عداوة محمد ﷺ وصدته عن دعوته مالا كثيرا تجمع بعضه إلى بعض.
- ٧ - أظن أن أمره قد خفي فلم يطلع عليه أحد حتى من خلقه.
- ٨، ٩ - ألم نخلق له عينين ينظر بها ولسانا وشفتين ليتمكن من النطق والابانة.
- ١٠ - وبيننا له طريق الخير والشر وهيأناه للاختيار.
- ١١ - فلا انتفع بما هيأناه له، ولا تخطى العقبة التي تحول بينه وبين النجاة، وهي شح نفسه.
- ١٢ - وأي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة!؟

فَكَ رَقَبَةٍ ⑬ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ⑰ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِجَابَتِنَا
هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

١٣ - عتق النفس وتحريرها من العبودية .

١٤ - أو اطعام في يوم ذي مجاعة .

١٥ - يتيماً ذا قرابة يواسى لرحمه وفقره .

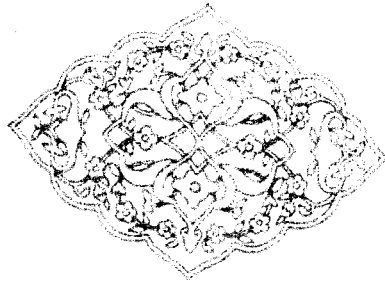
١٦ - أو مسكيناً ذا حاجة وافتقار .

١٧ - ثم كان مع ذلك من أهل الايمان الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر وبالرحمة .

١٨ - أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم السعداء أصحاب اليمين .

١٩ - والذين كفروا بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة هم الأشقياء أهل الشؤم والعذاب .

٢٠ - عليهم نار مطبقة مغلقة أبوابها .



(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ

أقسم الله تعالى في مفتتح هذه السورة بأشياء عدة من مخلوقاته العظيمة، المنبئة عن كمال قدرته تعالى ووحدانيته، على فوز من طهر نفسه بالإيمان والطاعة، وخسران من ضيعها بالكفر والمعاصي، ثم ساق مثلا ثمود قوم صالح وما حل بهم، ليعتبر بهم كل معاند مكذب، فانهم لما كذبوا رسولهم، وعقروا الناقة، أهلكهم الله جميعا وهو لا يخاف عاقبة اهلاكهم وما أنزله بهم، لأنه لا يسأل عما يفعل، وقد أنزل بهم ما يستحقون.

- ١ - أقسم بالشمس وبضوئها واشراقها وحرارتها.
- ٢ - وبالقمر إذا تبعها وخلفها في الإضاءة بعد غروبها.
- ٣ - وبالنهار إذا أظهر الشمس واضحة غير محجوبة.
- ٤ - وبالليل إذا يغشى الشمس، فيغطى ضوءها.
- ٥ - وبالسماء وبالقادر العظيم الذي رفعها وأحكم بناءها.
- ٦ - وبالأرض وبالقادر العظيم الذي بسطها من كل جانب، وهياها للاستقرار، وجعلها فراشا.
- ٧ - وبالنفس ومن أنشأها وعدلها، بما أودع فيها من القوى.
- ٨ - فعرّفها الحسن والقيبح، ومنحها القدرة على فعل ما تريد منها.
- ٩ - قد فاز من طهر نفسه بالطاعات وعمل الخير؟
- ١٠ - وقد خسر من أخف فضائلها، وأمات استعدادها للخير.
- ١١، ١٢ - كذبت ثمود نبيها بطغيانها وبغيها، حين نهض أشقاها مريدا عقرا الناقة.

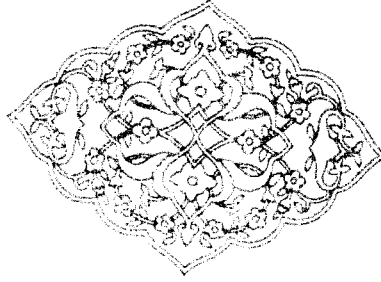
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ

عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

١٣ - فقال لهم صالح رسول الله : اتركوا ناقة الله تأكل في أرض الله ، واحذروا منعها الشرب في يومها .

١٤ - فكذبوا رسولهم في وعيده ، فعقروها ، فدمر عليهم ربهم ديارهم بذنوبهم ، فسواها بالأرض !

١٥ - ولا يخاف تبعة هذه العقوبة ، لأنها الجزاء العادل لما صنعوا .



(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا اجْدَى وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَبَ
بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أن أعمال الناس مختلفة بعضها هدى وبعضها ضلال ، فمن أنفق واتقى وصدق بالخصلة الجامعة للخير يسره الله لليسرى ، ومن بخل واستغنى وكذب بالخصلة الجامعة للخير يسره الله للعسرى ، ولا يغنى عنه ماله إذا وقع في العذاب ، وقد بينت الآيات بعد ذلك أن الله تكفل ببيان طرق الهدى ، تفضلا منه وأن له أمر الحياتين الآخرة والأولى ، وقد أندر بالنار يصلها الأثقياء ويتجنبها الأتقياء .

١ - أقسم بالليل حين يعم ظلامه .

٢ - وبالنهار إذا سطع ضوءه .

٣ - وبالعلم الذى خلق الصنفين الذكر والأنثى من كل ما يتوالد .

٤ - ان سعيكم مختلف ، فنه ما يسعد به الساعى ، ومنه ما يشق به .

٥ ، ٦ ، ٧ - فأما من أنفق في سبيل الله وخاف ربه فاجتنب محارمه وابتغى بالفضيلة الحسنى ، وهى الايمان بالله عن علم ، فسنبهه للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة بتوجيهه إلى طريق الخير .

٨ ، ٩ ، ١٠ - وأما من بخل بما له فلم يؤد حق الله فيه ، واستغنى به عما عند الله وكذب بالخصلة الحسنى فسنبهه للخصلة التى تؤدى إلى العسر والشقاء الأبدى .

١١ - وأى شيء من العذاب يدفعه عنه ماله الذى بخل به إذا هلك ؟!

١٢ - ان علينا بمقتضى حكمتنا أن نبين للخلق طريق الهدى .

لَنَا لِلْأَحْرَةِ وَالْأُولَى ۝ ١٣ ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ ١٤ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ ١٥ ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ ١٦ ۝
 وَسُجِّنَ فِي الْأَنْتَقَى ۝ ١٧ ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ ١٨ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ ١٩ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
 رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ ٢٠ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝ ٢١

١٣ - وان لنا وحدنا لأمر التصرف في الدارين .

١٤ - فخوفتكم نارا تتوقد وتتلهب .

١٥ ، ١٦ - لا يدخلها على جهة الدوام الا الكافر الذي كذب بالحق وأعرض عن آيات ربه .

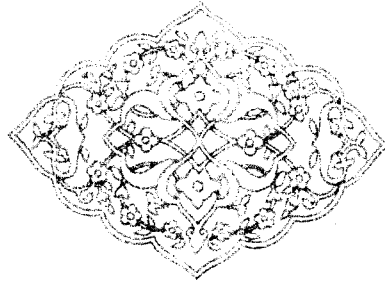
١٧ ، ١٨ - وسيبعد عنها المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي ، الذي يعطي ماله في وجوه اليسر يتطهر من رجس

البخل وذنس الامساك .

١٩ - وليس لأحد عند هذا المنفق من نعمة أو يد يكافأ بها .

٢٠ - لكن يعطيه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

٢١ - ولسوف ينال من ربه ما يبتغيه على أكمل الوجوه حتى يتحقق له الرضا .



(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْخِزْيُ عِشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ①
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ②
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④
وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤
أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦
وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ⑧
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

افتتحت السورة بقسمين معبرين عن وقى النشاط والسكون ، على أن الله ماترك رسوله ولاكرهه ومابعده له في الآخرة من منازل الرفعة خير مما يكرمه به في الأولى ، ثم أقسم سبحانه على أنه سيعطى حتى يرضى ، والسوابق شواهد على اللواحق ، فقد كان يتيمًا فأواه ، وضالًا فأحسن هداه وفقيرًا فأغناه ، ثم دعت الآيات الى اكرام اليتيم وعدم نهر السائل ، والى التحدث بنعمة الله .

- ١ - أقسم بوقت ارتفاع الشمس . والنشاط في العمل .
- ٢ - وبالليل اذا سكن وامتد ظلامه .
- ٣ - ماتركك ربك يا محمد وماكرهك .
- ٤ - ولعاقبة أمرك ونهايته خير من بدايته .
- ٥ - واقسم لسوف يعطيك ربك من خيري الدنيا والآخرة حتى ترضى .
- ٦ - أم يجدك يتيمًا تحتاج الى من يرعاك فأواك بضمك الى من يحسن القيام بأمرك .
- ٧ - ووجدك حائرًا لاتنعمك المعتقدات حولك فهداك الى منهج الحق .
- ٨ - ووجدك فقيرًا من المال فأغناك بما أعطاك من رزق .
- ٩ ، ١٠ ، ١١ - اذا كان هذا حالنا معك ، فأما اليتيم فلا تذله ، وأما السائل فلا ترده بقسوة ، وأما بنعمة ربك فحدث شكرًا لله واطهارًا للنعمة .

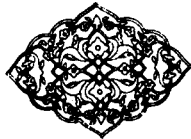


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلرَّشْحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

تقرر هذه السورة أن الله قد شرح صدر نبيه وجعله مهبط الأسرار والعلوم، وحط عنه ما أنقل ظهره من أعباء الدعوة، وقرن اسمه باسمه في أصل العقيدة وشعائر الدين، ثم ذكرت الآيات سنة الله في أن يقرن اليسر بالسر، ودعت الرسول كلما فرغ من فعل خير أن يجتهد في فعل خير آخر، وإن يجعل قصده إلى ربه فهو القادر على عونه.

- ١ - قد شرحنا لك صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والايان.
- ٢ - وخففنا عنك ما أنقل ظهرك من أعباء الدعوة بمساندتك وتيسير أمرك.
- ٣ - الذي أنقل ظهرك.
- ٤ - ونوهنا باسمك، فجعلناه مذكورا على لسان كل مؤمن مقرونا باسمنا.
- ٥ - تلك بعض نعمتنا عليك، فكن على ثقة من الطافه تعالى، فان مع العسر يسرا كثيرا يقارنه.
- ٦ - ان مع العسر يسرا كثيرا كذلك.
- ٧ - فاذا فرغت من أمر الدعوة ومقتضيات الجهاد، فاجتهد في العبادة واتعب نفسك فيها.
- ٨ - والى ربك وحده فاتجه بمسألتك وحاجتك.



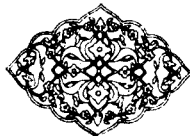


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والتين والزيتون ① وطور سينين ② وهذا البلد الأمين ③ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ④ ثم رددناه أسفل سافلين ⑤ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ⑥ فأكذبك بعد بالدين ⑦ أليس الله بأحكم الحاكمين ⑧

يقسم الله في هذه السورة بثمرتين مباركتين . ومكانين طيبين على أنه خلق الانسان في أعدل صورة ، مكلا بالعقل والارادة الى غير ذلك من صفات الكمال ، ثم ذكرت الآيات ان الانسان لم يقم بمقتضى خلقته ، فنزلت درجته الى أسفل سافلين ، الا من آمن وعمل الصالحات فقد مد له في العطاء . ثم اتجهت السورة منكرة على من كذب بالبعث بعد ظهور أدلة قدرته وأنباء حكمته .

- ١ - أقسم بالتين والزيتون لبركتها وعظيم منفعتها .
- ٢ - وبالجبيل الذي كلم الله عليه موسى .
- ٣ - وهذا البلد مكة المعظمة . يشهد بعظمتها من زارها ، الأمن من دخلها .
- ٤ - لقد خلقنا جنس الانسان مقوما في أحسن ما يكون من التعديل ، متصفا بأجل ما يكون من الصفات .
- ٥ - ثم أنزلنا درجته الى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه .
- ٦ - لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة ، فلهم أجر غير مقطوع عنهم ولا ممنون به عليهم .
- ٧ - فأى شيء يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء ، بعد أن وضحت قدرتنا على ذلك .
- ٨ - أليس الله الذي فعل ما أنبأناك به بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيراً .



سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثِنْتٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغَى ⑥ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجُوعَ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا

في هذه السورة دعوة الى القراءة والتعلم ، وأن من قدر على خلق الانسان من أصل ضعيف قادر على ان يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويتم بها التفاهم ، ويعلمه مالم يعلم فهو سبحانه مفيض العلم على الانسان ، وتنبه السورة الى أن الثراء والقوة قد يدفعان النفوس الى مجاوزة حدود الله ، ولكن مصير الكل الى الله في النهاية ، وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منذرة الطغاة الصادين عن الخير مهددة لهم بأخذهم بالنواصي الى النار ، فلانتفعهم الأنصار ، ونحتم السورة بدعوة الممثلين الى مخالفة المعاندين المكذبين والتقرب بالطاعة الى رب العالمين .

- ١ - اقرأ يا محمد مايوحى اليك مفتتحا باسم ربك الذي له وحده القدرة على الخلق .
- ٢ - أوجد الانسان الكامل الجسم والعلم من علق لا يظهر فيه مايدعو الى افخار .
- ٣ - امض في القراءة وربك الاكرم ، يقدرك ولا يخذلك .
- ٤ - الذي علم الانسان الكتابة بالقلم ولم يكن يعلمها .
- ٥ - علم الانسان مالم يكن يخاطر بباله .
- ٦ ، ٧ - حقا ان الانسان ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ، من أجل أن رأى نفسه ذا غنى وثراء .
- ٨ - ان الى ربك وحده يا محمد رجوع الكل بالبعث والجزاء .
- ٩ ، ١٠ - أبصرت هذا الطاغى الذى ينهى عبدا عن الصلاة اذا صلى ؟!
- ١١ ، ١٢ - أخبرنى عن حال هذا الطاغى ان كان على الهدى فى نبيه ، أو أمر بالتقوى فيما أمر .
- ١٣ - أخبرنى عن حال هذا الناهى ان كذب بما جاء به الرسول ، وأعرض عن الايمان والعمل الطيب .
- ١٤ - أجهل أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها ؟!

بِالنَّاصِبَةِ ⑩ نَاصِبَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑪ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑫ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑬ كَلَّا لَا تَطْعَمُهُ وَآمِجِدْ
وَاقْتَرِبْ ⑭

١٥ - ردعا لهذا الناهي ، لئن لم يذجرعما هو عليه ، لناخذن بناصيته الى النار بشدة .

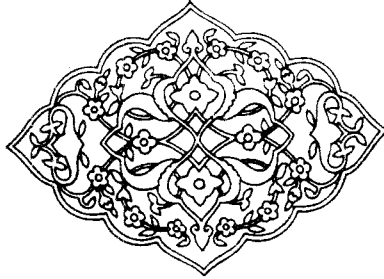
١٦ - ناصية يعلو وجه صاحبها الكذب وأثار الخطيئة .

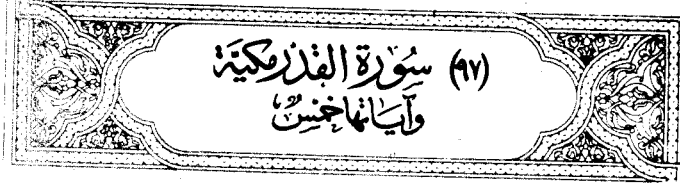
١٧ - فيطلب عشيرته وأهل مجلسه ليكونوا نصراء في الدنيا أو في الآخرة .

١٨ - سندعو جنودنا لينصروا محمدا ومن معه ، وليدفعوا هذا الناهي وأعدائه الى جهنم .

١٩ - ردعا لهذا الناهي ، لاتطعمه فيما هناك عنه ، ودم على صلاتك وواظب على سجودك ، وتقرب بذلك الى

ربك .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

في هذه السورة تنويه بشأن القرآن وشأن الليلة التي أنزل فيها، وإخبار أنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة وجبريل تنزل فيها بإذن ربهم من أجل كل أمر. سلام هي من الأذى والسوء حتى طلوع فجرها.

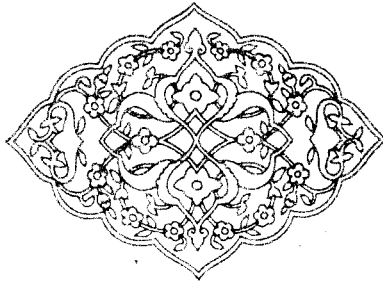
١ - انا أنزلنا القرآن في ليلة القدر والشرف.

٢ - وأي شيء أعلمك ما ليلة القدر والشرف؟!.

٣ - ليلة القدر والشرف خير من ألف شهر، بما اختصت به من تنزيل القرآن الكريم.

٤ - تنزل الملائكة وجبريل فيها إلى الأرض بإذن من أجل كل أمر.

٥ - أمان من الأذى والسوء هي كذلك حتى مطلع الفجر.



(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَكِّيَّةٌ كَانَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ هُمْ

علم أهل الكتاب من كتبهم ، وعلم منهم مشركو مكة نعت نبي آخر الزمان ، وكان مقتضى ذلك أن يؤمنوا به اذا بعث فلما بعث فيهم رسول الله مؤيدا بالقرآن اختلفوا واختلفوا وعدمهم ، وتبعت أهل الكتاب في ذلك أشد من المشركين ، وأمر هؤلاء جميعا في الآخرة أن يخلصوا في النار ، والمؤمنون أصحاب المنازل العالية في الفضل هم خير البرية ، جزاؤهم الخلود في الجنة ، والرضى بما بلغوا من المطالب وأعطوا من المأرب . هذا النعم لمن خاف ربه .

١ - لم يكن الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى ، ومن المشركين منصرفين عن غفلتهم وجهلهم بالحق حتى تأتيهم الحجة القاطعة .

٢ ، ٣ - رسول مبعوث من عند الله يقرأ عليهم صحفا مزهية عن الباطل ، فيها أحكام مستقيمة ناطقة بالحق والصواب .

٤ - وما تفرق الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى . الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن محمدا هو رسول الله الموعود به في كتبهم .

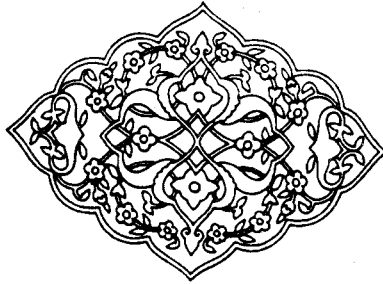
٥ - وما كلفوا بما كلفوا به الا لتكون عبادتهم لله مخلصين له الدين ، مائلين عن الباطل مستقيمين على الحق ، وأن يحافظوا على الصلاة ويؤدوا الزكاة ، وذلك دين الملة المستقيمة .

٦ - ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم يصلونها ، لا يخرجون منها ، أولئك هم شر الخلق عقيدة وعملا .

٧ - ان الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، أولئك هم خير الخلق عقيدة وعملا .

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عِدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
 لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٨ - جزاءهم في الآخرة على ما قدموا من الايمان والأعمال الصالحة ، جنات اقامة تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبدا ، قبل الله اعمالهم ، وشكروا احسانه اليهم ذلك الجزاء لمن خاف عقاب ربه ، فأمن وعمل صالحا .



(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ الْمَدِينِيَّةِ
وَأَيُّهَا مَاتَاتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا ③ يَوْمَئِذٍ ④
تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ⑤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ⑦ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑨

آيات هذه السورة لا تجاوز أحوال القيامة :

زلزال الأرض ، وخروج الكنوز والموتى منها ، وعجب الانسان وتساؤله عما فاجأه ، وانصراف الناس من قبورهم متفرقين ليلاقوا جزاءهم .

١ - اذا حركت الأرض حركة شديدة ، واضطربت أقوى ما يكون من التحريك والاضطراب الذى تطبيقه وتحتمله .

٢ - وأخرجت الأرض ما فى بطنها من الكنوز والموتى .

٣ - وقال الانسان فى دهشة وخوف ما الأرض تنزل ، وتخرج ما فى بطنها ، جاءت الساعة ١٢ .

٤ ، ٥ - يومئذ تحدث الأرض الانسان أخبارها التى أفزعته بأن مربيه وخالقه أوحى لها : ان تنزل وتضطرب ، فسارعت الى امتثال أمره .

٦ - يومئذ ينصرف الناس من قبورهم سراعا متفرقين ، ليتبينوا حسابهم وجزاءهم الذى وعدهم الله به .

٧ - فمن يعمل ذرة من التراب خيرا يره فى صحيفته ويلق جزاءه عليه .

٨ - ومن يعمل ذرة من التراب شرا يره كذلك ، ويلق جزاءه عليه ولا يظلم ريبك أحدا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

أقسم الله تعالى في فاتحة هذه السورة بخيل الجهاد ان الانسان لنعمة ربه لشديد الكفران ، وانه على ذلك في الآخرة لشهيد على نفسه بما كان منه ، وانه لحبه المال لبخيل به حريص عليه ، وذكر في خاتمتها بالبعث ونبه الى الحساب والجزاء .

- ١ - أقسم بخيل الجهاد المسرعات يسمع لأنفاسها صوت هو الضيغ .
- ٢ - فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها واندفاعها في سيرها .
- ٣ - فالخيل التي تغير على العدو قبل طلوع الشمس .
- ٤ - فأثارت هذه الخيل في مواقع العدو غبارا كثيرا لا يشق .
- ٥ - فجعلن الغبار يتوسط جمع العدو حتى يصيبه الرعب والفرع .
- ٦ - ان الانسان لنعم ربه التي لا تحصى لشديد الكفران .
- ٧ - وانه على ذلك في الآخرة لشهيد على نفسه معترف بذنوبه .
- ٨ - وانه لحبه المال وحرصه عليه لبخيل به لا يؤدي ماوجب فيه .
- ٩ ، ١٠ - أجهل عاقبة أمره فلا يعلم اذا نشر ما في القبور من أجساد ، وجمع ما في الصدور وقد سجل في صحفهم - من خير اكتسبوه وشر اقترفوه .
- ١١ - ان مربيهم وخالقهم - بأعمالهم وجزائهم يوم البعث والحساب - لخبير .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١

هذه السورة الكريمة بدأت بالتهويل من شأن القارعة التي تصك أسماع الناس . وذكرت بعض أحوال القارعة الخاصة بالناس وبالجبال . وعنيت بالحديث عن ثقلت موازينهم برجحان حسناتهم وعن خفت موازينهم برجحان سيئاتهم .

- ١ - هي القيامة التي تبدأ بالنفخة الأولى ، وتنتهي بفصل القضاء بين الناس .
- ٢ - أى شيء عجيب هي في فخامتها وخطرها وفظاعتها ؟!
- ٣ - أى شيء أعلمك ماشأن القارعة في هولها على النفوس ؟!
- ٤ - هي يوم يكون الناس كالفراش المبعوث كثرة وتدافعا يمينا وشمالا ضعيفا ذليلا .
- ٥ - وتكون الجبال كالصوف الملون المنفوش في تفرق الأجزاء والتطير في الجو هنا وهناك .
- ٦ ، ٧ - فأما من ثقلت موازينه فرجحت حسناته على سيئاته ، فهو في عيشة يرضاها صاحبها تطيب نفسه بها .
- ٨ ، ٩ - وأما من خفت موازينه فرجحت سيئاته على حسناته فأواه جهنم .
- ١٠ - وما أعلمك ما الهاوية ؟!
- ١١ - نار حامية لا تبلغ حرارتها أية نار مهما سرعت وألقى فيها من وقود .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَّاكَ الْتَكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

عابت هذه السورة من شغلهم التكاثر عن أداء الواجبات ، وأنذرتهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تقصيرهم ،
وخوفت الناس بمعاينة النار وسؤالهم عما كانوا فيه من نعيم .

١ ، ٢ - شغلكم عن الواجبات والطاعات تباهيكم بالأولاد والأنصار ، وتفاحركم بالأموال والحساب
والأنساب حتى أصابكم الموت .

٣ - حقا سوف تعلمون عاقبة سفهكم وتفريطكم .

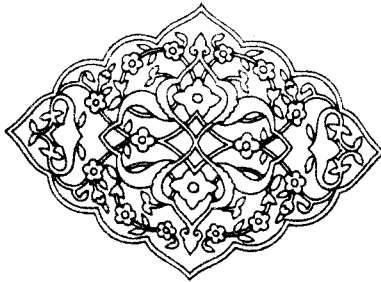
٤ - ثم حقا سوف تعلمون حتما تلك العاقبة .

٥ - حقا لو تعلمون يقينا سوء مصيركم لفرغتم من تكاثركم وتزودتم لآخرتكم .

٦ - أقسم لكم وأؤكد أيها الناس أنكم ستشاهدون النار الموقدة .

٧ - ثم أقسم وأؤكد انكم ستشاهدونها عيانا ويقينا .

٨ - ثم أقسم وأؤكد أنكم ستحاسبون على الوان النعيم الذى اترفتتم فيه واستمتعتم به .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

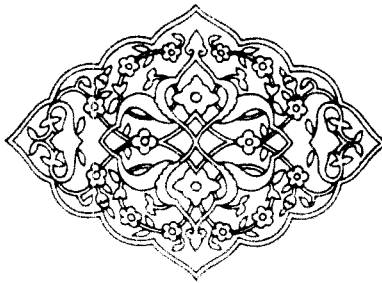
وَالْعَنْكَبُوتِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا
بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

في هذه السورة أقسم سبحانه بالزمان لانطوائه على العجائب ، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته ، على أن الانسان لا ينفك عن نقصان في اعماله وأحواله الا المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق ، وهو الخير كله ، وتواصوا بالصبر على ما أمروا به ومانهوا عنه .

١ - أقسم بالزمان لكثرة ما انطوى عليه من عجائب وعبر .

٢ - ان كل انسان لقي نوع من الخسران لما يغلب عليه من الأهواء والشهوات .

٣ - الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وأقاموا على الطاعات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق : اعتقادا وقولا وعملا ، وأوصى بعضهم بالصبر على المشاق التي تعترض من يعتصم بالدين ، فهؤلاء ناجون من الخسران ، مفلحون في الدنيا والآخرة .



(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا نَسِيعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

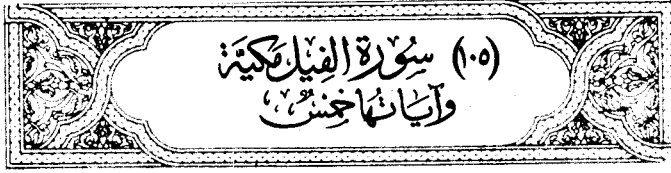
وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ بِحَسْبِ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

في هذه السورة وعيد شديد لمن اعتاد أن يعيب الناس بالاشارة أو بالعبارة الذي جمع مالا كثيرا وعده افتخارا به، يظن أن ماله يقيه في الدنيا.

وفيا تهديد عظيم لهؤلاء بالقائهم في نار موقدة تحطم اجسامهم وقلوبهم، وتغلق عليهم أبوابها. ويوثقون فيها مع ذلك فلا يستطيعون التحرك ولا الخلاص.

- ١ - عذاب شديد وهلاك لمن دأبه أن يعيب الناس بالقول أو بالاشارة أو يتكلم في أعراضهم.
- ٢ - الذي جمع مالا كثيرا وأحصى عده مرة بعد أخرى حبا له وتلذذا باحصائه.
- ٣ - يظن أن ماله يخلده في الدنيا ويدفع عنه مايكره.
- ٤ - ليرتدع عن هذا الظن. والله ليطرحن لسوء عمله في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها.
- ٥ - وأي شيء أعلمك ما حقيقة هذه النار الحطمة.
- ٦ - نار الله المسعرة بأمره الموقدة دائما.
- ٧ - التي تصل القلوب وتحيط بها.
- ٨، ٩ - انها عليهم مغلقة الأبواب وهم موثقون فيها مشدودون الى عمد ممدودة فلا حركة لهم فيها ولا خلاص لهم منها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تَرَكَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤

يخبر الله رسوله ﷺ بقصة أصحاب الفيل الذين قصدوا هدم بيت الله، وبلغته إلى ماحوته القصة من عبرة دالة على عظم قدرته تعالى وانتقامه من المعتدين على حرمانه. فقد سلط الله عليهم من جنوده ما قطع أوصالهم وأذهب الباهم، ولم يبق منهم غير أثر كأنه غلاف بر ذهب له.

١ - قد علمت يا محمد علما لا يخالطه شك فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت الحرام.

٢ - قد علمت ان الله قد جعل سعيهم لتخريب الكعبة في تضييع وابطال، فخبب مسعاهم، ولم ينالوا قصدهم.

٣ - وسلط الله عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة وأحاطت بهم من كل ناحية.

٤ - تقذفهم بحجارة من جهنم.

٥ - فجعلهم كورق زرع أصابته آفة فأتلفته.

تعليق الخبراء على السورة:

تشير هذه السورة الشريفة إلى حملة أبرهة الأشرم الحبشي التي وجهها من اليمن نحو مكة لهدم الكعبة ليصرف عنها حجاج العرب، فقد ورد جيشا كبيرا مزودا ببعض الفيلة وسار به إلى الحجاز وعسكر بقرب مكة في مكان يدعى المغمس « على ثلثي فرسخ من مكة في طريق الطائف » وهناك دارت مناقشات بينه وبين العرب ولكن حملته باءت بالفشل، وذلك بسبب المتاعب الكثيرة التي لاقاها من القبائل اليمنية والحجازية ولتفشى المرض في جيشه كذلك على نحو ما تشير إليه السورة الشريفة، فعاد إلى بلده بعد أن هلك معظم جيشه دون أن يحقق هدفه، وقد دخلت هذه الغزوة التي تكون قد وقعت عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية، في تقويم عرب الحجاز قبل الاسلام، وعرفت عندهم بعام الفيل وقيل: ان الرسول ولد فيه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

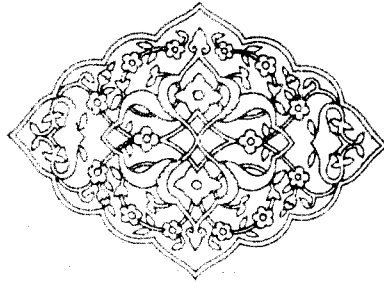
لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

يتمن الله في هذه السورة على قريش ببيته الحرام الذي دفع عنه اعداءه ، وأسكنهم بجسواره فنالوا الشرف والأمن ، ورحلوا في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف الى الشام ، يتاجرون لا يتعرض لهم أحد بسوء ويتخطف الناس من حولهم وتلك نعمة توجب عليهم عبادة من أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف .

١ ، ٢ - أعجبوا لما التزمت رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام في اطمئنان وأمن للتجارة وابتغاء الرزق .

٣ - فليخلصوا العبادة لرب هذا البيت الذي مكثهم من هاتين الرحلتين .

٤ - الذي أطعمهم من جوع وهم بواد غير ذي زرع ، وأمنهم من خوف والناس يتخطفون من حولهم .



(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّبِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ❶ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ❹ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ❺ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ❻ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ❼

تحدثت هذه السورة عن المكذب بالجزاء في الآخرة، فذكرت من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره غلظة لاتأديبا، وأنه لا يبحث أحدهم بقول أو فعل على اطعام المساكين، لأنه شحيح بماله، بخيل بما في يده. ثم ذكرت فريقا شبيها بهذا المكذب بالجزاء. وهم الغافلون عن صلاتهم الذين لا يؤدونها كما طلبت، والذين يقومون بها صورة لامعنى، المراءون بأعمالهم، المانعون معوتهم من المحتاجين اليها، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك ليرجعوا عن غيهم.

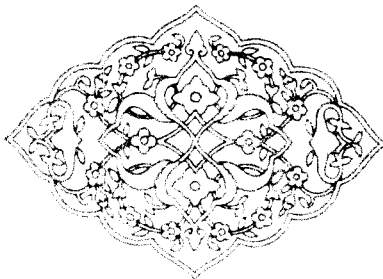
١- أعرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة!؟

٢، ٣- ان أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا، ويقهره ويظلمه، ولا يبحث على اطعام المسكين.

٤، ٥- فهلاك للمصلين المتصفين بهذه الصفات الذين هم عن صلاتهم غافلون غير منتفعين بها.

٦- الذين هم يظهرون للناس أعمالهم، لينالوا الميزة فى قلوبهم والثناء عليهم.

٧- ويمنعون معروفهم ومعوتهم عن الناس.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

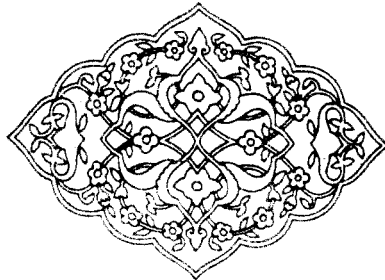
إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

امتن الله في هذه السورة على رسوله ﷺ باعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة، وطلب منه أن يديم الصلاة خالصة لوجهه، وأن ينحر حيار أمواله ضحية شكرا على ما أولاه من الكرامة. ثم ختمت السورة بإشارة النبي ﷺ بقطع مبيضه وشانئه.

١ - انا أوليناك الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة.

٢ - واذا أعطيت ذلك قدم على الصلاة لربك خالصة له، وانحر ذبائحك شكرا لله على ما أولاك من كرامة وخصك من خير.

٣ - ان مبيضك هو المنقطع عن كل خير.



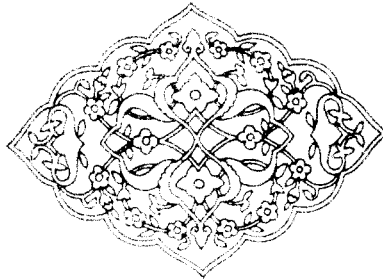
سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَإِيَّانَهَا سِتُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ بِمَا عِبَادُكُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

في هذه السورة أمر الله رسوله ﷺ أن يقطع أطباع الكافرين في مساومتهم إياه في دعوة الحق . فهو باق على عبادة الله الذي لا إله إلا هو ، وهم باقون على عبادة آلهتهم التي لا تنفي من الحق شيئاً . لهم دينهم الذي قلدوا آباءهم فيه ، وله دينه الذي ارتضاه الله له .

- ١ - قل يا محمد : يا أيها الكافرون المصرون على كفرهم .
- ٢ - لا أعبد الذي تعبدون من دون الله .
- ٣ - ولا أنتم عابدون الذي أعبد ، وهو الله وحده .
- ٤ - ولا أنا عابد مثل عبادتكم ، لأنكم مشركون .
- ٥ - ولا أنتم عابدون مثل عبادتي لأنها التوحيد .
- ٦ - لكم دينكم الذي اعتقدتموه ، ولي ديني الذي ارتضاه الله لي .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

طلبت هذه السورة من رسول الله ﷺ - إذا جاءه نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون في دين الله جماعات لاستقرار أمره وعلو كلمته وإكمال الله له - أن يسبح بحمد ربه ، وينزهه عما لا يليق به ، ويستغفره لنفسه وللمؤمنين لانه التواب الذي يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات .

١ - إذا تحقق نصر الله والفتح لك وللمؤمنين .

٢ - ورأيت الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات .

٣ - فاشكر ربك ، وسبح بحمده واطلب مغفرته لك ولأمتك . انه كان توابا كثير القبول لتوبة عباده .

تعليق الخبراء على سورة النصر .

تشير هذه السورة الشريفة إلى فتح مكة ، والسبب المباشر لفتح مكة هو نقض قريش لهدنة الحديبية بمهاجمتها خسراة - وكانت قد دخلت في عهد النبي ﷺ - ومظاهرتها بنى بكر عليها ، عند هذا رأى النبي أن ما قامت به قريش من نقض للعهد يحتم عليه فتح مكة فحشد جيشا قويا مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، وسار في رمضان من العام الثامن للهجرة (في ديسمبر سنة ٦٣٠ م) فأوصى رجاله بعدم القتال إلا إذا أكرهوا عليه . وقد شاء الله أن يدخل النبي وجيشه مكة من غير حرب . وهكذا استطاع أن يكسب أكبر نصر في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير حرب وبغير إراقة دماء .

وكان لفتح مكة آثار بعيدة المدى في الناحيتين الدينية والسياسية ، فقد قضى على الوثنية في معقلها الأكبر بتحطيم الأصنام المقامة بالكعبة وأزال ما بها من صور وتماثيل .

وبدخول مكة حظيرة الإسلام استطاع النبي صلوات الله عليه التقلب على بقية القبائل في الحجاز ، التي غلبت عليها حمية الجاهلية مثل هوازن وثقيف ، وكتب الله له التوفيق في إرساء دعامة دولة عربية تحت راية الإسلام .

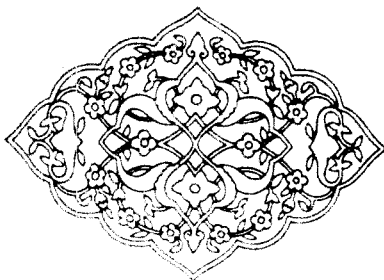
(٣) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②
سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ④
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

بدأت هذه السورة بالاخبار بهلاك أبي لهب عدو الله ورسوله . وعدم اغناء شيء عنه من ذلك . مالا كان أوجاها أو غيرها وتوعدته في الآخرة بنار موقدة يصلها ويشوى بها وقرنت زوجته به في ذلك . واختصتها بلون من العذاب هو ما يكون حول عنقها من حبل تجذب به الى النار زيادة في التنكيل بها لما كانت عليه من ايداء الرسول والاساءة الى دعوته .

- ١ - هلكت يدا أبي لهب اللتان كان يؤذى بها المسلمين . وهلك معها .
- ٢ - مادفع عنه عذاب الله ماله الذي كان له ولاجاهه الذي كسبه .
- ٣ - سيدخل نارا ذات اشتعال يحرق بها .
- ٤ - وستدخل امرأته حمالة التيممة بين الناس النار كما دخلها .
- ٥ - في عنقها حبل من ليف للتنكيل بها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

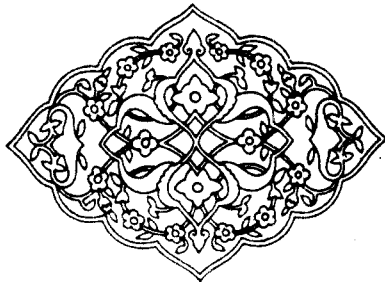
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سئل النبي ﷺ عن ربه فأمر في هذه السورة بالاجابة بأنه الجامع لصفات الكمال الواحد الأحد المقصود على الدوام في الحوائج ، الغنى عن كل ما سواه المتزه عن الجانسة والمماثلة لم يلد ولم يولد ولم يكن له من خلقه نظير ولا مشاكل .

١ - قل يا محمد لمن قالوا مستهزئين : صف لنا ربك : هو الله أحد لا سواه ، ولا شريك له .

٢ - الله المقصود وحده في الحوائج والمطالب .

٣ ، ٤ - لم يتخذ ولدا ، ولم يولد من أب أو أم ولم يكن له أحد شبيها أو نظيرا ليس كمثلته شيء .



(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ كَثِيرًا
وَأَيُّهَا خَيْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

طلبت هذه السورة من النبي ﷺ ان يلجأ الى ربه ويعتصم به من شر كل ذى شر، من مخلوقاته، ومن شر الليل اذا دخل ظلامه، لما يصيب النفوس فيه، من الوحشة، ولما يتعذر من دفع ضرره، ومن شر المفسدات الساعيات في حل ما بين الناس من روابط وصلات، ومن شر حاسد يتمنى زوال ما يسبغ الله على عباده من نعمة.

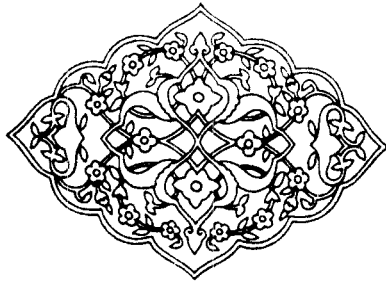
١ - قل أعتصم برب الصبح الذى ينجلي الليل عنه .

٢ - من شر كل ذى شر من المخلوقات التى لا يدفع شرها الا مالك أمرها .

٣ - ومن شر الليل اذا اشدت ظلامه .

٤ - ومن شر من يسعى بين الناس بالافساد .

٥ - ومن شر حاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره .



(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سِتُّ

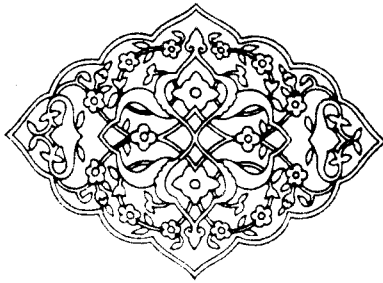
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ في هذه السورة أن يلجأ إليه ويستعيز به في دفع شر عظيم يخفى على كثير من الناس إدراكه لانه يجيئهم من جهة شهواتهم واهوائهم فيوقعهم ذلك فيما نوا عنه .

ذلك هو شر الوسواس الخناس مستترا عن العيون أو ظاهرا لها مخفيا وسوسته بالمر أو الخديعة .

- ١ - قل أعتصم برب الناس ومدبر شؤونهم .
- ٢ - مالك الناس ملكا تاما حاكمين أو محكومين .
- ٣ - إله الناس القادر على التصرف الكامل فيهم .
- ٤ - من شر الوسوس للناس الذي يمتنع اذا استعنت عليه بالله .
- ٥ - الذي يلقى في خفية - في صدور الناس ما يصرفها عن سبيل الرشاد .
- ٦ - من الجن والناس .



فهرست المنتخب في تفسير القرآن الكريم

صفحة	صفحة	صفحة
سورة النازعات ٨٨١	سورة غافر ٦٩٤	سورة الفاتحة ١
سورة عبس ٨٨٤	سورة فصلت ٧٠٦	سورة البقرة ٢
سورة التكويد ٨٨٧	سورة الشورى ٧١٤	سورة آل عمران ٧٠
سورة الانفطار ٨٨٩	سورة الزخرف ٧٢٣	سورة النساء ١٠٥
سورة المطففين ٨٩١	سورة الدخان ٧٣٣	سورة المائدة ١٤٣
سورة الانشقاق ٨٩٤	سورة الجاثية ٧٣٨	سورة الأتعام ١٧١
سورة البروج ٨٩٦	سورة الأحقاف ٧٤٤	سورة الأعراف ٢٠٤
سورة الطارق ٨٩٨	سورة محمد ٧٥٠	سورة الأنفال ٢٤١
سورة الأعلى ٩٠٠	سورة الفتح ٧٥٦	سورة التوبة ٢٥٧
سورة الغاشية ٩٠٢	سورة الحجرات ٧٦٢	سورة يونس ٢٨٤
سورة الفجر ٩٠٥	سورة ق ٧٦٦	سورة هود ٣٠٦
سورة البلد ٩٠٨	سورة الذاريات ٧٧١	سورة يوسف ٣٣٠
سورة الشمس ٩١٠	سورة الطور ٧٧٦	سورة الرعد ٣٥٢
سورة الليل ٩١٢	سورة النجم ٧٨٠	سورة إبراهيم ٣٦٣
سورة الضحى ٩١٤	سورة القمر ٧٨٦	سورة الحجر ٣٧٢
سورة الشرح ٩١٥	سورة الرحمن ٧٩١	سورة النحل ٣٨٤
سورة التين ٩١٦	سورة الواقعة ٧٩٧	سورة الاسراء ٤٠٩
سورة العلق ٩١٧	سورة الحديد ٨٠٣	سورة الكهف ٤٢٦
سورة القدر ٩١٩	سورة المجادلة ٨١٠	سورة مريم ٤٤٣
سورة البينة ٩٢٠	سورة الحشر ٨١٤	سورة طه ٤٥٥
سورة الزلزلة ٩٢٢	سورة المنتحة ٨١٩	سورة الأنبياء ٤٧٢
سورة العاديات ٩٢٣	سورة الصف ٨٢٣	سورة الحج ٤٨٧
سورة القارعة ٩٢٤	سورة الجمعة ٨٢٦	سورة المؤمنون ٥٠٢
سورة التكاثر ٩٢٥	سورة المنافقون ٨٢٨	سورة النور ٥١٦
سورة العصر ٩٢٦	سورة التغابن ٨٣١	سورة الفرقان ٥٣١
سورة الهمة ٩٢٧	سورة الطلاق ٨٣٤	سورة الشعراء ٥٤٢
سورة الفيل ٩٢٨	سورة التحريم ٨٣٧	سورة النمل ٥٦٢
سورة قريش ٩٢٩	سورة الملك ٨٤٠	سورة القصص ٥٧٥
سورة الماعون ٩٣٠	سورة القلم ٨٤٤	سورة العنكبوت ٥٩٠
سورة الكوثر ٩٣١	سورة الحاقة ٨٤٨	سورة الروم ٦٠٢
سورة الكافرون ٩٣٢	سورة المعارج ٨٥٢	سورة لقمان ٦١١
سورة النصر ٩٣٣	سورة نوح ٨٥٥	سورة السجدة ٦١٨
سورة المسد ٩٣٤	سورة الجن ٨٥٨	سورة الأحزاب ٦٢٢
سورة الاخلاص ٩٣٥	سورة المزمل ٨٦٢	سورة سبأ ٦٣٤
سورة الفلق ٩٣٦	سورة المدثر ٨٦٥	سورة فاطر ٦٤٣
سورة الناس ٩٣٧	سورة القيامة ٨٦٨	سورة يس ٦٥١
	سورة الانسان ٨٧١	سورة الصافات ٦٦٠
	سورة المرسلات ٨٧٤	سورة ص ٦٧٤
	سورة النبأ ٨٧٧	سورة الزمر ٦٨٢